

جمع وتحقيق ودراسة
الدكتور سهيل زكار

نشر وتوزيع
دار حسان
للطباعة والنشر

SS

أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

SS

الطبعة الثانية

مزيدة و منقحة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

نشر وتوزيع

دار حسان

للطباعة والنشر

أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

تصنيف

ثابت بن سنان بن قرة الصابئ وآله - علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي

الداعية الإسماعيلي أحمد بن إبراهيم النيسابوري - داعية إسماعيلي قديم مجهول

القاضي عبد الجبار الهمذاني - ناصر خسرو - محمد بن مالك اليماني

عبد الرحمن بن الجوزي - علي بن ظافر الأزدي - الصاحب كمال الدين بن العديم

أحمد بن عبد الوهاب النويري - أحمد بن علي المقريزي - علي بن الحسن الخزرجي

الإهداء

إلى ولدي مصطفى

هذه أخبار سلف ثاروا فأخفقوا

لأنهم رفضوا التراث فلكن ثوريًا تراثيًا

سهيل

SS

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل الى تاريخ القرامطة

لاقى تاريخ القرامطة في العصر الحديث وما زال عناية كبيرة من قبل عدد كبير من الباحثين، وقد كثر عدد العرب بينهم في الآونة الأخيرة، ومع أن هذه العناية أمر يبعث على الارتياح ، إلاّ أنه من الملاحظ أن بعضاً من الانحراف قد ألم ببعض الكتابات ، خاصة العربية منها ، فقد أراد بعض الكتاب « عصرنة حركة القرامطة » بجعلها تشبه بعض حركات عصرنا الذي نعيشه ، يضاف الى هذا أن بعض الكتاب بحث في تاريخ القرامطة اعتمادا على المشهور المتيسر من المواد الإخبارية ، واقتصر على معالجة أحداث العراق والشام وأخيراً دولة الأحساء .

لا شك أن في هذا تقصير ، إذ ينبغي على الباحث الالتزام بالتعليل التاريخي حسب معطيات عصر الحادثة ، وليس حسب متطلبات العصر الحاضر ، فصرخة احتجاج ونداء بالمساواة في عصر كان فيه الانسان يباع ويشرى، تعدل ، إن لم تفق، كل أصوات ثوار الحركات الاجتماعية في أيامنا هذه ، ثم ان قواعد البحث التاريخي تقضي على الباحث التقصي في عمله والتفتيش عن مصادر مهملة ، مع تقديم رؤى جديدة تحليلية للنصوص المتوفرة ، ولنتذكر هنا أن خزائن الكتب العربية ما تزال تحوي عدداً غير معروف من كتب التاريخ ومصادر الماضي ، فيها ما يزيل الحجاب عن كثير من الأمور ، ويساعد على رسم صورة للماضي العربي أكثر وضوحاً واشراقاً ، ولا شك أن معرفة الماضي بشكل أصح ، يساعد كثيراً على فهم الحاضر ومن ثم التخطيط للمستقبل ، ونزيد على هذا أن

نشاط القرامطة لم يقتصر على الشام والعراق والأحساء ، بل انتشر في اليمن أيضاً •

إن دراسة تاريخ قرامطة اليمن ليس فيه اضافة فصل جديد للتاريخ العام لهذه الحركات فقط ، ولكنه يفتح باباً جديد في البحث عن أصل القرامطة ومنشأ دعوتهم ، ففي الماضي ذهب الباحثون الى جعل العراق مهد القرمطة ، ودار نشأتها ، وقد اعتادوا الربط بينها وبين الدعوة الاسماعيلية •••

لا شك أن البحث هنا يوجب علينا أولاً التعرف الى تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، أو بالحري تاريخ الدعوات الاسماعيلية، والبحث في تاريخ الاسماعيلية يحتاج بدوره الى البحث في قيام التشيع وتطور حركاته •

لقد واجه المسلمون أولى أزماتهم يوم وفاة النبي ﷺ ، فقد سبقت وفاته إصابته ﷺ بمرض ألزمه الفراش ، وجعل غالبية المسلمين يشعرون بالقلق ودنو المخاطر ، وبدأ الناس يتساءلون عن المستقبل ، ويطرحون مشكلة الحكم والزعامة بعد غياب النبي ﷺ ، ويبدو أن صدى هذه التساؤلات والأبحاث قد وصل الى النبي ﷺ ، وهنا تذهب بعض الروايات الى أن النبي ﷺ أراد ايجاد حل ، عن طريق كتابة وصية ، لكنه لم يتمكن من رغبته هذه ، وتذهب روايات أخرى الى أنه لم يفعل ذلك ولم يفكر به ، لأن الحل كان هناك • فهو ﷺ لم يكن حاكم الأمة الاسلامية ولا مشرعها بالمعنى المتعارف عليه للحكم ، بل كان رسول الله، والله هو الحاكم المشرع عند المسلمين ، والله اختار نبيه وأوحى اليه بجميع ما احتاج اليه العباد ، ولهذا لم يكن وارداً بالأصل لدى النبي ﷺ تسميه حاكم من بعده ، ثم إن منطق التاريخ وقواعد الاسلام هي ضد قيام أسرة حكم مقدسة ، على أساس ان في تسمية النبي ﷺ

لرجل يتسلم السلطة من بعــده تشريع لا تجوز مخالفته ، بل له صفة الديمومة ، وهو توريث لجزء من النبوة ، والانبياء لا يورثون والنبي محمد ﷺ هو آخر الأنبياء وخاتم الرسل ...

ولا بأس هنا من الاشارة الى الادعاءات التي تقول: ان النبي ﷺ لم يكتب وصية ولم يفكر بكتابة وصية يوم مرضه الأخير ، لأنه سبق له أن أوصى تلميحاً وحتى تصريحاً بالسلطة من بعده لابن عمه علي بن أبي طالب ، وجعله وصياً على المسلمين وراعياً لتنفيذ شريعة الله ، وأنه ﷺ خشية منه أن يقف البعض ضد علي ، فيحول دونه ودون تسلم سـدة الوصاية، قام قبل وفاته بتشكيل جيش كبير أوكل قيادته لاسامة بن زيد، وجند فيه كبار الصحابة جميعهم ، فيما عدا علي بن أبي طالب ، وأمر أن يتوجه هذا الجيش نحو الشام ، وبعودة هذا الجيش يكون النبي ﷺ قد توفي ، وعلي قد تسلم مقاليد الامور ، لكن هذا الجيش لم يتوجه مباشرة الـى حيث أمر ، بل ظـل يسوف ويدافع الوقت حتـى توفي النبي ﷺ ، فقـام بعض جنوده : « أبو بكر ـ عمر ـ أبو عبيدة » بالاستيلاء على السلطة مستغلين انشغال علي وآله في غسل النبي ﷺ وتجهيزه .

هذا ما تورده المصادر الشيعية ، خاصة الاسماعيلية منها ، ونجده عند القاضي النعمان في « الارجوزة المختارة » وعند غيره ، وتربطه هذه المصادر بأبحاث مستفيضة حول قضية الإمامة واستمراريتها دون انقطاع منذ الخليقة وحتى نهاية الحياة .

هذا الربط يساعدعلى نقد هذه الرواية، ويدعم الروايات التاريخية الاخرى عن مجريات الأمور ، لأن القول باستمرارية الإمامة صار بعدما

نشأت فكرة الإمامة وتطورت خلال مالا يقل عن قرنين من الزمن ، تم خلالهما الاطلاع على العديد من الديانات والفلسفات فاستعير الكثير الكثير منها ٠

كل ما في الأمر أنه عندما توفي النبي ﷺ ، سارع أهل المدينة من الانصار ــ من الأوس والخزرج ــ الى الاجتماع خارج المدينة في مكان عُرف باسم سقيفة بني ساعدة ، وقرروا اختيار سعد بن عبادة أميراً ، وما أن علم أبو بكر بخبر وفاة النبي ﷺ وتأكد منه وباجتماع الأنصار حتى أسرع بالتوجه نحو سقيفة بني ساعدة مصطحباً معه صاحبيه عمر وأبي عبيدة عامر بن الجراح ٠

وفي السقيفة استطاع أبو بكر اقناع الأنصار ، وجعل اجتماعهم يرفضّ دون تحقيق ما تمناه البعض، بل على العكس من ذلك تم في اجتماع السقيفة كما هو معلوم اختيار أبي بكر لزعامة الأمة ، وساعد على ترسيخ هذا الاختيار تلاحق الأحداث وتطور الأمور ٠

فقد كان أبو بكر منذ اسلامه « ثاني اثنين » في الأمة الاسلامية ، واليه أوكل النبي ﷺ إمامة الصلوات أثناء مرضه ، ثم كان قرشياً له مكانته السامية ، ولديه كل المؤهلات للقيام بواجبات المسؤولية التي ألقيت على عاتقه ٠

ودون التوسع في هذا المجال ، محيلاً القارىء الكريم على كتابي «تاريخ العرب والاسلام» و«مائة أوائل من تراثنا» ٠ يكفي أن نذكر أنفسنا بأن تجهيز الميت لا يحتاج الى أيام ثلاث ، فمن المعلوم أن وفاة النبي ﷺ حدثت يوم الاثنين وتم دفنه يوم الاربعاء ، كل مافي الأمر أنه عندما توفي ﷺ كان الذكور من أسرته ــ بني هاشم ــ قليلو العدد ، قوامهم

SS

علي وعمه العباس ، ولم يكن هناك وفاق بين الاثنين، وكان علي ما يزال شاباً في مقتبل العمر بدون تجربة سياسية ، وبدون شعبية كافية وأعوان لهم مكانتهم بين المهاجرين وسواهم .

لقد تمت بيعة الصديق ، فأرسى قواعد مؤسسة الخلافة ، وقضى على الردة وشرع في أعمال الفتوحات الكبرى ، وبعد عامين توفي ، فخلفه من بعده ــ بناء على وصيته ــ عمر بن الخطاب ، الذي كان منذ يوم اسلامه ثالث ثلاثة في سلم الزعامة لدى المسلمين[1] ، وقام الفاروق بأعباء الخلافة خير قيام ، وفي عصره تمت انجازات رائعة في جميع المجالات ، وكانت علاقته بعلي بن أبي طالب ممتازة ، لعل أفضل شاهد عليها زواجه من إحدى بنات علي من فاطمة الزهراء .

لقد كانت مشكلة الحكم واختيار الخلفاء من مشاغل عمر ابن الخطاب الرئيسية ، وقد سعى لوضع خطة دائمة يتم على أساسها اختيار الخلفاء ، فقد رأى أن الخلافة حق محصور في قريش ، ولا يجوز لغير قريش ، ويبدو أنه أيضاً رأى أن عشرة بيوت من قريش هي التي يجوز اختيار الخلفاء منها ، ومثّل هذه البيوت أبرز الصحابة الذين عُرفوا بالعشرة المبشرين بالجنة ، ثم إنه رأى أن الخلافة لا يجوز تناوبها في البيت القرشي الواحد ، فاذا مات الخليفة لا يجوز أن يكون الجديد من بيته حتى وإن كان المرشح هو الأفضل ، وهنا يقتضي الحال اختيار المفضول مع وجود الأفضل .

ويمكن أن نرى ملامح هذه الخطة وأسسها العامة في وصيته يوم

(١) أورد ابن عدي في كتابه الكامل في الضعفاء ــ نسخة الظاهرية ص٢٩٤ ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب : « أنت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الامة » .

طعن ، وفي قيام ما يعرف باسم « شورى الستة » ، فبعدما توفي عمر اجتمع الباقون من الصحابة المبشرين بالجنة ، وكان أبرز المرشحين بينهم كل من علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ، وبعد جدل طويل تم اختيار عثمان بن عفان لمنصب الخلافة .

وهكذا أُبعد علي بن أبي طالب مجدداً عن زعامة الأمة ، والأمر المثير للانتباه هنا أن جل قوى المهاجرين والأنصار من أهل المدينة أيدت اختيار عثمان ، لكن أصوات عدد من الرجال تجمعوا منذ أيام النبي ﷺ حول علي جاهرت الآن ولأول مرة في تاريخ الاسلام بمعارضة اختيار عثمان وابعاد علي ، مما يوحي أن هذا التجمع أخذ يتحول الى شكل حزب للمعارضة ، وفي أيام عثمان ازداد عدد أفراد هذا الحزب وعظم دورهم المعارض .

وتسلم عثمان منصب الخلافة ، وكان آنئذ شيخاً ، فيه طيبة نفس وكرم وثبات ، وحب وأثرة لآله من بني أمية ، ويمكن أن نقسم عهده إلى قسمين : الأول كان حكمه فيه عبارة عن استمرار طبيعي لعصر عمر بن الخطاب ، والثاني : عصره هو، وهذا العصر كان من حيث الواقع نهاية للعصر الراشدي ، وبداية لعودة بني أمية مع الأرستقراطية إلى زعامة العرب والدولة الجديدة ، كل ذلك رغم الهزيمة التي حلت بهذه الأرستقراطية يوم فتح مكة وانتصار الاسلام ومبادئه ، وعودة الأرستقراطية الأموية بعد هزيمتها كانت نكسة كبرى ، وضربة عظمى وجهت لثورة الاسلام ، ومن المدهش حقاً أن الأمويين في مستقبل الأيام عندما فقدوا الحكم ، فقدوه لصالح العباسيين ، الذين كان جدهم ينتمي إلى الأرستقراطية المالية لمكة فقد أسلم مع أبي سفيان في يوم واحد ، ومناسبة واحدة .

بدأ القسم الثاني من عصر عثمان حين عزل ولاة عمر وعماله ، وعين بدلاً منهم جماعة من أقربائه وذويه من بني أمية ، وتسلط الأمويون بشكل صريح على مقاليد الأمور في الدولة المترامية الأطراف ، وقاموا تبعاً لذلك بتجاوزات كبيرة ، كما انطلق الصحابة كباراً وصغاراً نحو البلاد المفتوحة ، وبدأت الفتوحات تعطي ثمارها وتكونت الثروات عن طريق الاستثمارات التجارية والزراعية وغير ذلك .

وأمام هذه الأحوال المستجدة ارتفعت أصوات الاستنكار والمعارضة في كل مكان ، إنما بشكل سلمي ناقد ، وحدث أن قام عثمان بجمع ولاية الشام لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم قام بعد فترة بإلحاق ولاية الجزيرة به ، فأدى هذا الالحاق إلى خلل مريع ، حيث زالت أداة الفصل والوصل والتوازن بين العراق والشام ، وحرم أهل الكوفة من استقلالهم ومواردهم ومجال نشاطهم .

لا ريب أن هذا الكلام يحتاج إلى شرح وتعليل ، ونحن نرى أن أصل القضية يمكن أن يظهر من استعراض حوادث تاريخ ما قبل الاسلام ، ثم فيما جرى إثر الفتوحات الكبرى في الشام والعراق . فمن المعلوم أن أرض الجزيرة كانت عبر التاريخ مسرحاً للصراع بين الدول والامبراطوريات التي قامت شرقي الفرات ، وبين دول الشام أو الامبراطوريات التي تحكمت بهذه البلاد ، فأرض الجزيرة شهدت حروب الاسكندر المقدوني ضد الفرس والأيام بين الغساسنة والمناذرة، وانتصار هرقل سنة ٦٢٧م ، على الفرس وغير ذلك الكثير من المعارك ......

وكان العرب الفاتحون للشام والعراق قد عسكروا إثر كل من

معركتي اليرموك والقادسية في كل من الجابية في الشام ــ على بعد ٢ كم من بلدة نوى في حوران ــ وفي البصرة المؤسسة حديثاً في العراق ، وإثر مؤتمر الجابية الذي حضره عمر بن الخطاب ــ سنة ١٧هـ/٦٣٨م ــ قام هـذا الخليفة العبقري بادخال تعديلات أساسية علـى استراتيجية الفتوح والادارة لدى العرب ، فألغى جيش شرحبيل بن حسنة الشامي ، وأذن بتأسيس معسكر جديد في العراق هو الكوفة ، وأوجد اقليـم الجزيرة ليكون واصلاً فاصلاً بين الشام والعراق ، وألحق هذا الاقليم بالكوفة ، وهكذا عهد إلى جند البصرة بشؤون فتح خراسان والمشرق ، وإلى جند الجابية ببلاد الامبراطورية البيزنطية ، وإلى جند الكوفة بالأقاليم الواقعة خلف أراضي الجزيرة بدءاً من أرمينية الصغرى أو الدنيا ، كما عهد إلى جيش عمرو بن العاص بعـد انجاز فتح القدس بالتوجه الى مصر حيث سيقوم بتأسيس معسكر الفسطاط بعـد فتحه لأرض الكنانة .

إذن بدأت الكوفة تشهد قيام معارضة فوضوية فردية ثم جماعية منظمة لحكم عثمان ، وجاءت المعارضة في البداية على شكل نقد لسلطان دولة عثمان ثم ما لبثت أن ارتدت دثار العنف ، وأثناء هـذا كله برز علي بن أبي طالب على رأس جماعة المسلمين في المدينة وتصدر شخصياتهم ، وصار الناس ــ وخاصة رجال المعارضة ــ يفرون إليه ويلجأون له عند احتدام الأزمات ، ورأى فيـه بعض جند الأمصار وخاصة من أهـل الكوفة ، الرجل الذي على يديه يمكن تجاوز الأزمات ، وبقيادته تمكن العودة إلى الصراط النبوي المستقيم .

وتحولت المعارضة في الكوفة من حركة سلمية إلى عصيان مسلح تطور إلى ثورة منظمة ذات مبادىء وأهداف ، وذلك ضمن مسلسل من

الأحداث ليس هذا بمكان عرضها ، ويكفي القول بأن هـذه الثورة فتشت عن زعامة قرشية لقيادتها، فوجدت ضالتها في شخصية علي بن أبي طالب، ولهذا فإنه بعدما قتل عثمان على يد ثوار جاء غالبيتهم من الكوفة، تمّ اختيار علي بن أبي طالب خليفة جديداً •

لقد كانت التركة التي ورثها علي ثقيلة جداً ، فقد وجد نفسه أمام عدد لا يحصى من المشاكل ، وعلى رأس جماعة من الثوار ، جاؤوا من بلد لم يزره قط من قبل ، وقادوا ثورة لم يخطط لها أبداً ، ولم يكن من المشاركين في تفجيرها ووضع مبادئها بشكل مباشر •

وحين جاء اختيار علي للخلافة لاحظ أن غالبية أهل المدينة مع أكثر أهل الحجاز ليسوا معه ، بل هواهم مع عائشة أم المؤمنين ، والزبير ابن العوام ، وطلحة بن عبيد الله • وعندما توجهت عائشة نحو البصرة ، ترك هو الحجاز وذهب الى الكوفة •

عندما حدث هذا كله ، كان واقع الحال في الدولة العربية كما أشرنا سابقاً يبدو في أن جند الفتوحات في آسيـة كانوا متمركزين في ثلاث معسكرات رئيسية هي : الكوفة والبصرة والجابية ـ دمشق ـ ، وكان كل معسكر من هـذه المعسكرات لديه مطامع للاستيلاء علـى مقاليد السلطة في العالم الاسلامي ، أو على الأقل الانفراد بالاراضي التابعة كل لمصره على حدة •

كان معسكر الشام في الجابية أكثر المعسكرات تماسكاً وأقلهـا مشاكلاً ، وكان على رأسه معاوية بن أبي سفيان ، الذي كان أبوه من سادات الجاهلية وهو الآن يطمح أن يكون سيد أهل الاسلام، ومعروف أن معـاوية هو المؤسس الفعلي لمعسكر الشام وسيـده منذ بدايـة الفتوحات •

وكان معسكر الكوفة أقل المعسكرات الثلاث تماسكاً ، فقد كان في طور النشوء وبناء القواعد، لم يكن في الكوفة مجتمع واحد متماسك بل كان هناك فئات من العرب الذين هاجروا قديماً مع مهاجرين جدد ، والى جانب العرب كانت هناك أيضاً جماعات من سكان العراق المحليين ، وأعداد كبيرة من أهل الاقاليم المفتوحة من ايران وخراسان ، وعليه يمكن أن نشبه مجتمع الكوفة ببركان دائم الجيشان يقذف حممه المحرقة في كل اتجاه .

وكان مجتمع البصرة يشبه مجتمع الكوفة إلى حد ما ، لكن استقراره وتماسكه كان أفضل ، وحجمه كان أدنى ، وبالتالي كانت مشاكله أقل .

وبعدما وصل علي إلى الكوفة جرت محاولات للحوار بين معسكره ومعسكر عائشة ، باءت كلها بالفشل ، وآلت الأمور إلى الصدام في معركة الجمل ، حيث انتصر علي ، وأسرت عائشة ، وقتل كل من الزبير وطلحة .

لقد دخل معسكر الكوفة معركة الجمل شبه موحد ، وعندما خرج منها منتصراً صار سيداً للسياسة في غالبية بقاع الاسلام ، وهنا كانت بداية مشاكله ، فقد كان سهلاً على هذا المعسكر أن يتدخل في السياسة، لكن هذا هيأ السبل للسياسة أن تدخل اليه ، وكان لديه إمكانات التمزق ، لذلك بدأت السياسة تفتت قواه وتشلها عن الحركة .

وكما هو معلوم فإن الاسلام قام على فكرة المزج بين المفاهيم الدينية والدنيوية وحدث في الجمل أن أوجد علي بن أبي طالب شرعة قتال أهل القبلة وحظر بموجبها على أتباعه أخذ الأسرى والغنائم ،

واعتبار المهزومين كفاراً أو مرتدين ، وبعد العودة من الجمل احتج على أوامره هذه بعض الجند ، قائلين : كيف أبحت لنا الدماء وحظرت علينا الأموال ؟ وهكذا تفجر بين أهل الكوفة صراع فكري مخيف أخذ يطرح مشاكل الكفر والإيمان ، ومع الأيام نما هذا الصراع نمواً خطيراً للغاية ، وأسهمت فيه عناصر كثيرة متعددة ، واختلط مع الصراع الذي كان الاسلام يخوضه ضد العقائد والديانات التي هزمت أثناء الفتوحات ، وأخذ المتصارعون يقبلون على استيراد الأفكار المساعدة على إثارة الجدل والنقاش ، وكان هذا كله بداية الانقسامات الخطيرة التي ألمت بجماعة المسلمين .

ودون الدخول في كثير من التفاصيل ، وخاصة القضايا اللاهوتية منها ، نختصر القول بأن علي تمكن من قيادة أعوانه نحو الشام بكل صعوبة ، وهؤلاء عندما عسكروا في صفين أقبلوا على القتال بنفوس مدبرة ، لهذا انتهى أمر صفين دون نتيجة عسكرية حاسمة ، وعاد علي أدراجه نحو العراق ، وقد ظهرت آثار الانقسامات الخطيرة في جيشه وتجلت بخروج الخوارج .

ولم يطل الحال بعلي حيث تم اغتياله ، وأخفق من بعده ابنه الحسن في الاحتفاظ بالسلطة ، فتنازل لمعاوية بن أبي سفيان ، الذي صار الآن سيد العالم الاسلامي ، ومؤسس أول أسرة ملكية في تاريخ الاسلام ، وكان لذلك ردات فعل عنيفة للغاية ، ومن يقرأتاريخ الحكم الأموي يشاهد أن هذا الحكم لاقى صنوفاً من المعارضة الكبيرة الدائمة .

لقد كان العراق المتضرر الأكبر من استيلاء الأمويين على السلطة ، ولهذا تجمعت فيه غالبية عناصر المعارضة ، وكان معظم هذه الغالبية من أهل الكوفة عاصمة علي بن أبي طالب ، ومنذ البداية اختار أهل الكوفة

لزعامتهم الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومع الأيام انتظمت أمور المعارضة ، وعبر عدد من الحوادث والأزمات أخذت تتحول من حركات سياسية ترى أحقية أسرة محددة في السلطة إلى حركات دينية سياسية ٠

لقد كان لعناصر المعارضة هذه عدة جولات مع السلطان الأموي ، كان أهمها فاجعة كربلاء ، التي قدمت حصاداً لم ينقطع ، وكان أبرز ثمرات هذا الحصاد حصر الزعامة السياسية لمعارضة الكوفة في آل علي بن أبي طالب ، وأخذ هذه المعارضة اسم الشيعة ، ففي العربية شيعة فلان : أصحابه ومؤيدوه ، وشيعة علي : حزب علي ، وهي عبارة صارت فيما بعد مقتصرة على لفظة « شيعة » فقط ، وكان من ثمرات هذا الحصاد أيضاً ثورة التوابين التي نشهد فيها بداية التحول في حزب الشيعة من حزب سياسي محض الى حركة دينية ، وبعد التوابين خطا المختار بن أبي عبيد الثقفي في هذا المجال خطوات واسعة للغاية ، كما أن حركته سجلت بداية الانشقاقات في صفوف الشيعة وتحول حزبهم الى مجموعة من الفرق ، ليست ممزقة الصفوف فقط بل متصارعة أيضاً ٠

كما كان من حصاد كربلاء أيضاً أن زعامة غالبية الشيعة أخذت تنحصر في أبناء السبط الثاني للنبي ﷺ الحسين بن علي بن أبي طالب ٠

وكان معاوية بن أبي سفيان عندما استولى على السلطة في الدولة الاسلامية استولى معها على لقب أمير المؤمنين ، وحيث أنه حاز السلطة بقوة السلاح ، فقد قامت السياسة الأموية على قاعدة شرعية السلاح ٠ والقول إن هذا كله ما كان ليتم إلا بقضاء الله وقدره ، وهو ما سيعرف بعد باسم الجبرية ٠

ولقد حدثت تجاوزات كبيرة في العصر الأموي واغتصبت حقوق

وانعدمت قواعد المساواة بين جماعات المسلمين ، وأخذت عناصر المعارضة تنادي بالعدل ناقضة لأفكار الجبرية ، وسيعرف هؤلاء فيما بعد باسم القدرية أو أهل العدل ، وسنراهم مع آثارهم بشكل واضح في فرق الشيعة والمعتزلة .

وقالت فرق المعارضة بأن حق آل علي بالسلطة قائم على وصية النبي ﷺ لأبيهم وعلى شرعة الميراث ، وأن الخلفاء من بني أمية حين استولوا على السلطة استولوا على الجانب الدنيوي منها فقط ، ولم يستطيعوا انتزاع الجانب الديني من الميراث النبوي ، ودعي هذا الجزء من الميراث باسم الإمامة .

يقول الله تعالى في القرآن « كنتم خير أمة أخرجت للناس » أي كنتم خير أصحاب دين أخرج للناس لأن الأمة هم أصحاب دين ، ولهذا أخذ الشيعة يطلقون على زعيمهم لقب الإمام ، هذا من جهة ومن جهة ثانية حين تتحدث الاخبار عن سيرة علي بن أبي طالب ، تجعل من صفاته الاساسية ومزاياه التي تميز بها الشجاعة والعلم ، فهو ربيب بيت النبوة نشأ مسلماً ونهل من علم النبوة ما لم ينهله سواه ، حتى قيل بأن النبي ﷺ قد باح له بعلوم لم يطلع عليها سواه .

ومع الأيام غدت الإمامة ، ذات العلم الموروث ، محور العمل الشيعي ، وأغنيت فكرتها ، وزودت بكثير من المعاني والصفات بفضل التطور الثقافي والحضاري والسياسي الذي ألم بالمجتمع الاسلامي ، واستعير لها الكثير من المعاني والصفات والتجارب من تراث الديانات السماوية وغير السماوية ومن الافلاطونية المحدثة والغنوصية وحكمة الشرق الاقصى .

SS

والمعروف أن حركة التشيع بدأت حركة عربيـة اسلامية محضة ، لكن ما لبث أن دخل إليها غـير العرب ، خاصـة من سكان أراضـي الامبراطورية الساسانية المنهارة ، ولقد جاء هذا الدخول في كثير من المناسبات نوعاً من أنواع المعارضة الأعجمية للعروبة والاسلام ، وعانت فئات في حركة التشيع في ذات الوقت من تسرب الكثير من الأفكار والعقائد الغريبة إليها ، مما أدى بها إلى التمزق والانقسام وأدى هذا إلى معاناة هذه الفئات من التنكيل الأموي والقمع الدموي ، كما أدى إلى مزيد من الانقسامات داخل الحزب الشيعي وظهور فرق جديدة ، وتورطت بعض الفرق الجديدة هـذه في ثورات آلت إلى الاخفاق والدمـار ، وسبب هذا استيراد المزيد من الأفكار المتطرفة والغريبة ، ولعـل أهم هذه الثورات كانت ثـورة الامام زيد بن علي في عصر هشام بن عبد الملـك .

وللإنصاف العلمي فإننا نلاحظ أن أعمال الملاحقة أو التنكيل الأموية لم توجه ضد البيت الهاشمي بالأساس بل ضد حركات متطرفة أظهرت عداءاً واضحاً أو باطنياً للعروبة والاسلام ، صحيح أن الحكم الأموي قام بالأصل على القاعدة العربية والتعصب لها ، إلا أنـه من الملاحظ أن الأمويين منذ العهد المرواني وضعوا الخطط لتعريب أمم دولتهم وشرعوا في تنفيذها ، ففي أيام عبد الملك بن مروان تمت أعمال تعريب الادارة والاقتصاد ، وأخذت علامات الاندماج بين العرب الفاتحين وسـكان خراسان تظهر ، وأقبل الخراسانيون على الدخول في الاسلام ، كما أقبل عليه سواهم في مناطق أخرى من أراضي الدولة الشاسعة .

وكان العرب حين قضوا على الامبراطورية الساسانية وأركان

أسرتها الحاكمة قد أبقوا علـى جماعات عرفت باسم الدهاقين لتتولى ادارة القرى والمساعدة على جمع الخراج ، ولما رأى هؤلاء الدهاقين الاقبال الشديد على الدخول في الاسلام وبداية نجاح حركة التعريب أغاظهم ذلك ، واشتد هذا الغيظ في فترة خلافة عمر بن عبد العزيز ، الذي خطا بسياسته الحكيمة خطوات واسعة في سبيل انشاء أمة اسلامية جديدة لسانها عربي وعقيدتها محمدية ، ورغم أن فترة حكم عمر بن عبد العزيز كانت قصيرة ورغم ردة الأسرة الأموية عنها وعملها ضدها إلاّ أننا نلاحظ أن جميع الثورات التي تفجرت بعد عصر عمر نادت بشعاراته في المساواة ودمج أفراد الأمة في كيان واحد •

ويرى بعض الباحثين أن هذا كله قد بعث الذعر في نفوس جماعات من الدهاقين ، فعملوا على محاربة ذلك كله عن طريق التآمر لاسقاط الحكم الأموي ، وهكذا قام تنظيم الدهاقين الذي اختار لواجهته الأسرة العباسية ، ومن هنا نفهم سبب تواجد قوى معادية للاسلام بين صفوف الدعوة العباسية ــ مثل خداش وسواه ــ ونفهم مغزى تعاليم ابراهيم الامام التي قيل بأنه بعث بها إلى أبي مسلم الخراساني بعدم الابقـاء على العرب في خراسان •

ونجحت الثورة العباسية ، وأراد قـادتها الخراسانيون تحقيق أهدافهم ، فتصدى لهم الخلفاء الأوائل من بني العباس خاصة المنصور حيث دبر قتل أبي سلمة الخلال ، وبطش بأبي مسلم الخراساني ، وفصل الدعوة العباسية عن الحركـة الكيسانية ، وأعلن الحرب على الزندقة والشعوبية ، ووضع سياسة دينية متوازنة • وعلى الرغم من ذلك فقد نجـم عن انتصار العباسيين فيما نجم : اخفاق مشاريع انشـاء الأمة

ss

الواحدة ، وظهر إلى الوجود معالم انشطار العالم الاسلامي إلى وطنين : واحد عربي وآخر أعجمي ، وظهرت حركة الزندقة وحركات لا إسلامية أخرى كما نشطت حركة الشعوبية وسواها .

وقد لاحق العباسيون هذه الحركات بلا هوادة وسعوا للقضاء عليها ، صحيح أن حركة الدهاقين حققت بعض النجاح إنما كان نصيبها في الاخفاق أعظم ، فقد تعمقت جذور الاسلام في ايـران وخراسان ، وازدادت عقيدة الاسلام قوة ومنعة ، لذلك تابعوا تآمرهم وأرادوا توريط قوى اسلامية كثيرة في مشاريعهم ....

وتذكر الأخبار بأن أبا سلمة الخلال اتصل قبل اعلانه عن قيـام الخلافة العباسية بعدد من زعماء البيت العلوي ، فرفضوه وكان على رأس رافضيه الامام جعفر الصادق .

ذلك أنه من الملاحظ أنه في الوقت الذي تورطت فيه بعض فرق الشيعة أيام الأمويين وبعدهم بعدد من الثورات المسلحة ، واستوردت الجديد من العقائد الغريبة ، حافظت بعض الجماعات على الهدوء ولم تتورط ــ بعد كربلاء ــ في أي حركة سياسية حربية ، وبذلك حمت انفسها وعقيدتها وحالت دون تسرب أية عقائد غريبة جديدة إليها وظلت هكذا صافية الاسلام ، محمدية المنهج ، علوية النسب ، مثالية السلوك، وعرف خط هذه الجماعات باسم الخط الإمامي .وقد قاده سلسلة من الأئمة الكبار من أبناء الحسين بن علي بن أبي طالب ، وظل هذا الخط محافظاً على اعتداله ووحدته حتى أواخر حياة الإمام السادس منه . حيث حدث انشقاق بينصفوفه شطره الى قسمين : قسم تابع خطه حتى الإمام الثاني عشر ، وعرف باسم الاثنا عشرية أو الإمامية ، وعرف الخط

الثاني باسم السبعية أو الاسماعيلية ، وأدعى كل طرف من هذين الطرفين بأن فقهه وعقائده وعلومه استقاه من الإمام السادس •

والإمام السادس هو جعفر بن محمد الذي عرف باسم الصادق ، والأئمة قبله هم : علي بن أبي طالب • ثم الحسن بن علي • ثم الحسين ابن علي • ثم علي بن الحسين ــ زين العابدين ــ ثم محمد بن علي الذي عرف بالباقر •

ونظراً للمكانة السامية للامام جعفر الصادق ،ولانتساب حركات الشيعة المتطرفة والمعتدلة إليه ، ولنسبتها جل أفكارها إليه ، نحتاج إلى التعرف إليه تاريخياً وعلمياً في نفس الوقت •

ولد الإمام جعفر في حوالي سنة ثمانين للهجرة (٦٩٩ م) ونشأ في المدينة حيث آثار جده المصطفى ﷺ ، وحيث كبار علماء الاسلام مع تراث آل البيت ، لذلك نال حظاً كبيراً من العلوم الاسلامية وحظي بمكانة اجتماعية سامية ، وقيمة سياسية عالية ، وعندما بلغ مبلغ الرجال صار أبرز رجالات عصره ، وبعد وفاة أبيه اعتبره الشيعة الإمامية إمامهم ، وكان رجالاتهم ودعاتهم يرجعون اليــه بقضاياهم وبشؤونهم الخاصة والعامة كافة ، كما ان الغلاة منهم أخذوا يلهجون باسمه ، رافعين إياه الى درجات عليا ، لذلك تصدى الإمام الصادق لدعوات الغلو ، وحارب أفكارها ، وقام بتعرية رجالاتها والبراءة منهم ، لكن جهوده كلها لم تحل دون انشطار صف الشيعة الى شطرين : معتدل محافظ ،ومتطرف مجدد ، وتزعم ابنه اسماعيل الجناح المتطرف ، بينما تزعم ابنه موسى الكاظم الجناح الأول •

ولقد كان لزوال الخلافة الأموية ووصول العباسيين الى السلطة

واستئثارهم بها دون أولاد عمومتهم من آل علي أكبر الأثر في قيام هذا الانشطار ، والمهم معرفته هنا أنــه خلال الأحداث التي قامت أثنــاء الثــورة العباسية حاول أكثر من طرف توريط الصادق في النشاطات فأخفق ، ، ذلك أن الصادق صان نفسه وحمى اتباعه من التورط في أي عمل. وسبق أن أشرنا الى أنه بعدما استولى جيش الثورة العباسية على الكوفة ، قــام أبو سلمة الخلال ــ وزير آل محمد ــ بعرض منصب الخلافة على الإمام الصادق، وذلك قبل اعلان أبي العباس السفاح خليفة جديداً ، لكن الصادق برجاحة عقله ورزانته ، وبعمق ادراكه ، ضبط نفسه ، وتعالى عن مغريات عرض أبي سلمة ، وهكذا قام بالرفض .

وبعدما تسلم المنصور الخلافة العباسية بعد أخيه السفاح خشي من نشاط الشيعة ، وخاصة بعد ثورة النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، لذلك أعاد تنظيم الدعوة العباسية عقائدياً وسياسياً ببتر كل وشائجها بالحركات الشيعية وأخذ بملاحقة زعماء الشيعة ، وركز جهوده ضد الصادق ، فأمر عيونه برصده والعمل على إلصاق تهمة ما به . لكن الصادق بعلمه ، وكرمه ، وصدقه ،وحلمه ، وشجاعته ورباطة جأشه ، ونفاذ بصيرته ، وفراسته ، وأخيراً ــ لكن ليس آخراً ــ بهيبته التي تجلى فيها نور النبوة ، ثم بكثرة عبادته ، وصمته عن لغو القول ، وزهده ، وجلده أمام الحوادث ، استطاع أن يحبط مشاريع المنصور ، وهكذا حافظ على مكانته وصان نفسه مع أتباعه .

ولعل من أهل المواجهات بين المنصور العباسي والإمام الصادق ما رواه قاضي مكة الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات عن الفضل بن الربيع عن أبيه الربيع قال : قدم المنصور المدينة ، فأتاه قوم ، فوشوا

بجعفر بن محمد وقالوا : إنه لا يرى الصلاة خلفك ، وينتقصك ، ولا يرى التسليم عليك ، فقال لهم : وكيف أقف على صدق ما تقولون ؟ قالوا : تمضي ثلاث ليال فلا يصير إليك مسلماً ، قال : ان كان ، ففي ذلك لدليلا ، فلما كان في اليوم الرابع قال : يا ربيع إئتني بجعفر بن محمد ، فقتلني الله إن لم أقتله .

قال الربيع : فأخذني ما قدم وما حدث ، فدافعت باحضاره يومي ذلك ، فلما كان من غد قال : يا ربيع أمرتك باحضار جعفر بن محمد ، فوريت عن ذلك ، ائتني به ، فقتلني الله إن لم أقتله ، وقتلني الله ان لم أبدأ بك أنت إن لم تأتني به .

قال الربيع : فمضيت الى أبي عبد الله ، فوافيته يصلي الى جنب اسطوانة التوبة (في المسجد النبوي) فقلت : يا أبا عبد الله ، أجب أمير المؤمنين للتي لا شوى لها ، فأوجز في صلاته وتشهد وسلم ، وأخذ نعله ومضى معي ، وجعل يهمس بشيء أفهم بعضه وبعضاً لم أفهم ، فلما أدخلته علي أبي جعفر سلم عليه بالخلافة ، فلم يرد عليه السلام ، وقال : يا مرائي ، يا مارق ، منتك نفسك مكاني فوريت علي ، ولم تر الصلاة خلفي ، والتسليم علي ؟!..

فلما فرغ من كلامه رفع جعفر رأسه اليه وقال : يا أمير المؤمنين ان داود النبي ـ ﷺ ـ أعطي فشكر ، وان أيوب أبتلي فصبر ، وان يوسف ظلم فغفر ، وهؤلاء ـ صلوات الله عليهم ـ انبياؤه وصفوته من خلقه ، وأمير المؤمنين من أهل بيت النبوة ، واليهم يؤول نسبه ، وأحق من أخذ بآداب الانبياء من جعل الله له مثل حظك . يا أمير المؤمنين يقول الله جل ثناؤه : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن

تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (الحجرات : ٦) فتثبت يا أمير المؤمنين يصح لك اليقين •

قال : فسرى عن أبي جعفر ، وزال الغضب عنه ، وقال أنا أشهد أنك صادق وأخذ بيده فرفعه وقال : أنت أخي وابن عمي • وأجلسه معه على السرير ، وقال : سلني حاجتك صغيرها وكبيرها •

قال : يا أمير المؤمنين قد أذهلني ما كان من لقائك وكلامك عن حاجاتي ، ولكني أفكر وأجمع حوائجي إن شاء الله •

قال الربيع : فلما خرج قلت له : يا أبا عبد الله ، سمعتك همست بكلامأحب أن أعرفه ، قال : نعم ، ان جدي علياً بن الحسين ــ عليهم السلام ــ يقول : من خاف من سلطان ظلامة أو تغطرساً فليقل : اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكفني بركنك الذي لا يرام ، وأغفر بقدرتك علي ، فلا أهلكن وأنت رجائي ، فكم من نعمة قد أنعمت الي ّ قل ّ عندها شكري ، وكم من بلية ابتليتني بها قل ّ لك عندها صبري ، فيامن قل عند نعمته شكري، فلم يحرمني ، ويا من قل ّ عند نقمته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني ، ويا ذا النعماء التي لا تحصى ، ويا ذا الايادي التي لا تنقضي ، بك استدفع مكروه ما أنا فيه ، وأعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين •

قال الربيع ، فكتبت الدعاء ، ولم يلتق مع أمير المؤمنين المنصور ، ولا سأله حاجة حتى فارق الدنيا •

لقد روى هذه الحادثة مع الزبير بن بكار أكثر من مصدر وزاد بعضها زيادات مفيدة منها : أن أحد الوشاة من عيون المنصور رفع إليه أن الصادق تسلم أموالا من أتباعه ، وانه يريد الثورة ، فأرسل المنصور

بطلبه ، ووجه اليه التهمة فأنكرها ، فقال له المنصور لدي من الشهود من رآك تتسلم الأموال وتعد العدة للخروج عليّ ، وأصر الصادق على انكاره للتهمة وسأل المنصور أن يجمعه بالرجل الذي وشى به ، فأمر المنصور بالرجل ، فلما حضر سأله : « ألست القائل لي عن هذا كذا وكذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أفسمعت ذلك منه ، أو بلغك عنه ؟ قال : بل سمعته بأذني قال : فتحلف على ذلك ؟ قال : نعم ، قال : قل : والله الطالب الغالب ، فقال الإمام جعفر بن محمد : إن رأيت ان تجعل استحلافه اليّ فاستحلفه بما أرى أن استحلفه به فافعل ؟ قال : ذلك اليك ، فاستحلفه بما شئت ..

وأقبل الصادق على الرجل فقال : تحلف بما استحلفك به ؟ قال : نعم . قال : اتق الله في نفسك ولا تحلف كاذباً . واستقل أمير المؤمنين ، وقل الحق ، قال : ما قلت إلا ما سمعته منك ولا أرجع عنه ، قال الصادق : اللهم أنت الشاهد عليه والعالم بما يقوله ، ثم أقبل عليه ، فقال له : قل — إن كنت حالفاً — : برئت من حول الله وقوته وأسلمت الى حولي وقوتي ، ان لم يكن جعفر بن محمد قال : كذا وكذا ، فقال الرجل ، فما برح مكانه حتى صرع ومات » .

وصعق المنصور أمام هذا المشهد وأخذ يعتذر الى الإمام الصادق ، ومنذ ذلك التاريخ أقلع عن سماع أية وشاية ضده ، كما توقف عن رصد حركاته . وتذكر المصادر أنه عندما توفي الإمام الصادق عام ثمانية وأربعين ومائة للهجرة (٧٦٥ م) بلغ خبر الوفاة الى المنصور حزن عليه وبكاه ، ووصفه بكل خير .

لقد ذكر علماء الاسلام الإمام الصادق ، وأثنوا عليه ، وقالوا بأنه « كان أعلم أهل زمانه ، وعنه تفرع العلم بالحلال والحرام ، في الخاص

والعام » وقد تتلمذ عليه عدد كبير من الرجال ونهل من علمه أئمة كبار مثل أبي حنيفة النعمان بن ثابت امام أهل العراق ، ومالك بن أنس امام أهل الحجاز ، وسفيان بن عيينة ، وسفيان الثوري ، ويحيى بن صالح ، وأيوب السجستاني ، وعمرو بن دينار ، ومحمد بن اسحق صاحب السير والمغازي ، مع عدد آخر كبير .

ولقد أسهب تلامذته في الحديث عنه وعن مجالس علمه فهذا الإمام مالك بن أنس يقول : لقد كنت آتي جعفر بن محمد ، وكان كثير المزاح والتبسم ، فاذا ذكر عنده النبي ﷺ أخضر واصفر ، ولقد اختلفت اليه زمانا ، فما كنت أراه إلا على احدى ثلاث خصال : إما مصلياً ، وإما يقرأ القرآن ، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله ﷺ الا على الطهارة ، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله » .

هذا وإن ما حدث بين الإمام الصادق والإمام أبي حنيفة النعمان مثير وفيه دليل على عمق تفكير الإمام الصادق ومنهجه في العمل مع مدى تمسكه بسنن ونهج وآداب جده ﷺ ، فقد دخل أبو حنيفة يوماً عليه ليسمع منه ، ثم خرجا معاً ، فقام الإمام الصادق يمشي يتوكأ على عصا « فقال له أبو حنيفة: ما بلغ لك من السن ما تحتاج معه الى العصا ؟ قال : ما هو كذلك ، ولكنها عصا رسول الله ﷺ أردت التبرك بها ، فوثب أبو حنيفة اليه ، وقال : أقبلها يا بن رسول الله ، فحسر الإمام الصادق عن ذراعه وقال له : والله لقد علمت أن هذا من بشر رسول الله ﷺ وهذا من شعره ، فما قبلته ، وتقبل عصاه ! فأهوى أبو حنيفة الى يده ليقبلها ، فأجتذبها منه ، وأسبل عليها كمه » .

وتحدث قاضي الكوفة ــ سنة ١٢٠ هـ ــ عبد الله بن شبرمة قال :

« دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد بن علي فسلمت ، وكنت له صديقاً ، ثم أقبلت على جعفر فقلت له : أمتع الله بك ، هذا رجل من أهل العراق له فقه وعلم ، فقال لي جعفر : لعـله الذي يقيس الدين برأيه ، ثم أقبل عليّ ، فقال : هو النعمان بن ثابت ؟ قال : ولم أعرف اسمه إلا ذلك اليوم ، قال : فقال له أبو حنيفة : نعم أصلحك الله .

فقال له جعفر : اتق الله ولا تقس برأيك ، فان أول من قاس إبليس، إذ أمره الله بالسجود لآدم فقال : « أنا خير منه خلقني من نار وخلقته من طـين » .

ثم قال لابي حنيفة : أخبرني عن كلمة أولها شرك ، وآخرها ايمان ما هي ؟ قال : لا أدري . قـال : قول الرجل : « لا إله » فلو قال : « لا إله » ثم أمسك كان مشركاً ، فهذه كلمة أولها شرك ، وآخرها إيمـان .

ثم قال : ويحك أيما أعظم عند الله تعالى ، قتل النفس التي حرم الله أم الزنا ؟ قا ل: لا بل قتل النفس ، فقال له جعفر : إن الله تبارك اسمه ، قد رضي وقبل في قتل النفس بشاهدين ، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة ، فكيف يقوم لك قياس ؟!

ثم قال : أيما أعظم عند الله ، الصوم أم الصلاة ؟ قال : لا بل الصلاة ، قال : فما بال المـرأة إذا حاضت تقضي الصيـام ولا تقضي الصلاة ، اتق الله يا عبد الله ولا تقس ، نقف نحن غداً وأنت ومن خالفنا بين يدي الله عز وجل ،فنقول : قال رسول الله ﷺ وآله ، قال الله عز وجل، وتقول أنت وأصحابك : سمعنا ورأينا ، فيعمل بنا وبكم ما يشاء .

وعلى الرغم من اجماع غالبيـة المصادر التي تحدثت عن الإمام

الصادق على القول بأنه كان متماسك الذات ظاهره وباطنه واحد ، وان حال مثله ــ وهو سيد آل البيت وعالمهم وبقية الاخيار منهم ــ ما كان ليخفي على أحد ، رغم كل هذا فان بعض الفئات والمصادر تنسب إليه رسالة في التوحيد قيل بأن تلميذه المفضل بن عمرو قد دونها عنه ، وفي هذه الرسالة يتجه صاحبها الى اثبات وجود الله الواحد الأحد بأدلة يأخذها من الموجودات من أحياء وجمادات وغير ذلك .

وهناك من ينسب اليه رسائل في علوم الباطن ، ومعرفة المستقبل وغير ذلك ، كما تنسب إليه بعض الآراء حول ما كان يجري في عصره من مشاكل القدرية والجبرية ، مثل أنه كان يقول : « إن الله تعالى أراد بنا شيئاً وأراد منا شيئاً ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا » .

ويبدو أن ما أثير حوله وما نسب إليه جعل بعض أئمة الحديث يقفون منه موقف الشاك أو الناقد ، وجمع الإمام ابن عدي في كتابه « الكامل في الضعفاء » أقوالهم وردها وأثبت أن الإمام الصادق كان « من ثقات الناس » حدّث عنه كبار الأئمة ، قال عنه الإمام أبي حنيفة : « ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد » ووثقه الإمام يحيى بن معين وقال عنه أحد معاصريه : « كنت اذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين » .

ومهما قيل عن شخصية الإمام الصادق فقد أوضح العلماء أن الثورة العباسية أثرت على حركات الشيعة ولقنت جميع الأحزاب الاسلامية درساً بليغاً ، فيه أن التحرك ينبغي أن يعتمد على الخطط الطويلة الأمد والواضحة الأهداف ، وأن النشاط الدعوي ينبغي أن يكثف في المناطق

SS

النائية عن مركز السلطة الرسمي لتبعد الشبهات عن رجالها ، ولتكون أكثر قدرة على التخطيط •

كما أنه كان لنجاح العباسيين واستلامهم للسلطة أعمق الآثار على الخط الشيعي الإمامي ، فقد حدث ـــ كما أسلفت الاشارة ـــ انقسام بين صفوفه ، بحيث انشطر إلى قسمين واحد ظـــل محافظاً على الخط القديم ، وآخر « راديكالي » متطرف جديد •

ومرة ثانية دون الدخول في متاهات المقالات اللاهوتية ، وتوزيع الأدوار على عدد من الرجالات ، حيث كفانا مؤونة ذلك كتّاب الفرق مع عدد من الباحثين في أيامنا هذه ، يكفي القول بأن الجماعة الجديدة قالت بأن الإمام بعد الصادق هو ابنه البكر اسماعيل ، وعلى الرغم من أن اسماعيل قد توفي أيام أبيه، فقد قالت هذهالجماعة بأن الإمامةانتقلت حكماً ونصاً إلىمحمد بن اسماعيل، الذي يعرف عادة باسم المكتوم،ذلك أن دعوة هذا الفرع الذي اتسم بالتطرف والعلمية في التنظيم دخلت في مرحلة من التكتم الشديد ، وباتت تعرف باسم السبعية أو الاسماعيلية وغير ذلك من الاسماء •

وقالت الفئة الأخرى من أتباع الصادق : إنه بوفاة اسماعيل ، ولغير ذلك من الأسباب فقد عين الصادق ابنه الآخر موسى الكاظم إماماً سابعاً، وتابع خط موسى هذا حتى الإمـــام الثاني عشر : محمـــد بن الحسن العسكري ، وهو عند الكثير من الناس إمام لم يولد بالحقيقة « ولم يكن لـــه إلا الوجود الوهمي » وعرف هـــذا الخط باسم الإمامية أو الاثناعشرية ، ولقد تهيأ لهذا الخط العديد من الفرص لاستلام السلطة

في العالم الاسلامي ، لكن انعدام الإمام ، وبقائه في الخفاء في غيبة دائمة جلب الاخفاق لهذه الفرص جميعاً •

وشكل القوم الذين تبعوا اسماعيل ، بعد عمل سري طويل ، فرقة فاقت في إعدادها المحكم وتنظيمها الدقيق المتقن في مجالات الجذب العقلاني الفلسفي ، والثقافي العالي مع الاثارة العاطفية والانفعال ، فاقت به كل الفرق التي سبقتها أو نافستها ، ففي مكان العمل المشنوش للفرق السابقة ، والايمان البدائي ، والاعتماد على الفورات العاطفية ، أحكم عدد من العلماء ، ذوي القدرات الخارقة والعقول الجبارة نظاماً جديداً للعقيدة الاسماعيلية على مستوى فلسفي في غاية الرقي ، وأنتجوا أدباً رفيعاً بدأ الآن رجال عصرنا بالاعتراف بقيمته وأثره •

لقد قدم الاسماعيليون للورعين احتراماً كبيراً ظاهرياً للقرآن والحديث والشريعة، ومسايرة للعقيدةالشعبية السائدة الظاهرة، وقدموا للمثقفين شرحاً باطنياً فلسفياً للكون ، اعتمد على مصادر الثقافات الشرقية القديمة والكلاسيكية وخاصة الفكر التأويلي والاشراقي من الأفلاطونية المحدثة •

وقدم رجال الاسماعيلية للصوفية والروحانيين ، مادة فيها الدفء العاطفي والعرفان مع الحب السامي المؤدي الى التحام الكائنات ووحدة الوجود ، ودعم هذا كله بأمثلة وشواهد مما عاناه الأئمة ومن تضحياتهم في سبيل أتباعهم ، وتم عرض هذا بمجمله وتقديمه في صيغ معارضة للنظام القائم ، وهادمة له ، فكان في ذلك سحر الثورة وحرارة العمل المعارض •

وفي عودة نحو تاريخ الدولة العباسية نلاحظ أن العباسيين وصلوا

إلى السلطة على طريق شرعية الثورة مع حق الميراث ، وذلك بعد عمل دعوي منظم • فقد قالوا بأنه عندما توفي النبي ﷺ كان واحداً من أعمامه حياً وهو العباس ، وحيث أنه لم يكن للنبي ﷺ ولد ذكر يرثه ، ولما كان العم بمنزلة الأب فالعباس كان الوريث الشرعي للنبي ﷺ ، ومنذ أيام المنصور مارس العباسيون سياسة دينية خاصة ، أحلت عبد الله بن العباس في العلم محل علي بن أبي طالب وصار يعرف الآن بحبر الأمة ، وقرب العباسيون اليهم رجال الدين وعلماء الاسلام بشتى السبل من ترغيب وترهيب ، ولنذكر هنا على سبيل المثال أن الإمام مالك بن أنس صنف « الموطأ » بناء على طلب المنصور وارشاده وابن اسحق صنف « السير والمغازي » أيضاً بطلب من المنصور ، ونحن عندما نقرأ كتب الأدب والتاريخ والتراجم نراها تتحدث لنا ملياً عن العلماء وعلاقتهم بالخلفاء ونشاطاتهم في مجالس الخلفاء ، والجوائز التي كانوا يحصلونها ، حتى ليكاد المرء يقول بأن رجال الدين صاروا احدى أدوات الخلافة العباسية ،وأن الفكر الاسلامي السني تمت صياغته عباسياً •

ونحن حين ندرس تاريخ الخلافة العباسية خاصة في القرن التاسع للميلاد نرى مدى التطورات التي ألمت بالمجتمع العباسي ، فقد حدثت تحولات اجتماعية كبيرة مع انقلابات اقتصادية وصناعية ، وتجمعت الثروات في أيد قليلة وصار للبيوتات التجارية مكانتها على صعيد السلطة وغير ذلك ، كما أن الاقطاع الزراعي عظم ، وبات رجال السلطة يملكون العديد من القرى ، ويطلبون المزيد ، ويحصلون عليه بشتى السبل من شراء أو اغتصاب،وفي تاريخ الخلافة العباسية نقرأ عن« ديوان للمظالم » كان يجلس فيه الخلفاء ، ويحدثنا الكتاب عن عدالة بعض الخلفاء ، حيث

نجد مثلاً في المتخاصمين الى الخليفة شخصاً اغتصبت ضيعته والمغتصب ابن للخليفة أو قريبه ، أو أحد الوزراء أو الكتاب أو القادة •

واستخدم الاقطاعيون أعداداً من العمال في مزارعهم ، وجلبوا كميات من الرقيق ، خاصة الأسود منه ، للعمل الزراعي المرهق •

ومع منتصف القرن الثالث بدأ الضعف يلم بالكيان العباسي ، وأخذت المشاكل تنفجر ، وترافق هذا مع استيلاء ضباط القصر الأتراك على السلطة وتحكمهم بالخلفاء ، وبعدما فعل الجند الأتراك هذا انعدم الاستقرار السياسي، وكثرت الصراعات على الخلافة والانقلابات، وهكذا ازداد تدهور الأوضاع من كافة الجوانب ، وأثناء ذلك استمر ارتباط رجال الدين السنة بالسلطة وقصر الخلافة ، وتورط بعضهم بالنزاعات السياسية ، وكانوا يسدلون ثوب الشرعية على كثير من الأعمال غير الشرعية ويقدمون المسوغ لما لا يقبل التسويغ ، يضاف الى هذا أنه منذ أن سيطر الحنابلة على شارع بغداد شغلوا أنفسهم بمشاغل فكرية لاهوتية لا تسمن ولا تغني من جوع غافلين أو متغافلين عن المشاكل التي باتت تهدد كيان الأمة بالخطر •

ولا غلو إذا قلنا بأن الفكر السني أفلس أو كاد في العطاء الاجتماعي، وأن الناس فقدوا ثقتهم بعلماء السنة نظراً لتورط هؤلاء مع رجال السلطة ، ولشغل أنفسهم بقضايا التجسيم ومسائل علم الكلام •

وأمام هذا الحال بدأ الناس يفتشون عن البديل ، وأخذوا يسعون في البحث عن الحل ، وعن طريق الانقاذ والنجاة ، وقد فر البعض الى الخيال فأغنى صورة المهدي المنتظر ، وجعله في أنواع من الشخصيات ، وهذا ما نشهده في كتاب « الملاحم والفتن » لنعيم بن حماد الذي جاءنا من هذا العصر •

SS

وقامت الدعوة الاسماعيلية بتقديم البديل ، وهكذا ما أن حلت نهاية القرن التاسع للميلاد حتى كان قد تم للاسماعيلية السيطرة على مسارات التفكير الاسلامي ، وعلى عقول الفلاسفة ، وتغلغل تأثيرهم الموجه الى جوف نظم وأفكار الثورة وحركات العدالة والمساواة في بلاد الاسلام ، كما حصل لدى العامة شعور بدنو النصر ، وقرب ساعة التحرير ، وروجوا لهذا عن طريق فكرة الامام المهدي المنتظر ، الذي سيخرج عندما يحين الوقت فيعلن القيامة ، والقيامة هنا ليست نهاية الحياة ، بل نهاية كلية أو جزئية للشرائع والنظم القائمة وتحرير الانسان من كافة الأغلال والقيود التعبدية وسواها •

وكان لهذا ردات فعل عنيفة للغاية ، نرى أثرها في كتب الفرق على ألوانها وأزمانها ، فكلها تعزو إلى الاسماعيلية القول بالاباحية وحتى ممارسة ذلك ، وإذا صح هذا فإنه مورس فقط في مناسبات اعلان القيامة بصورة استثنائية ، ولم يأخذ شكل الممارسة الدائمة •

ورغم توفر المعطيات الممتازة لم تورط الحركة الاسماعيلية نفسها في عمل ثوري مباشر ، تتحمل أعباء نشاطه بشكل علني ، بل سعت نحو استغلال القوى غير الموالية لها تماماً ، لكن المتأثرة بها ، إلى أبعد الحدود ، في سبيل زيادة إضعاف النظام السني العباسي ، وإضعاف هذه الحركات في ذات الوقت •

وهنا لا بد من وقفة أمام سؤال فيه : أين كان مركز القيادة الاسماعيلية خلال هذا كله ، ثم ما هو موقف السلطات العباسية من النشاط الاسماعيلي ، والى أي مدى كان تأثير القيادة الاسماعيلية في كل ما حصل ؟

من الصعب اعطاء جواب مقنع موثق لهذا السؤال ، فنحن حين تتحدث عن دعوة اسماعيلية ، الأجدر بنــا أن نستبدل عبــارة دعوة بدعوات ، ذلك أنه كما حصل في تاريخ التشيع حين انضوى العديد من الحركات المناوئة والمعارضة تحت لواء التشيع عن إيمــان أو للتمويه ، حصل ذات الشيء في الاسماعيلية •

فلربما وجد عدد لا بأس به من الحركات المطالبة بالعدالة وذات الفكر« الراديكالي »القريب من الفكر الاسماعيلي ، ولشهرة الاسماعيلية صنفها الناس بين الحركات الاسماعيلية ، فنحن عندما نقــرأ في كتب الملل والنحل نرى الكتا بـيعزون انتماء بعض الشخصيات والحركات الى أكثر من فرقة ، ويطلقون العــديد من الأسماء ويحلونها بكمية من الصفات والنعوت •

ثم علينا أن نأخــذ بعين الاعتبار تغير الأئمة بالوفــاة وغير ذلك وبالتالي التعديل في السياسة ، وفوق هذا مشكلة المواصلات فــكل داعية من الدعاة في منطقة من المناطق كان سيد عمله ، ينشط حسب معطياته ويعلل الأمور كما يراها من منظاره الخاص ، ومنظار بيئته ، ومع الأيام قد يكشف ، أو تكتشف القيادة ذلك فلا ترضاه ، ويؤدي هذا الى طرده أو الى انشقاق داخل الحركة •

لهذا أصوب لنا أن نستخدم عبارة حركات بــدلاً من حركة ، ونحن عندما نعــود الى المصادر الاسماعيلية وسواها ، خاصة كتــاب « عيون الأخبار » للداعي المطلق ادريس القرشي ، نستخلص منها عدم اتفاق بينها على سلسلة الأئمة بعد اسماعيل وحتى قيام الخلافة الفاطمية، فالأسماء مختلف عليها والصفات والأعمال متمازجة ، ثم هناك عدم

وضوح بين ما ينسب الى الأئمة وإلى دعاتهم خاصة المباشرين منهم ، حيث يبدو أن الأئمة منذ أيام محمد بن اسماعيل اتخذ كل منهم لنفسه حجاباً من أسرة واحدة عرفت بأسرة القداح ، كما يبدو أن بيت الإمامة انتقل من الحجاز الى العراق ، ومن العراق الى خراسان ، واستقر فترة من الزمن في منطقة جبال الديلم ، ثم غادرها فجأة الى بلاد الشام ، وكان هذا في حوالي منتصف القرن الثالث للهجرة ، واستقر بيت الإمامة أولاً في منطقة جبل الأربعين في محافظة أدلب السورية حالياً ، ثم تحول الى منطقة مصياف ، وأخيراً الى بلدة السلمية على طرف البادية ، وكانت هذه البلدة مأهولة من قبل عدد من الهاشميين ، ومنها يمكن بسهولة الاتصال بقبائل باديـة الشام ، حيث المـادة البشرية للعمل السياسي والعسكري لأصحاب المطامح ، كما يمكن الوصول إليها من العراق وغير العراق من بلاد الاسلام ، وبالتالي السفر .

وتوحي بعض المصادر الاسماعيلية بأن مهمة آل القداح انتهت في السلمية ، وأن الأئمة أخذوا يتخذون حجابهم من آلهـم ، لكن مصادر أخرى غير اسماعيلية تذكر استمرار آل القداح لا بل تتحدث عن استيلاء آل القداح على منصب الامامة ذاته ، والمرجح هو الرواية الأولى وأن الأئمة أخذ كل منهم يعين واحداً من اخوانه بوظيفة امام مستودع ، وهنا تتحدث المصادر عن نوعين من الإمامة ، إمامة استيداع وإمامة استقرار ، وان الاستيداع كان يتم لغايات أمنية أو لأسباب مرضية أو سواها .

كما نستخلص هنـا من المصـادر الاسماعيلية بأن بعض الأئمـة المستودعين أرادوا تحويل أنفسهم الى أئمة استقرار ، وهذا كله يشير الى أن بيت الإمامة الاسماعيلي عانى وهو في السلميـة من انقسامات داخلية خطيرة يمكن على ضوئها أن نفهم المشاكل التي حدثت في أواخر

القرن الثالث للهجرة خاصة العلاقات مع القرامطة ، أو بكلمة أصح العلاقات القرمطية الاسماعيلية •

ليست الغاية من هذه المقدمة دراسة تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، وإنما الحديث عن حركات القرامطة ، لكن لما كان من المسلم به وجود علاقات عضوية أساسية بين الاسماعيلية والقرامطة ، فان كل حديث عن القرامطة لا بد له من مقدمة ، ولا بد أن يبدأ بالبحث في تاريخ الاسماعيلية، على الرغم من أن تاريخ العلاقات بين القرامطة والاسماعيلية قد مر" بأطوار تباينت فيها المواقف ووصلت الى حد المواجهات المسلحة•

ان هذا على خطورته ينبغي أن لا ينسينا أن الحزب الواحد يتمزق ويرمي أفراده بعضهم البعض بأقسى التهم وأشنعها ، وأن هذا قد يحدث أثناء الاعداد للثورة ، ثم يتطور الحال بعد الوصول الى السلطة، فالملك عقوق عقيم ، والانسان في السلطة هو غيره في الواقع النظري ، ومقتضيات السياسية تتباين عن مقتضيات المبادىء والمثل ، وها نحن الآن في أيامنا هذه أمامنا صورة الأحزاب الشيوعية في العالم ، نسمع كل يوم أخبار ما يجري بين العملاقين الشيوعيين الأعظم ــ أعني الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ــ أوليس كل منهما يرى أن الخطر المحدق به آت من قبل رفاقه ، أوليس هناك تحالف أو تفاهم متبادل بين الصين الشيوعية من جهة وأمريكا الرأسمالية الامبريالية من جهة ثانية للوقوف ضد الاتحاد السوفياتي •

إننا ونحن نرى مثل هذه الصور على مسرح أحداثنا ينبغي أن تتقبل بكل يسر وسهولة فكرة الأصل المشترك بين القرامطة والاسماعيلية، وبعد هذا كله لا بد لنا من سؤال جديد هو : اين بدأت حركات القرامطة وتفجرت ثوراتهم للمرة الأولى ؟ ومن أين كسبوا اسمهم هذا ؟

الرأي الرائج لدى الباحثين هو أن حركة القرامطة نشأت في البداية في سواد العراق ، وتفجرت أولاً هناك لفترة قصيرة ثم انتقلت الى الشام وبعدها عادت الى العراق حيث انتقلت الى الأحساء .

ومشكلة هذ االرأي قائمة أساساً في إهمال ما حدث في اليمن ، ذلك أن في عدم الإقدام على دراسة تاريخ الحركات الشيعية في اليمن ومن بينها حركات القرامطة ، نقص وثغرة كبيرة في الدراسات القائمة حول هذا الموضوع ، يقتضي سدها ، متذكرين أنه ما تزال تعيش على مقربة من حدود اليمن الشمالية السياسية الحالية بعض القبائل العربية المحافظة على مواريثها القرمطية ، وأخص بالذكر منها قبائل يام ، وأن اليمن هي التي أرسلت الداعي أبو عبد الله الى شمال أفريقية حيث نجح في اقامة الخلافة الفاطمية .

من المشاكل الأساسية في التاريخ الاسلامي ، أن المؤرخ المسلم رصد فقط الحركات عندما كانت تصطدم بالمؤسسات السياسية القائمة أو عندما كانت تتحول الحركات الى مؤسسات سياسية ، وهنا كان المؤرخ يعمد الى البحث عما سلف ، فيجد نفسه في بحر من الروايات المتزجة مع الخيال والأسطورة .

لهذا يلجأ الباحث الآن الى أقدم الوثائق وأقرب الروايات من الحادث المبحوث فيه . وفيما يتعلق بالقرامطة ، فإن أقدم من كتب عنهم ووصلتنا كتاباته المتعلقة بالجوانب العقائدية هم : سعد القمي ، الحسن ابن موسى النوبختي ، والامام أبو الحسن الأشعري ، وهؤلاء الثلاثة يمكن تصنيفهم بين الذين عاصروا القرامطة ، فقد توفي القمي وهو أقدم الثلاثة مع نهاية القرن الثالث ، وتوفي النوبختي بعده بحوالي عقدين من الزمن ، وجاءت وفاة الإمام الأشعري سنة ٣٣٠ هـ .

وقد جاء عند القمي في كتابه « المقالات والفرق » [٨٣ـ٨٦] :

وتشعبت بعد ذلك فرقة ... ممن قال بإمامة محمد بن اسماعيل تسمى القرامطـة ، سميت بذلك لرئيس كان لهم من أهـل السواد من الأنباط كان يلقب بقرمطوية ... وقالوا : يكون بعد محمد ﷺ سبعة أئمة : علي ، وهو إمام رسول ، والحسن والحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، ومحمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو الامام القائم المهدي ، وهو رسول ، وهؤلاء رسل أئمة، وزعموا أن النبي عليه السلام انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب للناس بغدير خم ، فصارت الرسالة في ذلك اليوم إلى أمير المؤمنين وفيه ، واعتلّوا في ذلك بخبر تأولوه وهو قول رسول الله : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة ، وتسليم منه ذلك لعلي بن أبي طالب بأمر الله ، وأن النبي ﷺ بعد ذلك صار تابعاً لعلي ، محجوباً به ، فلما مضى أمير المؤمنين صارت الإمامة والرسالة في الحسن ، ثم صارت من الحسن في الحسين ، ثم صارت في علي بن الحسين ، ثم في محمد بن علي ، ثم كانت في جعفر بن محمد ، ثم انقطعت عن جعفر في حيـاته ، فصارت في اسماعيل بن جعفر كمـا انقطعت الرسالة عن محمد في حياته ، ثم إن الله بدا له في إمامة جعفر واسماعيل فصيرها عز وجل في محمد بن اسماعيل ... وزعموا أن محمد ابن اسماعيل حي لم يمت وأنه غائب مستتر في بلاد الروم ، وأنه القائم المهدي ، ومعنى القائم عندهم أنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد ، وأن محمد بن اسماعيل من أولي العزم ، وأولو العزم عندهم سبعة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى وعيسى ، ومحمد وعلـي ،

ومحمد بن اسماعيل على معنى أن السموات سبع ، والأرضين سبع ، وأن الانسان بدنه سبع ••• وقد كثر عدد هؤلاء القرامطة ، ولم يكن لهم شوكة ولا قوة ، وكانوا كلهم بسواد الكوفة ، وكثروا بعد ذلك باليمن ونواحي البحرين واليمامة وما والاها ، ودخل فيهم كثير من العرب فقوي حالهم بهم وأظهروا أمرهم » •

وتتفق رواية النوبختي [٦١-٦٤] من حيث الجوهر وحتى من حيث العبارات مع رواية القمي هذه ، اللهم إلا في قوله : وعددهم كثير ، الا أنه لا شوكة لهم ولا قـوة ، وهم بسواد الكوفة ، واليمن أكثر ، ولعلهم أن يكونوا زهاء مائة ألف » •

وكان ما قاله الامام الأشعري [٩٨] هو : « والنصف الثامن عشر من الرافضة ، وهم القرامطة •

يزعمون أن النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب ، وأن علياً نص على إمامة ابنـه الحسن ، وأن الحسن بن علي نص على إمامة أخيـه الحسين بن عليوأن الحسين بن علي نص على إمامة ابنه علي بن الحسين، وأن علي بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن علي ، ونص محمد بن علي على إمامة ابنه جعفر، ونص جعفر على إمامة ابنه محمد بن اسماعيل، وزعموا أن محمد بن اسماعيل حي الى اليوم ، لم يمت ، ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به ، واحتجوا في ذلك بأخبار رددوها عن أسلافهم ، يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم » •

إن هذه النصوص الثلاثة بالغة الأهمية ، فهي أولاً متنبهة الـى موضوع قرامطة اليمن ، ثـم هي لا توجه الى القرامطة حـين تعرض

عقائدهم التهم التي نشهدها في المصادر المتأخرة التي كتبت بعد قيام الخلافة الفاطمية ، وظهور عجز الخلافة العباسية تجاهها عسكرياً وفكرياً، لذلك لجأت الى طرح مشكلة النسب مع مسألة الاباحية الدائمة ، وكان لهذا تأثير فعال في مجتمع أقام مفاهيمه السياسية على أسس ارتبطت بقضايا النسب ، وهو ذات المجتمع الذي يعتبر أسس الأخلاق ومعيار الشهامة الجنس والمرأة وحفظ عرضها •

والأمر الثالث البالغ الأهمية في هذه النصوص يرتبط بمسألة العلاقة بين القرامطة والاسماعيلية ، فالكتاب الثلاثة يرون أن القرامطة فرقة متفرعة عن الاسماعيلية • ثم إننا حين نعود الى الأدب الاسماعيلي نراه يردد ذات الأفكار والعقائد التي أوردها القمي والنوبختي ، ففي رسالة من رسائل القاضي النعمان ، أكبر علماء الاسماعيلية في وقته ثم من بعد ، كتبها أيام المعز لدين الله الفاطمي ، وذلك قبل الانتقال الى مصر ، كما أرجح ، واسمها « الرسالة المُذْهِبة في الحكمة والتأويل » عرض القاضي النعمان ما عرضه القمي إنما بشكل أعمق وأكثر اتساعاً وكان مما قاله :

« وسالت عن السبب الذي أوجب أن النبي ﷺ كان في بداية أمره يتختم في يمينه ، فلما كان حين أوان نقلته [أي وفاته] حوّل خاتمه من يمينه الى يساره ؟ •

إعلم أيدك الله ! إنما سبب تختمه بيمينه في بداية أمره ، فإنما ذلك اشارة منه الى نفسه بتسلم منزلة النبوة والناطق ، وقيامه بتبليغ رسالات ربه كما جرى فيمن تقدمه من النطقاء والمرسلين ، وأنه لم يزل متختماً بيمينه أيام حياته دليل على العمل بشريعته ، وظاهر تنزيله ، وإقامة دعوة

الظاهر حتى نزل من الله تعالى اليه بنصب أساسه ووصيه ، فبلغ عن الله أمره ، ونصب وصيه يوم غدير خم ، وأقامه مقامه ، واستخلفه من بعده ، فحول خاتمه من يمينه الى يساره ، وأمر وصيه علياً عليه السلام ، أن يتختم باليمين ولا يحوله الى شماله ، فكان ذلك اشارة منه بتسليم المنزلة الى وصيه ، فكان الوصي يتختم باليمين دليلاً على ما قد صار اليه ، وتختم الرسول بالشمال دليلاً على انقطاع المواد عنه بتسليمه الأمر الى وصيـــه » •

وقال في مكان آخر متحدثاً عن النبي : « فالذي له اثنتا عشرة امرأة، مضى على تسع نسوة وسقط منهن ثلاث ، وقد تروى عامة الشيعة أنه رد طلاق نسائه بيد علي عليه السلام ، وذلك أنه لما أمر بالتسليم اليه ، فوض اليه أمر حججه ونقبائه ، فله أن يطلق منهن من شاء وينصب من شـــاء » •

وقد ذكر القاضي النعمان شخصية القائم وتحدث عنه على الاساس السبعي أكثر من مرة فبين أنه « سابع سبعة من آدم ودوره آخر الأدوار » كما أشار الى أنـــه من الأنبياء ذوي العزم يأتي بما يلغي كـــل الشرائع السابقة ، ويعلن الجهاد على معانديه ، وعلى ضوء هذا الأمر يمكن لنا أن نفهم ما أقدم عليه القرامطة من استعراض لخصومهم واغارات على قوافل الحجاج بلغت الذروة في مهاجمة مكة سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وقتل الحجاج ، واقتلاع الحجر الأسود من الكعبة •

فلقد أرادت الدعوة الاسماعيلية عن طريق القرامطة ايقاف الحج بمهاجمة قوافل الحج ، لكنها عندما أخفقت قامت بمهاجمة مكة واقتلاع الحجر الأسود ، لأنهم اعتقدوا أنه « مغناطيس القلوب يجذب الحجاج »

ولأن الحج هو الشعيرة الاسلامية الوحيـدة التي تعلن بشـكل عالمي ظاهري عن استمرارية الاسلام والعمل بمبادئه أممياً • فالصلاة ، ودفع الزكاة وصوم رمضان مع التلفظ بالشهادتين يمكن أن تمارس بشكل فردي وسري ، إنما الحج لا يمارس إلا في بقعة محددة وبصورة علنية ، واستمرار الحج معناه اخفاق العمل في سبيل اعلان القيامة ونجاحها في تعطيل الشريعة واحلال دين القيامة محلها •

وبعد هذا نعود ثانيـة نحو سؤالنا عن البلد الذي شهـد أولى تحركات القرامطة ، وقبل محاولة الاجابة أرى أن تتذكر أن قيام أمر ما من : ثورة أو حركة قد تشير اليها دلالاتها قبل أن تعرف باسمها ، فعلى سبيل المثال نلاحظ أن أقدم اشارة الى العرب وذكرهم بالاسم تعود الى المئة الثامنة قبل الميلاد ، لكن هذا لا يعني أن تاريخ العرب بدأ آنئذ ، إنه أقدم من هذا التاريخ وأعرق، وفي الكتاب المقدس والكتابات القديمة اشارات لجماعات نحكم أنهم من العرب رغم عدم تسميتهم بهذا الاسم •

هذا هو حالنا مع القرامطة ، فقد تكون حركتهم نالت هذا الاسم في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة في العراق أولاً ، لكن هذا ليس فيه دليل مقنع على أن الحركة بدأت في العراق ، فنحن عندما نعود الى دراسة ما حدث بعد نجاح الثورة العباسية واخفاق ثورة النفس الزكية مع ثورة أخيـه ابراهيم ، نلاحظ أن جميـع الحركات المعارضة تلقنت درسها القاضي بالنشاط في المناطق النائية ، وهذا ما مارسه عبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت، وجماعة النفس الزكية الذين تتوجت جهودهم بقيام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ، وسواهم كثير •

ومن المعروف أن اليمن يمكن اعتبارها بين الأقاليم النائية ذات الطبيعة الجبلية المساعدة ، والقبلية الملائمة للعمل ضد السلطة المركزية ، ثم إن اليمن شهرت منذ القديم بولائها الشيعي ، ولهذا توجهت أنظار الدعوة الاسماعيلية اليها ، كما نشط بها بعض الشيعة الآخرون ونخص بالذكر منهم الأسرة الرسية التي نجحت أخيراً في الربع الأخير من القرن الثالث في تأسيس كيان سياسي ومذهبي لها في البلاد استمر طويلاً •

وجاء نجاح هذه الأسرة على يدي الهادي الـى الحق يحيى بن الحسين الذي خرج الى اليمن سنة ٢٨٠ هـ ، وعندما نقرأ أخبار سيرته التي رواها أحد معاونيه نرى أن منطقة نجران بتراثها الديني العريق كانت تزخر بالنشاط الديني،حيث كانفيها كمية معتبرةمنالنصارى،ثم أهم القبائل فيها من بلحارث ويام كانت تدين بما دعي فيما بعد وشهر باسم « مذهب القرامطة » وأن هذا التدين قديم راسخ •

هذا من جهة ومن جهـة ثانية تحدثنا المصادر الاسماعيلية وغـير الاسماعيلية عن ارسال الدعوة الاسماعيلية في بداية النصف الثاني من القرن الثالث لداعيين هما علي بن الفضل وابن حوشب الى جنوب اليمن، وأنهما عندما حلا في اليمن وجدا من ينتظرهما من أبناء دعوتهما ، ووجدا الاجواء مهيأة ، لهذا حققا أكبر النجاحات في أسرع الاوقات •

ثم من جهة ثالثة تحدثنا المصادر المختلفة لتاريخ بلاد الشام والعراق والجزيرة أنه مع النصف الثاني للقرن الثالث ، أو قبيل ذلك تدفقت على بلاد الرافدين ثم الشام هجرة بدوية جديدة ، هي الثانية من حيث الحجم بعد هجرة القرن السابع للميلاد التي قامت بسبب الاسـلام ورافقت الفتوحات الاسلامية •

وقد حملت الهجرة الجديدة عدداً كبيراً من القبائل ، مثل : كلب ، طيء ، فزارة ، أسد ، عقيل ، نمير ، قشير ، كلاب ، خفاجة وسواهم كثير . ومن المرجح أن هجرة هذه القبائل كان « للدعوة القرمطية » النصيب الأكبر في قيامها ، ومما لا شك فيه أن رجال هذه القبائل هم الذين قدموا المادة البشرية لدعاة القرامطة وقادتهم فيما بعد في الشام والعراق والجـزيرة .

ولننتقل الآن نحو الإجابة على شطر آخر من سؤالنا الاساسي ، وهو من أين جاءت التسمية « قرامطة » وما هو معناها ؟

لقد أكثر الاوائل والمعاصرون في البحث في هذه القضية ، لكن عجزوا عن الوصول الى رأي حاسم حولها ، ومثل هذا ليس بغريب في التاريخ العام والخاص ، فهناك أسـماء كثيرة شهيرة لا نعرف مؤكداً أصلها ، مثل « دمشق ، سورية » وغير ذلك وعلـى صعيد الحركات الاسماعيلية هذا ينطبق على عبارتي « قرامطة » و « حشيشية » المتأخرة ومع هذا نحاول أن ندلي بدلونا في هذه المسألة عارضين أولاً لأهم الآراء والروايات حول الموضوع ثم محاولين بعد ذلك الوصول الـى نتيجـة ما .

في المصادر المبكرة والمعاجم اللغوية نجد معنى القرمطة : اللون الأحمر أو مقاربة الخطوة ، أو دقة الكتابة وتداني الحروف والسطور أو النقص ، هذا ومن أفضل ما قيل في تعريفها ما أورده ابن العديم في كتابه بغية الطلب حيث قال: « وانما سموا القرامطة : زعموا أنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن علي ، ونسبوا الى قرمط ، وهو حمدان بن الاشعث ، كان بسواد الكوفة ، وإنما سمي قرمطاً لانه كان

رجلاً قصيراً ، وكان رجلاه قصيرتين ، وكان خطوه متقارباً ، فسمي بهذا السبب قرمطاً ••• وذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة ، إنما هي نسبة إلى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام ، فيكون على هذه المقالة عزوه الى مذهب باطل لا الى رجل » وذكر بعض آخر انما هو نسبة الى « بني قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المهيأ ••• بن عامر بن صعصعة » •

إن ما رواه هنا ابن العديم في غاية الأهمية ، أقصد قوله : « إنما هو نسبة الى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام » حيث من الثابت أن القرامطة كانوا من جماعات الدعوة الاسماعيلية ، ثم هذا يتوافق مع ما ذهب اليه بعض الباحثين المعاصرين من القول بأن كلمة « قرمطة » هي كلمة آرامية تعني « العلم السري » •

ومعلوم أن من أسماء الاسماعيلية التي شهرت بها « الباطنية » ذلك لأنها قالت بالتأويل وبوجود علم ظاهري عام وعلم داخلي باطني خاص : وعلى هذا الأساس يكون معنى « القرامطة » هو « الباطنية » •

إن هذه نتيجة منطقية معقولة يمكن اعتمادها حتى يظهر ما ينقضها أو يزيدها قوة ورسوخاً ، والآن وقد وصلنا الى هذا بقي علينا التعرض الى مبادىء القرامطة وخططهم •

إن هذا ليس بالأمر الصعب ، خاصة وقد قررنا أن القرامطة فرع من فروع الاسماعيلية ، وبصرف النظر عن الجانب اللاهوتي ، فمن المعروف أن الاسماعيلية قد أولت الإمام مكانة خاصة عالية للغاية وجعلته محور عملها ومنحته من الصفات الشيء الكثير ، ولهذا اذا ما أردنا البحث عن البرامج الثورية للقرامطة في الجانب النظري يمكننا أن نجد

ذلك في صفات الامام الذي حين يخرج يكون مهدي زمانه ، يحل العدل مكان الظلم ، والمساواة محل التفاوت وبكلمة اسماعيلية موجزة حين يخرج الامام المهدي القائم « حينئذ يشرب الثور والسبع من حوض واحد ، ويخلف الراعي الذئب على غنمه » ولا يدع « بدعة من البدع إلا أطفئت ومحقت ويرد الحق الى أهله حتى يعود الانسان كما ولد » [الكشف لابن منصور اليمن : ٣٢ـ٣٥] .

قد يكون هذا من حيث الواقع النظري ، خاصة لطالما تساءل الباحثون في أيامنا عن برامج الثورة عند القرامطة ، لكن ماذا عن الجانب التطبيقي العملي ؟ .

اننا حين نعود الى مختلف مصادرنا عن قرامطة العراق أولاً نشاهد نوعاً من أنواع التطبيق الاشتراكي في توزيع الثروات واقبال الجميع على العمل ، وهذا ما يمكن للقارىء أن يتلمسه في نصوص كتابنا هذا الذي نقدم له اليوم ، وأما بالنسبة لدولة الاحساء ، فمما لا شك فيه أن هذه الدولة طبقت نظاماً يمكن تصنيفه بين النظم الاشتراكية ، والثغرة الوحيدة في هذا النظام هي مشكلة الرقيق ، ذلك أن هذه الدولة احتفظت بنظام الرقيق ، وجعلت الرقيق أداة الانتاج ، وقامت من حيث الواقع على طبقتين اجتماعيتين : الأحرار وجلهم من المقاتلين ، والرقيق ، وكان الأحرار يقتسمون بينهم موارد الدولة .

إن هذا الوضع دفع بعض الكتاب الى القول بأن دولة الأحساء لم تكن دولة اشراكية ، إنما كانت دولة طبقت نظام رأسمالية الدولة،دولة المحاربين ، ثم إن باحثين آخر قالوا : إن دولة القرامطة في البحرين

والأحساء قامت في منطقة خضعت دائماً للتأثير الفارسي، خاصة الساساني منه ، وهنا يرى البعض أن نظام دولة البحرين لم يكن سوى نظام متطور للنظام الاقطاعي الساساني الذي عرف بنظام اقطاعيات الفرسان ...

المسألة ما تزال عرضة للجدل ، ونترك الحكم فيها لكل قارىء من القراء على أساس أنني أقدم مقدمة لمجموعة من النصوص حول القرامطة، ولا أقوم الآن بدراسة مستفيضة حولهم .

والغاية من المقدمة هنا مساعدة القارىء على الدخول في الموضوع، وعرض أخبار القرامطة عن طريق النصوص ، هي أحدث طرائق العرض التاريخي ، ذلك أنها وثائقية ، لا يتدخل فيها الكاتب أو الباحث في توجيه القارىء وانتقاص حريته في الاستنتاج والفهم ، ذلك أن من المفترض أن قارىء هذا العصر هو رجل متحضر يملك زاداً ثقافياً يمكنه لوحده من المشاركة في فهم أي علم من العلوم الانسانية أو قضية من قضايا التاريخ[١] .

---

(١) بالاضافة الى نصوص كتابنا انظر : كتاب الكشف المنسوب إلى الداعي جعفر ابن منصور اليمن نشره ز. ستروطمان اكسفورد ١٩٥٢ . كتاب المقالات والفرق تصنيف سعد القمي ط. طهران ١٩٦٣ . كتاب فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي ط. استانبول . كتاب مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري ط. القاهرة ١٩٥٠ . كتاب الزينة لأحمد بن حمدان الرازي ط. القاهرة ١٩٥٧ . كتاب التنبيه والرد لمحمد بن أحمد الملطي ط. القاهرة ١٩٦٨ . كتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ط. القاهرة ١٣٢٨ هـ . كتاب البدء والتاريخ لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي ط. باريس ١٩١٦ . كتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزم الأندلسي وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ط . مكتبة المثنى بغداد . كتاب الألفين في إمامة أمير المؤمنين للحسن بن يوسف الحلي ط. النجف

إن النصوص المقدمة في كتابنا هذا بمجملها تقدم للقارىء صورة متكاملة لتاريخ القرامطة في جميع المناطق وكافة المراحل ، وهي تحوي زبدة ما جاء في المصادر العربية ، ولم يحدث قط أن حوى كتاب منفرد مثل هذا الحشد الذي يحويه مجلدنا هذا ، وهذه النصوص بعضها ينشر للمرة الأولى والبعض الآخر ، وإن سبق نشره فهو لأول مرة ينشر بشكل علمي دقيق ، دون تصحيفات في النص مع ما يكفي من الحواشي

١٩٥٣ • تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري ط• دار المعارف مع طبعة ليدن • كتاب الأئمة الاثنا عشر لمحمد بن طولون ط• بيروت ١٩٥٨، كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للغزالي ط• القاهرة ١٩٦١ • فضائح الباطنية له ط• القاهرة ١٩٦٤ • قواصم الباطنية له ط• استانبول ١٩٥٤ • كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار للداعي ادريس القرشي ط• بيروت ١٩٧٣ • المصابيح في إثبات الإمامة لأحمد بن حميد الكرماني ط• بيروت ١٩٦٩ • كتاب رجال الكشي لمحمد بن عمرو الكشي ط• كربلاء • كتاب اختلاف أصول المذاهب للقاضي النعمان بن محمد ط• بيروت ١٩٧٠ • الأرجوزة المختارة له ط• مونتريال ١٩٧٠ دعائم الاسلام مع التأويل له ط• دار المعارف القاهرة • رسالة افتتاح الدعوة له ط• بيروت ١٩٧٠ • الرسالة المذهبة في الحكمة والتأويل ، مخطوطة خاصة في خزانتي • المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين هبة الله ابن موسى ط• القاهرة • العيون والحدائق لمؤلف مجهول ط• دمشق ١٩٧٢ــ ١٩٧٤ • مسائل الامامة للناشيء الاكبر ط• بيروت ١٩٧١ • كتاب الفهرست للنديم ط• طهران ١٩٧١ • كتاب الذخيرة في الحقيقة لعلي ابن الوليد ط• بيروت ١٩٧١ • كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل لاحمد بن يحيى بن المرتضى ط• بيروت ١٩٧٩ • كتاب عمدة الطالب في انساب آل ابـي طالب ط• بيروت • كتاب الافحام لافئدة الباطنية الطغام ليحيى بن حمزة العلوي ط• الاسكندرية • القرامطة لدي غويه ترجمة عربية ط• بيروت ١٩٧٨ • أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ط• القاهرة • قرامطة العراق لمحمد عبد الفتاح عليان ط• القاهرة ١٩٧٠ •

والشروح ، ويمكن أن أعتبر هذا الكتاب عملاً مطوراً للكتاب الذي سبق لي نشره عام ١٩٧٠م باسم « تاريخ أخبار القرامطة » .

نصوص هـذ االكتاب انتزع أولها من تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قر ةالصابيء الحراني الأصل ، وجمع في مجلد منفصل ، وتم ذلك من قبل شخص مجهول، ولعل هذا قد حدث خلال العصر المملوكي، وتاريخ ثابت بن سنان لم يصلنا ، وكل ما وصلنا هو وصفـه وبعض النقول منه ، ونصنا الذي ننشره اليوم ، ولعله أكبر قطعة تصلنا منه . وحسبما أعلم إن هنـاك نسخة مخطوطة واحدة من هذا النص ، هـي بحوزة المستشرق الانكليزي الكبير برنارد لويس ، استاذ تاريخ الشرق الأوسط فيجامعة لندن سابقاً.وتعود معرفتي بهذه النسخة الى عام١٩٦٧ عندما كنت آنذاك في لندن أحضر لنيل شهـادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي تحت اشراف الاستاذ لويس . ولقد تفضل الاستاذ لويس فأعارني نسخته وأخبرني أنه كان قد ابتاعها من القاهرة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، واستفاد منها في دراسته عن أصول الاسماعيلية، وعزم علىتحقيقها ونشرها وحتى عمل على ترجمتها الى الانكليزية ولكن قيام الحرب وانشغاله بعدها لم يمكنه من إتمام عمله . وتكرم أيضاً فأعارني مجموعة تضم ما حضره لنشر هذه المخطوطة من جملة ذلك نسخـة تحوي نص المخطوطة مضروب علـى الآلة الكاتبة . ولقـد استخدمت هذه النسخة في عملي ولم أقم بنسخ المخطوطة وكل ما فعلته أنني قابلت المطبوعة على النسخة الأم ، وأثناء عملي بالتحقيق استفدت كثيراً من عمل الاستاذ لويس وملاحظاته القيمة ، ولهذا فانني مدين له في عملي هذا ، و لايسعني هنا سوى أن أقدم له شكري، واعترافي بالفضل، وشعوري بالامتنان .

SS

وتتألف مخطوطة الاستاذ لويس من احدى وثلاثين ورقة من قطع ١٩×١٣,٥ سم • وفي كل صفحة ما بين ٢٠ ــ ٢٣ سطراً ، في كل سطر ما بين ٧ ــ ٨ كلمات • وهذه النسخة قد كتبت من قبل ثلاثة نساخ على الأقل • وقــد تم الفراغ من كتابتها « في سلخ شوال سنة ألف وسبع وخمسين » [٢٧ تشرين الثاني سنة ١٦٤٧] وقد نسخت كما يبدو عن نسخة من تاريخ ثابت تم نسخها في « سلخ جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة » [١١ تشرين الأول سنة ١١٨١] • وهذه النسخة قد نسخت ــ كما صُرح ــ عن مسودة المؤلف •

إن خط مخطوطة الاستاذ لويس هو نسخي مقروء وحالة المخطوطة حسنة إنما يبدو أن المستوى الثقافي لنساخها ومعرفتهم بقواعد اللغــة العربية قد كان ضعيفاً ، لهذا تبعثرت الاخطاء النحوية والإملائية في كل مكان • وحين قمت بعملــي في التحقيق قومت هذه الاخطــاء ، ولكن لكثرتها لم أشر بالحواشي إلا لنزر يسير منها خشية ملء الحواشي بأمور لا فائدة منها •

ان المعلومات التي تتضمنها مخطوطة الاستاذ لويس هذه ، يمكن تقسيمهــا الــى قسمين : قســم وردت معظــم رواياتــه في تاريــخ الطبري ، وقسم تمت أحداث رواياته بعــد وفاة الطبري ، فقــام ثابت بتدوينه ، وكثير من أخبار هذا القسم مما عاصره ثابت ، وقد نقل ابن الاثير معلومات ثابت ودونها في تاريخه الكامل دون الاشارة الى ثابت • على أنه رغم هذا هناك بعض التفصيلات ، والمعلومات في نصنا هذا غير موجودة عند ابن الاثير • ونشر نصنا هذا يوفر رواية متسلسلة لتاريخ القرامطة ويعين على دراسة حركة التدوين التاريخي عند العرب ، خاصة فيما يختص بعلاقة كتابات مسكوية بتاريخ ثابت بن سنان •

وثابت بن سنان هو أحد أفراد آل الصابىء ، الأسرة التي اشتهرت بالطب فنبغ منها عدد من الأطباء خدموا الخلفاء العباسيين ورجال دولتهم • ويذكر بعض من ترجم لثابت بأنه كان مختصاً بخدمة الخليفة الراضي [٣٢٢/٩٣٤ ــ ٣٢٩/٩٤٠] وأنه كان بارعاً بالطب ، تولى تدبير المارستان في بغداد وخدم عدداً من الخلفاء بعد الراضي • ولقد ذكر البعض بأن ثابتاً قد توفي في عام ٣٦٣/٩٧٣ ــ ٤،وهذا وهم، أصح منه أن وفاته حدثت في عام ٣٦٥/٩٧٥ ــ ٦ وهذا ما تثبته مخطوطتنا وما نقله ياقوت عن ابن أخت ثابت هلال بن المحسن الصابىء • وكان ثابت بن سنان كمعظم بقية آله متميزاً الى جانب كونه طبيباً باهتمامه بالتاريخ وتدوينه ، فكتب عدداً من التواريخ أشهرها تاريخه الكبير الذي انتزع منه ، نصنا الذي ننشره اليوم • وقد بدأ ثابت تاريخه هذا بفترة حكم الخليفة المقتدر [٢٩٥/٩٠٨ ــ ٣٢٠/٩٣٢] ، وتوقف عن متابعة الكتابة فيه قبيل وفاته بأيام • ولثابت تاريخ « مفرد في أخبار الشام ومصر في مجلد واحد » وله كتاب آخر دون فيه « وفاءات من توفي في كل سنة من سنة ثلاثمائة الى السنة التي مات فيها » أي سنة ٣٦٥ هـ • وتاريخ ثابت الكبير هو بداية سلسلة من التواريخ كتبت من قبل أفراد الصابىء وكلها تعتبر كذيول لتاريخ الطبري ، وهي في حد ذاتها على غاية من الاهمية تغطي فترات انفردت ــ تقريباً ــ في رواية أخبار أحداثها • ثم ان خدمة آل الصابىء للخلفاء العباسيين ورجالاتهم وشخصيات دولتهم قد أعطى معلوماتهم ورواياتهم التاريخيةمزيةخاصة وقيمة عالية • ومفيد هنا أن ننقل ما كتبه القفطي في هذا الباب : « واذا أردت التاريخ متصلا فعليك بكتاب أبي جعفر الطبري رضي الله عنه ، فانه من أول العالم والى سنة تسع وثلاثمائة ، ومتى شئت أن تقرن به

كتاب أحمد بن أبي طاهر وولده عبيد الله فنعم ما تفعل لأنهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده ، وهما في الانتهاء قريبا المدة ، والطبري أزيد منهما قليلا . ثم يتلو ذلك كتاب ثابت فانه يداخل الطبري في بعض السنين ، ويبلغ الى بعض سنة ثلاث [الأصح خمس] وستين وثلاثمائة فان قرنت به كتاب الفرغاني الذي ذيل بـه كتاب الطبري فنعم الفعـل تفعله فان في كتاب الفرغاني بسطاً أكثر من كتاب ثابت في بعض الأماكن . ثم كتاب هلال ابن المحسن بن ابراهيم الصابيء فانه داخل كتاب خاله ثابت وتمم عليه الى سنة سبع وأربعين وأربعمائة . ولـم يتعرض أحـد في مدتـه الى ما تعرض له من أحكام الأمور والاطلاع على أسرار الدول ، وذلك أنه أخذ ذلك عن جده لأنه كان كاتب الانشاء ويعلم الوقائع ، وتولى هو الانشاء أيضاً ، فاستعان بعلم الاخبار الواردة على ما جمعه . ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال وهو كتاب حسن الى بعد سنة سبعين وأربعمائة ... »[1] .

---

(١) القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف) تاريخ الحكماء . ط. ليبسك ١٣٢٠ هـ ص ١٠٩ ـ ١١١ . ابن خلكان (أحمد) وفيات الأعيان ١/١٤٨ ط. باريس ١٨٣٨ . ياقوت الحموي ، ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدبـاء) حققـه د. س. مرجليوث القـاهرة ١٩٠٩ : ٢/٣٩٧ . الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) تاريخ الإسلام ٨١ ط. مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٤٨ .
ومما يفيد معرفته أن سبط ابن الجوزي (يوسف بن قزا أوغلي) قد أكثر في كتابه مرآة الزمان من النقول من تاريخ آل الصابيء حتى أنه نسخ في إحدى المرات جميع تاريخ غرس النعمة وضمنه في أحد مجلدات كتابه . انظر مقالنا في مجلة مجمع اللغة العربية عدد نيسان ١٩٧٠ . هذا وقد قمت بتحقيق هذا الكتاب وسأدفعه للنشر قريباً ، كما انتزعت نصوص آل الصابيء الواردة في المرآة وألحقتها بكتابنا هذا .

واتتزع النص الثاني من كتاب « سيرة الهادي الى الحق يحيى ابن الحسين » وهو كتاب كنت قد تعرفت إليه للمرة الأولى عام ١٩٦٩ حيث رأيت إحدى مخطوطاته في استانبول ، وقد قمت بنشر هذا المخطوط عام ١٩٧٢ في بيروت ، ويتحدث هذ االكتاب عن سيرة وأعمال الهادي الى الحق الذي خرج الى اليمن عام ٢٨٠ هـ ، وفيها عمل على تأسيس الدعوة الزيدية مع امامة شيعية معتدلة ، وفي اليمن حقق الهادي بعض النجاحات ، حيث استطاع دخول صنعاء لفترة قصيرة ، واصطدم الهادي خلال نشاطه في اليمن بالقرامطة في منطقة نجران من قبائل بلحارث ويام، كما اصطرع مع قرامطة علي بن الفضل ومنصور اليمن في الجنوب .

وقد قـام مدون سيرته بتقديم تفاصيل ممتازة عن ذلك ، وأفرد فصلا خاصاً من الكتاب وقفه على القرامطة ، وذلك اضافة للمعلومات المتناثرة في ثنايا الكتاب ، ومدون السيرة وراويتها هو علي بن محمد ابن عبيد الله العباسي العلوي ، وكان من أبنـاء عم الهادي ورفاقه في اليمن ، وعلى هذا كان شاهد عيان للاحداث ، ومادته بذلك على درجة عالية من الاهمية ، تحمل الطابع الوثائقي ، لكن مع الانتباه الى أنهـا تروي الحدث وتصور الخبر من جانب واحد .

ان مادة سيرة الهادي الى الحق ، أقـدم ما عرف حتى الآن عن تاريخ القرامطة ، ومن خلالها استطعنا القول بأن حركة القرامطة بدأت في شبه الجزيرة العربية لا بالعراق ، هذا ولم نستطع الوصول الى ترجمة لمصنف السيرة ، انما من خلال دراسة نص الكتاب نعرف بأن والـد المصنف وهو محمد بن عبيد الله كان من أوائل من تلقى دعوة الهادي

الى الحق ، قبل خروجه الى اليمن ، فآمن بها كما آمن بامامته ، وقام بمرافقته الى اليمن ، وهكذا كان من أوائل رجالات دعوة الهادي ، وأعظمهم مكانة لديه ، فلقد اعتمد الهادي عليه اعتماداً كبيراً وولاه جليل الأعمال ، وكلفه بخطير المهام ، وظل في خدمة الهادي حتى استشهد أثناء تأديته لواجبه ، وكان ذلك في الصراع مع القرامطة .

وكان محمد بن عبيد الله عندما قرر الهجرة الى الهادي ، ومرافقته الى اليمن قد أعلم ولده علياً بذلك ، وأمره أن يلحق به ، وكان علي آنذاك « غلاماً لم تجب لله عليه حجة » ، و « وفي ذي الحجة من سنة خمس وثمانين ومائتين » هاجر علي بن محمد بن عبيد الله الى الهادي ، والتحق بخدمته في اليمن ، وبقي معه حتى لقي ربه .

ورغم أنه قد سلف لي نشر سيرة الهادي ، فلقد أعدت النظر بالنص المنتزع منها حول القرامطة ضبطاً وتحشية ، آخذاً بعين الاعتبار ما رسمته لنفسي أثناء جمع نصوص هذا الكتاب بجعل هذه النصوص تشرح بعضها البعض ، وتقدم فهماً متداخلا ومتعاوناً في ذات الوقت .

والنص الثالث هو عبارة مذكرات أملاها ــ أو كتبها ــ أحد رجالات البلاط الفاطمي أيام المعز لدين الله [٣٤٠ـ٣٦٥هـ/٩٥٣ـ٩٩٥م] وكان اسمه أحمد بن ابراهيم (أو ابن محمد) النيسابوري ويبدو أنه احتل مكانة رفيعة في قصر المعز ، وكان واسع الاطلاع على أخبار الدعوة الفاطمية ، ولربما شارك في العديد من أحداثها المبكرة ، نقول ذلك بسبب أنه لم يصلنا ترجمة له ، رغم أن رسالته كانت معروفة نقل عنها عدد من الكتاب الاسماعيليين .

ومادة هذه الرسالة على درجة كبيرة من الأهمية ، منها نسمع

أصداء اسماعيلية فاطمية رسمية تتحدث عن الانشقاق الذي ألم ببيت الامامة الاسماعيلي ، بعد استقرار هذا البيت في السلمية ، حيث يبدو أن هذا الانشطار كان من وراء اندلاع نشاط القرامطة في الشام وهو يساعد على تعليل قضية ادعاء قادة قرامطة الشام للنسب الاسماعيلي ، ومنه نرى ما صنعه الفاطميون بعد انتصار فرعهم ، وسيطرته على أطراف الدعوة الاسماعيلية والدعاة فيما يختص بقضية تحريف أنساب أئمة القرامطة .

وقد سبق أن تم نشر هذ االنص ثانية سنة ١٩٣٧ في مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة المجلد الرابع [٨٩ ــ ١٠٧] اعتماداً على مخطوطة وجدت لدى جماعات البهرة المستعلية في الهند ، وجاء نشره جافاً خلواً من أية تعليقات ، محشواً بالأخطاء والتصحيفات،ولقد أعدت النظر فيه وتلافيت الأخطاء وقمت بضبطه ووضع بعض الحواشي الضرورية له .

أما النص الرابع فهو عبارة عن فصلة من كتاب اسمه التراتيب من تصنيف أحد رجالات الدعوة الاسماعيلية ، ويبدو أن تاريخ التصنيف مبكر ربما يعود الى ما قبل قيام الخلافة الفاطمية أو معاصر لها ، وهذا الكتاب قد أتيح لي الوقوف عليه مع مجموعة أخرى من الرسائل الاسماعيلية في احدى المكتبات الخاصة التي كانت موجودة في القدموس في سورية ، وهو مثل سابقه يقدم مادة تساعدنا على فهم النزاعات داخل البيت الاسماعيلي في السلمية وبذلك تسهل علينا مهمة معالجة أمر العلاقة بين قرامطة الشام والبيت الاسماعيلي الذي نجح في اقامة الخلافة الفاطمية ، ولقد جهدت في سبيل التعرف الى مصنف الكتاب فأخفقت ، انما هذا لا يؤثر كثيراً على قيمة محتوياته ، وهو بحيث ينشر

للمرة الأولى فيه إلهام جديد في معالجة قضايا الماضي ، وخاصة تاريخ القرامطة والاسماعيلية .

اما النص الخامس فقد انتزعته من « كتاب تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد » لقاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني ، الفقيه المعتزلي الشهير المتوفى سنة ٤١٥ هـ أو ٤١٦ / ١٠٢٤ أو ١٠٢٥ م ، وقد وقفت على هذا النص للمرة الأولى سنة ١٩٦٩ ، وقمت بتصويره من نسخة الكتاب الفريدة الموجودة الآن في مكتبة شهيد علي باشا في استانبول ، وكان في نيتي حين صورتها العمل على نشرها ، لكن حال دون ذلك العديد من المشاغل ، ثم أقدم المرحوم الدكتور عبد الكريم عثمان على نشر الكتاب في قسمين تحت عنوان : « تثبيت دلائل النبوة » . [بيروت ــ دار العربية] .

وكتاب « تثبيت دلائل النبوة » من أعظم ما كتبه القاضي عبد الجبار شيخ المعتزلة في وقته ، حيث حوى مادة لا نكاد نجد لها نظيراً في كتاب آخر ، فيها تجلى سعة ثقافة القاضي عبد الجبار ، وعقله ومنطقه ، وفيها تجلى تعصبه الشديد للاسلام رغم اعتزاله ، ومن المؤسف أن هذا التعصب حرف القاضي عن جادة الصواب والحق ، وجعله يروي الأحداث ويصورها لا بصفته العالم العلم الاعتزالي الكبير ، بل بصفته الفقيه المتعصب الذي ألغى تعصبه أدوات المنطق والحياد لديه .

ورغم هذ افان القاضي عبد الجبار قد عاصر الخلافة الفاطمية ، وشهد بعض فصول الصراع بين هذه الخلافة وقرامطة الأحساء ، فقدم لنا مادة تاريخية تكاد أن تكون وثائقية ، إنما من وجهة نظر محددة ،

هي بلا شك معادية ، لا بل شديدة العداء ، وهذه المادة يمكن أن نرى فيها صورة تعكس بكل أمانة موقف أهل السنة من الدعوة الاسماعيلية والخلافة الفاطمية في مطلع القرن الخامس للهجرة ، وهي فترة على غاية من الأهمية ، لأنها مرحلة متقدمة في اليقظة الاسلامية المعادية للاسماعيلية التي كانت لتوها تستفيق من أزمات خطيرة شطرتها على نفسها ، وكان على رأسها ما تم في عصر الحاكم بأمر الله وقيام الديانة الدرزية •

اذاً عاصر القاضي عبد الجبار بداية تقهقر الفكر الاسماعيلي ، وتحول مدّه الى جزر ثم انحساره بشكل سريع ومريع للغاية •

لقد كان المرحوم الدكتور عبد الكريم عثمان مختصاً بالاعتزال وبالقاضي عبد الجبار وفكره بشكل خاص ، لكن مما يؤسف له ، رغم هذا الاختصاص لقد أخفق في قراءة كتاب تثبيت الدلائل ، وهكذا عجز عن تقديم متن صحيح منه للقارىء ، ولعل أحد أسباب ذلك ، أنه اعتمد على نسخة خطية واحدة للكتاب ، ثم أنه رحمه الله زين متن الكتاب بمجموعة من الحواشي والتعليقات تدل على أن خلفياته في التاريخ الاسلامي كانت في غاية الضعف، لكن هذا كله لا يغمط ما بذله من جهد في سبيل احياء هذا الكتاب الهام •

أما النص السادس فقد انتزعته من كتاب سفرنامة لناصري خسرو ، الرحالة الايراني المشهور ، وناصري خسرو كان قد ولد في احدى مدن خراسان لأسرة متوسطة الحال وكان ذلك سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م ، ونشأ مسلماً سنياً وتثقف ثقافة جيدة ، وفي مقتبل شبابه التحق بخدمة الادارة الغزنوية ، وكانت هذه الدولة قد شهد عصرها تطور اللغة والثقافة الايرانية الجديدة جنباً الى جنب اللغة العربية مع الثقافة

العربية الاسلامية ، لذلك أجاد ناصري خسرو العربية والايرانية ، وفي أيام ناصري خسرو انتزع التركمان بزعامة السلاجقة خراسان من الغزنويين ، وهكذا انتقل ناصري خسرو الى الادارةالسلجوقية،والتحق بخدمة جغري بك في مرو ، وكان جغري بك من أبرز زعماء السلاجقة وأخاً لطغرلبك أول سلاطنة السلاجقة .

وقد شهدت خراسان في بداية القرن الخامس نشاطاً دينياً كبيراً تجلى في الصراع بين مختلف المذاهب والفرق ، وتأثر ناصري خسرو بهذا الصراع فعايش الشكوك فترة من الزمن ، ثم تحول من السنة الى الشيعة لكن ذلك لم ينه حالة الشك لديه ، فقد احتار الى أي فرق الشيعة ينتمي ، وهنا قرر الرحلة نحو العراق وغيرها بحثاً عن الحقيقة .

وهكذا بدا رحلته الطويلة التي استغرقت سبع سنوات ، بدأت سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ ، ومرت بثلاث مراحل : وقد انتهت المرحلةالأولى سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ ، وهو تاريخ وصوله الى القاهرة حيث مكث حتى عام ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، وخلال هذه الاقامة حدث تحوله الى الاسماعيلية ، وصار واحداً من كبار دعاتها ، وغادر مصر ليبدأ المرحلة الثالثة والأخيرة من رحلته ، وزار خلال ذلك الحجاز ، وقضى فريضة الحج ، وبعد هذا توجه نحو الاحساء فزار عاصمة القرامطة ، وقدم لنا وصفاً لمشاهداته فيها ، ومن الأحساء ذهب الى البصرة ومن هنالك الى خراسان ، وكان على ذلك عام ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م تاريخ نهاية رحلته .

وبعد ما استقر في خراسان بدأ نشاطه الدعوي ، وقد كسب الى صفه جماعات كبيرة ، وكان ناصري خسرو شاعراً كبيراً ومصنفاً ، خلف

لنا تراثاً غنياً ، أوسعه شهرة رحلته ، التي يعتقد أنها فقدت ، وكان ما وصلنا منها مختصر لها ، وقد نشر هذا المختصر وترجم الى أكثر من لغة من بينها العربية ، وقام بالترجمة الى العربية الدكتور يحيى الخشاب وتم طباعة الترجمة أولا في القاهرة ثم أعيد طباعتها ثانية عام : ١٩٧٠ م في بيروت •

وقد انتزعت من هذه الترجمة وصف ناصري خسرو للاحساء ، والتزمت الى أبعد الحدود بهذه الترجمة مع تعديلات طفيفة قمت بها نتيجة لمقارنتها بترجمات أخرى خاصة الى الانكليزية ، ويكاد يكون وصف ناصري خسرو للأحساء أهم وثيقة تصل إلينا تتعلق بحياة ونظام دولة قرامطة البحرين •

ويحوي **القسم السابع** « كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » من تصنيف محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي ، ومحمد بن مالك لا نعرف الكثير عن حياته إلا ما نستخلصه من كتابه ، ذلك لعدم وصول ترجمة منفردة له في أي من المصادر اليمنيةالمعروفة ، ومن خلال الكتاب يبدو أن المصنف كان من أهل الفقه والمعرفة ، عاش في أوائل القرن الخامس ، وعاصر قيام الدولة الصليحية في اليمن ، وقد تأثر بالدعوة الصليحية الاسماعيلية ، وصار واحداً من رجالاتها ، ثم ما لبث أن انقلب عليها ، فصنف كتابه في الرد على الاسماعيلية ، وجاء هذا الرد تاريخياً على درجة كبيرة من الاهمية ، والمعلومات التي وردت فيه تكمل المواد التي أوردها صاحب سيرة الهادي الى الحق ، وإذا قلنا بأن مادة سيرة الهادي الى الحق دونت من وجهة نظر زيدية ، فان مادة الحمادي رغم طابعها الردي ، فاننا يمكن أن نعتبرها قد دونت منوجهة نظر صليحية اسماعيلية لشدة صلة المصنف بهذه الدعوة في السابق •

لقد نشر هذا الكتاب للمرة الأولى في القاهرة عام ١٩٣٩ ، وجاء هذا النشر دونما تحقيق ، لذلك ألم بالنص العديد من التصحيفات ، قمت بتقويمها جميعاً ، كما حليت النص بالحواشي الضرورية ، وقمت بضمه إلى مجلدنا هذا ، ميسراً من جديد وصوله إلى القارىء والباحث.

أما القسم الثامن فهــو عبارة عن فصل من فصول كتاب المنتظم لابن الجوزي، وقفه خصيصاً للحديث عن القرامطة من الجانب العقائدي وابن الجوزي هو الامام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي ، ولد في بغداد حوالي سنة ٥١٠ هـ وفيها نال ثقافته على كبار علماء عصره .

كان ابن الجوزي قرشي النسب ، تيمي القبيلة ، بكري النسبة ، يعتز بذلك ويفاخر بأنه حفيد الصديق الخليفة الأول في تاريخ الاسلام وقد تأثر بفقه مدرسة الامام أحمد بن حنبل ، وصار واحداً من أعلامها في عصره .

اشتهر بقوة الحجة وسرعة البديهة ، والقدرة النادرة في الوعظ ، لذلك كان عظيم التأثير في الناس ، وصلنا جزء كبير من مواعظه ، فيها نرى صورة واضحة لملكاته ولعصره ، وللعربية الدارجة آنذاك .

لقد كان ابن الجوزي غزير الانتاج واسع التصنيف ، من أهــم ما كتبه في التاريخ كتاب « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » جاء في عشر مجلدات نشر منها خمس في حيدر أباد الدكن في الهند ، وأعيد طباعة هذه المجلدات بالتصوير ، لكن لم يقدم أحد بعد على إعادة النظر فيما نشر والعمل على نشر الكتاب بجميع مجلداته ، رغم العثور على مخطوطة كاملة منه تم تصويرها في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية.

SS

اعتمد ابن الجوزي في الفصل الذي وقفه على القرامطة اعتماداً مطلقاً على كتاب « فضائح الباطنية » للامام الغزالي ، ويمكن اعتبار عمله مختصراً لكتاب الغزالي •

هذا وقد لاقى هذا الفصل عناية خاصة في أيامنا هذه فقام الاستاذ محمد صباغ بنشره أولاً عام ١٩٦٥ ، وجاء هنا في خمسين صفحة ثم أعاد نشره ثانية عام ١٩٦٨ في ثمانين صفحة ذات حجم صغير ، جعل منها سبع وعشرين صفحة مقدمةوالباقي أثبت فيه النص مع فهارس محدودة•

وعلى الرغم من عنـاية الاستاذ المحقق بنص الكتاب من حيث الضبط ، فانـه تجاوز المعقول في تضخيم حجمه ، ثـم جاءت مقدمته والحواشي التي ألحقها بالنص تنادي بأن صاحبها يرى الماضي من منظار التعصب الديني ، وهو على هذا يطلب من الماضي أكثر من الماضي ويعلل حوادثه طائفياً ، ويغمض ناظريه عن كل شيء إلا ما هو سلبي ، ولعل له عذره في ذلك ، فهو بالأصل اختصاصه بالأدب العربي وليس بالتاريخ الاسلامي وحضارته ، فهو على هذا يمكن تصنيفه بين الذين يقبلون على العمل في التاريخ بدافع الهواية لا الاحتراف ، ومقرر أن الهاوي يقود في عمله نحو الهاوية لأنه يعتمد الاثارة العاطفية ، دون تقدير للمسؤولية، وبلا التزام بشرط الحياد والعلمية والمنطق ، في حين أن المؤرخ المحترف ، يلتزم بقوانين علم التاريخ ، ويعتمد على الاقناع ، ويبتعد عن كل ما يثير العواطف لأن الحضارات لم يتم تشييدها بالعواطف بل بالعقول المفكرة بمنطق واتزان •

اما القسم التاسع فهو منتزع من كتاب « أخبار الدول المنقطعة » لعلي بن ظافر الأزدي ، وذلك اعتماداً على مخطوطتي المتحف البريطاني في لندن ومكتبة غوطا في ألمانية الشرقية •

وعلي بن ظافر الأزدي ولد في القاهرة سنة سبع وستين أو تسع وستين وخمسمائة ، وكان أبوه من كبار الفقهاء الأصوليين ، لذلك تفقه علي على والده ، ونال ثقافة عالية ، مما أهله لتسلم أسنى المناصب في الدولة الأيوبية في القاهرة ، وقد تقلب في المناصب من الوزارة الى بيت المال الى غير ذلك ، وظل في الخدمة مدة طويلة ، لكن ليس الى تاريخ وفاته الذي كان سنة ٦١٣ هـ وكان قد اعتزل الأعمال في أواخر أيامه وانصرف نحو التصنيف ، فاهتم بالتاريخ والسياسة والأدب كما أنه نظم الشعر وكان شعره رقيقاً ، ويعتبر كتابه أخبار الدول المنقطعة من أهم ما صنف في التاريخ ، حيث جعله في فصول متوالية وقف كل منها للتأريخ لدولة من الدول التالية : العبيدية الفاطمية، والساجية في الجبال، والاخشيدية في مصر ، والطولونية في مصر أيضاً ، والحمدانية في حلب، والخلافة العباسية ، والصنهاجية في افريقية ...

ومعلومات هذا الكتاب مفيدة في كثير من الجوانب وهي وإن دلت على أن مصنفها لم يكن مؤرخاً مبدعاً إلا أنها تدل على أنه كان قليل التعصب ولديه أحاسيس سياسية جيدة ، وهذا الكتاب ما زال مخطوطاً ، توجد منه أكثر من نسخة جيدة ، وهو جدير بالنشر ، وجاء اهتمامي به من خلال واحد من الأعمال التي قطعت شوطاً بعيداً فيها ، حيث جمعت أخبار الدولة الفاطمية من عدد من المصادر غير المنشورة ، على نية تحقيقها ودفعها إلى النشر ، بتوفيق الله وعونه[1] .

---

(١) انظر معجم الادباء لياقوت الحموي · ط · القاهرة ١٩٢٨ · التكملة لوفيات النقلة للمنذري · ط · بغداد ١٩٧١ ـ ٤/٢٣٧ ـ الاعلام للزركلي ·

SS

وقد انتزع القسم العاشر من كتاب « بغية الطلب في تاريخ حلب » لابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد المتوفي سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧ـ٦٨م).

ولد ابن العديم الذي كان سليل أسرة مرموقة جداً في حلب ، في ذي الحجة سنة : ٥٨٨ هـ [كانون الأول ١١٩٢م] وتحدث ابن العديم في سيرته لنفسه وأسرته ـ كما رواها ياقوت ـ بأنه عندما كان في السابعة من عمره ، أرسل إلى المدرسة ، وأنه وهو في التاسعة كان قادراً على قراءة القرآن .

وعلى العموم لقد تلقى ابن العديم ثقافة جيدة ، ونال حظاً وافياً من علوم عصره ، كما أن والده حرص على أن ينال ابنه تدريباً جيداً في الخط ، وهكذا غدا خط ابن العديم واحداً من أجمل الخطوط ، وأكثرها دقة وصواباً ، ومن الاطلاع على المجلدات العشر المتبقية من كتابه بغية الطلب ، والتي هي جميعاً بخط ابن العديم ، يمكن الحكم بأن ابن العديم كان واحداً من أعظم النساخ وأكثرهم ضبطاً في تاريخ الخط العربي .

وعندما بلغ ابن العديم الخامسة عشر من عمره زار القدس ودمشق التي زارها ثانية عندما أصبح في التاسعة عشر ، وعند بلوغه التاسعة والعشرين عين مدرساً في احدى مشاهير مدارس حلب ، ومنذ ذلك الحين ترقت به المناصب حتى غدا الشخصية الأولى بين أهالي حلب ، ونال درجة وزارة مملكة حلب . وكشخصية مرموقة زار ابن العديم في أكثر من مناسبة العراق ومصر وكثيراً من مدن بلاد الشام وذلك غالباً كمبعوث موفد من قبل مملكة حلب .

لقد كان تحت تصرف ابن العديم تراث أسرته العلمي ، ومكتبات

حلب الغنية ، ووثائق ومدونات المملكة ، يضاف الـى ذلك أن رحلاته الكثيرة ومكانته الرفيعة قد مكناه من مقابلة علماء عصره في مصر وبلاد الشام والعراق ، وهؤلاء الذين زاروا حلباً أو مروا بها ، كما مكناه من الاطلاع على مكتبات هذه الأقاليم وجمع المعلومات منها •

ولقد أفرغ ابن العديم المعلومات التي جمعها أو شاهد أحداثها مع تجاربه كلها في كتابه بغية الطلب ، وبالاضافة الى بغية الطلب فقد كتب ابن العديم عدداً من الكتب الأخرى التي تحوي مواضيع مختلفة ، لكن رغم هذا ان الطبيعة التاريخية تسيطر عليها جميعاً •

ولقد قيل بأن كتاب بغية الطلب كان يحوي أربعين مجلدة في كل واحدة منها ما قد يزيد على الثلاثمائة ورقة• ومن سوء الحظ فقد وصلنا عشر فقط من هذه المجلدات الأربعين ، كلها كما سبق لي أن أشرت بخط ابن العديم نفسه، وتحوي هذه المجلدات العشر: الأول من الكتاب، وكذلك المجلد الأخير من الأربعين • وبهذا فإن فحص هذه المجلدات المتبقية يبين طريقة ومذهب ابن العديم في تصنيف كتابه •

لقد كتب ابن العديم أولاً حول الجزء الشمالي من بلاد الشام من الناحية الجغرافية ومن ناحية الفضائل ، وخصص فصلاً تحدث فيه عن القبائل العربية التي توطنت شمال بلاد الشام وخص بالذكر قبيلة كلاب، وبعد ذلك بدأ يسرد تاريخ هذه المنطقة على طريقة الحوليات ، وعند فراغه من هذا قام بوضع معجم ألف ــ بائي ترجم فيه لكل من نشـأ أو اجتاز بجزء من الشام الأعلى من الشخصيات السياسية أو العلمية أو الثقافية سواء أكان ذلك قبل الإسلام أو بعده •

لقد صرح عدد من المؤرخين المتأخرين بأن ابن العديم لم ينه كتابة كتابه بغية الطلب وانما كتب مسودته فقط ، وهذا في الحقيقة وهم ناتج

عن سوء فهم لطريقة ابن العديم ، وبتصوري طريقة أي انسان متقدم جمع كتاباً ضخماً كبغية الطلب • ان وصول المجلد الأول والأخير من الكتاب يبرهن على أن ابن العديم قد أنهاه قبل موته ، لا بل ان بعض السماعات التي دونت في حواشي الكتاب ــ وهي سماعات أولاد ابن العديم على أبيهم ــ تشير الى أن الكتاب ربما أنجز تأليفه قبل وفاة ابن العديم على الأقل بعشر سنوات • وربما أن الأسباب التي قادت بعض المؤرخين المتأخرين الى قولهم هي : أن ما من أحد منهم كان قادراً على رؤية أو قراءة الكتاب جميعه ، ثم وجود بعض أوراق بيضاء لم يكتب عليها في ثنايا بعض المجلدات • ويبدو أن كتاب ابن العديم قد عانى بعض ما عاناه صاحبه وبلاد الشام من الغزو المغولي فتبعثرت مجلداته ولم يتهيأ له من يقوم بنسخه ونشره بين الناس ، يضاف الى هــذا أن الأوراق البيض قد تكون قد تركت عن قصد لإضافة معلومات جديدة • ومن المفيد الذكر أن ولد ابن العديم قد قام بتدوين بعض ما لم يتمكن والده من اضافته في بعض هذه الفراغات •

ومهما كانت الحال فإن كتاب بغيــة الطلب هو عبــارة عن منجم غني جداً بالمعلومات التاريخية وغيرها مما يتعلق مباشرة بالشام الأعلى كجزء ، وبالشام جميعه ككل ، ثم بالعالم الاسلامي كوحدة دينية وثقافية وحضارية•في هذا الكتاب معلومات حول حياة وتاريخ الثغور الاسلامية البيزنطية ليس لها نظير في التفصيل والشمول والجدة ، حيث يمكن أن يقام عليها لوحدها دراسة رائعــة • وفي الحقيقة انــه لمن المستحيل أن أستطيع أن أقدم هنا في هذه المقدمة السريعة وصفاً كاملاً ، أو دراسة وافية لهذا الكتاب ، حيث أن ذلك يحتاج لأطروحة كاملة أو لمجلد منفصــل •

لم ينشر من المجلدات الباقية من بغية الطلب سوى تنف يسيرة ، ولأهمية الكتاب وحاجة المكتبة العربية والباحثين اليه أقوم الآن بالعمل على نشره ، وقد دفعت المجلدة الأولى منه للطباعة ، وأملي كبير بخروجها قريباً .

ان من بين التراجم البالغة الأهمية التي تحويها هذه المجلدات الباقية ترجمة لصاحب الخال القرمطي . وتحوي هذه الترجمة معلومات على غاية من الخطورة نقلها ابن العديم من تواريخ ومؤلفات عدد من المتقدمين الذين لم تصلنا معظم كتبهم ، وهم :[1] .

---

(١) إن جميع مخطوطات المجلدات العشرة المتبقية من بغية الطلب موجودة في مكتبات استانبول . واحد (وهو الاول) في مكتبة أبا صوفيا برقم٣٠٣٦ وثمانية في أحمد الثالث في طوب قبو سراي برقم ٢٩٢٥ . وواحد في فيض الله برقم ١٤٠٤ .
هذا ويوجد نسخة عن المجلد الثالث لاحمد الثالث في المكتبة الوطنية في باريس برقم ٢١٣٨ وهي لا باس بها ، انما لا قيمة كبيرة لها طالما أن نسخة المؤلف موجودة . ويوجد في المتحف البريطاني في لندن نسخة سيئة عن المجلد الثامن من نسخة أحمد الثالث وهي برقم Add 23,354 وهناك كما أخبرت نسخة عن المجلد الاول لاحمد الثالث في مكتبة المرحوم داود جلبي في الموصل . لقد تمكنت من الحصول على مصورات العشر مجلدات الموجودة في استانبول ومجلد باريس لكنني أخفقت في الحصول على مصورة مجلد داود جلبي ولم أر فائدة في تصوير مجلد المتحف البريطاني ذلك أنني طالعته مباشرة وقارنته مع النسخة الام . لقد انتزعت النصوص التي أقوم اليوم بنشرها من المجلد الثالث لاحمد الثالث ١٢٩ ظ ـ ١٤٢ ـ و . ومن المجلد الخامس لنفس المكتبة ٢٣١ ظ ـ ٢٣٣ و .
انظر معجم الادباء ٦/١٩ ـ ٤٦ . زبدة الحلب ، تحقيق سامي الدهان . دمشق ١٩٥١ ، ١/١٣ ـ ٧٩ . اعلام النبلاء للطباخ (محمد راغب) حلب ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ ، ٤/٤٨٠ ـ ٥١٢ الاعلام للزركلي (عمر بن أحمد بن العديم) ٥٦٨ . Brock, 1, 404 (332) : S.1.568.
Historian of The Middle East, Edited by Bernard Lewis snd P. M. Holt. London 1964 : PP. 111 - 113 .

SS

أ ــ أبو عبد الله محمد بن يوسف الأنباري الكاتب ٠ ولعله هو الذي ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه (٣/٣٩٣) ولكن دونما اشارة الى حياته وعمله أو سنة وفاته ٠ واذا صح وكان هو المقصود فإن في تاريخ الخطيب نفسه (١٤ / ٦٥) ما يوحي بأنه كان من رجال القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد ٠

ب ــ أبو محمد عبد الله بن الحسين القطربلي ومحمد بن مزيد (أو ابن أحمد بن مزيد) ابن محمود المعروف بابن أبي الأزهر ٠ وهما قد اجتمعا وكان (من الزَوْل اجتماعهما على تأليف كتاب ، وقل ما يعرف مثل ذلك) ٠ وكان هذا الكتاب كتاب تاريخ كان (أهل بغداد وأهل مصر يزعمون أنه لم يصنف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمه) ٠

ولد ابن أبي الأزهر كما نقل الذهبي في سنة ٢٣٢/٨٥٦ وتوفي في جمادى الآخرة في سنة ٣٣٥ [كانون الثاني ٩٤٧] ٠ وقد صنف في حياته بالاضافة الى الكتاب الآنف ذكره الذي عمله مع القطربلي ، عدداً من الكتب منها أخبار الهرج والمرج في أخبار المستعين والمعتز وكتاب أخبار عقلاء المجانين وكتاب قدماء البلغاء ٠

وفي حين أنني تمكنت من الاهتداء الى أكثر من ترجمة لابن أبي الأزهر أخفقت في الوقوف على واحدة للقطربلي ٠ وقد وهمت الدكتورة عائشة عبد الرحمن حين ظنته أنه هو الذي ذكره ابن النديم في فهرسه [ص ١٨٦ ٠ ط ٠ القاهرة] ٠ فهذا اسمه : أحمد بن عبد الله بن الحسين ابن سعيد القطربلي وكان يكنى بأبي الحسن في حين أن اسم صاحبنا كما ذكر ابن العديم ونقل حاجي خليفة عن ابن خلكان : عبد الله بن الحسين

القطربلي وكان يكنى بأبي محمد والذي ذكره ابن النديم أشبه بأن يكون ابناً له من أن يكون هو نفسه[1] •

ت ـ أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح الكاتب عم علي بن عيسى الوزير العباسي الشهير ، ولد سنة ٢٤٣/٨٥٧ وتوفي مقتولاً في شهر ربيع الآخر لسنة ٢٩٦/ كانون الثاني ٩٠٩ • تقلد بعض أعمال الدواوين للخلافة وتورط في مشاكلها مما سبب فقدان حياته • كان محمد بن داود « فاضلاً عارفاً بأيام الناس وأخبار الخلفاء والوزراء وله في ذلك مصنفات معروفة » من مصنفاته كتاب الورقة في أخبار الشعراء• كتاب الشعر والشعراء • كتاب من اسمه عمرو من الشعراء • كتاب الوزراء • وكتاب الأربعة على مثال كتاب أبي هفان « الأربعة في أخبار الشعراء » • وكتاب أخبار القرامطة[2] •

---

(١) مروج الذهب للمسعودي • ط• القاهرة ١٩٥٨ ، ١٦/١ • الفهرس لابن النديم ط• القاهرة في ٢١١ • رسالة الغفران لأبي العلاء المعري • ط• ١٩٦٩ : ٢٩،٤٢٤ • تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ـ ط• القاهرة ١٩٣١ : ٢٨٨/٣ . تاريخ الإسلام للذهبي مخطوطة المتحف البريطاني OR ٤٨ : ١٧١ و • بغية الوعاة لجلال الدين عبد الرحمن للسيوطي ـ ط : القاهرة ١٣٢٦ هـ • ص ١٠٤ • الاعلان بالتوبيخ للسخاوي ـ ط• بغداد ١٩٦٣ ، ص ٦٩٤ • كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ط• ليبزغ ١٨٣٧ : ١١٠/٢ ، ١٣٧ •

(٢) طبع كتاب الورقة في القاهرة بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج • ووصف الاستاذ حمد الجاسر مخطوطة لكتاب من اسمه عمرو من الشعراء وبدأ بنشرها وذلك في مجلته « العرب » عدد كانون أول وما بعده من أعداد سنة ١٩٧٠ • انظر أيضاً الفهرس لابن النديم ط• ليبزغ ١٨٧١ ، ١٢٨/١ • تاريخ بغداد ٢٥٥/٥ • المنتظم لابن الجوزي ـ ط• حيدر أباد سنة ١٣٥٧ هـ : ٧٩/٦ • والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي، تحقيق هلموت ريتر ١٩٦١ : ٦١/٣ـ٦٢ • وفوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ـ ط• بولاق الثانية : ٢٠٢/٢ •

ث ــ أبو بكر محمد بن يحيى بن عبــد الله الصولي المتوفي سنة ٣٣٦/٩٤٧ • وهو أيضاً كان من مشاهير كتاب الدولة العباسية وشغل عدداً من المناصب وألف عدداً من الكتب ، منها كتاب الأوراق • وأدب الكتاب • وكتاب الوزراء وعدداً آخر عددهم ابن النديم في فهرســه وكذلك فعل آخرون ممن ترجم له[1] •

ج ــ أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن المهذب من أهالي معرة النعمان كتب كتاباً في التاريخ أكثر ابن العديم النقل منه • ولم أقف لابن المهذب على ترجمة انما ابن العديم قد ذكره بين تلاميذ أبي العلاء المعري الذي توفي سنة ٤٤٩/١٠٥٧ ، وهذا يعني أنه كان من رجال القرن الخامس / الحادي عشر • ومن المحتمل أن نسخة من تاريخ ابن المهذب قد كانت موجودة في العصر العثماني ذلك أن حاجي خليفة قد ذكر الكتاب في كتابه كشف الظنون[2] •

ج ــ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر

---

(١) مروج الذهب للمسعودي : ١/١٥ • الفهرس لابن النديم ــ ط• القاهرة ص ٢٢١ • تاريخ بغداد ٣/٤٢٧ ــ ٤٣٢ • المنتظم ٦/٣٥٩ــ٣٦١ وفيات الأعيان • ط ، باريس ١٨٣٨ : ١/٧١٤ • ٧١٦ • البداية والنهاية : ١١/٢١٩ ــ ٢٢٠ •

(٢) بغية الطلب ، أحمد الثالث : ١/١٩٦ و • الإنصاف والتحري في تعريف القدماء بأبي العلاء • ط• القاهرة ١٩٤٤ ص ٥١٧ • ومن المفيد ذكره أن الاستاذ حمد الجاسر قد أخبرني بأن أحد أحفاد ابن العديم قد كتب كتابا اسمه سوق الفاضل في ترجمة القاضي الفاضل وأنه قد نقل النص الكامل للإنصاف والتحري وضمنه كتابه هذا ، ومخطوطة هذا الكتاب موجودة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت في المدينة برقم /٤١٠/ قديم أو /١١٨/ جديد ، وهناك نسخة مصورة عن هذا الكتاب في معهد المخطوطات في القاهرة • انظر أيضا كشف الظنون ٢/١٠٥ •

SS

صاحب تاريخ دمشق . ولد ابن عساكر في دمشق سنـــة ٤٩٩/١١٠٥ وتوفي سنة ١١٧٥/٥٧١ . ان ابن عساكر أشهر من أن يعرف به في هذه المقدمة ويكفي هنا أن أحيل على مقدمة المجلدة الأولى من تاريخه التي صنعها الدكتور صلاح المنجد حيث أنها شاملة ووافية[1] .

خ ــ ثابت بن سنان وقد سبق وترجمنا له .

أما القسم الحادي عشر فقد تم انتزاعه من « كتاب نهاية الأرب » للنويري ، ومن المجلدة الخاصة التي وقفها من كتابه للحديث عن تاريخ الخلافة الفاطمية ، وهذه المجلدة هي واحداً من الكتب التي عزمت على نشرها ضمن مجموعة أخبار الدولة الفاطمية، وكان قد سبق لي الحصول على مصورة لهــذه المجلدة عام ١٩٦٧ عن مخطوطة محفوظــة في دار الكتب المصرية .

والنويري هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبـد الدائم القرشي التيمي البكري ، عرف بلقب شهــاب الدين ، وشهر بالنويري نسبة الى نويرة ، وهي قرية من قرى بني سويف في مصر ، كانت ولادته سنة ٦٧٧ هـ وحسب بعض الروايات ٦٨٢ هـ ، ذلك أنه توفي سنة ٧٣٢هـ وهو من أبناء الخمسين[2] .

نال النويري ثقافة جيدة ، ويبدو أنه عمل في الوراقة ، بحيث كان ينسخ بخط يده الكتب ويبيعها ، حتى أنه نسخ صحيح البخاري ثماني

---

(١) تاريخ مدينة دمشق . ط. دمشق ١٩٥١ ، ١/٥ ــ ٤٠ .

(٢) انظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لأبي المحاسن بن تغري بردي ــ ط. القاهرة ١٩٥٦ــ١/٣٦١ــ٣٦٢ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ــ ط. القاهرة ــ ٩/٢٩٩ . البداية والنهاية لابن كثير ــ ط . القاهرة : ١٤/١٦٤ . الأعلام للزركلي .

مرات ، وكان خطه من الجودة والضبط بمكان ، وهو يأتي على رأس الموسوعين العرب ، ونال شهرته من خلال تصنيف كتابه « نهاية الأرب في علم الأدب » وجاء هذا الكتاب في ثلاثين مجلدة كبار ، وقد نشر حتى الآن قسم كبير من هذا الكتاب العملاق ، والأمل كبير بأن يتم نشر بقيته خاصة الأقسام التاريخية منه •

هذا وقد سبق لأكثر من باحث الاستفادة القصوى مما كتبه النويري وضمنه في موسوعته من معلومات ، خاصة فيما يتعلق بالقرامطة حيث وقف فصلاً خاصاً من كتابه لهذا الموضوع ، لسوء حظي أنه لم يتح لي بعد الحصول على نسخة منه •

وتم انتزاع القسم الثاني عشر من كتابي « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » « والمقفى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها » لمؤرخ مصر الاسلامية المقريزي •

والمقريزي هو تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ولد في القاهرة سنة ٧٦٦ هـ من أسرة تنتمي بالأصل الى بلدة بعلبك ، قيل أنها كانت تقطن في حي من أحياء بعلبك عرف باسم حي المقارزة ، زالت الآن معالمه ولم يعد أحد يعرفه •

نشأ المقريزي في كنف جده لأمه ، ويعرف بابن الصائغ ، وكان من علماء الحنفية ، لهذا تأثر الحفيد بالجد ، فكان حنفياً حتى غـدا شاباً فتحول الى المذهب الشافعي •

حصل المقريزي على ثقافة عالية ، والتحق بعدد من الوظائف السامية كما قـام بزيارة عدد من بلدان العرب خاصة مكة ودمشق ، حيث أقام

في كل منهما فترة طويلة ، وقد انتهت حياته في القاهرة سنة : ٧٤٥هـ •

كان المقريزي غزير الانتاج ، وخاصة في ميادين التاريخ ، وهو قد عاصر ابن خلدون وقد تأثر به كثيراً أثناء اقامته في القاهرة ، وقامت بينهما وشائج من القربى ، ويمكن تصنيف نتاج المقريزي الى قسمين : المؤلفات الكبيرة ، والرسائل الصغيرة ، وقد وقف مؤلفاته الكبيرة إما لموضوع من مواضيع التاريخ الاسلامي العام ، أو لتاريخ مصر الاسلامية السياسي والعمراني ، عبر عدة مراحل أولها منذ الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية ، وثانيها تاريخ لهذه الخلافة حتى سقوطها ، وثالثها منذ نهاية العصر الفاطمي وحتى أيامه •

أما الرسائل الصغيرة فقد عالج فيها المقريزي عدداً من المواضيع الهامة للغاية ، وفي هذه الرسائل تظهر أصالة المقريزي وعبقريته العظيمة وصورة المقريزي في رسائله هي معاكسة لصورته في مؤلفاته الكبيرة ، حيث أنه في غالبية هذه المؤلفات الكبيرة هـو كحاطب ليل يغـير على مصنفات الذين سبقوه فينقل عنها ما شاء لـه الحظ أن يفعل دون أن يشير الى مصادره ، وهنا اذا حدث وورد ذكر مصدر من المصادر في نص من كتب المقريزي فهو في الغالب مصدر اعتمـده صاحب الكتاب الذي أغار عليه المقريزي دون أن يسميه •

ورغم هذا فان كتب المقريزي على اختلاف أحجامها فيغايةالاهمية لأن المصادر التي اعتمدها هي محجوبة عنا الآن وتعتبر في حكم المفقود

لقد تجمع لدى المقريزي مادة تاريخية كبيرة للغاية أراد في أواخر أيامه تصنيفها في كتاب تاريخ كبير يؤرخ به لمصر والوافدين عليها يجعله في ثمانين مجلدة كبيرة مثـل تاريخ دمشق لابن عساكر ، وقـد لحق

المقريزي بربه قبل أن يتاح له اكمال مشروعه الكبير هذا ، الذي بوبه حسب حروف المعجم ، وقد قيل بأنه كتب منـه ست عشرة مجلدة قبل أن يتوفى •

لا ندري مدى صحة هذه الرواية ، وبنفس الوقت لا ندري حجم المجلدة لدى المقريزي ، والذي أعرفه الآن هو أنني وقفت على خمس مجلدات من هذا الكتاب لدي مصورة لهـا جميعاً ، أربع منها بخط المقريزي ، وهذه المجلدات واحد منها أعتقد أنه الأول محفوظ الآن في مكتبة برتو باشا في استانبول ، وهو كما صرح ناسخه قد نسخه عـن نسخة بخط المقريزي وهو مجلد كبير للغاية ، أما المجلدات الأربـع فثلاثة منها في ليدن وواحد في باريس وقد قمت باستعراض مواد هذه المجلدات واستخرجت منها ما يختص بالخلافة الفاطمية ، كما استخرجت منها كتاباً كاملا يؤرخ للدولة العباسية ، أنـا في المراحل الأخيرة مـن تحقيقه ، وأطمع أن أدفعه للطباعة الصيف المقبل بعونه تعالى •

من مجلدة برتو باشا قمت بانتزاع ترجمة الحسن الأعصم زعيم قرامطة الأحساء الذي تصدى للخلافة الفاطمية في بداية عهدها المصري الشامي كما أخرجت منه تراجم لكل من جوهر الصقلبي وجعفر بن فلاح وسواهما ، وقد سبق لي نشر هذه التراجم في كتابي « مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية » و « تاريخ أخبار القرامطة » الذي هو أصل كتابنا الذي نقدم له اليوم •

كما سلف القول بأن المقريزي وقف كتابه « اتعاظ الحنفا » على الخلافة الفاطمية ، وهذا الكتاب اعتبر فيما مضى وما زال يعتبر أفضل مصادر التاريخ الفاطمي ، وقد أثار هذا الكتاب جدلا حـول المقريزي

وميوله المذهبية ، عالجها أكثر من باحث من بينهم المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال ، والدكتور محمد مصطفى زيادة[1] •

وقد تم التعرف أولا الى هذا الكتاب عبر نسخة خطية ناقصة عثر عليها في مكتبه غوطا بالمانية ، وقد نشرت هذه القطعة أولا سنة ١٩٠٩ بعناية المستشرق الالماني هوجر بونز ، وقد أعاد المرحوم الشيال نشر هذه القطعة ثانية بعناية أكبر سنة ١٩٤٨ في القاهرة •

وبعد هذا بوقت قصير تم التعرف الى نسخة كاملة من الكتاب تقع في مائة وسبعون ورقة ، وهي محفوظة الآن في مكتبة أحمد الثالث في طوب قبو سراي في استانبول •

واهتم المرحوم الدكتور الشيال مجددا بالكتاب واستطاع قبل وفاته نشر قسم من الكتاب عام ١٩٦٧ في القاهرة ، وفي هذا القسم أفرد المقريزي فصلا خاصاً وقفه للحديث عن القرامطة ، ومادة هذا الفصل غنية جداً وعظيمة الفائدة وهي مع ما نعرفه من نصوص أخرى تكمل صورة تاريخ القرامطة وتزيده وضوحاً •

وأثناء عملي بتاريخ حركات القرامطة عدت مراراً الى هذا الفصل، ولا حظت أثناء عودتي لطبعة المرحوم الشيال الأخيرة ، أنه رحمه الله رغم تخصصه بكتب المقريزي لم يحالفه الحظ تماما في قراءة فصل القرامطة ، لهذ اجاء محشواً بالتصحيفات خاصة أسماء العديد من المدن والقرى في سواد العراق ، حيث ذكر في الحواشي أنه لم يقف لها على ذكر ، لهذا عمدت الى اعادة النظر في تحقيق هذا الفصل وأدخلته ضمن

---

(١) انظر اتعاظ الحنفا • ط• القاهرة : ١٩٦٧ : ١/١١ ـ ٢٣ •

كتابي هذا واعتمدت في عملي على مطبوعة عام ١٩٦٧ مع النسخةالخطية الكاملة للكتاب والمحفوظة في مكتبة أحمد الثالث تحت رقم ١٠١٣ ، حيث أنني أمتلك نسخة مصورة عنها ، ما زلت أنوي اعادة نشرها ضمن مجموعة تاريخ الخلافة الفاطمية ، والله هو الموفق والمعين .

أما القسم الثالث عشر فقد تم انتزاعهمن كتاب « العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك » تصنيف علي بن الحسن الخزرجي .

ولد الخزرجي سنة ٧٣٢ هـ في مدينة زبيد ، وفيها نشأ ونال ثقافته وقد عاش في ظل الدولة الرسولية ، ولربما التحق بخدمة هذه الدولة ، وظل يعيش في كنفها حتى وفاته سنة : ٨١٢ هـ .

يعتبر الخزرجي كبير مؤرخي اليمن المتأخرين ، كتب في تاريخ اليمن العام كما كتب في التاريخ الخاص ، خاصة تاريخ الدولة الرسولية التي وقف على أخبارها « العقود اللؤلؤية » .

ولعل أهم كتبه في تاريخ اليمن العام كتابه الموسوم « بالعسجد المسبوك » ويبدو أنه أرخ به لليمن ، منذ ما قبل الاسلام وحتى أيامه ، وأن تصنيفه له قد مر بعدة مراحل في كل مرحلة عرف فيها باسم خاص ، لهذا تعددت أسماء نسخ هذا الكتاب ، انما يبدو أن آخر عنوان اعتمده هو « العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك » .

لقد وقف الخزرجي فصلا خاصاً من فصول كتابه هذا على تاريخ قرامطة اليمن ، وقدم في هذا الفصل مادة على درجة كبيرة من الأهمية ونص الخزرجي هذا هو ثالث نصوص كتابنا الذي نقدم له اليوم عن قرامطة اليمن ، ويمكن القول بأنه كتب من وجهة نظر يمانية محافظة والى حد ما محايدة .

SS

واطلعت على هذا النص لاول مرة منـذ سنوات بوساطة عالـم العرب والجزيرة الاستاذ حمد الجاسر ، حيث كان لديه مأخوذاً عـن نسخة الحرم المكي من الكتاب ، ومنذ بضعة أشهر جرى تكليفي من قبل وزارة الاعلام في صنعاء بالعمل على تحقيق هذا الكتاب ، وأرسل إليّ مصورة مخطوطة الجامع الكبير في صنعاء ، واعتماداً على نسختي الحرم المكي والجامع الكبـير قمت بتحقيق هـذا الفصل وألحقتـه بكتابي هذا [1] .

ان هذا الكتاب يحوي جل ما كتبه العرب حول تاريخ القرامطة ، ولم يحدث قط أن حوى كتاب آخر ما حواه ، على أنه للانصاف ينبغي القول بأنه ما زال هناك العديد من الكتب فيها مواد خطيرة حول تاريخ القرامطة ، من بينها تاريخ الطبري ، والحدائق والعيون لمؤلف مجهول ، وتجارب الأمم لمسكويه ، والكامل لابن الأثـير وكذلـك بعض كتب الفرق والملل .

ومع هذا فان نصوص كتابنا هذا تقدم صورة متكاملـة لتاريخ القرامطة ، تزداد تدعيماً بما أوردته المصادر المشار اليها ، انمـا دون زيادة تفاصيل هامة تبدل الصورة أو حتى تعدلها ، مع التأكيـد على ما سبق وذكرته أنه لم يسبق من قبل طرح موضوع تاريخ قرامطة اليمن في كتاب قبل كتابنا هذا .

لقد رتبت نصوص هذا الكتاب حسب سابقـة المؤلف بالوفاة ، وليس حسب الموضوع الأول فيها ، لأن هذا أمر لم يلتزم به أي واحد

---

(١) انظر راضي دغفوس « اليمن في عهد الولاة » منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٩ : ٥ــ٢٣ .

من المصنفين وبذلت في تحقيق هذا الكتاب غاية الجهد ، وأفرغت فيه محصلة أعمال بحث استمرت أكثر من عشر سنوات ، لكن رغم هذا فان جهدي هو جهد انسان محدود الطاقات ، بعيد عن العصمة قريب من مواقع الغلط والوهم ، وكما حدث معي حين قمت بتقويم بعض أغاليط جيل مضى من الباحثين أتوقع أن يأتي من يقوم لي أغاليطي ، ان وجدت ....

هذه دعوة الى القاري والباحث للنقد البناء المفيد بالمراسلة الخاصة أو عبر المجلات والصحف ، راجياً ممن يقوم بذلك اخباري أو ارسال نسخة من نقده ، وسأكون عظيم الحظ اذا أغنيت تجربتي بتجارب غيري.

والله تعالى من وراء القصد وله الحمد والمنة ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسلم تسليماً كثيراً .

سهيل زكار



SS

أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

تصنيف

ثابت بن سنان بن قرة الصابئ وآله - علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي

الداعية الإسماعيلي أحمد بن ابراهيم النيسابوري - داعية إسماعيلي قديم مجهول

القاضي عبد الجبار الهمذاني - ناصر خسرو - محمد بن مالك اليماني

عبد الرحمن بن الجوزي - علي بن ظافر الأزدي - الصاحب كمال الدين بن العديم

أحمد بن عبد الوهاب النويري - أحمد بن علي المقريزي - علي بن الحسن الخزرجي

SS

تاريخ أخبار القرامطة

تصنيف حجة المؤرخين، الثقة، جهبذ[1] عصره، ثابت بن سنان ابن قرة الصابيء، صاحب التاريخ الشهير، المتوفى في سلخ [ذي] الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة هجرية[2].

(١) في الأصل جهبذة .

(٢) أضيف هذا بخط مخالف لخط الأصل، وعلى ورق مخالف أيضاً ، ربما أثناء تجليد النسخة هذه من قبل أحد الذين امتلكوها .

SS

بيان مبتدى ظهور القرامطة

في سنة ثمان وسبعين ومائتين

أول ظهورهم بالكوفة .

ثم أبي سعيد الجَنّابي بهجر .

ثم القَرْمَطِيْ الذي كان يعبر عن نفسه أنه اذا أشار الى ناحية عدوه انهزم.

ثم أبي الشامة .

ثم ابن زَكَرَوَيْه .

ثم أبي طاهر .

ثم أبي الحسن .

والحسين بن بهرام .

ثم الحسن بن أحمد .

وبدءُ ظهورهم كان في عصر الخليفة المعتضد .

والخليفة المقتدر .

وابن المعتز .

وخلافة القاهر .

وخلافة الراضي .

وخلافة المتقي .

ومعز الدولة .

والمعز لدين الله بمصر وولده العزيز[1] .

---

(١) وقعت هذه الصفحة مقابل صفحة (٥٢) من الأصل .

SS

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي ومنه العون

الحمد لله جل جلاله ، منشيء الخلائق من العدم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، سيد العرب والعجم .

وبعد فهذا كتاب توخيت في تدبيجه ، أخبار طائفة ، مما مضى من البشر ، تُدعّى بالقرامطة ، وأوضحت فيها ما كانوا عليها من النحلة والعقيدة ، مما كانوا عليه الى زمن انقراضهم ، واضمحلال أمرهم ، وهلاكهم وقطع دابرهم ، معتمداً في ذلك على آراء معاصريهم من المؤرخين الحجة الثقة ، والله ولي التوفيق .

باب بدء ظهور القرامطة ومنزلتها من التاريخ

في سنة مائتين وثمان وسبعين من الهجرة .

فيها : تحرك بسواد الكوفة ، قوم يعرفون بالقرامطة .

وكان ابتداء أمرهم — فيما ذكر — أن زعيم هذه الطائفة قدم من بلدة من خوزستان الى[1] عاصمة الكوفة فنزل بموضع يقال له النهرين ، وتظاهر بالزهد والورع والتقشف و [كان] يسف الخوص[2] ، ويأكل من كسب يده ، ويكثر من الصلاة ، وأقام على ذلك زمناً كبيراً[3] .

٣ وكان اذا جاءه شخص ، وجلس معه ، تحدث / معه في أمر الدين ، وزهده في الدنيا ، وأخبره أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، حتى فشا ذلك بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو الى امام من أهل البيت[4] . فأقام على الدعاية حتى اجتمع حوله جمع كبير .

واصطحب برجل بقال وكان يكثر الجلوس على باب حانوته ، فجاء

---

(١) في الطبري ٢١٢٤ – سواد الكوفة – .

(٢) الخوص : ورق النخل ، وسف الخوص : نسجه . القاموس .

(٣) في الأصل – زمن كبير – والزيادة مما اقتضاه السياق .

(٤) الطبري ٢١٢٤ – من أهل بيت الرسول – .

SS

يوماً [١] قوم الى البقال وطلبوا منه رجلا يحفظ عليهم مـــا صرموا من نخلهم ، فـدلهم عليه ، وقال لهم : « ان أجابكم الى حفـظ تمركُم [٢] فانه بحيث تحبون» فـكلموه في ذلك فأجابهم الى ذلك بأجر معلوم ، فكان يحفظ لهم ، ويصلي أكثر نهاره ويصوم ، ويأخذ عند افـطاره رطلا [٣] من التمر من البقال فيأكله ، ويجمع النوى ويعطيه البقال .

فلما حمل التجار تمرهم حاسبوا أجيرهم عند البقال ودفعوا اليه أجرته ، وحاسب الأجير البقال على ما أخذه من التمر ، ودفع له ثمن النوى [٤]. فسمع أصحاب التمر محاسبته للبقال بثمن النوى ، فضربوه ، وقـالوا له : « لم ترض بأكل تمرنا حتى بعت النوى » / فقال لهم البقال « لاتفعلوا » [٥] ٤ وقص عليهم القصة ، فندموا على ضربه ، واستحلوا منه ففعل .

وازداد بذلك [نبلاً] [٦] عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده ، ثم مرض ، فـتمكث على الطريق مطروحاً ، وكان في القرية رجل يدعى « كرميته » لحمرة عينيه - وهو بالنبطية [أحمر العينين] [٧] - يحمل على أثوار له ، فـكلم البقال [٨] في حمل المريض الى بيته ، فحمله وأقـام حتى برىء .

---

(١) في الاصل - يوم - .

(٢) الطبري ٥ ٢١٢ - ثمرتكم - .

(٣) في الاصل - رطل - .

(٤) الطبري ٢١٢٥ - وحط من ذلك ثمن النوى - .

(٥) في الطبري ٢١٢٥ - لاتفعلوا فإنه لم يمس تمركم وقص - .

(٦) زيادة من الطبري - ٢١٢٥ - .

(٧) زيادة من الطبري - ٢١٢٥ - والمقصود بالنبطية اللهجة المحليـة لسكان سواد العراق ، فقد عرفوا في الماضي باسم النبط . وهي ذات صلة وثيقة بالآرامية كما هو معتقد.

(٨) الطبري ٢١٢٥ - فكلم البقال كرميته هذا في أن يحمل هذا العليل الى منزله ويوصي أهله بالاشراف عليه ، والعناية به ، ففعل .

SS

ودعا أهل القرية الى اعتناق مذهبه فأجابوه . وكان يأخذ من كل رجل ديناراً ، ويزعم أنه للامام . واتخذ منهم اثني عشر نقيباً ، وأمرهم أن يدعو الناس الى نحلته ، وقال لهم : أنتم كحواريي عيسى . فاشتغل أهل كور [تلك الناحية] (١) عن أعمالهم ، بما رسم لهم (٢) من الصلوات ، وكان للهَيْصَم [في تلك الناحية] (٣) ضياع فرأى تقصير أهل القرية في عمارتها ، فسأل عن ذلك ، فأخبر بخبر القرمطي ، فأخذه وحبسه وحلف أن يقتله لما اطلع على مذهبه ، وأغلق باب البيت عليه . وجعل مفتاح البيت تحت وسادته ، واشتغل بالشرب ، فسمع بعض من في الدار من الجواري [بقصته] (٤) فرقّت للرجل ، فأخذت المفتاح - حين نام سيدها - وفتحت الباب وأخرجته ، ووضعت المفتاح مكانه (٥).

فلما أصبح الهيصم/ فتح الباب ليقتله فلم يجده . وشاع ذلك في الناس فافتتن به خلق كثير من تلك القرية ، وقالوا : رُفع ، ثم ظهر في ناحية أخرى واجتمع بأصحابه وغيرهم ، وسألوه عن أمره فأخبر أنه لايمكن أحداً أن يصل اليه بسوء ، فعظم في ذاك الوقت في أعينهم ، ثم خاف على نفسه ، فخرج الى ناحية الشأم ، فلم يوقف له على أثر ، وسمى نفسه باسم الرجل الذي كان في داره « كرميته » ، صاحب الأثوار ، ثم خفف فقيل قرمط . هكذا ذكر (٦) أصحاب زكرويه عنه .

---

(١) الإضافة من الطبري - ٢١٢٦ - .

(٢) في الطبري - ٢١٢٦ - بما رسم لهم من الخمسين صلاة التي ذكر أنها مفترضة عليهم.

(٣) زيادة من الطبري - ٢١٢٦ - ولم تحدد المصادر هوية شخصية الهيصم .

(٤) زيادة من الطبري ٢١٢٦ - .

(٥) في الطبري - ٢١٢٦ - أخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب وأخرجته، وأقفلت الباب وردت المفتاح الى موضعه - .

(٦) في الاصل ذكره .

وقيل ان قرمط لقب رجل بسواد الكوفة ، كان يحمل غـلة على أثوار له واسمه حمدان [١] .

ثم فشا مذهب القرامطة بسواد الكوفة ، ورأس [٢] الطائي أحمد بن محمد على أمرهم ، فجعل على الرجل منهم ديناراً في العام ، فقدم قوم من الكوفة فرفعوا أمر القرامطة والطائي الى السلطان ، وأخبروه أنهـــم أحدثوا ماليس في دين الاسلام ، وأنهم يرون السيف على أمة محمد ﷺ الا من بايعهم [٣] ، فلم يلتفت اليهم ولم يسمع لهم .

وفيما حكي عن القرامطة عن مذهبهم أنهم جاؤوا بكتاب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم يقول الفرج بن عثمان ـ وهو من قرية يقال لها نصرانة ـ داعية المسيـــح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهـدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل » . وذكر أن المسيح / تصور له ٦ في جسم انسان وقال له : « أنت الداعية وانك الحجة ، وانك الناقـة ، وانك الدابة ، وانك يحيى ، وانك روح القـدس » ، وأخـبره أن الصلاة أربع ركعات ، ركعتان قبل الشروق وركعتان بعد [٤] الغروب ، ويقيم الأذان في كل صلاة ، يكبر الله ثلاثاً « أشهد أن لا اله الا الله » مرتين « أشهد أن آدم رسول الله » « أشهـــد أن نوحاً رسول الله » ، « أشهـــد أن ابراهيم رسول الله » ، أشهد أن موسى رسول الله » ، « أشهـــد أن عيسى رسول الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله » ، ويقرأ في كل

---

(١) الطبري ٢١٢٧ ـ كان يحمل غلات السواد على أثوار له يسمى حمدان ، ويلقب بقرمط ـ .

(٢) في الطبري ٢١٢٧ : ووقف .

(٣) في الطبري ٢١٢٧ ـ بايعهم على دينهم وأن الطائي يخفي أمرهم على السلطان ـ .

(٤) في الطبري ٢١٢٨ ـ قبل ـ .

ركعة الاستفتاح [١] المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة الى بيت المقدس [٢] ، وأن الجمعة يوم الاثنين لايعمل فيه شيء ، والسورة « الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه ، قل ان الأهلة مواقيت للناس [٣] ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي ، اتقوني ياأولي الألباب وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومن زال [٤] عن أمري ، وكذب رسلي ، أخذته مهانا في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسنة رسلي ، ٧ وأنا الذي لم يعل علي جبار الا وضعته ولا عزيز / الا أذللته ، وليس الذي أصر على أمره [٥] ودام على جهالته وقالوا : لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين [٦] « أولئك الكافرون » ثم يركع ويقول في ركوعه : « سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون » يقولها مرتين ، فإذا سجد قال « الله أعلى » مرتين « الله أعظم » مرتين. ومن شريعته الصوم يومين في السنة ، وهما المهرجان ، والنيروز ، والنبيذ حرام ، والخمر حلال ، وألا يغتسلوا من الجنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن من حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه وجب عليه الجزية ، ولايأكل كل ذي ناب ولا كل ذي مخلب .

---

(١) الطبري ٢١٢٨ - وهي من المنزل على أحمد.. - .
(٢) زاد الطبري ٢١٢٨ - والحج الى بيت المقدس - .
(٣) انظر سورة البقرة ٢ : ١٨٩ .
(٤) في الاصل - نزل - والتصحيح من الطبري ٢١٢٩ .
(٥) في الاصل - غلبه أمري - والتصحيح من الطبري ٢١٢٩ .
(٦) في الطبري ٢١٢٩ - مؤمنين - .

SS

١١

وكان مسير [١] قرمط الى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج . فسافر قرمط اليه وقال له : اني على مذهب ورأي ، ومعي مئة ألف ضارب سيف ، فتناظرني [٢] ، فإن اتفقنا على المذهب ملت اليك ، وان تكن الأخرى انصرفت عنك ، فتناظرا فاختلفت آراؤهما ، فـانصرف قرمط عنـــه .

* * *

(١) في الطبري – ٢١٢٩ مصير – ومن أجل ثورة الزنج انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٠٨-٣١٠ .

(٢) في الطبري – ٢١٣٠ – إني عل مذهب وورائي مائة ألف سيف فناظرني .

باب ذكر ابتداء أمر القرامطة بالبحرين

وفي سنة ست وثمانين ومائتين :

ظهر أبو سعيد الجنابي القرمطي بالبحرين ، فاجتمع اليه خلق كثير وجماعة من الأعراب والقرامطة ، وقوي أمره فقتل من [١] حوله من أهل القرى ، ثم سار الى القطيف [٢] فقتل [من] [٣] بها ، وظهر أنه يريد البصرة ، فكتب محمد بن يحيى الواثق - وكان / متولي البصرة - الى المعتضد [٤] بذلك ، فأمره ببناء سور على البصرة ، وكان مبلغ الخراج عليه أربعة عشر ألف دينار .

٨

وكان ابتداء القرامطة بناحية البحرين أن رجلاً يعرف بيحيى بن المهدي قصد قطيف ، فنزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان ، مولى الزياديين - وكان يغالي في التشيع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي [٥] - وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين - وذكر أنه خرج الى شيعته

---

(١) في الاصل - ما - والتصحيح من الطبري - ٢١٨٨ .

(٢) قصبة البحرين وأعظم مدنها في الاسلام . معجم البلدان .

(٣) زيادة من الطبري - ٢١٨٨ - وفيه: ثم صار إلى موضع يقال له القطيف بينه وبين البصرة مراحل فقتل من بها وذكر أنه ....

(٤) امتدت خلافة المعتضد من : ٢٧٩-٢٨٩ ﻫ / ٨٩٢-٩٠٢ م .

(٥) يرجح أن المقصود به هو المهدي الفاطمي الذي سيكون ظهوره في إفريقية سنة ٢٩٧ ﻫ حيث سيكون المؤسس الفعلي لحكم الخلافة الفاطمية .

في البلاد يدعوهم الى أمره ، وأن ظهوره قد قرب ، فأخبر علي بن المعلى الشيعة من أهل القطيف ، وقرأ عليهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهدي اليهم من المهدي ، فأجابوه وأنهم خارجون معه اذا ظهر أمره ، ووجه الى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه . وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي ، وكان [يبيع] للناس الطعام ويحسب لهم بيعهم . ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ، ثم رجع ومعه كتاب يزعم أنه من المهدي الى شيعته فيه: « قد عرفني رسولي يحيى بن المهدي مسارعتكم الى أمري فليدفع اليه كل منكم ستة دنانير وثلثين » فدفعوا ذلك ، ثم غاب ، وعاد ومعه كتاب فيه « أن ادفعوا ليحيى خمس أموالكم » فدفعوا اليه الخمس ، وكان يحيى يتردد في قبائل عبد القيس / ويورد اليهم كتباً يزعم أنها من المهدي ، وأنه ظاهر فكونوا على أهبة . ١

وحكى انسان منهم يقال له ابراهيم الصائغ ، أنه كان عند أبي سعيد الجنابي ، وأتاه يحيي ، فأكلوا طعاماً ، فلما فرغوا خرج أبو سعيد الجنابي من بيته ، وأمر امرأته أن تدخل الى يحيى [١] ، وألا تمنعه ان أراد . فانتهى هذا الخبر الى الوالي ، فأخذ يحيى فضربه وحلق رأسه ولحيته ، وهرب أبو سعيد ، وسار يحيى الى بني كلاب وعقيل والحريش ، فاجتمعوا معه ومع أبي سعيد ، فعظم أمر أبي سعيد وكان منه ما يأتي ذكره .

ومن أخبارهم في سنة **سبع وثمانين ومائتين في ربيع الآخر** ، عظم أمرهم بالبحرين ، وأغاروا على نواحي هجر [٢] وقرب بعضهم من نواحي البصرة .

---

(١) غالباً ماتشير المصادر المعادية للقرامطة الى حوادث من هذا القبيل ، هي لاشك مخترعة استهدفت التشهير والضرب على النغمة الحساسة لدى شعوب الشرق الاسلامي .

(٢) الهجر بلغة حمير : القرية ، وفي بلاد العرب أكثر من هجر ، وهجر البحرين قاعدتها ـ معجم البلدان .

ذكر الحرب بين القرامطة وعسكر المسلمين
وهي أول موقعة

في سلخ ربيع الآخر : كتب محمد الواثقي الى الخليفة يسأل المدد فسير اليه سميريات [١] فيها ثلاثمائة رجل ، وأمر المعتضد باختيار جيش[٢] لينفذه الى البصرة ، وعزل العباس بن عمرو الغنَوي عن بلاد فارس ، وأقطعه اليمامة والبحرين ، وأمره بمحاربة القرامطة وضم اليه زهاء ألف[٣] رجل ، فسار الى البصرة واجتمع / اليه جمع كبير من المطوعة ، والجند ، والخدم ، ثم سار منها الى أبي سعيد الجنّابي فلقوه مساء ، وتناوشوا القتال ، وحجز بينهم الليل ، فلما كان الليل انصرف عن العباس من كان من أعراب بنى ضبّة ـ وكانوا ثلاثمائة ـ الى البصرة ، وتبعهم مطوعة البصرة فلما أصبح العباس باكر الحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم حمل نجاح ـ غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ ـ صاحب ميسرة العباس ـ في مئة رجل على ميمنة أبي سعيد فوغلوا فيهم ، فقتلوا عن [٤] آخرهم ، وحمل الجنابي ومن معه على أصحاب العباس فانهزموا ، وأسر العباس ، وأخذ الجنابي ما كان في عسكره .

---

(١) في الطبري ٢١٩٢ ـ بثماني شذوات ـ وهي نوع من السفن التي كانت مستعملة تلك الايام .

(٢) في الاصل ـ برجل ينفذه ـ والتصحيح من الطبري ـ ٢١٩٢ ـ .

(٣) الطبري ٢١٩٣ ـ ألفي ـ .

(٤) في الاصل ـ من ـ والتصحيح من الطبري .

فلما كان من الغد أحضر الجنابي الأسرى وقتلهم عن بكرة أبيهم وحرقهم . وكانت الواقعة آخر شعبان [١] .

ثم سار الجنابي إلى هجر بعد الواقعة فدخلها وأمن أهلها ، وأنصرف من سلم المنهزمين إلى البصرة ـ وهم قليل بغير زاد ـ فخرج اليهم من البصرة نحو أربعمائة رجل على الرواحل ، ومعهم الطعام والكسوة والماء، فلقوا المنهزمين ، فخرج عليهم بنو أسد ، فأخذوا الرواحل ، وما عليها ، وقتلوا من سلم من المنهزمين [٢] ، فاضطربت البصرة لذلك ، وعزم أهلها على الانتقال منها ، فمنعهم الواثقي [٣] وبقي العباس عند الجنابي أياما ثم أطلقه ، وقال له : « امض إلى صاحبك وعرفه ما رأيت » . وحمله على رواحل ، فوصل / إلى بعض السواحل ، وركب البحر فوافى الأبلة [٤]، ثم سار منها الى بغداد ، فوصلها في سابع رمضان ودخل على الخليفة المعتضد فخلع عليه . ١١

وبلغني أن عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر قال « عجائب الدنيا ثلاث : جيش العباس بن عمرو يؤسر وحده ، وينجو وحده ويقتل جميع جيشه ، وجيش عمر بن الصفار يؤسر وحده ، ويسلم [٥] جميع جيشه ،

---

(١) في الطبري ٢٢٩٦ ـ وكانت هذه الوقعةفيما ذكر في آخر رجب وورد خبرها بغداد لاربع خلون من شعبان ـ .

(٢) في الطبري ٢١٩٧ ـ وقتلوا جماعة ممن كان مع تلك الرواحل ومن أفلت من أصحاب العباس ـ .

(٣) في الطبري ٢١٩٧ ـ فمنعهم أحمد بن محمد الواثقي المتولي لمعاونها من ذلك ـ .

(٤) الأبلة : بلدة كانت على شاطىء دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة ـ معجم البلدان .

(٥) في الاصل ـ ينام ـ ولعل الصواب ما أثبت .

SS

وأنا أزل في بيتي ، وتولى ابن أبي العباس الجسرين ببغداد .

ولما أطلق أبو سعيد العباس ، أعطاه درجاً ملصقاً وقال له : أوصله إلى المعتضد فان لي فيه أسراراً ، فلما دخل على المعتضد عاتبه ، فأعطاه الكتاب فقال : والله ليس فيه شيء ، وانما أراد أن يعلمني أني أرسلتك اليه في عدد كبير ، فرجعت إلي فرداً .

وفي ذي القعدة : أوقع بدر – غلام الطائي – بالقرامطة على غرة منهم بنواحي ميسان [١] وغيرها وقتل منهم مقتلة كبيرة ، ثم تركهم خوفاً على السواد أن يخرب [٢] وكانوا فلاحيه ، فطلب رؤساءهم ، فقتل من ظفر به منهم .

وفي سنة تسع وثمانين ومائتين :

ظهر بالشام رجل من القرامطة ، وجمع جموعاً من الأعراب ، وأتى دمشق ، وأميرها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد ابن طولون ، وكانت بينهما وقعات ، وكان ابتداء حال هذا القرمطي ان زكرويه بن مهرويه الذي ذكرنا [٣] أن داعيته قرمط لما رأى / أن الجيوش من المعتضد متتابعة إلى من بسواد الكوفة من القرامطة ، وأن القتل قد أبادهم ، سعى في استغواء من قرب الكوفة من الأعراب أسد وطيء [٤] وغيرهم ، فلم يجبه منهم أحد ، فأرسل أولاده الى كلب بن وبرة [٥] فاستغووهم

(١) في الطبري ٢٢٠٢ – رودميسان – وميسان اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط . معجم البلدان .

(٢) في الأصل – خوفاً أن تخرب السواد – والتقويم من الطبري ٢٢٠٢ .

(٣) أي في الكتاب الذي وصلنا مختصره .

(٤) في الطبري ٢٢١٧ – وتميم وغيرهم – .

(٥) كانت مساكن كلب في جنوب الشام .

SS

فلم يجبه منهم الا الفخذ المعروف ببني العليص بن ضمضم بن عدي بن جناب ومواليهم خاصة ، فبايعوا في سنة تسع وثمانين ومائتين بناحية السماوة (١) ابن زكرويه ، المسمى بيحيى المكني أبا القاسم ، فلقبوه الشيخ وزعم أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٢) - وقيل لم يكن لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبد الله - وزعم أن له بالبلاد مائة الف تابع ، وأن ناقته التي يركبها مأمورة ، فاذا تتبعوها في مسيرها نصروا ، وأظهر عضداً له ناقصة ، وذكر أنه آيته . وأتاه جماعة من بني الأصبغ ، وسموا الفاطميين ودانوا بدينه ، فقصدهم شبل غلام المعتضد (٣) ، من ناحية الرصافة (٤) فاغتروه فقتلوه ، وأحرقوا مسجد الرصافة ، واعترضوا كل قرية اجتازوا بها حتى بلغوا ولاية هارون بن خمارويه التي قوطع عليها طغج بن جف، فأكثروا القتل بها والإغارة ، فقاتلهم طغج فهزموه غير مرة .

وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجه المعتضد اليهم شبلاً - غلام أحمد بن محمد الطائي - وظفر بهم وأخذ رئيساً لهم يعرف بأبي الفوارس(٥) فسيره / الى المعتضد ، فأحضره بين يديه ، وقال له : « أخبرني هل تزعمون ١٣ أن روح الله تعالى وأرواح أنبيائه تحل(٦) في أجسادكم فتعصمكم من الزلل

---

(١) أطلق اسم السماوة على البادية مابين الكوفة والشام، وغالباً ما كانت السيطرة فيها لكلب . معجم البلدان .

(٢) يتفق هذا مع رواية ابن العديم في ترجمة صاحب الخال . ولاشك أن اظهاره لعلامة فارقة في جسده على أنها آيته هي مسألة استعيرت من فكرة خاتم النبوة .

(٣) في الطبري - ٢٢١ - سبك الديلمي مولى المعتضد. وكذا في الكامل ٨ : ٥٠٥ .

(٤) الرصافة في الشام في مواضع كثيرة ، أشهرها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الكوفة بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية - معجم البلدان - .

(٥) في الطبري ٢٢٠٦ - ابن أبي خوارس - .

(٦) في الاصل - تعمل - وما أثبت هو مايقتضيه السياق أيضاً .

وتوفقكم لصالح العمل ؟ » فقال له : « يا هذا ان حلت روح [١] الله فينا فما يضرك ، وان حلت روح ابليس ، فما ينفعك ، فلا تسأل عما لا يعنيك واسأل عما يخصك » ، فقـــال : « ما تقول فيما يخصني ؟ » قال : « أقول ان رسول الله ﷺ مات وأبوكم العباس حي ، فهل طلب الخلافة ، أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك ؟ ثم مات أبو بكر ، فاستخلف عمر ، وهو يري موضع العباس ، ولم يوص اليه ، ثم مات عمر ، وجعلها شورى في خمسة أنفس ، ولم يوص اليه ولا أدخله فيهم ، فبماذا تستحقون أنتم الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها ؟ » فأمر الخليفة بتعذيبه بعد تقطيـــع يديه ورجليه وخلع عظامه ، وشنع به .

وفي سنة مائتين وتسعين :

استفحل أمر القرامطة بعد وفاة الخليفة المعتضد .

ففي ربيـع الآخر :سير طغج بن جف جيشاً من دمشق ، وأمر عليه غلامه بشيراً ، فهزمه القرمطي ، وقتل بشيراً .

وفي سلخ جمادي الأولى : حصر القرمطي مدينة دمشق ، وضيق على أهلها ، وقتل أصحاب طغج ولم يبق منهم إلا القليل ، وأشرف أهلها على الهلاك فاجتمع جماعة/ من أهل بغداد [٢] وأرسلوا الى الخليفة ، فوعـدهم بالنجدة ، وأمد المصريون أهل دمشق ببدر وغيره من القواد ، فقاتـلوا الشيخ مقدم القرامطة وقتلوه على باب دمشق ، رماه بعض المغاربـــة بزراق [٣] منفط وملتهب ، فاحترق به شيـخ القرامطة ، وقتل منهم خلق

---

(١) في الاصل – جاءت – وما أثبت هو مايقتضيه السياق أيضاً .

(٢) في الطبري ٢٢٢ – من تجار بغداد – .

(٣) المزراق : رمح قصير – القاموس –

كثير ، وكان هذا القرمطي يزعم أنه اذا أشار بيده الى الجهة التي فيها محاربوه انهزموا ، وكان يكنى بأبي القاسم ويسمى يحيى المعروف بالشيخ[١]

ولما قتل هو ومن معه ، اجتمع من بقي منهم على أخيه الحسين ، وسمى نفسه أحمد ، وكناها أبا العباس ، ودعا الناس اليه ، فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم ، فاشتدت شوكته ، وأظهر شامة في وجهه وادعى أنها آيته .

فسار إلى دمشق ، فصالحه أهلها على خراج يدفعونه ، فانصرف عنهم وسار الى اطراف حمص فغلب عليها ، وخطب له على منابرها وكانت الخطباء في الخطبة تقول « اللهم اهدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهـدي صاحب الوقت ، أمير المؤمنين المهدي . اللهم املأ الأرض به عدلاً وقسطاً ، ودمر/ اللهم دمر أعداءه » ، فلما بلغه ذلك أصدر أمره بأن لا يدعي عليهم ، بل يدعي[٢] لهم بالهداية ، والطاعة لأمره ، وان يجعل أعداءه له خاضعين ، وينصره على كل من يعاديه ، وكان ذلك في سلخ رجب سنة مائتين وتسعين . ١٥

وفي **مستهل شعبان** : حضر لديه ابن عمه عيسى بن المهدي المدعو عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، فكناه بالمدثر وعهد إليه بالقيام بالأمر من بعده وزعم أنه المدثر المذكور في القرآن . ولقب غلاما له بالمطوق[٣] ، وقلده قتل أسرى المسلمين .

---

(١) كذا في الأصل والأفضل أن يقال - ويعرف بالشيخ - والذي جاء في الطبري ٢٢٢ : - هو - يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ - .

(٢) في الاصل يدعو ، وهو تصحيف الأصوب منه ما أثبتنا .

(٣) سنرى في النصوص المقبلة استعمال قادة قرامطة اليمن لاعوان حملوا ذات الالقاب

ولما أطاعه أهل حمص وفتحوا له بابها خوفاً منه ، سار الى حماة ، ومعرة النعمان ، وغيرها فقتل أهلها ، وقتل النساء والأطفال ، ثم توجه الى بعلبك فقتل أهلها ولم يبق منهم الا القليل ، ثم سار الى سلمية فمنعه أهلها ، ولم يقدر على مقاومتهم ، فصالحهم وأمنهم ، ففتحوا له بابها ، وكان ذلك في مستهل رمضان ، فبدأ بمن فيها من بني هاشم ، وكانوا جماعة فقتلهم ولم يبق منهم أحداً ، وقتل الصبيان والفقهاء والشيوخ والبهائم ، وخرج منها وليس بها عين تطرف ، ودخل في القرى المجاورة لها يسبي ١٦ ويقتل وينهب ويقطع السبيل ويأتي من المنكرات مالا عين رأت ولا أذن / سمعت .

ومما يذكر عن متطبب بباب المحول[1] يدعى أبا الحسين قال : جاءتني امرأة بعدما أدخل[2] القرمطي صاحب الشامة بغداد ، وذلك في سلخ ذي الحجة . وقالت المرأة : أريد تعالج لي جرحاً في كتفي ، فقلت : ها هنا امرأة تعالج النساء ، فانتظرتها وقعدت وهي باكية مكروبة ، فسألتها عن قصتها فقالت : « كان لي ولد طالت غيبته عني ، فخرجت أطوف عليه في البلاد فلم أره ، فسرت من الرقة في طلبه ، فوقعت في عسكر القرمطي أطلبه ، فوجدته ، فحدثته عن حالي وحال إخوته ، فقال : دعيني من هذا وأخبريني ما دينك ؟ فقلت له : ياولدي الاسلام ، كما تعلم فقال : يا أماه اتركي هذا الدين ، وادخلي معي في هذه الدعوة ، والدين ما نحن فيه اليوم ، فتعجبت من ذلك ، وخرج وتركني ، وحضر لي بخبز[3] ،

---

(١) محلة كبيرة من محال بغداد ، انفردت الى جانب الكرخ - معجم البلدان .

(٢) في الاصل - دخل - والتقويم من الطبري - ٢٢٢٦ - .

(٣) في الطبري - ٢٢٢٧ - ثم وجه إليّ بخبز ولحم وما يصلحني ...

SS

فلم أمسه ، وأتاه رجل من أصحابه ، فسألني هل أحسن من أمر النساء شيئاً ، فقلت : نعم ، فأدخلني داراً ، فاذا امرأة تطلق ، فقعدت بين يديها ، وجعلت أكلمها ، ولا تكلمني حتى ولدت غلاماً ، فأصلحته وتلطفت بها حتى كلمتني ، فأخبرتني عن حالها أنها امرأة من بني هاشم أخذها هؤلاء القوم « بعد ذبح عشيرتي جميعاً ، وأخذني زعيمهم فجلست عنده خمسة أيام ، ثم أمر بقتلي ، فطلبني منه أربعة من رجاله فوهبني لهم ، فأقمت معهم فوالله لاادري ممن هذا الولد » .

ودخل علينا أحدهم فأشارت إلي أن أهنيه بالمولود ، فقلت له : « مولود مبارك » وهنيته فأعطاني قطعة فضة / ، وجاء آخر فأشارت إلي ، فهنيته ، فأعطاني قطعة من الفضة ، ودخل آخر ففعلت معه مثل الأول ، فأعطاني ثم حضر الرابع ومعه جمع ، فهنيته فأعطاني ألف درهم ، وبت عندها تلك الليلة ، فلما أصبحت ، قلت للمرأة : قد وجب حقي عليك فالله الله خلصيني ، قالت : ممن أخلصك ؟ فأخبرتها عن ابني فقالت : عليك بالرجل الذي أعطاك الألف درهم ، فأقمت عندها اليوم كله فلما كان آخر النهار حضر الرجل ، فقمت اليه وقبلت يديه ورجليه ، ووعدته أني أعود[1] بعدما أعطي بناتي ما معي ، فأمر غلمانه بحملي الى مكان ذكره لهم ، فساروا بي عشرة فراسخ ، فلحقني[2] ابني ، وضربني بسيفه فجرحني هذا الجرح ، ومنعه القوم من أن يصل الي ، وساروا بي الى المكان الذي سماه لهم سيدهم ، ثم تركوني وجئت الى ها هنا .

---

(١) في الطبري ٢٢٢٩ - فإن أذنت لي أن أمضي فأجيئك ببناتي حتى يخدمنك ويكن بين يديك .

(٢) في الطبري ٢٢٢٩ - وقال يافاعلة زعمت أنك تمضين وتجيئين ببناتك .

وقالت لما قدم الأمير بالقرامطة وبالأسرى ، رأيت ابني فيهم على جمل وعليه برنس ، وهو يبكي ، فقلت : لا خفف الله عنك ولا خلصك .

وفي هذا الزمن وصل الى المكتفي[١] كتب أهل الشام ومصر ، وفيها بث شكواهم ، وما يلقونه من القرامطة من القتل والسبي والأسر وتخريب البلاد ، فأمر الجند بالتأهب ، وخرج من بغداد في سلخ رمضان، وسار الى الشام وجعل طريقه على الموصل ، وقدم بين / يديه أبا الأغر[٢] بعشرة آلاف رجل ، فنزل قريباً من حلب ، فكبسهم القرمطي صاحب الشامة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وسلم أبو الأغر ، فدخل حلب ومعة ألف رجل ، وكانت هذه الواقعة في مستهل شوال ، وتقدم القرمطي الى باب حلب فحاربه أبو الأغر ، وأعانه أهل البلد ، فرد القرمطي[٣]، ونزل المكتفي بالرقة ، وبعث الجيش ، وجعل أمره إلى محمد بن سليمان الكاتب .

وفيها في شوال : وقعت محاربة بن القرمطي صاحب الشامة ، وبدر مولى ابن طولون ، فانهزم القرمطي ولم يقدر أن يقاومه لشدة بأس جيوش مصر وجسارتهم وصبرهم على القتال ، وما أظهروه من الشجاعة ، ففتكوا بالقرامطة فتكاً ذريعاً ، ومزقوهم كل ممزق ، وهرب من سلم منهم نحو البادية ، فأرسل المكتفي في أثرهم الحسين بن حمدان ، وغيره من القواد .

وفيها كبس ابن بانو أمير البحرين حصناً للقرامطة ، فظفر بمن فيه

---

(١) كانت خلافة المكتفي من سنة ٢٨٩ وحتى ٢٩٥هـ/٩٠٢ - ٩٠٨ م .

(٢) انظر ترجمته فيمايلي من نصوص .

(٣) أورد الطبري - ٢٢٣١ - هذا الحدث في تفصيلات أكبر ، انظر أيضاً النص المقتبس من بغية الطلب .

ووقع بينه وبين [١] أبي سعيد الجنابي ، فهزمهم ابن بانو ـ وكان مقامه بالقطيف ـ ثم قتل في هذه المعركة ولي عهد الجنابي وأخذت رأسه وفتح القطيف .

وفي سنة إحدى وتسعين ومائتين :

سار محمد بن سليمان بأمر الخليفة المكتفي لمحاربة صاحب الشامة ، فالتقى به في مكان قبل حماة بعشرة أميال ، وذلك في مستهل الحرم فقدم القرمطي أصحابه لهم ، وبقي في جماعة من جنده ليحتفظ بمال جمعه ، ووقعت موقعة عظيمة بين جند الخليفة والقرامطة ، واشتدت رحى الحرب بينها ، فانهزمت القرامطة شر هزيمة وأسر منهم / الجم الغفير ، ١٩ وتفرق من بقي منهم في البوادي ، وتبعهم جند الخليفة .

فلما رأى صاحب الشامة ما حل بأتباعه حمل أخاه أبو الفضل مالاً ، وأمره أن يلحق بالبوادي إلى أن يظهر بمكان فيسير اليه ، وسار بابن عمه المدثر ، والمطوق [صاحبه [٢]] وغلام له رومي الى الكوفة عرضاً في البرية فانتهى الي الدالية وأرسل بعض من كان معه ليأخذ ما يحتاجون اليه فدخل الدالية المعروفة بدالية [ابن طوق] [٣] ليشتري لهم بعض حوائج فاشتبه فيه بعض أهل الناحية ، وأنكروا أمره ، وأخذوه الى الوالي المدعو بأبي خبزة خليفة أحمد بن محمد بن كشمرد ، فسأله عن حاله

---

(١) في الطبري ـ ٢٢٣٢ ـ قرابه لأبي سعيد الجنابي وولي عهده من بعده على أهل طاعته .

(٢) الإضافة من الطبري ـ ٢٢٣٨ ـ

(٣) الإضافة والتقويم من الطبري ـ ٢٢٣٨ ـ والداليه مدينة على شاطيء الفرات في قرب غربيه الرحبة . معجم البلدان .

SS

فأخبره أن القرمطي صاحب الشامة وراء رابية خارج البلد ، ومعه الثلاثة فأرسل اليهم ابن كشمرد جنده ، فأحضرهم لديه ، وأرسلهم إلى الخليفة بالرقة (١) ورجعت الجيوش من طلبهم .

وكان الحسين بن حمدان أشجع الفرسان في قتال القرامطة واستئصال شأفتهم من قتل وأسر ، وتتبعهم في كل مكان حتى ضرب به المثل ، فكتب محمد[بن] سليمان للخليفة يثني عليه ، وعلى بني شيبان فإنهم اصطلوا نار الحرب ، وهزموا القرامطة ، وحكموا السيف في أعناقهم ، وزحفوا عليهم وشتتوا شملهم ، وأسروا منهم ، ومزقوهم كل ممزق ، حتى لم ينج الا القليل .

وفي يوم الأثنين لأربع بقين من المحرم : أدخل صاحب الشامة الرقة راكباً جملاً ذا سنمين ، ومعة المدثر والمطوق ، وسار بهم / الخليفة الى بغداد ، وأدخل القرمطي بغداد راكباً فيلاً ، وأصحابه على جمل ، وبعد أن طاف بهم المدينة أمر بحبسهم .

وقدم بغداد محمد بن سليمان ومعه الجند ، ومعهم من ظفروا به من أعيان القرامطة ورؤوسهم ، فأمر الخليفة بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وقطع رؤوسهم ، وأخرج أبا الشامة وأصحابه من السجن فشنع بهم ، وضرب أبو الشامة مائة سوط ، وقطعت يداه ، وكوي فغشي عليه ، فأحرقوا خشباً ، وجعلوه على خواصر فصار يفتح عينيه ويغمضهما ، فلما خشوا موته ضربوا عنقه ، ورفعوا رأسه على خشبة ، فكبر الناس حين رأوها وهللوا ونصبوها على الجسر (٢) .

---

(١) في الطبري - ٢٢٣٨ - « فمضى إليهم فأخذهم . وصار بهم إلى صاحبه ، فتوجه بهم ابن كشمرد وأبو خبزة إلى المكتفي بالرقة » . وهو الأصح .

(٢) من أجل تفصيلات أكثر انظر الطبري - ٢٢٤٣ - ٢٢٣٦ .

SS

وفيها قدم إسماعيل بن النعمان ، من أعيان القرامطة — ولم ينج من رؤساء القرامطة غيره — فحضر بأمان من المكتفي ومعه مائة وستون نفراً فأحسن إليهم الخليفة ، ووصلهم بمال ، وسيرهم مع القاسم [بن سيما] (٢) إلى رحبة مالك بن طوق ، فأقاموا معه مدة ثم أرادوا الغدر بالقاسم وائتمروا على أن يفتكوا به (١) يوم الفطر وقت صلاة العيد ، فعلم بذلك القاسم فقتلهم ، فارتدع من بقي منهم ، وذلوا إلى أن جاءهم كتاب من الخبيث ابن زكرويه (٣) ، وفيه يخبرهم بأنه أوحي إليه أن صاحب الشامة وأخاه المعروف بالشيخ يقتلان ، وأن إمامه الذي هو حي (٤) يظهر بعدها ويظفر .

وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين :

أنفذ زكرويه بن مهرويه بعد / قتل صاحب الشامة نصر بن عبد الله ابن سعيد (٥) ، ويكنى أبا غانم ، معلم الصبيان [بقربه تدعى] الزابوقة (٦) فدار على أحياء العرب من كلب وغيرهم يدعوهم إلى رأيه ، فلم يقبله منهم أحد إلا رجل من بني زياد يسمى مقدام بن الكيال ، واستغوى (٧) ١

---

(١) الإضافة من الطبري – ٢٢٤٧ – وكان ابن سيما آنذاك متولياً أحد أعمال طريق الفرات . وذكر الطبري أن الداعي القرمطي كان يكنى – أبا محمد – وأن الذين قدموا معه كانوا نيفاً وستين رجلاً ، وتقع بقايا الرحبة الآن قرب بلدة البوكمال السورية على الفرات قرب الحدود السورية العراقية .

(٢) في الأصل بهم .

(٣) في الطبري – ٢٢٤٨ – الخبيث زكرويه ، وهو أقوم .

(٤) في الطبري – ٢٢٤٧ – الذي يوحي إليه .

(٥) في الطبري – ٢٢٥٦ – عبد الله بن سعيد ، ثم تسمى بعد انفاذه « نصراً » .

(٦) في الأصل – الراقوقة – والتقويم من الطبري – ٢٢٥٦ – وفيه أنها : كانت من عمل الفلوجة ، وهذا ما أورده ياقوت في معجم البلدان .

(٧) في الطبري – ٢٢٥٦ – استغوى له .

طوائف من الأصبغيين المنتمين إلى الفواطم وغيرهم من العليصيين وصعاليك من سائر بطون كلب .

وقصد ناحية الشام والعامل بدمشق والأردن أحمد بن كيغلغ ، وهو بمصر يحارب الخلنجي ، فاغتنم ذلك نصر بن عبد الله بن سعيد ، وسار إلى بصرى وأذرعات والبثنية [١] فحارب أهلها ، ثم أمنهم ، فلما استسلموا إليه ، قتل مقاتيلهم ، وسبى ذراريهم ، وأخذ أموالهم .

ثم قصد دمشق ، فخرج إليه نائب ابن كيغلغ المدعو صالح بن الفضل فهزمه القرامطة [وعسكره] وفتكوا فيهم فتكاً ذريعاً ، ثم أمنوهم وغرروا بهم وقتلوا صالحاً ، وقضوا على عسكره ، وأرادوا دخول دمشق فمنعهم أهلها ورموهم بقوارير النفط من : القلاع ، والحصون ، وسور المدينة ، فلم يتمكنوا من دخول دمشق .

فقصدوا طبرية ، وانضم إليهم جماعة من أطراف البوادي المجاورة لدمشق ، فتنهم القرمطي ، وعند وصولهم طبرية خرج إليهم يوسف بن إبراهيم بن بغامردي ، خليفة أحمد بن كيغلغ بالأردن ، فهزموه شر هزيمة ثم أمنوه وغدروا به وقتلوه ، ونهبوا طبرية وأعملوا في أهلها السيف ، وسبوا النساء ، وقتلوا الشيوخ والأطفال .

فوصلت الأخبار إلى الخليفة ، فأنفذ أمره إلى الحسين بن حمدان وبعض من القواد [للشروع] في قتال القرامطة واستئصال شأفتهم ، فقصدوا دمشق ، فلما علم القرامطة ، انسحبوا راجعين نحو السماوة ، وتبعهم الحسين

---

(١) بصرى ماتزال تعرف بهذا في جنوب سورية ، وأذرعات هي درعا الحالية في سورية وأطلق اسم البثنية على المنطقة الواقعة إلى جنوب دمشق ودرعا .

ss

وجنده إلى السماوة ، فوجدهم يسدون العيون ويغورونها ، ويردمون البرك حتى لجئوا إلى ماءين يعرف أحدهما بالدمعانة/ والآخر بالحالة[١] فرجع ابن ٢' حمدان إلى الرحبة .

وأسرى القرامطة مع نصر إلى هيت وأهلها غافلون فنهبوها ، فتحصن أهل المدينة بسورها فنهبوا السفن وقتلوا من أهل المدينة ماينيف عن مئة نفس ، ونهبوا الأموال والمتاع ، وأخذوا ثلاثة آلاف راحلة من الحنطة .

وبلغ الخبر إلى الخليفة المكتفي فبعث إليهم محمد بن اسحق بن كنداج فلم يقيموا [٢] لمحمد وانسحبوا إلى الماءين ، فتبعهم محمد واقتفى أثرهم ، فوجدهم سدوا العيون والآبار وردموها بالرمال والأحجار ، فوصل إليهم من بغداد الإمداد ، وكتب الى ابن حمدان بالمسير اليهم لينضم الي جيش محمد ، فساروا حتى التقوا ، فلما أحس الكلبيون بأخبار[٣] الجيوش اليهم قاموا الى نصر زعيم القرامطة فقتلوه ، وسار برأسه رجل منهم يدعى الذئب بن القائم الى الخليفة المكتفي ، وطلب الأمان والقرب ، فأمر الخليفة بذلك ، وأجازه بجائزة وأمر[٤] بالكف عن قتال قومه .

وحصلت موقعة بين القرامطة ، بعد مقتل نصر ، حتى صارت الدماء بينهم ، وافترقت فرقة منهم الى بني أسد بنواحي عين التمر[٥] ، وقدموا

---

(١) في الأصل ـ الحبالة ـ والتقويم من الطبري ـ ٢٢٥٨ ـ وياقوت مادة ـ الحالة ـ

(٢) الأصوب أن يقال ـ يقوموا ـ ولكن ماجاء في الطبري ـ ٢٢٥٩ ـ فلم يقيموا بها إلا ثلاثاً حتى قرب محمد بن إسحق منهم فهربوا منه نحو الماءين .

(٣) في الطبري ـ ٢٢٥٩ ـ فلما أحس الكلبيون باشراف الجند عليهم ..... وهو أفضل .

(٤) في الأصل ـ وأصر ـ

(٥) بلدة قرب الأنبار غربي الكوفة ـ معجم البلدان .

معذرتهم الى الخليفة المكتفي فعفا عنهم ، وبقي على الماءين فرقة ممن له بصيرة في دينه ، فأرسل الخليفة / الى ابن حمدان بقتلهم جميعاً حتى لا يبقى - منهم ديار ولانافخ نار - ، فأرسل اليهم زكرويه بن مهرويه داعية له [يسمي[1]] القاسم بن أحمد ، ويكنى بأبي محمد [فأعلمهم] "[2] أن فعل الذئب قد نفره منهم ، وأنهم قد ارتدوا عن الدين ، وأن وقت ظهوره قد حان ، وقد بايع له بالكوفة أربعون ألفاً ، وأن يوم موعدهم الذي ذكره الله في شأن موسى صلوات الله عليه وعدوه فرعون وهو يوم الزينة (وأن يحشر الناس ضحى) "[3] ، وأوصي أن يخفوا أمرهم ، وأن يسيروا حتى يصلوا الكوفة يوم النحر في عام ثلاث وتسعين ومائتين فلا يجدون مانعاً منها ، ووعدهم بظهوره لهم ، وأن يأتوا اليه بالقاسم بن أحمد ، فأطاعوا أمره ، ودخلوا الكوفة وقت أن انصرف الناس عن مصلاهم ، وعاملها اسحق بن عمران ، وكانوا ثمانمائة فارس مدرعين بالآلات الحسنة ، وضربوا مخيماً على القاسم بن أحمد ، قبة من الديباج المزركش ، ونادوا حوله : هذا ابن رسول الله ﷺ ، وطلبوا بأخذ الثأر للحسين ، ويعنون بذلك الحسين بن زكرويه المصلوب ببغداد ، وينادون يا أحمد يامحمد ، يعنون بذلك أبناء زكرويه المقتولين ، ورفعوا أعلامهم البيض ، قصدوا بذلك استفزاز رعاع الناس والتفافهم حولهم ، فلم يلتفت اليهم أحد فأخذوا السلاح / وأعملوا القتل في أهل الكوفة فقتلوا أكثر من عشرين نفساً ، فبادر أهل الكوفة بأخذ السلاح ، وقدمهم

---

(١) الاضافة من الطبري - ٢٢٦٠ -

(٢) الاضافة من الطبري - ٢٢٦٠ -

(٣) سورة طه ٢٠ : ٥٩

SS

اسحق ، ودخل مدينة الكوفة مائة فارس من القرامطة ، فقتل منهم عشرين شخصاً ، وخرجوا منها هاربين ، فهزمهم اسحق فتقهقروا نحو القادسية ، وكان فيمن يقاتل مع اسحق جماعة من الطالبية .

وأرسل اسحق الى الخليفة يطلب المدد ، فأنفذ أمره الى وصيف بن صوارتكين التركي ، والفضل بن موسى ، وبشر الخادم والأفشين ، وغيرهم من الغلمان فساروا في سلخ ذي الحجة ، ووافوا القادسية ونزلوا بالصوان[١]، فلقيهم زكرويه .

وأما القرامطة فانهم أخرجوا زكرويه من جب في الأرض كان منقطعاً فيه سنين كثيرة بقرية الردية[٢] ، وكان على الجب باب حديد محكم العمل وكان زكرويه إذا خاف الطلب جعل تنوراً هناك على باب الجب ، وقامت امرأة تسجره فلا يفطن اليه ، وكان ربما أخفي في بيت خلف الدار التي كان بها ساكناً ، فاذا انفتح بابُ الدار ، انطبق على باب البيت ، فيدخل الدار فلا يرى شيئاً ، فلما استخرجوه حملوه وسموه ولي الله ، ولما رأوه سجدوا له .

وحضر معه جماعة / من دعاته وخاصته ، وأعلمهم أن القاسم بن أحمد ٥، من أعظم الناس عليهم ذمة ومنة ، وأنه ردهم الى الدين بعد خروجهم عنه ، وأنهم ان امتثلوا أوامره ، أنجز موعدهم ، وبلغوا آمالهم ، ورمز لهم رموزاً ، ذكر فيها آيات من القرآن ، نقلها عن الوجه الذي نزلت

(١) في الطبري - ٢٢٦٢ - الصوأر - والصحيح ماورد هنا انظر ص ١ من نص ابن العديم .

(٢) كذا في الأصل وفي الطبري - ٢٢٦٤ - الدرية - ولم يذكر ياقوت أياً من الاسمين .

فيه فاعترف له من رسخ حب الكفر في قلبه أنه رئيسهم وكهفهم ، وأيقنوا بالنصر ، وبلوغ الأمل . وسار بهم وهو محجوب ، يدعونـه السيد ، ولا يبرزونه ، والقاسم يتولى الأمور ، وأعلمهم أن أهل السواد قاطبـة خارجون اليه ، فأقام بسقي الفرات عدة أيام ، فلم يصل منهم الا خمسمائة رجل ، ثم وافته الجنود المذكورة من عند الخليفة ، فلقيهم زكرويـــه بالصوان ، وقاتلهم ، واشتد الحرب بينهم وكانت الهزيمة أول النهار على القرامطـــة ، وكان زكرويه قد كمن لهم كميناً من خلفهم ، فلم يشعر رجال الخليفة الا والسيف فيهم من ورائهم ، فانهـزموا أقبح هزيمة ، ووضع القرامطة السيف فيهم فقتلوهم كيف شاءوا ، وغنموا سوادهم ، ولم يسلم من رجال الخليفة الا من دابته قوية ، أو من أثخن بالجراح ، فوضع نفسه بين القتلى ، فتحاملوا بعد ذلك .

وأخذ للخليفة من هذا المعسكر أكثر من ثلاثمائة جمازة عليها المال والسلاح ، وخمسمائة بغل ، وقتل سوى الغلمان ألف وخمسمائة رجل .

وقويت القرامطة ، ولما وصل خبر هذه الواقعة الى بغداد أعظمهـا الخليفة والناس ، وندب الى القرامطة محمد بن اسحق بن كنداج ، وضم اليه من الأعراب بني شيبان وغيرهم ، أكثر من ألفي رجل ، وأعطاهم الأرزاق ، ورحل زكرويه من مكانه الى نهر المثنية لنتن القتلى . /

وفي سنة أربع وتسعين ومائتين في المحرم :

ارتحل زكرويه من نهر المثنية يريد الحج ، فبلغ السلمان[1] وأقـام ينتظرهم ، فبلغت القافلة الأولى واقصة [2] سابع المحرم ، فأنذرهم أهلها

---

(١) ماء على الطريق الواصلة بين تهامة والعراق ، وهو قديم جاهلي — معجم البلدان.
(٢) منزل على طريق العراق مكة — معجم البلدان .

SS

وأخبروهم بقرب القرامطة ، فارتحلوا لساعتهم ، وسار القرامطة إلى واقصة فسألوا أهلها عن الحاج ، فأخبروهم أنهم ساروا ، فاتهمهم زكرويه ، فقتل العلافة وأحرق العلف ، وتحصن أهل واقصة في حصنهم فحصرهم أياماً ، ثم ارتحل عنهم نحو زبالة [١] وأغار في طريقه على جماعة من بني أسد ، ووصلت العساكر بأمر الخليفة من بغداد إلى عيون الطف [٢] فبلغهم مسير زكرويه من السلمان ، فانصرفوا وسار غيلان بن كشمرد [مع قطعة من فرسان الجيش] [٣] جريدة فنزل واقصة بعد أن جازت القافلة الأولى ، ورأى زكرويه القرمطي قافلة الخراسانية بعقبة الشيطان راجعين من مكة فحاربهم حرباً شديداً فلما رأى شدة بأسهم وأنه لاطاقة له بهم سألهم هل فيكم نائب السلطان ؟ فأجابوه : مامعنا أحد ، فقال : لست أريدكم ، وقد اطمأنوا لقوله ، وساروا ، فكر عليهم في سيرهم ، وأعمل فيهم السيف ، فلم ينج منهم أحد إلا الشريد ، وغنم ماكان معهم من زاد ومال ، وسبى النساء ، وشنع بالشيوخ والأطفال ولقي بعض المنهزمين غيلان بن كشمرد ، فأخبره بالواقعة ، وقالوا مابينك وبينهم إلا القليل ، ولو رأوك لقويت نفوسهم / فالله الله فيهم فأجاب : لا أعرض جيش الخليفة للقتل ، وكر راجعاً مع أصحابه ، وأرسل من نجا من الحجاج إلى رؤساء القافلة الثالثة يحذرونهم [٤] ، وأعلموهم بما

/

(١) قال ياقوت : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة فيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد .

(٢) هي الأرض التي وقعت فيها كارثة كربلاء وقتل الحسين بن علي ، سبط النبي صلى الله عليه وسلم ـ انظر معجم البلدان .

(٣) في الطبري ـ ٢٢٧٠ ـ علان . والاضافة من الطبري نفس الصفحة .

(٤) في الأصل ـ يحذروهم ـ

جرى لهم من القرامطة وأن [١] يعدلوا عن المجيء من هذا الطريق ، والرجوع إلى فيد[٢] والمدينة الى أن تأتي جيوش الخليفة ، فلم يتعظوا بذلك وساروا لقضاء الله وقدره . « تهم الهمم ، ويسعي القدم ، لعمر دنا أو رزق قسم ، والمكتوب مامنه مهروب وما قدر كان » [٣] .

وسارت القرامطة من العقبة بعد قتل الحجاج وماغنموه وسبوه من النساء ، فسدوا الآبار التي[٤] على الطرق ، والبرك بالجيف والرمال والأحجار بواقصة والثعلبية والعقبة ، وغيرها من المسالك في جميع طرقهم وأقام بالهبير[٥] ينتظر في القافلة الثالثة فلما حضرت قاتلها ثلاثة أيام وهم على غير ماء ، ولم يجدوه من قبل مسيرهم بأيام ، فاضطروا للتسليم لشدة مابهم من العطش ، فوضع فيهم السيف ، وقتلهم عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم أحد ، وجمع القتلى كقمة جبل ، وأرسل خلف من انهزم يبذل لهم الأمان ، فلما حضروا ، قتلهم وغدر بهم لعنه الله ، وكان في القتلى مبارك القمي وولده [وأسر] [٦] أبو العشائر بن حمدان وكانت نساء القرامطة يطفن بالماء على القتلى ، فمن رأينه حياً قتلوه ، وعدد القتلى في الموقعة عشرون ألفاً ، ولم ينج منهم الا من هرب وقت اشتغال القرمطي بالحرب ، أو من نام بين القتلى ، ولم يفطن له . / ٢

---

(١) في الاصل ـ وأنهم ـ

(٢) قال عنها ياقوت : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة .

(٣) يبدو أن هذه الجملة قد اقحمت في الأصل .

(٤) في الأصل ـ الذي ـ

(٥) قال ياقوت : الهبير : رمل زرود في طريق مكة .

(٦) الاضافة من الطبري ـ ٢٢٧٢ ـ وفيه أن ابن مبارك القمي كان يسمى المظفر.

وجملة ماغنموه من هذه الموقعة مائة ألف ألف دينـار ، وكان في جملة ما أخذوه أموال الطولونية ، فإنهم لما عزموا على الانتقال من مصر الى بغداد ، خافوا أن يستصحبوها فتؤخذ منهم ، فعملوها سبائك وجعلوها في حدائج الجمال ، وجميع مالهم من الحلي والجواهر ، وأرسلوا الجميع الى مكة سراً ، وكان جميع ما لهم في هذه القافلة فأخذت .

وبعث زكرويه يستطلع جند الخليفة الذي كان بالقادسية ، وأقام ينتظر وصول من كان في الحج من عسكر الخليفة وأصحابه ، وكانوا مقيمـين بفيد ومنتظرين الأخبـار ، هل القرمطي تعرض للحجيج ؟ وكان معهم جماعة من التجار وأرباب الأموال ، فلما بلغهم خبر من قبلهم ، وماجرى من القرامطة ، جلسوا ينتظرون وصول النجدات من عند الخليفة . فسار الملعون الخبيث زكرويه لعنه الله ـ وسد الآبار وردم البرك في الطريق والميـاه ـ الى فيد فاحتمى وتحصن أهل فيد ومن بهـا من الحجيج بالحصنين اللذين بفيد ، وحاصرهم القرمطي وضيق عليهـم ، وأرسل الى أهلها يأمرهم بالتسليم ويؤمنهم على ذلك ، فلم [يجيبوه] (١) ، وهددهم بالقتل والسلب والنهب ، فازداد امتنـاعهم ، فأقام محاصراً لهـم عـدة أيام ، ثم رحل الى النبّاج ثم الى حَفَر أبي موسى (٢) .

(١) الزيادة في الطبري - ٢٢٧٥ -

(٢) في الأصل .. الساج ثم الى جعفر - والتقويم من بلاد العرب ص ٣٣٩ ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ، ط . بيروت ١٩٦٨ ، وياقوت مادتي - حفر والنباج - وكتاب المناسك ص ٥٧٩ ، تحقيق حمد الجاسر ، ط . بيروت ١٩٦٩ . وهـو يدعى الآن حفر الباطن .

SS

خبر مقتل الملعون زكرويه

ولما تطايرت الأخبار الى الخليفة المكتفي ، وعلم بما جرى للحجيج عظم ذلك عليه ، وعلى كافة المسلمين ، فأنفذ أمره بتجهيز الجيوش ، وسيرها في ربيع الأول بقيادة وصيف بن سوارتكين ، مع بقية القواد وعلى طريق خفان [١] ، فلقيهم زكرويه ومن معه من القرامطة في ثامن ربيع الأول ، ونشب بينهم الحرب يومهم إلى أن حال بينهم / الظلام ، وباتوا يتحارسون ويحتاطون شدة الاحتياط ، فلما أصبحوا نشب الحرب بينهم ، ووقعت موقعة قتال عنيف ، قتل فيها من القرامطة مالايحصى عدده حتى وصلوا الى الملعون الخبيث زكرويه ، فضربه بعض الجند ـ وهو منهزم ومول الهرب ـ على رأسه ضربة شديدة بسيفه أفضت الى دماغه [٢] ، فوقع على الأرض مضرجاً بدمائه ، فحملوه أسيراً ، وأخذوا من هو خليفته ، وخواصه ، وأقرباؤه وكاتبه ، وزوجته وابنه ، واحتوى العسكر على كل ما كان عند زكرويه ، ومات [و] هلك الملعون زكرويه بعد مضي خمسة أيام ، فأرسلت جثته والأسرى الى بغداد ، وفر جماعة من أصحابه الى الشام ، فلقيهم الحسين بن حمدان فقتلهم جميعاً ، وأخذوا جماعة من

(١) موضع قرب الكوفة ، كان يسلكه الحاج أحياناً ، وهو فوق القادسية ـ معجم البلدان .

(٢) في الأصل ـ رأسه ـ والتقويم من الطبري ـ ٢٢٧٥ ـ

النساء ، والصبيان . وحملوا رأس الملعون زكرويه الى خراسان لئلا ينقطع الحج ، وأخذ الأعراب رجلين من أصحاب الملعون أحدهما يعرف بالحداد والثاني بالمنتقم ، وهو أخو امرأة زكرويه ، سارا اليهم يدعوانهم الى[1] اعتناق مذهبهم ، والخروج معهم ، فلما أخذوهما سيروهما الى الخليفة فقتلهما . وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق ، فقتل منهم وحبس البعض ، ومنهم من مات في سجن الخليفة .

وفي سنة إحدى وثلاثمائة :

في هذه السنة قتل كبير القرامطة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي[2] قتله خادمه في الحمام ، فلما قضي عليه وهلك خرج خارج الحمام وهمس في أذن / رجل عظيم من رؤسائهم يستدعيه بأن مولاه يريده ، فدخل معه الحمام فقتله ، وخرج ودعا آخر من عظماء القرامطة ، وفعل معه فعلته الأولى الى أربعة منهم ، فلما استدعي الخامس ، فطن لذلك ، فمسك يد الخادم وصاح ، فاجتمع النساء والرجال ، وحصل بينهم وبين الخادم مناظرات ، وقتلوه . ٣٠

وكان أبو سعيد الجنابي [قد][3] عهد لابنه الأكبر سعيد ، فعجز عن القيام بالأمر ، فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان ، وكان شجاعاً شهماً ، وسيرد من أخباره فيما بعد .

وكان أبو سعيد استولى على الأحساء والقطيف وهجر (والطائف) وسائر بلاد البحرين . وكان المقتدر كتب له كتاباً ليناً بشأن من عنده من

---

(١) في الأصل سار إليهم يدعوهم والتقويم من الطبري - ٢٢٧٩ -
(٢) الى هنا انتهى ما أورده الطبري - انظر المجلد الرابع . طبعة برل سنة ١٨٩٠م
(٣) الاضافة من الكامل ٨ : ٦٣ ط ، برل - ١٨٢٦ م - .

أسرى المسلمين ، ويناظره ويقيم الدليل على فساد مذهبه ، وأنفذ معه الرسل فلما وصلوا البصرة بلغهم خبر موته ، فأرسلوا الى الخليفة فأمرهم بالتوجه إلى ولده ، فأتوا أبا طاهر ، فأكرم الرسل ، وأطلق الأسرى ، وأرسلهم الى بغداد ، وأجاب عن الكتاب [١] .

وفي حوادث القرامطة

في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة :

تقوى أبو طاهر ، وفيها قصد البصرة فدخلها ليلاً في ألفي [٢] وسبعمائة رجل ، ومعه السلالم الشعر ألقاها على السور ، وصعد اليها ، وفتح الباب وقتل النفر الموكلين بالحراسة ، وكان ذلك في ربيع الآخر ، وكان والي البصرة سُبْك المُفلحي ، فلم يشعر بهم الا/ سحراً ، ولا علم أنهم القرامطة وكان معتقده أنهم أعراب تجمعوا ، فركب اليهم فقتلوه ووضعوا السيف في أهل المدينة ، وهرب الناس الى الكلاء [٣] ، وحاربوا القرامطة عشرة أيام بلياليها ، فظفر بهم القرمطي وقتلوا خلقاً كثيراً ، وطرح الناس أنفسهم في الماء فغرق أكثرهم .

وأقام أبو طاهر بالبصرة ثمانية عشر يوماً ، يحمل منها مايقدر على حمله من الأموال ، والأمتعة ، والنساء ، والصبيان ، ورجع الى بلده . وولى المقتدر على البصرة عاملا محمد بن عبد الله الفارقي ، فانحدر اليها ، وقد رحل عنها أبو طاهر .

---

(١) مرد هذا ليس لحداثة عهد أبي طاهر ، ولكن لقيام الخلافة الفاطمية ، وموقف قرامطة البحرين واليمن هنا .

(٢) كذا في الاصل ، والافضل أن يقال : ـ ألفين ـ . وجاء في الكامل ٨ : ١٠٥ ـ ألف ـ .

(٣) في ياقوت : ـ مادة الكلاء ـ اسم محلة مشهورة وسوق البصرة أيضاً ـ .

وفي سنة اثني عشرة وثلاثمائة :

تحرك أبو طاهر القرمطي الى الهبير ، ومعه جيش عرمرم ليلقى الحج في رجوعه في مكة ، فأوقع بقافلة تقدمت معظم الحاج ، وكان فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرهم ، فنهبهم ، واتصل الخبر بباقي الحجاج وهم بفيد ، فأقاموا بها حتى فني زادهم ، فارتحلوا مسرعين ، وكان أبو الهيجاء بن حمدان قد أشار عليهم بالعود الى وادي القرى ، وأنهم لا يقيمون بفيد ، فاستبعدوا الطريق ولم يقبلوا منه — وكان الى أبي الهيجاء طريق الكوفة — وكثر الحاج ، فلما فني زادهم ساروا على طريق الكوفة فأوقع بهم القرامطة وأخذوهم ، وأسروا أبا الهيجاء وأحمد بن كشمرد ونحرير ، وأحمد بن بدر ، عم والدة المقتدر ، وأخذ أبو طاهر جمال الحجاج جميعها ، وما أراد من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان ، وعاد الى هجر وترك الحجاج في مواضعهم [1] فمات أكثرهم جوعاً وعطشاً من حر الشمس . وكان عمر أبي طاهر حينئذ سبع عشرة سنة . / ٢ٓ

وانقلبت بغداد واجتمع حرم المأخوذين الى حرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات وجعلن ينادين : القرمطي الصغير أبو طاهر قتل المسلمين من الحاج في طريق مكة والقرمطي الكبير ابن الفرات قتل من في بغداد من المسلمين ، وكانت صورة شنيعة وكسر العامة منابر الجوامع وسودوا المحاريب يوم الجمعة [2] لست خلون من صفر ، وضعفت نفس ابن الفرات وحضر عند المقتدر ليأخذ أمره فيما يفعله ، وحضر نصر

---

(١) في الاصل — مواضع — والتقويم من الكامل ٨ : ١٠٨ ومسكويه ١ : ١٢١

(٢) في الاصل — الجميع — والتقويم من الكامل ٨ : ١٠٨ .

الحاجب المشورة ، فانبسط لسانه على ابن الفرات ، وقال له : الساعة تقول أي شيء نصنع ، وماهو الرأي ، بعد أن زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال : في الباطن بالميل مع كل عدو يظهر ، ومكاتبته ومهادنته ، وفي الظاهر بابعادك مؤنساً ، ومن معه الى الرقة ، وهم سيوف الدولة ، فمن يدفع الآن هذا الرجل إن قصد الحضرة أنت أو ولدك ؟! وقد ظهر الآن أن مقصودك بابعاد مؤنس ، وبالقبض علي وعلى غيري أن تستضعف الدولة ، وتقوي أعداءها ، فتشفي غيظ قلبك ممن صادرك وأخذ أموالك ، ومن الذي سلم الناس إلى القرمطي غيرك لما يجمع بينكما من التشيع والرفض ، وقد ظهر أيضاً أن ذلك الرجل العجمي[1] كان من أصحاب القرمطي ، وأنت أوصلته . فحلف ابن الفرات أنه ما كاتب القرمطي ولا هاداه ، ولا رأى ذلك الأعجمي الا تلك الساعة ، والمقتدر معرض عنه ، وأشار نصر على المقتدر أن يحضر مؤنساً ومن معه ، ففعل ذلك وكتب اليه بالحضور ، فسارع الى ذلك ، ونهض ابن الفرات فركب في طياره فرجمته العامة حتى / كاد يغرق .

وتقدم المقتدر الى ياقوت بالسير الى الكوفة ليمنعها من القرامطة ، فخرج في جمع كثير ومعه ولداه : المظفر ، ومحمد ، فخرج على ذلك العسكر مال كثير . وورد الخبر بعود القرامطة فعطل مسير ياقوت ، ووصل مؤنس المظفر الى بغداد . ولما رأى المحسن ابن الوزير ابن الفرات انحلال أمورهم ، أخذ من كان محبوساً عنده من المصادرين فقتلهم ، لأنه كان قد أخذ منهم أموالاً جليلة ، لم يوصلها إلى المقتدر ، فخاف أن يقروا عليه .

---

(١) لم ترد الاشارة الى هذا الرجل من قبل لنحدد هويته .

ثم ان الإرجاف كثر على ابن الفرات ، فكتب الى المقتدر يعرفه ذلك ، وإنما الناس عادوا لنصحه وشفقته وأخذ حقوقه منهم ، فأنفذ المقتدر اليه يطيب قلبه ، فركب هو وولده الى المقتدر ، فأدخلها اليه ، ولما خرجا من عنده ، منعهما نصر الحاجب من الخروج ووكل بهما ، فدخل مفلح على المقتدر وأشار اليه بتأخير عزله ، فأمر باطلاقهما ، فخرج هو وابنه المحسن . فأما المحسن فانه اختفى ، وأما الوزير فانه جلس عامة نهاره يمضي الأشغال الى الليل ، ثم بات مفكراً ، فلما أصبح سمعه بعض الخدم ينشد .

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً اقُدّامه خير له أم وراؤه

فلما أصبح الغد ـ وهو الثامن من ربيع الأول ـ أتاه نازوك وبليق في عدة من الجند ، فدخلوا الى الوزير ، وهو عند الحرم فأخرجوه حافياً مكشوف الرأس / وأُخذ الى دجلة ، فألقى عليه بليق طيلساناً ٣٤ غطى به رأسه ، وحمل الى طيار فيه مؤنس المظفر ، ومعه هلال بن بدر ، فاعتذر اليه ابن الفرات وألان كلامه ، فقال له : أنا الآن الاستاذ ، وكنت بالأمس الخائن الساعي في فساد الدولة ، وأخرجتني والمطر على رأسي ، ورؤوس أصحابي ، ولم تمهلني . ثم سلم الى شفيع اللؤلؤي فحبس عنده ، وكانت مدة وزارته هذه عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وأخذ أصحابه وأولاده ، ولم ينج منهم الا المحسن ، فانه اختفى ، وصودر ابن الفرات على جملة على المال مبلغها ألف ألف دينار.

ولما تغير حال ابن الفرات سعى عبد الله بن محمد بن عبيد الله (بن)[1] يحيى بن خاقان ، أبو القاسم بن علي الخاقاني في الوزارة ،

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١١٠ .

وكتب خطه يتكفل ابن الفرات وأصحابه بمصادرة ألف ألف دينار ، وسعي له مؤنس الخادم وهارون بن غريب ـ الخال ـ ونصر الحاجب ، وكان أبو علي الخاقاني والد أبي القاسم مريضاً شديد المرض ، وقد تغير عليه لكبر سنه فلم يعلم بشيء من حال ولده . وتولى أبو القاسم الوزارة تاسع ربيع الأول وكان المقتدر يكرهه ، فلما سمع ابن الفرات وهو محبوس بولايته قال[١] : الخليفة هو الذي نكب لا أنا ، يعني أن الوزير عاجز لايعرف أمر الوزارة .

ولما وزر الخاقاني شفع اليه مؤنس الخادم في اعادة علي بن عيسى من صنعاء الى مكة ، / فكتب الى جعفر عامل اليمن في الإذن لعلي ابن عيسى في العود الى مكة ، ففعل ذلك ، وأذن لعلي في الاطلاع على أعمال مصر والشام ، ومات أبو علي الخاقاني في وزارة ولده هذه . ٢

وكان المحسّن ابن الوزير ابن الفرات مختفياً كما ذكرنا ، وكان عند حماتة حنزابه[٢] ، وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات ، وكانت تأخذه كل يوم الى المقبرة ، وتعود به الى المنازل التي يثق بأهلها عشاء[٣] وهو في زي امرأة ، فمضت يوماً الى مقابر قريش ، وأدركها الليل ، فبعد عليها الطريق ، فأشارت عليها امرأة معها أن تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير تختفي عندها ، فأخذت المحسّن ، وقصدت تلك المرأة ، وقالت

---

(١) في الاصل قال له . والتقويم من الكامل ٨ : ١٠٠

(٢) في الكامل ٨ : ١١١ – حزانة – وعند مسكويه ١ : ١٣١ – جنزابة – والصحيح ما أثبتنـــاه ، والحنزابة هو جزر البر ، شبهت به لقصرها . انظر القاموس مادة حنزب.

(٣) في الاصل – غشاة – والتقويم من الكامل ٨ : ١١١ .

لها : معنا صبية بكر نريد بيتاً تكون فيه ، فأمرتهم بالدخول الى دارها، وسلمت اليهم قبة في الدار ، فأدخلن المحسن اليها ، وجلست النساء اللواتي معه في صفة بين يدي باب القبة ، فجاءت جارية سوداء فرأت المحسّن في القبة ، فعادت الى مولاتها فأخبرتها أن في الدار رجلاً ، فجاءت صاحبتها ، فلما رأته عرفته ، وكان المحسن قد أخذ زوجها ليصادره ، فلما رأى الناس في داره يجلدون ويشقصون ويعذبون مات فجأة ، فلما رأت المرأة المحسّن وعرفته ، ركبت في سفينة وقصدت دار الخليفة / ٣٦ وصاحت : « معي نصيحة لأمير المؤمنين » ، فأحضرها نصر الحاجب فأخبرته بخبر المحسن ، فأنهى ذلك الى المقتدر ، فأمر نازوك صاحب الشرطة أن يسير ويحضره ، فأخذها معه الى منزلها ، ودخل المنزل وأخذ المحسن وعاد به الى المقتدر ، فرده الى دار الوزير ، فعذب أنواع العذاب ليجيب الى مصادرة يبذلها ، فلم يجبهم الى دينار واحد ، وقال : لا أجمع لكم بين نفسي ومالي ، واشتد العذاب عليه بحيث امتنع عن الطعام، فلما علم بذلك المقتدر أمر بحمله مع أبيه الى دار الخلافة فقال الوزير أبو القاسم لمؤنس وهارون بن غريب ـ الخال ـ ونصر الحاجب : إن نقل ابن الفرات الى دار الخلافة ، بذل أمواله ، وأطمع المقتدر في أمواله ، وضمننا منه ، وتسلمنا فأهلكنا ، فوضعوا القواد والجند حتى قالوا للخليفة: إنه لابد من قتل ابن الفرات وولده ، فاننا لا نأمن على أنفسنا ماداما[1] في الحياة ، وترددت[2] ورود الرسائل في ذلك ، وتشاور [الخليفة] مع مؤنس وهارون ونصر الحاجب ، فوافقوا على قتلها ، فجيء بها[3]

---

(١) في الاصل ـ ما داموا ـ انظر الكامل ٨ : ١١٢ .
(٢) في الاصل ـ وترددت ـ .
(٣) في الاصل ـ على قتلهم فجيء بهم ـ انظر الكامل ٨ : ١١٢ .

ss

وذبحوهما كذبح الغنم .

وكان ابن الفرات قد أصبح يوم الأحد صائماً فأتوا اليه بطعام فلم يأكله ولم يفطر ، وقال : رأيت أخي العباس يقول لي : أنت وولدك عندنا يوم الاثنين ، ولا أشك اننا نقتل . فقتل ابنه المحسن [يوم الاثنين][1] لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر . وحمل / رأسه الى أبيه فارتعش واقشعر بدنه وأغمي عليه ، ثم عرض على أبيه السيف فقال : راجعوا في أمري ، فان عندي أموالاً طائلة ، وجواهر كثيرة ، فقيل له : جل الأمر عن ذلك ، وقتلوه وعمره يومئذ نيف وسبعون سنة ، وابنه ثلاث وثلاثون سنة ، وحمل رأساهما[2] الى المقتدر فأمر بتغريقها .

وقال أبو الحسن بن الفرات في بعض مجالسه : ان المقتدر بالله يقتلني فصح ذلك ، ومما يروى عنه أنه رجع يوماً من عند المقتدر ، وهو مفكر كثير الهم فقيل : ما بالك ؟ فقال : كنت عند المقتدر فما خاطبته بكلمة ، إلا أجاب ، نعم . فقلت له : الشيء ، وضده ، أجاب ، نعم ، فقيل له : هذا لحسن ظنه بك ، وثقته بما تقول ، واعتماده على شفقتك ، فقال : لا والله [ولكنه] أذن[3] لكل قائل ، وما يؤمني إذا قيل له : نقتل الوزير ، فيقول : نعم ، والله إنه لقاتلي .

ولما قتل ركب هارون الى الخاقاني ، وأخبره فاغمي حتى ظن من حضر أنه مات ، وصاح أهله وذووه وبكوا وولولوا عليه ، فلما أفاق من غشيته لم يفارقه هارون حتى أخذ منه ألفي دينار .

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١١٢ .

(٢) في الاصل – رأسها – .

(٣) في الاصل – بشفقتك فقال : لا والله أذن – . والتقويم والاضافة من الكامل ٨ : ١١٣ .

وأما أولاد ابن الفرات فشفع فيهم مؤنساً المظفر ـ وهما عبد الله وأبو نصر ـ فأطلقا من السجن ، فخلع عليهما ووصلهما بمال ، وصودر ابنه الحسن على عشرين ألف دينار ، وأطلق إلى منزله . وكان الوزير أبو الحسن بن الفرات كريماً ذا رئاسة وكفاية (١) في عمله ، حسن الخطاب والجواب ولم يكن له سيئه إلا ولده المُحَسِّن .

ومن محاسنه أنه جرى / ذكر أهل الأدب والحديث وماهم فيه من الفقر والقلة (٢) فأعانهم بعشرين ألف درهم ، وكذا الشعراء والأدباء وكذا الفقهاء والصوفية لكل عشرين ألفاً . وكان إذا ولي الوزارة ارتفعت أسعار القراطيس والشمع والثلج لكثرة استعمالها ، ولم يكن فيه عيب سوى أن ولده وأصحابه كانوا يفعلون الرذائل ، ويظلمون ، ولا يمنعهم من ذلك أبداً ، « وعلى رأي المثل دار الظالمين خراب ودولة الظلم لا تدوم » (٣)، فمن ذلك أن رجلاً من أصحابه اغتصب أرضاً من امرأة ، فكتبت له غير مرة فلم يرد لها جواباً ، فوقفت له يوماً في طريقه ، واستحلفته بالله أن يرثي لحالها ، ويسمع منها ، فوقف لها ، فقالت : كنت كتبت لك في ظلامتي غير مرة ، فلم تجبني ، وقد تركتك ، ورفعتها إلى الله تعالى ، فلما كان بعد أيام و [رأى] (٤) تنير حاله ، قال : ما أظن إلا جواب رقعة تلك المظلومة قد خرج ، فكان كما قال !

٣٨

وفي هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطي الكوفة ، وسبب ذلك أن

---

(١) في الأصل – كفوا – والتقويم من الكامل ٨ : ١١٣ .

(٢) زاد ابن الأثير ٨ : ١١٣ – والتعفف – .

(٣) يبدو أن هذه الجملة قد قحمت في الاصل.

(٤) الاضافة من الكامل ٨ : ١١٤ .

أبا طاهر أخلى سبيل من كان عنده من الأسرى من الحجاج وغيرهم ، وفيهم ابن حمدان وغيره ، وطلب من المقتدر البصرة والأهواز ، فلم يجبه إلى ذلك فارتحل من هجر يريد الحـــج ، وكان جعفر بن ورقاء الشيباني والياً على الكوفة ، وطريق مكة ، فلما سار الحجاج من بغـداد سار جعفر من بين أيديهم خوفاً من أبي طاهر ، ومعه ألف رجل من بني شيبان ، وسار مع الحجاج ثمل صاحب البحر ، وجني الصفواني ، وطريف السبكري وغيرهم في ستة آلاف رجل ، فلقي أبو طاهر جعفر ، وحصل بينهما موقعة قتال شديدة يشيب لها / الولدان ، فبينما هو في المعركة ، وإذا بفريق من القرامطة طلع له عن يمينه ، فانهزم من بين أيديهم شر هزيمة فلقي القافلة الأولى وقد انحدرت من العقبة ، فردهم إلى الكوفة ، ومعهم عسكر الخليفة ، وتبعهم أبو طاهر إلى باب الكوفة ، واشتبك معهم في قتال عنيف ، فنهزم جند الخليفة وأعمل فيهم السيف ، ومكنـه من أعناقهم فلاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

وأسر جنيا الصفواني وهرب الباقون والحجاج من الكوفة ، ودخلها أبو طاهر وأقام ستة أيام يدخلهـا نهاراً ويجلس في المسجد إلى ما بعـد العشاء ويخرج يبيت في عسكره ، وحمل منها من الغنائم ما لاعين رأت ولا أذن سمعت من أموال ، وجواهر غوال وثياب من خز وديبـاج ، وغير ذلك ، وعاد الى وطنه هجر ، ودخل المنهزمون بغـداد ، فأنفـذ الخليفة أمره الى مؤنس المظفر بالخروج الى الكوفة ، فرحل اليها ودخلها وقد عاد القرمطي راجعاً الى وطنه ، فاستخلف عليها ياقوتاً وسار مؤنس الى واسط خوفاً من أبي طاهر وخاف أهل بغداد ، وانتقل الناس الى واسط خوفاً من أبي طاهر وخاف أهل بغداد ، وانتقـــل الناس الى الجانب الشرقي ولم يحج في هذا العام من الناس أحد .

وفي سنة أربع عشرة وثلاثمائة أمر الخليفة بتقليد يوسف بن أبي الساج نواحي المشرق ، وأذن له في جباية أموالها وصرفها على قواده وأجناده ، وسيره الى واسط ليسير الى هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي ./ فدخلها ٤٠ وواليها يومئذ مؤنس المظفر ، فسار الى بغداد ليقيم فيها ، وجعل له أموال الخراج بلدان : همذان وساوة ، وقم ، وقاشان وماه البصرة ، وماه الكوفة ، وماسبذان ، ليجري منها النفقات على جنده ، ويستعين بها على محاربة القرمطي ، وذلك من تدبير الخصيبي[1] .

وفي سنة خمس عشر وثلاثمائة :

وصلت الأخبار الى الخليفة المقتدر بمسير أبي طاهر القرمطي وجنده الى الكوفة ، ثم وردت الأخبار من البصرة بأنه اجتاز قريباً منهم نحو الكوفة ، فأرسل الخليفة الى يوسف بن أبي الساج بالتوجه لمحاربة القرمطي ، فسار الى الكوفة من واسط في آخر شهر رمضان ، وأعدوا له الانزال ولعسكره ، فلما وصلها أبو طاهر القرمطي ، هرب نواب السلطان عنها ، فاستولى على ذلك كله أبو طاهر القرمطي ، وكان فيها العلوفات والزاد ، وقد نفذ زاد أبي طاهر فغنم تلك الغنائم .

ووصل الكوفة يوسف بن [أبي] الساج ثاني يوم وصول القرمطي الى الكوفة ، وكان يوم الجمعة ثامن شوال ، فكتب للقرمطي بطاعة الخليفة ، فرد عليه : « لانطيع الا الله والحرب بيننا وبينك غداً » ، فلما أصبحا ابتدأ أوباش العسكر بالسب والشتم وقذف الحجارة ، ورأى يوسف

---

(١) هو أبو العباس الخصيبي وكان وزير المقتدر آنذاك ، مسكويه ١ : ١٤٣ ، الكامل ٨ : ١١٩ .

قلة القرامطة فاحتقرهم ، وقال : « ان هؤلاء لشرذمة قليلة بعد ساعة في يدي » . وتقدم بأن يكتب كتاب الفتح والبشارة بالظفر .

ماكل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بمالاتشتهي السفن (١)

وزحف الناس بعضهم الى بعض فسمع أبو طاهر أصوات البوقات والزعقات ، فقال لصاحب له : ماهذا ؟ فقال : فشل ، قال : أجل ! لم يزد على هذا ، فاقتتلوا ضحوة النهار يوم السبت الى غروب الشمس ، وصبر الفريقان فلما رأى ذلك أبو / طاهر باشر الحرب بنفسه ، ومعه جماعة يثق بهم ، فطحن أصحاب يوسف ودقهم ، فانهزموا بين يديه ، ووقع يوسف أسيراً ، وكثير من أصحابه ، وذلك وقت غروب الشمس ، فحملوه الى عسكرهم ، ووكل به أبو طاهر طبيباً يداوي جراحه ، وطار الخبر الى بغداد فارتعد الناس ، وخافوا عاقبة أمر القرامطة ، وارتاعوا وخافوا خوفاً شديداً ، وعزموا على الهرب الى حلوان وهمذان ، ودخل المنهزمون أكثرهم حفاة عراة « يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور مما حل بهم ونكبهم » (٢) ، فبرز مؤنس المظفر ليسير الى الكوفة ، وأتاهم الخبر أن القرامطة قد ساروا الى عين التمر ، فأنفذ من بغداد خمسمائة سميرية فيها المقاتلة لتمنعهم من عبور الفرات ، وسير جماعة من الجيش الى الأنبار ، فقطع أهلها الجسر ، ونزل القرامطة غربي الفرات ، وأنفذ أبو طاهر أصحابه الى الحديثة (٣) فأتوه بسفن ، ولم يعلم أهل الأنبار ، وعبر فيها ثلاثمائة رجل من القرامطة ، وقاتلوا عسكر الخليفة ، فهزموهم

---

(١) يبدو أن هذا حشو ، وليس من الاصل .

(٢) يبدو أن هذه الجملة ليست من الاصل بل أقحمت فيه من قبل أحد النساخ .

(٣) في الأصل — وأمر أبو طاهر أصحابه الحديثة — والتقويم من الكامل ٨ : ١٢٥

وقتلوا منهم جماعة ، واستولى القرامطة على مدينة الأنبار ، وعقدوا الجسر ، وعبر أبو طاهر جريدة ، وخلف سواده بالجانب الغربي ، فوصل الخبر بعبور أبي طاهر الى الأنبار ، وخرج نصر الحاجب في عسكر جرار ولحق بمؤنس ، فاجتمعا في نيف وأربعين ألف مقاتل ، سوى الغلمان ، ومن يريد النهب ، وكان ممن معه : أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ، ومن اخوته أبو الوليد ، وأبو السرايا في أصحابهم ، فوصلوا نهر زبارا / على فرسخين من بغداد عند عقرقوف ، فأشار أبو الهيجاء بقطع ٤٢ القنطرة التي عليه ، فقطعوها وسار أبو طاهر ومن معه [نحوهم] (١) ، فبلغوا نهر زبارا ، وفي أوائلهم رجل أسود فما زال يدنو من القنطرة حتى وجدها مقطوعة ، فعاد والنشاب يأخذه وهو مثل القنفذ .

وأراد القرامطة العبور فلم يتمكنوا من ذلك ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير الى بغداد من غير أن يلقوهم ، فلما رأى ابن حمدان ذلك ، قال لمؤنس : كيف رأيت ما أشرت به عليكم ؟ فوالله لو عبر القرامطة النهر لانهزم كل من معك ولأخذوا بغداد ، ولما رأى القرامطة ذلك كروا راجعين إلى الأنبار ، وسير مؤنس صاحبه بليق (٢) بستة آلاف مقاتل إلى عسكر القرامطة غربي الفرات ، ليغنموه ويخلصوا ابن أبي الساج ، فبلغوا إليهم وقد عبر أبو طاهر الفرات في زورق صياد وأعطاه ألف دينار ، فلما رآه أصحابه قويت قلوبهم ، ولما أتاهم عسكر مؤنس ، كان أبو طاهر عندهم فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم عسكر

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١٢٥ .

(٢) عند مسكويه ١ : ١٧٨ - بلبق حاجبه - وكذا في اتعاظ الحنفا - ص٢٤٢ ط. الشيال الأولى .

الخليفة ، ونظر أبو طاهر ابن أبي الساج وهو قد خرج من الخيمة ، ينظر ويرجو الخلاص ، وقد ناداه أصحابه أبشر بالفرج ، فلما انهزموا أحضره وقتله ، وقتل جميع الأسرى من أصحابه . وسلمت بغداد من نهب العيارين ، لأن نازوك كان يطوف ليلاً ونهاراً وكل شخص يجده [بعد العتمة] [١] يقتله ، فامتنع العيارون واكترى كثير من أهل بغداد سفناً ، ونقلوا فيها متاعهم وأموالهم ، ومنهم من هاجر إلى / حلوان ٤ وخراسان وإلى واسط وكان عدة القرامطة ألفين وسبعمائة رجل منهم خمسمائة فارس [٢] .

وقصد القرامطة مدينة هيت ، وكان المقتدر سير إليها سعيد بن حمدان وهرون بن غريب . فلما بلغها القرامطة وجدوا عسكر الخليفة سبقهم إليها فقاتلوهم على السور فقتل من القرامطة جماعة كثيرة فرجعوا عنها .

ولما علم [٣] أهل بغداد عودتهم من هيت سكنت قلوبهم ولما بلغ الخليفة عدد جنده وجند القرامطة ، قال : لعن الله نيفاً وثمانين ألفاً ، يعجزون عن ألفين وسبعمائة [٤] .

وحضر شخص إلى علي بن عيسى ، وأخبره أن في جيرانه رجلاً [٥]

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١٢٦ .

(٢) في الكامل ٨ : ١٢٦ — ألف رجل وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وقيل كانوا ألفين وسبعمائة — . وهذا ما أورده مسكويه — ١ : ١٧٩ — أيضاً .

(٣) في الاصل — علموا — وفي الكامل ٨ : ١٢٧ — بلغ — .

(٤) في الأصل وثمانمائة — والتقويم مما تقدم آنفاً ومن الكامل ٨ : ١٢٧ .

(٥) وفي الكامل ٨ : ١٢٧ —رجلاً من شيراز— . وكذا قال مسكويه ١ : ١٨١ .

ss

على مذهب القرامطة ، يكاتب أبا طاهر بالأخبار ، فأحضره وسأله ، فأقر ، وقال : ماعرفت أبا طاهر إلا لما صح عندي مذهبه وأنه حق ، وأنت وصاحبك كفار تأخذون ماليس لكم ، ولا بد لله من حجة في أرضه ، وإمامنا المهدي محمد بن فلان بن فلان بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب ، ولسنا كالرافضة والاثني عشرية ، الذين يقولون بجهلهم ، إن لهم إماماً ينتظرونه ، ويكذب بعضهم لبعض ويقول: « رأيته وسمعته وهو يقرأ » ، ولاينكرون ذلك لجهلهم وغباوتهم أنه لايجوز أن يعطى من العمر ما يظنونه ، فقال [له][1] : قد خالطت عسكرنا وعرفتهم فمن فيهم على مذهبك[2] ؟ فقال : وأنت بهذا العقل ، كيف أسلم ناساً مؤمنين لقوم / كافرين يقتلونهم ؟ لا أفعل ذلك أبداً ، فأمر بتعذيبه فضرب ضرباً مبرحاً ، ومنع الطعام والشراب ، فهلك بعد ثلاثة أيام .   ٤٤

وكان ابن أبي الساج قبل قتاله القرامطة قبض على وزيره محمد بن خلف البيرماني[3] ، وجعل مكانه أبا علي الحسن بن هرون ، وصادره على خمسمائة ألف دينار . وسبب ذلك أن البيرماني[٦] كثر ماله وعظم شأنه ، فطمع أن يكون وزيراً للخليفة ، فكتب بذلك لنصر الحاجب يخطب الوزارة ، ويسعى بابن أبي الساج ، ويقول إنه قرمطي يعتقد إمامة العلوي الذي بإفريقية ، واني ناظرته على ذلك فلم يرجع وانه لايسير الى قتال أبي طاهر ، وانما يأخذ المال بهذا السبب ، ويقوى به

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١٢٧ .

(٢) في الأصل — وعرفت من فيهم على مذهبك — والتقويم من الكامل ٨ : ١٢٧ .

(٣) في الكامل ٨ : ١٢٧ — ومسكويه ١ : ١٨٤ — النيرماني — .

على قصد حضرة السلطان وازالة الخلافة من بني العباس ، وطول في ذلك وعرض ، وكان لمحمد بن خلف أعداء قد أساء اليهم من أصحاب ابن أبي الساج ، فأخبروا يوسف ، وأطلعوه على جوابات جاءت من بغداد من نصر الحاجب في هذا المعنى ، وفيها الوعد له بالوزارة ، وعزل علي بن عيسى الوزير ، فلما علم ذلك يوسف بن أبي الساج ، قبض على محمد بن خلف ، فلما أسر ابن أبي الساج تخلص من السجن ، وكان ابن أبي الساج يدعى بالشيخ الكريم ، لما جمع الله فيه من خلال الكرم والكمال ، رحمه الله تعالى .

وفي سنة ست عشر وثلاثمائة :

سار القرامطة من الأنبار ، ورجع مؤنس الخادم الى بغداد ، فدخلها في ثالث المحرم ، وسار أبو طاهر القرمطي الى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئاً ، فقتل من أهلها جماعة ، ثم سار الى الرحبة ، فدخلها ٤١ / ثامن المحرم بعد أن حاربه أهلها فأعمل فيهم السيف بعد أن ظفر بهم ، فأمر مؤنس المظفر بالمسير الى الرقة ، فسار اليها في صفر ، وجعل طريقه على الموصل ، فوصل اليها في ربيع الأول ، ونزل [بها] [١] . وأرسل أهل قرقيسيا [٢] يطلبون من أبي طاهر الأمان ، فأمنهم وأمرهم ألا يظهر أحد منهم بالنهار ، فأجابوه الى ذلك ، وسير أبو طاهر سرية إلى العرب بالجزيرة فنهبوهم ، وأخذوا أموالهم ، فخافه الأعراب ، وهربوا

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١٣٢ .

(٢) هي بلدة البصيرة الحالية في سورية حيث يلتقي الخابور بالفرات .

من بين يديه ، وقرر عليهم [١] إتاوة : على كل رأس ديناراً يحملونه الى هجر .

ثم صعد أبو طاهر من الرحبة الي الرقة ، فدخل أصحابه الربض وقتلوا منهم ثلاثين رجلاً ، وأعان أهل الرقة أهل الربض ، وقتلوا من القرامطة جماعة ، فقاتلهم ثلاثة أيام ، ثم انصرفوا آخر ربيع الآخر . وبعث القرامطة سرية الى رأس عين كفرتوثا [٢] ، فطلب أهلها الأمان فأمنوهم ، وساروا أيضاً الى سنجار ، فنصبوا الحبال ، ونازلوا سنجار ، فطلب أهلها الأمان فأمنوهم .

وكان مؤنس قد وصل الى الموصل ، فبلغه قصد القرامطة الى الرقة فجد السير اليها ، فسار أبو طاهر عنها ، وعاد الى الرحبة ، ووصل مؤنس الى الرقة ، بعد/ انصراف القرامطة عنها . ثم ان القرامطة ساروا ٤٦ الى هيت ، وكان أهلها قد أحكموا سورها ، فقاتلوهم فعادوا عنهم الى الكوفة ، فبلغ الخبر الى بغداد ، فأخرج هارون بن غريب ، وبُنَيٌّ بن نفيس ، ونصر الحاجب اليها ، ووصلت خيل القرمطي الى قصر ابن هبيرة [٣] فقتلوا منه جماعة .

ثم ان نصراً الحاجب حم في طريقه حمى حادة ، فتجلد وسار ولما قاربهم القرمطي لم يكن في نصر قوة على النهوض والمحاربة ، فاستخلف أحمد بن كيغلغ ، واشتد مرضه وأمسك لسانه ، فردوه الى بغداد ،

---

(١) في الأصل – إليهم – والتقويم من الكامل ٨ : ١٣٢ ، ومسكويه ١ : ١٨٢ .

(٢) في الاصل – كفر قوثا – والتقويم من الكامل ٨ : ١٣٢ وياقوت – مادة كفر – .

(٣) بناه قرب الكوفة على طرف الفرات يزيد بن عمر بن هبيرة في أواخر العصر الأموي ، وقد سكنه في بداية العصر العباسي كل من السفاح والمنصور – معجم البلدان .

فمـات في الطريق أواخر شهر رمضان ، فجعل مكانه على الجيش هارون ابن غريب ، ورتب ابنه أحمد بن نصر في الحجبة للمقتدر مكان أبيه ، فانصرف القرامطة الى البرية ، وعاد هارون إلى بغداد في الجيش فدخلها لثمان [بقين] [١] في شوال .

وفي هذه السنة تحرك أبو طاهر واجتمع معه السواد الأعظم ، ودخل في مذهبه خلق كثير يربو على عشرة آلاف رجل ، وأمر عليهم رئيساً حريث بن مسعود بواسط ، ودخل في مذهبه أيضاً من عين التمـر ونواحيها ، وأمر عليهم عيسى بن موسى ، وهو ممن كان يدعو للمهدي ، فسيره أبو طاهر إلى الكوفة / فنزل بظاهرها وجبى الخـراج ، وصرف العمال عن أهلها ، وسير حريثاً الى أعمال الموفقي ، فبنى بها داراً سماها دار الهجرة ، واستولى على تلك الناحية ، فكانوا يسبون وينهبون ويقتلون وكان بواسط ابن نفيس فقاتله فهزمه .

فسير الخليفة المقتدر بالله هارون بن غريب إلى حريث ، وصافياً [٢] إلى عيسى بن موسى فهزمهم هارون وصافي ، ودارت الدائرة على القرامطة فأسر منهم جمع كبير ، وقتل منهم مالا يحصى عدده ، وأخذت أعلامهم فكانت مكتوبة ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ [٣] ، فأدخلت بغداد منكسة ، واضمحل أمر القرامطة في هذه الواقعة وكفى الله الناس شرهم .

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة خرج بالناس الي الحج من بغداد منصور

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١٣٣ .

(٢) جاء اسمه في الكامل ٨ : ١٣٧ رصافي البصري .

(٣) سورة القصص ٢٨ : ٥ .

الديلمي أميراً للحاج بأمر الخليفة ، ليحج الناس ، فسلوا في الطريق من بغداد الى مكة . فلحقهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية أي قبل طلوعهم عرفات بساعات قليلة ، فقاتلهم أمير مكة ومن معه ، ولم يكن إلا القليل حتى هزمهم[١] ، وأعمل فيهم السيف ، ونهب الحجيج وقتل الحجاج حتى في المسجد الحرام ، وفي البيت نفسه ، ورمى القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت بجثث القتلى ، وخلع باب الكعبة ووقف يلعب بسيفه على باب الكعبة وينشد ويقول :

أنا بالله وبالله أنا ‏ ‏ ‏ يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وأصعد رجلاً ليخلع ميزاب البيت ، فوقع صريعاً ميتاً ، ودفن باقي القتلى في / المسجد الحرام بدون تكفين ، ولا صلى عليهم ، وأخذ كسوة ٤٨ الكعبة فقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ، وخلع الحجر الأسود من البيت « فوضعه على سبعين جمل[٢] فسيرهم به ، وهم يضرطون من ثقله الى هجر »[٣] . فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبد الله[٤] العلوي الفاطمي بافريقية ، كتب اليه ينكر عليه فعله ، وقال له : سجلت

---

(١) أي أبوطاهر القرمطي.

(٢) كذا في الأصل ، والصواب « جملاً » بالنصب .

(٣) لم ترد هذه الجملة في أي أصل آخر ويبدو أنها أقحمت في الاصل .

(٤) في الأصل عبيد الله ، وهو المتداول عند كتاب المشرق ، وهو خطأ متعمد ، فإسمه بالاصل عبد الله ، وعند الاسماعيلية اسم المهدي « اسم أبي النبي » والعباسيون هم الذين دعوه عبيد الله ، بعدما طعنوا في نسبه ، لأن في التصغير تحقير ، وقد ورد اسم المهدي « عبد الله » في الكتابات الاسماعيلية ، وقد رأيت في القيروان دينارين من دنانيره تاريخ أولهما ٣٠٢ هـ والثاني ٣٠٤ هـ ، وجاء اسمه عليهما « عبد الله » . انظر أيضاً كتاب عيون الاخبار وفنون الآثار للداعي ادريس . خاصة السبع الخامس منه

SS

علينا في التاريخ نقطة سوداء لاتمحوها الليالي والأيام ، ويلومه ويلعنه ، ويقول له : قد حققت على دولتنا وشيعتنا ودعاتنا اسم الكفر والزندقة والإلحاد بفعالك الشنيعة هذه ، وان لم ترد على أهل مكة والحجاج ما نهبته منهم ، وترد الحجر الى موضعه ، وترد كسوة الكعبة كما كانت ، والا أتيت اليك بجنود لاقبل لك بها ، وأنا بريء منك كما برئت من الشيطان الرجيم في الدنيا والآخرة ، وأعوذ بالله من فعالك السوء ، وان لم تفعل ما آمرك به لايكن بيني وبينك الا السيف ، والبراءة منك ياعدو الله والناس أجمعين .

فرد الحجر الى مكانه « فرجع به جمل واحد بدلاً من سبعين جملاً وكان يمر به مر السحاب في رجوعه الى مكة ، وقيل إن الجمل كان مهزولاً ومريضاً فعوفي عند مسيره بالحجر الى مكة »[1] واستعاد ما أمكنه من الأموال الى أهل مكة ، وقال يعتذر للامام العلوي : « إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ولا أقدر على ردها منهم » .

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة :

خرج الناس للحج ، فلما بلغوا القادسية ، اعترضهم أبو / طاهر القرمطي ثاني عشر [ذي] القعدة ، فلم يعرفوه ، فقاتلهم جند الخليفة وأعانهم الحجاج ، ثم التجؤوا الى القادسية فخرج جماعة من العلويين بالكوفة ، الى أبي طاهر ، فسألوه أن يكف عن الحجاج ، فكف عنهم وشرط عليهم أن يرجعوا الى بغداد ، فرجعوا ولم يحج في هذا العام أحد .

وسار أبو طاهر الى الكوفة فأقام فيها أياماً ورحل عنها .

---

(١) لم ترد هذه الجملة في أي أصل آخر ويبدو أنها حشيت في الاصل .

وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة :

اختل أمر القرامطة ، وبدأ فساد حالهم ، وقتل بعضهم بعضاً ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم ﴾[١] . وسبب ذلك أن رجلاً منهم يدعى ابن سنبر من خواص أبي سعيد [والمطلعين على سره][٢] له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك ، فقصد ابن سنبر الى أصبهان[٣] لصاحب له هناك يدعى الصفوي ذو النور ، فتكلم معه وقال له : بما أني واقف على أسرار أبي سعيد ، وغوامض أحوال القرامطة وعلومهم واشاراتهم ، أريد أن أرشدك الى ذلك كله ، حتى أجعلك سيداً عليهم يطيعونك فيما تأمر وينتهون بنهيك ، بشرط أن تقتل عدوي أبا حفص الشريك ؛ فأجابه الى ذلك فجلس اليه يعلمه ويرشده ، حتى اذا أتم وصار أستاذاً ماهراً في دلائل القرامطة وأحوالهم ومعارفهم ، وعلامات كان يذكرها في صاحبهم الذي يدعون اليه ، فحضر عند أولاد أبي سعيد ، وذكر لهم ذلك وأشار اليهم بما يعرفونه من علامات وعلوم ومعارف ، وارشادات عالية في علومهم ، وأحوالهم الباطنة ، فقال أبو طاهر : هذا الذي ندعو اليه ، فأطاعوه ودانوا له ، حتى كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله ، وكان اذا كره أحداً / يقول أنه مريض - يعني قد شك في عقيدتهم -[٤] ويأمر بقتله .

---

(١) سورة الحشر ٥٩ : ٢ .

(٢) الاضافة من الكامل ٨ : ٢٦٣ . هذا وقام بنو سنبر بوظيفة الوزراء في دولة قرامطة الأحساء .

(٣) في الكامل ٨ : ٢٦٤ - فعمد ابن سنبر الى رجل من أصفهان - ولم يورد ابن الأثير الخبر بالتفاصيل التي جاءت هنا .

(٤) في الكامل ٨ : ٢٦٤ - في دينه - .

وبلغ أبا طاهر أن الصفوي يريد يأمر بقتله لينفرد بالملك بعده ، فجمع اخوته وتشاور معهم في أمره وقال : لقد أخطأنا في اعتمادنا هذا الرجل ، وجعلنا له السلطة المطلقة في أمرنا ، ولا بد من أن أكشف أمره ، وأقف على حقيقة حاله ، فأحضره وقال له : ان لنا مريضاً فانظر اليه ليبرأ فحضّروه الى منزلهم ، وكانوا مدبرين حيلة له ، وهو أنهم أضجعوا والدتهم ، وغطوها بإزار ، فلما دخل ورآها على هذه الصورة ، نظر نحو المريض ، وقال : ان المريض لايبرأ بنظري ، فاقتلوه ، فقالوا : قد كذبت ، وهذه والدتنا ، وقاموا اليه وأوثقوه وقتلوه بعد أن أهلك منهم خلقاً كثيراً من عظمائهم وفرسانهم ، وكان هذا سبب تمسكهم بهجر وترك قصد البلاد والافساد فيها .

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة :

أعادوا الحجر الأسود الى مكة بعد مكثه عندهم اثنتي وعشرين حجة . وقد بذلت لهم الأموال في رده فلم يجيبوا إلى ذلك لولا تهديد المهدي العلوي لأبي طاهر . ويروى أنهم علقوه في مسجد في الكوفة ، فرآه الناس فحملوه الى مكة وكانوا خلعوه من ركن البيت الحرام في سنة سبع عشرة وثلاثمائة [١] .

---

(١) جاء في مرآة الزمان ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ ١١/٣١* و : وفيها ـ ٣٣٩ ـ رد الحجر الاسود الى موضعه إلى مكة من البيت ، بعث به أخو أبي طاهر الجنابي ، مع محمد ابن سنبر إلى المطيع، وكان بجكم قد دفع فيه خمسين ألف دينار ، وما أجابوا ، وقالوا : أخذناه بأمر ، وما نرده إلا بأمر ، فلما كان في هذه السنة ردوه وقالوا : رددناه بأمر من أخذناه بأمره ، وقد ذكرناه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فأقام عندهم اثنتين وعشرين ، فأعطاهم المطيع مالاً ، وبعث به إلى مكة ، وحج الناس وتمت مناسكهم ،

SS

وفي سنة ستين وثلاثمائة :

في ذي القعدة وصل القرامطة إلى دمشق ، ونصبوا على أسوارها السلالم ، وتعلقوا بها وفتحوها قصداً ، وأوقعوا بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وشنعوا بأهلها وقتلوا واليها جعفر بن فلاح ، وسبب ذلك أنهم لما رأوا أن جعفراً استولى على الشام أهمهم أمره وأزعجهم / ٥١ وقلقوا ، لأنهم كانوا قرروا مع ابن طغج أن يحمل إليهم في كل عام ثلاثمائة ألف دينار ، فلما ملكها جعفر علموا أن المال يفوتهم ، فعزموا على السير إلى الشام ، وصاحبهم وقتئذ الحسن بن أحمد بهرام القرمطي فأرسل إلى عز الدولة بختيار يستمد منه المونة بالسلاح والمال ، فأجابه الى ذلك واستقر الحال أنهم اذا ساروا الى الكوفة سائرين الى الشام حملوا الذي استقر ، فلما وصلوا الكوفة أوصل اليهم ذلك وساروا الى دمشق ، وبلغ خبر وصولهم الى جعفر ، فاحتقرهم واستهان بهم « ولم يدر المخبأ له ولم يصل اليه قول القائل : « اذا كان عدوك نملة فلا تنام له » ، وقد تقتل النملة الثعبان والأسد »[1] ولم يحتط[2] ويحترز منهم ولم يعمل لهم حساباً ، فكبسوه بظاهر دمشق[3] وقتلوه من حيث لا يشعر بهم

---

(١) يبدو أن هذه الجملة حشيت في الاصل .

(٢) في الاصل – يحتاط – .

(٣) في مرآة الزمان – مخطوطة أحمد الثالث – ١١/٨٨–و : وفيها [٣٦٠ هـ] وتوفي جعفر بن فلاح ، أحد قواد المصريين ، وأول أمير ولي لهم دمشق ، وكان فيمن خرج مع جوهر من المغرب ، وشهد معه فتوح مصر ، ثم بعثه جوهر إلى الشام ، فتغلب على الرملة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وأقام بدمشق .

ولخمس خلون من صفر من هذه السنة ، أمر المؤذنين بجامع دمشق أن يؤذنوا بحي على=

وغنموا ماله وأنعامه من ناطق وصامت [١] .

=خير العمل ، وكذا بالمساجد ، وكان ينزل بمكان يقال له الدكة بين نهري يزيد وتورا ، وقيل هي فوق يزيد قريباً من دير مران ، فجاء أبو محمد الحسن بن أحمد القرمطي الى دمشق ويلقب بالاعصم ، وكان جعفر مريضاً ، فخرج نقاتله فقتله القرمطي في ذي القعدة وقيل في شوال .

(١) اصطدم الفاطميون أثناء فتحهم لدمشق بجماعات الاحداث فيها ، الذين شكلوا نوعاً من أنواع المليشيات الشعبية البلدية ، وكان محمد بن عصودا من بين زعماء أحداث دمشق الذين تصدوا لجعفر بن فلاح ، وعندما أخفق بالمقاومة غادر دمشق إلى الأحساء حيث استنجد بقرامطتها ، ومن حسن الحظ أن المقريزي حفظ لنا في كتاب المقفى تراجم لجعفر ابن فلاح والحسن الاعصم زعيم القرامطة ، وترجمة الأعصم بين نصوص هذا الكتاب . أما ماجاء عن علاقة جعفر بن فلاح بالقرامطة فها كم هو : (من مخطوطة مجلد برتو باشا في استانبول : ٣٠١ - ٣٠٢) .

. . . . وأما محمد بن عصودا فإنه لما انهزم ، سار إلى الأحساء ، هو وظالم بن مرهوب العقيلي ، وحثا القرامطة على المسير الى الشام ، فوافق ذلك منهم الغرض ، لان الاخشيدية كانت تحمل في كل سنة الى القرامطة مالاً ، فلما أخذ جوهر مصر، انقطع المال عن القرامطة فأخذوا في الجهاز للمسير الى الشام . . .

وكثرت الاخبار بمسير القرامطة الى الشام ، وأنهم نزلوا على الكوفة ، وكتبوا الى الخليفة ببغداد ، فأنفذ اليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، من مال الرحبة ، وأنهم ساروا من الكوفة الى الرحبة وأخذوا من ابن حمدان المبلغ ، فكتب جعفر إلى غلامه فتوح وهو على أنطاكية يأمره بالرحيل فوافاه الكتاب مستهل شهر رمضان ، فشرع في شد أحماله ، ونظر الناس اليه فجفلوا ورموا خيمهم ، وأراقوا طعامهم ، وأخذوا في السير مجدين الى دمشق ، فلما وافوا جعفر أراد أن يقاتل بهم القرامطة ، فلم يقفوا ، وطلب كل قوم موضعهم ، ولم يبالوا بالموكلين على الطرق .

وعندما نزل القرامطة على الرحبة أكرمهم أبو تغلب ، وبعث الى الحسن بن احمد بن أبي سعيد الجنابي ، المعروف بالاعصم ، كبيرهم يقول له : هذا شيء أردت أن أسير فيه بنفسي لكني مقيم في هذا الموضع إلى أن يرد إلي خبرك ، فإن احتجت إلى سيري سرت إليك ،=

وبعد ملكهم لدمشق أمنوا من بقي من أهلها ، وعزموا السير الى الرملة واستولوا على جميع مابينها ، فلما سمع من بها من المغاربة خبرهم ساروا منها الى يافا ، فتحصنوا بها ، وملك القرامطة الرملة بعد قتال شديد وخسائر جمة . وبعد استتباب الأمر لهم قصدوا المسير الى مصر وتركوا على يافا من يحصرها .

وعند دخولهم مصر اجتمع عليهم خلق كثير من العرب وغيرهم من الجند والإخشيدية والكافورية ، فنزلوا بفناء مدينة الشمس على مقربة من مصر قريباً من قرية البلسم أو البيلسان وتعرف (بعين) شمس ، واجتمع

=ونادى في عسكره من أراد السير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه ، وقد أذنا له في المسير والمعسكران واحد ، فخرج الى القرامطة كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين ، ممن فر من جوهر وجعفر بن فلاح ، وكان جعفر لما أخذ طبرية بعث إلى أبي تغلب ابن حمدان بداع يقال له أبو طالب التنوخي ، يقول له : إنا سائرون اليك فتقيم لنا الدعوة ، فلما قدم الداعي على أبي تغلب وهو بالموصل ، وأدى الرسالة ، قال له : هذا ما لايتم لاننا في دهليز بغداد ، والعساكر منا قريبة ، ولكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار ، أمكن ماذكرته ، فانصرف بغير شيء .

ثم ان الحسن بن احمد القرمطي ، سار عن الرحبة إلى ان قرب من دمشق ، فجمع جعفر خواصه واستشارهم ، فاتفقوا على ان يكون لقاء القرامطة في طرف البرية قبل ان يتمكنوا من العمارة ، فخرج اليهم ولقيهم ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فانهزم عنه عدة من اصحابه ، فولى في عدة ممن معه . وركب القرامطة اقفيتهم ، وقد تكاثرت العربان من كل ناحية ، وصعد الغبار ، فلم يعرف كبير من صغير ، ووجد جعفر قتيلاً لايعرف له قاتل ، وكانت هذه الوقعة في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

فامتلأت ايدي القرامطة بما احتووا عليه من المال والسلاح وغيره ، وخرج محمد بن عصمودا إلى جثة جعفر بن فلاح ، وهي مطروحة في الطريق . فأخذ رأسه وصلبه على حائط داره ، أراد بذلك أخذ ثأر اخيه اسحق بن عصمودا ، وملك القرامطة دمشق ، وورد الخبر بذلك على جوهر القائد ، فاستعد لحرب القرامطة . . . .

٥٢ جند جوهر الصقلبي قائد المعز لدين الله ، وخرجوا / اليهم ، فاقتتلوا غير مرة فلم يظفروا بهم في جميع تلك الأيام ، وما حصل منهم من الفظائع من قطع الطريق والنهب والسلب وسطوهم على القرى وهتكهم الأعراض يعجز القلم عن وصفه لعنهم الله .

ثم انهم تقدموا وزحفوا وحصروا عسكر جوهر وضايقوهم وحصروهم حصاراً شديداً ، ثم ان جند جوهر خرجوا يوماً من مصر وحملوا على القرامطة من الميمنة فانهزم من بها من العرب وغيرهم ، وقصدوا خيام القرامطة فنهبوها وكبسوهم فيها فاضطروا الى الهزيمة ، وولوا الأدبار راحلين الى الشام ، فنزلوا الرملة ثم حصروا يافا حصاراً شديداً وضيقوا على من بها ، فسير القائد جوهر نجدة من عسكره لأصحابه المحصورين بها ، ومعهم ميرة في خمسة عشر مركباً ، فأرسل القرامطة مراكبهم اليها فأخذوا مراكب جوهر ولم ينج منها غير مركبين ، فغنمها مراكب الروم .

وللحسن بن بهرام زعيم القرامطة شعر فمنه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله العلوي الفاطمي الافريقي يقول :

زعمت رجال الغرب أني هبتها ... فدمي اذاً مـا بينهـم مطلول
يامصر إن لم أسق أرضك من دمي ... يروي ثراك فلا سقاني النيـل

وفي صباح الغد أخذ جند جوهر يرمون القرامطة بقوارير النفـط ، وأعملوا فيهم السلاح حتى اضطروهم الى الجلاء عن الحصار ، ورحلوا الى الشام فتبعوهم ، وواصلهم المعز وجوهر بالنجدات حتى أجلوهم عن بعض القرى والمدن [١] .

---

(١) جاء في ترجمة جوهر الصقلبي ، في كتاب المقفى للمقريزي ـ مجلد برتو باشا : ٣١١ ، مزيداً من التفاصيل هاكم هي : =

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة تقوى القرامطة ، وعزموا / أن يعودوا ٥٣
لمحاربة المعز الفاطمي العلوي صاحب مصر وافريقية ، فتجمعت جموعهم ،
وساروا من الإحساء ، وفي مقدمتهم زعيمهم الحسن بن أحمد قاصدين ديار
مصر فنزلوا بها وحصروها . فلما سمع المعز لدين الله قصد القرامطة قبل
وصولهم الى مصر ، كتب اليهم كتاباً [١] ، يذكر فيه فضل نفسه وأهل
بيته ، وأن دعوة القرامطة كانت له وآبائه من قبله ، وتوعدهم وهددهم
وسير الكتاب اليهم ، فكتبوا اليه « [٢] جوابك : وصل الذي قـــل
تحصيله ، وكثر تفصيـــله ، ونحن حاضرون اليك على اثره والسلام » .

وساروا حتى وصلوا عين شمس فخيموا بها ، وأنشب القتال ، وحصروا
مصر حصراً شديداً ، وأفسدوا ونهبوا القرى وقطعوا السبيل ، وكثرت
جموعهم ، والتف حولهم من العرب وقطاع الطريق جمع كبير ، وكان

= .... ورد الخبر بقدوم الحسن بن أحمد الأعصم القرمطي إلى دمشق ، وقتل جعفر ابن فلاح ، واستيلاء القرامطة على دمشق ، وقصدهم مصر ، فتأهب جوهر لقتالهم ، وحفر جوهر خندقاً ، وعمل عليه بابين من حديد ، وبنى القنطرة على الخليـــج ظاهر القاهرة ، وحفر خندق السري بن الحـكم ، وفرق السلاح على العساكر ، فوجد رقاعاً في الجامع العتيق فيها التحذير منه فجمع الناس ووبخهم ، فاعتذروا له فقبل عذرهم ، ونزل القرامطـة عين شمس في المحرم سنة احدى وستين ، فاستعد جوهر وضبط الداخل والخارج .

وفي مستهل ربيع الأول التحم القتال بين القرامطة وبينه على باب القاهرة ، فقتل من الفريقين جماعة وأسر كثير ، ثم استراحوا في ثانيه ، والتقوا في ثالثه ، فاقتتلوا قتالاً كثيراً قتل فيه ماشاء الله من الخلق ، وانهزم القرمطي يوم الأحد ثالث ربيـع الأول ، ونهب سواده ، ومر على طريق القلزم ـ السويس حالياً ـ ونودي في مدينة مصر : من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاثمائة ألف درهم وخمسـون خلعة وخمسـون سرج محلى على دوابها ، وثلاث جوائز ....

(١) انظره في نص المقريزي في اتعاظ الحنفا .

(٢) كذا في الأصل والاحسن : وصل جوابك .

ممن حضر معهم وانضم اليهم الأمير حسان بن الجراح الطائي أمير العرب ببادية الشام ، ومعه جمع عظيم ، فلما رأى ذلك المعز استعظم الأمر ، وتحير وارتبك في أمره ، فجمع حاشيته ووزراءه وعقد مجلساً خاصاً ، فأشار عليه وزيره ابن غنام بأنه ليس حيلة أعظم من العمل على تفريق هذه الجموع من حوله ، وذلك يأتي بالسعي في تفريق كلمتهم ووقوع الخلاف بينهم ، ولايكون ذلك الا بواسطة أمير العرب ابن الجراح . فراسله المعز لدين الله واستماله بالمال ، وبذل له مائة ألف دينار ، ووعده بأكثر منها اذا تم له النصر على القرامطة ، فأجابه ابن الجراح / الى ما طلب منه ، وعاهده على ذلك ، فحلف اليمين أنه اذا وصل اليه المال المقرر انهزم بالناس ، وأوقع بالقرامطة الفشل ، فأحضروا المال فلما رأوه استكثروه ، فسبكوه من صفر وألبسوه الذهب ، ووضعوها في أسفل الأكياس وجعلوا الذهب الخالص على وجوهها وحملوها إليه ، فأرسل إلى المعز أن يخرج بعسكره يوم كذا ، ويقاتلونه فسينهزم بمن معه وهو في الجهة كذا ، فخرج المعز على حسب إشارته ، فانهزم وتبعه العرب وكافة من تطوع معهم ، فلما رآه الحسن القرمطي منهزماً تحير في أمره ، وثبت وقاتل بعسكره ، الا أن جند المعز تابعوا الهجمات عليه من كل جانب فأرهقوه فولى منهزماً ، فاتبعوه وأخذوا في أثره وظفروا بعسكره ، وأخذوا من فيه أسرى ، وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير ، فضربت رقابهم وأخذوا مافي معسكره غنيمة لهم ، وأرسل المعز لدين الله القائد أبا محمود بن إبراهيم بن جعفر [1] في عشرة آلاف مقاتل ، وأمره باقتفاء أثر

---

(١) وقع هذا الاسم في الاصل عدة مرات – كأبي محمد – وأخرى – كأبي محمود وهو الذي جاء في الكامل ٨ : ٤٧٠ - ٤٧٢ – لذلك أثبتناه بهذه الصورة .

القرامطة ، واستئصال شأفتهم وقتلهم ، وتخريب ديارهم وإخراجهم من أرض الشام ، وضمها لمصر ، فاقتفى أثرهم وتثاقل في سيره خوفاً أن ترجع القرامطة إليه .

وأما القرامطة فإن من بقي منهم ساروا إلى بلدهم الأحساء ، ويظهرون أنهم يعودون ، فكتب أبو محمود القائد للخليفة المعز لدين الله الفاطمي يخبره بانهزام القرامطة من الشام ، وعودتهم إلى بلادهم ، فأمر المعز بتجهيز جيش تحت قيادة ظالم بن موهوب [1] العقيلي ، وولاه دمشق فسار إليها ودخلها / وعظم أمره وكثرت جموعه وأمواله وعدته ، لأن ابن أبي المنجا وابنه صاحبي القرمطي كانا بدمشق ومعهما جماعة ، فأخذهم ظالم وحبسهم وغنم أموالهم وجميع مايملكونه ، ثم إن القائد أبا محمود الذي كان سيره المعز يتبع القرامطة وصل إلى دمشق بعد وصول ظالم إليها بأيام قليلة ، فخرج ظالم متلقياً له مسروراً به لأنه كان شاعراً بعودة القرامطة ، فطلب منه أن ينزل بمسكره بظاهر دمشق ، فسلم إليه أبا المنجا وابنه ورجلاً آخر يعرف بالنابلسي ، وكان هرب من الرملة وتقرب إلى القرمطي وأسر بدمشق أيضاً ، فحملهم أبو محمود الى مصر فسجن أبا المنجا وابنه ، وقيل للنابلسي : أنت الذي قلت : لو معي عشرة أسهم لرميت تسعة في عسكر المعز ، وواحداً في الروم ؟ فاعترف ، فسلخ جلده ، وحشوه تبناً وصلبوه .

ولما نزل أبو محمود بظاهر دمشق ، امتدت أيدي أصحابه بالعبث والفساد وقطع الطريق ، فاضطرب الناس وخافوا ، ثم ان صاحب الشرطة

---

(١) يقع أحياناً في المصادر « موهوب » ولانملك من المصادر مايمكن من الترجيح .

أخذ انساناً من أهل البلد فقتله ، فثار به الغوغاء والأحداث وقتلوا أصحابه ، وأقام ظالم بين الرعية يداريهم ، وقد نزح أهل القرى منها لشدة نهب المغاربة أموالهم وظلمهم لهم ودخلوا [البلد] [١] ، فلما كان نصف شوال من السنة وقعت فتنة كبيرة بين عسكر أبي محمود وبين العامة ، وجرى بين الطائفتين قتال شديد ، وظالم مع العامة يظهر أنه يريد الإصلاح ، ولم يكاشف أبا محمود وانفصلوا / ثم أن أصحاب أبي محمود أخذوا قفلاً من الغوطة من حوران ، وقتلوا منه ثلاثة نفر ، فأخذهم أهلوهم وألقوهم في الجامع ، وأغلقت الأسواق وزحف الناس وزحف بعضهم الى بعض ، فقوي المغاربة وانهزم العامة الى سور البلد ، فصبروا عنده وخاف الناس ، وأرادوا القتال فنصحهم عقلاؤهم ، ثم ان المغاربة أرادوا نهب قينية واللؤلؤة [٢] ، فوقع الصائح في أهل البلد فنفروا وقاتلوا المغاربة في السابع عشر من ذي القعدة ، وركب أبو محمود في جموعه ، فخرج للعامة من تخلف عنهم ، وكثر النشاب على المغاربة فأثخن جراحهم فعادوا وحملوا على العامة فانهزموا وتبعوهم الى البلد ، فخرج ظالم من دار الامارة ، وألقى المغاربة النار من ناحية باب الفراديس وحرقوا تلك الناحية ، فأخذت النار الى القبلة فأحرقت من البلد كثيراً ، وهلك فيها كثير من الناس وما لايحد من الأثاث والرجال الأموال ، وبات الناس في اضطراب وقلق شديد على أقبح صورة ، ثم اصطلحوا هم وأبو محمود ، ثم انتقضوا ولم يزالوا كذلك الى ربيع الآخر سنة أربع وستين وثلاثمائة ، ثم استقر الرأي بين الدمشقيين

---

(١) الإضافة من الكامل ٨ : ٤٧١ .

(٢) من محلات دمشق .

والقائد أبي محمود على اخراج ظالم من البلد ويخلفه جيش بن الصمصامة وهو ابن أخت أبي محمود واتفقوا على ذلك ، وخرج / ظالم ووليه جيش ، وسكنت الفتنة .

ثم ان المغاربة بعد أيام عاثوا ، وأفسدوا باب الفراديس ، فثار الناس عليهم وقاتلوهم وقتلوا من لحقوه منهم ، وصاروا الى القصر الذي فيه جيش ، فهرب منه هو ومن معه من الجند المغاربة ولحق بالعسكر ، فلما كان من الغد وهو [أول جمادى الأولى من السنة] [١] زحف الى البلد ، وقاتل أهلها وأعمل فيهم السيف وهزمهم ، وشنع بهم أكثر مما جرى لهم من القرامطة ، وحرق ماسلم منها ، ودام القتال بينهم أياماً كثيرة وذلك في جمادى الأولى ، فاضطرب الناس ودب فيهم الخوف وانزعجوا وهرب بعضهم وهاجروا ، وخربت المنازل ، وانقطعت المواد وانسدت المسالك ـ اللهم نجنا من المهالك يامالك المهالك ـ وبطل البيع والشراء والأخذ والعطاء ، وقطع الماء عن البلد وبطلت القنوات والحمامات ومات كثير من الفقراء على قارعة الطريق من شدة الهلكة والضيق والضنك ، ومن عناء ألم الجوع وشدة البرد ، فأتاهم الفرج بعزل أبي محمود .

ولما وصل الخبر إلى الخليفة المعز الفاطمي بما حصل أنكر ذلك ، وقال : إن هذه أعمال جنون واستعظم الأمر « ورمى بطيلسانه على الأرض وأرغى وأزبد وزجر ووعد » [٢] وأصدر أمره بانصراف أبي محمود عن دمشق و [أن] يصحب جيشاً [٣] معه ، وأرسل أمره الي والي

(١) في الأصل وهو راكب وزحف والإضافة والتقويم من الكامل ٤٧٢/٨

(٢) يبدو أن هذا مما حشي بالأصل .

(٣) أي جيش بن الصمصامة .

طرابلس بالتوجه الى دمشق لاستتباب الأمن فيها ومواساة أهلها ورد المظالم / عنهم ، فدخل ريان دمشق وصرف أبا محمود وجيشاً عنها ، وعمل بما أمر امتثالاً لأمر الخليفة ، وكشف أمور أهلها وأمنهم وواساهم ، وعوض عليهم ماأخذ منهم وبدل مكان السيئة الحسنة ، وكتب للخليفة بما ذكر واستتب له الأمر الى سنة أربع وستين وثلاثمائة ، فوافاه ألبتكين [1] التركي مولى معز الدولة ابن بويه من مولاه بختيار بن معز الدولة حينما انهزم في فتنة الأتراك ، فسار في طائفة صالحة من الجند والترك ، فنزل بظاهر دمشق ، وكان الأحداث تغلبوا عليها ، وليس للأعيان عليهم حكم ولا للسلطنة عليهم طاعة ، فخرج أشرافها وشيوخها اليه ، وأظهروا له السرور بقدومه ، وطلبوا منه أن يقيم عندهم ، وله منهم الطاعة ويملكوه بلدهم ويزيل عنهم حكم المغاربة ، فإنهم لاطاقة لهم بهم [لأنهم] يجبرونهم على التشيع ، ولمخالفتهم عقيدة أهل السنة ، ولما هم فيه من الزيغ والضلال والكفر والزندقة والإلحاد ولظلم عمالهم ، ويكف عنهم الأحداث فأجابهم الى ذلك واستحلفهم على الطاعة والمساعدة ، وحلف لهم على الحماية وكف الأذى عنهم منه ومن غيره ، ودخل .

فدخل البلد وأخرج منها ريان الخادم ، وقطع خطبة المعز ، وأعاد الخطبة للخليفة الطائع لله في شعبان ، وقمع أهل العيث والفساد ، وملأ البلد عدلاً وقسطاً ورفع عنها المظالم ، وهابه كافة الناس ، وأصلح كثيراً من أمورهم ، فقد كانت العرب استولت على سواد البلد وما يتصل به ،

---

(١) يرد رسم هذا الاسم في المصادر بأشكال مختلفة منها : هفتكين ، وألفتكين ، بفتكين وغير ذلك ، والصحيح ما أثبتناه « ألبتكين أي عبد جلد » انظر الكاشغري ، ديوان لغات الترك : ١/٣٤٦-٣٤٧ ، من ط الآستانة ١٣٣٣ هـ .

SS

نقصدهم وأوقع بهم ، ورد جميع ما أخذوه « وأبان/عن شجاعة وقوة ٥٩
نفس ، وحسن تدبير ، فأذعنوا له وأقطع البلاد ، وكثر جمعه وتوفر ماله
وثبت قدمه .

وأرسل للمعز بمصر يداريه ويظهر له الانقياد والطاعة ، فأرسل اليه
بشكره وطلب منه الحضور اليه ليخلع عليه ويعيده والياً من عنده ، فلم
يثق بقوله وامتنع من المسير اليه ، فتجهز المعز وجمع العساكر لقصده ،
فمرض ومات على مانذكره في سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وولي بعده ابنه
العزيز بالله فأمن ألبتكين .

ثم ان ألبتكين قصد بلاد العزيز التي بساحل الشام ، فعمد الى
سيدا فحصرها وبها ابن الشيخ ومعه جماعة من رؤساء المغاربة وظالم
بن موهوب ، فقاتلهم وكانوا في كثرة ، فطمعوا فيه وخرجوا اليه ،
فاستجرهم حتى أبعدهم ، ثم عاد عليهم فقتل منهم أكثر من أربعة آلاف
رجل ، وطمع في أخذ عكة ، فوجه جيشه اليها ، وقصد طبرية ففعل
فيها من القتل والنهب مثل صيدا ، ورجع الى دمشق .

فلما بلغ العزيز ذلك استشار وزيره يعقوب بن كلس فيما يفعل ،
فأشار اليه بإرسال جوهر يقود العسكر [الى] (١) الشام . فجهزه وسيره
فلما بلغ ألبتكين ذلك ، جمع أهل دمشق وتكلم معهم ، وقال : أنا وليت
أمركم برضاكم ، وطلب كبيركم وصغيركم لي ، وانما كنت مجتازاً ، وأنا
سائر عنكم لئلا ينالكم أذى بسببي ، فقالوا : لانمكنك من فراقنا فإننا
مانجد خيراً منك يولى علينا ، ونحن نبذل كل غال من الأموال والأنفس
في نصرتك ونقوم معك / فاستوثق منهم فحلفوا له وأقام معهم . ٦٠

---

(١) الإضافة من الكامل ٨/٨٤ .

ووصل جوهــــر الى البلد في سلخ شوال[١] سنة خمس وستين وثلاثمائة فحصر دمشق ، وقد رأي من قتال ألبتكين وأصحابه ما استعظمه ودامت الحرب أكثر من شهر قتل فيهــا خلق كثير من الطائفتــين . فلما رأى أهل دمشق ذلك ، وطول حصار المناربة لهم عقــدوا مجلساً وشاوروا ألبتـكين بمكاتبة الحسن بن أحمد القرمطي لينجدهم ، ففعل ذلك فسار القرمطي اليه من الأحساء ، فلما قرب منه رحل جوهر عــــن دمشق ، وذلك في مستهل [ذي] القعدة ، خوفاً من الوقوع بين عدوين وبين نارين .

ووصل القرمطي واجتمع هو وألبتـكين ، وساروا في اثر جوهر ، فلحقوه وقد نزل بالرملة ، وسير أثقاله الى عسقلان . وكان رجال[٢] ألبتـكين والقرمطي كثير العدد نحو من خمسين ألف فارس ، فنزلوا على نهر الطواحين ، وقطعوا الماء عن البلد فاضطروا جوهر للشرب من ماء الصهاريج ، وهو قليل لايكفيه ، فاضطر الى التوجه الى عسقلان ، فتبعاه : ألبتـكين والقرمطي، وحاصراه حصاراً شديداً ، وطــال الحصار وقلت الميرة وغلت الأقوات واضطروا الي أكل الميتة ، وارتفــع سعر الخبز الى دينار ، وراسل جوهر ألبتـكين يعده ويمنيه ويستجلب رضاه ويبذل له العطاء ، ويعده اذا وافقه الي الطاعة بالبذول الكثيرة ، فهــم أن يفعل فمنعه القرمطي وأخافه عاقبة الأمر ، فاشتد على جــوهر ومن معه فعاينوا الهلاك ، وكان الوقت شتاء ولايقدر على حمل الذخائر في البحر من مصر وغيرها ، فأرسل/ الى ألبتـكين يطلب منه أن يجتمــع بــه ،

---

(١) في الكامل ٨/٤٨٤ – ذي القعدة – .

(٢) في الكامل ٨/٤٨٥ – جمع – .

فتقدم اليه واجتمعا راكبين ، فقال جوهر : قد علمت ما يجمعنا من عصمة الإسلام وحرمة الدين ، وقد طالت هذه الفتنة ، وأريقت فيها الدماء ، ونهبت الأموال ، ونحن المؤاخذون بها عند الله تعالى ، وقد دعوتك للصلح والطاعة والموافقة [1] ..»

● ● ●

---

(١) ترجم المقريزي في كتاب المقفى ـ مجلد برتو باشا : ٣٠٦-٣١٢ ، ترجمة وافية لجوهر الصقلي ، وقد جاء بها عن علاقته بألبتكين مايلي :

وأقام ـ جوهر ـ بالقاهرة حتى مات المعز في ربيع الآخر سنة خمس وستين ، واستخلف بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار ، فانتدبه للخروج إلى الشام ، وحول اليه خزائن السلاح والأموال ، وسار من القاهرة في عسكر لم يخرج إلى الشام قبله مثله ، بلغت عدتهم عشرين ألفاً .

فبلغ ألبتكين الشرابي ، وهو على عكا مسير جوهر ، والقرامطة على الرملة ، فولت القرامطة منهزمين عجزاً عن مقاومته ، وسار ألبتكين إلى دمشق ، وجوهر في إثره إلى أن نزل بين داريا وبين الشماسية ، ظاهر دمشق يوم الأحد لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وستين ، وحفر على عسكره خندقاً عظيماً ، وجعل له أبواباً ، وبنى البيوت من داخل الخندق ، وكان قد انضم اليه ظالم بن موهوب العقيلي ، فأنزله خارج الخندق ، وجمع ألبتكين الذعار ، وحمال السلاح من عوام دمشق ، وقدم عليهم قسام السناط التراب « السناط : الذي لا لحية له » وأجرى له الأرزاق ، وأخرجه الى قتال جوهر ، فاستمرت الحرب بين جوهر وألبتكين من يوم عرفة ، فجرى بينهم اثنتا عشرة وقعة إلى سلخ ذي الحجة ، ولم تزل الحرب إلى يوم الخميس حادي عشر ربيع الاول سنة ست وستين وثلاثمائة ، فانهزم ألبتكين ، وعزم على الفرار إلى أنطاكية ، ثم ثبت عندما بلغه قدوم الحسن بن أحمد القرمطي إليه فاستظهر .

وبلغ ذلك جوهر فدعا الى الصلح ، وكان الشتاء قد هجم عليه ، وهلك أكثر مامعه من الكراع ، وصار معظم أصحابه رجالاً بغير خيل ، وقلت العلوفات عنده ، واشتد وقوع الثلوج ، فامتنع ألبتكين من إجابته ، ثم أذعن وأنفذ إلى جوهر يجمال ، ورحل عن دمشق بعدما أحرق ماعجز عن حمله من الخزائن والأسلحة ، وسار يوم الخميس ثالث جمادى الأولى=

والي هنا انقطع المؤلف لمرضه وتوفي في هذه السنة تغمده الله برحمته آمين والحمد لله رب العالمين .

• • •

تم نسخ هـذه النسخة من نسخة منقولة عن مسودة المـؤلف برسم الشريف أبي القاسم العلوي في سلخ جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة في سلخ شوال سنة ألف وسبع وخمسين على يد كاتبها الضعيف الفاني أحمد بن عمر بن خطاب بن رمضان الخاني ، أدخله الله دار التهاني وبلغه في الدارين الأماني وغفـــر له . آمين . آمين [١] .

=مجداً لخوفه أن يدركه القرمطي ، فهلك كثير من عسكره لشدة الثلج ، وأخذ القرمطي يسير خلفه من طبرية إلى الرملة ، فتحصن جوهر بزيتون الرمـــلة ، وخرج ألبتكين من دمشق ، ولحق بالقرامطة ، واجتمعوا على قتال جوهر ، فجرت بينهم حروب طويلة شديدة آلت الى التجاء جوهر إلى عسقلان ، وقـــد فني معظم عسكره ، ونهبت أثقاله ، فنزل ألبتكين وحصره حتى بلغ منه الجهد الشديد ، وغلت عنده الأسعار بعسقلان ، فبلغ قفيز القمح أربعين ديناراً ، وتنكر عليه من معه من الكتاميين ، واحتقروه وتنقصوه وشتموه ، وكانوا قبل ذلك تخاذلوا ولم يصدقوا في القتال ، وكايدوا القائد جوهر ، فضاقت بجوهر ومن معه الارض ، ولاذ الى الصلح ، فبعث اليه البتكين : إن أردت الخروج بمن معك فأنا أؤمنك حتى تنصرف الى صاحبك ، فتعاقدوا على ذلك ، وصالح البتكين على مال ، وخرج وقد علق البتكين سيفه على باب عسقلان حتى يخرج جوهر ومن معه من تحت سيفه ، فسار الى القاهرة ، وقد بلغ العزيز ماهو فيه من الجهد ، فبرز يريد السفر الى الشام فسار معه ، وكانت مدة قتال القرامطة والبتكين لجوهر على الزيتون ظاهر الرملة وعلى عسقلان سبعة عشر شهراً ، فلما قدم جوهر على العزيز ، وبلغه تخاذل الكتاميين غضب من ذلك غضباً شديداً ، وعـــذر جوهر ، واظهر له انه قد تنكر له ، وعزله عن الوزارة ، وصير مكانه يعقوب بن كلس .

(١) إذا كان تاريخ ثابت بن سنان قد جاء على شكل ذيل على تاريخ الطبري ، فقد قام=

SS

....

=بعض آل الصابيء بالتذييل على تاريخ ثابت ، وأهم هؤلاء : هلال بن المحسن ثم ابنه محمد بن هلال ، ولم يصلنا من هذه الذيول إلا قطعة نشرت منسوبه إلى عبد الملك الهمذاني الذي ذيل أيضاً على تواريخ آل الصابيء ، لكن فقد ماكتبه هو وبقي بعض مانقله ، ولحسن الحظ نجد سبط ابن الجوزي ، فقد اعتمد في كتابه مرآة الزمان على تواريخ آل الصابيء ، ونقل منها الكثير ، حتى أنه نقل تاريخ محمد بن هلال كاملاً ، وقد حققته ، وسأدفعه للنشر قريباً ، ومما نقله سبط ابن الجوزي عن موضوع القرامطة من تاريخ هلال بن المحسن في حوادث سنة ٣٦١هـ مايلي : « مخطوطة أحمد الثالث المجلدات ١١-١٣ » .

ومن هاهنا نبتديء بشيء مما ذكره أبو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابيء ، فإنه ذكر « مع ابنه » تاريخاً من أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة إلى سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، سلك فيه اسلوب خاله ثابت بن سنان .

قال ابن الصابيء : في جمادى الآخرة ، ورد الخبر ، بأن أبا علي الحسن بن أبي منصور أحمد القرمطي ، سار الى مصر ، ونزل بعين شمس ، وجرت بينه وبين جوهر القائد وقعة ، وكان الاستظهار فيها لجوهر ، وانهزم القرمطي .

قال ابن الصابيء : لما دخل جوهر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ووطيء الأمور للمعز ، وأقام له الخطبة ، سير القائد جعفر بن فلاح الى الشام ، فأسر الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وبعث به الى مصر ، ونهب الرملة ، وقصده النابلسي الزاهد ، واستكف جعفراً عن النهب فكف ثم استخلف ابنه على الرملة ، وسار الى طبرية ، وبلغه ان ابن أبي يعلي الشريف قد أقام الدعوة بدمشق للمطيع ، فسار إلى دمشق فعصوا عليه ، وقاتلوه ، فظهر عليهم ، وهرب ابن أبي يعلي إلى البرية ، وجيء به اليه ، فأحسن اليه ، وبعث به إلى مصر مع جماعة من الأحداث الذين قاموا معه .

وعرف القرامطة استيلاء المغاربة على الشام ، وأخذهم ابن طغج ، فانزعجوا من ذلك ، لما يفوتهم من المال الذي كان قرره ابن طغج لهم ، وهو في كل سنة ثلاثمائة الف دينار ، فبعثوا أبا طريف عدي بن محمد بن النمر صاحبهم الى عز الدولة بختيار ، والوزير يومئذ أبو الفرج محمد ابن العباس ، يطلبون المساعدة على المغاربة بالمال والرجال ، فاستقر ان عز الدولة يعطيهم الف الف دينار ، والف جوشن ، والف سيف ، والف رمح ، والف قوس ، والف جعبة ، وقال : إذا وصل أبو علي الجنابي الى الكوفة ، حمل اليه جميع ذلك . =

ss

....

ولما وصل الجنابي الى الكوفة ، وكان في عدد كثير من اصحابه ، ومن الأعراب ، فبعثوا اليه بالمال والسلاح ، وسار يريد الشام ، وبلغ جعفر بن فلاح خبرهم ، فاستهان بأمرهم ، ثم لم يشعر بهم حتى كبسوه بدمشق بمكان يقال له الدكة ، فقتلوه ، واحتووا على سواده وامواله وكراعه ، وملك أبو علي دمشق ، وأمن اهلها ، واحسن السيرة فيهم ، وغلب على الشام ، واجتمعت اليه العرب ، وسار إلى الرملة ، وبها سعادة بن حيان ، فخرج إلى يافا . وتحصن بحصنها ، ودخل أبو علي الرملة ، وقتل من وجد من المغاربة ، ثم رحل طالباً مصر ، وخلف بالرملة أبا محمد عبد الله بن عبيد الله الحسني ، ومعه دغفل بن الجراح الطائي ، وجماعة من الاخشيدية والكافورية ، وجاء فنزل عين شمس على باب مصر .

واقتتلوا أياماً ، وظهر القرمطي على المغاربة ، وقتل منهم زهاء خمسمائة رجل ، وغنم أموالهم واسلحتهم ، ودوابهم .

فلما كان يوم الأحد لثلاث خلون من ربيع الأول وقف الهجري على الخندق ، والمغاربة من ورائه ، ونشبت الحرب واقتتلوا الى العصر ، فخرجت المغاربة من الخنادق ، وحملوا على الهجري ، فاندق عسكره لايلوي على احد ـ وجعل يردهم ، وهم منهزمون ، فما وقفوا إلى الرملة ، وظن جوهر أن هزيمة القرمطي مكيدة ، فلم يتعرض لما كان في عسكره إلى ثلاثة أيام ، حتى تحقق الخبر ، فاستولى على الجميع ، ونادى جوهر في الاخشيدية ، ثم قبضهم وقيدهم وحبسهم ، وكانوا الفاً وثلاثمائة مقاتل ، وقال القرمطي في هذه الوقعة :

زعمت رجال الغرب أني هبتها   فدمي إذا مابينهم مطلول
يامصر إن لم أسق ارضك من دم   يروي ثراك فلا سقاني النيل

وقال :

زعموا أنني قصير لعمري   ما تكال الرجال بالقفزان
إنما المرء باللسان وبالقلب   وهذا قلبي وهذا لساني

ثم عاد الهجري إلى بلده ، وتفرقت الأعراب في البرية . . . . . . وفيها عاد الهجري إلى الشام ، فلما وصل الأزرق ، انصرفت المغاربة إلى مصر ، ونزل الهجري إلى الرملة في آخر شعبان ، وصرف عنه أهل البادية ، وأقام في اصحابه الهجريين . . . . .

وفي وفيات حوادث سنة ٣٦٦هـ :

الحسن بن أحمد بن أبي سعيد

أبو علي ، وقيل أبو محمد القرمطي الجنابي ، ولد بالأحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين وغلب على الشام سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وقتل جعفر بن فلاح ، واستخلف على دمشق ظالم بن موهوب العقيلي ثم عاد إلى الأحساء وفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، توجه الى مصر ، ونزل بعيسول الطواحين ، ذلك المعز كان يصافيه لما كان بالمغرب ، ويهاديه فلما وصل الى مصر قطع ذلك عنه ، فوافى القرمطي بغداد ، وسأل المطيع على لسان عز الدولة أن يمده بمال ورجال ، ويوليه الشام ومصر ، ليخرج المعز منها ، فامتنع المطيع ، وقال : كلهم قرامطة ، وعلى دين واحد ، أما المصريون فأماتوا السنن ، وقتلوا العلماء ، وأما هؤلاء فقتلوا الحاج ، وقلعوا الحجر الأسود ، وفعلوا وفعلوا ؛ فقال عز الدولة للقرمطي : إذهب فافعل ماتراه ، وذكروا أنه أعطاه سلاحاً ومالاً ، فسار إلى الشام ، ومعه أعلام سود ، وأظهر أن المطيع ولاه وعلى الأعلام اسم المطيع ، وتحته مكتوب : « السادة الراجعين الي الحق » وملك الشام ، ولعن المعز على منبر دمشق وآباءه ، وقال : هؤلاء من ولد القداح كذابون مخرقون ، أعداء الاسلام ، ونحن أعلم بهم ، من عندنا ظهر القداح . ثم أقام الدعوة لبني العباس ، وسار الى مصر ، وحصر المعز في القاهرة فأرضاه بمال ، فرجع الى الأحساء ، ثم عاد الى الشام

فنزل الرملة ، فمات بها في رجب ، وهو يظهر بطاعة عبد الكريم الطائع وجده أبو سعيد الجنابي أول القرامطة ، وقد ذكرناه .

وكان أبو علي الحسن صاحب هذه الترجمة شاعراً فصيحاً ، قال الحسين بن عثمان الحرمي الحنبلي ، كنت بالرملة سنة ست وستين وثلاثمائة فوردها أبو علي الحسن القرمطي القصير الثياب ، ويلقب بالأعصم ، فاستدعاني ، فحضرت عنده ليلة ، وأحضر الفراشون الشموع ، فقال لكاتبه أبي نصر بن كشاجم : يا أبا نصر مايحضرك في صفة هذه الشموع فقال : ان من يحضر مجلس الأمير يستفيد منه ، فقال القرمطي بديهاً :

ومجدولة مثل صدر القناة ... تعرت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها ... وتاج على هيئة البرنس
اذا غازلتها الصبا حركت ... لسانا من الذهب الأملس
وان رنقت لنعاس عرا ... رقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ... ضياء يجلي دجى الحندس
فنحن من النور في أسعد ... وتلك من النار في أنحس

فقام ابن كشاجم ، فقبل الأرض بين يديه ، وسأله أن يأذن في اجازتها ، فأذن ، فقال :

وليلتنا هذه ليلة ... تشاكل أشكال اقليدس
فياربة العود حثي الغنا ... ويا حامل الكأس لاتحبسي

فخلع عليه وعلى الحاضرين ، ووصلهم بصلات ، ومن شعر القرمطي :

ياساكن البلد المنيف تعززا ... بقلاعه وحصونه وكهوفه
لاعز الا للعزيز بنفسه ... وبخيله وبرجله وبسيوفه
وبقبة بيضاء تد ضربت الى ... جنب الخيام لجاره وحليفه

ss

قرم اذا اشتد الوغى أردى العدى　　وشفى النفوس بضربه ووقوفه
لم يرض بالشرف التليد لنفسه　　حتى أشاد تليده بطريفـــه

وقال لما فل جيشه بعين شمس .

ولو أني ملكت زمام أمري　　لما قصرت في طلب النجـــاح
ولكني ملكت فصار حالي　　كحال البُدن في يوم الأضاحي
يقدن الى الردى فيمتن كرها　　ولو يستطعن طرن مع الرياح

وقال :

له مقلة صحت ولكن جفونها　　مراض بها تسبي القلوب وتتلف
وخد كلون الورد يجنى بأعين　　وقد عز حتى أنه ليس يقطف
وعطفه صدغ لو تعلم عطفهـا　　لكان على عشاقـــه يتعطف

وقال : وكتب بها إلى جعفر بن فلاح والي دمشق قبل لقائه :

الكتب معذرة والرسل مخبرة　　والحق متبع والخير موجـود
والحرب ساكنة والخيل صافنة　　والسلم مبتذل والظل ممدود
وان أنبتم فمقبـــول انابتكم　　وان أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المطايا أو يردن بنا　　دمشق والباب مهدوم ومردود
اني امرؤ ليس من شأني ولا أربي　　طبل يرن ولاناي ولاعـــود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة　　وذات دل لها دل وتفنيد
ولا أبيت بطين البطن من شبع　　ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولاتسامت بي الدنيا الى طمع　　يوماً ولا غرني فيها المواعيد

وفي وفيات حوادث سنة ٣٦٨ هـ .

ذكر حال البتكين إلى أن توفي

وحقيقة شرح الجملة التي ذكرنا بها حصوله بدمشق ، واستقراره فيها وكان يكاتب المعز ويطيعه ، فلما مات المعز كاتبه العزيز ، ووعده الاصطناع ورفع المنزلة ، والبقاء على ما هو عليه ، ان وطىء بساطه ، فكتب اليه هذا البلد أخذته بسيفي ، وما أدين لأحد فيه بطاعة ، فغاظ العزيز جوابه واستشار يعقوب بن كلس وزيره ، فأشار عليه بأن يجهز القائد جوهر في العساكر الى الشام ، وبلغ ألبتكين ، فجمع وجوه الدماشقة وشيوخها ، وقال لهم : قد عرفتم أنكم سألتموني أن أتولى أمركم ، وما تصرفت الا على وفق مرادكم . وقد طلبني من لاطاقة لي به ، وأنا داخل بلاد الروم ، وأبصر مكاناً أكون مقيماً فيه لئلا يلحقكم بسببي ضرر ممن يقصدني ، وكان الدمشقيون يكرهون المغاربة ، لمخالفتهم اياهم في الاعتقاد ، ولأجل ماعاملهم به أمراؤهم وولاتهم فقالوا له : أقم ونفوسنا [نبذلها في نصرتك] .

وسار جوهر في عسكر كثيف بعد أن أخذ من العزيز أماناً لألبتكين وخاتماً من ثيابه ، وكتاباً اليه بالعفو عنه ، فلما حصل جوهر بالرملة كاتب ألبتكين بالرفق والملاطفة ، ودعاه الى السلم والطاعة ، ووعده أن يبلغه مايريد ، وأعلمه بما معه من الأمان ، فأجابه بالجميل والشكر على مابذله وغالطه بأن أحال على أهل دمشق ، وسار جوهر ، وقرب من

دمشق ، فخرج إليه ألبتكين في أصحابه ومن معه من العرب ، وأقامت الحرب بينهم شهرين ، وقتل من الفريقين عدد كثير ، وظهر من شجاعة ألبتكين والغلمان الذين معه ما عظموا به في النفوس ، وتقررت لهم الهيبة في القلوب ، وأشار عليه أهل دمشق بمكاتبة الحسن بن أحمد القرمطي واستدعائه ، وعرف جوهر خبره ، فعلم أنه متى حصل بين عدوين خيف عليه ، فرجع إلى طبرية ، ووصل القرمطي إلى ألبتكين ، واجتمعا وتعاهدا على قتال جوهر ، وسارا خلفه ، فسار من طبرية إلى الرملة ، فأقام بها ، وبعث بأثقاله الى عسقلان ، وكتب الى العزيز يعرفه الصورة ، ويستأذنه إن دعته الضرورة قصد عسقلان ، ووافى ألبتكين والقرمطي ، فنزلا على الرملة ونازلا جوهراً ، وكان معهما خمسون ألفاً من الفرسان والرجاله ، وكان القتال على نهر الطواحين ، بينه وبين الرملة ثلاثة فراسخ ولا ماء لهم إلا منه فقطعاه عن جوهر ، فتضرر عسكره ، فسار الى عسقلان في أول الليل ، فوصل اليها في آخره ، فدخلها وأغلق أبوابها ، وتحصن بها ، وتبعه ألبتكين والقرمطي ، وحاصراه فيها ، وضاقت به الميرة ، وغلت الأسعار ، وكان الوقت شتاء ، فلم يمكن حمل الأقوات في البحر ، واشتدت الحال بجوهر ، وأكل أصحابه الدواب والميتة ، وكان يخرج فيقاتل ، فإذا وجد فرصة من ألبتكين دعاه الى الطاعة وأرغبه ، فيسترجع ألبتكين شجاعته ، ويهم أن يقبل منه ، فيثنيه القرمطي ، وكاتب ألبتكين رجلا يقال له ابن الجمار ، وكان يخالف اعتقاد المصريين ، ويقول : هؤلاء كفار ويجب قتالهم .

واشتد الأمر بجوهر ، فاحتال في الخلاص ، فراسل ألبتكين ، وسأله القرب منه ، فأجابه ووقفا على فرسيهما سراً ، وقال له جوهر : قد علمت مايجمعني واياك من عصمة الاسلام ، وحرمة الدين ، وهذه فتنة قد

طالت وأريقت فيها دماء ، ونحن المؤاخذون بها عند الله ، وقد دعوتك الى الصلح والموادعة ، وضمنت لك ما أردت فأبيت ، فقال : معي في الرأي القرمطي ، وبيني وبينه ايمان ، فقال : اذا كان الأمر كذا ، فأنا ألتمس منك أن تأذن لي في الخروج من عسقلان الى مصر بمن معي ، ونسير تحت ذمامك ، وسوف ترى ما أفعل ، فقال بشرط ، وهو أن أعلق سيفي على باب عسقلان ورمح القرمطي ، وتخرج أنت وأصحابك من تحتها ، فقال جوهر : جزاك الله خيراً ، قد تفضلت وأحسنت لآخذن به وعاد ألبتكين فأخبر القرمطي ، فقال : ما فعلت مصلحة ، ارجع عن عن هذا فإنها خديعة ، ودعهم يموتون جوعاً ، أو تأخذهم بالسيف ، فإنما جوهر صاحب مكر وخديعة ، فقال : قد كان وحلفت له ، وماأغدر به ، وأصبح جوهر وأصحابه ، فخرجوا من تحت سيف ألبتكين ورمح القرمطي ، وساروا الى مصر ، واجتمع جوهر بالعزيز وشرح له الحال ، فقال له : ما الرأي ؟ فقال : أن تخرج بنفسك والا فإنهم واردون على اثري .

ففتح العزيز بيوت الأموال ، وبرز بالعساكر واستصحب الذخائر ، وتوابيت آبائه وسار جوهر على مقدمته الى الرملة ، وألبتكين والقرمطي بها ، فنزل العزيز ، وبينهما مقدار فرسخ ، والتقى الصفان ، وألبتكين يلعب بين الصفين بسلاحه ، فقال العزيز لجوهر : أرني ألبتكين ، فأراه اياه ، وعليه كزاغند أصفر ، وهو تارة يضرب بالسيف ، وتارة باللت ، وتارة يطعن بالرمح ، والناس يتحامونه ، فأعجب العزيز مارآه من فروسيته فانفرد العزيز وصعد على رابية ، وعلى رأسه المظلة ، وأرسل ركائبياً الى ألبتكين ، وقال له : أنا العزيز ، وقد أزعجتني من سرير ملكي وأحوجتني

الى مباشرة الحرب ، وقد عفوت عنك ، فاترك ما أنت عليه ، ولك علي عهد الله وميثاقه أن أصطنعك وأجعلك أسفهسلار عسكري ، وأهب لك الشام بأسره ، فجاء الركابي اليه وأدى الرسالة ، فخرج من العسكر بحيث يراه الناس ، وترجل ، وقبل الأرض مراراً ، ومرغ خديه ، وقال : قل له : ياmولاي لوتقدم هذا القول منك لسارعت الى أمرك ، فالآن فليس الا ماترى ، فأبلغه ذلك ، فأعاد الركائبي اليه ، وقال : قل له : يقرب ، يقرب مني بحيث أراه ويراني ، فإن استحققت منه أن يضرب وجهي بالسيف ، فليفعل ؟ فقال : قل لمولاي : ماكنت بمن أشاهد طلعته وأنابذه الحرب ، وقد خرج الأمر عن يدي ، ثم حمل على ميسرة العزيز فهزمها ، فأرسل العزيز الى الميمنة فأمرها بالحملة ، وكان هو في القلب ، وحمل وعلى رأسه المظلة ، فانهزم ألبتكين والقرمطي ، وقتل من أصحابها نحواً من عشرين ألفاً ، وقال من جاءني بألبتكين والقرمطي ، فله مائة ألف دينار .

وكان ألبتكين يميل الى المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي ، وكان أمرداً وضيء الوجه ، فاتفق أن ألبتكين لما انهزم ، قصد ساحل البحر ومعه ثلاثة أنفس ، وقد أجهده العطش ، فلقيه المفرج في سرية من الخيل ، فسقاه ماء ، فقال له : احملني الى أهلك ، فجاء به الى قرية يقال لها يُبْنى (١) ، فأجلسه هناك ووكل به جماعة ، وجاء الى العزيز ، فتوثق منه في المال ، ثم أخبره أن ألبتكين قد حصل في يده ، ومضى وجاءه به ، فأمر العزيز بأن يضرب له مضرب من مضاربه الخاص ، وفرش فيها فرشه ، وأحضر جميع ما يحتاج اليه ، وأنزله في المضرب ، ولم

---

(١) بلدة قرب الرملة ـ معجم البلدان .

يشك أنه مقتول ، وأمر بأصحابه الأسرى ، فضربت لهم المضارب وحملت اليهم فنون الفرش والأطعمه ، وبعث له العزيز دستاً من دسوته ، فقام وقبل الأرض ، وبكى وعفر خديه في التراب ، وقال : ما أستحق إلا القتل ، ولكن يأبى مولانا الا ماتقتضيه أعرافه الشريفة ، ولم يقعد في الدست ، وبعث له الخلع والثياب والتحف مع الخدم ، وأعلموه أن العزيز قد عفا عنه ، فلما كان الليل جاء العزيز الى مضربه بنفسه ، فقام وقبل الأرض ، وحثا التراب على رأسه ، وجعل يبكي وينتحب ، فقال له العزيز : مانقمت عليك الا كوني دعوتك الى مشاهدتي لعلك أن تستحي مني ، فأبيت ، والآن فقد عفوت عن ماجرى ورضيت عنك ، وسوف ترى ما أفعل معك ، ثم أنزل أصحابه على مقاديرهم وأسنى أرزاقهم ورفع منازلهم ، واستحجبه العزيز ، وجعله من خاصته ثم بعث العزيز النجائب بالكتب ، فلحقوا الحسن بن أحمد القرمطي بطبرية ، فأعادوا عليه الرسائل ، وأن العزيز قد عفا عن ماجرى ، ويسأله أن يطأ البساط ، فامتنع ، وتقرر الحال على أنه يدخل في طاعة العزيز ، وأن يحمل اليه في كل سنة سبعون ألف دينار ، فرضي ، وعجل له برزق سنة ، فأخذه وعاد الى هجر ، ورجع العزيز الى القاهرة ، وأنزل ألبتكين في دار عظيمة ، ونقل اليها الآلات والمال والتحف ، وسلم اليه بابه وحجابه ، وشرع ألبتكين في التكثير على وزير العزيز يعقوب، ولم يلتفت عليه ، فدس اليه الوزير من سقاه السم ، فمات فحزن عليه العزيز ، واعتقل الوزير نيفاً وأربعين يوماً ، فانكسرت الأموال فأطلقه .

وفي حوادث سنة ٤٥٨ ﻫ

[قال غرس النعمة محمد بن هلال بن المُحسِّن الصابىء :]

وورد الخبر بأنه قد ملكت جزيرة أوالي ، المسماة بالبحرين ، وهي من أعمال القرامطة ، غلب عليها أهلها ، وأمروا عليهم أبا البهلول ، عوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج ، فخطب بها للقائم ، وكان يخطب بها لصاحب مصر ، وبعث اليهم القرامطة جيشاً فهزموه .

وكان أبو البهلول ، وأخوه أبو الوليد من أهل الدين ، فأنفوا من القرامطة ، واجتمع أهل الجزيرة عليهما ، وبذلوا للقرامطة ثلاثة آلاف دينار حتي يمكنوهم من بناء جامع يأوي اليه المسافرون ، والغرباء ، ويصلون فيه الجمعة ، فأجابوهم ، فلما تكامل الجامع ، صعد أبو الوليد المنبر ، فخطب للخليفة القائم ، فقال من يهوى القرامطة : هذه بدعة ، ويجب أن نمنع بني الزجاج من الخطبة ، ويصلون بغير خطبة ، وتقدموا اليهم بذلك ، فقالوا : مابذلنا ما بذلنا الا ليجلب الينا التجار والمسافرون فإن كرهتم ذلك ، فادفعوا الينا مابذلناه ، فمعيشتنا من هذا الباب ، وكوتب القرامطة بذلك ، فجاء الجواب بأن لايعترض عليهم ، فمال اليهم أهل تلك النواحي ، فلما أخرج الخليفة من بغداد نوبة البساسيري [1] قال المخالفون لهم : الخليفة الذي كنتم تخطبون له زالت ايامه ، والخطبة لصاحب مصر ، فلم يمتنعوا من الخطبة للقائم[2] ، وبعثوا الى القرامطة هدية

---

(١) انظر كتابي مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية : ٩٦ - ١٢٠ .

(٢) امتدت خلافة القائم من سنة ٤٢٢ وحتى ٤٦٧ ﻫ / ١٠٣١ - ١٠٧٥ م . وقد شاب هذه الفترة الطويلة توقف لمدة سنة بعدما سيطر البساسيري على بغداد ، واعلن الغاء الخلافة العباسية ، ودعا للمستنصر الفاطمي .

وسألوهم أن لايعترضوا عليهم ، فجاء جوابهم أن يجروا على عادتهم في الخطبة لمن أرادوا ، وقوي أمر أبي البهلول ، ثم كتب القرامطة الى نائبهم بأن يصادر أهل البلد ، وكان عاقلاً ، فامتنع ، وعلم بنو الزجاج بذلك فولوا عليهم أبا البهلول ، وكانوا ثلاثين ألفاً ، وقدم وال جديد فعزم على القبض على أبي البهلول ، ومن وافقه ، فبادروه بالقتال ، وكان بالجزيرة رجل يقال له ابن أبي العريان ، كبير القدر ، فوافقهم ، وانحاز الى أبي البهلول ، وزحفوا الى الوالي الجديد ، فقتلوا من أصحابه جماعة ، وهرب ، وكان الوالي العتيق الذي لم يصادرهم يقال له ابن عزم ، فجاء الجواب بأن لانرده والعساكر واصلة ، وبعث أبو عبد الله بن سنبر وزير القرامطة ، أحد أولاده الى عمان ، لحمل مال وسلاح منها ، وعرف أبو البهلول ، وابن أبي العريان ذلك ، فكمناه ، وكمنا له في الطريق عند عوده ، فقتلاه وأربعين رجلا معه صبراً ، وأخذا ماكان معه ، وهو خمسة آلاف دينار ، وثلاثة آلاف رمح ، ففرقا المال والسلاح على أصحابهما ، وبلغ ابن سنبر ، فمال الى ابن أبي العريان ، وكاتبه سراً وبذل له الأموال ، وأن يوليه الجزيرة ، فمال الى قوله ، وأجابه الى الفتك بأبي البهلول ، وأنه اذا بعث عسكراً في البحر الى الجزيرة ، وقرب منها ، وثب على أبي البهلول فقتله ، وقتل أصحابه ، ثم قال لأهله وعشيرته : هذا الذي نحن فيه أمر لايتم ، ومالنا بالقرامطة قدرة ، ويجب أن ندبر أمرنا معهم ، فقالوا : افعل ماتراه فنحن نتبعك ، وبدأ في نقض ما اتفقوا عليه .

وعرف أبو البهلول ذلك ، فانزعج وجمع أهله وعشيرته ، وأطلعهم على الحال ، وقال : مالنا قدرة بابن أبي العريان ، هو أقوى ، وأكثر رجالاً ومالاً ، فاطلبوا قتله غيلة بوجه لطيف ، وألا يتقرب بنا الى

القرامطة ، فرصدوه حتى نزل الى عين ، تسمى عين ثور ، يغتسل ، فنزل اليه رجل فقتله ، وقيل بل قتله أحد بني أعمامه ، وجاء أصحابه فرأوه قتيلاً ، فجاءوا الى أبي البهلول واتهموه بقتله ، فحلف لهـم أنـه ما قتله ، فصدقوه .

وجاء ابن سنبر ، وزير القرامطة بالعسكر ، على ما كان استقر بينه وبين أبي العريان ، في مائة وثمانين شداه [١] ، من عامر وربيعة وغيرهم فخرج اليهم أبو البهلول في مائة شداه ، وجاء على فرسه ، فوقع فانكسرت ساقه ، فأقسم عليه أخوه أبو الوليد ، أن يرجع ، فأبى ، ونزل على حاله في شداه ، وأمر بضرب الدبادب والبوقات ، ونشر الأعلام ، واتفق لابن سنبر من السوء أنه أن كان معه في الشداة خمسمائة غلام وفرس ، لعامر وربيعة ، تصوراً منه أن يدخل البلد من غير حرب ، ولم يشعر بقتل ابن أبي العريان ، فلما ضربت البوقات والطبول ، وسمعتها الخيل ، ورأت المطارد نفرت وغرق بعض الشداه ، ووقع العرب في البحـر ، وهرب ابن سنبر إلى الساحل ، واستولى أبو البهلول على باقي الشداه ، فأخـذ منها نحو مائتي فرس وسلاحاً كثيراً ، واستأمن اليه من كان فيهـا من أهل السواد ، وحلفوا أن ابن سنبر أخذهم قهراً ، وظفر بأربعين رجلاً من القرامطة ، فقتلهم صبراً ، وعاد وقد برئت ركبته ، وقوي أمره ، وانتظم حاله ، واستوزر أخاه أبا الوليد ، وكتب الى بغداد بالفتح ، وشرح الحال الى أبي منصور بن يوسف .

وقال محمد بن هلال الصابىء : حدثني أبو حفص الريحاني أحـــد المتفقهة حديث القرامطة ، وكان قد اجتاز بهم ، قال : ان جزيرة أوالي ثلاثة عشر فرسخاً ضياعاً ، ومزراعاً ونخيلاً وأشجاراً ، ونفس البـلد

---

(١) من انواع السفن .

لطيف ، وعدد قراه مائة وثلاثون قرية ، منها قرية تشتمل على مائة وثلاثين مسجداً ، تسمى تستر ، وهم يخطبون قديماً لبني العباس .

والقرامطة من بعدهم في بلد يعرف بالقطيف ، على ساحل البحر ، وجميع السواد الى الأحساء ، ولايخطب فيها لأحد ، ولا يصلى فيها جمعة ولا جماعة ، الا صلاة التراويح تعظيماً لأبي سعيد الجنابي المدفون بها ، وفيها قوم يعرفون بالسادة ، من أولاد القرامطة ، من ظهر أبي سعيد ، كلما نقص من عددهم واحد ، أقاموا واحداً مكانه ، وهم على سنن من العدل يقيمون الحدود ، ويحافظون على الصلوات ، ويبطلون المذاهب الفاسدة ، ولهم ستة وزراء من [بني] سنبر ، ولا يستبدلون بهم ، لأن أبا سعيد لما ظهر عاضدوه ، وشرطوا عليه أن تكون الوزارة فيهم ، والرئاسة فيه .

ومن مذهبهم اسقاط الجزية عن أهل الذمة ، ويصلون على أبي سعيد ، ولايصلون على النبي ﷺ ، وان صلى أحد عليه صفعوه ، وقالوا : لاتأكل رزقنا ورزق أبي سعيد ، وتصلي على أبي القاسم ، واعتقادهم أن أبا سعيد يعود اليهم ، ويخرج من قبره عليهم اذا طار طائر من حصن معمول في رأس قبة على ضريحه من دارهم بالأحساء ، وعند القبر فرس مشدود ، وخلعه ثياب ، ودست سلاح معد لخروجه .

SS

سيرة الهادي إلى الحق
يحيى بن الحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبالله أستعين ، وبرسوله وآله الطاهرين .

سنة أربع وتسعين ومائتين .

ومما كان من أخبار الهادي الى الحق صلوات الله عليه - يحيى بن الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم :

انه لما كان في سنة الأربع وتسعين ومائتين : ظهر الفساد بنجران وظهر القرامطة ، وهمت بنو الحارث الخلاف على عامل الهادي ، محمد بن عبيد الله العلوي ، وساعدهم في ذلك اليامبون[1] ، وكان القائم في ذلك الحارث بن حميد الخثيمي ، ومرزوق بن محمد المري ، وعلى بن الربيع المداني . ويزيد بن الأسود الكعبي ، ومنصور بن هشام الدهمي ، والذي حمل ياماً على الدخول مع بني الحارث ما كان من قتلهم لرجل مصري ، وفد على الهادى الى الحق عليه السلام ، فلما ظهر اجتماعهم على الحدث والفساد ، كتب محمد بن عبيد الله الى الهادي الى الحق - أعزه الله تعالى - يعلمه بالخبر ، ويحضه على الخروج الى البلد لإصلاحه ، واصلاح أهله .... [٧٥ - ظ] .

ثم أمر الهادي الى الحق عليه السلام محمد بن عبيد الله بأخذ القرامطة ، وطلبهم في كل موضع ، فركب علي بن محمد ، وأخوه القاسم ابن محمد ، من الند في السحر ، ومعهم مائة من العرب ، فتوجه علي

---

(١) ماتزال يام حيث كانت في الماضي وهي أيضاً محتفظة بمعائدها القرمطية او الموروثة عنها .

ابن محمد الى موضع يقال له محضر (١) ، وكان فيه كل من تنسب اليه القرامطة وكان داعيهم رجل يقال له حسين بن حسن من حاشد ، من موالي بني أمية ، وكان نازلاً بقرية من نجران يقال لها رجلاء ، فمضى القاسم بن محمد ، فأحاط بمنزله ، فلم يجده هناك وأحاط على بن محمد بمحضر ، فأخذ خمسة عشر من القرامطة ، وانصرف هو وأخوه الى الهادي الى الحق ـ أعزه الله ـ ووجدا أباهما محمد بن عبيد الله ، وقد أخذ نفراً من القرامطة ممن بقرية الهجر (٢) ، منهم رجل يقال له ابن غبراء من آل حاشد ، من كبار القرامطة ودعاتهم ، فأخذ ابن بسطام نفراً من أهل قرية مينان (٣) ، من بني عمه ومواليه ، وصار بهم الى الهادي الى الحق عليه السلام فأمر بهم فصيروا في الحبس ، ثم عزم الهادي الى الحق أيده الله على الخروج الى صعدة ، وأمر خمسين فارساً ، ومائة راجل فيهم سعيد بن موسى بن أبي سورة ، وأمرهم بالمقام مع محمد بن عبيد الله بنجران ، وأمر بقبض الجباية الحسن بن أحمد البغدادي ، ومحمد بن أبي سعيد العصار ، وأمر محمد بن عبيد الله بتقوى الله ، وايثار طاعته ، والقيام في بلده ، والاحسان الى رعيته ، مع الشدة على السفيه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخذ القرامطة ، وأوصاه بوصايا غير ذلك مما يحتاج اليها ، وخرج الهادي الى الحق يوم الثلاثاء ..... [٧٧ ـ ظ] .

ثم بلغ أبا جعفر [محمد بن عبيد الله] أن نفراً من القرامط بحصن

---

(١) من اوطان قبائل بلحارث في منطقة نجران ـ صفة الجزيرة : ٣١٨ .

(٢) الهجر بلغة حمير والعرب العاربة القرية ، وهجر نجران هي المعنية هنا .

(٣) من قرى قبائل بلحارث في منطقة نجران ـ صفة الجزيرة : ٣١٨ .

ثلا [١] عند نفر من بني الحارث ، يقال لهم بنو قطن يأوون اليهم ، ويبيتون عندهم ، فلما كان مع طلوع الفجر أمر العسكر فحضروا الى بابه ، فلما اجتمعوا أمر ابنيه علياً والقاسم ابني محمد بالمصير الى حصن ثلا عند طلوع الشمس ، فظفر برجلين من القرامطة ، يقال لأحدهما محمد بن عبد الله ، فأخذهما وانصرف الى الهجر ، ثم ذكر له من بعد ذلك أن نفراً آخرين بموضع يقال الموفجة [٢] ، من قرى نجران ، فأمر ابنه علي بن محمد بالمسير اليهم ، فسار حتى هجم على الموفجة .... [٧٨ - ظ] .

وكانت القرامطة قد ظهرت باليمن وملكوا الشرف [٣] وطهام [٤] ، وجبل مَسْور [٥] ، وحاربوا جعفر بن ابراهيم المناخي ، وأخرجوه من بلدهم ، وملكوها في النصف من شهر ربيع الأول سنة اثنين وتسعين ومائتين ، وهرب هو وولده وأهل بيته إلى موضع يقال له القرتب [٦]

---

(١) قرية وحصن للمرانيين من همدان ، عامرة فيها ينابيع نبغ فيها عدد من العلماء. صفة الجزيرة : ٢٣٣ .

(٢) عدها الهمداني في صفة الجزيرة : ٣١٨ بين اوطان بلحارث .

(٣) الشرف هو العالي الذي يشرف على ماسواه ، وحين يطلق عاماً بالنسبة لليمن يقصد به شرف حجة ، وقد قاله عنه الهمداني في صفة الجزيرة : ١١٣ - ١١٤ : « جبل الشرف المطل على تهامة ، وهو جبل واسع وفيه قرى كثيرة » ومفيد ان نلاحظ ان العرب حملوا هذا المصطلح معهم الى الأندلس فأطلقوه على سواد اشبيلية ، وهو عند الاسبان Ajarafe انظر الروض المعطار - ط. بيروت . مادة شرف .

(٤) كان سوقاً شهيراً في منطقة لاعه . انظر صفة الجزيرة : ١١١ ، ٢٤٨ .

(٥) مسور المنتاب، يطل على بلاد حجة وتهامة ، صفة الجزيرة : ١١١ . الاكليل : ٢ / ٨٠ .

(٦) بلدة في الضاحية الجنوبية لزبيد . صفة الجزيرة : ١٢٠ .

بناحية زبيد ، فسأل ابراهيم بن محمد على أن ينصره فلم يفعل ، فعاد الى طرف بلاده خشية واتقاء أن يكون آوياً عند أحد من الناس ، فصار الى موضع يقال له وادي نخلة ، فحاربهم ، وعامل عليه بعض من كان معه ، وأدخل عليه الحصن الذي كان فيه ، فهزم عسكره وقتل هو وابن عمه أبو الفتوح بن أبي سلمة .

وثبتت القرامطة في بلده ، حتى اذا كان مستهل المحرم مدخل سنة ثلاث وتسعين ومائتين خرج علي بن فضل وكان مولده الجند وأصله من الرحبة [1] من رقيق الأحماس ، وقد استجاش [2] بأهل المخاليف ممن صار معه وأعانه على كفره ، حتى صار بمنكث [3] ، أو بالقرب منها ، وكان اليافعي بذمار [4] مقيماً بها ، فوجه عساكره في وجوههم ، فانهزم أصحاب اليافعي ، واستأمن ابنه الى ابن فضل ، وساروا يريدون اليافعي فانهزم وجميع من كان معه الى صنعاء واستأمن اليافعي عيسى بن المعان الى القرمطي ، وساروا قصد صنعاء « فنزلوا بظبوة [5] ، وخرج اليهم أسعد بن أبي يعفر ، فحاربهم وهم نيف على أربعين ألفاً ، وذلك ليوم الثلاثاء لست ليال خلت من المحرم ، هذا وقاتلهم قتالاً شحيحاً ، وقتل منهم أربعمائة رجل ، وانصرف أسعد آخر يومه الى صنعاء ، وسار

---

(١) انظر صفة الجزيرة : ١٥٦ . الاكليل : ٢/١٥٣ . معجم البلدان : رحبة صنعاء على ستة أيام منها .

(٢) في ص « وقد كان استجاش » .

(٣) في حاشية الأصل : « خروج علي بن فضل الى منكث » . وتقـع منكث الى الشرق من يحصب بحيث تبعد عن بلدة يريم حوالي ٢٠ كم . صفة الجزيرة : ٧٩ .

(٤) من مدن اليمن المعدودة ، تقع الى الجنوب من صنعاء . صفة الجزيرة : ٧٩ . تاريخ المستبصر : ١٩٠ .

(٥) في شرقي صنعاء . صفة الجزيره : ١٥٣ .

القرامطة في ليلتهم حتى لزموا جبل نقم (١) ، فأقامــوا بنقم ثلاثة أيام لاينزلون ، فلما كان يوم الجمعة احتركوا ، وبان عسكرهـم ، وخرج اليهم أسعد بن أبي يعفر فلم ينزلوا ، فلما كان ليلة السبت سار علي بن فضل في خمسة آلاف من مقاتلتهم ورجالتهم ، فدخلوا صنعاء ليلاً من ناحية سكة الشهابيين أدخله مهلب الشهابي ، فأصبحوا قد أموا غمدان ، ومسجد الجامع ، وذلك يوم عاشوراء ، فقاتلهم أسعد في عسكره ونفر من أهل صنعاء ، وهرب أهل صنعاء لما داخلهم من الفشل والخوف ، بحرمهم وصبيانهم ، وخلوا منازلهم وأموالهم (٢) ، فلم يزل أسعد يقاتلهم الى بعد صلاة العصر يوم السبت .

ثم خرج من صنعاء واستباح القرامطة صنعاء ، فنهبوا جميع الأموال والأثاثات ، واستخرجوا ما كان تحت الأرض ، فأقاموا خمسة عشر يوماً وكفوا عن القتل ، فلم يقتل إلا نفر قليل ، وفر (٣) أهـل صنعـاء ، وكان أسعد قد صار إلى شبام (٤) عند خروجه من صنعاء ، وصار ابن كيالة إلى ظهر ، وكاتب ابن فضل ، واستأمن إليه ، وتحرك القرمطي الكوفي (٥) من ناحية بيت ذخار ، فخاف أسعد فخرج من شبام بحرمه إلى بلد همدان وخلى ابن عمه من الحبس ، ومضى معه ، فأقاموا عند الدعام بن إبراهيم

---

(١) جبل مطل على صنعاء . معجم البلدان .

(٢) في « ص » نسخة صنعاء ، وصبيانهم .

(٣) في « ص » : وقهر .

(٤) شبام حمير هو الآن موضع قرية في الشمال الغربي من صنعاء . كان يعرف باسم جبل ذخار ، فيه حصن كوكبان . تاريخ اليمن لعمارة : ٦٥ - ٦٦ ، ابن المجاور : ١٨٤ - ١٨٥ . صفة الجزيرة : ٢٣١-٢٣٤ . تاريخ صنعاء : ٥٦٦ .

(٥) أي المنصور الذي قدم مع علي بن الفضل ، وسيأتي ذكره .

بغرق ونواحيها (١) .

ثم كف ابن فضل أصحابه يوم الاحد لخمس باقية من المحرم عن النهب ، وخرج من صنعاء في ذلك اليوم إلى بلد قدم (٢) ، فأقام في حربهم نيفاً وخمسين يوماً لم يظفر بهم ، ولم يقربوه ، وقتل ابن اليافعي (٣) ومعه جماعة بها (٨٨ ـ ظ) وصار إلى شبام ، فالتقى هو وصاحبه ، وأقام عنده نحو شهر ، ثم صار الى المغرب ، ونزل ببيت خولان (٤) ، واستباحوا المغرب ، فنهبوه ، وسبوا النساء ، وأخذوا الأموال .

ثم خرج في عساكره يوم الاثنين لثلاث ليال من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائتين يريد إلى تهامة ، فلما صار في نقيل السود (٥) تخلف عنهم ابن كيالة وعاد إلى صنعاء وصعد غمدان ، وأرسل إلى محمد ابن الحسين الحسني يسأله المظافرة على الوثوب بالقرامطة ، على أن الدعوة للهادي إلى الحق صلوات الله عليه ، فظافره ، وقاتلوا من كان بصنعاء من دعاة القرامطة ، وقتلوا منهم ، وأخذوا ماكان لهم ، وذلك في يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من هذا الشهر ، وحبسا أيدي الناس ، وكتبا إلى

---

(١) غرق موضع بالجوف الأعلى ، عرف باسم سوق الدعام ، انظر صفة الجزيرة : ١٦١ . الاكليل : ١٠/١٧٧-١٨٦ .

(٢) قدم قبيلة معروفة من حاشد ، وبلدها شرقي حجة ، ولعله قصد بلدة الكلابح ، ففيها كان القتال . صفة الجزيرة : ١١٢ - ١١٣ .

(٣) في حاشية الأصل : قتل اليافعي في بلد قدم .

(٤) مازال معروفاً بهذا الاسم في اليمن في جبل حضور الذي يعرف باسم جبل النبي شعيب ، وذلك الى الغرب من صنعاء . انظر صفة الجزيرة : ١٠٨ . الاكليل : ٢٠٨/١-٢٨٦ . تاريخ اليمن لعمارة : ١١١ - ١١٣ .

(٥) على بعض يوم من صنعاء إلى مابين جنوبها ومغربها ، والنقيل عند اهل اليمن العقبة . صفة الجزيرة : ١٢٢ . تاريخ صنعاء : ١٨٩ .

ss

الدعام ، فبعث ابنه الحسين إليهم في عسكره ، وكتبوا إلى الهـــادي صلوات الله عليه يعلمونه بما كان منهم ، ويستدعونه ، ويسألونه النصر لهم ، فأجابهم ، وبعث ابنه القاسم صلوات الله عليه . فصار إلى صنعاء في جمادى الأولى ، وخرج جماعة من أهل صنعـاء إلى الهـادي إلى الحق صلوات الله عليه ، يستنهضونه ، فخرج معهم ، ودخل صنعاء يوم الأربعاء لأربع ليال من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ودخل معه آل يعفر والدعام ، وولده وابنا الروية ، وولد جعفـــر بن إبراهيم ، ووجوه اليمن مطيعين له ، وكان ابن جعفر محمد بن الحسين وابن كيالة قد حاربا القرامطة في قلعة ظهر [١] ، ودخلا عليهم ، وحارباهم بشبام ، ودخلاها وأخذا ما كان بها .

وبعث الهادي إلى الحق صلوات الله عليه ابنه أباالقاسم عليه السلام إلى ذمار وولى القضاء أحمد بن يوسف الحداقي ، فكان محمد بن يحيى صلوات الله عليه يحارب القرامطة في تلك الناحية ، وصار ابن فضل إلى جبل واقر [٢] يحارب إبراهيم بن محمد بن علي على نحو شهرين ، ثم انهزم عنه ابن علي فصار إلى بلد حكم [٣] في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ودخل الكدراء [٤] والمهجم [٥] واستباحها .

---

(١) في ص جبل ظهر ، ويعرف اليوم جبل الظهرة . صفة الجزيرة : ٣١٥ .

(٢) ليس ببعيد من زبيد بينه وبين الكدراء القديمة قرابة ٣٠كم . صفة الجزيرة : ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) انظر صفة الجزيرة : ٣٤٦ . تاريخ اليمن لعمارة : ٥٢ .

(٤) مدينة كانت ذات مكانة وشهرة . انظرها في صفة الجزيرة : ٧٤ . الاكليل : ٢ / ٢٣٨ .

(٥) انظرها في صفة الجزيرة : ٢٥٨-٢٥٩ . معجم البلدان .

وخرج في حرب أحمد بن محمد بن علي إلى زبيد ، فأجلى عنه ، فدخلها القرمطي ، وخالفه ابن علي إلى الكدراء ، فقتل من كان بها من أصحابه ، وقتل القرمطي من ظفر به بزبيد ، وانصرف غضب الله عليه ولعنته إلى المذيخرة [١] ، وعاد ابن علي إلى زبيد ، وعاد أخوه إلى الكدراء ، وقوي أمر القرامطة ، وأعانهم عيسى اليافعي ، وساروا يريدون إلى ذمار ؛ فخرج محمد بن يحيى صلوات الله عليه فلحق بأبيه الهادي صلوات الله عليه إلى صنعاء .

وصار أبو العشيرة أحمد بن محمد بن الروية إلى ثات [٢] ورداع ، والتفت إليه جماعة من عشيرته ، وانحاز معه عسكر كثير من أهل البلد ، فسار إليه ابن ذي الطوق وعيسى اليافعي وحاربوه بثات ، وقتل أبو العشيرة بن الروية ، واستبيح البلد ، وانحاز الناس إلى المسجد وأحرق [٣] بمن كان فيه من الرجال والنساء والأطفال ، على القرمطي والقرامطة لعنه الله ، وكان ذلك لتسع ليال خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

وكان أسعد قد خرج إلى بلد همدان ، فأقام بورور [٤] ، فلما كان يوم عاشوراء من المحرم مدخل سنة أربع وتسعين ومائتين ، وثب ابن كيالة على الهادي إلى الحق صلوات الله عليه يحاربه ، فلم يقاتله يحيى بن

---

(١) كانت مقر الملوك المناخيين من حمير ، ثم غدت مقر ابن الفضل . انظرها في صفة الجزيرة : ١٠٢ - ١٠٣ . تاريخ اليمن لعمارة : ٦٤ . تاريخ ابن المجاور : ١٨٣-١٨٤ .

(٢) مخلاف رداع وثات من مخاليف اليمن المعروفة . صفة الجزيرة : ٢٢٠ .

(٣) في س : وأحدق .

(٤) شعاب وواد مشهور في الجوف . صفة الجزيرة : ١٥٧ .

الحسين صلوات الله عليه ، وخرج عنه من صنعاء إلى صعدة [١] ، وأقام ابن كيالة بصنعاء ، وكان جراح بن بشر [٢] بشبام فأخرجه القرمطي الكوفي عنها ، وانهزم إلى صنعاء ، وكتب جراح وابن كيالة إلى أسعد ابن أبي يعفر أن تقدم [٣] إلى صنعاء ، ففعل ، وأقاموا بها جميعاً ، وأقروا أحمد بن يوسف الحداقي على القضاء .

وصار ابن ذي الطوق القرمطي ، وعيسى اليافعي (٨٩ - و) إلى المغرب ، فأقاموا بحجيب ومسيب [٤] ، وخرج إليهم جراح وابن كيالة في أهل صنعاء وعسكرهم فقاتلوهم ، وانهزموا عنهم ، وقتل من أهل صنعاء ومن غيرهم أربعمائه .

وعادوا إلى صنعاء والقرامطة في المغرب ، فلما كان يوم النصف من من هذه السنة وثب ابن ذي الطوق على عيسى اليافعي فقتله ، وجماعة من أصحابه غدراً ، واستأمن أصحاب اليافعي إلى صنعاء ثم نهض ابن فضل من المذيخره في آخر جمادى ، فسار يريد صنعاء حتى صار بحرير [٥] فخرج إليه أسعد ومن معه فقاتلوه ، وقتلوا من أصحابه نحو ستين رجلاً وأرجأ عليه جراح ومن معه إلى صنعاء فالتقي ابن فضل وصاحبه ابن ذي الطوق ، وبعث عسكراً إلى جبل نقم ، فلم يكن للقوم بهم طاقه [٦]

---

(١) في س « من صنعاء هذا اليوم الى صعدة » .

(٢) في حاشية الأصل : جراح وابن كياله من موالي بني يعفر ، واسم كيالة الحسن.

(٣) في س « يقدم » .

(٤) قريتان متجاورتان من منطقة حضور في مخلاف بني عياش . صفة الجزيرة : ١٥٥ - ١٥٦ .

(٥) جبل كبير عداده من الجنوب اليمني فيه قرى ومزارع . صفة الجزيرة : ١٤١ .

(٦) في س « طريق » .

فخرجوا من صنعاء وخرج أهلها [١] إلا نفرا [٢] أقاموا في منازل العلويين ، ودخل القرامطة صنعاء أول يوم من رجب سنة أربع وتسعين ومائتين يوم السبت ، فاستباحوها ، وقتلوا جميع من كان بها في دور العلويين وغيرهم ، وأنالوا من أهلها منالاً عظيماً ، وصار أسعد وابن كيالة إلى بلد قدم ، وجراح إلى عثر [٣] ، وأقام القرامطة بصنعاء ، ونواحيها ثلاث سنين إلا أحد عشر يوماً ، يخربونها ويقتلون الناس ، وأصابتهم علة فمات منهم من لا يحصى ، والحمد لله كثيراً .

فلما كان في صفر سنة سبع وتسعين ومائتين ، نهض القرمطي من المذيخره ، ونهض ابن ذي الطوق يريدون إلى زبيد ، فظفروا بابن حاج وانهزم عنهم إلى المهجم واستباحوا زبيد وقتلوا بها خلقاً عظيماً ، وسبوا منها فيما بلغنا خمسة وثلاثين ألف امرأة ، وأقاموا بزبيد سبعة أيام ، ثم عادوا إلى المذيخرة وخلفوا أحمد بن علي بزبيد ، فسار إليه ابن حاج فأخرجه منها ولحق بالقرامط ، فلما صاروا إلى المذيخرة أظهر ابن فضل لعنه الله المجوسية ، وأمرهم بنكاح الأمهات والأخوات ، وشرب الخمر وحرم جميع الحلال ، وأحل جميع الحلال ، وأحل جميع الحرام ، وكفر بمحمد ﷺ ، وبما جاء به من عند الله عز وجل ، وتسمى برب العالمين ، عليه سخط الله ، ولعنة اللاعنين ، وأمر من كان معه أن يسلموا الأموال والحرم ، ويخرجوا إليه من جميع ما في أيديهم ،

---

(١) في س « إليها » .
(٢) في س « فأقاموا » .
(٣) لعلها عثر محرم التي سترد في نصي كشف اسرار الباطنية ، والعسجد المسبوك . وهي في جبل شبام . انظر تاريخ ابن المجاور : ١٨٤ .

SS

فشذ منهم جماعة ، ولحقوا ببلدانهم ، وثبت هو ومن أقام معه على كفرهم فكان جميع من عنده من النساء في دار .

فإذا كان ليلة الجمعة جمع الرجال فأرسلهم على النساء ، فتقع الأم للابن والأخت مع الأخ فيفجروا بهن في ليلتهن تلك ، فمن امتنع من ذلك قتله ، وأباح حرمته لمن كان معه ، تمرداً وكفراً وجرأة على الله عز وجل (١) وعتواً وفجوراً .

فلما كان ذلك بعث الهادي إلى الحق أعزه تعالى رجلاً عباسياً ، من ولد العباس بن علي عليه السلام يقال له علي بن محمد بن عبيد الله في جماعة من أصحابه ، وكتب إلى الدعام أن يخرج معه ، ففعل ذلك ، وساروا حتى أتوا إلى صنعاء ، وكان بها صاحب للقرامط في عسكر فحاربوهم ، وأخرجوهم من صنعاء ، ودخلوها يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة باقية من شهر رجب سنة سبيع وتسعين ومائتين ، فأقاموا بها أياماً ، وآمن أهلها .

ثم بعث الهادي إلى الحق عليه السلام ابنه أبا القاسم عليه السلام إلى صنعاء في جماعة من خولان وهمدان ، فدخلوا صنعاء يوم الاثنين ، لعشر ليال خلت من شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ، فأقام بصنعاء ، وبعث إلى مقراء وألهان وحراز وهوازن ، فدخلت جميعاً ، وقتلت من دعاة القرامطة جماعة ، وأمنت العشائر وتألفت الرعية ، وبلغ ابن كيالة الخبر وهو بتهامة مع مظفر بن حاج ، فقدم حتى صار إلى ألهان (٢) ،

---

(١) في حاشية الأصل إظهار ابن فضل المجوسية ، وأمرهم بنكاح الأمهات ، لعنة الله عليه . ولعل ما فعله ابن فضل هو اعلان للقيامة وهو أمر سنزيده تعريفاً فيما يلي من نصوص.

(٢) من جبال حمير كان كثير السكان انظره في صفة الجزيرة : ١٠٧ .

فمال إليه كثير من الناس رغبة (٨٩ ـ ط) في الشراب والفساد ، وانصرف محمد بن يحيى إليه ، فأرسل ابن كيالة إلى حراز[١] من أخرج من أصحاب محمد بن يحيى منها ، وقبضها ، فكتب أبو القاسم إلى أبيه الهادي إلى الحق عليهما السلام يعلمه بما كان منه ، وتقدم ابن كيالة ومن مال إليه ، فكتب الهادي إلى الحق إلى ابنه أبي القاسم يأمره بالانصراف عن البلد ولا يحارب ابن كيالة ، فيجمع عليه حرب ابن كيالة وحرب القرامطة ، فخرج من صنعاء ، وخرج معه جميع من كان بها يوم السبت لإثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، حتى إذا صار بورور نهض إلى صعدة ، ولحق بأبيه صلوات الله على أرواحها ، وتخلف عنه من خرج من صنعاء معه ، وأتي من كان بشبام من القرامط ، فدخلوا صنعاء ، وأقاموا بها أربعة عشر يوماً ، ولم يجدوا بها أحداً .

ثم قدم جراح بن بشر من تهامة لما بلغه خبر ابن كيالة ، فوافق خروج محمد بن يحيى عليهما السلام من صنعاء ومصير القرامط بها ، فوصل إلى ناحية منها ، وخرج القرامط عنها لأنهم كانوا قليلاً ، وذلك في آخر شوال ، وعاد إليها كثير من أهلها ، ثم نهض أسعد بن يعفر من بلد قدم[٢] ، فدخل صنعاء ليلة النحر من ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين ، وولى القضاء والخطبة أبا القاسم عبد الأعلى بن محمد بن الحسن ابن عبد الأعلى بن إبراهيم بن عبد الله الأنباري في هذا الشهر ، وكان معه جراح في صنعاء ، ومخاليفها بيده . وابن كياله بذمار وبيده مخاليفها ثم خرج أسعد في حرب القرمطي الذي كان بشبام في شهر ربيع الأول

---

(١) سيأتي التعريف بها . انظر صفة الجزيرة : ١٥٨ .

(٢) بلاد قدم نسبة الى قدم من حاشد ، هي الآن مقاطعة غربي حجه . صفة الجزيرة : ١١٢ .

من سنة ثمان وتسعين ومائتين ، فوقع بينهم حرب شديـــد على درب شبـام وانهزم عنه القرامطة ودخل شبام ، وأقام بهـــا أياماً ، ثم أتى القرامط فنزلوا عليهم في بيت ذخار ، فخرجوا عنهم ، وقتل عبد القهار ابن أحمد بن يعفر ، وقدم ابن كيالة مادة لأسعد بن أبي يعفر ، فعادوا إلى شبام فدخلوها وصعدوا عليهم الجبل وطردوهم عـن الناحيـه ، وأقام ابن كيالة أياماً ، ثم انصرف وثبت أسعد بن أبي يعفر ومعه جراح يحارب القرامط في الجبل وقتاً ، وتوفي مظفر بن حاج بزبيـــد في شهر ربيع الآخر في هذه السنة وحمل في صندوق في البحر حتى دفن بمكـة ، وتولى الأمر بعده ابنه محمد بن مظفر ، وأقام بزبيد ، وانصرف أسعد من الجبل إلى صنعاء من غير حرب ولاهزيمة ، وعاد القرامط إلى شبام فخربوها ، وأقام أسعد بصنعاء ومعه جراح بن بشر ، ثم قدم ابن كيالة إلى صنعـاء يوم الإثنين لعشر باقيـــة من شعبان من هذه السنة فأخـرج جـراج ابن بشر عنها طرداً ؛ فصار إلى بلد قدم فأقام بباري [١] ، وانصرف ابن كيالة إلى ذمار . وأقام أسعد بن أبي يعفر بصنعـاء ، ثم عزل محمـد بن مظفر عن تهامة ، وشخص إلى عمه عج بن حاج إلى مكـة ، وتولى الأمر قائد كان مع أبيه يقال له ملاحظ بن عبد الله الرومي ، وذلك في شوال من هذه السنة ، فأقام بزبيد ثمانية عشر يوماً ، ثم قدم إليه إبراهيم ابن محمد بن علي في ذي القعدة ، فاستأمن إليه العسكر ، ودخل زبيد فانهزم عنه ملاحظ ، فصار إلى عثر إلى بني طريف ، وكاتب علي القرمطي ابن الفضل فأمده بالمال والرجال ، وأقام بزبيد .

---

(١) كتب فوقها في الأصل بادي ، والصواب ماأثبتنا . انظرها في صفة الجزيرة : ١١٣

وتوفي الهادي إلى الحق ، يحيى بن الحسين صلوات الله عليه ، بصعدة يوم الأحد لعشر باقية من ذي الحجة ، آخر سنة ثماني وتسعين ومائتين ، ودفن يوم الإثنين قبل الزوال [١] ، وبايع الناس لابنه أبي القاسم محمد ابن يحيى صلوات الله عليه يوم الخميس مستهل المحرم ، مدخل سنة تسع وتسعين ومائتين ، وأقام بصعدة وفي يده بلد همدان ، وخولان ونجران .

ثم خرج أسعد بن أبي يعفر من صنعاء إلى شبام في حرب القرامطة يوم الخميس لثمانية أيام باقية من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين ، فدخلها وصعد عليهم [٢] الجبل فطردوهم ، ودخل (عليهم) [٣] حصن شريب [٤] قهراً ، وأقام أياماً ، فبلغه أن ابن فضل (٩٠ ـ و) قد نهض من المذيخرة يريد صنعاء ، وانصرف [٥] ابن كيالة من ذمار ، فدخل صنعاء يوم السبت لثلاث ليال خلت من المحرم مدخل سنة تسع وتسعين ومائتين ، وقدم ابن فضل لعنه الله يوم الخميس لتسع من المحرم ، فانهزم عنه الناس ، ودخل صنعاء ليلة الجمعة ليلة عاشوراء فأقام بها أحد عشر يوماً ، وصار أسعد وابن كيالة إلى الكلابح [٦] من بلد قدم ، فأقاما بها أياماً ، وخرج ابن فضل من صنعاء ، فصار إلى مدر [٧] ، فأقام بها أياماً ، ثم عاد إلى شبام ، وطلع بيت ذخار ، وأظهر حرب صاحبه الكوفي ،

---

(١) في حاشية الأصل : وفاة الهادي الى الحق صلوات الله عليه .
(٢) في الأصل « عليها » والتقويم من ص .
(٣) زيد مابين الحاصرتين من ص .
(٤) هو أحد جبلي كوكبان . صفة الجزيرة : ١٢٣ .
(٥) في ص « وانهزم » .
(٦) سبق ذكرها . انظرها في صفة الجزيرة : ١١٣ .
(٧) أكثر بلاد همدان قصوراً . انظرها في صفة الجزيرة : ١٥٨ .

فدخل شريب فأقام فيه أياماً ، ثم سار يريد حرب صاحبه ، فنهب تلك البلد ، وصار إلى موضع يقال له الظلمة يحارب صاحبه ، ويحاصره في جبله ثم نهض أسعد من قدم ، ومعه ابن كيالة يوم الجمعة لثمانية أيام باقيه من صفر من تلك السنة ، فصار إلى ذمار ، فقام بها ، ولقيه ابن الروية وجميع مدحج ، ووعدوه المناصرة على حرب القرامطة ، وأصيب ابن كيالة ، لارحمه الله تعالى ، ولعنه لعنة الدرك الأسفل من النار ـ فما كان أشد عداوته لله ولرسوله ولأهل بيته [١] ـ بذمار يوم الثلاثاء لعشر ليال خلت من شهر ربيع الأول لسنة تسع وتسعين ومائتين ، وثبت أسعد في البلد ، وفرق عماله في النواحي ، وأقام بذمار .

ثم نهض ملاحظ من عثر في شهر ربيع الآخر في هذه السنة ، ونهض معه القاسم بن طريف في رجال بلد حكم ، وصار إليه جراح بن بشر [٢] ، وسار حتي دخل المهجم والكدراء وطرد من كان فيها لابن علي ، ثم سار بمن معه إلى زبيد ، فطرد عنها إبراهيم بن علي ، وقتل بها خلقاً كثيراً ، ونهبت البلد ، وصار ابن علي إلى المعافر هارباً .

ثم خرج أسعد من ذمار إلى قلعه كحلان [٣] ، وذلك أنه بلغه أن نفراً من أهل البلد كاتبوا ابن ذي الطوق (واستدعوه) [٤] ، فأخذهم وأقام بكحلان وقتل هؤلاء النفر المفسدين ، ثم عاد إلى ذمار في آخر

---

(١) في س « بيت نبيه » .
(٢) في الأصل « ابن جراج بن بشر » والتقويم من س .
(٣) حصن في مخلاف ذي رعين ، اتخذه أسعد بن أبي يعفر مقراً للملكه واستمر في أيدي أسرته حتى زالت . صفة الجزيرة : ٢١٦-٢١٧ .
(٤) زيد مابين الحاصرتين من س .

جمادى الآخرة ، وصنعاء في هذه المدة خالية ، والقاضي عبد الأعلى بن محمد يحضر لإقامة الخطبة والصلاة والتشديد في الأوقات ، ويخرج إلى قرية آدكة في بلد خولان .

وولى ملاحظ جراح بن بشر الكدراء ، فصار إليها ، ثم خالف على ملاحظ ، وخرج إلى المهجم ، فطرد والياً كان بها لملاحظ ، ونهبها في جمادى الآخرة من هذه السنة ، وبعث أسعد جماعة من الفرسان مع قائد من قواده ، فأقاموا بصنعاء ، ثم بعث علي بن الحسن الأقرعي ، والياً على صنعاء ، فقدم من ذمار في آخر رجب من هذه السنة ، ثم انصرف ابن فضل عن صاحبه لما لم يقو[1] عليه في حصنه ، فكاتبه وجامله ، والتقيا وبعث معه الكوفي ابنه ، فدخل صنعاء وبها الأقرعي ونفر يسير من أهل صنعاء يوم الإثنين لتسع[2] ليال خلت من شهر رمضان من هذه السنة ، فلم يعترض بأحد منهم ، ونزل المسجد الجامع فذبحوا وشربوا الخمر في رمضان (٣) .

ثم سار يريد المذيخرة فانتزح عنه أسعد إلى عباصر (٤) ، ثم صار

---

(١) في الأصل « يقم » والتقويم من ص . وصاحب ابن فضل كما سنرى هو المنصور أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي ، وقد قدم المنصور هذا مع علي بن الفضل الى اليمن . انظر رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان بن محمد . تحقيق وداد القاضي ، بيروت ١٩٧٠ ص٣٢ - ٥٤ ، وانظر أيضاً نص العسجد المسبوك لأبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨١٢ (نسخة مكتبة الحرم المكي ص ٣٦ - ٤٨ مع نسخة الجامع الكبير في صنعاء) .

(٢) في ص « لتسع » .

(٣) زاد في ص « من هذه السنة » .

(٤) بلد على فرسخين من ذمار الى الجنوب منها . صفة الجزيرة : ٢٤٣ .

إلى المذيخرة مقيماً على كفره وفجوره ، وأظهر في أسعد قولاً جميلاً ، وكتب إليه في حوائج ، فرأى أن يدفع شره ، ويداري عن الإسلام وأهله ، ثم صار أسعد إلى صنعاء يوم الأربعاء لتسع (١) باقية من هذا الشهر ، فأقام بها ، وأثبت عماله في جميع مخاليفه ، ولم يعترض له ابن فضل ، ولا أحد ممن تحت يده ، وأصيب البرعي بن خيار ومن كان معه من بني عمه يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة ، ولما كان يوم الخميس لإحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة جمع أبو القاسم محمد بن يحيى بن الحسين صلوات الله عليهم وجوه العشائر قبله ، فبعث عليهم أسباباً كرهها منهم ، وتخلى عن (٢) الأمر وصرف عماله من بلد نجران وهمدان وغيرهما ، ولزم منزله بصعدة وأقام الأمر على حاله ببلد خولان ، لم يظهروا له خلافاً ولا كراهية ، لأمره ، وأقام بصعدة بعض بني عمه يصلح بين الناس .

حتى إذا كان آخر ذي الحجة (٩٠ ـ ط) من سنة ثلاثمائة ، قدم أحمد بن الهادي إلى الحق صلوات الله عليه من الحجاز ، فأقام مع أخيه إلى أن كان يوم الأحد لثمان ليال خلت من صفر من سنة إحدى وثلاثمائة (٣) ، إجتمع إليه وجوه خولان ، فاستعانوا به على أخيه أن يقوم فيهم معه ، فكره ذلك ، فسألوا أحمد بن يحيى صلوات الله عليه القيام فيهم على ما كان والده ، فأجابهم إلي ذلك ، وأقام فيهم ، وأعطوه على طاعتهم له العهود والمواثيق ، وعلى القيام معه لكل من نابذه ، وقام

---

(١) في ص « فنعى عليهم أشياء » . وهذا أقوم .

(٢) في ص « من » .

(٣) في حاشية الأصل : ذكر قدوم الناصر لدين الله أحمد بن يحيى الهادي الى الحق عليهما السلام من الحجاز إلى صعده .

بالأمر وتولاه ، وأتاه رجال همـــدان وأهل نجران فبايعـوه على ذلك ، وبعث قواده وعماله إلى[١] جميع مخاليفه .

وبعث ابن فضل صاحبه ابن ذي الطوق الجيشاني وكان عظيم البلاء مظهراً للكفر والردة ، فظفر به عبد الله بن أبي الغارات المحتدي بأخيه المعافى[٢] فقتله يوم الجمعة لثلاث عشر خلت[٣] من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين ، فبعث ابن فضل عسكره إلى أبي الغارات يحاربونـــه فهزمهم[٤] ونصره الله عليهم ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، وذلك في صفر من سنة ثلاثمائة .

وبعث ابن فضل محمد بن درهم الجيشاني وحسن بن أبي الملاحف الصنعاني إلى مكه ، فظفر بهما عج بن حاج ، فضربهما بالسياط حتى ماتا ، وصلبهما ولله الحمد .

وبعث ابن فضل عبد الرحمن بن درهم الرا[٥] وابـن هـارون إلى بلد بني حبيش ليفسدا أهلها فقتلا جميعاً ، ثم إن ابن فضل خرج يريـد ملاحظ قصد زبيد وكان جراح قد جرى بينه وبينه مراسلة ، ودخل في كفره ، فبعث إليه ابن فضل أن يخرج في اقمائه[٦] ، فخرج جراح من الشرف حتى صار إلى موضع يقال له المنور[٧] بتهامه ، وصار ابن فضل

---

(١) في الأصل « عل » والتقويم من ص .
(٢) في ص « ناحية المعافر » .
(٣) في ص « عشر ليلة خلت » .
(٤) في الأصل وفي ص « فهزموهم » وهو خطأ صوابه ما أثبتناه .
(٥) كذا في الأصل وفي ص ولم تسعف المصادر المتوفرة في معرفة المقصود .
(٦) في ص « أمانه » .
(٧) انظر صفة الجزيرة ص : ٧٢ .

إلى زبيد ، فخرج ملاحظ من زبيد بجميع من معه ، وبأهل البلد ، فافترقوا بتهامة وصار ملاحظ إلى المهجم ، ودخل القرمطي زبيد ، فلم يجد بها مالاً ولا أحداً .

وخرج ملاحظ في حرب جراح بن بشر ، فظفر به ملاحظ فقتله ومعه أخ له يقال له محمد بن بن بشر ، وجماعة ممن كان معه ، وذلك يوم الثلاثاء ليومين باقيين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة ، وانصرف ابن فضل إلى المذيخره ليوم بقي من هذا الشهر . وعاد ملاحظ إلي زبيد وخلف بالمهجم والكدراء من يقوم فيها .

وانتثرت النجوم ليلة الأربعاء لثمانية أيام باقية من جمادي الآخرة من هذه السنة ، وكثر ذلك ، حتي أشفق الناس (١) .

وبعث أسعد بن أبي يعفر في عسكر من صنعاء في أول يوم حتى صار إلى ثات ورداع ، وقبضهـا ، والولي (٢) في هذه المدة عبد الأعلى بن محمد .

وخرج ابن فضل من المذيخرة يوم الخميس لست باقية من شوال من هذه السنة حتى صار إلى جيشان وهو يظهر أنه يريد حرب مدحج ، ثم سار إلي السرو (٣) ، ونزل في قلعة صناع (٤) ، وبها كان مقامه أول مرة ، وحاربه رزام المدحجي ومن أجابه من مدحج ، ثم جرت بينهم هدنة على أنه لا يطأ لهم بلداً ، وأقام حتى إذا كان آخر صفر من سنة

---

(١) في حاشية الاصل « ذكر انتثار النجوم » .

(٢) في ص « والموالي » .

(٣) كتب الى جانبها في حاشية الأصل « بلاد يافع » . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٧ - ٥١ .

(٤) من قلاع يافع . صفة الجزيرة : ٢٠١ .

إحدى وثلاثمائة بلغ ابن فضل أن ملاحظاً قد جهز عسكراً يريد المذيخرة فخرج من السرو سراً في الليل ، ولم يعلم به غير عسكره ، فسار يريد المذيخرة ، فوجد القوم قد نهبوا القرية وما حولها وافترقوا ، ولم يصب إلا خمسة نفر وأقام بالمذيخرة على كفره وردته .

وقتل محمد بن الدعام بغرق قتله ابن عمه إبراهيم بن إبراهيم على شراب ليلة السبت لثلاث عشرة ليلة باقية من ذي الحجة سنة ثلاثمائة .

وهلك القرمطي المقيم بجبل مسور يوم السبت لإحدي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة إثنتين وثلاثمائة وثبت ابنه أبو الحسن في موضعه هو وإخوته لم ينازعهم أحد فيما كان في أيديهم [١] .

وتوفي ملاحظ بزبيد في أول شهر ربيع سنة ثلاث وثلاثمائة (٩١ـو) وأقام من بعده عبد الله بن أبي الغارات ، فأقام بزبيد خمسين يوماً .

ثم تولى الأمر إبراهيم بن محمد الحرملي ، وهو من قواد السلطان مع ملاحظ ، فأقام بزبيد ، وانصرف إلى بلده في آخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

وأصاب ابن فضل لعنه الله مرض في بدنه ، فتفجر من أسفل بطنه ، وأماته الله على أسوأ حال لعنه الله ، وكانت وفاته يوم الأربعاء للنصف من شهر ربيع الآخر من هذه السنة [٢] ، وقام من بعده ابنه لعنهما الله تعالى بالمذيخرة ، وقتل نفراً كثيراً من أصحاب أبيه .

---

(١) ذكر الخزرجي أن الامور آلت بعد المنصور الى رجل من أصحابه يقال له عبد الله الشاوري ، انظر تفصيلات ذلك فيما يأتي .

(٢) في حاشية الأصل : ذكر وفاة علي بن الفضل لارحمه الله.ولقد أورد الخزرجي في العسجد المسبوك كما أورد غيره من المؤرخين أن ابن فضل مات غيلة بالسم أثناء فصده . انظر تفصيلات ذلك فيما يأتي .

SS

ثم خرج أسعد بن أبي يعفر من صنعاء يوم الخميس لتسع من رجب من هذه السنة حتى صار الى ذمار وكاتبه أهل المخلاف واستدعوه ، وقدم إليه وجوه أهل البلد ، ثم نهض من ذمار الى كحلان ، فأقام بها أياماً قبل أن يبني فيها شيئاً ، ثم سار إلى مخلاف جعفر [1] ، واجتمعوا إليه ، وحلفوا له ، ونهض في حرب الكفر مجداً مجتهداً ، فكان الحرب بينهم سجالا ، ولزموا الحصون ، وأقاموا ، وهو يحاربهم ويحاصرهم ، وجعل يدخل حصونهم وهو يبذل نفسه ومن أطاعه ، وأعطي الظفر ، فدخل جميع الحصون ، وقتل بشراً كثيراً ، وألجأهم إلى دار المذيخرة ، وحصرهم فيها ، وفيها غيرهم .

فلما كان يوم الخميس لتسع من رجب سنة أربع وثلاثمائة ، دخل الدار قهراً ، وأخذ الكفرة أسراً واستولى على جميع ما كان هنالك ولله الحمد ، وأجاز أسعد أصحابه ومن كان معه الجوائز الكثيرة ، وانصرف فدخل صنعاء يوم الفطر مستهل شوال سنة أربع وثلاثمائة ، واستخلف في البلد إبراهيم بن اسماعيل بن العباس الحابي .

ولما كان في ذي القعدة من هذه السنة أمر أسعد بابن علي بن فضل وأخيه ومن كان أسر من الكفرة فضرب أعناقهم جميعاً ، وبعث برؤوسهم إلى العراق ، وكانوا نيفاً وعشرين رجلاً ، ووقع بين أهل مسور وبين القدميين حرب شديد ، حتى دخلت الكلابح وحرقت ونهبت ، واستغاثوا بأحمد بن الهادي صلوات الله عليهما ، واستنصروه ، فوجه معهم [3] قائداً

---

(١) المخلاف هو المنطقة ، ومخلاف جعفر معروف باليمن . انظر تاريخ عمارة : ٤٨ - ٤٩ .

(٢) في س « الحصون » .

(٣) في س « إليهم » .

له مع عسكر ، حتى لزموا [١] باري ، وانحازت القرامط ، فانهزموا عنهم ، وعادوا إلى جبل مَسْوَر ، وذلك في شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وصارت بلد قُدم في يده إلى الشرف والجَرّيب [٢] ، وبعث إليهم من قام فيهم وذلك في جمادي الآخرة من هذه السنة ، وكان أسعد بن أبي يعفر عند وصوله إلى كحلان أمر بعمارتها وتحصينها ، ثم صار [٣] إليها في شوال سنة ست وثلاثمائة ، واستخلف أخاه عبد الله بن أبي يعفر بصنعاء ، وأقام أسعد بكحلان حتى توفي يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

ولما كان في شعبان من سنة سبع وثلاثمائة وجه أحمد بن يحيى بن الحسين صلوات الله عليهم عسكراً في حرب القرامط ..... [٤] وكان من أهل مسور فالتقوا في الظاهر في موضع يقال له نغاش يوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ووقعت الدائرة على القرامط فقتل منهم ألف وخمسمائة رجل ، وهزموهم هزيمة عظيمة ، وأخذوا ماكان معهم والحمد لله ، وأستأمن إليه كبير بلدهم وبعث القواد معهم وبث العساكر في وجوههم ، وحاربوهم في حصنهم حتى أيقنوا بالهلكة ،

(١) في ص « نزلوا » .

(٢) كان مدينة عظيمة شهرت بزراعة الموز . صفة الجزيرة : ١١٤ .

(٣) في ص « صاروا » .

(٤) فراغ في الأصل وفي ص، وفي غاية الأماني ١ /٢١١ . وفي هذه السنة كانت وقعة نغاش المشهورة ، وسببها ان القرامطة لما اشتدت شوكتهم في ناحية مسور ، وعم منهم على من حولهم الضرر ، أجمع الناصر ـ أحمد بن يحيى بن الحسين ـ أجناده ، وحشد قواده ... واجتمعت القرامطة الى قائدهم عبد الحميد بن محمد المسوري (وكان من أهل مسور) فنهض بهم .. الخ .

ss

فكاتبوا الحَرَملي ، وأرسلوا إليه بمـال ، فبعث عسكراً في نصرتهم ، فلما بلغ ذلك أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما ، كره حربه لئلا يقع عند السلطان أنه مُحارب قائده [١] ، فينقطع الموسم عمـن في بلده من التجار ، وأخل عليه بعض أهل البلد فصرف عساكره (٩١ ـ ظ) وخلى البلد وعاد إلى بلده سنة ثمان وثلاثمائة ،

وتوفي أبو القاسم محمد بن يحيى صلوات الله عليهما بصعدة يوم الأحـد لسبع [٢] ليال خلت من المحرم مدخل سنة عشر وثلاثمائة [٣] ، ودفن يوم الإثنين ضحى النهار .

وقام أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما بالأمر ، وتولاه [٤] ، وطلب القرامطة الهدنة ، وكتبوا إلى جماعة من همدان ، فوقعت الهدنة بينهم في شعبان من سنة عشر وثلاثمائة .

ودخل القرمطي [٥] صاحب البحرين مكة في موسم سنـة سبع عشر وثلاثمائة يوم الاثنين لست من ذي الحجة ، فقتلوا في المسجد الحرام من المسلمين خلقاً ، وفي مكة ، وسبوا النساء ، وأخذوا الأموال ، وقلعوا الركن وكسوة البيت وباب الكعبة ، وحملوا ذلك ، وأسروا من المسلمين خلقاً عظيماً وأقاموا بمكة ثمانية أيام ، ثم انصرفوا يوم الثلاثاء لأربعة عشر خلت من ذي الحجة .

---

(١) في ص « يحارب قائده » وأراد بالسلطان أسعد بن أبي يعفر .

(٢) في ص « لتسع » .

(٣) في حاشية الأصل: ذكر وفاة المرتضى محمد بن يحيى الهادي إلى الحق عليهما السلام.

(٤) في الأصل « وتولى » والتقويم من ص .

(٥) أبو طاهر الجنابي مضى ذكره وسيأتي المزيد عنه .

وقد كان في أيام أسعد بعد موت ابن فضل ظهر رجلان من ناحية السرو من دعاة القرامط وتبعهما خلق[١] ، وصارا إلى قلعة تسمى شكع [٢] فوجه أسعد القواد والعساكر في وجوههم ، فمنح الله النصر عليهم ، فقتل داعيي الكفر ، وأخذت رؤوسهما[٣] « وحملت » إلى كحلان ، وغنم المسلمون ما كان معهم ، وذلك يوم الجمعة ليومين باقيين من شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة .... [٧٢ – و] .

وقد كان في أيام أسعد خرج بالسرو رجل يدعى النبوة ، كاذباً ، عليه لعنة الله ، فمال إليه من بقي من أصحاب ابن فضل ، فوجه الأمير أسعد العساكر والقواد إلى رداع ، وكاتب العساكر فاستأمن إليه الناس ، وعمل في المدعي النبوة حتى أخذوه أسيراً من غير عهد ولا أمان ، فأتي به إليه أسيراً ذليلاً ، قد أخلف الله أمله ، وأذهب حيله ، يوم الفطر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، فصيره في الحبس ، فهلك بالنعظ[٤] .... [٩٢ – ظ] .

---

(١) في الأصل « وتبعها خلق وصار » والتقويم من ص .

(٢) حصن وقرية من يافع السفلى . صفة الجزيرة : ١٤٢ .

(٣) أضيفت « وحملت » من ص .

(٤) النعظ هو الشبق .

SS

كتاب
استتار الإمام عليه السلام
وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً كما هو أهله ومستحقه ، وصلى الله على محمد سيد رسله وأبرار عترته الطاهرين وسلم كثيراً .

اعلم علمك الله الرشد أنه أول مافقد الامام عليه السلام ، بقي الدعاة متحيرين فاجتمع وجوههم بمدينة عسكر مكرم ، وهم سبعة نفر : منهم أبو غفير ، وأبو سلمة ، وأبو الحسن بن الترمذي ، وجياد بن الخثعمي وأحمد بن الموصلي ، وأبو محمد الكوفي ، وهو والد أبي مهزول ، الذي قتل موالي موالينا أهل البيت صلوات الله عليهم .

ولما اجتمع هؤلاء النفر المذكورون قالوا : قد فقدنا إمامنا ، ولا صلاة لنا ولا صوم إلا بامام ، ولانعرف من نعطي زكاتنا ، واجتمعوا مع الأولياء والمحبين ، فجمعوا نفقات ، وقالوا لهؤلاء الدعاة المذكورين في صدر الكتاب : أمضوا فافترقوا على عمل خراسان ، والعراق وجزيرة حران ، واليمن ، واطلبوه . فخرجوا فتفرقوا مع كل واحد صفته وحليته ، وخرجوا في هيئة الطوافين على دوابهم ، وأخرجوا فيها الفلفل والريحان والمغازل والمرايا واللبان ، وما يصلح للنساء من أصناف البقط[1] ، وجعلوا بينهم موعداً يجتمعون فيه في كل إقليم على أقسام ، لكل واحد منهم قسم يمضي إليه ، فإذا فرغوا من الاقليم أتوا إلى الميعاد ويسأل بعضهم بعضاً : هل أصبتم شيئاً ، فإذا لم يجدوا في ذلك الموضع

---

(١) البقط قماش البيت ، وجمع المتاع ـ القاموس .

شيئاً انتقلوا إلى إقليم آخر ، فيتواعدوا إلى موضع آخر يجتمعون فيه .

وكان إذا اجتمع عليهم النساء والصبيان يسألونهم : هل وقع عندكم رجل في صفته كذا وكذا ؟ وكان هذا حالهم في كل موضع دخلوه ، فداروا حلب وإقليم الجزيرة وغيرها فلم يجدوا شيئاً ، فدخلوا إقليم حمص فنزلوا بمعرة النعمان وجعلوا الميعاد بينهم في الجامع ، وكان الامام ع م وقد وقع في معرة النعمان في جبل السماق في دير يقال له دير عصفورين عند كفر قوم (١) .

فخرج أبو غفير ومعه جياد إلى معرة النعمان في جبل السماق ، وهو ينادي مغازل لبان مرايا ، فاجتمع إليه النساء والصبيان فسألهم : هل وقع عندكم رجل صفته كذا وكذا ؟ فقال له صبي وامرأة هب لنا مما معك ونحن ندلك على هذه الصفة ، فوهب لهم مَصْطَكا (٢) ولبان وما يصلح للنساء والصبيان وقالوا له : الساعة جزنا بدير عصفورين وغلامه واقف على رأسه ، فقال لهم أبو غفير : الله الله دلوني على الطريق إلى هذا الدير ، فركب حماره ومضى حتى وصل الدير ، وأخرج الكتاب الذي معه فيه الصفة والحلية ، ولم تكن له به معرفة قبل ذلك ، ولما وقف عليه عرفه بالصفة ، فنزل وخر لله ساجداً شكراً له ، إذ وقع عليه وقبل الأرض بين يديه ، فقال له : من تكون ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ونحن سبعة من الدعاة ، لنا اليوم سنة ندور عليك لما فقدناك ، ودعاتك في جميع البلدان افتقدوك وبقوا حائرين . فقال له : ياهذا إنما جئت إلى

---

(١) في هذه المنطقة الآن قريتان واحدة اسمها : كفرجوم ، والأخرى : كفرحوم. انظر التقسيمات الادارية للجمهورية العربية السورية . ط. دمشق ١٩٦٨ ص: ٢٦٥، ٣٠٧

(٢) علك رومي له منافع طبية ـ القاموس .

هذا الموضع لأستر نفسي فيه ، فجئتم لتكشفوني ، ولكنك بعد إذ جئت واجتمعت معي فارجع وعرف أصحابك ليجيئوا إلي بأجمعهم ، فاجتمع معكم لأعقد عليكم ماترجعون به إن شاء الله تعالى .

فخرج أبو غفير فرحاً مسروراً ، فاجتمع مع أصحابه وفرحوا بذلك فرحاً شديداً ، فمضوا بجماعتهم إلى دير عصفورين ، فاجتمعوا معه صلوات الله عليه . فقال لهم : ارجعوا وقولوا لدعاتي : إنا قد أصبناه في موضع كذا ، فمضى هؤلاء السبعة فاعلموا جميع الدعاة في جميع الآفاق ، وقدم إليه جماعة منهم بعد برهة فسلموا عليه ، وحمدوا الله عز وجل إذ جمع بينهم وبينه . فالتفت إلى الدعاة المذكورين فقال لهم : سكنت هـذا الموضع فلا أجد فيه دواءاً ولا فصداً في أوانه ، ولاحماماً ، فداروا مدينة شيزر ومدينة حماة وكفر طاب[1] ، ثم أتو الى سلمية وكانت مدينة محدثة بناها محمد بن عبد الله بن صالح لما أخرجه الخليفة من بغداد[2] وقال له : ارحل عني وأطلب لنفسك مدينة تبني بها وتسكن بها . وكان بها أربعة وعشرون ديراً للنصارى ، فبنى عليها رسوماً وسكن بها مع عبيده وأخرج أهلها منها ، وبعث الى الخليفة ابن عمه ببغداد وقال له : اني قد وقعت في مدينة في طرف الدنيا ، ولكن أحب عمارتها فتأمر لي بالنداء في الأمصار والتجار أن يحضروا سوقها — يعني سلمية — حتى تعمر فجعل السوق يعمر ثلاثة أشهر لايفتر عنه كل يوم ، فكان التجار يأتون

---

(١) تقع خرائبها على بعد حوالي ثلاثة كيلومتر الى الغرب من خان شيخون الواقعة الى شمالي حماه على الطريق الواصل بين حماه والمعرة .

(٢) في ياقوت معجم البلدان : اتخذها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس منزلاً ، وبقى هو وولده فيها الأبلية ، ومن المعتقد أن ذلك كان في عصر الرشيد .

اليه ويتسوقون فيه ، وهي مدينة كثيرة الخيرات ، وكان التجار اذا أتوها لايحبون الزوال منها ، ويسألون صاحبها أن يسكنوا بها ويأذن لهم ، فيقيمون ويوجهون بياعهم وعبيدهم يحملون اليهم بضائعهم ويسألون المقام معه ، لحصلت سلمية قطائع لأولئك التجار . فقال لهم اختطوا ، فاختط أهل بلخ ، وأهل مدينة الرسول ﷺ ، وأهل حلب ، وأهل الرقة ، وأهل كل ناحية .

وأتى هؤلاء الدعاة الى محمد بن عبد الله بن صالح ، فقالوا له : ان هاهنا رجلاً بصرياً من التجار يسألك فيما يسألك به هؤلاء التجار ، فأمرهم أن أن يطلبوا موضعاً يصلح له ، وفرح به ، وأنزله في مجرى المدينة في ناحية سوقها فاشتروا له دار أبي فرحة ونزل ع م بسلمية كسائر التجار ، فلما نزل بها زاد دوراً كثيرة وهدم وبني وتأهل وأتى إليه طوائفه ، ودعاته وأحدث قصراً شامخاً .

وهو عبد الله الأكبر[١] ، وبعث دعاته إلى جميع البلدان سراً ، وعزل وولى على أنه رجل تاجر ، وولد له بها أحمد وإبراهيم ، وتوفي وكانت الامامة بعده لأحمد دون إبراهيم ، وولد لأحمد بن عبد الله الامام الحسين وهو والد المهدي ، وسعيد الخير ، وأقام الحسين إلي أن ولد له المهدي ع م ، فلما أتت نقلته استودع له أخاه سعيد الخير إذ كان ولده يومئذ في حال الطفولية ، واستبد سعيد بالإمامة ونص بها على ولده فهلك الولد ، ثم نص على ولده الثاني فهلك ، وكان له عشرة أولاد فلم يزل ينص على كل واحد منهم إلي أن هلكوا بأجمعهم ، فعلم حينئذ سعيد

---

(١) كذا ، وهو مخالف لغيره من المصادر اللهم إلا إذا كان المقصود عبد الله بن ميمون القداح .

الخير أن الحق لايفارق أهله ، فتاب وأناب إلى الله تبارك وتعالى ، وجمع دعاته وأعلمهم أنه مستودع للمهدي صلوات الله وسلامه عليه ، وسلم إليه الإمامة واعترف له بالوديعة ، وتنصل إليه مما تقدم منه قبل ذلك ، وصارت الإمامة إلى المهدي عم . فقال الشاعر :

الله أعطاك التي لافوقها   وكم أرادوا منعها وعوقها
عنك ويأبى الله إلا سوقها   إليك حتى طوقوك طوقها

فأول ما عمل المهدي عم بعث في طلب أبي الحسين بن الأسود إلى مدينة حماة ، وكان رجلاً عاقلا ، فقال : يا ابا الحسين قد قدمتك على جميع الدعاة ، فمن قدمت فهو المقدم ، ومن أخرت فهو المؤخر ، وأنت على على طريق النصر . وكان الدعاة يأتون إلى أبي الحسين ويؤدون إليه زكواتهم وهداياهم ، فيوجه بها أبو الحسين إلى المهدي بالله صلوات الله عليه .

فأول ماعمل أبو الحسين من تغيير الأحوال لما مات أبو محمد داعي الكوفة ، وكان قد خلف ثلاثة أولادهم : أبو القاسم ، وأبو مهزول ، وأبو العباس ، وكان معهم زوج أختهم فقتلوه ، وقالوا له : أنت مبغض لنا ، ومخالف على مولانا ، وصاحت أختهم وقالت : قتلتم زوجي ، فقالوا : نعم لأنه منافق ، فخلع أبو الحسين ، أبا القاسم بن أبي محمد عن دعوة الكوفة ، فغضب أبو القاسم وأخوته غضباً شديداً ، وكتبوا إلى المهدي صلوات الله عليه كتاباً يقولون فيه : لم نزع منا أبو الحسين دعوة الكوفة بلا ذنب ولاخيانة ؟ فلم يرد عليهم المهدي جواباً ، واجتمع الأخوة الثلاثة

وتحالفوا وتعاقدوا على أنهم ينحدرون إلى سلمية فيقتلون ابن البصري (١) هذا الذي كلف أبا الحسين أن يفعل بنا هذا الفعل ، ولانتركه ، وقالوا حتى ينقطع ذكر علي بن أبي طالب من الدنيا ، ونقتل بعده أبا الحسين إن قدرنا عليه ، وإلا وشينا بذلك إلى عمال الشام .

فاتصل ذلك بدعاة بغداد وهم : حامد بن العباس وابن عبد وجماعة من الشيعة ، فكتبوا إلى المهدي ع م : إن بني أبي محمد قد عزموا على قتلك وقتل أهلك ، فإن كنت قاعداً فقم ، فإنهم قد زحفوا إليك ، وهم عازمون على قتلك فإن لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً وشوا بك إلى أحمد بن طولون ، وهم يقولون إنك مخالف للمذهب ، ويشهرون أمرك ، فاعمل على على خلاص نفسك ولاتقم ساعة واحدة .

فأمر المهدي ع م في الوقت الذي وصل إليه هذا الخبر بالرحيل ، فأخذ معه أبا القاسم ولده وجعفر الحاجب وابن بركة الحاضن لاغير ، وترك القصر كما هو بفرشه وستوره وأمواله وعبيده وبني عمه وبني أخيه الذكور والاناث وأولاد إبراهيم ، وأوصى على جميع ماخلفه في القصر من النعمة والرباع والمتاع والمستغلات حسن بن معاذ ، وخرج وقت صلاة العصر ، ولم يعرف به أحد ، وأسلم جميع الأشياء .

فلما خرج وصار إلى ظاهر المدينة قعد ساعة يشاور نفسه ويستخير الله ربه ، فبعث إلى غيلان الرياحي ، وكان رجلاً من العرب مذكورا كان في قرية يقال لها سلهب ، وكان مطاعاً في بني عمه ، فقام إليه غيلان ، ومعه ثلاثون فارساً ، فمشى معه الليل كله حتى وصل إلى حمص

---

(١) أي الإمام المهدي لأن أباه عندما استقر في السلمية ادعى أنه تاجر من أهل البصرة.

صلاة الغداة ، ورجع عنه غيلان ، وتمادى هو يومه ذلك حتى وصل طرابلس الشام ، فأقام بها يوماً واحداً ، ثم توجه إلى فلسطين الرملة فأقام بها ثم اتصل به أن أولاد أبي محمد وصلوا إلى سلمية وطلبوه ، فلم يجدوه .

فبعد سنة كاملة قاموا يدورون عليه ، فجاؤوا إلى أخيه أبي محمد ، فقالوا: هو صاحبنا، فقال لهم أهل سلمية: ليس هو صاحبكم وقد خرج صاحبكم وهو هربة ، وهو مستخف بالرملة ، فاستقصوا على ذلك فأصابوا الخبر صحيحاً حقاً ، وأنه بالرملة ، فرجع واحد من أولاد أبي محمد وهو محمد إلى العراق ، وبقي أبو القاسم ، وأبو مهزول بسلمية ، وكانا يكثران الاختلاف إلى أبي الحسين إلى حماة سراً يستقصون عليه ، ويرجعون إلى سلميه ، فلما يئسوا منه ، وعلموا أنهم لايجدونه ، وأنه قد فاتهم ، خرج أبو القاسم وكان معه دفاتر وكان غلاماً شيطاناً ، وبقي أبو مهزول بسلميه . فتوجه أبو القاسم بن أبي محمد إلى العليصيين[1] ووقع اختياره عليهم دون القبائل ، وكانت الدعاة تدعو فيهم وكانوا من دعوة أبي الحسين ، قد دعا مشايخهم سعدون بن دعلج من بني مالك ، وبني معرش ، وبني هجيني ، وبني البلوي ، وبني فخداش ، وبني هذيل ، وبني زياد ، فعاقده هؤلاء القبائل وحالفوه ، وثاروا معه إلى طغج والي دمشق[2] ، وكان طغج قد طغى وجار في دمشق جوراً عظيماً ، فبعثهم الله نقمة عليه وقاتلوه بقرية يقال لها مزة الأفاعي ، فهزموا طغج هزيمة فاضحة ،

---

(١) من قبيلة كلب .

(٢) في هذا إشارة لثورة صاحب الجمل زعيم قرامطة الشام ، انظر ترجمة صاحب الخال فيما يلي .

وقتلوا رجاله وحصروه بدمشق . ثم اجتمعوا أيضاً مرة أخرى بموضع يقال له المزة على باب المدينة ، فهزموه أيضاً ، وردوه إلى دمشق وضيقوا عليه ، فبعث طغج إلى بدر الحمامي إلى مصر يستنصره ، وقال له : إن هذا الرجل قد ضيق علي ، فجاءه بدر الحمامي بعسكر مصر فدخل بدر الحمامي دمشق ، ولم يعرف به القرامطة .

وكان أبو مهزول اللعين قد خرج من سلمية حتى وصل إلى الرملة ، وأبو القاسم أخوه مقيم على دمشق ، والقتال في كل يوم ، فلما وصل أبو مهزول إلى الرملة رأى جعفر الحاجب في السوق يشتري حوائج ، فقال له إنسان ممن يعرفه هذا غلام صاحبك الذي تسأل عنه ، فتبع جعفراً حتى دخل الدار معه ، وقعد له في الدهليز ، وقال له : أبلغ مولانا السلام ، وقل له إني قد جئت أنا أبو مهزول بن أبي محمد ، ولا بد لي من الاجتماع به ، وإلا صحت وأشهرت أمره ، فدخل إليه جعفر الحاجب ، وعرفه بذلك ، فقال له المهدي عم : بعد أن رآك ، ووصل إلينا فاصعد به وإلا فهو يشهرنا .

وكان المهدي عم يسكن بالرملة دوراً كثيرة يستتر من دار إلى دار ، فصعد إليه فلما رآه قبل الأرض بين يديه ، فرحب به وعظم شأنه ، فقال : يامولانا خرجنا من بلدنا أنا وإخويي ندور عليك ، فالحمد لله الذي جمع بيننا وبينك ، أخي قدم بالعسكر ، وحصر دمشق وتركته على أخذها فارجع فقد استقام لك الأمر ، فما جئنا من بلدنا إلا لترضى عنا ولا تكن ساخطاً علينا ، وهذا من فعال أبي الحسين الذي أقلقنا وأقلقك ، فإن كنت لاتمضي أنت فاكتب كتاباً إلى أخي ليرضى عني ، فإنه ساخط علي .

فكتب له كتاباً إلى أخيه أن إرض عنه ، ولاتؤذه بشيء ، وأنا

قادم في إثر كتابي ، وكتب له إلى أبي الحسين كتاباً ، وأمره أن يدفع إليه خمسمائة دينار من المال الذي له عنده ، فخرج أبو مهزول من عند مولانا المهدي ع م ، فمضى حتى وصل إلى أبي الحسين فدفع إليه الكتاب ، وقال له : إدفع إلي ما أمرك به ، فقال أبو الحسين ياملعون وأين أصبته ؟ فقال : بالرملة ، فدافعه ولم يعطه شيئاً .

ورجع أبو مهزول إلى أخيه ، وهو على بلد دمشق ، فقال له : [جئت ياملعون والله لأقتلنك ، فدفع إليه الكتاب ، فلما رآه قبله وقرأه ، وقال له : أين أصبته ياملعون ؟ فقال له : بمدينة الرملة ، واجتمعت معه ، فقال : أو رأيته ، قال : نعم ، وكتب لي هذا الكتاب إلى أبي الحسين بدفع خمسمائة دينار ، وأوصلته إليه فلم يدفع إلي شيئاً ، وجئت إليك لأعرفك .

فعند ذلك جمع مشايخ العليصيين من بني زياد ، وقال لهم : هذا أخي قد قدم ، ونحن بالغداة نلتقي للقتال على باب المزة ، فبايعوا لأخي فإني غداً أطلع إلى السماء أقيم بها أربعين يوماً ، وآتي إليكم ، فبايعوا له على أربعين يوماً لاغير ، وقال : أعطوا أخي خمسمائة فارس يكمن في هذا الجنان ، فإذا وقع القتال خرج عليهم ، فعقدوا ذلك ، وباتوا عليه وأصبحوا بالغداة إلى القتال ، ومضى أبو مهزول بالكمين إلى الجنان وزحف طغج وبدر الحمامي ، فقال أبو القاسم : لايتحرك أحد من العسكر للقتال حتى تروني ركبت ناقتي ، وأقعد ناقته وأوقف عساكره يميناً وشمالاً ، وهو ينظر في دفتر وأبو محمد الداعي يختلف إليه ، ويقول له العدو قد أشرف علينا وتقارب منا ، فيقول له : اصبر حتى أقوم ، فلما ألح عليه

بالكلام ، وتقارب العدو منه دق التراب [١] ، وقال يارب أحرق بالنار أبصارهم ، ثم قدمت إليه ناقته ، ثم قال : يا أحمد ، يا محمد ، يانصر الله انزل ، فحمل العسكران بعضها على بعض ، فما كان إلا ساعـــة حتى ضرب بحربه ، ضربه بها رجل من عسكر بدر الحامي ، فانقلب ، فصاح بدر الحامي : انزلوا جزوا رأسه ، فهو يجز رأسه حتى جاءت زراقـة نفط فأحرقت القاتل والمقتول والناقة ، فخرج أبو مهزول لعنه الله بالكمين فرد الهزيمة حتى رجع بدر الحامي وطنج ، فقتلا قتلا عظيماً .

فلما رجعوا ، اجتمعت جميع العساكر فقالوا : صاحبنـا صعـد إلى السماء ، فافترقوا ، فقال لهم شيخهم أبو محمد الداعي : قد بايعنا لأخيـه أربعين يوماً ، فإن هو نزل وإلا فنحن قادرون على أن نفترق ، فصبرهم أربعين يوماً ، وكتب أهل حمص إلى أبي مهزول أن اقدم علينا ، ودع دمشق ، فإنا في طاعتك ، فقدم إلى حمص بالعساكر وخلى عن دمشق .

ومولانا المهدي ع م في هذا كله مقيم بالرملة ، والأخبار تتصل إليه فلما قدم أبو مهزول إلى حمص أطاعوه وسمعوا له ، وقدم إليه أبو الحسين من حماة للسلام عليه مع مشايخ البلد ، فلما رأى أبا الحسين نظر إليه نظر مغضب ، ففزع وهرب واختفى عند رجل من أصحابـه ، فلـما أصبحوا دخل المشايخ إليه وسلموا عليه ، فافتقد أبا الحسين فـلم يره ، فسأل عنه فقالوا : هرب ، فأمر بالنداء ، فنـادوا : من آوى أبا الحسين فقد حل ماله ودمه . فأقام المنـادي ينادي سبعـة أيام حتى ظهـر أبو الحسين فجاؤوا به ، فقال : يا أبا الحسين قد تكاملت ذنوبك ، فقال أبو الحسين : لايكون مع الله إلا خيراً ، وضيق عليه وأركبه جمـلاً مـع

---

(١) يتشبه بفعله هذا بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله في بعض مغازيه .

ولده وشهرهما ، ونادى عليها وأنزلهما بعد المناداة عليهما في فازته [١] مكبلين فأتاه مشايخ العليصيين ، فقالوا له : إن هذا الرجل الشيخ نحن من دعوته فلا تحدث فيه حدثاً ، فقال لهم : ماينالـه منا مكروه ، ولا يرى إلا خيراً ثم رحل من حمص إلى سلمية ، ومعه أبو الحسين وولده .

فنزل بها بقرية يقال لها فياحة ، ونزل العسكر بها ، وأمر الفراش أن يحفر في وسط الفازة حفرة ليدفن فيها أبو الحسن حياً ، فلم يمكن له في هذا المقام شيء ، فأصبح العسكر راحلاً حتى وصل إلى سلمية ، ونزل العسكر وأبو الحسين معه لم يحدث فيه حدثاً ، وكان نزوله بالعسكر على باب الخندق فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم قتل أبو الحسين .

وخرج مشايخ الهاشميين فسلموا عليه ومعهم حسن بن معاذ وطوائف المهدي ع م وأهل بيته وقراباته ، وكان أبو محمد أخو المهدي عليلاً فتوفي ذلك اليوم الذي نزل فيه أبو مهزول لعنه الله ، فأقام فيها أياماً كثيرة ، ثم أخذ مشايخ الهاشميين فكبلهم وأخرجهم من دورهم الى العسكر ، وخلى طوائف المهدى لم يعترض لهم ، فلما رأى مشايخ العليصيين مافعله بالهاشميين ، اجتمعوا اليه ، وقالوا : هؤلاء الهاشميين قرابة الخليفة ببغداد ، أطلق سبيلهم ، ففعل ذلك ، ثم رحل بالغداة الى حماة والى دار أبي الحسين ودور بني عثمان بن حجاز ، فنهب جميع ماكان فيها للمهدي ع م ولأبي الحسين ، وكانت دار أبي الحسين خزانة المهدي ع م .

ثم أتي الخبر أبا مهزول لعنة الله عليه وهو بحماة أن أبا الأغر السلمي خرج بالعسكر من بغداد يريد اليه ، فعبأ عساكره وأخرج عليها عميطر

(١) كلمة بربرية يقصد بها الخيمة، وفي استخدام هذه العبارة مايوحي بأن هذا النص كتب في تونس .

المكنى بالطوق فتوجه العسكر الى أبي اغر ، فوافاه على شاطىء الفرات فالتقوا هناك فانهـــزم أبو الأغر ، وأخذت فازته ، فاحتووا على جميع ماكان له ، وقتل ولد أبي الأغر ، ووجد في فازته ، كتب الهـاشميـين الذين بسلمية ، كتبوها الي المتضد ينتصرون به ، ويقـولون له : الحـق اطفاء النار قبل أن تشتعل .

فلما أتوا الى أبي مهزول وبشروه بهزيمة أبي الأغر ونهـب ماكان له في فازته فأخبروه بما أخذوا من الكتب فأصاب كتب الهاشميين ، وجمـــع مشايخ العليصيين وأوقفهم على مافيها وقال لهم : هؤلاء الذين شفعتم فيهم هذه كتبهم كتبوها الى المتضد [1] ليبرزوا علينـا وعليكم العساكر فيقتلونا ويقتلوكم معنـا .

وفي ذلك كله المهدي ع م مقيم بالرملة ، وطيب الحاضن يختلف اليه من سلمية الى الرملة يعرفه الأخبار ، ووصلت اليه أم علي الى الرملة اذ كان أبو القاسم طلبها وبكي عليها ، فوصلت اليه ، وامرأة أخـرى ، فوصلتا جميعاً الى الرملة . وكان بالرملة ينتظر مايكون من أخبار اللعـين أبي مهزول ومايكون من فعله بعد رجوعه من دمشق ، ووصـوله الى سلمية واتصل به ما فعل بأبي الحسين وولده ونهب ماله واحراق داره .

ولـمـا وصلت كتب الهاشميين التي كانت مع ابن أبي الأغر على أنـه يوصلها الى المتضد ، قال له جميع الدعاة : اذا كان الأمر على هـذا ، وقد فعلوا ما فعلوا فشأنك بهم . فوجه في طلبهم الخيل فأتوا بهـم وهم أحمد بن محمد ، وابراهيم بن محمد ، وصالح بن محمد ، وفضل بن عبـد

(١) توفي المتضد سنة ٢٨٩ ﻫ / ٩٠٢ م ، وخلفه المكتفي ، وهو الذي سير أبا الأغر ، ثم تولى القضاء على صاحب الخال المنعوت بأبي مهزول هنا .

الله ، وعباس بن عبد الله ، وبلهجة بن عبد الله وجماعة الهاشميين ، وكان جملة عددهم خمسة وتسعين شيخاً ، فوقفوا بين يديه ، وقالوا له : لأي شيء وجهت في طلبنا ؟ فدفع اليهم الكتب ، وقال : أليس هذه كتبكم وخطوطكم بأيديكم كتبتم بها الى المتضد تنتصرون به يوجه الينا بالعساكر فقال أحمد بن محمد ، وكان لسان القوم : قد فعلنا ذلك ، ولكن عفوك يلحقنا ، قال أبو مهزول لعنه الله : لاعفا الله عني ان عفوت عنكم ، وأمر بهم أن يجروا بكبولهم الى باب اليهود ، وأمر رجلاً كان يهودياً أسلم على يديه من أهل تدمر أن يضرب رقابهم ، ولما كان من الغد بعث خيل العسكر الى دورهم فأحرقوا النساء والصبيان والبنات والأطفال ، وكان عدد من فعل ذلك به مائة واحدى وأربعين نفساً ، فقتلوا كلهم ، ونادى في جميع أهل سلمية أن لايدفن منهم أحد ولايستر ، ومن سترهم أو غطاهم لزمه عقوبة ، فبقوا كذلك حتي أكلتهم الكلاب والطير .

واجتمع أهل سلمية ، ومشى بعضهم الى بعض ، فقالوا : هذه الفعلة التي فعلها هذا الرجل في الهاشميين ، ولم يحدث في قصر المهدي ولارجاله شيئاً ، فهذا انما له قام . فجعلوا أكثر قنيتهم ، وأكثر ماكان لهم في قصر المهدي ليستروا ويصونوا أموالهم .

وكان من مناظرة القرمطي مع الهاشميين ، قبل قتلهم ، أن قال لهم : انكم السبب في خروج ابن البصري من هذه المدينة ، وأخليتم قصره منه وتركتم أولاده وأولاد أخيه يتامي منه ، فلما سمع أهل سلمية كلامه معهم أيقنوا أنه لايفعل في أهل بيت المهدي الا خيراً ، واطمئنوا ، وأخفوا أموالهم ، وأمتعتهم في القصر ، فعند ذلك بعث الى المهدي كتاباً سراً

يقول له : اني قتلت أعداءك الذين عملوا على خروجك ، ودفع ابن عمك وولده الى العراق في الأول ، فاقدم ولاتتأخر .

وكان في ذلك مكيدة منه ليطمئن المهدي اليه حتى يرجع ، فلما قرأ المهدي ع م الكتاب ، كتب اليه قد أحسنت فيما عملته ، ولو لم تفعل هذا ماكنت من شيعتنا وأوليائنا ، وأنا قادم على اثر كتابي هذا ان شاء الله ، فلما قرأ الفاسق كتابه فرح به وأطمعه فيه ، وأبى الله أن يتم للفاسق أمله ، وأن يلغ المهدى ع م ماهو أهله .

وقرأ أبو مهزول اللعين كتاب الامام على جميع الدعاة وقال لهم ان صاحبكم قادم الى بلده وقصوره ونعمه التي أخرجه منها هؤلاء الفسقة ، ففرح الدعاة وسرهم ذلك . وأقام الفاسق منتظراً لقدوم المهدي ع م أربعة أشهر من أول سنة احدى وتسعين ومائتين ، وهو منتظر لقدومه حتى وصل اليه الخبر أن محمد بن سليمان قد خرج من بغداد قادماً اليه ، فأمر تلك الساعة بخروج العسكر في ثمانية آلاف فارس ، وستة عشر ألف راجل ، وقدم عليه عطير بن الكرش وقرميز بن السهم من بنى الأحم ، فالتقوا عسكر محمد بن سلمان بموضع يعرف بقرية السيل ، وبقي الفاسق مقيماً بسلمية . وكان الرجال الذين أخرجهم في العسكر محبين للمهدي ع م وكانوا من دعوة أبي الحسين ودهمهم خروجهم ، فبقي مع جماعة منهم لم يخرجوا في العسكر .

وقال لأولئك الدعاة الذين بقوا معه : اني أحببت أدخل الحمام في مدينة سلمية ، ولم يكن دخل المدينة الا ذلك اليوم ، وانما كان نازلاً بظاهرها ، وكان ذلك حيلة منه لعنه الله لما مضى عنه أولئك المحبون وأيس أن المهدي لا يصل ، وخاف أن يفوته مايريده ، وحذر من محمد

ابن سليان أن يخرجه من البلد ، ولم يخرج أهل بيت المهدي ع م ومن في قصره . فأمر له أن يطيب له الحمام فدخل على المدينة على بغلة مزورة من باب الشرقي ومعه نحو ألف فارس ، وكان طريق الحمام على باب المهدي ع م ، فدخل الحمام ، وخرج وأرى أنه خارج الى العسكر حتى جاز ووقف على باب القصر . وكانت جارية المهدي ع م معها ولد يقال له محمد ، فهربت مع داية هذا الصبي لما أحست أن الفاسق دخل من باب القصر الكبير خرجت من الخوخة بولدها ، وكانت هذه الجارية يقال لها لعب ، قديمة بالقصر لأنها كانت للشيخ محمد بن أحمد ، ثم صارت للمهدي ع م من بعده . فهربت فرآها محمد بن عزيزة وكان عارفاً بها ، فقال للذي كان معه : هذه جارية الشيخ هاربة خائفة ، فتبعها ومعه خمسة نفر . فقال لها : أين تريدين يالعب ؟ فقالت له : يامحمد إنا ربيناك أنت وأباك ودخلت علينا ، وهذا الرجل قد دخل قصرنا وليس نعلم مايريد بنا ، فاسترنا فانه لم يعرف بي أحد غيرك . فقال : هاتي جميع مامعك من الحلي وامضي لشغلك ، فأعطته جميع مامعها من الحلي ، ومضت حتى دخلت دار رجل من التجار يعرف بابن أبي مصحف ، فقالت له : يامحمد استرني ، فقال لها : ادخلي إن كان لم يرك أحد ، وعرفته أن الفاسق قد دخل القصر . وكان قد تبعها أحد الخمسة فعاد إلى أصحابه فخبرهم الموضع ، فلما دخل اللعين القصر نصب له كرسي جديد في فسقيته ، فقال الدعاة الذين كانوا في عسكر الفاسق لأبي محمد الداعي: أنت مدل على هذا الرجل ، فاعرف مايريد بهذا القصر ، وعرفه أن صاحب هذا القصر له في رقابنا بيعة وأبو الحسين دعانا لهذا القصر ، ودخل إليه أبو محمد فسلم عليه ، فقال له : ياهذا الرجل : أنا رسول الجماعة

اليك ، انهم يقولون لك : ان صاحب هذا القصر له في رقابنا بيعة ، فلا تحدث فيه حدثاً ولاتؤذهم بشيء ، فقال له الفاسق : لا يا أبا محمد لاتحدث فيه حدثاً ، فاخرج وامض الى العسكر ، وأنا خارج خلفكم .

فخرج أبو محمد فمند خروجه أمر الصقالبة بطلب لعب لأنها أقدم من في القصر ، وأعلم بمخابئه وأسبابه ، فداروا فلم يجدوها ، ووقعت الصيحة : لعب لعب ، فقال لهم محمد بن عزيزة : أنا أعرف موضعها وأنا أجيء بها ، فأدخلوه الى القرمطي ، فقال له : امض وجيء بها الساعة ، فمشى ابن عزيزة الى دار ابن أبي مصحف ، فدق الباب وقال أخرجي فإنا قد أخذنا بك ، وأخرجها صاحب الدار خوفاً على نفسه ، فأخذها محمد ابن عزيزة مع ولدها ودايته حتى أوصلها الى القرمطي . فسلم عليها سلام مودة ، ورحب بها وسألها عن مولاها ، فقال : كيف غبت عنا ونحن لانستغني عنك ، وما بلغك عن مولاك الهارب منا ؟ فقالت له : هو قادم عن قريب ان شاء الله ، ولا يتأخر أكثر من هذا . ثم قال لها لما فرغ من كلامه معها : وأين مال محمد ، وأين مال مولاك الهارب منا ؟ وأقبل يتجنى عليها قليلاً قليلا ، فقالت له : ما أعرف أين أموالهم وأنا محدثة في هذا القصر ، ثم قالت له : كم تطيل الخطاب وتتجنى علينا ، إنما دخلت لتقتلنا وتلحقنا بالهاشميين ، وتقتل الصبيان والله بيننا وبينك ، ثم قالت : يا عدو الله ، يالعين ، نسيت فضل مولاي عليك وعلى أبيك من قبلك ، وهجمت علينا ، وروعت أولادنا ، كفراً بما أنعم الله عليك ، ونفاقاً على أوليائه ، وأسمعته ما يكره لما علمت أنه يريد قتلهم ــ لعنه الله ــ ثم قالت : ياعدو الله ، وعدو أوليائه ان عزمت على قتلنا ــ قتلك الله ولعنك ، ولابد من ذلك ــ فلاتدعنا

كما تركت الهاشميين مكشوفين ، فليس نحن مثلهم ، واسترنا ولاتكشفنا .
فقال لها : ان أنا قتلتك أين تريدين أدعك؟ قالت : استرنا في هــذا الصهريج ، وكان قدامه صهريج ، فأمر الصقالبة أن يدخلوا اليه ابن النداف السيف التدمري ، فدخل اليه وسيفه مجـرد في يـده ، فقال اضرب عنق هذه وارمها في هذا ، فرميت في ذلك الصهريج ، وقتـل ولدها ومن كان معها . وفرق الصقالبة فأتوا اليه بجميع من في ذلك القصر من صغير وكبير من الرجال والنساء ، فقتلهم كلهم ورمى بهـم في ذلك الصهريج ، وكانوا ثمان وثمانين نفساً ، فلما أتى عليهم قدموا اليه بغلته فركب ، ووكل بالقصر من يحفظه ويحوط مافيه .

ومضى الى الأخبية فأقام بها سبعة أيام ، ففي اليوم الثامن جاءه عسكره منهزماً هزمه محمد بن سليمان ، وقتل جمع من في عسكـره من الرجالة وأكثر الخيل . فقيل له : قد قتل عسكرك ، وجاءنا مالاقوام لنا به ؛ فارحل معنا ولاتقم ، فان محمد بن سليمان يأخذك ، فقال لهم : اقعدوا ، فقالوا له : لك في رقابنا ذمة ، وقد عرفناك ، فان كنت ترحل معنـا فارحل ، والا فاقعد وحدك . فلما رأى الجد منهم رحل معهم ولم يرده راد عن ساقية تدمر ، ونزلوا ورحل من تدمر الى الأرك .[1]

فبعد هزيمته لستة أيام وافى محمد بن سليمان بعسكره الى مدينة سلمية فقال لهم : أين القرمطي ؟ فقالوا : قد رفع ، فقال قد أمرني المتعضد[2]

---

(١) الأرك ـ الورك ـ ذكرها ياقوت في معجمه . وما زالت تعرف بهذا الاسم ، حيث تقع في منطقة تدمر ، وتبعـد عن حمص مسافة ١٩٥ كم انظر التقسيمات الاداريه للجمهورية العربية السورية ط. دمشق ١٩٦٨ . ص : ٨١ .
(٢) كذا والأصح : المكتفي .

اذا انهزم القرمطي أن أضع السيف في الحضر والبدو ، فقالوا : اتق الله قتلنا القرمطي وتقتلنا أنت أيضاً ؟ فقال لهم : ما الدليل على هـذا ، قالوا له تدخل الينا من تثق به لتوقفه على قتلانا ، فلما سمع ذلك منهم أشفق عليهم فقال : أغلقوا أبوابكم وحصنـوا أنفسكم فان العسكر مقبـل عليكم وأخاف أن ينهبكم ، وأنا أدخل اليكم من ينظر قتلاكم ان كان حقاً ماقلتم فأدخل اليهم محمد بن الديرجي وكان شيخاً ثقة فأوقفوه على القتلى ، فنظر الى الأطفال والنساء فقال : قتل الله من فعل هذا . وسأل محمـد بن سليمان : أين توجه القرمطي ؟ فقالوا له: الى ناحية تدمر ، فوجه في طلبـه ألف فارس ، فقالوا : انه دخل الصحراء فافترق عسكره عنه ، ونهبوا جميع مامعه ، وقال له مشايخ المليصيين : أنت مشؤمنا ، فهـرب على دابته ومعه مال ودخل في سواد العراق ، على أنه يدخـل موضعـاً لايصاب فيه .

فكتب محمد بن سليمان الى المعتضد : ان القرمطي قد انهزم عسكره وقتل رجاله وهرب من كان معه وتفرقوا عنه ، وبقي وحده هارباً ، فمر بأمرك ، فكتب اليه يأمره بالرجوع الى بغداد ، فرجع بعد ذلك ، وكان بعده بأربعة أشهر أخذ اللعين القرمطي أبو مهـزول على شاطىء الفرات في موضع يقال له قرقيسيا [١] ، وأخذ معه غلامان ، فرفع الى المعتضد الى بغـــداد .

واتصل بالمهدي ما فعل بالقصر وقتل جميع من كان فيه ، ثم انـه

---

(١) قرقيسياء هي البصيرة حالياً في سورية، حيث يلتقي الخابوربالفرات ، ومشهوراً أن اعتقال القرمطي كان قد تم في منطقة الرقة .

اتصل به أن القرمطي وصل الى المتضد ، فرحل من الرملة الى مصر فأقام مدة ، ولما رجع القرمطي الى بغداد شهر ونودي عليه ونصبت الدكة للمعتضد ، وفرش له الزينة حتي يشرف على قتله ، وهو يضرب بالسوط ، فقد يقولون : من أنت ، وأيش أصلك ، ولمن كنت تدعو ؟ فقال لهم : ما أنا من أهل الرياسة ، ولامن أهل القرامطة ، انما أمرني بالخروج رجل وهو فلان بن فلان من مدينة سلمية يعني المهدي ع م ، وهو من صفته كذا وكذا بصفته وحليته ، وكتبت صفته على ما وصف الملعون ، ثم مات لعنه الله بالعذاب وأحرق بالنار .

وفرق حينئذ المعتضد البريد في جميع الآفاق وأمر العمال أن يطلبوا هذه الصفة فلم يجدوه ، وكان قد خرج مع تجار بغداد ومع أبي العباس أخي أبي عبد الله الى طرابلس الغرب ، فقطع عليهم الطريق بالطاحونة ، وضرب أبو العباس أخو أبي عبد الله بسيف على وجهه ، فوصلوا الى طرابلس على ملحق البريد وهو فيها ، فلما وصل الكتاب داروا على الصفة ، ودخل التجار الذين قدموا من مصر ، ثم دخلوا عليه الدار التي كان بها ، فلما رأوه قالوا : هذه الصفة صفتك وأنت المطلوب لاشك ، ولكنا نخليك عن الغفلة ، فارحل عن بلدنا ولاتقم فيه ، وكان أبو القاسم ابن حسان بها ، فرحل معه حتي وصل الى قسطيلية [1] ودخل الى سجلماسة [2] فأقام بها ثلاثة أشهر حتى لحقته الحرم مع يوسف القهرمان وطيب الحاضن ، ومع ذلك كتب أبي عبد الله تترى بطلبه حيث مازل ،

---

(١) في بلاد الجريد من المغرب الأوسط ـ معجم البلدان .

(٢) عاصمة دولة بني مدرار ، شغلت دوراً كبيراً في تاريخ المغرب الأقصى خرائبها الآن قائمة في اقليم الراشدية في المملكة المغربية .

فكتب اليه أن أقدم فقد استقامت لك العساكر ، فتأخر حتى قدم اليه أبو عبد الله سجلماسة ، وخرج المهدي ع م وولده أبو القاسم محمد الامام ع م وجعفر الحاجب وجميع من كان معه ، وكان من أمره ما هو مدون معروف . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .



كتاب التراتيب

وهي

سبع تراتيب على التمام والكمال

SS

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم يا أخي : الحمد لله المتعالي عن العلة والمعلول والمبدع بأمره جواهر النفوس والعقول ...

وقد جرى في مثل ذلك دور محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من انتساب الأئمة عليهم السلام بالبنوة له لما أراد تشريفه وتعظيمه ، وذلك مثل جعفر الصادق عليه السلام ، فإنه قام بالإمامة ، وكان زمانه زمان فترة [مثل] دور الرسول عليه السلام ، وكان في عصره ضد عظيم وشيطان رجيم ، وهو المعروف بأبي جعفر الدوانيقي [١] ، وكان هذا الضد يدس على جعفر الصادق عليه السلام ليقتله ، وأراد أن يطفيء نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وكان له عيون عند جعفر الصادق عليه السلام ، يطالعونه بخبره يومابيوم وساعة بساعة ، فعلم الصادق عليه السلام مافي نفسه ، وما أضمره من كفره ونفاقه ، فأوجب ذلك أن يظهر منه تسليم الإمامة إلى ولده اسماعيل ، كيما تخمد نيران هذا العين ، فأحضر الصادق عند ذلك حججه ودعاته وأهل شيعته ، ومن يلوذ به ، وسلم إلى ولده اسماعيل ، بمحضر منهم ، وأمرهم بالدعاء له في جميع الجزائر [٢] والأقاليم ، وأن يأخذوا له العهود ، وأن أمر الدعوة بيده ، وكلها له .

(١) المقصود أبو جعفر المنصور ، وصف بهذا لشدة بخله .

(٢) قسم الاسماعيليون العالم الى عدة جزائر ، وكل جزيرة الى عدة أقاليم .

فقام اسماعيل بذلك ، ورتب الدعاة ، ونصب الحجج ، وأمرهم بالدعاء له ، ورفع الأعمال والزكوات ، والفطر اليه ، ففعل الدعاة والحجج ذلك ، فانتشر خبره في جميع البلاد ، وعلم بتسليم الأمر إليه عيون أبي جعفر الدوانيقي ، [فرفعوا إليه] بأن الصادق عليه السلام سلم إلى ولده اسماعيل وأن الصادق قد صار صفراً من الامامة ، وأن الدعوة وأمرها كلها إلى اسماعيل فلما بلغه الخبر ، قصد بالأذية إلى اسماعيل عليه السلام ، ودس عليه من يقتله ، كما أراد أن يفعل بالصادق عليه السلام ، فأوجب ذلك نقلة (١) اسماعيل ، وأشهد الصادق عليه السلام بنقلته ، ولم يدفنه إلى ثلاثة أيام ، وهو يأخذ خطوط جميع الحاج بموته ، وأنه بعد ثلاثة أيام دفنه ، ونزل ليلحده ، فقال عند لحده : ما أسفي على إسماعيل ، بل إنما أسفي على وديعة أودعته إياها .

فعند ذلك أيضاً كتب عيون أبي جعفر الدوانيقي كتاباً يخبروه به عن موت اسماعيل ، فعندما بلغه ذلك انسر سروراً عظيماً ، واطمأن قلبه ، وسكن روعه ، وظن بجهله أن أمر أولاد الحسين قد انقطع ، وأنه لابقية لهم ، فما قليل بلغه ممن يتولاه ويركن إليه أن اسماعيل قد ظهر في البصرة ، وأنه مر بمزمن له أربعون سنة بتلك الزمن ، وهو في محفل من الناس ، وهم يسمونه ويكنونه ، فقال له : خذ بيدي يابن بنت رسول الله أخذ الله بيدك ، فأقبل عليه ، وأخذه بيده ، وأقامه فبري من ساعته ، وفاق من علته ، فكان ذلك المزمن يقول لكل من سأله: من أبراك من علتك ؟ فيقول : هو أبراني ــ اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ــ وإن أبا جعفر الدوانيقي لما بلغه ذلك ــ من ظهور اسماعيل ، وفعله ذلك الفعل ــ

---

(١) أي وفاة اسماعيل .

هاله وكبر عليه ، وبعث وراء الصادق عليه السلام ، فأحضره ؛ فلمـــا حضر عنده قال له : تكتب لي بأن اسماعيل قد مات ، وأنـك أخذت خطوط جميع الحاج بموته ، وبعد ذلك يبلغني أنه قد ظهر ، فكيف هذا الأمر ؟ فعند ذلك أحضر الصادق عليه السلام الأوراق ، فيها شهادات جميع الحاج بموت ولده اسماعيل ، وكان في مجلسه من حضر ذلك ، ولم يزل الصادق عنده إلى أن سكن ما به ، ولم يدر عدو الله كيف يجري سر الله في أوليائه ، ولا كيف سياستهم للعالم !

وبيان ذلك أيها الأخ الفاضل أن الامامة المرضية ، والكلمة الإلهية قام بصورتها الإمام الحق اسماعيل [١] في حياة الصادق ، وهـو الظـاهر بالبصرة ، والمبرىء لذلك المزمن ، وأن موسى الكاظـم نسب هـــذه الفضيلة لابن [٢] أخيه اسماعيل ، وأضافها إليه لكيما يرد كيد الضد العين وبيان عجزه وضعفه وكثرة جهله ، وأن اسماعيل عليـه السلام ستر على نفسه حجاباً لعظيم الفترة ، وتغلب الضد ، وانتسب الامام الحق [بعد] [٣] اسماعيل الى ابن أخيه ، وهو محمد لشدة تعاظم الفترة وظهور الأضداد ، وأن محمداً لما حضرته النقله سلم الأمر لولده الرضي عليه السلام ، وهو أول الأئمة المستورين ، فقام أحمد [٤] عليه السلام بالإمامة ، وكان حجابه

---

(١) هذا النص في سرده لأسماء الأئمة بعد جعفر الصادق عرض بشكل مضطرب ، اقتضى الحال أن يقرأ بشكل تأويلي ، ثم إن قائمة الأئمة فيه تختلف عن غيرها مما جاء في غالبية المصادر الاسماعيلية وغير الاسماعيلية . انظر عيون الاخبار للداعي المطلق ادريس ـ السبع الرابع ـ ط بيروت ١٩٧٣ ص ٣٣٢-٤٠٤ . أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس الترجمة العربية ص: ٢٠٧ .

(٢) أي محمد بن اسماعيل .

(٣) أضيف مابين الحاصرتين ليمكن استقامة تأويل السياق .

(٤) اسم الامام الرضي عند الداعي ادريس ص٣٥٧ «عبد الله بن محمد بن اسماعيل».

الذي احتجب به ، وستره الذي ستره ، والذي نصبه ، وأقامه مقامه ميمون القداح ، وأمره الامام عليه السلام أن يأخذ العهود لنفسه ، أعني لميمون القداح ، ففعل ما أمره به الامام ، ولم يزل قائماً بالأمر الى أوان نقلة أحمد عليه السلام ، فلما حضرته النقلة أحضر ولده محمداً عليه السلام وسلم الامامة له بمحضر من خواص الدعاة البالغين في الدين ، وعندهم علم من الكتاب ، فقام محمد عليه السلام [بالأمر] ، وأمر الامام ابن ميمون القداح أن يقوم مقامه ، ويأخذ العهد لنفسه كفعل أبيه ميمون القداح ، ولم يزل قائماً بالأمر عن اذن الامام عليه السلام الى أن حضرت محمد النقلة ، فعند ذلك أحضر ولده أحمد عليه السلام ، وأكابر الدعاة ، وخواص الحجج ، وسلم اليه بمحضر منهم كفعل من تقدم من آبائه عليهم السلام .

فأمر الامام أحمد أخاه أن يقوم مقام ولده ، ويأخذ العهد لنفسه ، وحجاباً لولده ، محمد المهدي عليه السلام ، وأنه اذا حضرته النقلة يسلم الأمر اليه بمحضر من الدعاة والحجج ويعلمهم أنه كان خليفة الامام مستودعاً لا مستقراً ، فقام محمد المهدي عليه السلام بالامامة ، وقام عمه بالخلافة ، وانتسب محمد المهدي عليه السلام بالبنوة لعمه كما جرى ذلك فيما تقدم ، كيما تثبت فضيلته ويتم أمره ، وأن هذا الخليفة كان له عشرة أولاد ذكور ، فطمع في الأمر ، وأراد أن يكون في عقبه ، ويخرج ابن أخيه منه ، فلما قام ذلك في وهمه أحضر بعض أولاده ممن ارتضاه لذلك الأمر ، وأضاف مقاليد الدعوة ليده ، فما كان الا قليلاً حتى مات ذلك الولد الذي سلم اليه الأمر ، ولم يزل يسلم الى ولد بعد ولد وهو يموت حتى مات جميع أولاده ، وانبتر

ss

الأمر من يده ، فلما أيس ، رجع بالأمر الى مستحقه ، وهو محمد المهدي ابن أخيه أحمد عليهما السلام ، وهو القائل هذين البيتين شعراً في حقه :

الله أعطاك التي لافوقها لما أرادوا منعها وعوقها

عنك ويأبى الله الا سوقها اليك حتى طوقك في طوقها

فكان هذا من كلام المهدي له هذين البيتين ، وبحمد الله ياعم ليس بحمدك[1] ، فقام المهدي بالامامة ، واشتهر بها ، وكان أمر الظهور قد اقترب بأوان طلوع الشمس من مغربها ، فحضرته النقلة دون الظهور الكلي ، فعندها أحضر المهدي ولده القائم ، وسلم اليه بمحضر من خواص الدعاة ، وأكابر الحجج ، وأمر أخاه عبد الله أيضاً بأن يقوم مقامه ـ أي ، الامام محمد المهدي أبو القائم ـ وينوب منابه ، ويتسمى باسمه ، وينعت نفسه بنعته ، وينسب القائم عليه السلام أنه ولده كيما تعلو كلمته وتثبت دعوته ، لأنه صاحب الكشف ، على يده يكون الظهور والفرج ، وبروز كل أمر من الدين مستور .

وقام القائم عليه السلام بصورة الجود الكلي ، والفيض الالهي ، وقام عمه عبد الله بالخلافة والنيابة ، وتلقب بالمهدي كما أمره الامام على ذكره السلام ، ودعا لنفسه ، وبسط الدعاة والحجج في الجزائر والأقاليم من قبله

---

(١) من المرجح أن هذه القصة برواياتها المتباينة هي ترداد لصدى الانشقاق الكبير الذي أصاب بيت الإمامة الاسماعيلي في فترة استقراره في السلمية ، ومع بداية نشاط القرامطة في الشام ، وربما يجد الباحث فيها تعليلاً أو مخرجاً لادعاء زعماء القرامطة في الشام النسب الاسماعيلي ، هذا وهناك خلاف في المصادر حول رواية البيتين وقائلها . انظر عيون الاخبار ـ السبع الرابع ـ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ . ثم انظر نص استتار الامام من نصوص كتابنا هذا .

والدعاء له والطاعة لأمره ، وأنه الامام المقصود الذي دلت الحدود على طاعته ، وعلى يده يكون الظهور ، وبروز كلام من الدين المستور ، فلم يزل كذلك حتى ظهرت الدعوة باليمن على يد بعض دعاته ، وهو الملقب بمنصور اليمن ، فظهرت الدعوة بالغرب على يد أبي عبد الله الشيعي ، واستقام أمره ، وتم المراد ، وظهر بالإمامة والملك ، وخطب على المنابر في جميع الأمصار ، وسائر الأقطار ، وشد عند ذلك ماكان ضعف من شريعة جده محمد ﷺ ، وبتر ماكان من غيرها ، وأقام أركانها ، وشد بنيانها ، وكشف علم التأويل ، وأبان حقائق التنزيل ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولم يزل كذلك الى أوان نقلته وحضور أجله ، فعند ذلك أحضر حججه وحدود دعوته ، وسلم الأمر الى صاحبه وهو القائم محمد بن المهدي ، والامام الحقيقي بحضر منهم ، فأشهدهم على نفسه أنه أدى ماوجب عليه من الخدمة والخلافة ، وسلم الأمر لصاحب الأمر [١] .

وكان المهدي أبو القائم [هو أخو] المنتقل الى سجلماسة ، وكان المهدى

---

(١) جهدت المصادر الاسماعيلية الفاطمية في العمل على طمس هذه الواقعة ، والقول بأن القائم هو ابن المهدي ، لكن رغم ذلك يمكن استخلاص الحقيقة بشكل غير مباشر ، فقد أشار القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات - ط . تونس ، ص ٥٤٢ - ٥٤٣ ، وعنه نقل الداعي المطلق ادريس في عيون الأخبار - السبع الرابع - ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ، السبع الخامس ص١٦٦-١٦٧ . بأن المهدي ولد له بالمهدية غلام ذكر دعاه بأبي الحسن ، ففكر بجعله ولياً لعهده ، لكن هذا الغلام جدر فذهب بصره ، وهكذا بقيت ولاية العهد للقائم ، وكانت أم الوليد المجدور تقول دائماً : « والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر - تعني قصر المهدي بالله (صلع) - فلا يعود اليه أبداً ، وصار إلى ذلك القصر - تعني قصر القائم بأمر الله - فلا يزال في ذرية صاحبه مابقيت الدنيا » وكانت فيما بعد إذا رأت إحدى نساء قصر القائم تقول لها : « قد ولدت إماماً » .

صاحب الكشف هو المولود بسلمية ، المنتقل بالمهدية كما جاء بالتواريخ [١] ، ومن هذه الجهة أنكر أبو العباس أخو أبي عبد الله الشيعي إمامة المهدي الظاهر من سجلماسة ، لأنه عارف بالمهدي أبي القائم ، فلما رأى الأمر وسوس لأخيه أبي عبد الله الشيعي ، وقال : إن هذا الذي يـــدعي بأنه الامام ، وسلمت مقاليد الملك الذي بيدك اليه ، وقلت أنه المهدي المنتظر ، ما هو كما قلت ولا الأمر كما توهمت ، ولا هو صاحب الأمر ، ولقد كنت أنت أحق بالخلافة منه ، وأولى بالنيابة .

وكان من أمر أبي عبد الله الشيعي ، وأخيه أبي العباس ماهو مسطور [٢]...



(١) في الاصل : أجابت التواريخ وهو تصحيف لعل صوابه ما أثبتنا .

(٢) قتلهما المهدي بتهمة التآمر عليه .

SS

كتاب

تثبيت دلائل نبوّة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم

SS

[فِي أَحْوَالِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ فِي زَمَنِ صَاحِبِ ٱلْكِتَابِ]*

. . . ألا ترى أن من بالأحساء من القرامطة والباطنية ، لما غلبوا شتموا الأنبياء ، وعطلوا الشرائع وقتلوا الحجاج والمسلمين حتى أفنوهم ، واستنجوا بالمصاحف والتوراة والانجيل ، وجاءوا بذكيرة الأصفهاني المجوسي[١] ، وقالوا : هذا هو الإله في الحقيقة ، وعبدوه ، وكان لهم معه ماهو مذكور معروف .

ومثل هذا صنع أبو القاسم الحسن بن حوشب بن زاذان الكوفي النجار حين ظهر بجبال لاعة من أرض اليمن ، وكذا صنع من كان معهم بالجند وعدن من أرض اليمن ، وسبوا العلويات ، وكل هؤلاء كانوا في أول أمرهم يخدعون الناس بأنهم شيعة ، وأن المهدي أرسلهم[٢] .

وكذا صنع من كان منهم برقادة[٣] والقيروان من أرض المغرب ، الى أن قام أبو يزيد مخلد بن كيداد[٤] بمن معه ، وحاربهم خمس سنين وضيق

* أضيف هذا العنوان للايضاح .

(١) لقد سلف وذكر خروج ذكرويه في نص ثابت بن سنان وسيرد ذكره أيضاً فيما يلي في النصوص المقبلة .

(٢) انظر ماتقدم ثم مايلي من نصوص خاصة ما أورده الحمادي والخزرجي .

(٣) تبعد خرائب رقاده - عاصمة الأغالبة - عن القيروان قرابة عشرة أميال .

(٤) هو من الخوارج الأباضية النكارة - الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن رستم صاحب تاهرت - وثورته مشهورته اشتدت أيام القائم وأخمدت أيام المنصور ، ومع أنها كانت خارجية كانت ذات ارتباطات سياسية مهمة بقرطبة .

عليهم كما صنع الأصفر (٥) بأهل الأحساء فلما انكشف أمر أبي يزيـد عمن بالمغرب، كفوا عن المكاشفة للعامة بشتم الأنبياء وتعطيل الشرائع، وصاروا يخدعون الناس سراً، وينقلونهم عن الاسلام بالحيل والأيمـــان من حيث لايشعرون شيئاً شيئاً، وانبثوا وانبسطوا، وبثوا ذلك في ممالكهم، ويقصدون بدعوتهم الديلم والأعراب، وكل من يقل بحثه ونظره، وله رغبة بالدنيا، وشغل بها، ثم يقطعونهم عن البحث والنظر بالعهود والأيمان المغلظة، ومن دخل بلدانهم وشاهد عساكرهم، وتأمل سيرتهم يعرف ذلك من قصدهم، بل من سأل واستبحث يعلم ذلك، وإن لم يصر إليهم، وقد صاروا حرماً للملاحدة والزنادقة والفلاسفة والدهرية، وجميع أعداء الاسلام، فمن هاجر اليهم أمن في إلحاده، وقال ماشاء كيف شـــاء، فيالها مصيبة بذهاب الاسلام، وموت أهله، وقلة العارفين به وبحقوقه، فإن من بقي ممن يظن أنه من أهله، فمنهم من يشبه الله بخلقه، ومنهم [٥١ – و] من يجوره في حكمه (٦)، والى غير ذلك. . .

---

(٥) من زعماء قبيلة المنتفق حاصر الاحساء سنة ٣٧٨ هـ. انظر المنتظم: ٧/١٧٠، الكامل لابن الأثير – ط. القاهرة ١٣٠٣ هـ. ٧/١٣٦. وانظر أيضاً ماذكره المقريزي في آخر نصه المقبل عن القرامطة.

(٦) يرد هذا إلى كون القاضي عبد الجبار كان من أهل الاعتزال.

SS

في ابتداء ظهور الباطنية وهم القرامطة [1]

وتأمل أحوال هؤلاء الباطنية الذين قد تستروا بالاسلام، وبقراءة القرآن وبالصلاة والصيام والحج، واظهار الالتحاق بأهل البيت، وقد أوثقوا أمورهم بالكتمان، وبأخذ الأيمان والعهود على من أجابهم، وتجنبوا استدعاء الأدباء والعلماء والفقهاء، وسلكوا الواسطة، وقصدوا الأطراف البعيدة التي قد استولى على أهلها الغفلة والجهل والقوة، وقصدوا أهل الترفه والعجب والشغل بالدنيا والملك، وتسموا بالاسم الحسن، من أنهم الشيعة، وغرّوا المسلمين، فانظر الى فضائحهم، مع هذه الأمور كلها [2].

فإن أبا القاسم بن الفرج بن حوشب / بن زاذان الكوفي النجار، عرف أهل عدن لاعة وجبال لاعة من أرض اليمن، وأنهم شيعة، فصار اليهم مع أبي الحسين محمد بن علي بن الفضل من أهل جيشان والجند والمذيخرة من أرض اليمن [3]. وكان هذا أحد المياسير والرؤساء من الشيعة من أهل تلك البلاد فمكن لابن حوشب، وتساعدا على الدعوة، وكل واحد منها بمكانه،

---

(١) نقل هذا العنوان من حاشية الاصل.

(٢) رغم أن القاضي عبد الجبار اعتبر هذا منقصة، لاشك أنه يدل على عبقرية دعوية، حيث سايرت الحركات الاسماعيليـة العقائد الشعبية الرائجة، ولبت رغبات الطبقات العليا.

(٣) كذا والصحيح علي بن الفضل، انظر خبره وترجمته فيا يلي في نص الخزرجي صاحب العسجد المسبوك.

وتسمى ابن حوشب بالمنصور من آل أحمد[١] ؛ وتسمى الآخر بالولي .
ومكثا مدة يتستران بإقامة الشريعة ، ثم ظهر منهما الإباحة ، وليلة الافاضة ، وأولاد الصفوة ، ونكاح الأمهات والأخوات والبنات[٢] والمشاركة في الزوجات ، وتعطيل الشرائع ، وشتم الأنبياء عند التمكن والقدرة ، ثم ظهر بين ابن حوشب وبين ابن الفضل من المشاتمة وبرىء كل واحد من صاحبه ، ودعا كل واحد منهما إلى نفسه ، بأنه إله ورب ، وغزا ، وقصد العلويين بالمكاره والقتل وسبي الذرية .

وقد كان نصب هذين ، الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح[٣] الذي زعم أنه الإمام ، وهو خليفة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وقال لهذين وغيرهما ممن خرج معهما الى اليمن : إذا ملكتم وغلبتم خرجت اليكم ، وجعلنا الملك باليمن ، والمهدي يظهر باليمن ، وهكذا روينا عن أهل البيت ، فلما تمكنوا باليمن ، أخرج اليهم ابن ميمون القداح الحسين الأهوازي الداعية

---

(١) كذا في الأصل ، ولعل الاصح « منصور آل محمد » هذا وتصر المصادر الاسماعيلية على أنه دعي بهذا اللقب رغم كراهيته لذلك ، ومعروف أن لقب المنصور له معان مهدوية ، وهو مرتبط باليمن ، أي أن حامله إما يماني الاصل أو له صلة ما باليمن ، ولمزيد من المعلومات يراجع ماكتبه الامام نعيم بن حماد - ت ٢٢٨ هـ - في كتابه الملاحم والفتن ، وهو كتاب حققته وسأدفعه الى المطبعة قريباً إن شاء الله .

(٢) هذه تهمة ألصقت بجميع الحركات ذات المضامين الاجتماعية والاهداف الاقتصادية في الاسلام ، وقد ورثها الكتاب المسلمون من التراث الساساني حول المزدكية ، وتم الترويج لها بسبب ربط الاخلاق في الشرق بالجنس ، وتثبت الابحاث الحيادية الموثقة بطلان هذه التهمة .

(٣) من أجل دور آل القداح في الحركة الاسماعيلية ينصح القارىء الكريم بالعودة الى كتاب أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٣٣ - ١٦٤ من الترجمة العربية ، منشورات مكتبة المثنى بغداد .

من قبله ، فطلب منهم مالاً يحملونه اليه ، فأعطوه مرة بعد مرة ، ثم رجع اليهم ، وعرّفهم أن الحجة خليفة محمد بن اسماعيل يخرج اليهم لينصروه ، فشتموه وردوه ، فقالوا : قد عرفنا أن هذا كله مخرقة ، وهو عرّفنا بهذا فلِمَ نسلم الملك اليه ، فقال لهم : على كل حال هو عرفكم هذا ، وخلصكم من الشرائع والاسلام ، فاشكروا له وأطيعوه ، فشتموه وشتموا من وجّه به . فرجع الرسول الى الحسين بن أحمد / وعرّفه أن القوم قد أظهروا الباطن ، وعملوا به وفطنوا له ، وتشاتموا وتفاضحوا بينهم ، ثم صمد يحيى بن الحسين العلوي[١] رضي الله عنه لجهادهم ، وقد كان ابن حوشب هلك وبقي الفضل، فهلك هو وابنه امام يحيى بن الحسين العلوي كما هو مذكور ، وفضائحهم مشهورة عند أهل العلم .

ومن عند ابن حوشب انبثت دعوتهم باليمن والمغرب[٢] .

ثم تأمل فضيحتهم بالبحرين ، فإن داعية لهم خرج الى من بها من الشيعة وقال : أنا رسول المهدي اليكم ، وقد قرب خروجه ، فأعدوا واستعدوا ، واحملوا اليه زكواتكم وأعشاركم ، وفضول أموالكم ، فاجتمعوا وكانوا نحو ثمانمائة ، وأعطوه ماطلب ، وغاب عنهم ورجع اليهم وأخبرهم عن المهدي : أن للأشياء كلها بواطن ، وأن خاصة المهدي لايحرم عليهم شيء ، وأن المهدي قد أحل لكم كل شيء ، وأنه يحل للمؤمن ان يشارك اخاه في ماله وأهله، وأن علامة إيمانه أن تطيب نفسه بذلك كله . وكان فيمن أجابهم : أبوسعيد

(١) هو الهادي إلى الحق ، وقد سبق لي نشر سيرته ، وهي تحوي في ثناياها أخبار صراعه مع القرامطة ، وسنحيل عليها فيما بعد في نص المسجد المسبوك .

(٢) يقصد بهذا توجيه مركز الدعوة في اليمن لأبي عبد الله الداعي الى المغرب .

الحسين بن بهرام الجنابي ، وكان يبيع الطعام والدقيق بالزارة [١] من أرض البحرين ، وكان شريراً فاسقاً جاهلاً لايعرف من كتاب الله شيئاً ، ولا من سنة نبيه ، ولاشيئاً من الأدب ، ولا شغل له إلا بالمعاش .

وكان له صديق منهم يعرف بابراهيم الصائغ داعية لهم ، قد وجهوه غير مرة إلى ناحية فارس والأهواز ، وكان يظنهم شيعـة ، فجاء يوماً إلى أبي بكر زكريا يحيى بن نبهان ، فقال له : اعـلم أن هؤلاء القوم على ضلال ، كنت مع أبي سعيد الجنابي وقد جاءه رجل من أهل جنّابة [٢] يقال له يحيى ابن علي ، فأكلنا عنده فلما فرغنا قام فأخرج امرأته ثم أدخلها مع يحيى هذا في بيت وقال لها : إن أرادك هذا الولي فلا تمنعيه نفسك ، فانه أحق بك مني . فمضى يحيى بن نبهان بابراهيم الصائغ هذا إلى الأمـير علي بن مسار / فأخبره بما وقف عليه ، فرصده علي بن مسار لذلك وتعرفه ، فأخذ الرجل فضربه بالسوط وحلق رأسه ولحيته ، ثم خلى سبيله ، وطلب أبا سعيد فهرب إلى جنابة ، وبحث عنهم وعن أحوالهم فاذا هم يتسترون بالتشيع ويعطلون الشريعة ، وبقي أولاد أبي سعيد وأصهاره في البحرين ، فبحث النـاس عن أحوالهم وأحوال بني سَنْبر [٣] وأمثالهم فاذا هم على هذه الحال .

ثم تمكنوا وعاد أبو سعيد بعد أن صار الى النيل [٤] وسواد الكوفة ، ومعه الدعوة ورجالها ، مثل حمدان بن الأشعث ، وهو المعروف بقَرْمَط ، واليه ينسب القرامطة ، وخال ابن أبي المليح القرني وخال عَبْدان . وقد كان

---

(١) عين الزارة ، قرية كبيرة من قرى البحرين . انظرها في معجم البلدان .

(٢) بلدة صغيرة كانت قائمة على الجانب الايراني من الخليج . انظرها عند ياقوت .

(٣) وزراء دولة قرامطة الأحساء ، وسيرد ذكرهم فيما يلي كثيراً .

(٤) بلدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد ، انظرها في معجم البلدان .

بالبحرين يحيى الطامي داعية لهم : فلما تمكن أفسد وغدر وأظهر الإباحة ، وكان شريك أبي سعيد الجنابي في الدعوة ، فوثب عليه أبو سعيد وغدر بـه وقتله واستولى على الأمر وغرر بالنـــاس لما ملكهم ، وأظهر من الإباحة وتعطيل الشرائع ماهو مذكور ، وقال إنه رسول الأمين الامام حجة الله على خلقه ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن الحنفية [١] ، وهو مقيم في بعض هذه الجبال ، وهو المهدي ، وأنه في سنة ثلاثمائة للهجرة يخرج ويملك الأرض كلها . وكان هذا القول والوعد من أبي سعيد في سني نيف وثمانين ومائتين للهجرة ، وكان يقسم قصور بغداد على أصحابه ، ويحلف لهم أنه يدخل بهم إليها ، ويملكها ، فلما كان في سنة ثلاثمائة ، قتل أبا سعيد خادم كان لأبي الفضل العباس بن عمرو الغنوي في الحمام [٢] ، وكذبت أخباره ، وظهرت فضائحه ، فخجلوا لذلك خجلة يالها ، وتحيروا .

وقد كان علي بن عيسى بن داود بن الجـراح [٣] وزير المقتـدر بالله كاتب أبا سعيد يقول له : « زعمت أنك رسول المهدي ، وقد قتلت العلويين وسبيت آل الأخيضر العلويين ، ومن باليمامة ، واسترققت العـلويات ، وغدرت بأهل البحرين » ، وقد كان حاصر أهل هجر [٤] أربع سنـين

---

(١) كذا ، وهو خطأ أساسه احدى روايات الطبري ، ومن المؤكد ان الاسماعيلية غير الكيسانية .

(٢) العباس بن عمر والغنوي واحد من قادة الجيش العباسي ، ولاه المعتضد اليمامة والبحرين وأمره بقتال القرامطـــة ، توفي سنة ٣٠٥ هـ ، يرد ذكره في كتابنا هذا أكثر من مرة ـ الأعلام للزركلي .

(٣) علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن البغدادي وزير المقتـدر العباسي والقاهر ، توفي ببغداد سنة ٣٣٤ ، له كتب ورسائل متعددة ، كما تمتع بشهرة ادارية كبيرة ووصف بالزهد والاستقامة ـ انظره ومصادر حياته في أعلام الزركلي .

(٤) الهجر بلغة حمير : القرية ، وفي بلاد العرب أكثر من هجر ، وهجر البحرين قاعدتها ـ معجم البلدان .

SS

ومنعهم الأقوات ، وحبس عنهم الماء ، ثم وصل اليهم وما بهم رمق فأتى عليهم ، وقتلهم عن آخرهم ، وقد كان صنع بأهل القطيف شبيهاً بذلك ، وغدر بهم أقبح غدر .

فأجاب ولد أبي سعيد علي بن عيسى عن كتابه بأن أهل البحرين بغوا علينا ، وغدروا بنا ، ورمونا ، وقالوا : إنا نشترك في أزواجنا ، ونرى الاباحة وتعطيل الشريعة ، وقد كذبوا علينا ، ونحن قوم مسلمون ، وما نُحل من اتهمنا بغير الاسلام .

فكتب اليهم علي بن عيسى : « إن كنتم صادقين فأطلقوا من في أيديكم من أسارى المسلمين » ، فأطلقوا منهم نحو ثلاثين ألفاً ، وأظهروا الاسلام والصلاة وقراءة القرآن ، وخجلوا من الفضيحة[١] .

ومما كانوا يقولونه ويقوله أبو سعيد عن خروج المهدي في سنة ثلاثمائة لحقهم الخجل والفضيحة . وكان بنو بسطام ، وبنو القاسم بن عبد الله ، وآل الفرات وأمثالهم يستولون على دولة المقتدر بالله[٢] ، وكانوا يتشيعون فراسلوا أولاد أبي سعيد وقالوا لهم : أنتم خرجتم أيام المعتضد والمكتفي فلما صار الأمر إلى هذا الصبي المقتدر بالله قعدتم ، قوموا فنحن كتابه وأصحابه ، والدولة لكم ، ولايوحشنكم قتل أبي سعيد وما كان منه ، فإن الناس قد تناسوا ذلك . فقالوا : هذا الرجل علي بن عيسى رجل

---

(١) في هذا اشارة الى التقارب بين قرامطة البحرين وبغداد، إثر قيام الخلافةالفاطمية وماسبق ذلك ولحقه من انشقاقات داخل الحركات الاسماعيلية .

(٢) هو جعفر بن المعتضد بن أبي أحمد المتوكل ، وهو أخو المكتفي ، وقد قتل سنة ٣٢٠ هـ . اما المكتفي فقد توفي سنة ٢٩٥ ، بينما توفي أبوهما سنة ٢٨٩ هـ ، ومن اجل عصره انظر الكامل لابن الأثير ط. القاهرة ١٣٥٣ : ٦/١١٨-٢٢٠ .

صالح ، ومادام هو الناظر فما نختار مخالفته ، فلما قبض السلطـان على علي بن عيسي أطلق من بغداد والكوفة من الشيعة الطيور إلى البحرين بذلك ، فغزوا البصرة على غفلة وغدروا بهم أقبح غدرة ، ثم غـــزوا الكوفة ، وسر بهم الشيعة وقالوا : أبو طاهر بن أبي سعيـد ، ولي الله وحجة الله ، والمهـــدي بالبحرين ، يخرج عـن قرب ، وأبو طاهر خليفته ، وهو الذي يأخذ الأرض له ، ويكون ملكه بالبحرين . فبادر من أهل الكوفة وسوادها خلق كثير ، وقالوا : نهاجر إلى بـلد المهدي قبل ظهوره ، فنقلوا أموالهم وعيالهم ومن منهم ببغداد والكوفة وسوادها يراعون أمر المقتدر ، وينقلون أخباره إلى أبي طاهر بن أبي سعيد .

وقد كان حصل لأبي / طاهر من أموال الحجاج والخراسانية والكوفة والبصرة بيوت كثيرة ، وأطمعه الشيعة ببغداد في السلطان ، وعرّفـوه ضعفه ، وأن النجوم تدل على أن أبا طاهر يغلب السلطان ، وأنه يدخل بغداد ويستولي على الملك ، فتجمل أبو طاهر ، وحمل أهـله وعيـاله ، وسار يريد بغداد ، وقال: أنا أدخلها وأدخل دار الخلافة على هذا الحمار ، وأشار إلى حمار أسود كان في كراعه . وسار ونزل ظهراً بالكوفة ، ولقيه ابن أبي الساج فهزمه ، ونادى مناديه إنه سيكون لنا وقعـة مع مؤنس الخصي برصافة الكوفة ونهزمه ويستغنى أهل الكوفة من ذلـك النهب ، وأسير فأدخل بغداد في يوم الثلاثاء ، وفي يوم طش[1] ، واستكتب علي ابن عيسى ، واستعمل على الشرطة أبا الهيجاء عبد الله بـن حمـدان . وجلس بظهر الكوفة يقسم قصور بغداد ونزل بطباطبا[2] ، وهي من بغداد على فراسخ يسيرة .

---

(١) يوم طش : يوم ممطر مطراً خفيفاً ـ اللسان .

(٢) انظر الكامل لابن الأثير : ١٨٦/٦-١٨٨ .

وطال انتظار أبي طاهر له ، وكان من ببغداد من الشيعة قد راسلوا أبا طاهر أنه مابقي عند السلطان الا مؤنس الخصي ، وهو الذي يلقاك وهو أضعف من ابن أبي الساج بألف طبقة ، وأنت تهزمه وتدخل بغداد ، فصبر مؤنس ولم يبرح من طباطبا ، وأبو طاهر يراسله : ما انتظارك : وإن كنت رجلاً فابرز ، ومؤنس لا يبرح . فسار أبو طاهر وعبر الفرات ، وجاء فنزل بالقرب من مؤنس ، فانقلبت بغداد ، وعبر الكثير من أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ، الا من كان من الشيعة ، وانحدر كثير منهم وأحدروا عيالهم الى البصرة ، وخرج الى أبي طاهر من أهل بغداد [جماعات] من الشيعة وغيرهم من الكتاب سراً ، وبشروه بضعف السلطان ، وأنهم قد قلبوا له بغداد بالأراجيف ، وقالوا له : بغداد بلد عظيم ، وان لم ترهب أهله بالقتل لم تملكه ، فقال : نبيح المؤمنين القتل فيه ثلاثة أيام ، قالوا : لاتصنع هذا ، ولكن سبعة أيام ، وتنظم جانبي دجلة / بالطالبيين من بني هاشم ، والقراء ، والفقهاء ـ الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ـ فقال : كذا نفعل .

وأظهر من بالكوفة لعن بني العباس والسلف ، وخرج أبو الغيث بن عبيدة العجلي في ثلاثين ألفاً ، وأقام أبو القاسم عيسى بن موسى ختن عيدان في البقية من أصحابه ، وأظهروا الخلاف ، وقالوا : ظهر الحق ، وقام المهدي ، وانقضت دولة بني العباس والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث ، وقال قائلهم : مابقي شيء ينتظر وماجئنا لاقامة دولة ، ولكن لإزالة شريعة ، فقيل لهم : ان الخصي[١] قد قطع قنطرة نهر طباطبا ، فقالوا : قد عبر أبو طاهر الفرات أفلا يعبر نهر طباطبا ، وانما هو كالساقية

---

(١) أي مؤنس .

بالإضافة الى الفرات .

فسار أبو اسحاق ابراهيم بن ورقاء الشيباني الأمير ، وكان رجلاً صالحاً لايعين السلطان الا فيما يحل ويحسن ، فسار الى الفرات في السماريات[١] ومنع القرامطة من العبور ومن ورود الماء ؛ فضاق صدر أبي طاهر من تأخرهم عنه ، فرحل عن مؤنس ورجع الى الفرات ، وصاعد نحو الرقة يقتل وينهب من ظفر به ، وقد ظن بعض الناس أنه كان يتوقع من بالمغرب[٢] من القرامطة أن يوافيه لوعد بينهم ، فما جاءه أحد ، فرجع الى الأحساء ، وكذبت أخباره تلك كلها ، وكانت لهم من الفضائح ما لايكاد يحصى .

وكان أصحابه ومن بالكوفة وسوادها له على أحسن طاعة . لايشكون أنه ولي الله وحجة الله ، فلما رجع بتلك الخيبة ، وقد كذبت أخباره وأقاويله ، أخذ خواصه يلقون الى من معه من البوادي اذا قالوا لهم : قتلنا عيالنا ، واقتسمنا قصور بغداد ، ثم رجعنا خائبين ، وقد قتل ابن أبي الساج صناديدنا وعيون من بقي منا ، فيقولون مرة : لهذا القول وهذه المواعيد باطن . ومرة يقولون : ان في كتب الحدثان والملاحم أنا نرجع ، ومرة يقولون : سرنا بأمر ، وأمثال هذا من الحيل والمخاريق .

/ ثم سار من البحرين الى مكة ، فوصل اليها في عشر ذي الحجة ، وبها الحجاج من أهل الدنيا كلها ، والإسلام أكثر ما كان . فمنعه من بمكة من الحجاج وغيرهم من دخولها ، ونقلوا صناديق البيت الى ناحية دار ابن داوود وحاربوه أياماً ، فلما لم يطقهم ، أظهر أنه جاء حاجا ومتقرباً الى الله ،

---

(١) نوع من انواع السفن .

(٢) اي من في الشام فكل بلد وقع غربي الفرات مغرب .

وأنه لايحل لهم ان يمنعوه من بيت الله ، وانه اخوهم في الإسلام ، واظهروا أنهم محرمون ، ونادوا بالتلبية ، واستدعى من قريش من أهـــل مكة من راسلهم بها ، هو أبو الامام بها والقاضي في يومنا هذا ، فقــــالوا : كيف تكون حاجاً وأنت في عشية وورودك الحرم قد قتلت المسلمين ؟ فقال : هذا كان بغير أمري ولا رضاي ، وقد يكون مثل هذا من الأتباع ، ومن معرة العساكر ، ووجه اليه بخاتمه وسوطه ليؤمنهم ، وحلف لهذا القرشي بالأيمان الغليظة أنه قد أمنهم على دمائهم وأموالهم وحرمهم ، وأنه لايؤذى أحداً منهم وأنه ماجاء إلا ليحج ، إلا أصحاب الجند والسلطان فإنه لايؤمنهم وقال : أنا لا أغدر ولا أغر من نفسي ، ولو أردت ذلك لأمنت أصحاب السلطان ثم غدرت بهم ، لكن لا أؤمنهم ، لأنهم يشربون الخمر ، ويلبسون الحرير ، ويعينون السلطان الذى يحجب عنه الرعية ، ويظلم اليتيم والأرملة ، ويشرب الخمر . ويسمع القيان . فازداد الناس به اغتراراً ، وقبلوا أمانه ، وأفرجوا له حتى دخل ، ووضعوا السلاح .

فلما دخل وتمكن وسكن النــــاس ، وثب بهم أغرّ ما كانوا ، وقال لأصحابه ضعوا السيف واقتلوا كل من لقيتم ، ولا تشتغلوا إلا بالقتل ، فلم يزل كذلك ثلاثة أيام ، ولاذ المسلمون بالبيت وتعلقوا بأستار الكعبة ، فما نفعهم ذلك وقتلوهم في المسجد الحرام وفي البيت ، وما زالوا يقتلونهم ويقولون لهم : « ومن دخله كان آمناً »(١) أفآمنون أنتم يا حمير ، أما ترون كذب صاحبكم ، وأمروا من يصعد لقلع الميزاب ، فصعد وهو يقول مستهزئاً : / هو في السماء وبيته في الأرض ، وسلب البيت وقلع الحجر الأسود ، وأبو حفص عمر بن زرقان صهر أبي سعيد واقف حذاء البيت والسيف يأخذ

---

(١) آل عمران : ٩٧ .

الناس ، وهو على فرسه يضحك ويتلو : « لإيلاف قريش » حتى [وصل][1] إلى قوله : « وآمنهم من خوف » قال : ما آمنهم من خوفنا ، ظهر الباطن يا أهل مكة ، حجوا إلى البحرين ، وهاجروا الى الأحساء من قبل ان نطمس وجوهاً ، فنردها على أدبارها .

ثم أمر أصحابه بالنهب ، فجمع شيئاً عظيماً من العـين [2] والورق والجوهر والطيب ، ومن متـاع مصر واليمن والعراق وخراسان وفارس وبلدان الاسلام كلها ، وحمل مقدار مائة الف جمل وأحرق الباقي . وسبى من العلويات والهاشميات وسائر الناس نحو عشرين الف رأس ، وسار الى الأحساء ، فكانت حادثة في الاسلام لم يكن مثلها قط ، وأحصوا القتلى عند الدفن فكانوا عشرين الف وثمانمائة ، ولعلك تستكثر مائة الف جمل لما ترى في زمانك من سوء حال الاسلام المسلمين . واذا تأملت الحال في ذلك الزمان استقللتها ، فان الاسلام إذ ذاك قد كان من السعة ما كان، مستولياً على الدنيا إلا القليل ، وكان يسار أهله على حال عظيمة ، وإذا تصورته استقللت ذلك ، وإذا تأملت خراسان وحدها ، والمسلمون يصلون من نواحي الصين ، ثم من نواحي الهند ، وكابل ثم عُمان ، وشحر عُمـان [3] ، ثم اليمن وجزيرة العرب وهي اوسع من بلاد الروم ، ثم المغرب من الأنـدلس والقيروان ، والمغرب تشبه لكثرة رجالها وجمالها وبلدانهـا بخراسان . وأما أذربيجان فتشبه من السعة بما يقارب فارس او العراق . وإنما ذكرت ذلك لأننا أردنا ألا نخلي مانقوله من حجة ، وإن كان الناس قد ذكروه .

---

(١) زيد مابين الحاصرتين كما يستقيم السياق.

(٢) العين : الذهب ، والورق : الفضة .

(٣) الشحر : الشط ، خاصة الضيق منه ـ معجم البلدان .

فلما صار أبو طاهر الى البحرين ، سلم الأمر إلى ذكيرة الأصفهاني المجوسي [١] وجمع الناس بالبحرين وقال : معشر الناس إنا كنا ندخل عليكم بحسب أهوائكم ، مرة بمحمد / ومرة بعلي ، ومرة باسماعيل بن جعفر ، ومرة بمحمد بن اسماعيل ، وبالمهدي . وهذا إلهنا وإلهكم ، وربنا وربكم ، يعني ذكيرة الأصفهاني ، فان عاقب فبحق ، وإن عفا فبفضل ، أظهروا اللعن على الكذابين : آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد معشر الأجمين يعني بالأجمين مسلمين وذمة [٢] ، وعرج على من كان عندهم بالبحرين من سواد الكوفة وأهل الكوفة . وقال : معشر الدعاة والخاصة ، اذكروا ماعندكم ، فذكروا معنى ماجرى بين عبد الله بن ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان وبين محمد بن الحسين بن جهار بختار المعروف ببندار [٣] من اعمال الحيلة على المسلمين والتستر بالتشيع والدعاء إلى المهدى ، فاذا وقع التمكن وصاروا في ملك وسيف أظهروا تكذيب الأنبياء وتعطيل الشرائع ، وقتلوا المسلمين ، مما هو مذكور في كتاب ابن زرام ، وكتاب عطية ، وغيرهما من العلماء [٤] .

---

(١) انظر أصول الاسماعيلية : ١٨٥-١٨٧ حيث عالج لويس هذه القضية ووازن بين مختلف الروايات حولها .

(٢) العبارة في الاصل غير واضحة ، لعل وجه الصواب ما أثبتناه ؟ .

(٣) كذا في الاصل ، وفي المصادر المتوفرة « محمد بن الحسين المعروف بدندان او بزيدان » انظر الفهرس لابن النديم ـ ط. طهران : ٢٣٨-٢٣٩ . أصول الاسماعيلية : ١٣٤-١٣٦ ، ١٥٧-١٦٠ .

(٤) ابن رزام هو أبو عبد الله ، عاش تخميناً في اوائل القرن الرابع للهجرة ، ولعل عطيه هو اخو محسن ، وهو علوي عاصر المعز لدين الله الفاطمي ، ونقل عن ابن رزام ، انظر الفهرس لابن النديم : ٢٣٨ . أصول الاسماعيلية : ٥٦-٥٩ .

فأخذهم ذكيرة بلعن الأنبياء جهاراً في الأسواق ، وتقدم باحراق المصاحف وبراءة الذمة ممن ترك عنده شيئاً من المصاحف او التوراة والانجيل وجمع هذا كله . وأمر بطرحه في الحشوش ، والاستنجاء به ، ونادى بنكاح الأمهات والبنات والأخوات وذوات المحارم ، وبإباحة اللواط ، وبأن تطعن البهائم في خواصرها الى أن تموت ثم تموت ، وبأشياء كثيرة يطول شرحها ، وهي مذكورة في كتب العلماء ، وقال لهم : تأهبوا فاني سائر الى العراق لاستئصال دين محمد وقتل أتباعه ، فقد انقضت دولته وقد أحييته ثلاث مرات واستتبته من اضلال النـــاس فما تاب . فالعنوه والعنوا الكذابين ـ يعني الأنبياء ـ فكانت الأصوات ترتفع بـذلك في الأسواق وقتـل بني زُرقان وبني سلهان ، ومن وجوه عسكره في مدة ثمانين يوماً سبعمائة رجل ، وأمرهم بأن يعرضوا عليه نساءهم من بيت أبي سعيد وغيره فعرضوهن فاختار منهن من أراد ؛ فكان فيمن اختار زينب بنت أبي سعيـد امرأة عمر بن زرقان وقد كان قتل زوجها ، وكان له منها ابن ، فأمر ذكيرة أبا طاهر بذبحه فأخذه أبو طاهر خاله فذبحه .

ثم بعد مدة ، قال أبو دلف لأم أبي طاهر : إن ذكيرة الأصبهـاني قد عزم على قتل ابنك وإخوتك ، وكان لأبي طاهر خمسة إخوة . وهم ولد أبي سعيد . فاتفق قتلهم له نهاراً . فماج القصر لذلك . فقال لهـم الحسن بن سُنبَر : أغلقوا باب القصر ، فأغلق ، وأشرف على الناس ، فقال : مالكم اجتمعتم ؟ قالوا : بلغنا أنكم قتلتم الإله ، قال : قد فعلنا ذاك ، قالوا له : ولم قتلتموه ، قال : مانريد أن نذكر لكم السبب في ذلك فأمسكوا ، وقال لهم ابن سنبر : إن شئتم أن تذهبوا فاذهبوا ، فمـــا نعرفكم السبب ، ثم قال لهم : ياقوم لاتفضحونا وأنفسكم ، ولاتشمتوا بنا

المسلمين وبكم ، وارجعوا عن جميع ماقاله لكم أبو طاهر إلى ماكنتم عليه وكنا من قبل ذلك ، من أنا أصحاب المهدي ؛ والدعاة إلى المهدي ، والمؤمنون والشيعة ، فإنه كنا نحدث أن ستكون للمؤمنين زلة ، وهي هذه ، فالله الله في أنفسنا وأنفسكم ، فما أدخلناكم في شيء إلا بعد أن دخلنا فيه . قالوا : نريد أن نراه إن كان مقتولاً ، وخافوا أن لاتكون حيلة من جملة حيلهم وكذبهم الذي كان لأبي طاهر ، ففتحوا الباب وأدخلوهم ، فرأوا ذكيرة مقتولاً ، وجاءت زينب بنت أبي سعيد امرأة ابن زرقان ، فشقت جوفه ، واستخرجت كبده فأكلتها ، وكانت فضيحة عظيمة ، فقال ابن سنبر لأبي طاهر : فرق المال في الرؤساء وأرضهم ، فإن هذه سقطة عظيمة سقطناها ، فوجه/أبو طاهر في الليل إلى الرؤساء وتلافاهم ، وخضع لهم ، ولم تكن عادته .

ثم إنه غزا بعد قتل ذكيرة ونهب ، وجاء إلى الكوفة ، فصار أصحابه لايمتثلون أمره كما كان ، وقد كانوا لايخالفونه في شيء البتة ، وكان أي شيء نهبوه أو غنموه يسلموه اليه ولايخونونه في شيء منه ، لأنه حجة الله ، وأن المال يجبيه للمهدي ، فصار بعد قصة ذكيرة لايعطونه ماينهبونه ، وصاروا يشربون ، ويسمعون القيان ، ويطلبون المواخير ، وإذا جاءهم العرفاء ، وقالوا لهم : هاتوا ماغنمتم ، لم يعطوهم ، وإذا قالوا لهم : السيد يأمركم بكذا ، قالوا : ناك السيد أمه ، وفي است أم السيد فرحل بهم راجعاً إلى البحرين ، فقال العويمل العقيلي وغيره لبني عمهم[1] :

---

(١) يلاحظ أن قرامطة البحرين وسواهم اعتمدوا على القبائل العربية ، وكان لحركاتهم الاثر الكبير في هجرة العديد من القبائل الى الشام والعراق والجزيرة ، وكانت قبائل عامر ابن صعصعة من كلاب وعقيل ونمير وقشير على رأس القبائل المهاجرة . ولاشك ان طباع القبائل ومفاهيمها كان بعيد الأثر على خطط القرامطه .

ياويحكم ، اعتزلوا هذا الكذاب بن الكذاب فإنه يصير بكم إلى البحرين ويسترهن عيالاتكم ، ويطالبكم بما غنمتم ، ويأخذه منكم ويستعبدكم ، فبلغه قوله ، فأخذه وقيده ، ورجع إلى الأحساء ، فقتل من أصحابه وثقاته نحو أربعمائة ، وأقام بالأحساء وقال : قد نهيت عن الغزو ، وأمرت بعمارة الأحساء ، فأخذ المسلمين الذين أسرهم واستبعدهم بالعمارة ، وأقام مدة ، ثم غزا وأقام ناحية من الكوفة ، ووكل بالعسكر من يراعيه لئلا يدخل اليه غريب ، وطمع أن يعود أصحابه كما كانوا ، فما فعلوا ، ودخل على أهل السواد من الكوفة ، ومن كان يلتجيء اليه من المتشيعين من الحزن والفضيحة ، وشماتة الأعداء ما قتلهم حزناً .

وكان مثل عيسى بن موسى ختن عيدان وأصحابه وأمثاله ، يعاتبون أبا طاهر وأصحابه بينهم سراً ، فيقول لهم : ما الحيلة ، ما اخترنا هذا لأنفسنا ، وقولوا لنا من كان من أهل هذه الدعوة لم تكن له سقطة وفضيحة .

ألم يفتضح المنصور بن حوشب / بعدن لاعة ، ألم يفتضح علي بن الفضل بجيشان [1] ، ألم يفتضح سعيد [2] بسجلماسة ، حتى شيخ المشائخ أبو موسى هرون وهو شيخ الشيعة [3] ، قال لسعيد في وجهه : ويلك ، أنت الناوي لا المهدي ، تزني ، وتلوط ، وتشرب الخمر ، وتكذب ، وتغدر ،

---

(١) سنأتي على ذكرهما في النصوص المقبلة .

(٢) يريد به المهدي عبد الله أول خلفاء الفاطميين .

(٣) المشهور أن هذه الحادثة وقعت للمعز لدين الله ، بعد انتقاله الى مصر ، ثم إن الحديث عن شيخ مشايخ للشيعة في المغرب هو ضرب من الوهم . انظر نهاية الارب للنويري قسم اخبار الخلافة الفاطمية نسخة مصورة لدي : ٤٣ . أخبار الدول المنقطعة لعلي بن ظاهر الأزدي ـ نسخة مصورة لدي : ٤٨ .

وتسفك الدم ، ويلك ، أي شيء أنت ، وابن من أنت ؟ قال : قـــد قال لكم أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الكوفي (١) الداعية أني أنا المهدي ، فجاءوا بأبي عبد الله ، فقالوا له : هذا هـو المهـدي ؟ فقال : لا ، فقال له سعيد : ألم تقل لأهل العسكر بسجلماسة : هـذا هو المهدي الذي كنت أدعو اليه ، فأقبل أبو عبـد الله على أبي موسى والجماعة فقال : ياهؤلاء غلطت كما يغلط الناس ، أنا رجل من أهـــل الكوفة من الشيعة ، وكنا نذهب إلى إمامة موسى بن جعفر وولده ، فرجع ابن حوشب ورجعنا لما مات الحسن العسكري (٢) ، ووقع علينـا من دعانا إلى إمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر ، ولقيت الامام من قبل محمد بن إسماعيل بالكوفة ، وودعته وخرجت إلى ابن حوشب باليمـن ، وبين يدي الامام بالكوفة غلامان ، فقال لي حين ودعته : يا أبا عبـد الله ، هذان إماماك ، فمن دعاك منها فأجبه ، فخرجت إلى اليمن ، ومنها إلى مكة ، ومنها اليكم إلى المغرب .

وبلغنا أن الامام قد مات وخلفه ولده ، وكانت الكتب تأتيني من هذين ، وفيها بعض العلامات التي كانت بيني وبين الامام ، فظننته المهدي وماهو بالمهدي ، ولكنه رجل سوء ، كـذاب ، شرير ، عـدو الله ، وعدو رسوله ، وعدو أهل بيته ، وعدو الشيعة ، وعـدو المهـدي ، فوافق سعيد أبا عبد الله على غدراته وأكاذيبه وماكان له في كتامة ،

---

(١) كذا وهو مشهور بالصنعاني اكثر من الكوفي . انظر رسالة افتتاح الدعوة ط. بيروت : ٥٩-٦٣ . عيون الاخبار للداعي ادريس : ٥/٤٤-٤٦ . اتعاظ الحنفا : ١/٥٥ .

(٢) الامام الحادي عشر لدى الشيعة الامامية الاثنا عشرية وكانت وفاته سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م .

وتشاتما وانفرد سعيد ومعه الأموال ، وأعمل الحيلة . وقتل أبا عبد الله/ وشيخ المشائخ .

وقام أبو العباس زكريا محمد بن أحمد بن زكريا أخو أبي عبد الله ، وكان أجل منه وأخص بسعيد وأعلم بالدعوة ، فنادى على سعيد بأنه كذاب عدو لرسول الله ﷺ وأهل بيته ، وواقفه وتشاتما ، ومازال ينادي عليه برقادة وأرض المغرب إلى أن دس عليه من قتله .

وقام أبو زاكي تمام بن معارك[١] ، وكان أخص الناس بسعيد وأوثقهم عنده ووجهاً في الشيعة ، فما زال ينادي : احذروا هذا المشرقي الكذاب فإنه لادين له إلى أن بذل سعيد الأموال في العبيد والجهال إلى أن قتل أبا زاكي وأصحابه .

أو ليس حين مات سعيد وقام ابنه[٢] قد رجع عنه خاصته ، وقالوا هذا أكفر من أبيه ، أو ليس قد أظهروا بأرض المغرب شتم نبي العرب وأصحابه فقالوا : العنوا النار ومن حوله ، العنوا عائشة وبعلها ، ولعنوا جميع الأنبياء وأظهروا الباطن كله ، وبعثوا الدعاة ، فدعوا إلى سعيد أنه إله حق ، وأنه خالق رازق ، وأنه هو الذي فتق ورتق وأمات وأحيا ونكحوا البنات ، حتى كان مثل أبي الأسود وأبو طلحة من الدعاة قد نكحوا بناتهم ؛ حتى ذهبت الشيعة إلى أبي يزيد مخلد بن كيداد ، وهو

---

(١) كذا وهو يتعارض مع الروايات المتداولة من اسماعيلية وغير اسماعيلية . انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٢٥٩ - ٢٦٠ . عيون الاخبار : ١١٦/٥ - ١٢٤ اتعاظ الحنفا: ١ / ٦٧ - ٧٠ .

(٢) المقصود هنا القائم ، انظر ماسلف وذكرناه عن العلاقة بين القائم والمهدي .

ss

من الشراة [١] وشكوا اليه ذهاب الإسلام بهؤلاء المشارقة [٢] ، وقالوا : هذا وإن كان من الشراة فليس ينكر الربوبية ولايكذب الرسل ولايلعن الأنبياء ومعه حفظ الأموال ، فساروا معه إلى ابن سعيد بعد موت أبيه فأنفذ إليه ابن سعيد عسكراً بعد عسكر ، فما زال يهزمهم إلى أن وافى باب المهدية فأغلق بابه دونه ، فأخذ الحلقة بيده وهو شيخ كبير لايمكنه لعجزه وكبره أن يركب فرساً ، فكان يركب حماراً [٣] ، فحاصر ابن سعيد في المهدية مع عساكره فمات في حصاره/فرقاً منه .

وقام اسماعيل ابنه من بعده ، وحاصرهم صاحب الحمار حتى أكلوا براذينهم ، وحتى ذلوا له وخضعوا ، وقد دوخهم خمس سنين ، واستولى مع عجزه وضعفه على أكثر ممالكهم ، إلى أن تمت حيلته عليه .

وأعان أبو الحسين بن عمار اسماعيل [٤] ـ القائم الثالث منهم ـ على أبي يزيد حتى ظهر عليه ، فلما خرج أظهر اسماعيل الرجوع إلى الاسلام وقتل الدعاة ، ونفى بعضهم إلى أرض الأندلس وغيرها . فقال للعامة : من سمعتموه يلعن الأنبياء فاقتلوه وأنا من ورائكم ، وأذن للفقهاء والمحدثين ، وخضع للعامة ، وزعم أن الذي كان من الدعوة ومن النائحة [٥] والمنشدين كان بغير علم أبي ولاعلم جدي ، وخفف الخراج ، وأظهر الشغل بالفقه .

---

(١) من أسماء الخوارج ، وسبق أن ذكرنا انه كان من أباضية إفريقية النكاريين .

(٢) عرف أبو عبيد الله الداعي ، والمهدي وآله ومن انضم الى الفاطميين من المشرق باسم المشارقة .

(٣) كذا وفيه مافيه .

(٤) كذا في الاصل ، وعرف اسماعيل بلقب المنصور وهو ابن القائم .

(٥) النوح والانشاد يتم في مناسبات شيعية كثيرة مثل ذكري كربلاء وسواها ، هذا وفي رواية القاضي عما كان من المنصور ما لايمكن تصديقه . انظر اصول الاسماعيلية : ١٨٤

فسقطات غيرنا من أهل هذه الدعوة أكثر من سقطاتنا ، أم تظنون أنا بالبحرين لانعرف أخبار إخواننا وأهل دعوتنا بالمغرب واليمن والعراق ، فكانوا يحتجون بمثل هذا على من عذلهم من إخوانهم في إظهار الباطن ، وكان الدعاة مثل أبي القاسم عيسى بن موسى ، وأبي مسلم بن حماد الموصلي وأبي بكر أخيه ، وأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي الكلابي [١] وغيرهم يحدثون أسفاً وحسرة بما أتاه أبو طاهر من كشف الدعوة ، حتى سقطت هيبته واستخفت العرب به بعد ذلك التعظيم ، وحتى كان أبو طالب بن عيسى بن موسى وأمثاله يقولون إذا ذكروا هتيكة أبي طاهر : لعنك الله ويلك ، لم سلمت الأمر إلى ذكيرة الأصبهاني . ويلك ، ألا مضيت على غرتك - وقد ظن الناس أنك المهدى ، وفيهم من ظن أنك فوق المهدي ، ويلك - إلى بخارى قدماً ماردك أحد . لعنك الله ، وصلى الله عليك يامحمد .

لايلعنون أبا طاهر براءة منه ، ولا/يصلون على النبي ﷺ موالاة له وتصديقاً بنبوته ، ولكن يذهبون إلى أنه وإن كان كذاباً محتالاً مثل أبي طاهر والذين بالمغرب - وحاشاه ﷺ من قولهم - فما افتضح مثل فضائحهم ، ولقد رجع أبو الغيث العجلي عنهم ، وكان نابأ من أنيابهم ، ومطاعاً في عشيرته ، وكانوا نحو ثلاثين ألفاً ، وكتب في ذلك كتاباً بين فيه أنه تموه أمرهم عليه ، وظنهم شيعة وأصحاب المهدي ؛ ورجع غيره من رؤسائهم ممن قد ذكره ابن رزام من المراتب الخمس ، وفي الكتاب الكبير ، وذكرهم غيره .

---

(١) توفي حوالي سنة ٣٢٢ هـ » وهو صاحب كتاب الزينة ، منشور .

ولقد بلغ الأمر بأبي طاهر أنه كان بعد ذكيرة يغير على الحاج، وعلى بلدان المسلمين، ثم يجهد بالعرب أن يعطوه شيئاً مما يأخذونه، كما كانوا يفعلون من قبل، ويقول: هذا مال المهدي، فإن لم تعطونا كله، كما كنتم، فهاتوا بعضه، فيقولون له: أتأمنا إن أعطيناك مغانمنا وقد عرفناك؟ فلما رأى استخفافهم به، بعد الكرامة، قال: لاوجه لما أنا فيه، أقتل المسلمين وأنهبهم ويذهب هؤلاء بالمال، فجاء إلى الكوفة، وآمن الناس، ووجه الى الراضي بعد المقتدر وبعد القاهر، [1] وكان هذا الراضي من الضعف وحجر بجكم والأعاجم عليه على حال قبيحة [2]، وقد تفرقت الجنود عنه، وأخذت الأموال منه؛ فوجه اليه يطلب منه مالاً يعطيه ليخدمه ويبذرق الحاج [3]، ففعل الراضي ذلك، وأعطاه مالاً معلوماً وقال أبو طاهر هذا أربح لي، آخذ هذا المال وأعطي بعض اصحابي وأعواني وأفوز ببعض. وكان العقلاء يعجبون ويعتبرون، ويقولون عظم أمر أبي طاهر حتى ادعى قوم أنه إله، وادعى آخرون له أنه نبي، وادعي قوم أنه المهدي، واقل ما ادعي له أنه ثقة المهدي، وسيف المهدي، واستقلوا له ملك الأرض، وماشك الشيعة أنه يملكها، وأظهروا / الروايات له بذلك، وأنه مذكور في اللاحم، وفي كتاب الحدثان وأنه حجة الله وصاحب حجة الله والمهدي المنتظر الذي يملك الأرض كلها، وطمع في ذلك أشد الطمع، وكان السلطان في زمانه مقصراً لايعرف من التدبير قليلاً ولا كثيراً، وقد

---

(١) بويع للراضي بالخلافة بعد خلع القاهر في ٥ جمادى الاول سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م ولم يزل خليفة الى أن توفي في ربيع الاول سنة ٣٢٩ هـ/ ٩٤٠ م.

(٢) بجكم الديلمي من امراء الجند أيام الراضي، ومن كبار الذين تحكموا بالخلفاء.

(٣) البذرقة: فارسي معرب، بمعنى الخفارة، يقال: بعث السلطان بذرقة مع القافلة - اللسان.

قلد الخلافة وله اثنتا عشرة سنة مختلياً بالنساء ؛ كتابه وعماله وخاصته تغلب عليهم التشيع يظنون أبا طاهر من الشيعة ؛ فكانوا أعوانه على السلطان فخذله الله حتى صنع مع ذكيرة ماصنع ففضحه الله بلسانه ، ثم عاد فقتل ذكيرة ورجع عما كان عليه ، ثم لم يزل خذلان الله به حتى جاء الى الراضي وتلك حاله يطلب بذرقة الحاج منه ، وسأله أن يستخدمه في ذلك ، وضمن كل ما يجري على الحاج ، وخرج اليه الى الكوفة ابن مقاتل[1] صاحب ابن رائق[2] ووافقه على بذرقة الحاج بعد ان وبخه على ما كان منه ، فأنكر أن يكون ماجرى باختياره ، وأن البوادي كانت تفتات عليه ولا تعطيه ، وان السلطان قصر في أمره ، وقد كان ينبغي له أن يعرف مكانه ويعطيه مايرضي البوادي ، ويستخدمه ويجمله أحد سنائه ، فقال الحجاج: لانسير معه ولا نثق به ولا كرامة له . فأقام السلطان أبا علي عمر بن يحيى العلوي أميراً عليهم ، يسير أبو طاهر مع أصحابه بسيره وينزل بنزوله ، ولا يكون له على أحد من الحاج امر ولا نهي . واذا تصورت حال أبي طاهر وكيف كانت والى أي شيء صارت ، حتى يرغب الى الراضي – وهو اول من زالت دولة بني العباس عن يده ، واخذت الأموال منه ، واجرى له مقدار الكفاية ، وزال أمره عن تدبير الجند وعن الولايات ، وهو أول من حجر عليه منهم – في أن يستخدمه في بذرقة الحاج بشيء يعطيه ، علمت ان ذلك

---

(١) هو محمد بن علي بن مقاتل ، وقد أعطى القرامطة المـال سنة ٣٢٧ . انظر أخبار الراضي من اوراق الصولي : ١١٩ .

(٢) هو محمد بن رائق ، أبو بكر ، ولاه الراضي إمرة الأمراء والخراج سنة ٣٢٤هـ وتوجه الى الشام فحارب الاخشيديين ثم عاد الى بغداد فشارك في الصراع السياسي ، ثم اضطر الى الهرب فالتجأ الى ناصر الدولة الحمداني صاحب الموصل ، وقد قام ناصر الدولة بقتله غيلة . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٦٠ .

ss

آية من آيات الله العظام ، فقد / كان أثخن في الاسلام ، وأخرب منازل الحاج ، وقد كانت في الأمن والعمارة كالأسواق القائمة ، ولعل قتلاه أكثر من قتلى بابك[١] وصاحب الزنج[٢] ، وكانت هيبته قد ملأت القلوب حتى كتب ملك الروم الى السلطان كتاباً يظهر له الشماتة بأن أبا طاهر القرمطي قد أبادكم وأفناكم وشغلكم عن غزونا وأراحنا منكم ، وقصد بيت عبادتكم فقتل زواره ومن يعظمه ، وأنزل بدينكم كل هوان ، وكان العامة ومن ليس هو من الدعوة إذا سألوا اصحاب أبي طاهر عما أتاه في باب ذكيرة لايجيبون بل يقولون إنما سلم الأمر اليه ليمكر به ولينظر ماعنده ، وصبر عليه وعلى ما أتاه ليعرف آخر أمره ، فكان لتسليمه باطن غير ما ظهر للناس ، وهذا أعجب مايكون من فضائح المبطلين وبهتهم . وهذا ما لايعجز عن إدعائه أحد ، فانهم قد افتضحوا وتقطعوا ندماً ، وانصرفت عنهم عقيل لهذه الفضائح ، وهانوا على جندهم بعد الكرامة ، وسقطت أقدارهم البتة ، ثم يبهتون هذا البهت .

وهذا كقولهم لو قالوا : ان خادم العباس بن عمرو الغنوي ماوثقنا به ولاسكنا اليه ولا وثق به أبو سعيد ، ولا ائتمنه ولا سكن اليه وإنما تركناه وقتل أبي سعيد وتلك الجماعة الذين قتلهم في الحمام لننظر ماعنده وليظهر آخر آمره[٣] على علم منا بما سيأتيه ويفعله ، وأن ما أتاه الأصفر[٤] من

---

(١) بابك الخرمي ، خرج في أواخر عهد المأمون وقضي على حركته في أيام المعتصم . انظر تاريخ العرب والاسلام : ٣٠٨ - ٣١٠ .

(٢) من أجل ثورة صاحب الزنج انظر تاريخ العرب والاسلام : ٣٠٨ - ٣١٠ .

(٣) في هذا إشارة الى احدى الروايات عن مقتل أبي سعيد الجنابي . انظر أيضاً الكامل لابن الأثير : ٦/١٧٤ - حوادث سنة ٣٠١ هـ .

(٤) سلفت الاشارة الى أن الاصفر كان من زعماء المنتفق وقد حادر القرامطة سنة ٣٧٨ هـ ، وجدير بالملاحظة أن الأصفر نعت وليس باسم ، والمنعوت بهذا الاسم هو نوع من أنواع المهديين في الاسلام .

قتل رجالنا ومنعنا من التصرف في البلاد والخروج لأخذ ضريبة الحاج وحصاره إيانا في الأحساء ليس عن عجز منا ولا لجهل منا بما كان منه قبل أن يكون وإنما تركناه على علم وقدرة ليظهر كل ماعنده ولكل أمر باطن .

/ أو كمن قال : إن الأصفر لم يصنع بهم هذا الصنيع عداوة لهم ، فكذا ماصنعه ابن أبي الساج ، وإنما أراد الأصفر ان يمتحنهم بذلك ، ولهذا باطن وهذا خلق لأهل الدعوة حيث كانوا من مشرق الأرض ومغربها ، فإنهم متى افتضحوا ومتى بان كذبهم قالوا : لهذا باطن .

فقد كان سعيد أنفذ الجيوش في سنة اثنتين وثلاثمائة الى مصر وقال: تفتحونها وأنا في إثركم ، وكانت خالية ليس فيها الا القاسم بن الاخشيد الفرغاني في سبعة آلاف ، وعسكر ابن سعيد الذي ورد به الى مصر في نحو مائتي الف ، فهزمهم القاسم وردهم ، فرجعوا في سنة سبع وثلاثمائة في ثلاثمائة الف . وقال : تفتحونها ، فرجعوا منهزمين وكان ابن سعيد رئيس الجند ، وغزويه بن يوسف الكبير المدبر ، وهو يعجب من رجوعهم وقد قال تفتحون فقال: لهذا القول باطن فأخذ ابن يوسف هذا وقتله[١] .

وقد كان الرابع منهم لما ملك مصر والشام قال : الآن أملك الدنيا كلها وكان له برذون أشهب يقال له عين الفضة ، فقال : على هذا أدخل قسطنطينية وقال : انا لاأعطي اهل الأحساء عن الحاج ضريبة ، كما كان كافور الخصي الأسود قبلي يعطيهم ، فان خالفوني وجهت بكتامة فشدوا براذينهم على ابوابهم بالأحساء ، وساوم صاحبه وصاحب جيشه في ثياب بياض ، ثم قال : وهذه تجلب من نيسابور ، والى هناك نصير ، فنشتريه من معدنه ، فجاءه ولد أبي سعيد[٢] ، وأخذوا الرايات السود من بغداد ، وعليها الامام المطيع لله أمير

---

(١) انظر اتعاظ الحنفا : ١/٦٩ .

(٢) أي الحسن الأعصم وأصحابه، وقد سلف ذكره وسيلي كثيراً .

SS

المؤمنين ، وكانوا في جيش قليل ، وأخذوا الشام منه ، وقتلوا ابن فلاح صاحبه [١] ، وقالوا له : ماتحتاج أن تنفذ / بكتامة الى الأحساء فقد جئناك ، فراسلهم وداراهم ، وقال لهم : لم رضيتم لأنفسكم ان تسيروا تحت الرايات السود وتقيموا الدعوة لبني العباس ؟ قالوا له : قد كان ينبغي ألا تمخرق علينا ولا تتكلم فينا ، ونحن نعرفك ونعرف أباءك ، فما زال يراسلهم ويتضرع اليهم ويقول : الدعوة واحدة وهذا البيت وبيت أبي سعيد سواء ، فساروا اليه الى مصر وضيقوا عليه ، فخندق على نفسه وبذل الأموال ، وبذل المال للبوادي ، فأخذوا سوادهم وانهزموا من باب مصر ، وأسر ابن المنجا [٢] وجماعة منهم ، فأكرمهم وصانهم وخلع عليهم وردهم الى الأحساء وأعطاهم أكثر مما كان يعطيهم كافور ، وقتل من كان في عسكرهم من السوقة والباعة وهم الوف كثيرة ، وقال لولد أبي سعيد: أنا مامنعتكم إنما منعكم هذا العبد جوهر ، وتقرب اليهم ، وذكرهم أن الدعوة واحدة وما ينبغي أن نختلف فيشمت بنا المسلمون ، ومازال هو ومن بعده يحمل اليهم المال الكثير ، والبر الكثير الى ان حاصرهم الأصفر ومنعهم ، ووافى ملك الروم لعنه الله فنزل الشام [٣] .

واتفق موت البرذون عين الفتنة ، ونما الخبر الى ابن الزيات [٤] وهو

---

(١) أي جعفر بن فلاح ، وقد سلف حديث مقتله .

(٢) من أعوان الأعصم المقربين .

(٣) في هذا اشارة الى حملة الامبراطور البيزنطي يوحنا تزيكس (ابن الشمشقيق) على الشام سنة ٣٦٣هـ ، والتي وصل بها الى أحواز دمشق . انظر ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي : ١٢ - ١٣ .

(٤) أبو بكر بن الزيات زعيم مدينة طرسوس الثغرية ، وقد صالح الامبراطور البيزنطي وسار معه الى الشام . ابن القلانسي : ١٢ .

بالشام فكتب اليه : قلت إنك تدخل القسطنطينية على عين الفضة ، وقد مات وبينك وبين القسطنطينية مسيرة ستة أشهر ، وملك الروم فقد نزل بالشام وبينك وبينه مسيرة عشرين يوماً ، وقد قرب الأمر عليك فالحق ، فترك الجواب عن هذا وكتب الى ابن الزيات : أنت رجل فاضل كامل ، أضعتك وأسأت اليك ، وأنكرت فضلك ، وما أدري كيف أعتذر اليك ، وأنا من أحوج الناس اليك ، وما هذا / سبيله من الملاطفة . وإذا طالبت خاصته والدعاة له بتلك الأقوال وبينت لهم كذبها وخلفها قالوا : تلك الأقوال لها باطن .

وعند الخامس [١] منهم من أهل خوارزم والمولتان [٢] وغيرهما زوار كثير قد جاءوا بالأموال والهدايا ، وهم محجور عليهم وموكل بهم ، ومع هذا فقد تبلغهم ماهناك من الفواحش والإباحات ، فربما استفهم الواحد بعد الواحد من هؤلاء الزوار ، فيقال له : لهذا باطن ، وربما قيل لبعضهم : إنما يفعل هذا مولاكم عمداً ليريكم ويمتحن صبركم ، فأمسكوا ولاتتكلموا ثم لايؤذن بالرجوع لأهل الفطنة منهم .

وقد كان سعيد وهو بالمغرب ، قد جعل الرصد على من يرد ويصدر بباب البلد فيعرف أخبارهم ، فمن كان من الرسل والدعاة الذين يريدهم فلا يدخلهم إلا ليلاً ملثمين في هوادج وإن كانوا جماعة ، فرق بينهم ، وأنزلهم ووكل بهم ثقاته ، وأخرجهم كذلك ، لئلا يقفوا على شيء من أمره ، ويدس اليهم من يحدثهم من أخباره بما يرد ، ويبرهم ويصلهم ويخلفهم ويخرجهم في الاستخفاء كما دخلوا ، ويردهم إلى النسفي وأبي حاتم الرازي وابن حماد [٣] ، فتأمل حال هؤلاء وهم في الأطراف ، وقد تستروا

---

(١) أي العزيز حكم مابين : ٣٦٥هـ/ ٩٧٥ م - ٣٨٦/ ٩٩٦ .

(٢) المولتان بلد في بلاد الهند على سمت غزنة - معجم البلدان .

(٣) انظرهم في الفهرس لابن النديم : ٢٤٠-٢٤١ .

بدين الإسلام وأقاموا المؤذنين ، فكل من يستدعونه في أول أمره يقولون له : لسنا كالإمامية أصحاب موسى بن جعفر الذين يقولون : الصلاة إحدى وخمسين ركعة ، الذي يجب عليك عافاك الله ثلاث وسبعون ركعة في في اليوم والليلة . وتؤدي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتؤدي الأمانه ، وتحصن فرجك ، وماتحل لك المتعة كما تحله الرافضة ، وتجتنب الكذب والزنا والربا واللواط ، / ولاتشرب شيئاً من المنكر ، ومالك في شيء من هذا رخصة البتة ، وإذا كان عند الداعية أحد من المريدين ممن لايعرف حقيقة الدعوة يصلي الداعية بحذاءه الليل والنهار . ومع هذا فقد عرف أهل العلم حقيقة الدعوة فكيف بأمر النبوة وهو من الأمور المكشوفة . ولو أخذت تحصي فضائح هؤلاء في كل زمان مع هذا التحفظ لطال ، وينبغي أن تعنى بأمورهم ، فليس هاهنا من يطعن في النبوات سواهم كما قد تقدم لك ودعاتهم اليوم مثل جابر المنوفي ، وابن جبلة ، وابن الكميت ، والحسن بن محمد الميمذى [١] ، يقولون لمن قد بلغوا به أما ترون أتباع هذا الفاعل الصانع - يعنون رسول الله ﷺ - اليوم أربعمائة سنة ، قد أقاموا على شريعته مايفارقونها ، ماذا يرون فيها الخير ، وقد كدّهم بالصلاة والصوم والحج والجهاد ، أما يفطنون أما يفيقون [٢] .

والعجب ممن ذهب عنه ﷺ مع ظهور أعلامه وانكشاف براهينه ،

---

(١) لانملك في المصادر المتوفرة معلومات عن هؤلاء الدعاة ، ولإشارة القاضي لهم أهمية كبيرة بسبب المعاصرة .

(٢) يمكن أن نرى في هذا مقدمات ماحصل في أيام الحاكم بأمر الله من اعلان قيامة عظمى - أي الغاء الشرائع القائمة - لاستبدالها بديانة جديدة هي التي ستعرف باسم الدرزية . انظر الحاكم بأمر الله في كتابي مائة أوائل من تراثنا ص: ٤٦١.

ولو كان لهؤلاء فطنة ، ومعهم تدبر لكفتهم أنفسهم وأحوالهم في معرفة صدقه ، فانهم مع اعتصامهم به وتسترهم باقامة شريعتـه ، والانتساب إلى أهل بيته ، ومع الأيمان والمواثيق ، يفتضحون في كل طرفة عين ، وهو ﷺ قد جاء ذلك المجيء وأعداؤه منذ أربعمائة سنة يطلبون عثرة له وزلة فلايجدونها ، وهو كما يقال : قد كان ينبغي أن يكون أصحاب الطب من أخشى خلق الله وأعرفهم به لكثرة مايرون من الشدائد النازلة بالنـاس وبأنفسهم ثم قل مايغني طبهم عن أنفسهم وأعزتهم ، ولكـن قـد سبقوا إلى الاعتقادات الباطلة والتقليد للرجال ، فتركوا النظر ، وقلت عبرتهم فتبلدوا وتحيروا ، فتاهت عقولهم ، وماتت / فطنهم ، فنعوذ بالله من طول الغفلة وموت على غرة ، وقدوم على حسرة ...

[في ذكر كبار أئمة الشيعة في زمان صاحب الكتاب](*)

وفي هذا الزمان منهم مثل أبي جبلة إبراهيم بن غسان ، ومثل جابر المنوفي ، وأبي الفوارس الحسن بن محمد الميمذي وأبي الحسين أحمد بن غسان ابن الكميت ، وأبي محمد الطبرى ، وأبي الحسن الحلبي ، وأبي يتيم الرلباي وأبي القاسم النجاري ، وأبو الوفاء الديلمي ، وابن أبي الديس ، وخزيمة ، وأبي خزيمة ، وأبي عبد الله محمد بن النعمان ، فهؤلاء بمصر وبالرملة وبصور وبمكا ، وبعسقلان ، وبدمشق ، وببغداد ، وبجبل السماق . وكل هؤلاء بهذه النواحي يدعون التشيع ومحبة رسول الله ﷺ وأهل بيته ، فيبكون على فاطمة وعلى ابنها المحسّن الذي زعموا أن عمر قتله[1] ، ويذكرون لهم تبديل القرآن والفرائض ، ويذكرون ماقد تقدم ذكره ، ومادعواتهم في التشيع ومحبة الرسول ﷺ وأهل بيته وماقولهم : من أن خلافهم له وقتالهم إنما هو لعدوانه ﷺ وللشك في نبوته ، ويقيمون المنشدين والمناحات في ذلك ، ويأخذون على الناس العهود ، ويحلفونه بالأيمان.

(*) استعير هذا العنوان من حاشية الاصل .

(١) تذهب المصادر الشيعية ، خاصة الاسماعيلية منها ، الى أن فاطمة الزهراء كانت حاملاً حين استخلف أبي بكر ، وأنها حرضت زوجها على الامتناع عن البيعة ، لهذا جاء عمر ابن الخطاب مع عدد من أعوانه واقتحم بيتها ، وضربها مما سبب اجهاضها ، ثم كان ذلك سبباً لوفاتها ، وفي هذا يقول القاضي النعمان في الأرجوزة المختارة ط. مونتريال ـ ٧٩ :

فجاءهم عمر في جماعة	إذ لم يروا لمن أقام طاعه
حتى أتوا باب البتول فاطمة	وهي لهم قالية مصارمة
فوقفت عن دونه تعذلهم	فكسر الباب لهم أولهم
فاقتحموا حجابها فعولت	فضربوها بينهم فأسقطت

الغليظة ، فاذا حصلوا كذلك قالوا لهم : إياكم ومجالسة الفقهاء ، واستماع الحديث من أصحاب الحديث ، واستماع القرآن من العامة ، وعليكم برواية الخاصة ، فقد قال جعفر بن محمد كتابة : حديث العامة يعمي القلب ، واياكم وفقه أبي حنيفة ، ومالك ، والثوري ، والحسن البصري ، وأمثالهم فانهم كفرة وأعداء أهل البيت ، والرشد كله في خلافهم ، وإذا عمي على أحدكم الصواب فلينظر ما عليه الفقهاء ، فيعمل / بخلافه فانه يصيب الحق .

ثم يأخذونهم في مجلس يسمى مجلس التغذية بأن لكل شيء باطناً علمه عند مولاكم العزيز بالله ، يظهره لكم إذا ترقيتم الدرجات في طاعته ، ثم يأخذونهم بأن يقولوا لهم : لم صلاة الصبح يجهر بها والظهر لا يجهر فيها ، ولم خرصة سعفة النخلة طويلة ، وورقة الكرم مستديرة ، وورقة الموز طويلة عريضة ؟ فاذا سألوهم الجواب قالوا لهم : أنتم من غير المجربين ومن المبتدئين ، والمبتدىء كالطفل يغذى باللبن ، ثم بعد اللبن بما هو أقوى منه ، ويقولون لهم : أليس قد قال الله : « حرمت عليكم الميتة »[1] ونحن وأنتم لا نأكل لحم الذبيحة حتى تموت ، ولا نأكل السمك حتى يموت وإنما معنى هذا أن النبي ﷺ قد مات وحرام أن تقام شريعته ، وينبغي أن يمتثل أمر العزيز مولانا الذي هو حجة الله ، وهذا علم الخاصة ، ولكن الفقهاء الحمير وأهل الظاهر لا يعرفون هذا ، لذهابهم على إمامهم ولي الله وحجة الله على خلقه .

ويقولون لطائفة أخرى : ما عليكم صلاة ما دام في الدنيا لكم عدو يمنعكم من التمكن في الأرض ، فان الله يقول : « الذين إن مكناهم في

---

(١) المائدة : ٣ .

ss

الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »[١]
ويقولون لآخرين : الصلاة شخص ، والصلاة عذاب على أهل الظاهر ،
ويرقون بالناس بحسب طبقاتهم واحتمالهم للشك والحيرة ، وهذه مجالس
الترقية كما هو مذكور لهم ، ومرسوم في البلاغ السابع والناموس الأعظم
ثم يرقون بمن يثقون به : بأنه لايحرم عليه أمه ولا بنته ولا أخته ، ولاخمر
ولاخنزير ولازنا ولا لواط ولا ربا ، ولاشيء البتة ، وأنه لايحل لك أن
تمنع أخاك ، ومن هو مثلك في البلاغ السابع / والعلم الباطن من زوجتك
فانها تحل له كما تحل لك ، والاشتراك في الزوجات كالاشتراك في الطعام
والكريم هو الذي[٢] تنكح زوجته بحضرته كما يؤكل طعامه بحضرته [٣] ،
وقد قال افلاطن : الغيرة شح في الطبيعة.

فيقال لهؤلاء الدعاة : قد ادعيتم على رسول الله ﷺ وعلى إخوانه
من الأنبياء أنهم كذابون محتالون طلاب دنيا ورئاسة ، ونحن فقد ذكرنا
لكم مجيئه وسيرته وطرفاً من آياته وأعلامه ، وأن أهل الأرض بأسرهم
قد خاصموه وطلبوا عثرة تكون له فما وجدوا ، ولو كان كما قد ادعيتم
لكانت سبيله سبيل أئمتكم ، فقد علمتم حال سعيد ، [٤] الذي زعم أنه
ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان بن

---

(١) الحج : ٤١ .

(٢) جاء في الأصل بعد كلمة الذي « هو » وقد حذفناها لأنها زائدة .

(٣) وصلنا عدد لابأس به من كتب التأويل وعلم الباطن ، فيها نذر يسير مما ذكره القاضي عبد الجبار هنا ، لكن قطعاً ليس فيها ماقاله من شتائم وحملات على النبي كما أنها خلوة من أمور تحليل الزوجات والاصول وغير ذلك ، مما لاشك فيه أنها تهم باطلة ، حمل القاضي على قولها شدة تعصبه ، فالتعصب يلغي العقل ، ويزيل المنطق ، ويعمي البصر والبصيرة . . .

(٤) جاء في حاشية الاصل : « ابتداء ظهور الفاطميين في المغرب بدعوى التشيع ».

SS

سعيد الغضبان الخرمي ، وأبو القاسم بن الأبيض العلوي ، وغيره من أهل هذه الدعوة يزعمون ان سعيداً هذا ليس هو ابن الحسين ، وإنما هو ابن امرأة الحسين هذا ، وأبوه يهودي حداد من أهل سلمية من أرض الشام وأن الحسين لما تزوج بأمه حظيت عنده ، فأحب ولدها سعيداً هذا ، وإنما رغب فيها لفرط جمالها وكمالها .

وكان سعيد ابنها هذا يشبهها في الجمال ، وكان له ذكاء وفطنة ، فتولى الحسين زوج أمه تربيته وتعليمه ، وتخريجه على مايحب ويختار ، فقبل منه وأخذ عنه ؛ فعرفه حال هذه الدعوة ورجالها وأسرارها ودعاتها ، وأين هم وكم هم ، وكيف كان أولها وابتداؤها ، وزوّجه الحسين ـ زوج أمه ـ بنت أبي الشلعلع ، وأبو الشلعلع هذا من ولد عبد الله بن ميمون القداح ، وكان ذلك ، فولدت لسعيد ابن فسماه عبد الرحمن [١] .

ثم صار سعيد إلى سجلماسه / من أرض المغرب ، وتسمي بعبيد الله [٢] واكتنى بأبي محمد ، وادعى أنه من نواحي الأهواز ومن بُيانها ورؤسائها وأنه هرب هو وابوه من جور عمرو بن الليث [٣] ، وان ضياعهم بكور الأهواز كثيرة ولهم بها [وكلاء] [٤] وان المواد تأتيه منها ،

---

(١) عالج أكثر السلف مشكلة نسب الفاطميين ، وتميل الابحاث الحديثة الى التسليم بصحة هذه الانساب أو تعليل المسألة تعليلاً قائماً على عقيدة الأبوة الروحانية لدى الاسماعيلية. انظر أصول الاسماعيلية : ١١٧-١٣٣ .

(٢) في الحقيقة تسمى بعبد الله ، لكن الدعاية السياسية المضادة سمته عبيد الله لأن في التصغير تحقير .

(٣) الصفاري ، انظر من أجل حركة الصفارين كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٤) زيد مابين الحاصرتين كما يستقيم السياق .

وكان يقول لمن يثق به ويأنس به في ابنه عبد الرحمن [١] انه يتيم في في حجره ، وأنه وصي أبيه ، وأن أباه من أهل البيت ، وكان يحتـال على اليسع بن مدرار [٢] أمير سجلماسة وعلى أهل بيته بالدعاوى .

فلما تمكن وأمكنته الحيلة بأبي عبـد الله الحسين بن أحمـد بن زكريا الكوفي الداعية غدر بني مدرار ، وقد كانوا أجاروه وأحسنوا إليه ، فغدر بهم ذلك الغدر الفاحش ، فقال له أبو عبد الله : قـد كانت كتبك ورسائلك تأتيني بأنك مع بني مدرار بكل خير ، وأنك مازلت بأكرم منهم ، وقد قتلتهم فما أبقيت منهم رجلاً ، حتى قتلت صبياً من صبيانهـم واستبحت أموالهم ونساءهم؟! فقال له : هو كما كتبت إليك ، ولكن اليسع ما ألقمني لقمة عسل إلا ومعها لقمة صبر ، وأما هذا الصبي ، فانه جاءني برسالة من عمه ، أحمد بن مدرار جافية ، فكانت هذه أول فضائحه ولها تفصيل طويل .

وسمى ابنه عبد الرحمن الحسن ، ثم لما تمكن وملك قال هو ابني ، وسماه محمداً ، وكناه بأبي القاسم .

ولما أراد الرحيل من سجلماسة إلى القيروان في إفريقية من أرض المغرب دخل المغاربة أصحاب أبي عبد الله لإخراج رحله ، فوجدوا ملابس الحرير والديباج وأواني الذهب والفضة وخصيان رومة وآثار الانبـذة ، فأنكروا ذلك في أنفسهم مع بلادة البربر ، وسألوا أبا عبد الله الداعية عن ذلك ، وإنما / أنكروا ذلك ، لأن أبا عبد الله هـذا كان مقيمـاً

---

(١) يقصد به القائم ، وسلف لنا البحث في العلاقة بين المهدي والقائم .

(٢) أمير سجلماسة أوان تفجر الحركة الاسماعيلية في إفريقية ، ودولة بني مدرار كانت إحدى دول الخوارج في المغرب .

سنين كثيرة في كتامة يدعوهم إلى المهدي ، الذي هو حجة الله ويزعم أنه صاحبه ، وكان أبو عبد الله يتقشف ويلبس الخشن ويأكل العشب ويعدم عن المهدي بمثل ذلك ، فلهذا أنكروا وسألوا ، فقال لهم أبو عبد الله هذه الآثار لأصحابه وأتباعه ، وكان معه أتباع كثير .

ثم إن عبيد الله بعد قتل أبي موسى هرون بن يونس شيخ المشايخ وأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الداعية ، وأخيه أبي العباس محمد ابن أحمد بن زكريا ، وأبي زاكي تمام بن معارك وكان من كبار الشيعة ، بعد قتله لهؤلاء وتمكنه بالمغرب ، استصفى أهل الثروة وأخذ أموالهم كلها ، وأرسل ابنه وجعله ولي العهد بعده والخليفة ، وسماه القائم ، فكان ينزل في العساكر على بلد بلد فيستصفي أمواله ، ويهدم حصونه وقلاعه ، ويأخذ مافيه من الأسلحة والأمتعة ، ويقتل الرؤساء والوجوه والفقهاء وأصحاب الحديث ، ويتخذ جهالهم ويجعل لهم الأحوال والأموال ، ويسلطهم على أهل الفضل ، ويضع المكوس والضرائب ، ويتوصل إلى إزالة النعم ، والتضييق على المسلمين بكل ما يقدر عليه ومايطول شرحه .

وكان يرسل على الفقهاء والعلماء فيذبحون في فرشهم ، وأرسل إلى الروم وسلطهم على المسلمين . وكان الشيعة ببغداد ، مثل بني بسطام ، وبني أبي البغل ، وآل الفرات[1] ، يرجفون أن المهدي قد ظهر بالمغرب وهو هناك يحيي الموتى ، ويقف على المقبرة فينادي الموتى فيقومون من

---

(١) أبرز أسر الوزارة والادارة العباسية في أواخر القرن الثالث وبداية الرابع ، انظر تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لهلال بن المحسن الصابي ـ ط. القاهرة ١٩٥٨ ص : ١٨ـ ٢٤٥ ، ٢٨٥ـ٣٠٤ .

قبورهم ، وكان أبو الحسن محمد بن أحمد النسفي صاحبهم بخراسان ، فذكر لنصر بن أحمد مثل ذلك [١] وأبو حاتم أحمد بن حمدان يذكر مثل ذلك بالري لأسفار بن شيرويه [٢] .

/ وكثرت الروايات عن رسول الله ﷺ وأهل بيته في أن المهدي يظهر بالمغرب ويملك الأرض كلها من اولها إلى آخرها ، وينفذ امره فيها ، واحكامه على اهلها في سنة ثلثمائة للهجرة ، وهو معنى ماجاء في الحديث من طلوع الشمس من مغربها ، وكم كان لهم من الخطب المنسوبة إلى امير المؤمنين بأن ولده المهدي يظهر من المغرب ، ويملك الأرض في سنة ثلثمائة للهجرة ، وان هذا موجود في الملاحم .

وصدرت رسل بني بسطام وغيرهم من الشيعة إلى المغرب : بادر فان الأرض كلها لك والخليفة ببغداد يومئذ جعفر المقتدر [٣] ، وهو صبي ونحن اجلسناه ، وله اثنتا عشر سنة ، واولياؤه ومن حوله شيعته ، من آل الفرات وآل بسطام وآل القاسم بن عبد الله وآل ابي البغل والكرخيين وآل نوبخت ، فسير ابنه في سنة ثلثمائة في عساكر عظيمة في البر والبحر وعنده انه يظهر على الأرض كلها بسبب ماتقدم ذكره ، ولأجل من بخراسان والبحرين من اهل هذه الدعوة .

فقدم مصر ونزل عليها في سنة اثنتين وثلثمائة ، وإذا ابو سعيد الجنابي

---

(١) الساماني : ٣٠١هـ/٩١٤م - ٣٣١هـ/٩٤٣م . انظر كتاب تاريخ العرب والاسلام : ٣٤٧-٣٤٨ .

(٢) من زعماء الديلم الأوائل ، وأعماله هي مقدمة اولى لظهور أسرة بني بويه قتل سنة ٣١٤هـ . انظر تجارب الأمم لمسكويه : ١/١٦١-١٦٢ - العيون والحدائق - ط. دمشق ١٩٧٢ : ٢/٢٣٣-٢٣٤ .

(٣) بدأت خلافته سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨ وانتهت سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م .

قد قتل بالبحرين ، وقد ظهرت الفضيحة بها ، ولقيه بظاهر مصر القاسم ابن سياء الفرغاني في سبعة آلاف فرد تلك العساكر كلها ورجع ابن عبيد الله إلى ابيه بالمغرب بالخيبة والهزيمة ، وذهبت تلك الأموال ، وجاءت جواسيسه إلى الشيعة القدم ذكرهم بالعراق تعنفهم فيما كان من إطماعهم له ، وما كان من القاسم بن سياء الفرغاني . فاعتذروا إليه وقالوا له : ارجع . فرد ابنه في سنة سبع وثلثمائة بأكثر من تلك الجيوش في البر والبحر ، فنزل على مصر سنين متوالية ، ونزل على / عسكره في الماء ثمل الخادم من طرسوس في ثمانية عشر مركباً فهزمهم ، فرجع إلى ابيه بالخيبة والهزيمة ، ثم رد العسكر إلى مصر ، وقد قتل المقتدر ، فرجع بالخيبة والهزيمة . وكان مع هذه الحال يشتد على اهل القيروان ومايملكه من ارض المغرب بالجور وقتل الرجال واستصفاء الأموال ، وقصد الفقهاء والعلماء ، وقد كان بث دعاته فيها يدعون الناس إليه وإلى طاعته ، ويأخذون عليهم العهود ، ويلقون إلى الناس من امره بحسب عقولهم واحتمال كل طبقة منهم ، فمنهم من يلقون إليهم انه المهدي ابن رسول الله ، وحجة الله على خلقه ، ومنهم من يلقي انه رسول الله وحجة الله ، ومنهم من يلقي انه الله الخالق الرازق ، فكان إذا ضج الناس من هذا ، وظهر منهم الإنكار ، يأخذ الدعاة ، فمرة يحبس بعضهم ومرة يقتلهم ، ويقول : ما أمرتُ بهذا ، ويقول الدعاة : هو أمرنا وبأمره فعلنا ، وله أن يمتحننا . وكان من جوره وكذبه وفضائحه مايطول فانه مكث في ملكه نيفاً وعشرين سنة .

ولما هلك ، قام ابنه الذي قد تقدم ذكره مقامه ، وتسمى بالقائم أمير المؤمنين ، وزاد شره على شر أبيه أضعافاً مضاعفة ، وجاهر بشتم

الأنبياء ، فكان ينادي في أسواق إفريقية والمهدية ، وهي مدينة كان بناها أبوه وحصنها ، فكان يقال : العنوا عائشة وبعلها ، العنوا الغار ومن حوى ، وقتل الفقهاء والعلماء القتل الذريع ، واستولى من بلدان المغرب على أكثر ما استولى عليه أبوه ، فان بلدان المغرب واسعة عظيمة وهي تشبه بخراسان في السعة وكثرة الرجال وهي في يد عدة من الملوك ، وكان يقول في هذا أنه هو الذي يظهر ويملك الأرض ، وأنه هو الحجة والمهدي ، وكتب إلى أبي طاهر القرمطي المقيم بالبحرين البلاغ / السابع ، والناموس الأعظم ، وهو سر الدعوة وحقيقتها ، وحثه على قتال المسلمين ، وإحراق المساجد والمصاحف ، وكان قد كتب هذا الكتاب في حياة أبيه ، وكان أبوه في أول أمره يقول : إن هذا يتيم في حجري وهو علوي من ولد إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان في أول أمره يظن أنه لا يتم له أمر الملك ، فلما تمكن وفعل هذا قال : هذا ابني وهو علوي ، وشرح ظلم هذا القائم وقسوته وفجوره يطول ، وهو أكثر مما أتى أبوه .

وكان لهذا الذي يسمى بأمير المؤمنين القائم بن المهدي ، ابن يقال له القاسم ، وكان قد تأدب وقال الشعر ، وكان فارساً ، فاستخلفه ونص عليه ، وقال : هذا القائم الإمام الذي آمر باستخلافه عليكم ، وهو القائم بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فمات هذا القاسم في حياة أبيه ، فكان يقال بالقيروان ما أكثر كذب هؤلاء المشارقة .

ولكثرة ما كان من جور هذا وقتله للناس واستصفائه الأموال ، اجتمع قوم من أهل الجبل بالمغرب على رجل من الأباضية يقال له أبو يزيد مخلد بن كيداد فبايعوه ، وكان شيخاً كبيراً ضعيفاً لا يمكنه لضعفه أن

يستمسك على فرس ، فكان يركب حمارا ، وكان له وزيره يستشيره أعمى فأنفذ إليه هذا الذي تسمى بالقائم بن المهدي بعسكر فكسره ورده ، وتسامع به الناس ، وأنه ينكر المنكر ، فاجتمعوا إليه وأتوه ، وسار من الجبل إلى الأمصار ، ولقيته العساكر فكسرها كلها ، ودخل إفريقية ، وأزال الظلم والمكوس ، وملك كل ما كان في أيدي هؤلاء القرامطة من أرض المغرب إلا المهدية ، فانه حاصرهم فيها ، وإلا صقلية وطرابلس من أرض المغرب ، ومات هذا المسمى بالقائم بن المهدي في الحصار ، وعرض له وسواس ، وزال عقله مما نزل به من الذل ، / وقتل الرجال ، وزوال الملك ، وجوع من بقي معه بالمهدية بالحصار .

وقام بعده ابنه أبو طاهر إسماعيل ، وضمن للناس تغيير سيرة أبيه وجده ، وأنه لايتعرض لدياناتهم ، وحلف على ذلك ، وأكد واشهد ، واستعان بأبي الحسين بن عمار ، فأشار عليه بهذه الأمور . وقد كان أبو يزيد مخلد بن كيداد ملك خمس سنين ، وكثرت عساكره ، فانتشر عليه أمره ، وأظهر أصحابه دين الأباضية ، فكرهه الناس ، وخرج أبو طاهر إسماعيل وحاربه وكبسه في صحراء ، وأخذه وسلخه وصلبه ، ووفي للناس بما وعد ، وعدل وأنصف وأخذ الدعاة الذين كانوا لهم فحلق لحاهم ، ونفاهم ، وقال لأهل القيروان : من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله ﷺ فاقتلوه فاني معكم ومن ورائكم ، وأطلق المحدثين في الحديث ، والناس في إقامة التراويح ، وأطلق الناس في غزو الروم وأذلوهم ، وأعزّ المسلمين والثغور على يدي أبي القاسم بن أبي الحسن بن عمار ، والثغور في يد أولاده إلى هذه الغاية ، وهم قوم مسلمون فيهم خير كثير ، والشرك مقموع بهم هناك ، ولهم سيرة حسنة طويلة مذكورة .

واشتغل اسماعيل بأهل الجبال يقتلهم ويشردهم ، خوفاً من أن يثور عليه ثائر مثل أبي يزيد مخلد بن كيداد ، وتقدم إسماعيل إلى الفقهاء بأن يتركوا له حلقة في الجامع خاصة له يقعد فيها أصحابه تكون حلقة لجعفر بن محمد ، فجلس فيها جماعة لايختلطون بالفقهاء ، وكانوا يتذاكرون في حلقهم ذكر أفلاطن وبطليموس وأرسطو ، فقال الناس : هـؤلاء ملحدة وزنادقة وأعداء الأنبياء ، فكيف تكون هذه الحلقة حلقة جعفر ابن محمد؟ : وإذا نية إسماعيل غير صافيه في الاسلام ، وإنما أظهر الرجوع عن سيرة أبيه/وجده خوفاً مما جرى .

وكان لإسماعيل أخ يقال له يوسف ، وكان ينظر في الكتب ويسأل العلماء ، وكان فيه فضل ، وكان يقول : إنا أولاد النبي ، ولانعظم إلا أعداء الأنبياء من الفلاسفة ، ودعاتنا كل سفلة كذاب ، ركاب لكل فاحشة ، ولو كنا من أولاد الأنبياء ، ونحب الأنبياء ، ماكانت هـذه حالنا ، ثم يسمي الدعاة واحداً واحداً ويذكرهم بما فيهم ، فقد كان فيهم أبو الأسود وكان ينكح بنته . وقصة يوسف هذا معروفة ومات بأجْدابية[1] في مصيره إلي مصر ، وفيما أظن أن ولده بمصر إلى هـذه الغاية . ثم إن اسماعيل استخلف ابنه أبا تميم معدّاً وجعله وليّ عهده ، وسماه بالمعز لدين [الله][2] . ومات إسماعيل في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وقام أبو تميم بعده ، وسار سيرته ، ورفق بالناس وتمكن ، وصفت له المغرب فما تحرك عليه أحد ، واتسع ملكه وجبى الأمـوال . ثم تغـير وقرّب الدعاة : فقالوا : هذا هو المهدي ، وهو الذي يملـك ، وهـو

---

(١) بلد بين برقة وطرابلس الغرب ـ معجم البلدان .

(٢) زيادة اقتضاها السياق .

الشمس التي تطلع من غربها . واتفق أن الروم أخذت ثغور المسلمين من طرسوس وأذنة والمصيصة وعين زربة وغيرها في أيامه ، واحتوت فاشتد طمعه في الاسلام ، وسره المصائب التي نزلت بالمسلمين ، وبلغه أنه قد كتب على المساجد ببغداد لعن خلفاء رسول الله ﷺ ، فطار سروراً بهذا وطغى وتجبر ، وهمّ بغزو مصر لأن فيها شيعة كثرا ، وإنما سلطانها خصي أسود[1] مولى لموالي بني العباس وقال : عقله عقل امرأة والذين معه من الجند أسوأ حالاً منه ، وقد اعتادوا الترفه والأكل والشرب ، وليست لهم بالحرب عادة ، ومن بها من الشيعة يكاتبنا ويهون أمر هذا الخصي ، والثغور فقد ذهبت ، ومابقي للاسلام سلطان ولا / ملك ، والديلم الذين بالعراق والجبال شيعة لنا ومن قبلنا . فكان يقول له من حوله مثل ولد أبي الحسين بن عمار وجعفر بن فلاح بن مرزوق ، ومحمد بن سليمان : يا أمير المؤمنين ، مصر قد أفنت رجالكم وفرغت بيوت أموالكم ، وقد طمع فيها آباؤك مرة بعد مرة فما تم ما أرادوا ، وكان الدعاة يقولون : إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها ، وبيننا وبينكم الحجر الأسود وليس هذا كغيره ، فان لم نملك هذه الأرض كلها فكلما نقول لكم باطل ، يعنون بالحجر الأسود كافوراً الخصي الأسود ، أمير مصر .

فمات كافور في سنة ست وخمسين وثلثمائة ، واختلف العسكر بمصر وكان أميرهم ابن عبيد الله بن الأخشيد وكان شيعياً قد دخل في الدعوة ، وكان رخواً مخنثاً ، فقال له أبو جعفر بن نصر : أيها الأمير ، أمير المؤمنين أبو تميم المعز لدين الله هو لك كالوالد ، والجند قد طمعوا فيك

(١) المقصود هو كافور الاخشيدي كما سيأتي .

فان شئت أن تدع الأمر له حتى يدبره لك ، فانه أبصر بتدبير الجند وأقدر ، فقال : إني والله أريد الراحة منهم ، وأقبل على أبي يعقوب ابن الأزرق الكاتب الأنباري[١] فقال له : يا أبا يعقوب ، قد جعل هؤلاء الجند في فؤادي كل دودة مثل هذه ، وأشار إلى إصبعه ، وأخذ ابن نصر كتابه إلى أبي تميم بذلك .

فأرسل أبو تميم صاحبه ، وهو عبد كان لهم من الروم ، يقال له جوهر ، فخرج في مائة ألف ، فوافى مصر ودخلها بلا حرب ولا قتال ، ولا خلاف ، في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، واستولى على الكنوز وبيوت الأموال ، وخرج أميرها أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن الأخشيد فأقام بالرملة ، فخرج إليه جعفر بن فلاح في عسكره فكبسه وأنفذه / إلى جوهر ، فأنفذه إلى المغرب ، إلى أبي تميم ، فلما حصل عنده أظهر له البشر والبشاشة وقال له : أنت ولدي ومن لحمي ودمي ، وإنما أنفذت جوهراً لنصرتك وطاعتك ، والله يابني ماحصل جوهر بقَلْشانة[٢] حتى لزمني عليه أربعة آلاف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار ، وقلشانة هو منزل بالقرب من افريقية . فظن ابن عبيد الله أن الأمر كما قال ، فقعد يسعى بجوهر والقواد الذين استأمنوا إليه من المصريين ، مثل نحرير الأزغلي ، ونحرير شويزان ، وشمول ، وغيرهم من القواد والأمراء وكان كل واحد منهم كقارون في الغنى ، فكتب المعز إلى جوهر فقبض عليهم وغدر بهم أجمعين ، وحملهم إلى المغرب وقبض نعمهم وكنوزهم ، وحصلوا بالمغرب مع ابن عبيد الله بن الأخشيد فما يعرف لهم خبر إلى هذه

---

(١) لعله الذي ذكره ابن ميسر في تاريخه في حوادث سنة ٣٥٧ هـ : ٢/٦١ .

(٢) من مدن تونس ـ إفريقية ـ معجم البلدان .

الغاية ، ووافى أبو تميم معد بن اسماعيل مصر في سنة اثنتين وستين وثلثمائة [١] .

وقد كان للقرامطة الذين بالأحساء عليه أتاوه وجزية يأخذونها منه عن أعماله وما في يده ، فأخرها عنهم واستطال عليهم وعلى الناس كلهم بملكه مصر ، وقال جوهر ، وقد ذكرت له قرامطة الأحساء والجزية التي لهم عليهم فقال : من هؤلاء الكلاب ، الآن أنفذ كتامة إلى الأحساء فيشدون براذينهم على أبوابهم ويسبونهم .

واحتجب المعز بمصر ، فكان لايصل إليه إلا الواحد بعد الواحد من خواصه ، وبث جواسيسه وعيونه وثقاته من الرجال والنساء في الناس يتعرفون له أخبارهم ، من الجند والعامة ، ويأتون بها ، ويلقون من الأراجيف في الناس مايوصيهم به . وطال استتاره حتى أرجف الناس بموته ، وهو متوفر على التنعم والأغذية التي تشحّم وتسمّن ، والأطلية التي تنقي / البشرة ، وتحسن اللون والصورة ، ثم ظهر للناس بعد مدة طويلة [٢] ، وجلس لهم في حرير فائق رائق أخضر مذهب وعمامته منه ، وعلى وجهه الجواهر واليواقيت ، وهي تلمع كالكواكب ، وأوهم أنه

---

(١) ترجم المقريزي في كتابه المقفى ترجمة وافية لجوهر ، وأورد تفاصيل فتح مصر وحوادثها حتى مابعد قدوم المعز اليها ، وقد نشرت هذه الترجمة في ملاحق كتابي : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ـ ط. دمشق : ٣٢١-٣٤٤ . وانظر أيضاً ترجمة جعفر بن فلاح في نفس الكتاب : ٣١٣-٣٢٠ .

(٢) هذه غيبة صغرى ، وفي العقيدة الاسماعيلية هناك أنواع من الغيبة منها مايكون لشهور ومنها مايمتد عبر دهور ، ولعل أصل الفكرة استعير مما جاء في القرآن وغيره من الكتب الدينيــة عن غيبة النبي موسى ، وتطور الأمر مع تطور عقيدة الامامة ومسألة المهدي المنتظر .

كان غائباً في السماء ، وأن الله رفعه إليه ، وكان يتحدث بما كان يأتيه به أصحاب أخباره في حال استتاره ، ويوهم أن الله أطلعه على تلك الغيوب ، ويعرض بالجمل دون التفصيل ، ويقول : قوم قالوا : كذا ، وقوم قالوا : كذا ، وقوم عزموا على كذا ، وبث الجواسيس بالأراجيف ، بأنه كان في السماء ، وأن الله استزاره ورفعه إليه ، فامتلأت قلوب العامة والجهال منه ، وظنوا ذلك ، وان كل مايتوعد به ويعد به من تلك الأرض كلها حق .

ووافى العراق أبو عليّ الحسن بن احمد بن ابي سعيد الجنابي من الأحساء في عسكر ، والسلطان ببغداد ابو منصور بختيار بن معز الدولة ، فسأله ابو علي ـ هذا القرمطي ـ ان يأخذ له عهداً ولواءاً من الخليفة المطيع لله وولايةً على مصر والشام ، وقال لهم : أنا أعرف بهذا المخرق أبي تميم منكم ، واعرف أصله وأبوته ، ومخاريق عبد الله بن ميمون القدّاح وأولاده ، وانا ابلغ به اقصى المغرب وارده من حيث جاء فقال الخليفة المطيع لله لبختيار ، وقد سأله ذلك : لا افعل هذا ، هؤلاء كلهم قرامطة ، وهؤلاء قتلوا الحجاج بمكة ، فان تابوا من ذلك وبرئوا ممن فعله وتركوا التسمي بالسادة [١] وليتهم ، وإلا لم أفعل . فثقل على أبي علي هذا ، وكان يعرف بالقصير [٢] ، وبريء من فعل إخوته وبني عمه ، ومن أبي سعيد وأبي طاهر وغيرهما من آبائه ، واخذ يعتذر لما صنعوا بمعاذير طويلة ، وانهم ما فعلوا ذلك عداوة للإسلام ولاخروجاً عن طاعة الخلفاء من بني العباس ، فما قبل / ذلك المطيع ، واقام على

---

(١) كان كل واحد من زعماد قرامطة الأحساء من آل الجنابي ينادى بلقب «سيد» .

(٢) شهر بالأعصم ، والأعصم هو القصير .

منهم ، وطال خضوع ابي علي هذا ، فما اجابهم المطيع ، فأشار عليه بختيار وغيره بأن يذهب ويدعي أن المطيع قد ولاه ، وقيل له : العسكر الذين معك جندك وأهلك وأصحابك ومن مالك تنفق عليهم ، ولست تطمع في أن يعطيك المطيع شيئاً من مال ولاجند ، فقبل ذلك [١] .

وماكان رغبته في تقليد المطيع إلا لتقبله العامة بالشام ومصر ، فلما لم يجبه المطيع إلى ذلك اتخذ هو لنفسه أعلاماً سوداً ورايات ، وكتب عليها المطيع لله أمير المؤمنين ، وتحته : « السادة الراجعين إلى الحق » ، ثم سار إلى الشام . فلقي عساكر أبي تميم وواقعهم وقتلهم ، وقتل أميرهم ابن فلاح ، وقتل أصحابه ، واستولى على الشام ، وأقام الدعوة للمطيع وللخلفاء بني العباس ، وأظهر تعظيمهم ووجوب طاعتهم ، وأخذ في لعن أبي تميم ، وذكر آبائه واحداً واحداً ، وأنهم ولد القداح ، وأنهم ماكانوا قط إلا كذابين ممخرقين أعداء الاسلام ، يذهبون مذاهب الزنادقة ، وأبو تميم قد انحجز مع عساكره بمصر ، ومع هذا فيبذل له من الجزية والأتاوة أكثر مما كان يأخذ قبل هذا ، والحسن هذا يقرأ كتبه على الناس ويبين فيه عيه ومخاريقه ، وبلغ بأبي تميم الخوف منه إلى أن حصن مدينته بمصر ، وهي التي يسمونها بالقاهرة ، وشيد سورها وأوثقه وحفر خندقها وعمقه ، والحسن يبلغه ماينادي به أبو تميم من فضائحهم تحريضاً للناس عليه ، فيقوم بالشام وينادي بفضائحهم وعداوتهم للاسلام ، كما هو مذكور في كتبه واشعاره فيهم .

---

(١) كذا وقد مر معنا ، وسيتكرر بشيء أكبر من التفاصيل بأنه أحيل عل أبي تغلب الغضنفر الامير الحمداني للموصل ، فأخذ منه مالاً ورجالاً .

ولكثرة ما قال وبين ، قال ابو بكر النابلسي [١] / رئيس الفقهاء بالشام : جهاد هؤلاء اولى من جهاد الروم ، وغزو هؤلاء أولى من جهاد الروم ، إذ الروم اهل كتاب ، وهؤلاء كفار مشركون ، ليسوا اهل كتاب ، بل هم اعداء جميع الأنبياء وجميع الكتب التي انزلها الله ، والروم لاتكتم دينها بل تضج بما تدعو إليه ، وهؤلاء يضمرون الشرك ويخدعون الناس بإظهار التشيع .

وسار الحسن هذا حتى نزل على خندق القاهرة وحاصر ابا تميم ، وأشرف على أخذه ، فبذل أبو تميم الأموال لابن الجراح [٢] الطائي هذا الذي هو حي ، وهو كثير العشيرة ، فغدر بالحسن هذا ، وأخذ سواده من ورائه وشغله بنفسه ، وأفسد تدبيره ، فانصرف عن الخندق ، وانهزم بمن معه ، ولحق أبو تميم المنهزمين من أصحاب الحسن ، فأخذهم وأخذ أتباع العسكر ، وأهل السوق في العسكر ، وأرسل إلى الشام وأخذ أبا بكر النابلسي الفقيه ، وسأله عما بلغه عنه ، وما أفتى فيه ، فاعترف به وقال له ماهو أغلظ منه ، فأمر بسلخه حياً فسلخ ، وهذه عادة لهم في سلخ المسلمين أحياء [٣] ، قد فعل ذلك سعيد وغيره ، وأخذ من ظفر به من قرامطة الأحساء فأكرمهم ووصلهم وخلع عليهم وعاتبهم وردهم مكرمين إلى الأحساء .

---

(١) اعتقل فيما بعد وتم قتله بصورة وحشية للغاية ، كما سيرد بعد قليل .

(٢) سيرد ذكر هذا فيما بعد في ترجمة الأعصم .

(٣) هذا صحيح ، وحفظ لنا التاريخ أخبار عدة أحداث من هذا القبيل ، من أشهرها نهاية علاقة الملاح الصوري حيث اعتقل وحمل « وأصحابه الى مصر ، فسلخ حياً ، وصلب بظاهر المنظر بعد أن حشي جلده تبناً ، وقتل أصحابه » ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي : ٥٠ - ٥١ .

وضمن أبو تميم لابن المنجا القرمطي ، صاحب الحسن ، الأموال له خاصة إلى أن أصلح بينه وبين الحسن وبين أهل الأحساء ، فضمن ابن المنجا ذلك له ، وكان من المأسورين فأطلقه وأطلق غيره من الأسارى فذهبوا وأصلحوا بينهم ، وقبلوا الأموال والأتاوة من أبي تميم وأجراها لهم في كل سنة ، فكفوا عنه ، وأخذوها منه في حياته إلى أن مات وأخذوها من ابنه هذا المتسمي بالعزيز ، وهو نزار أبو المنصور بن معد إلى أن حاصر الأصفر العقيلي/القرامطة بالأحساء ، وقتل من يخرج منهم فهم إلى هذه الغاية مايخرج لهم سرية خوفاً من الأصفر[1] .

وبادر نزار[2] بن أبي تميم هذا فهادى الأصفر بهدايا كثيرة نفيسة ، وحمل إليه أموالاً عظيمة ، وسأله أن يرسل إليه ثقة له ، فأرسل الأصفر ابن أخته ، فأكرمه نزار الكرامة التامة ، وحمل على سرج من ذهب ، وقاد بين يديه الخيول ، وأعطاه الأموال على أن يدعو خاله للدخول في دعوتهم على أن يقطعه البلدان العظيمة من أرض الشام ، فمنع الأصفر من ذلك رجل معه من أصحاب أبي حنيفة يقال له أبو بكر محمد بن محمد النيسابوري ، فقال له : لاتغتر بما يظهر نزار من أنه من المسلمين وأنه يدعو إلى الإسلام وإلى الحق ، فإنه شر من هؤلاء القرامطة الذين بالأحساء وهم الأصل في الفساد الذي وقع في الاسلام ، وخذ الأموال التي أعطوك فإنما هي هدايا أهدوها لك ، وابتدؤوك بها ، فأرسل الأصفر إلى نزار في جواب الرسالة : إني لست أجيبك إلى قبول مابذلت من الاقطاع بالشام إلي أن أفرغ من الأحساء وأهلها وأعرفك ماعندي ...

---

(١) سبقت الاشارة إلى أن هذا كان سنة ٣٧٨ هـ ، وأن الاصفر كان من المنتفق ، وهم وعقيل يعودون الى جد واحد ، والمفيد هنا ملاحظته هو تاريخ تصنيف القاضي لكتابه، وأنه كان شاهد عيان يصور لنا انفعالات أهل عصره .

(٢) هو العزيز : ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م - ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م .

SS

كتاب سفرنامه

وصف الإحساء

والحسا مدينة في الصحراء ، ولبلوغها ، عن أي طريق ، ينبغي اجتياز صحراء واسعة ، والبصرة أقرب البلاد الاسلامية التي بها سلطنة إلى الحسا ، وبينهما خمسون فرسخ ، ولم يقصد سلطان من البصرة الحسا قط .

والحسا مدينة وسواد أيضاً ، وبها قلعة ، ويحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللبن المحكم البناء ، بين كل إثنين منها ما يقرب من فرسخ ، وفي المدينة عيون ماء عظيمة ، تكفي كل منها لإدارة خمس سواق ، ويستهلك كل هذا الماء بها ، فلا يخرج منها ، ووسط الحصن ، مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة ، وفيها أكثر من عشرين ألف محارب ، وقيل إن سلطانهم كان شريفاً ، وقد ردهم عن الاسلام ، وقال إني أعفيتكم من الصلاة والصوم ، ودعاهم إلى أن مرجعهم لايكون إلا إليه ، واسمه أبو سعيد ، وحين يسألون عن مذهبهم يقولون : إنا أبو سعيديون ، وهم لايصلون ولايصومون ، ولكنهم يقرون بمحمد ﷺ وبرسالته ، وقد قال لهم أبو سعيد : إني أرجع إليكم ، يعني بعد الوفاة ، وقبره داخل المدينة وقد بنوا عنده قبراً جميلاً ، وقد أوصى

أبناءه قائلاً : « يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنـائي يحكـمون الناس بالعدل والقسطاس ، ولايختلفون فيما بينهم ، حتى أعود » ، ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف ، هو دار ملكهم[1] ، وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق ، وكذلك يحكمون ، ولهم ستة وزراء [2] ، فيجلس الملوك على تخت والوزراء على تخت آخر ، ويتداولون في كل أمر وكان لهم في ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجي وحبشي ، يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين ، وهم لايأخـذون عشوراً من الرعيـة ، وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله ، وإذا كان لأحدهـم دين على آخر لايطالبه بأكـثر من رأس المـال الذي له ، وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة ، يعطى مايكفيه من المال حتى يشتري مايلزم صناعته من عدد وآلات ، ويرد إلي الحكام ما أخذ حين يشاء ، وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ، ولم تكن لديه القـــدرة على الاصلاح ، أمروا جماعة من عبيدهم بأن يذهبوا اليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون ، ولا يطلبون من المالك شيئاً .

وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان ، تطحن الحبوب للرعية مجاناً ، ويدفع فيها السلطان نفقات اصلاحها وأجور الطحانين ، وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات ، ويسمي وزراؤهم الشائرة ، وليس في مدينة الحسا مسجد جمعة ، ولاتقام بها صلاة أو خطبة ، إلا أن رجلاً فارسياً إسمه علي بن أحمد بنى مسجداً ، وهو مسلم حاج غني كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون

---

(١) تهدم هذا القصر ، وبقي منه آثار ، ويسميه أهل تلك الجهة « قصر قريط » .

(٢) وزراء القرامطة كانوا من آل سنبر .

الحسا ، والبيع والشراء والعطاء ، والأخذ يتم هناك بواسطة رصاص في زبيل يزن كل منها ستة آلاف درهم ، فيدفع الثمن عدداً من الزنابيل ، وهذه العملة لاتسري في الخارج ، وينسجون هناك فوطاً جميلة ، ويصدرونها للبصرة وغيرها .

وإذا صلى أحـــد فإنه لايمنع ، ولكنهم أنفسهم لايصلون ، ويجيب السلاطين من يحدثهم من الرعية برقة وتواضع ، ولا يشربون [1] مطلقاً ، وعلى باب قبر أبي سعيد حصان مهيأ بعناية ، عليه طوق ولجام ، يقف بالنوبـة ليلاً ونهاراً ، يعنون بذلك أن أبا سعيد يركبه حين يرجع إلى الدنيـا ، ويقال إنه قال لأبنائه : «حين أعود ولاتعرفونني ، اضربوا رقبتي بسيفي فإذا كنت أنا حييت في الحال » ، وقد وضعت هذه الدلالة حتى لايدعي أحد أنه أبو سعيد .

وقد ذهب أحد هؤلاء السلاطين بجيش الى مكة أيام خلفاء بغداد ، فاستولى عليها ، وقتل من كان يطوف بالكعبة ، وانتزع الحجر الأسود من مكانه ونقله إلي الحسا ، وقد زعموا أن هذا الحجر مغناطيس يجذب الناس إليه من أطراف العالم ، ولم يفقهوا أن شرف محمد المصطفى ﷺ وجـلاله هما اللذان يجذبان الناس ، فقد لبث الحجر الأسود في الحسا سنين عديدة ، ولم يذهب إليها أحد ، وأخيراً اشترى منهم الحجـر الأسود ، وأعيـد إلى مكـانه .

وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات كلها : من قطط ، وكلاب ، وحمير وبقر ، وخراف ، وغيرها ، ويوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ،

---

(١) أي الخمور .

ليعرف المشتري ماذا يشتري ، وهم يسمنون الكلاب هناك كما تعلف الخراف حتى لاتستطيع الحركة من سمنها ، ثم يذبحونها ويبيعون لحمها .

والبحر على مسيرة سبعة فراسخ من الحسا إلى ناحية الشرق ، فإذا اجتازه المسافر وجد البحرين ، وهي جزيرة طولها خمسة عشر فرسخاً ، والبحرين مدينة كبيرة أيضاً ، بها نخل كثير ، ويستخرجون من هـــذا البحر اللؤلؤ ، ولسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه الغواصون منه ، واذا سار المسافر جنوب الحسا يبلغ عمان ، وهي في بلاد العرب ، وثلاثة جوانب منها صحراء لايمكن اجتيازها ، وولاية عمان ثمانون فرسخاً في مثلها ، وهي حارة الجو ، ويكثر بها الجوز الهندي المسمى نارجيل ، واذا أبحر المسافر من عمان نحو الشرق يبلغ شاطىء كيش ومكران ، واذا سار جنوباً يبلغ عدن ، فإذا سار في الجانب الآخر يبلغ فارس .

وفي الحسا تمر كثير ، حتى أنهم يسمنون به المواشي ، ويأتي وقت يباع فيه أكثر من ألف من[1] بدينار واحد ، وحين يسير المسافر من الحسا الى الشمال سبعة فراسخ يبلغ جهة القطيف ، وهي مدينة كبيرة بها نخل كثيرة ، وقد ذهب أمير عربي الى أبواب الحسا ، ورابط هناك سنة ، واستولى على سور من اسوارها الأربعة ، وشن عليها غارات كثيرة ، ولكنه لم ينل من أهلها شيئاً ، وقد سألني حين رآني عما تنبىء به النجوم ، قال : أريد أن استولي على الحسا فهل استطيع ام لا ، فإن اهلها قوم لادين لهم ؟ فأجبته بما طيب خاطره .

---

(١) المن وزن مائتين وسبعة وخمسين درهماً وسبعة دراهم . مفاتيح العلوم للخوارزمي ط . القاهرة ١٣٤٢ هـ ص : ١١ .

وعندي ان كل البدو يشبهون اهل الحسا ، فلادين لهم ، ومنهم اناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة ، أقول هذا عن بصيرة ، لاشيء فيه من المغـــالاة ، فقد عشت في وسطهم تسعة أشهر دفعة واحدة لا انقطاع بينها ، ولم أكن أستطيع أن أشرب اللبن الذي كانوا يقدمونه إلي كلما طلبت ماء لأشرب ، فحين أرفضه وأطلب المـاء يقولون : اطلبه حيثما تراه ، ولكن عند من تراه ؟ وهم لم يروا الحمامات أو المـاء الجـاري في حياتهم [1] ...



(١) انظر سفرنامه ط، بيروت ١٩٧٠ ترجمة يحيى الخشاب ـ ص: ١٤٢-١٤٥ ،

SS

كتاب
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة

SS

بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن مالك ـ رحمه الله عليه : اعلموا أيها الناس المسلمون ـ عصمكم الله بالاسلام ، وجنبنا وإياكم طرق الآثام ، وأصلحكم وأرشدكم ووفقكم لمرضاته ، وسددكم ـ إني كنت أسمع مايقال عن هـذا الرجـل الصليحي [1] كما تسمعون ، وما يتكلم به عليه من سيء الإذاعة ، وقبح الشناعة فإذا قال القائل : هو يفعل ويصنع ، قلت : أنت تشهد عليـه غداً ؟ فيقول ماشهدت ولاعاينت ، بل أقول كما يقول الناس ، فـكنت أتعجب من هذا أولاً ، ولا أكاد أصدق ولا أكذب ماقد أجمـع عليه الناس ، ونطقت به الألسن ، فتارة أقول هذا ما لايفعله أحد من العرب والعجم ، ولاسمع به فيا تقدم في سالف الأمم ، إنما هذه عداوة له من الناس لدآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس [2] ، وكنت كثيراً ماأسمعه يقول : «حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا» .

فرأيت أن أدخل في مذهبه لأتيقن صدق ماقيل فيه من كذبه ولأطلع على سرائره وكتبه ، فلما تصفحت جميع ما فيها وعرفت معانيها رأيت أن

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد الصليحي، أصله من أحواز صنعاء ، خرج سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٨ م فأسس الدولة الصليحية الاسماعيلية ، وظل يحكمها حتى سنة مقتله ٤٥٩ هـ / ١٠٦٨ م

(٢) بدأ الصليحي حياته دليلاً للحاج على طريق جبال السراة ، واستمر على ذلك مدة خمس عشرة سنة . انظر تاريخ اليمن لعمارة بن علي : ٩٥ - ١٣٦ .

أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته ، وأكشف لهم عن كفره وضلالته ، نصيحة لله وللمسلمين ، وتحذيراً لمن يحاول بغض هذا الدين ، والله موهن كيد الكافرين .

فأول ما أشهد به وأشرحه ، وأبينه للمسلمين ، وأوضحه أن له نواباً يسميهم : الدعاة المأذونين ، وآخرين يلقبهم المكلبين ، تشبيهاً لهم بكلاب الصيد ، لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضون عن كل عاقل ؛ ويلبسون على كل جاهل ، بكلمة حق يراد بها الباطل يحضونه على شرائع الاسلام من الصلاة والصيام والزكاة ، كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه ، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به ، وينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بروايات عن النبي ﷺ محرفة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والاعجاب بجميع ما يعلّمونه ، والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ : اكشف عن السرائر ولاترض لنفسك ، ولاتقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر ، وتدبر القرآن ورموزه واعرف مثّله وممثوله ، واعرف معاني الصلاه والطهارة ، وماروي عن النبي ﷺ ، بالرموز والإشارة دون التصريح في ذلك في العبارة ، فإنما جميع ماعليه الناس أمثال مضروبة لمثولات محجوبة ، فاعرف الصلاة وما فيها ، وقف على باطنها ومعانيها ، فإن العمل بغير علم ، لاينتفع به صاحبه ، فيقول : عم أسأل ؟ فيقول قال الله تعالى : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »[1] فالزكاة مفروضة في كل عام مرة ، وكذلك من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، وأيضاً فالصلاة

---

(١) في أكثر من سورة ، انظر مثلا البقرة : ٤٣ .

والزكاة لهما باطن ، لأن الصلاة صلاتان ، والزكاة زكاتان ، والصوم صومان والحج حجان ، وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن يدل على ذلك « وذروا ظاهر الاثم وباطنه »[١] و « قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن »[٢] ، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن ، فالظاهر ما تساوي به الناس ، وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به ؟ فلا يعرفه إلا القليل ومن ذلك قوله : « وما آمن معه إلا القليل »[٣] ، وقوله « وقليل ماهم »[٤] وقوله « وقليل من عبادي الشكور »[٥] ، فالأقل من الأكثر الذين لاعقول لهم .

والصلاة والزكاة سبعة أحرف ، دليل على محمد وعلي صلى الله عليهما لأنها سبعة أحرف ، فالمعني بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي ، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة ، فيوهمون على من لايعرف لزوم الشريعة والقرآن ، وسنن النبي ﷺ ، فيقع هذا من ذلك المخدوع ، بموقع الاتفاق والموافقة ، لأنه مذهب الراحة والإباحة ، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله ، فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا ، قالوا له : قرب قرباناً يكون لك سلما ونجوى ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ، ويضع عنك في هذا الإصر فيدفع اثني عشر ديناراً ، فيقول ذلك الداعي : يامولانا إن عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة ، وضع عنه هذا الأصر

(١) الأنعام : ١٢٠ .
(٢) الأعراف : ٣٣ .
(٣) هود : ٤٠ .
(٤) ص : ٢٤ .
(٥) سبأ : ١٣ .

وهذه نجواه إثنا عشر ديناراً ، فيقول إشهدوا أني قد وضمت عنه الصلاة ويقرأ له « ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم »، فعنـد ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه ، ويقولون الحمد لله الذي وضع « عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك [٢] » ثم يقول له ذلك الداعي الملعون ، بعد مدة : قد عرفت الصلاة ، وهي أول درجة ، وأنا أرجو أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات ، فاسأل وابحث ، فيقول : عم اسأل ؟ فيقول له : سل عن الخمر ، والميسر الذي نهي الله تعالى عنهما : أبو بكر ، وعمـــر ، لمخالفتهما على علي وأخذهما الخلافة دونه ، فأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة ، وغير ذلك فليس بحرام ، لأنه مما أنبتت الأرض ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » [٣] إلى آخر الآية .

ويتلو عليه « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا [٤] إلى آخر الآية ، والصوم : الكتمان ، فيتلو عليه « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » [٥] ، يريد كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفاً من الظالمـــين ويتلو عليه « اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً [٦] » فلو كان عني بالصيام ترك الطعام لقال : فلن أطعم اليوم شيئاً ، فـدل على أن الصيام الصمت .

---

(١) الأعراف : ١٥٧ .
(٢) الشرح : ٢ - ٣ .
(٣) الأعراف : ٣٢ .
(٤) المائدة : ٩٣ .
(٥) البقرة : ١٨٥ .
(٦) مريم : ٢٦ .

فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغياناً وكفراً ، وينهمك إلى قول ذلك الداعي اللعون ، لأنه أتاه بما يوافق هواه ، والنفس أمارة بالسوء .

ثم يقول له ادفع النجوى ، تكون لك سلماً ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم ، فيدفع اثني عشر ديناراً فيمضي به إليه ، فيقول يامولانا ، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأبح له الأكل برمضان ، فيقول له : قد وثقته وأمنته على سرائرنا ؟ فيقول له: نعم ، فيقول : قد وضعت عنه ذلك مدة فيأتيه ذلك الداعي اللعون فيقول له : قد عرفت ثلاث درجات ، فاعرف الطهارة ما هي ، ومعنى الجنابة ماهي في التأويل ، فيقول : فسر لي في ذلك ، فيقول له : إعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب ، وأن المؤمن طاهر بذاته ، والكافر نجس لايطهره الماء ولاغيره ، وأن الجنابة هي موالاة الأضداد ، أضداد الأنبياء والأئمة ، فأما المني فليس بنجس ، منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته ، وكيف يكون نجساً ، وهو مبدأ خلق الانسان وعليه يكون اساس البنيان ، فلو كان التطهير منه ، من أمر الدين ، لكان الغسل من الغائط والبول أوجب ، لأنها نجسان ، وانما معنى « وان كنتم جنباً فاطهروا »[1] ، معناه فإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذي هو حياة الأرواح ، كالماء الذي هو حياة الأبدان قال الله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي[2] » . وقوله « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق[3] » فلما سماه الله بهذا دل

---

(١) المائدة : ٦ .

(٢) الأنبياء : ٣ .

(٣) الطارق : ٥-٦ .

على طهارته ، ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة ، ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر ديناراً ، ويقول : يامولانا عبدك فلان قد عرف معني الطهارة حقيقة ، وهذا قربانه اليك ، فيقول : اشهدوا أني قد حللت له ترك الغسل من الجنابة .

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعي الملعون : قد عرفت أربع درجات وبقي عليك الخامسة ، فأكشف عنها ، فإنها منتهى أمرك ، وغاية سعادتك ويتلو عليه « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين [١] » فيقول له : ألهمني إياها ، ودلني عليها فيتلو عليه « قد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد [٢] » . ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا ؟ فيقول : وكيف لي بذلك ؟ فيتلو عليه « وإن لنا للآخرة والأولى » [٣] ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » [٤] والزينة هاهنا ماخفي على الناس من أسرار النساء التي لايطلع عليها إلا المخصوصون بذلك ، وذلك قوله « ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن » [٥] ، والزينة مستورة غير مشهورة ثم يتلو عليه « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون [٦] » ، فمن لم ينل الجنة في الدنيا ، لم ينلها في الآخرة ، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب ، وأهل العقول

---

(١) السجدة : ١٧ .
(٢) ق : ٢٢ .
(٣) الليل : ١٣ .
(٤) الأعراف : ٣٢ .
(٥) النور : ٣١ .
(٦) الواقعة : ٢٢ .

دون الجهال ، لأن المستجن من الأشياء ماخفي ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة ، وسميت الجن جناً لاختفائهم عن الناس ، والمجنة المقبرة لأنها تستر من فيها ، والترس المجن لأنه يستتر به ، فالجنة هاهنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس ، الذين لاعلم لهم ولا عقول ، فحينئذ يزداد هذا المخدوع إنهاكاً ، ويقول لذلك الداعي الملعون : تلطف في حالي ، وبلغني إلى ماشوقتني إليه ، فيقول إدفع النجوى إثني عشر ديناراً تكون لك قرباناً وسلماً ، فيمضي به فيقول : يامولانا إن عبدك فلان قد صحت سريرته ، وصفت خبرته ، وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتبلغه حد الأحكام وتزوجه الحور العين ، فيقول له : قد وثقته وأمنته ؟ فيقول يامولانا قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابراً ولأنعمك شاكراً فيقول علمنا صعب مستصعب ، لايحمله إلا نبي مرسل ، أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان فإذا صح عندك حاله ، فاذهب به إلى زوجتك ، فاجمع بينه وبينها ، فيقول سمعاً وطاعة لله ولمولانا ، فيمضي به إلى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى إذا كان الصباح ، قرع عليهما الباب ، وقال : قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكر ذلك المخدوع ، ويدعو له ، فيقول له : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا ، فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته ، كما فعل ذلك الداعي الملعون ثم يقول : له لابد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا ، فادفع قربانك ، فيدفع اثني عشر ديناراً ، ويصل به ويقول يامولانا ، إن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم ، وهذا قربانه ، حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس ، وحميت الرؤوس وطابت النفوس ، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفأوا

SS

السرج والشموع ، وأخذ كل واحد منهم ماوقع عليه في يده ، ثم يامر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون ، وجميع المستجيبين ، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له فيقول: ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولاتكفروه ، على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آصاركم ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم « وما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم (١) ».

قال محمد بن مالك رحمه الله تعالى : هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم ، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى على شهيد بجميع ماذكرته ، مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد عليّ بجميع ماذكرته ، عالم به ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم بباطل له جهنم وساءت مصيراً ، ومن حكي عنهم بغير ماهم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته ، فأديت هذه النصيحة إلى المسلمين حسب ما أوجبه الله علي من حفظ هذه الشهادة ، فإن الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة ، ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها ، قال الله سبحانه وتعالى « ستكتب شهادتهم ويسئلون (٢) » ، والله أسأله أن يتوفانا مسلمين ، ولاينزع عنا الاسلام بعد إذ آتانا الله بمنه ورحمته .

---

(١) فصلت : ٣٥ .
(٢) الزخرف : ١٩ .

المقالة في أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها :

وقد رأيت أيها الناس ـ وفقنا الله وإياكم للصواب ، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب ـ أن أذكر أحبال هذه الدعوة الملعونة ، لئلا يميل إلى مذهبهم مائل ، ولا يصبو إلى مقالتهم لبيب عاقل ، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب إنذاراً لمن نظره ، وإعذاراً لمن وقف عليه واعتبره .

باب : اعلموا يا أخواني في الاسلام أن لكل شيء من أسباب الخير والشر والنفع والضر والداء والدواء أصولاً ، وللأصول فروعاً وأصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى به الشيطان أهل الكفر والشقوة ظهور « عبد الله بن ميمون القداح » في الكوفة ، وما كان له من الأخبار المعروفة والمنكرات المشهورة الموصوفة ، ودخوله في طريق الفلسفة واستعماله الكتب المزخرفة وتمشيته إياها على الطغام ، ومكيدته لأهل الاسلام .

وكان ظهوره في سنة ست وسبعين ومائتين ، من التاريخ للهجرة النبوية ، فنصب للمسلمين الحبائل وبنى لهم في الغوائل ولبس الحق بالباطل « ومكر أولئك هو يبور »[١] ، وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيراً ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلاً وزخرف الأقوال ، وضرب الأمثال ، وجعل لآي القرآن شكلاً يوازيه ، ومثلا يضاهيه ، وكان الملعون عارفاً بالنجوم ، معطلاً لجميع العلوم « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »[٢] ، فجعل أصل دعوته التي

(١) فاطر : ١٠ .
(٢) الصف : ٨ .

دعاها ، وأساس بنيته التي بناهـا الدعاء إلى الله وإلى رسوله ، ويحتـج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله ، والاختصاص لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتقديم والامامة ، والطعن على جميع الصحابـة بالسب والأذى وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن الله من سب أصحابي » ، وقال عليه السلام « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديـتم » وقال ﷺ « من سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله على وجهه في النار [1] » فأفسد بتمويهه قلوب الجهال ، وزين لهم الكفر والضلال ، وله شرح يطول فيه الخطاب ، غير أني أختصر ، وفيما أشرحه كفاية واعتبار لأولي الألباب والأبصار .

وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ، ويظهر الاسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سلمية [2] ، وكان من أحبار اليهود ، وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب ، وكان صائغاً يخدم اسماعيل ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام ، وكان حريصاً على هدم الشريعة المحمـدية لما ركب الله في اليهود من عداوة للاسلام وأهله ، والبغضاء لرسول الله ﷺ ، فلم ير وجهاً يدخل به على الناس ، حتى يردهم عـن الاسلام ، ألطف من دعوته إلى أهل بيت رسول الله ﷺ ، وكان قد خرج في أيام قرمط البقار ، وكان اسمه أو لقبه لأنه كان يقرمـط في سيره إذا مشى ، ولذلك نسب أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون إلى قرمط ، لأنهـما

---

(١) انظر سنن أبي داود ـ ط. دار احياء السنة النبوية : ٤/١٢٩ ، ٢١٤-٢١٥ .

(٢) معروفة الى الشرق من حماة بينهما ٣٣ كم ، وكانت ومازال تتمتع بموقع ممتاز ، فهي بالاضافة لخصبها وثيقة الصلة بالبادية وأهلها ، ووقع اختيار الدعوة الاسماعيلية عليها لهذه المزايا .

اجتمعا وعملا ناموسا يدعوان إليه ، وكانا يعرفان النجوم ، وأحكام الأزمان فدلهما الوقت على تأسيس ماعملاه ، فخرج ميمون إلى الكوفة ، وأقام بها مدة ، وله أخبار يطول شرحها ، مما كان منه ومن علي بن فضل ، والمنصور صاحب مسور ، وأبي سعيد الجنابي ، وأنا أشرح ذلك عند إنتهائي إليه إن شاء الله تعالى ـ وأما قرمط البقار فإنه خرج إلى بغداد ، فقتل هنالك لارحمه الله .

باب ذكر ماكان من القداح وعقبه لعنه الله ومن تعلق بسببه ودخل في ضلالته ومذهبه :

وكان أول أولاده عبيد[١] وهو المهدي ثم « محمد » وهو القائم[٢] ، ثم اسماعيل المنصور[٣] ، ثم « المعز »[٤] ثم « العزيز »[٥] ، ثم « الحاكم »[٦] ثم « الظاهر »[٧] ثم « معد المستنصر »[٨] » هـؤلاء الذين ينسبون إليـه إلى عصرنا هذا ، فانتسبوا إلى ولد الحسين بن علي بن أبي طـالب كرم الله

---

(١) كذا ، وهو خطأ ، وصوابه عبد الله ، وهذه مسألة سنعود لها فيما بعد في ترجمة علي بن الفضل .

(٢) ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م — ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م ،

(٣) ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م — ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م .

(٤) ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م — ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م .

(٥) ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م — ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م .

(٦) ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م — ٤١١ هـ / ١٠٢١ م .

(٧) ٤١١ هـ / ١٠٢١ م — ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م .

(٨) ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م — ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ، وهـذا دليل على أن الكتاب صنف في عصر المستنصر .

وجهه ، وانتحالهم إليه انتحال كاذب وليس لهم في ذلك برهان وأهل الشرف ينكرون ذلك فإنهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلاً مذكوراً ، ولاعرفوا لهم في كتاب الشجرة نسباً مشهوراً ، بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب إلا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فإنه يشهد لهم الزور ويساعدهم في جميع الأمور ، وقد زعموا أنهم من ولد محمد اسماعيل بن جعفر الصادق وحاشى لله ما كان لمحمد اسماعيل من ولد ولاعرف ذلك من الناس أحد بل هم «كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الارض مالها من قرار»[١] .

الدليل على ذلك وعلى بطلان ماذكروه أنهم يقولون معداً المستنصر ابن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد[٢] بن ميمون ، ثم يقولون ابن الأئمة المستورين من ولد اسماعيل ابن جعفر الصادق ، فإذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين[٣] حادوا عن الجواب وكان للسائل لهم الارتياب ، وقالوا : هم أئمه قهروا فتستروا ولم يؤمروا باظهارهم ولاذكرهم لأحد ، وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ماذكروه وانتسبوا إليه .

والدليل على أنهم من ولد اليهود ، استعمالهم اليهود في الوزارة والرئاسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة ، مازالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم، وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد .

---

(١) ابراهيم : ٢٦ .

(٢) كذا ، وهو مخالف لجميع المصادر على تباين رواياتها ومواقفها . انظر أصول الاسماعيلية : ١٣٣-١٥٦ .

(٣) المصادر الاسماعيلية غير متفقة على سلسلة الأئمة المستورين ، انظر اصول الاسماعيلية : ١١٥-١٣٣ .

باب خروج ميمون القداح من سلمية إلى الكوفة :

وقد ولد له عبيد وهو الذي يسمونه عبيد الله المهـــدي ، فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتي تهيأ لهما ما كانا يطلبان ، وإلى أن أجابهما إلى ذلك تسعة رهط ، يفسدون في الأرض ولا يصلحون منهم علي بن فضل الجدني اليماني ، وأبو القاسم بن زاذان الكوفي المسمى المنصور عند كونه في اليمن في مسور ، وأبو سعيد الجنابي صاحب الأحساء والبحرين ، وأبو عبد الله الشيعي صاحب كتامة في الغرب ، والحسن بن مهـران المسمى بالمقنع الخارج فيما وراء النهر من خراسان ، ومحمد بن زكريا الخارج في الكوفة ، ولا بد أن أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصر إن شاء الله تعـالى .

باب ذكر أبي سعيد الجنّابي لعنه الله :

كان فيلسوفاً ملعوناً ملك البحرين واليمامة والأحساء وادعي فيها أنـه المهدي القائم بدين الله فاستفتح[1] ... ودخل مكة وقتل الناس في المسجد الحرام ، ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به إلى الأحساء وقال في ذلك شعراً :

ولو كان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجـة جاهليـة ... محللة لم نبق شرقـاً ولاغربـاً
وانا تركنا بين زمزم والصفـا ... جنائز لاتبغي سوى ربهـــا ربا

---

(١) سقط في الاصل حوى أخبار أبي سعيد الجنابي حتى وفاته ، ومطلع أخبار أبي طاهر من بعده حتى دخول مكة انظر ماسبق بيانه في نص ثابت بن سنان : ٥٣ .

وله لعنه الله أشعار بالقدر في ذلك تركتها اختصاراً وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفاً عليه لعنة الله .

باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع

خرج فيما وراء النهر وله أخبار شنيعة وكان حكيماً فيلسوفاً ملعوناً ذكروا أنه عمل قمراً بالطلسم يطلع في السنة أربعين ليلة ، ولقد كنت أكذب ذلك حتى صححه لي جماعة من أهل خراسان ، وذكروا أنه بنى حصناً وعمل فيه لوالباً ، فكان المسلمون إذا أتوا لقتاله قذفوا بالحجارة ولايدرون من أين يقذفون ، فمال إليه خلق كثير حتى بعث الله عليهم غلاماً حكيماً ، فأمر المسلمين أن يحفروا حول الحصن فوقعوا على اللوالب فاخرجوها ، ودخلوا عليه فقتلوه وقيل انه أحرق نفسه قبل دخولهم عليه فأمكن الله سبحانه وتعالى منه [١] .

باب ذكر محمد بن زكريا لعنه الله

أحسب أن اسمه زكرويه بن مهرويه القرمطي وكان قد خرج بالكوفة فخرج إليه المكتفي أمير المؤمنين من بني العباس فقتله لعنه الله ولارحمه .

باب ذكر علي بن فضل الجدني لعنه الله [٢]

من ذرية ذي جدن والأجدون من سبأ صهيب ، وأصله من جيشان ،

---

(١) انظر أخباره في تاريخ الطبري : ٨/١٣٥-١٤٨ .

(٢) ستأتي ترجمته مفصله في آخر هذا الكتاب ، وانظر أيضاً ماسبق تقديمه من أخباره في النصوص السابقة .

وكان في أوله ينتحل الإثني عشرية ، خرج للحج ثم زار قبر النبي ﷺ ثم مضى إلى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن علي رضي الله عنه ، فلما وصل الكوفة وزار قبر الحسين رضي الله تعالى عنه بكى على القبر بكاء شديداً وجعل ينوح ويقول : بأبي أنت يا ابن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء ، وكان ميمون القداح على القبر ، وولده عبيد فلما بصرا به سرهما وطمعا به وعلما أنه ممن يميل اليهما ويدخل في ناموسهما ، فقال ميمون : أيها الشاب ما كنت تفعل لو رأيت صاحب هذا القبر ؟ قال : اذا والله أضع له خدي وأجاهد بين يديه حتى أموت شهيدا فقال له ميمون : أتظن أن الله قطع هذا الأمر ؟ قال له علي بن فضل : لا ولكني لا أعلم ذلك ، فهل عندك منه خبر أيها الشيخ ؟ فقال : أخبرك به إن شاء الله ، عند الامكان ، ثم قام ميمون فتعلق به ، فقال ميمون : تقف بهذا المسجد إلى غد فوقف أياماً فلم يرد له خبراً ، فودع أصحابه ، وقال لهم أما أنا فلا أبرح هاهنا حتى أتنجز وعداً قد وعدته فأخذ له من المؤونة ما يكفيه فوق أربعين يوماً وميمون وولده يرمقانه من حيث لايعلم بها ، فلما رأى ميمون صبره أعجبه وعلم أنه لايخالفه في شيء من دعوته والميل إلى كفره وضلالته ، فأتاه عبيد فوثب إليه فاعتنقه وقال سبحان الله ياسيدي وعدني الشيخ وعداً فأخلفني ، فقال لم يخلفك وإنما قال أنا آتيك غداً ان شاء الله ، وله في هذا مخرج على ضميره ، ثم جلسا وجرى بينهما الكلام وقال له : يا أخي اعلم أن ذلك الشيخ أبي ، وقد سره ما رأى من صبرك وعلو همتك ، وهو يبلغك محبوبك ان شاء الله ، ثم أخذ بيده فأوصله الى الشيخ ، فلما رآه قال : الحمد لله الذي رزقني رجلاً نحريراً مثلك أستعين به على أمري ، وأكشف

له مكنون سري ، ثم كشف له أمر مذهبه لعنها الله فأصغى اليه ، واشرأب قلبه وتلقى كلامه بالقبول ، وقال له علي : والله ان الفرصة ممكنة باليمن ، وان الذي تدعو اليه جائز هنالك ، وناموسنا يمشي عليهم ، وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام ، وتشتيت الرأي وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية ، فقال له ميمون أنا موجهك والمنصور الحسن بن زاذان ، وكان ينسب الى ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وكان أبوه ممن ينتحل مذهب الشيعة الاثني عشرية ، وكان من أهل الضلال ، وكان من أهل الكوفة ، فلما دخل ميمون الكوفة ظفر بالحسن بن زاذان وعلم أنه مسعود ، وانه ينال ملكاً وشرفاً ، وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة ، فجعل ميمون يلطف به ويرفق ، فيكشف له مذاهب الفلسفة ومقالهم ، فلم يزل به حتى قبل منه ، وركن الى قوله ومازال به حتى مال الى معتقده وصار من دعاته الذين يدعون اليه والى ولده ، فعند ذلك قال ميمون : يا أبا القاسم ان الدين يماني ، والحكمة يمانية [1] ، وكل أمر يكون مبدؤه من قبل اليمن فإنه يكون ثابتاً لثبوت ذلك النجم ، وذلك أن اقليم اليمن أعلى الأقاليم الدنيا ، ولابد من خروجك الى هنالك أنت وأخوك علي بن فضل اليماني ، فسيكون لكما شأن وملك وسلطان في اليمن ، فكونا على أهبة فقال له : الأمر اليك ياسيدي ، قال المنصور : فكنت أنا وعلي بن فضل ، وعبيد لانزال نكثر المذاكرة في مجلس الشيخ ، وكان يقول عند تمام الوقت ومضي ستة أدوار من الهجرة المحمدية أبعثكما الى اليمن تدعوان الى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وأخذ علي ، وعلى علي بن فضل ،

(١) انظر تاريخ صنعاء ـ ط. دمشق ١٩٧٤ : ٦-٩ .

العهود والمواثيق لولده ، فلما كان أوان خروجنا قال لنا ميمون : هـذا هو الوقت الذي كنا ننتظر ، فاخرجنا في هذا الوسم ، ثم وجهنـا الى اليمن نتظاهر بالحج ، وعهد الينا ، ثم خلابي وأوصاني بالاستتـار حتى أبلغ مرادي ، وقال لي : الله الله بصاحبك فاحفظه وأكرمه بجهدك ، ومره بحسن السيرة في أمره فإنه شاب لا آمن نبوته ، وخلا بعلي بن فضل ، وقال الله الله بصاحبك ، وقره واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ، انه أعرف منك وانك ان خالفته لم ترشد .

قال المنصور : فلما صرت في بعض الطريق ، لحقني كمد عظيم لحال الغربة واذا بحاد يحدو ويقول :

يا أيها الحادي المليح الزجر بشّر مطاياك بضوء الفجر
تـــدرك ما أملته من أمر

قال : فلما سمعت ذلك سررت به ، واستبشرت ، فوصلت مكة مع الحاج وذلك في أيام محمد بن يعفر الحوالي[1] ، ثم أقبلنا نسأل عن أخبار اليمن ، فقيل لنا : إن الأمير محمد بن يعفر رد المظالم ، واعتزل عـــن الناس ، ورجع إلى التنسك والعبادة ، فقلنا : ولم فعل ذلك ؟ فقيل لنا : إنه قيل له إن في هذه السنة يخرج عليه خارجي ، فيكون زوال أمره على يديه ، ويقال إنه رد في يوم واحد ألف دينار ، وقام في بـــني حوال رجل يقال له إبراهم فقال :

ياذا حـوال يا مصابيح الأفـق تداركوا عزكم لا ينفتـق
فتطلبون رتق ما لا يرتـــق فأيكم قام بهـــا فقـد سبق

---

(١) ربما سنة ٢٦٨ انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ وانظر غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ـ ط. القاهرة ١٩٦٨ : ١/١٦٤-١٦٠ . أعلام الزركلي .

فقام ولد محمد بن يعفر :

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله :

فلما خرج علي بن فضل مع الحاج هو والمنصور وصارا في غلافقة[١] افترقا ، وقال كل واحد منها لصاحبه : أعلمني بأمرك ومايكون منك ، فوصل المنصور إلى الجند[٢] وصاحب الأمر يومئذ جعفر بن إبراهيم المناخي وخرج علي بن فضل إلى ناحية جيشان . فأما المنصور فإن ميموناً كان قال له : لايظهر أمرك إلا من موضع يقال له « عدن لاعة »[٣] فإنـــه أقوى لأمرك وأمضى لناموسك « وإنما دله على ذلك الفلسفة وعرف ماسطره في كتبهم من تسمية الأقاليم والبلدان وتقويم الكواكب السبعة » ، فلما صار المنصور إلى الجند سأل عن « عدن لاعة » فقالوا : لا نعرف إلا « عدن أبين »[٤] فدخل « عدن أبين » بتجارة تصلح لعدن ، كما يفعل التجار فأقام أياماً فيها يسأل عن « عدن لاعة » مدة مقامه هنالك ، فبصر به شيخ من تجار عدن ، فأنكره فسأله عن حاله ، فقال : أنا رجل من أهل العراق ، وكنت حاجاً في هذه السنة ، قال : فهل عندك خبر[٥] ؟ قال : لست صاحب أخبار ، وعما تريد أن أخبرك عنه ؟ قال له العدني : هل حدث في الشام حدث ؟ قال : لاعلم لي بشيء ، فلم يزل به حتى أعلمه مافي ضميره ، فعاهده

---

(١) مدينة على ساحل اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد ، تعرف الآن بغليفقة معجم البلدان .

(٢) من أشهر مدن اليمن الى الجنوب من صنعاء . معجم البلدان .

(٣) هي اليوم أطلال في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ثلاثة أيام منها . تاريخ اليمن لعمارة اليمني : ٦١ - ٦٢ .

(٤) عدن الحالية في اليمن الجنوبي .

(٥) في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « معك من علم آل محمد شيء » .

المنصور على كتمان سره ، وسأله عن « عدن لاعة » فقال هي معروفة ، ولايزال أهلها من التجار يصلون إلينا ، وأنا أعلمك بهم إذا وصلوا ، ويقال إن هذا المدني جد بني الوزان [١] فاسدي المذهب ، وبنو الوزان إلى اليوم رفضة شيع ، فلما وصل التجار من « عدن لاعة » ، ومن عزان [٢] فسألهم عن الموضع فأخبروه عنه ، وأنه في ناحية بلادهم ، وهي قرية صغيرة ، [قالوا :] فمن أعلمك بها ؟ قال : الناس يسمعون بذكر البلدان ، فلما عزموا على الرحيل تأهب للخروج معهم ، وقال : أنا رجل من أهل العلم ، وقد رغبت بالخروج معكم إلى بلدكم ، ففرحوا به وأكرموه وقالوا : مرحباً بك نحن أحوج إلى من يبصرنا في أمر ديننا ، ونحن نكفيك المؤونة ، ونحملك ، فأثنى عليهم وشكرهم ، وقال : لاحاجة لي عندكم ، وإنما أردت وجه الله تعالي ، فارتحل معهم ، فكان يسامرهم ، ويروي لهم أحسن الأخبار ، فأحبوه وأصغوا إليه وإلى قوله فكانوا يحدقون به إكراماً له وتبجيلاً حتى قدموا « لاعة » ، فادعى الفقه ومذهب السنة والجماعة فتسامع به الناس وأقبلوا إليه من كل ناحية ، وهو مستعمل للورع وحسن السيرة حتى مالت إليه مخاليف المغرب « لاعة ، وأقيان [٣] وحجة وعزان ، وبلدان البياض [٤] » فأمرهم بجمع زكاة أموالهم فاستعمل عليها منهم ثقات وعدولاً يقبضون أعشار أموالهم على مايوجبه الفقه فأقام

(١) في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « بنو موسى » .

(٢) انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٨٧-٨٨ . معجم البلدان - مادة عزان -

(٣) قرية كان بها ملك بني حوال - صفة الجزيرة : ٢٣١ ، وقد صحف الاسم في الاصل ، ولعل وجه الصواب ما أثبتنا .

(٤) معظم هذه البلدان ماتزال معروفة بذات الاسماء في منطقة حجة . انظر صفة الجزيرة : ٢٣١-٢٣٤ .

سنتين بعد قتل « محمد بن يعفر »[١] واختلاف بني حوال فيما بينهم ، فقال لهم : قد رأيت أن تبنوا موضعاً منيعاً يكون لبيت مال المسلمين ، فعزموا على ذلك ولم يخالفوه فيما أمرهم به فأجمعوا على بناء موضع يقال له « عثر محرم »[٢] وهو جبل تحت مَسور[٣] وهو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين المغرب همدان ، فلما بنى الجبل ، وحصنه ، حمل إليه كل مايحتاج إليه بعد أن ساعده إلى إرادته خمسمائة رجل ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق ، ثم إنه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وأصحابه ونقلوا حريمهم وأموالهم ، وذلك بعد أن اخرج الحوالي عسكراً في جنح الليل إلى مواضع كانوا فيه يقال له « الحيفة » في ناحية « لاعة » فقتل من أصحاب المنصور إثني عشر وارتكب «عثر محرم» بمعاملة لبني العرجاء وأنكر الناس أمره واضرموا النيران لحربه فكتب اليهم اني ماطلعت هذا الجبل إلا لأحصن به نفسي من السلطان، فلم يقبلوا منه ، وجاءوا اليه فقاتلوه فهزمهم، وقتل منهم بشراً كثيراً فعظم حينئذ شأنه ، وشاع الى جميع المشائر ذكره ،وبلغ الأمير ذلك فكتب الى جميع المشائر حوله يحرضهم على قتاله ، فقاتلوه مراراً وهو ينتصر عليهم ، ثم استنجدوا عليه رجلاً من سلاطين شاور يقال له أبو اسماعيل وبالحوالي[٤]

---

(١) انظر الاكليل للهمداني : ١/١٧٧ - ١٨٦ . ط. القاهرة: ١٣٨٦ هـ.

(٢) في الأصل « عبر » وفي غاية الأماني : ١/٢٢٠ « عين » ولم نعثر لأي منها على ذكر ، فقدرنا أنه تصحيف صوابه ما أثبتنا . انظر صفة الجزيرة : ٢٤٨ - معجم البلدان تاريخ ابن المجاور : ١٨٤ . سيرة الهادي الى الحق : ٣٩٤-٣٩٨ .

(٣) انظره في صفة الجزيرة : ٣٤٩ تاريخ اليمن لعمارة : ٢٣٤ - ٢٣٥ . معجم البلدان . تاريخ ابن المجاور : ١٨٣-١٨٤ .

(٤) أي آل يعفر ، انظر الاكليل : ١٠/١٧٩ - ١٨٦ غاية الأماني : ١/١٦٤ - ١٦٥ .

صاحب صنعاء فأمدوهم بالعساكر الكثيرة فهزمهم وقتل منهم قتلاً كثيراً ، فازداد بذلك ذكره وعظم أمره ودخل في طاعته من كان حوله طوعاً وكرهاً ، واستعمل الطبول والرايات وأظهر مذهبه ودعا الى عبيد بن ميمون ، وكان يقول والله ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا بكثرة رجالي وانما أنا داعي المهدي الذي بشر به ﷺ ، فانهمك اليه عامة الناس ودخلوا في بيعته ومذهبه ثم سمت به همته الى ارتكاب جبل مسور حصن يقال له « فايز » [١] فيه خمسمائة رجل وأمور للحوالي ، فلم يزل الملعون يتلطف حتى عامل مع عشرين رجلاً منهم ، فارتكب الجبل بالليل ، فأصبح في رأسه وقصد من كان في « بيت فايز » ، وفتح له العشرون الذين عاملوه ، وقال : « ادخلوها آمنين [٢] » ؛ فقال المنصور اخرجوا منها فإنا داخلون ، وسأله صاحب الحصن الأمان على نفسه ومن معه ، فأمنهم ، فلما رأى المنصور صاحب الحصن مقبلاً نزل عن دابته ومشى اليه واعتنقه فزال عنه الرعب ، وقال له : ان معي مالاً للسلطان فمن يقبضه ؟ فقال ـ المنصور لعنه ـ الله : لسنا ممن يرغب في مال السلطان ، وما طلعت هذا الجبل لأخذ أموال الناس ، وانما طلعت لاصلاح الاسلام والمسلمين ، خذ مال صاحبك فأده اليه ، فذكروا أنه لعنه الله طلع جبل مسور في ثلاثة آلاف رجل ، ومعه ثلاثون طبلاً ، فكانت طبوله اذا ضربت سمعت الى المواضع البعيدة من المغرب ، ثم انه حصّن الحصن ودربه وبنى فيه دار الإمرة وهو بيت

---

(١) هو فائس عند الهمداني . صفة الجزيرة : ٢٦٧ ، الاكليل : ٨٢/٢ . وهو يعرف اليوم باسم « فائز » ومخرج حرف السين مقارب لمخرج حرف الزاي كما هو معلوم لذلك يختلف الرسم عند اصحاب المصنفات .

(٢) الحجر : ٤٦ .

ريب[١] وهو أول من أسسه وجعل فيه من يثق به من أهل مذهبه ، ثم بنى بيت ريب ودرب الجبل من كل ناحية وجعل له بابين ، وبنى في بيت ريب قصراً وسماه دار التحية ، فمند ذلك أحل ما حرم الله ، وكان يجمع أصحابه في ذلك القصر ونساءهم يرتكبون الفواحش وأقام يحارب من حوله من القبائل ويبعث اليهم بالعساكر فأبادهم وأخذ أموالهم وقتل رجالهم حتى دخلوا في طاعته كارهين ذلك واستولى على جميع مخاليف المغرب قهراً واستعمل عليهم رجلاً من أهل مذهبه يقال له أبو الملاحف[٢] فأقام بناحية جبل تيس[٣] والياً للمنصور وخرج بنفسه وعساكره الى بلاد « شاور » فاستفتحها وحاصر صاحبها ابا اسماعيل الشاوري سبعة أشهر حتى استنزله من حصنه ورجع الى مسور ثم خرج الى ناحية « شبام حمير[٤] » فأقام يحاربهم مدة طويلة وخرجت عساكره الى ناحية المصانع من بلد حمير فأقام هناك في مراكز لحمير ، فتحموا عليه وقتلوا جماعة من عسكره فانهزموا الى مسور فغفل عنهم أياماً يسيرة وعامل رجلاً يقال له الحسين بن جراح وكان في الضلع « ضلع شبام » والياً على

---

(١) انظره ووصفه في صفة الجزيرة : ٢٤٥ ـ معجم البلدان

(٢) ذكر القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة : ٦١ ، وعنه نقل الداعي المطلق ادريس القرشي في عيون الأخبار وفنون الآثار : ٥/٤٤-٤٥ ، مايظن انه ولد أبي الملاحف واسمه عبد الله ، وأنه وجه من اليمن في البداية برفقة أبي عبد الله الداعي ليتوجها نحو المغرب . انظر ماسبق في ص: ١٠٤

(٣) انظره في صفة الجزيرة : ١٢٣ .

(٤) شبام حمير الآن موضع فيه قرية يقع إلى الشمال الغربي من صنعاء ، وكان يعرف أيضاً باسم جبل ذخار ، فيه حصن كوكبان الشهير ، وفي سفحه مدينة شبام وذلك من الشرق انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٦٥-٦٦ . ابن المجاور : ٤ ١-١٨٥ . تاريخ صنعاء : ٥٦٦ . صفة الجزيرة : ٢٣١ - ٢٣٤ .

أن يعضده على شبام ويكون أمرها اليه فعاقده على ذلك ، وخرج بنفسه وعساكره وقام الحسين بن جراح ففتح « شبام الأهجر » فأخرج منها بني حوال ، وحمل الى مسور جميع ماغنمه من نمالك بني حوال وأموالهم وأقام هناك شهراً ، وندم ابن جراح على ماكان منه من معاملته ، وخاف على نفسه ، وحالف رجلاً يقال له ابن كيالة من قواد بني حوال ، كان والياً على صنعاء فجاش ابن كيالة [١] بقبايل حمير وهمدان وخالف ابن جراح القرمطي فصار في وجهه وابن كيالة يقابله على درب شبام ، فضاق حال الملعون القرمطي وخرج منهزماً بالليل هو وأصحابه الى مسور ، فذكروا أنه ماخرج الا بنفسه وترك خيله وأقاما في شبام حتى رجع لهما القرمطي ثانية [٢] وذلك عند دخول علي بن فضل صنعاء ، وأنا أذكر ماكان منهما لعنهما الله .

وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلي بن فضل الي ميمون وولده يخبره بما فتح من البلاد ووجه اليهما بهدايا وطرف من طرف اليمن وكان ذلك في سنة وتسعين ومائتين ، فلما وصلت هديته الى القداح وولده سرهما ذلك ، وقال لولده : هذه دولتك قد أقبلت .

ثم ان المنصور أقام في مسور الى أن جرى بينه وبين علي بن فضل الجدني اختلاف ومحاربة ، وأنا أشرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

وكان موت المنصور لعنه الله سنة اثنين وثلاثمائة وولي الأمر من بعده عبد الله ابن عباس الشاوری [٣] .

---

(١) الحسن بن كياله من موالي بني يعفر . انظر سيرة الهادي : ٣٩٠-٣٩٣ .
(٢) انظر غاية الأماني : ١٩٢/١ .
(٣) انظر عيون الأخبار : ٤٤/٥ ، هذا وذكر الخزرجي في العسجد المسبوك —

SS

باب ذكر علي بن فضل بن أحمد الجدني لعنه الله :

كان من خبره أنه لما افترق هو المنصور بغلافقة ، خرج إلى اليمن أيضاً وفيها جعفر بن ابراهيم المناخي ، وخرج إلى جعفر[1] من « أبين » وفيها رجل من الأصابح يقال له محمد بن أبي العلاء فخرج القرمطي إلى جيشان ثم خرج إلى « سروبافع »[2] فتفرسهم فعلم أنهم أسرع الناس إلى إجابته فطلع رأس جبل وبنى فيه مسجداً وأخذ بالنسك والعبادة فكان نهاره صائماً وليله قائماً فأنسوا اليه وأحبوه وافتتنوا به ، ثم انهم قلدوه أمرهم ، وجعلوا حكمهم إليه فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن بينهم فقال لا أفعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضلال إلا أن تعطوني العهود والمواثيق أن لاتشربوا الخمر ، ففعلوا له ذلك ، وأنهم ينكرون المنكر ، وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم ، فلم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ الى ارادته ، وأمرهم ببناء حصن في ناحية « سروبافع » فأطاعوه وسمعوا لأمره ، ثم أنه أنهبهم أطراف بلدان ابن أبي العلاء وأراهم أن ذلك جهاد لأهل المعاصي حتى يدخلوا في دين الله طوعاً وكرهاً ، وأمرهم

— انظره فيما بعد — أن منصوراً وصى الى ابنه الحسن والى عبد الله الشاوري ، وبين أن منصور توجه الى المهدية ، حيث يبدو أنه مكث هناك فترة من الزمن وشارك في العديد من الأحداث ، كما يبدو أنه كان شاعراً ، وقد ذكر له الداعي ادريس عدداً من القصائد في عيون الأخبار ٥/٢٠٦ ، ٢٧٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، وخلال إقامة الحسن في إفريقية أوكلت المهدية أمور الدعوة في اليمن إلى الشاوري ، لكن بعدما عاد حسن بن المنصور إلى اليمن اغتال الشاوري واستبد بأمور الدعوة .

(١) أي مخلاف ـ منطقة ـ جعفر . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٨ ـ ٤٩ .

(٢) انظر تاريخ اليمن ~~لعمارة~~ : ٤٧ ـ ٥١ .

SS

أن يتخطفوا بلاد ابن أبي العلاء فاشتد بأسهم ، وكانوا لايلقون جمعاً الا هزموه وظفروا عليهم ، وذلك لما سبق من علم الله من فتنة المسلمين على يديه لعنه الله ، فلما شاع ذكره وسمع به جعفر بن ابراهيم[1] ، كاتبه وفرح به ، وذلك لشحناء كانت بينه وبين ابن أبي العلاء لقرب القرمطي اليه فكاتبه جعفر على مطابقته على حرب ابن أبي العلاء ، ووجه من عنده عسكراً الى القرمطي وتماقدا أن يكون جميع ما يفتح من بلدان ابن أبي العلاء بينهما نصفين فخرج القرمطي لحرب ابن أبي العلاء بقبائل يافع وعسكر جعفر ، فهزمهم ابن أبي العلاء وقتل منهم قتلاً كثيراً وانهزم القرمطي الى « سبأ صهيب »[2] فلما كان الليل جمع أصحابه ، وقال اني أرى رأياً صائباً ، ان القوم قد أمنوا منا ، وقد علمتم ما فعلوا بنا وأرى أن نهجم عليهم ، فإنا نظفر بهم ، فأجابوه الى ذلك ، وهجم عليهم الى « خَنفَر »[3] فقتل ابن أبي العلاء وعسكره واستباح ماكان له وأخذ من خزائنه تسعين ملحماً في كل واحد عشرة آلاف[4] ، فلما رجع الى بلاد يافع ، عظم شانه ، وشاع ذكره ، وأجابته قبائل مذحج بأسرها ، وزبيد ، ومالاً يحصى عدده ، فلما بلغ ذلك جعفراً اغتم غماً شديداً وسفر اليه ينظر ماعنده ، فسأله أن يقسم ما أخذ من « خنفر » فجمع القرمطي القبائك والعساكر ولقي السفير في أعظم زي من العدة والعدد ، فلما عرف السفير بما جاء به ، جمع العساكر ، وقال : ان جعفراً أرسل

---

(١) المناخي . انظر صفة الجزيرة : ١٣١ . الاكليل : ٢/٩٣-٩٥ .

(٢) انظر صفة الجزيرة : ٧٩ .

(٣) بلدة كانت تقوم وسط وادي أبين هي الآن أنقاض . صفة الجزيرة : ٧١ . الإكليل : ٢/١١١ .

(٤) من الدنانير ، ذلك أن خنفر شهرت بذهبها . صفة الجزيرة : ٧١ .

الي لما بيني وبينه من العهد بقسمة ماغنمت ، وقد أحضرتكم شهـودا على تسليمه اليه لأني لارغبة لي في المال ، انما قمت لنصرة الإسلام ، فشكروه على ذلك ثم أحضر المال فقسمه شطرين وسلم الى السفير ، وقال: انصرف الى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد لحربي ، وكتب معه كتابـاً اليه ، يذكر فيه : انه بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموال الناس ، وأنا قمت لأميت المظالم ، وأرد الحق الى أهله ، فإن أردت تمام مـا بيني وبينك فرد الظلامات الى أهلها ، وادفع لأهل دلال دية[1] ما قطعت من أيديهم ، وذلك أن جعفراً قطع أيدي ثمانمائة رجل من أهـل دلال على حجر المذيخرة ، يقال ان أثر الدم على الحجر الى اليوم ، فلما بلغه كتابه علم أنه منابذه الحرب فقطع مكاتبته .

فلما كان العام المقبل خرج القرمطي بالجمع الكثير ، فدخل المعافـر فأمر جعفر بلزوم نقيل بردان عند التّعْكر[2] وخرج في لقائه أكـثر من ألف فارس فانهزم القرمطي مولياً الى بلاد يافع فجمع جموعاً كثيرة ، ورجع فهزم جموع جعفر الى المذيخرة ، فتبعه القرمطي ، فدخل المذيخرة وانهزم جعفر الى تهامة ، فأقام القرمطي في مذيخرة فاستنجد جعفر بصاحب تهامة ، فأنجده بعسكر عظيم فطلع حتى صار في موضع يقال له الرواهد بناحية « نخلة » فلما سمع به القرمطي خرج اليه في جنح الليل فظفر به وقتل جعفراً في الجوالة بنخلة[3] .

---

(١) انظر صفة الجزيرة : ١٢٣ .

(٢) من معاقل اليمن الشهيرة والمتناهية القدم . انظر صفة الجزيرة : ١٠٢-١٠٤ ، ٤١٩ .

(٣) لازال وادي نخلة يحتفظ باسمه ، وجوالة حصن : ذكره الهمداني في صفة الجزيرة: ١٣١ ، وقال : « قتل فيه جعفر بن ابراهيم المناخي » وقد ذكر الهمداني بقية المواقع هذه=

قال محمد بن مالك الحادي رحمه الله تعالى : وكان هـذا جعفر بن ابراهيم ظلوماً ، غشوماً سفاكا للدماء ، وانه قال في شعر له طويل قدر مائتي بيت في حرب كانت بينه وبين أبي جعفر الحوالي ، وظفر جعفر على الحوالي ، في [شبام آخر المحرم سنة تسع وسبعين ، و] من شعره[1] :

اذا ما تجمظروا[2] بطشنا بقدرة	ونفعل ماشئنا وما نتجمظـــر
فما قبلنا قبل ولابعـــد بعدنا	لمفتخر فخراً اذا عد مفخـر
سوى الطيبين الطاهرين الذين هم	من الرجس والعاهات والسوء طهر
سلالة اسماعيل ذي الوعد والوفا	ودعوة ابراهيم والبيت يعمـــر
محمد الهادي النبي وصنـــوه	علي وسبطاه شبير و[3] شبر
ونسلهم الهادين بالحق والتقى	بطاعتهم رب السماوات يـأمر
ومولاتي الزهراء التي عدل مريم	وصهر رسول الله مولاي حيدر

=في صفة الجزيرة : ١٣٠ - ١٣٤ . كما ذكر نسب المناخي وبعض أخباره في الاكليل : ٩٥/٢-٩٦ ، ١٠٠/١٧٧-١٨٦ . وكان مقتل المناخي سنة احدى وتسعين ومائتين أو في السنة التالية . انظر سيرة الهادي الى الحق : ٣٨٩ . غاية الأماني : ١٩٤ - ١٩٥ .

(١) بالأصل : في شيء من شعره ، والزيادة والتقويم عن المسجد المسبوك للخزرجي نسخة الجامع الكبير في صنعاء : ٣٣ .

(٢) الجمظري : الفظ الغليظ ، المتنفخ بما ليس عنده - القاموس .

(٣) (Shafra) (Shafira) وقد جاء في سيرة ابن اسحق : ٢٤٧ « . . . عن علي قال : لما ولد علي سميته حرباً ، قال : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أروني بني ، ماذا سميتموه ؟ فقلت : سميته حرباً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ولكن اسمه حسن ، فلما ولدت حسيناً سميته حرباً ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ فقلت : سميته حرباً ، فقال : لا ولكن اسمه حسين . . . . ثم قال : إني سميتهما ببني هرون شبره وشبيرا ، يقول حسن وحسين » .

رويدك عني بالملامـــة انني بها وبهم أزهو وأعلو وأفخر
ألا كل مجد ماخلا مجد أحمـد وعترته من دون مجـدي يقصر
وكل امرء والى سوى آل أحمد فذاك الذي الدنيا مع الدين يخسر
بهم زادني الرحمن عزاً ومفخراً فأحمده حمداً كثيراً واشكر
أنا ابن أبي اسحاق منصور حمير وفارسها والشمشعان المظفر
فلولاي لم يخلق سرير ممهـد ولولاي لم ينصب على الأرض منبر
أنا قمر الدنيا وعمي سراجها وجدي الذي كانت به الأرض تعمر
هم أنزلوني منزل العز حيث لا يراني الا دوني الطـرف يحسر
أصول ولا يعدى علي وأعتدي وأخمـد نيران الحروب وأسعر
وطعمي للاعداء مر وعلقـم وطعمي لأهل السلم شرب معنبر
ألم تر أن البغي مهلك أهـله وان الذي يبغى عليه سينصر

رجع الحديث الى علي بن فضل القرمطي ـ لعنه الله ـ انه لما قتل جعفراً أظهر كفره ، وادعى النبوة ، وأحل البنات والأخوات [1] ، وفي ذلك يقول شاعرهم على منبر الجامع في الجند :

خذي الدف ياهذه والعـبي [2] وغني هزاريك ثم اطـــربي
تولى نـــبي بـــني هـــاشم وهـــذا نـبي بـــني يعرب
لكل نـــبي مضى شرعـــة وهذي شرائع هـــذا النبي
فقد حط عنـا فروض الصلاة وحـــط الصيام ولم يتعـــب
اذا الناس صلوا فلا تنهضـــي وان صوموا فكلـــي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفـــا ولازورة القبر في يـــثرب

---

(١) يمكن رؤية ماصنعه ابن الفضل على أنه إعلان للقيامة ، العقيدة الاسماعيلية المعروفة . انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة : ٨٧ - ٨٩ .

(٢) في روايات أخرى : واضربي .

ولا تمنعي نفسك المعرسين ... من أقربي ومن أجنبي
فكيف تحلى لهذا الغريب ... وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه ... وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر الا كماء السماء ... حلالاً فقدست من مذهب

والشعر طويل وكله تحليل محرمات الشريعة والاستهانة بها .

ثم خرج يريد الحوالي [١] ، وخرج قبل ذلك الى بلاد « يحصب » [٢] فدخل « منكث » [٣] فأحرقها ثم خرج يريد الحوالي صاحب صنعاء ، فلما بلغ بلد « عنس » [٤] ، وكان للحوالي مأمور في هران [٥] فأرسل اليه القرمطي ليدخل فيما هم عليه ، فأجابه الى ذلك ، فنزل اليه ودخل في ملته وقرمطته ، وكان معه خمسمائة فارس رجع منهم الى صنعاء الى الحوالي مائة وخمسون ، وخرج القرمطي يريد صنعاء فلما سمع به الحوالي ، وبالجموع التي معه ، وعلم أنه لاطاقة له به خرج من صنعاء هارباً الى الجوف ، فدخل القرمطي صنعاء ، فأقام فيها وأظهر فيها الفحشاء وأمر الناس بحلق رؤوسهم ، ثم التقى هو وصاحب مسور الحسن بن منصور الى شبام [٦]

---

(١) أي أسعد بن يعفر . انظر الاكليل للهمداني : ١/١٨٥ - ١٨٦ ، تاريخ اليمن السياسي لمحمد يحيى الحداد . ط. القاهرة : ١٩٦٨ : ٢/٥٣ - ٥٦ .

(٢) مخلاف من مخاليف اليمن فيه قصر ريدان الشهير . صفة الجزيرة : ٢٧٨ . تاريخ اليمن لعمارة : ٧٤ ـ معجم البلدان .

(٣) تقع الى الشرق من يحصب ، وتبعد عن بلدة يريم بحوالي ٢٠ كم . صفة الجزيرة : ٧٩ .

(٤) في الشمال الشرقي من ذمار . انظر صفة الجزيرة : ٤٠٦ .

(٥) حصن في شمال ذمار ـ صفة الجزيرة : ١٤٩ .

(٦) شبام كوكبان غربي صنعاء ، بينهما يوم وليلة ، وهو جبل صعب المرتقى ، كان يسكنه آل يعفر ، والآن عامر بالأبنية الحديثة ـ صفة الجزيرة : ٨٦ ، ١٧٢ ، الاكليل: ٢/٧١ ـ معجم البلدان .

فأقاما هنالك أياماً ، وعلي بن فضل يكبر المنصور ، ويقول انما أنا سيف من أسيافك ، والمنصور يهابه ، ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته واقدامه ، فعزم على الخروج الى مخاليف « البياض »[١] فنهاه المنصور ، وقال له : قد ملكنا اليمن بأسره ، ولم يبق الا الأقل فعليك بالتأني والوقوف في صنعاء سنة ، وأنا في « شبام » فيصلح كل واحد ما استفتح ثم بعد ذلك يكون لنا نظر ، فإنك ان خرجت من صنعاء خالف أهلها وفسد علينا ماملكناه فلم يقبل منه وقال : لابد من الخروج ، واستفتح تهامة فخرج الى مخاليف البياض ، وهي بلاد وعرة فلما توسط بينهم ومعه قدر ثلاثين ألفاً أحاطوا به ، وقطعوا عليه الطرق ، ولم يقدر على التخلص ، فلما سمع المنصور خاف عليه ، وأغار إليه ، واستنقذه فرجع إلى شبام ، وعاد إلى صنعاء ، وخرج إلى جبال حضور ثم إلى حراز[٢] ثم إلى ملحان[٣] ونزل المهجم[٤] وقتل صاحبها وهو إبراهيم بن علي رجل من عك واستفتح الكدراء[٥] ورجع إلى ملحان وسرى بالليل إلى زبيد وفيها المظفر بن حاج ومعه ستمائة فارس وهجم عليهم في أربعين ألفاً فأحاط بعسكره ، فقتل المظفر بن حاج ، وكان المظفر مأموراً لصاحب

---

(١) في سيرة الهادي : ٣٩١ ، حدث هذا سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وأنه خرج يريد تهامة ، وهذا ماذكره الخزرجي في العسجد المسبوك ، والبياض حصن قريب من صنعاء معجم البلدان .

(٢) مخلاف قرب زبيد . معجم البلدان .

(٣) انظر صفة الجزيرة : ١٤٤-١٤٥ . معجم البلدان .

(٤) انظر صفة الجزيرة : ٢٥٨-٢٥٩ . معجم البلدان .

(٥) مدينة كانت ذات مكانة على شط وادي سهام ، كان « يسكنها خليط عك » القبيلة اليمانية المشهورة . صفة الجزيرة : ٧٤ . الاكليل : ٢/٢٣٨ .

بغداد [١] وسبى القرمطي من زبيد أربعة آلاف عذراء ، ثم خرج منها إلى الملاحيط ، وأمر صائحه وعسكره : ياجند الله فلما اجتمعوا إليه قال : قد علمتم أنا مجاهدون وقد أخذتم من نساء الحصيب [٢] ماقد علمتم وإن نساء الحصيب تفتن الرجال فيشغلنكم عن الجهاد فليذبح كل رجل منكم من في يده فسميت الملاحيط المشاحيط [٣] لذلك ، ثم رجع إلى مذيخرة دار مملكته ، وأمر بقطع الحج [٤] وقال : حجوا إلى الحرف ، واعتمروا إلى الثاني ، موضعان معروفان هنالك .

فلما أصبحت اليمن بيده وقتل الأضداد مثل المناخي وجعفر بن الكرندي [٥] والرؤساء ، وطرد بني (زياد) وكانوا رؤساء مخلاف جعفر ، ولم يبق له ضد يناوئه ، عطل المنصور وخلع عبيد بن ميمون [٦]

---

(١) أي الخليفة العباسي المكتفي : ٢٨٩ هـ / ٩٠٢م - ٢٩٥هـ / ٩٠٨م .

(٢) الحصيب هي قرية زبيد . صفة الجزيرة : ٧٣ .

(٣) شحطه تشحيطاً : ضرجه بالدم ، فتشحط : تضرج بـه ، واضطرب فيه . القاموس .

(٤) ذكر صاحب غاية الأماني في حوادث سنة ٣٠٠ هـ : ٢٠٢ بأن ابن الفضل بعث قائدين من قواده وهما محمد بن درهم الجنابي ، وحسن بن محمد بن أبي الملاحف الصنعاني الى مكة انظر ماتقدم ص ١٠٤ .

(٥) بنو الكرندي قوم من زعماء المعافر من حمير . انظر تاريخ عمارة : ٨٧-١٢٧ .

(٦) يستخلص من المصادر الاسماعيلية : أن مركز الدعوة في السلمية عانى قبيل ومع بداية حركة القرامطة من انقسامات خطيرة للغاية ، أسهمت في الصراعات القرمطية الاسماعيلية في الشام ، ودفعت المهدي الى مغادرة السلمية نحو الرملة فمصر عاقداً النية في البداية على السفر الى اليمن ، لكنه عدل عن رأيه في مصر وقرر التوجه غرباً . وفي الطريق من الشام الى مصر رافق المهدي عدد من أهله وبعض أعوانه ، على رأسهم رجل عرف باسم فيروز ، وصفه الحاجب جعفر الذي كان من حاشية المهدي بأنه كان « داعي الدعاة وأجل الناس عند الامام وأعظمهم منزلة ، والدعاة كلهم أولاده ومن تحت يده ، وهو باب الأبواب=

الذي كان يدعو اليه فكتب إليه المنصور يعاتبه ويذكر ما كان من احسان القداح وقيامه بأمرهما وما أخذ عليهما من العهد لابنه فلم يلتفت إلى قوله ، وكتب إليه إنما هذه الدنيا شاة من ظفر بها افترسها ، ولي بأبي سعيد الجنابي أسوة ، لأنه خلع ميموناً وابنه ، ودعا إلى نفسه ، وأنا أدعو إلى نفسي ، فإما نزلت على حكمي ودخلت في طاعتي وإلا خرجت إليك وقد كان [أبو طاهر بن أبي] سعيد الجنابي (١) دخل مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا وقطع الركن يوم النحر ، وهو القائل لعنه الله :

فلو كان هذا البيت لله ربنا — لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهلية — مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً
وانا تركنا بين زمزم والصفا — كتائب لاتبغي سوى ربها ربا
ولكن رب العرش جل جلاله — ولم يتخذ بيتاً ولم يتخذ حجبا

في شعر طويل . وقد كان الخليفة (٢) ببغداد كتب إليه يذكر له ما فعل ويتوعده على ما استحل فأجابه أبو [طاهر بن أبي] (١) سعيد القرمطي :

=الى الأغة » وفي مصر وبسبب قرار التوجه غرباً ولأسباب أخرى لانعلمها فارق فيروز المهدي ، ورفض البقاء معه ، وتوجه نحو اليمن ، فالتحق أولاً بالمنصور الذي لقيه بالتبجيل والتعظيم ، ذلك لأن المنصور كان قد انضم الى الدعوة الاسماعيلية على يدي فيروز وبوساطته ، وكتب المهدي الى منصور اليمن يسأله قتل فيروز ، وعلم فيروز بالأمر فغادره والتحق بعلي بن الفضل « ففتنه وأفسده » وكان سبب الخلاف بين ابن الفضل ومنصور . انظر سيرة الحاجب جعفر نشرت في مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة عام ١٩٣٦ : ٤/١١٠ - ١١٥ . عيون الأخبار : ٥/٩٢ - ٩٦ .

(١) أضيف مابين الحاصرتين كيما يصح الخبر لأن وفاة أبي سعيد جاءت قبل هذا .

(٢) المقتدر : ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م - ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م .

« بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين .

من أبي [طاهر سليمان بن] (١) الحسن الجنابي ، الداعي إلى تقوى الله القائم بأمر الله ، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ ، إلى قائد الأرجاس المسمى بولد العباس .

أما بعد — عرفك الله مراشد الأمور ، وجنبك التمسك بحبل الغرور — فإنه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك ، وذكرك ما وضعته من [نظم] كلامك ، وقمت به من فخامة اعظامك ، من التعلق بالأباطيل ، والاصغاء الى لحش الأقاويل من الذين يصدون عن السبيل ، فبشرهم بعذاب أليم على حين زوال دولتك ، ونفاذ منتهى طلبتك ، وتمكن أولياء الله من رقبتك ، وهجومهم على معاقل أوطانك ، ظفراً ، وسبيهم حرمك قسراً ، وقتل جموعك صبراً ، أولئك حزب الله « الا ان حزب الله هم المفلحون »(٢) وجند الله هم الغالبون . هذا وقد خرج عليك الامام المنتظر كالأسد الغضنفر في سرابيل الظفر ، متقلداً سيف الغضب ، مستغنياً عن نصر العرب ، لايأخذه في الله لومة لائم ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم(٣) » وقد اكتنفه العز من حواليه ، وسارت الهيبة بين يديه ، وضربت الدولة عليه سرادقها ، وألقت عنه قناع بوائقها(٤) ، وانقشعت طخاء (٥) الظلمة ، ودجنة الضلالة ، وغضت بحار الجهالة ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون .

---

(١) زيد مابين الحاصرتين تقويماً .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

(٣) المائدة : ٥٤ .

(٤) البائقة : الداهية ، جمع بوائق . القاموس .

(٥) الطخاء : السحاب المرتفع . القاموس .

تالله غرتك نفسك ، وأطمعتك فيما لست نائله ، وسولت لك مالست واصله ، فكتبت لي بما أجمعت عليـــه أذهان كتابك ، ذكرتني بالعيوب الشنيعة ، وقذفتني بالمثالب السمجة ، تالله « لتسألن عما كنتم تعملون » [١]

فأما ماذكرت من قتل الحجيج ، واخراب الأمصار ، واحراق المساجد فوالله مافعلت ذلك الا بعد وضوح الحجة كإيضاح الشمس ، وادعاء طوائف منهم أنهم أبرار ، ومعاينتي منهم أخلاق الفجار ، فحكمت عليهم بحكم الله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » [٢] .

خبرني أيها المحتج لهم ، والمناظر عنهم ، في أي آية من كتــاب الله أو أي خبر عن رسول الله ﷺ اباحة شرب الخمور ، وضرب الطنبور ، وعزف القيان ، ومعانقة الغلمان ، وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام ، واحتووها من وجوه الحرام .

وأما ماذكرت من احراق مساجد الأبرار ، فأي مساجد أحق بالخراب من مساجد اذا توسطتها ، سمعت فيها الكذب على الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ ، بأسانيد عن مشايخ فجرة ، بما أجمعوا عليه من الضلالة ، وابتدعوا من الجهالة .

وأما تخويفك لي بالله ، وأمرك بمراقبتـــه ، فالعجب من بهتك ، وصلابة حدقتك ، أترى أني أجهل بالله منك ، وصرفك أموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ، ومنعهـا عن مستحقيها ، يدعى على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان « الله أذن لكم أم على الله تفترون [٣] » .

---

(١) النحل : ٩٣ .
(٢) المائدة : ٤٤ .
(٣) يونس : ٥٩ .

وأما ماذكرت أني تسميت بسمة عدوان ، فليس بأعظم من تسميك بالمقتدر بالله[٢] أمير المؤمنين أي جيش صدمك ، فاقتدرت عليه ، أم أي عدو ساقك فابتدرت اليه؟ ! لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين وانك لتقلد بعض خدمك شيئاً من أمرك ، فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى ، فأي الأمرين « أقرب للتقوى »[٣] أوما علمت أنـــه من انقاد له نفر من عشيرته ، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم .

وبعد : فمالك وللوعيد والإبراق والتهديد ، اعزم على ما أنت عليه عازم واقدم على ما أنت عليه قادم ، والله من ورائي ظهير ، وهـو نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته » .

قال محمد بن مالك الحمادي ـ رحمه الله تعالى : يرجع الحديث الى قصة صاحب مسور ، وعلي بن فضل لعنهما الله تعالى .

وذلك أن صاحب مسور لـما علم أن علي بن فضل غير تاركه ، كما ذكر في كتابه ، عمد الى جبل مسور لحصنه ، وأعد فيه جميع مايحتاج اليه للحصار ، وقال لأصحابه : اني لأخاف هذا الطاغية ، ولقد تبـين لي في وجهه الشر حين واجهته في « شبام » ، فلم يلبث علي بن فضل أن خرج لحرب المنصور ، واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل من يافـع ومذحج وزبيد وعنس وقبائل العرب ، فدخل قرية « شبام » ، وأخرج المنصور للقائه ألف مقاتل الى موضع يقال له المصانع[١] من بلد حمـــير فضبطوا ذلك الجبل فزحف اليه فاقتتلوا من أول النهار الى الليل فخـرج

---

(٢) المقتدر حكم : ٢٩٥هـ/ ٩٠٨م – ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م .

(٣) المائدة : ٨ .

(١) انظر صفة الجزيرة : ١٢٢ ، ٢١٧ ، ٢٣٣ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٠ .

علي بن فضل على طريق العضد [١] ودخل « لاعة » مصعداً الى جبل الجحجمة [٢] مقاتلاً للمنصور فضرب فيها ورجع الى أصحاب حضور المصانع فلزموا بيت ريب [٣] وضبطوا الجبل ، فأقسم أن لايبرح حتى يستنزل المنصور ، فحاصره ثمانية أشهر وقيل ان المنصور حمل من سوق طبام [٤] خمسمائة حمل ملح قبل وصول علي بن فضل وعق [٥] له في الجبل عقاً واسعاً في موضع كثير التراب ، وأوقدوا فوقه الحطب أياماً حتى استملح الجبل فصار ملحاً كله ، ثم نقله الى الخزائن .

ثم ان علي بن فضل ملّ المقام ، فلما علم منه المنصور ذلك ، دس عليه في أمر الصلح ، فقال : لست أبرح وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته الا أن يرسل الي بعض ولده ، فيكون ذلك لي مخرجاً عند الناس ، ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي ، فأرسل اليه ولده ودفعه بالتي هي أحسن ، فرجع الى « مذيخرة » فأقام عنده ولد المنصور سنة ثم رده إلى أبيه وبره وطوقه بطوق من ذهب ، ثم أقام بمذيخرة يحل المحرمات ويرتكب الفواحش وأمر الناس باستحلال البنات والأخوات ، وكان يجمع أهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ، ويأمر باطفاء السرج وأخذ كل واحد من وقعت يده عليه ، وروي أن عجوزاً محدودبة

---

(١) جبال العضد من أعمال شبام . صفة الجزيرة : ١٢٣ .

(٢) من جبال اليمن الشاهقة . صفة الجزيرة : ٦٥ ، ٢٦٨ .

(٣) لايزال يحمل هذا الاسم ، وقال عنه الهمداني في صفة الجزيرة : ٣٤٥ : وبيت ريب حصن ذو عرقة منقطعة عليها قصور آل المنصور وحرمهم وأموالهم ، لامسلك لها غير باب واحد .

(٤) سوق شهير للغاية كان في منطقة لاعه . صفة الجزيرة : ١١١ ، ٢٤٨ .

(٥) عق : شق – القاموس .

الظهر ، وقعت مع رجل منهم فلما تبنى[1] بها خلاها فتعلقت بثيابه وقالت « دوبد من ذي حكم الأمير[2] » فجرت مثلاً .

ويقال ان أيامه لعنه الله كانت سبع عشرة سنة ، ومات مسموماً سنة ثلاث وثلثمائة .

وكان سبب موته لعنه الله أن رجلاً من أهل بغداد يقال إنه شريف وصل إلى الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، وكان في ذلك الوقت هارباً من القرمطي في الجوف من بلد همدان مستجيراً ببني الدعام[3] ، وأن ذلك البغدادي وهب نفسه لله وللاسلام ، وقال للأمير تعاهدني وأعاهدك أني إذا قتلت هذا القرمطي كنت معك شريكاً فيما يصل إليك ، فعاهده على ذلك ، وكان طبيباً حاذقاً فخرج إلى مذيخرة ، فكان مع كبار أهل دولة القرمطي ، يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات ، حتى وصفوه للقرمطي بالحذق بالطب وفتح العروق ، وقالوا : إن مثلك لايستغني أن يكون في حضرته مثله ، ثم إنه احتاج إلى إخراج الدم فأمره أن يفصده فعمد إلى السم فجعله على شعر رأسه ، فدخل على القرمطي فسلم عليه فأمره أن ينزع ثيابه ، ويلبس غيرها ، ثم أخرج المبضع ، ثم مصه ، وعلي بن فضل ينظر إليه ، ثم مسحه برأسه فتعلق بـه من السم حاجتـــه ، ثم فصده وخرج من ساعته ، فركب دابته ، وخرج

---

(١) الابتناء والبناء : الدخول بالزوجة ـ النهاية لابن الأثير .

(٢) « دو » في احدي لهجات اليمن « لا » وعلى هذا « دوبد » : « لابد » ومعنى الجملة « لابد من الذي حكم به الأمير » أو مايقارب هذا .

(٣) انظر الاكليل : ١٠/١٧٧-١٨٦ حيث قال الهمداني « الدعام بن ابراهيم ، سيد همدان في عصره ، والزائد على من تقدمه نجدة وفروسية وجوداً وحلماً ودهاء وثباتاً ووفاء وصبراً وصوناً » هذا وللدعام ذكر طويل في سيرة الهادي الى الحق : ٩١-٣٩٥ .

هارباً ، فلما أحس عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب ، فلم يوجد فلحقوا به دون « نقيل صيد [١] » بازاء قينان [٢] فقتلوه هنالك رحمه الله تعالى ومات القرمطي [٣] لارحمه الله .

وولي الأمر من بعده ولده الفأفاء [٤] وشاع موته في الناس ووصل

---

(١) النقيل عند أهل اليمن العقبة أي الأكمة المرتفعة ، ونقيل صيد أوعر نقطة على الطريق الذي يعتبر حداً فاصلاً بين اليمن الأعلى واليمن الأسفل . صفة الجزيرة : ٣٤٤ . تاريخ اليمن لعمارة : ٧٤ .

(٢) تقع قينان في سافلة يحصب السفل من بطن السحول ليس بعيداً عن اب بجوار رفود وشمال مركز المخادر ـ صفة الجزيرة : ١٠٤ . الاكليل : ٢/٢٣٤ .

(٣) تتفق رواية الخزرجي مع هذه الرواية مع زيادة بالتفاصيل ، إنما جاء في سيرة الهادي ٤٠٣ « وأصاب ابن فضل ـ لعنه الله ـ مرض في بدنه ، فتفجر من أسفل بطنه ، وأماته الله على أسوأ حال ـ لعنه الله ـ وكانت وفاته يوم الأربعاء للنصف من شهر ربيع الآخر» لسنة٣٠٣هـ/ ٩١٥م . هذا وذكر الداعي المطلق ادريس القرشي في كتابه عيون الأخبار : ٥/٤٣ ـ ٤٤ ، أنه بعدما قامت الخلافة الفاطمية أمر المهدي « رجلين من أهل دعوته ، وممن في حضرته حتى وصلا الى مدينة صنعاء ، وتسميا أنهما طبيبان ، حتى دخل أحدهما على ابن فضل ـ لعنه الله ـ ففصده وجعل في مفصده سماً قاتلاً وخرج من عنده ، وبادر الهرب هو وصاحبه ، ومات ابن الفضل لعنه الله ، وعجل الله بروحه الى النار ، ولحق بأمثاله من الكفار والفجار ، وأخذ أصحاب ابن الفضل في طلب الرجلين اللذين فصداه ، ومازالوا يتبعونهما ويسألون عنهما حتى انتهيا الى موضع تحت نقيل صيد فأدركا هنالك ، وقتلا رحمة الله عليهما » ورغم ماذكره الداعي ادريس مع المصادر المتأثرة بالروايات الاسماعيلية نجد صاحب غاية الأماني : ١/٢٠٨ يذكر في حوادث سنه ٣٠٣ هـ : « وفي هذه السنة أراح الله العباد ، وطهر البلاد ، بهلاك قائد العاصين ورئيس المفسدين علي بن فضل ـ لعنه الله ـ وكانت وفاته إلى عذاب الله في يوم الأربعاء منتصف شهر ربيع الآخر ، بعد ألم ٍ ألمّ به ، وطرف من تعجيل عقوبته ، « ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » ـ فصلت : ١٦ ـ ودفن بالمذيخرة » .

(٤) كذا في الأصل ، وفي النفس شيء منه ، فلعله تصحيف « فضل » هذا ولم تذكر المصادر التي تعرضت لعلي بن الفضل وماجرى بعده اسم ابنه ، بل تحدثت عنه دون تبيان اسمه .

إلى الحوالي جماعة من رؤساء الناس : بنو الحابي والانبوع وغيرهم فزحف بالعسكر الغليظ لحرب القرامطة فدخل التعكر[1] ثم تقدم إلى جبل التومان[2] ، لحاصر القرامطة ، وسلط الله سبحانه وتعالى عليهم سيف النقمة ، لايخرج لهم جمع إلا هزموا ، أو قتلوا ، وأيد الله سبحانه وتعالى المسلمين بنصره .

قال الله تعالى « انهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون[3] » فأقام يحاصر القرامطة سنة ويقال ان من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ماحل عدته ولاسلاحه بل يصلي وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه[4] وقتل القرامطة وأحيا الاسلام .

ليس كولاة الأمر من أهل زماننا الذين غرقوا في اللذات ، واتبعوا الشهوات ولم يرغبوا في المكارم والنجدات ، وعظوا فلم يتعظوا وناموا فلم يستيقظوا ، ونظروا ماحل بغيرهم فلم يعتبروا ، وقد قيل في المثل السائر .

---

(١) سبق ذكره بأنه من أمنع وأقدم حصون اليمن - انظر صفة الجزيرة : ١٠٤ .

(٢) في الجنوب الشرقي من جبل المذيخرة فيه عسكر أسعد بن أبي يعفر ، لحصار القرامطة وكان ذلك سنة ٣٠٤ هـ . انظر صفة الجزيرة : ٢١٣ .

(٣) الصافات : ١٧٢-١٧٣ .

(٤) وصفه الهمداني ، وهو من معاصريه ، في الاكليل : ٢/١٨٤-١٨٦ ، بقوله : « وأسعد هو أبو حسان ، ملك عصرنا ، وذهب على من قبله بالصوت ، وهو الذي اجتث عرقاة القرامطة باليمن ، وهو فارس حمير في عصره ، والقائل : إذا تم لي مقدم الحصان فيأ كل مؤخره الذئب ، وجوادها ومهيبها ، وله تواقيع معجزة لايجارى فيها مع حسن السياسة ، وعظم الدهاء ، وبعد الغور ، وكتمان مافي النفس ، وإذا غضب غضب ، وإذا رضي رضي ، ولابعدة له على قومه ولا عصبية له ، ولا ولد له ، فدرج ، وتوفي يوم السبت لثمان خلون من شهر رمضان من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وأخباره وسيره تكثر »

وإذا رأيت أخوك يحلق رأسه أوشكت بعد أخيك تصبح أصلعا

ومن عجز عن رعاية رعيته ، وجار عليها في حكمه وقضيته ، دل على زوال مملكته وتعجيل منيته ، وقد قال الأول :

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

وإذا فرط الراعى في أمر رعيته ، وطاوع نفسه الدنية ، وذهبت عنه الأنفة والحمية ، فقد عظمت عليه البلية ، وقال الأفوه الاودي :

لايصلح القوم فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار ينقادوا[1]

رجع الحديث إلى محاصرة الحوالي ، فروي أنه نصب المنجنيقات فهدم المذيخرة بعد سنة ، ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم مالايحصى ، وسبى بنات القرمطي وكن ثلاثاً ، فصارا اثنتين في رعين وواحدة وهبها الأمير لابن أخيه قحطان ، وأباد الله القرامطة على يد الأمير الحوالي بمنه وسعادته ، وجعل لايسمع بأحد منهم إلا قتله ، ورجع إلى صنعاء وقد أطفأ جمرة الشرك ، وملك جميع البلاد ، وزالت الفتنة ، وأراح الله من القرامطة ، وطهر منهم البلاد ، وأمن منهم العباد ، وسار الأمير في الناس بأحسن سيرة ، وعدل في الرعية ، ورد بني المحابي[2] إلى مخلاف جعفر ، وجرت المكاتبة بين الأمير الحوالي ، والأمير ابراهيم

---

(١) هو صلاة بن عمرو من مذحج ، ويكنى أبا ربيعة ، انظره وأبياته في الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ ط. ليدن ١٩٠٢ م : ١١٠-١١١ .

(٢) بنو المحابي من الكلاع ، منهم أبو يعقوب وهو الذي عاصر اسعد الحوالي ، وفي النفس شيء من قوله : ردهم إلى مخلاف جعفر . انظر الاكليل : ١٩٥/٢ . تاريخ عمارة : ٤٦ - ٥٨ .

ابن زياد [١] والناصر أحمد بن يحيى الامام الهادي صاحب صعده [٢] وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة وقتل القرامطة حيث ماوجدوا ، وذكروا أنه كان يوجد عنوان : كنتم بركة في بركة ونعمة مشتركة ، والأرض فيما بيننا قد حصلت في شبكة ، وكان الخارج إذا خرج من بلد أحدهم لذنب أذنبه كاتب فيه ، وسأل الصفح عنه ، وصفت لهم المعيشة ، واستقامت لهم الدولة ، ولزم كل واحد منهم بلده ، ولم يطمع واحد على صاحبه ، وألف الله بين قلوب المسلمين ، ولم يبق من القرامطة إلا شرذمة قليلة من أولاد المنصور في ناحية مسور ، وأبادهم الله تعالى على يد الدعام بن إبراهيم ، والناصر بن يحيى ، وأنا أذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

باب ذكر أولاد المنصور :

مات لعنه الله سنة اثنتين وثلثمائة واستخلف على أهل دعوته رجلاً يقال له عبد الله بن عباس الشاوري،[وأوصى اليه]وإلى ولده أبي الحسن المنصور ، وقال : « قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ولاتقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون ، فنحن غرس من غرسهم ، ولولا ناموسهم ومادعونا به إليهم ماصار إلينا من الملك ماقد نلناه ، ولاتم لنا في الرئاسة حال ، فعليكما

---

(١) حول تاريخ ملوك بني زياد في تهامة وزبيد . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٦-٥٨ تاريخ ثغر عدن ـط. بريل ١٦٣٦ : ٢-٣ ، ١٦-١٧ . تاريخ اليمن السياسي : ٤٥-٥١

(٢) بعد وفاة الهادي إلى الحق خلفه ابنه الأمير المرتضى ، لكن هذا الامير تخلى عن الحكم سنة ٢٩٩ هـ/ ٩١٢ م ، وبعد تخليه جاء أخوه الناصر احمد الى صعده لانه كان غائباً في الحجاز ، وفي صعده بويع خلفاً لأخيه . انظر سيرة الهادي : ٤٠٠-٤٠٧ ، تاريخ اليمن السياسي : ٦٣-٦٨ .

بمكاتبة القائم منهم ، واستيراد الأمر منهم ، فأوصيكما بطاعة المهدي يعني عبيد بن ميمون حتى يرد أمره بولاية أحدكما ، ويكون كل واحد منكما عوناً لصاحبه » .

وقد كان لعبد الله بن عباس ، عند عبيد بن ميمون سابقة ومعرفة ، لأن المنصور قد كان ـ لعنه الله ـ بعثه مع أبي عبد الله الشيعي الخارج بكتامة من بلاد الغرب على ما أذكره فيما بعد .

ثم ان عبد الله بن عباس كتب الى عبيد بن ميمون المسمى بالمهدي ، بموت المنصور ، وهو يومئذ بمدينة بناها وسماها المهدية [1] بالغرب ، وأنه قام بمذهبه من بعد المنصور ، ودعا إليه ، وأنه لم يبق الا استيراد الأمر ، ويسأله الولاية لنفسه وعزل أولاد المنصور وخرج ولد المنصور بنفسه إلى القيروان يسأل الولاية لنفسه ، ولاينزع الأمر منهم بعد أبيهم وقد كانت وصلت هدايا ابن عباس وكتابه ، وولاه الأمر ، وكتب له ، فلما وصل ابن المنصور أمره بطاعة ابن عباس وبعث لابن عباس بسبع رايات: فرجع ولد المنصور الى مسور ، وقد يئس مما كان يرجو من الولاية ، فلقيه عبد الله بن عباس بنفسه وأهل دعوته فبجله وعظمه ، ولقيه أخوه جعفر وأبو الفضل وبقية أولاد القرمطي لعنه الله ، فسألوه بما ورد به الأمر فعرفهم بصرف الأمر عنهم الى عبد الله بن عباس دونهم ، فتبين لجعفر في وجه أخيه أبي الحسن الشر والعداوة لابن عباس والحسد ، فنهاه عن ذلك ، وقبح عليه وزجره ، وقال له : أنت تعلم أنه غرس أبينا ، وأنه لايقدم علينا سوانا في هذا الأمر ، قال : والله لاتركته يتنعم في ملك عني به غيره ، ونحن أحق به منه ، فقال له أخوه جعفر : ان أمرنا اذاً يتلاشى ،

(١) معروفة في الجمهورية التونسية ، ماتزال تحوي العديد من آثار الفاطميين .

ss

ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذي غسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك ، فلم يلتفت الى قوله وكتم السر نفسه ، وكان أولاد المنصور لايحجبون عن أبي العباس ليلاً ولانهاراً ، فوثب عليه أبو الحسن بن المنصور ، فقتله غدراً ، وولي الأمر من بعده فولي ماكان أبوه يلي ، ورجع الى مذهب الاسلام ، وجمع المشائر من بلده وأشهد أنه رجع عما كان عليه أبوه ، فأحبه الناس ، فدخل عليه جعفر ، فقبح مافعله ، وقال : قطعت يدك بيدك ، فلم يلتفت الى قوله وخرج جعفر الى ولد عبيد المسمى بالقائم(١) ، فكاتب أخاه يعيب عليه فعله بشعر طويل يقول فيه :

فكنتم وأنتم تهدمـــون وأبتني فشتان من يبني وآخر يهدم

وتتبع أبو الحسن من كان على دين أبيه يقتلهم ، فأباد القرامطة ، وبقي منهم قوم يتكتمون منه ، وأقاموا ناموسهم برجل منهم ، وكان لايقطع مكاتبة بني عبيد ، ثم ان أبا الحسن خرج من مسور الى عثر محرم وفيه يومئذ رجل من بني العرجاء ، واستخلف أبو الحسن على مسور رجلاً يقال له ابراهيم بن عبد الحميد السباعي وهو جد بني المنتاب فوثب ابن العرجي على أبي الحسن فقتله،فلما انتهي الخبرالى ابراهيم بن عبد الحميد السباعي لزم مسوراً ، وادعي الأمر لنفسه وأخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور الى جبل ذي عسب (٢) فوثب عليهم المسلمون من أهل المغرب (٣) فقتلوهم الصغير منهم والكبير ، وسبوا حريمهم ولم يبقوا على

---

(١) حكم القائم الفترة : ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤ م - ٣٣٤ هـ/ ٩٤٦ م .

(٢) انظر صفة الجزيرة : ١٩٧ .

(٣) أي مغرب اليمن .

وجه «الأرض من الكافرين دياراً»، ولم يبق للمنصور عقب يعرف بحمد الله ومنه .

ثم إن إبراهيم بن عبد الحميد اتفق هو وابن العرجي ، واقتسما بينهما نصفين ، لكل واحد منهما مايليه ، ورجع إبراهيم عن مذهب القرامطة وكان أبوه من كبار قواد المنصور وأصله من قدم من حمير وكان أبوه قتل في مخلاف البياض [1] لأن المنصور كان أخرجه إلى هنالك بالعساكر ثم إن إبراهيم بنى في بيت ريب مسجداً ، ونصب منبراً وخطب لأمير المؤمنين من بني العباس ، وكاتب الأمير أبا الحسن بن إبراهيم بن زياد ، وبذل له من نفسه السمع والطاعة ، والدخول في الخدمة ، وسأله أن يبعث إليه محاضر من قبله يكون عنده ، فأرسل رجلاً يقال له السراج وقال له : إذا تمكنت قبضت على إبراهيم بن عبد الحميد ، فوصل من زبيد ، ولقيه ابراهيم بن عبد الحميد إلى بيت ريب ، وطلع ابراهيم بن عبد الحميد إلى حصن في رأس الجبل وكان ينزل إليه كل يوم يصحبه ويعظم حقه ، ثم إن السراج عامل على إبراهيم ناساً من أهل الجبل فنزل إليه يصحبه، فلقيه رجل من المعاملين فأخبره بالمعاملة فرجع إلى حصنه فضرب الطبول ، فاجتمع إليه الناس ، ومن كان فيه من اهل دولته فدخل على السراج ، فقبض عليه ، فأمر بحلق لحيته ، ونفاه عن بلده وانقطعت المكاتبة بينه وبين ابن زياد ، واستمر أمره ، وجعل يتتبع القرامطة يقتلهم ويسبي ذراريهم ، فبقي منهم قليل في ناحية جبل مسور ، فأقاموا قرمطياً منهم يقال له ابن الطفيل [2] ، فسمع به ابراهيم بن عبد

---

(١) سبق تعريفه ، حيث قال ياقوت : حصن باليمن من أعمال الحقل قرب صنعاء .

(٢) يوسف بن موسى بن الطفيل . صفة الجزيرة : ١١٣ .

الحميد ، فخرج إليه فقتله ، وتفرق من بقي من أصحابه إلى نواحي عمـان وقطابه [١] وانكتم أمرهم عن إبراهيم .

ثم إنهم أقاموا ناموسهم برجل يقال له ابن رحـيم ، وذلـك في أيام المنتاب ، بعد موت أبيه ابراهم ، وكان ابن رحيم هذا لا يستقر في موضع واحد ، خوفاً من المنتاب ، ومن السلمين ، وهو يـكاتب ابن عبيـد ، وذلك بعد خروج المعز من القيروان إلى بلاد مصر عند بنـائه القاهرة المنسوبة اليه ، فلم يزل ابن رحيم يكاتب أهل مصر المعز ومن بعـــده ، وينهى أخبار أهل اليمن حتى مات لا رحمه الله . واستخلف على من بقي من القرامطة لعنهم الله رجلاً يقال له يوسف بن الأسد من أهـل شبام حمير فأقام لعنه يدعو إلى الحاكم ويبايع له على وجـه السر حتى مات لعنـــه الله .

واستخلف على مذهبه رجلاً يقال له سليمان بن عبد الله الزواخي [٢] من حمير ، من ضلع شبام من موضع يقال له الخنن [٣] فأقام يـدعو إلى الحاكم وإلى المستنصر ، وكان الملعون كثير المـال عظيم الجاه فاستمال الرعاع والطغام إلى مذهبه ، وكان في أيامه قد شهر نفسه بالمبايعة لأهل مصر من بني عبيد بن ميمون الملعون ، وقد كان عرف بذلـك ونسب إليـه

---

(١) قطابة واد وسوق شمال حمل التي هي واد كثير الأشجار موبوء يقع أسافل مركز كحلان عفار صفة الجزيرة : ١١٣ .

(٢) نسبة الى قرية الزواخي من أعمال حراز ، وقد ضبط كل من البكري في معجم ما استعجم وياقوت في معجم البلدان « الزواخي » بالخاء المعجمة ، في حين أن السيوطي في لب اللباب والأكوع في صفـــة الجزيرة : ١٠٣ - ١٠٤ وتاريخ اليمن لعمارة : ٩٥ « بالحاء المهملة » .

(٣) بلد وجبل غربي الذيخرة . صفة الجزيرة : ١٠٢-١٠٣ .

فكل ماهم به المسلمون من حمير وشبام ، وماحوله من القبائل ، دفعهم بالجميل وقال لهم أنا رجل مسلم ، فكيف يحل لكم قتلي فينتهون عنه .

وكان فيه كرم نفس وكان يكرم الناس ويتلطف بهم فلم يزل كذلك حتى مات لارحمه الله .

باب ذكر ابتداء دولة الصليحيين :

وكان هذا الصليحي المسمى علي بن محمد كثير الخلطة به والمعاشرة وكان أحظى من عنده ، وأطوع أهل مذهبه له ، وكان يأتيه من بلد الأخروج وهو سبع من أسباع حراز [1] وكان الصليحي الملعون شهماً شجاعاً مقداماً ، فلما عرفه سليمان بذلك ، وحضرته الوفاة لارحمه الله أوصاه بأهل مذهبه ، وأمرهم بالسمع والطاعة وسلم إليه مالاً كثيراً قد كان جمعه من أهل مذهبه ، ثم إن الصليحي الملعون أرسل إلى القرامطة من أوطان كثيرة بعيدة ومواضع متباينة ووعدهم بالوصول إليه ليوم معلوم ، فلما وصلوا إليه طلع بهم مسار [2] وكان طلوعه ليلة الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وطليعته تسعمائة رجل وخمسون رجلاً [3] فلما استقر بالجبل كتب [4] إلى صاحب مصر ، وهو المستنصر

---

(١) قال الهمداني في صفة الجزيرة ١٠٨ : « وأرض حراز ، وهي سبعة أسباع : حراز ، وهوزن ، ولهاب ، ومجيح ، وكرار ، ومسار ، وحراز المستحرزة .

(٢) مسار حصن عال عظيم الشأن فيه قرى ومزارع منه أعلن الصليحي ثورته . صفة الجزيرة : ١٠٨ . تاريخ اليمن لعمارة: ٩٤-١٢٨ . تاريخ ثغر عدن : ١٥٩-١٦٤ غاية الأماني : ٢٤٧/١ .

(٣) وقيل غير هذا . انظر تاريخ عمارة مع تعليقات الأكوع : ١٠١-١١٦ .

(٤) في تاريخ عمارة : ١١٨ أن هذا كان سنة ثلاث وخمسين .

ss

من بني عبيد ووجه إليه بهدايا سبعين سيفاً مقابضها عقيق ، واثني عشر سكيناً نصبها عقيق لأن للعقيق عندهم قدراً ، لأنه لايكون إلا في اليمن وخمسة أثواب وشي ، وجام عقيق ، وفصوص عقيق مع إهليلج كابلي [1] ومسك وعنبر .

فوجه معه المستنصر إليه برايات وألقاب ، وعقد له الولاية ، وكان سفيره خاله أحمد بن المظفر ، وأحمد بن محمد الذي انهدمت عليه الدار بعدن ، وهو أبو زوجة المكرم [2] المسماة بالسيدة بنت أحمد [3] .

فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون إلى قوله فإنه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن إليهم ، لقد سمعته مراراً وأسفاراً وهو يقول لأصحابه قد قرب كشف مانحن نخفيه ، وزوال هذه الشريعة المحمدية ، والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين وهلاك المسلمين .

خلعت العـــذر ولم أستر ... وأظهرت ما ليس بالمظـــهر
وبحت بما كنت أسررتـــه ... من الغي والمذهب الأخسر
وتبـت إلى الله مستغفراً ... منيبـــاً إنابـــة مستغفـر
وحرمت ما كنت حللتـــه ... لقومك من كـل مستنكر
وحـذرت من فعلـك العالمـــين وعدت إلى المنهج الأنور
فإني جئت نحوك مستغفراً ... فبـــالله بالله لاتنفـــر
اتحسبـني انثـــني صبـوة ... إلى رائق اللون والمنظـر

(١) ثمر قال عنه صاحب القاموس « معروف » انظر المعرب للجواليقي .

(٢) هو أحمد بن علي الصليحي خلف أباه بعد مقتله . تاريخ عمارة : ١٢٧-١٣٦ .

(٣) انظر تاريخ عدن : ١٩٤ .

وحاشا لمثلي أن ينثني   إلى الكفر والمذهب الأغبر
فإن لم يكن غير هجر الملاح   فلا زال ذاك إلى المحشر

عباد الله إني لم أزل أتلطف بخاصته ، وأهل مذهبه ولم أقنع حتى خالطته وأطمعته بقبول ماهو عليه من مذهبه ، وضلالته وكفره وبدعته ، وأعماله الشنيعة ، وضلالته الفظيعة ، التي تنكرهـا القلوب ، وتشمئز منها النفوس .

وذلك أن الصليحي [1] ومن على مذهبه ، يدعون إلى ناموس خفي كل جهول غبي ، بعهود مؤكدة ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان مابويع عليه ودعي إليه ، وأنه لايكشف لهم سراً ، ولا يظهر لهم أمراً ، ثم يطلعه على علوم مموهة ، وروايات مشبهة يدعوه في بدء الأمر إلى الله ورسوله ـ كلمة حق يراد بها الباطل ـ ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ ، فإذا انقاد له وطاوعه ، أدخله في طرق المهالك تدريجاً ، ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفاً وتعويجاً ، بكتب مصنعة ، وأقوال مزخرفة إلى أن يلبس عليه الدين ، ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين ، وقصارى أمره إبطال الشرائع ، وتحليل جميع المحارم ، فسارع إليه من لم يكن له بالشرع معرفة لأنه صادف أكثر الناس عواماً فأجابه إلى دعوته الرعاع والطغام ومن لم يكن له معرفة قبل بالاسلام ، من جنب وسنحان ويام [2] فحرم

---

(١) جاءت وفاة الصليحي سنة ٤٥٩ هـ ، ويبدو أن المصنف لم يدرك وفاة الصليحي.

(٢) جنب وسنحان من قبائل مذحج سكان السراة ، ويام من همدان تقطن نجران ماتزال تعرف باسمها ومعتقدها حتى يومنا هذا . انظر الاكليل : ٩٠-٦٥/١٠ . تاريخ عمارة : ١٠٣ .

SS

الحلال وأحل الحرام ، وناقض بجهده الاسلام وأبطل الصلاة والصيــــام والزكاة والحج إلى بيت الله الحرام ، فأهلكهم الله بذنوبهم ، وماكان لهم من الله من واق .

« آخر رسالة محمد بن مالك رحمه الله رحمة الأبرار ، ووقاه عذاب النار »



كتاب
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

القرامطة

[سنة ٢٧٨ هـ]

وفيها وردت الأخبار ، بحركة قوم يعرفون بالقرامطة ، وهم الباطنية وهؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين ، وجحدوا الشرائع ، وأنا أشير إلي البدايات التي بنوا عليها ، ثم إلى الباعث لهم على مافعلوا من نصب دعوتهم ثم إلى ألقابهم ، ثم إلى مذاهبهم وعلومهم ، أما البدايات التي بنوا عليها فإنه لما كان مقصودهم الالحاد تعلقوا بمذاهب الملحدين مثل زرادشت[1] ومزدك ، فإنهما كانا ينتحلان المحظورات ، وقد سبق في أوائل هذا الكتاب شرح حالها ومازال أكثر الناس مع أعراضهم ، لايدخلون في حجر يمنعهم إياها ، فلما جاء نبينا ﷺ ، فقهر الملك ، ومنع الالحاد أجمع جماعة من الثنوية والمجوس والملحدين ، ومن دان بدين الفلاسفة المتقدمين ، فأعملوا آراءهم ، وقالوا : قد ثبت عندنا أن جميع الأنبياء كذبوا وتخرقوا على أممهم ، وأعظم الكل بلية علينا محمد فإنه نبغ بين العرب الطغام ،

---

(١) ينسب اليه تأسيس الديانة الزرادشتية ، التي دانت الامبراطورية الساسانية بها حتى سقوطها ، وقامت عقيدتها على أساس الصراع بين قوتين إلهيتين ، واحدة نورانية للخير، وأخرى مظلمة شريرة [أهورامزداوأهرمان] ومن صراعهما ولد الانسان المادي المظلم والروحاني المنير ، ومزدك قام في القرن السادس للميلاد يحاول اصلاح الديانة والمجتمع ، فكان أول اشتراكي في التاريخ ، وقد قضي على حركته من قبل كسرى أنوشروان الأول .

فخدعهم بناموسه ، فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذوا ممالكنا ، وقد طالت مدتهم ، والآن قد تشاغل أتباعه ، فمنهم مقبـــل على كسب الأموال ، ومنهم على تشييد البنيان ومنهم على الملاهي ، وعلماؤهم يتلاعنون ويكفر بعضهم بعضاً ، وقد ضعفت بصائرهم ، فنحن نطمع في إبطـال دينهم ، إلا إنا لايمكننا محاربتهم لكثرتهم ، فليس الطريق إلا : إنشاء دعوة في الدين ، والانتماء إلى فرقة منهم ، وليس فيهم فرقة أضعف عقولاً من الرافضة ، فندخل عليهم بذكر ظلم سلفهـم الأشراف من آل نبيهـم ، ودفعهم عن حقهم ، وقتلهم وماجرى عليهم من الذل لنستعين بهـؤلاء على إبطال دينهم ، فتناصروا وتكاتفوا ، وتواثقوا وانتسبوا إلى اسماعيل بـن جعفر بن محمد الصادق ، وكان لجعفر أولاد منهم اسماعيل الأعـرج ، ثم سوّل لهم الشيطان آراء ومذاهب أخذوا بعضها من المجوس ، وأخذوا بعضها من الفلاسفة ، وتخرقوا على أتباعهم ، وإنما قصدهم الجحد المطلق ، لكنهم لـما لم يمكنهـــم توسلوا إليه ، فقد بان ذلك بما ذكرت ، ومن البدايات التي بنوا عليها ، الباعث لهم على مافعلوا من نصب الدعوة .

وأما ألقابهم فإنهم يسمون الاسماعيلية ، والباطنية ، والقرامطـــة ، والخرمية ، والبابكية ، والمحمرة ، والسبعية والتعليمية ، فـأما تسميتهـم بالاسماعيلية ، فبإنتسابهم الى اسماعيل بن جعفر على ما ذكرناه ، وأما تسميتهم بالباطنية فإنهم ادعـوا أن لظواهر القرآن والأخبار بواطـن تجري مجرى اللب من القشر ، وأنها توهم الأغبياء صوراً وتفهم الفطناء رموزاً واشارات إلى حقائق خفية ، وأن من تباعد عن العرض على الخفايا والبواطـــن متعثر ، ومن ارتقى إلى علم الباطن إنحـــط عنه التكلف واستراح من من اعبائه ، واستشهدوا بقوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي

ss

كانت عليهم [١]) ، قالوا : والجهال بذلك هم المرادون بقوله: (نضرب لهم بسور له باب) [٢] وغرضهم فيما وضعوا من ذلك إبطال الشرائع ، لأنهم إذا صرفوا العقائد عن موجب الظاهر فحكموا بدعوى الباطن ، على موجب الانسلاخ عن الدين .

وأما تسميتهم بالقرامطة ففي سبب ذلك ستة أقوال :

أحدها : أنهم سموا بذلك لأن أول من أشير لهم بتلك الجهة محمد الوراق المقرمط ، وكان كوفياً .

والثاني : أن لهم رئيساً من السواد ، من الأنباط يلقب بقرمطويه فنسبوا اليه .

والثالث : أن قرمطاً كان غلاماً لاسماعيل بن جعفر فنسبوا إليه ، لأنه أحدث لهم مقالاتهم .

والرابع : أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له كرميته فلما رحل تسمى قرمط بن الأشعث ، ثم أدخله في مذهبه .

الخامس : أن بعض دعاتهم رجل يقال له كرميته ، فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل ، ثم خفف الاسم فقيل قرمط .

قال أهل السير : كان ذلك الرجل الداعي من ناحية خوزستان ، وكان يظهر الزهد ، والتقشف ، ويسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، ويحفظ للقوم ماصرموا من نخلهم في حظيرة ، ويصلي أكثر الناس ، ويصوم ، ويأخذ عند إفطاره من البقال رطلاً من التمر ، فيفطر عليه ، ويجمع

---

(١) الأعراف : ١٥٧ .
(٢) الحديد : ١٣ .

نواه فيدفعه إلى البقال ، ثم يحاسبه على ما أخذ منه ، ويحط من ذلك ثمن النوى فسمع التجار الذين صرموا نخلهم ، فوثبوا عليه ، وضربوه ، وقالوا : لم ترض بأن أكلت التمر حتى بعت النوى ، فأخبرهم البقال في الحال ، فندموا على ضربه ، وسألوه الاحلال ، فازداد بذلك نبلاً عند أهل القرية ، وكان إذا قعد إليه إنسان ، ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، ثم أعلم الناس أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت رسول الله ﷺ ، ثم مرض ومكث مطروحاً على الطريق ، وكان في القرية رجل يحمل على أثوار له ، وكان أحمر العينين ، وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنبطية حار العين ، فكلم البقال ـ كرميته هذا ـ في أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، ويوصي أهله الاشراف عليه ، والعناية به . ففعل ، فأقام عنده حتى برىء ، ثم كان يأوي إلى منزله .

ودعا أهل القرية إلى أمره فأجابوه ، وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً ، ويزعم أنه يأخذ ذلك للامام ، فمكث يدعو أهل القرى فيجيبونه ، واتخذ منهم اثني عشر نقيباً ، وأمرهم أن يدعو الناس إلى دينه ، وقال لهم : أنتم كحواري عيسى بن مريم عليهما السلام ، فشغل أكره [١] تلك الناحية عن أعمالهم بما رسمه لهم من الخمسين صلاة التي ذكر أنها فرضت عليهم ، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير اكرته في العمارة ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن رجلاً قدم عليهم ، فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أن الله عز وجل قد

(١) أي الأجراء والعمال .

افترض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة ، وقد اشتغلوا بها ، فوجه إليه فجيء به فسأله عن أمره فأخبره بقصته ، فحبسه في بيت ، وحلف بقتله وأقفل عليه ، وترك المفتاح تحت وسادته ، ونام فرقت له جاريته فأخذت المفتاح ، وفتحت وأخرجته ، ثم أعادت المفتاح إلى موضعه فلما أصبح الهيصم فتح الباب فلم يجده ، فشاع ذلك الخبر فعبر به أهل تلك الناحية وقالوا : قد رفع ، ثم ظهر في موضع آخر ولقي جماعة من أصحابه ، فسألوه عن قصته فقال : ليس يمكن أحداً أن يؤذيني ، ثم خاف على نفسه ، وخرج إلى الشام ، وتسمي باسم الرجل الذي كان في منزله ـ كرميته ـ ثم خفف فقيل قرمط ، وفشا أمره ، وأمر أصحابه ، وكان قد لقي صاحب الزنج فقال له : أنا على مذهب وورائي مائة ألف سيف ، فناظرني فإن اتفقنا ملت بمن معي إليك ، وان تكن الأخرى انصرفت ، فناظره فاختلفا ففارقه .

السادس : أنهم لقبوا بهذا نسبة إلى رجل من دعاتهم يقال له حمدان ابن قرمط ، وكان حمدان من أهل الكوفة يميل إلى الزهد ، فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريقه وهو متوجه إلى قريته وبين يديه بقر يسوقها فقال حمدان لذلك الداعي ، وهو لا يعرفه : أين تقصد ؟ فسمى قرية حمدان ، فقال له : اركب بقرة من هذه البقر لتستريح من المشي ، فقال : إني لم أؤمر بذلك ، قال : كأنك لا تعمل إلا بأمر ؟ قال : نعم فقال حمدان : وبأمر من تعمل ؟ قال بأمر مالكي ومالكك ؟ ومالك الدنيا والآخرة ، فقال : ذلك الله عز وجل ، قال : صدقت ، وماغرضك في هذه البقعة ؟ قال : أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الشقاوة إلى السعادة وأستنقذهم من

ورطات الذل والفقر ، وأملكهم مالاً يستغنون به عن التعب والكـد ، فقال له حمدان : أنقذني أنقذك الله ، وأفض علي من العلم ماتحييني بـه ، فما أشد حاجتي إلى ذلك ؛ فقال : ما أمرت أن أخرج السر المكنـون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به ، والعهد إليه ، قال : فاذكر عهدك فإني ملتزم به ، فقال : أن تجعل لي وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه أن لاتخرج سر الامام الذي ألقيه إليك ، ولاتفشي سري أيضاً ، فالـتزم حمدان عهده ، ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهل ، حتى استدرجه واستغواه ، واستجاب له في جميع مادعاه إليه ، ثم انتدب للدعوة ، وصار أصلاً من أصول هذه البدعة ، فسمي أتباعه القرمطية .

وأما تسميتهـم بالخرمية فإن خرم لفظ اعجمي ينبىء عن الشيء المستلذ الذي يشتهيه الآدمي ، وكان هذا لقباً للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس ، الذين نبغوا في أيام قباذ ، على ماذكرنا (١) فأباحوا المحظورات فلقب هؤلاء بلقب أولئك لمشابهتهم إياهم في اعتقادهم ومذهبهم .

وأما تسميتهم بالبابكية فإن طائفة منهم تبعوا بابك الخرمي ، وكان قد خرج في ناحية آذربيجان في أيام المعتصم ، فاستفحـل أمره ، فبعث إليه المعتصم الأفشين ، فتخاذل عن قتاله ، وأضمر موافقته في ضلاله ، فاشتدت وطأة البابكية على المسلمين إلى أن أخذ بابك ، وقتل على ماسبق شرحه (٢) ، وقد بقي من البابكية جماعة يقال : إن لهم في كل سنة ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ، فيطفئون المصابيح ، ويتناهبون النساء ، ويزعمون أن من أخذ امرأة استحلها بالاصطياد .

---

(١) مازال النصف الأول من المنتظم مخطوطاً لم ينشر بعد ، ولا أملك مصورة له .

(٢) انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٢٧٢-٢٧٣ .

فأما تسميتهم بالمحمرة فيذكر عنهم أنهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك ، وكانت شعارهم .

وأما تسميتهم بالسبعية فإنهم زعموا أن الكواكب السبعة مدبرة للعالم السفلي .

وأما تسميتهم بالتعليمية فإن مبدأ مذاهبهم إبطال الرأي ، وإفساد تصرف العقل ، ودعوة الخلق إلى التعلم من الامام المعصوم ، وأنه لامدرك إلا بالتعليم .

فصل

وأما الاشارة إلى مذاهبهم ، فإن مقصودهم الالحاد وتعطيل الشرائع وهم يستدرجون الخلق إلى مذاهبهم بما يقدرون عليه ، فيميلون إلى كل قوم بسبب يوافقهم ، ويميزون من يمكن أن يخدعهم ممن لا يمكن ، فيوصون دعاتهم فيقولون للداعي إذا وجدت من تدعوه فاجعل التشيع دينك ، إدخل عليه من جهة ظلم الأمة لعلي عليه السلام ، وقتلهم الحسين وسبيهم لأهله ، والتبرىء من تيم وعدي وبني أمية ، وبني العباس ، وقل بالرجعة [١] وأن علياً يعلم الغيب ، فإذا تمكنت منه ، أوقفته على مثالب علي وولده ، وبينت له بطلان ما عليه أهل ملة محمد عليه السلام وغيره من الرسل عليهم السلام ، وإن كان يهودياً ، فادخل عليه من

---

(١) في حاشية الأصل : « يعني أن علياً يرجع الى الدنيا لأن المراد من دابة الأرض علي رضي الله عنه كما هو مذهب جابر الجعفي الرافضي الشيعي » — لمحرره عفي عنه — .

جهة انتظار المسيح ، وأن المسيح هو محمد بن اسمعيل بن جعفر ، وهو المبدي واطمن في النصارى والمسلمين ، وان كان نصرانياً فاعكس ، وإن كان صابئياً فتعظيم الكواكب ، وإن كان مجوسياً فتعظيم النار والنور ، وإن وجدت فيلسوفياً ، فهم عمدتنا ، لأنا نتفق ، وهم ، على إبطال النواميس والأنبياء ، وعلى قدم العالم ، ومن أظهرت له التشيع فأظهر له بغض أبي بكر وعمر ، ثم أظهر له العفاف والتقشف وترك الدنيا والاعراض عن الشهوات ، ومر بالصدق والأمانة والأمر بالمعروف ، فإذا استقر عنده ذلك فاذكر له مثالب أبي بكر وعمر ، وإن كان سنياً فاعكس ، وإن كان مائلاً إلى المجون والخلاعة فقرر عنده أن العبادة بله ، والورع حماقة ، وإنما الفطنة في اتباع اللذة والوطر من الدنيا الفانية .

وقد يستحبون من له صوت طيب بالقرآن فإذا قرأ ، تكلم داعيهم ووعظ ، وقدح في السلاطين وعلماء الزمان وجهال العامة ، ويقول : الفرج منتظر ببركة آل الرسول ﷺ ، وربما قال إن الله عز وجل في كلماته أسراراً لايطلع عليها إلا من اجتباه .

ومن مذاهبهم أنهم لايتكلمون مع عالم ، بل مع الجهال ، ويجتهدون في تزلزل العقائد بإلقاء المتشابه ، وكل مالايظهر للعقول معناه ، فيقولون: مامعنى الاغتسال من المني دون البول ؟ ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ وقوله : (عليها تسعة عشر)[1] ضاقت القافية ! مابطن هذا إلا لفائدة لايفهمها كثير من الناس ، ويقولون : لم كانت السموات سبعاً ، ثم يشوقون إلى جواب هذه الأشياء ، فإن سكت السائل ، سكتوا ، وأن ألح قالوا : عليك بالعهد والميثاق على كتمان هذا

---

(١) المدثر : ٣٠ .

السر ، فإنه الدر الثمين ، فيأخذون عليه العهود والميثاق على كتمان هذا ويقولون في الأيمان : « وكل مالك صدقة وكل امرأة لك طالق ثلاثاً إن أخبرت بذلك » ، ثم يخبرونه ببعض الشيء ويقولون هذا لايعلمه إلا آل رسول الله ﷺ ، ويقولون هذا الظاهر له باطن ، وفلان يعتقد مانقول ، ولكنه يستره ويذكرون له بعض الأفاضل ، ولكنه ببلد بعيد .

فصل

واعلم أن مذهبهم ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر ، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الامام المعصوم ، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعترضها من الشبهات ، والمعصوم يطلع من جهة الله تعالى على جميع أسرار الشرائع ، ولابد في كل زمان من إمام معصوم يرجع إليه ، هذا مبدأ دعوتهم ، ثم يبين أن غاية مقصدهم نقض الشرائع ، لأن سبيل دعوتهم ليس متعيناً في واحد بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيهم ، لأن غرضهم الاستتباع ، وقد ثبت عنهم أنهم يقولون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني ، واسم العلة السابق ، واسم المعلول التالي ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لابنفسه ، وقد يسمون الأول عقلاً والثاني نفساً ، والأول تاماً والثاني ناقصاً ، والأول لايوصف بوجود ولاعدم ، ولاموصوف ولاغير موصوف ، فهم يومون إلى النفي لأنهم لو قالوا معدوم ماقبل منهم ، وقد سموا هذا النفي تنزيهاً .

ومذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة ، وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية ، وأن

جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه لا إنه شخص وإن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل فسمى كلام الله مجازاً لأنه مركب من جهته ، وهذه القوة الفائضة على النبي لاتفيض عليه في أول أمره ، وانما تتربى كنطفة .

واتفقوا على أنه لابد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الأشكال في القرآن والأخبار ، وأنه يساوي النبي في العصمة ، ولايتصور في زمان واحد إمامان بل يستظهر الامام بالدعاة ، وهم الحجج ولابد للامام من اثني عشر حجة ، أربعة منهم لايفارقونه .

وكلهم أنكر القيامة وقالوا : هذا النظام وتعاقب الليل والنهار وتولد الحيوانات لاينقضي أبداً ، وأولوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الامام ، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ، ولا الجنة ولا النار ، ومعنى المعاد عندهم عود كل شيء إلى أصله ، قالوا : فجسم الآدمي يبلى والروح ـ إن صفت بمجانبة الهوى ، والمواظبة على العبادات ، وغذيت بالعلم ـ استعدت بالعود إلى وطنها الأصلي وكمالها بموتها ، إذ به خلاصها من ضيق الجسد .

وأما النفوس المنكوسة المغموسة في عالم الطبيعة المعرضة عن طلب رشدها من الأئمة المعصومين فإنها أبداً في النار ، على معنى أنها تتناسخ في الأبدان الجسمانية ، وكلما فارقت جسداً تلقاها آخر ، واستدلوا بقوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها [١]) .

وأكثر مذاهبهم يوافق الثنوية ، والفلاسفة في الباطن ، والروافض في الظاهر ، وغرضهم بهذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس

---

(١) النساء : ٥٦ .

الناس ، حتى تبطل الرغبة والرهبة .

ثم إنهم يعتقدون استباحة المحظورات ، ورفع الحجر ، ولو ذكر لهم هذا لأنكروه ، وقالوا : لابد من الانقياد للشرع على مايفعله الامام فإذا أحاطوا بحقائق الأمور انحلت عنهم القيود ، والتكاليف العملية إذ المقصود عندهم من أعمال الجوارح تنبيه القلب ، وإنما تكليف الجوارح للغمر الذين لايراضون إلا بالسياقة [١] ، وغرضهم هدم قوانين الشرع .

قالوا : وكلما ذكر من التكاليف فرموز إلى باطن ، فمعنى الجنابة مبادرة المستجيب [٢] بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق لذلك، ومعني الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك ، والزنا إلقاء نطفة العلم الباطن إلى نفس معه عقد العهد ، والاحتلام أن يسبق اللسان إلي إفشاء السر في غير محله ، والصيام الامساك عن كشف السر ، والمحرمات عبارة عن ذوي السر [٣] ، والبعث عندهم الاهتداء إلى مذاهبهم . ويقولون (للذكر مثل حظ الانثيين) [٤] الذكر : الامام ، والحجة الانثى .

وقالوا : (يوم يأتي تأويله) [٥] أي يظهر محمد بن اسماعيل ، وفي قوله : (حرمت عليكم الميتة) [٦] ، قالوا : الميتة الحامل على الظاهر الذي لايلتفت إلى التأويل .

---

(١) توضح هذه الفقرة ماكتبه الغزالي في كتابه فضائح الباطنية : ٤٧ « وإنما تكليف الجوارح في حق من يجري بجهله مجرى الحمر التي لايمكن رياضتها إلا بالاعمال الشاقة » .

(٢) من أدنى المراتب في الدعوة الاسماعيلية ، انظر فضائح الباطنيه : ٥٥-٥٦ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي فضائح الباطنية : ٥٦ « المحرمات عبارة عن ذوي الشر من الرجال وقد تعبدنا باجتنابهم » .

(٤) النساء : ١١ . (٥) الأعراف : ٥٣ ، (٦) المائدة : ٣ .

وقالوا : إن الشاة والبقر هم الذين حضروا محاربة الأنبياء والأئمة ، يترددون في هذه الصور ، ويجب على الذابح أن يقول عند الذبح : اللهم إني أبرأ إليك من روحه وبدنه ، وأشهد له بالضلالة ، اللهم لاتجعلني من المذبوحين ، ولهم من هذا الهذيان ماينبغي تنزيه الوقت عن ذكره وإنما علمت هذه الفضائح من أقوام تدينوا بدينهم ، ثم بانت لهم قبائحهم فتركوا مذهبهم .

فإن قال قائل : مثل هذه الاعتقادات الركيكة ، والحديث الفارغ ، كيف يخفى على من يتبعهم ، ونحن نرى أتباعهم خلقاً كثيراً ؟ فالجواب : إن أتباعهم أصناف ، فمنهم قوم ضعفت عقولهم ، وفلت بصائرهم وغلبت عليهم البلادة والبله ، ولم يعرفوا شيئاً من العلوم ، كأهل السواد والأكراد وجفاة الأعاجم ، وسفهاء الأحداث ، فلا يستبعد ضلال هؤلاء فقد كان خلق ينحتون الأصنام ويعبدونها .

ومن اتباعهم طائفة انقطعت دولة أسلافهم بدولة الاسلام كأبناء الأكاسرة والدهاقين [١] ، وأولاد المجوس ، فهؤلاء موتورن قد استكن الحقد في صدورهم ، فهؤلاء كالداء الدفين فإذا حركته مخائيل المبطلين اشتعلت نيرانه .

ومن أتباعهم قوم لهم تطلع إلى التسلط والاستيلاء ، ولكن الزمان لايساعدهم ، فإذا رأوا طريق الظفر بمقاصدهم سارعوا .

ومن أتباعهم قوم جبلوا على حب التميز عن العوام ، فزعموا أنهم يطلبون الحقائق وأن أكثر الخلق كالبهائم ، وكل ذلك لحب

---

(١) جمع دهقان ، رم رؤساء القرى وجباة الضرائب والتجار الكبار في العهد الساساني ، واستمر حالهم في بداية الاسلام . انظر المعرب للجواليقي .

ss

النادر الغريب .

ومن اتباعهم الملحدة [١] الفلاسفة والثنوية الذين اعتقـــدوا الشرائع نواميس مؤلفة ، والمعجزات مخاريق مزخرفة فإذا رأوا من يعطيهم شيئاً من أغراضهم مالوا إليه .

ومن أتباعهم قوم مالوا إلى عاجل اللذات ، ولم يكن لهم علم ولا دين ، فإذا صادفوا من يرفع عنهم الحجر مالوا إليه ، على أن هؤلاء القـــوم لا يكشفون أمرهم إلا بالتدريج على قدر طمعهم في الشخص ،

وإنما مددنا النفس في شرح حالهم ، وإن كنا ذكرنا بيتاً من قصيدة لعظم ضررهم على الدين وشياع كلمتهم المشوبة ، وإنما اجتمعت لهم الأسباب التي ذكرناها في وسط أيامهم ، وإلا فمعاندوا الشرائع خلق كثير ، وقـد نبغ منهم قوم أظهروا إمامة محمد بن الحنفية وقالوا : إن روح محمد انتقلت إليه ، ثم انتقلت منه إلى أبي مسلم صاحب الدعوة ، ثم إلى المهدي ثم إلى رجل يعرف بابن القصري ثم خمدت نارهم .

ثم نبغ لهم في أيام المأمون رجل ، فاحتال فلم تنفـــذ حيلته ، ثم تناصروا في أيام المعتصم وكاتبوا الأفشين [٢] وهو رئيس الأعاجم ، فمـال إليهم واجتمعوا مع بابك ، ثم زاد جمعهم على ثلثمائة ألف فقتـل المعتصم منهم ستين ألفاً وقتل الأفشين أيضاً ، ثم ركدت دولتهم .

ثم نبغ منهم جماعة وفيهم رجل من ولد بهرام جور ، وقصدوا إبطال

---

(١) في الأصل « المخلدة » وهو تصحيف ، صوابه ما أثبتنا . انظر فضائح الباطنية ٣٦ ، ويلاحظ أن ابن الجوزي قام بالاعتماد المطلق على كتاب الغزالي هذا . انظر : ٢٨-٣٦.

(٢) اختلف حول تورط الأفشين في قضية بابك ، وقد جرت له محاكمة أيام المعتصم قتل إثرها . انظر مروج الذهب : ٣٠٥/٣ . وراجع ماكتبه قاسم العزيز في اطروحته عن بابك . ط. بيروت دار الفارابي ،

الإسلام ورد الدولة الفارسية ، وأخذوا يحتالون في تضعيف قلوب المؤمنين وأظهروا مذهب الامامية ، وبعضهم مذهب الفلاسفة .

وجعل لهم رأس يعرف بعبد الله بن ميمون بن عمرو ، ويقال ابن ديصان القداح ، الأهوازي وكان مشعبداً مخرقاً ، وكان معظم مخرقته بإظهار الزهد والورع ، وأن الأرض تطوى له ، وكان يبعث خواص أصحابه إلى الأطراف معهم طير ، ويأمرهم أن يكتبوا إليه بالأخبار عن الأباعد ، ثم يحدث الناس بذلك فيقوى شبههم ، وكانوا يقولون : إن المتقدمين منهم ، يستخلفون عند الموت ، وكلهم خلفاء محمد بن اسماعيل ابن جعفر الطالبي وإن من الدعاة الى الامام معد بن تميم وابنه اسمعيل ، وهم المتغلبون على بلاد المغرب ، ومن استجاب لهم عرفوه أنه إن عمل مايرضيهم صار إماماً ونبياً ، وأنه يرتقي المبتدي منهم إلى الدعوة ، ثم إلى أن يكون حجة ، ثم إلي الامامة [1] ، ثم يلحق مرتبة الرسل ، ثم يتحد بالرب فيصير رباً ، ولايجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه .



(١) نجد مصداق هذا في سيرة حمزة بن علي هادي المستجيبين وقيام الدعوة الدرزية .

كتاب
أخبار الدول المنقطعة

الدولة العلوية بإفريقية ومصر والشام

قال الفقيه جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر جامع أخبارها ، وعليه عهدة مانقله :....

المعز لدين الله أبو تميم معد

وبعث جوهر بجعفر بن فلاح إلى الشام بجيش كثيف ، فلقي الحسن ابن عبيد الله بن طغج ، وهو يومئذ صاحب الشام ، بالرملة ، فهزمه ، وأسره ، وبعث به إلى مصر ، وسار إلى دمشق فملكها بعد حرب شديد من أهلها ، وفتن عظيمة ، وملك الساحل أجمعه ، وأقام بدمشق إلى أن سار الحسن الأعصم القرمطي ، من هجر والأحساء بأمر الامام المطيع لله [١] ، له بذلك ، فوصل إلى الرحبة [٢] ، واجتمع عليها بالأمير عدة الدولة أبي تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان [٣] ، ثم سافر إلى دمشق ، فلقيه جعفر بن فلاح دونها ، فلم يكن إلا كرجع الطرف أو دونه ، حتى انهزمت المغاربة وقتل جعفر .

وملك القرمطي الشام أجمعه ، وسار الى مصر ، فلم يكن لجوهر طاقة به ، فقاتله من وراء خندق القاهرة ، حتى كاد القرمطي أن

---

(١) ٣٣٤هـ/٩٤٦م – ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م .

(٢) في أحواز الميادين الحالية على الفرات في سور[...]بة من الحدود السورية العراقيـة .

(٣) ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م – ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م ، في الموصل .

يأخذه ، ثم رجع القرمطي عنه بغير سبب يعرف ، وقيل إنه كان معه خمسة عشر ألف جمل وبغل تحمل صناديق الأموال ، وأواني الذهب ، والفضة ، والسلاح سوى مايحمل المضارب والخيم والبنود ، وغير ذلك من الأثقال .

وكتب عند ذلك جوهر إلى سيده يستنهضه للسير إلى مصر ، ويخبره أنه أكله القرامطة ، فسار المعز من المهدية ، ووصل إلى قصره بالقاهرة يوم الثلاثاء لخمس ليال خلون من شهر رمضان سنة إثنتين وستين وثلاثمائة وقيل لسبع .

وكتب إلى القرمطي كتاباً كبيراً يهدده فيه ، لايكتبه إلا مارق عن الاسلام ، من بعض فصوله : « أما علمت بأني نار الله المـــوصدة التي تطلع على الأفئدة ، أعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور ، وهو كتاب كبير محشو بأنواع الكفر ، والمعاتبه للقرمطي ، يحضه فيه على اقتفاء آبائه وعمومته في موالاته وموالاة بنيه ، ويقول فيـــه : إن آباءك كانوا أتباع آبائي لايخرجون عن مراسمهم في جميع تصرفاتهم »[1] ، ... ولم ينفع هـذا الكتاب بل كان نص جواب القرامطي له : « وصل كتـابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، والجواب : ماتراه دون ماتسمعه » .

وسار عقب ذلك إلى مصر ، وملك الصعيد ، وأسفل الأرض ، ثم عاد على نية العود ، فبادر المعز برسله إليه ، وقرر معه حمل المال الذي كان كافور الإخشيدي يحمله إلى آبائه وعمومته في كل سنة ، فأجاب القرمطي إلى ذلك ، وخرج لهم عن الشام .



(١) انظر نص الكتاب في المقتبس من اتعاظ الحنفا فيا يلي .

كتاب
بغية الطلب في تاريخ حلب

القرمطي صاحب الخال

أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب . صاحب الخال . نسب نفسه هكذا . وقيل أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل (١٢٩ ـ ظ) وقيل إن اسمه الحسين بن زكرويه بن مهرويه . وقيل ابن مهري الصوّاني . من أهل صوّان من سواد الكوفة . وهو المعروف بصاحب الخال . أخو علي ابن عبد الله القرمطي ، نسب نفسه إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر . وتسمى بالمهدي . وبايعته القرامطة بعد قتل أخيه بنواحي دمشق . وصار إلى السخنة[١] والأركة ، والزيتونة وخناصره من الأحص من أعمال حلب ، ودخل هذه المواضع عنوة ، ونهب مافيها من الأموال والسلاح ، وأفسد بالشام وعاث في بلادها . وغلب على أطراف حمص ، وخطب له على منابرها وفتحوا له بابها ، وسار إلى حماة ومعرة النعمان وغيرهما من البلاد فقتل أهلها والنساء والأطفال . ثم جاء إلى سلميه فمنعوه ، ثم أعطاهم الأمان ففتحوا له بابها فدخل وقتل الهاشميين أجمعين بها ، ثم قتل الرجال ، ثم البهائم ، ثم الصبيان ، ثم خرج منها وليس بها عين تطرف .

وجهز جيشاً كثيفاً بخيل ورجالة مع بعض دعاته ويعرف بمميطر

---

(١) في بادية الشام ماتزال تعرف بنفس الاسماء .

المطوق إلى ناحية حلب ، فأوقعوا بأبي الأغر خليفة بن المبارك[١] بوادي بطنان[٢] وقتلوا خلقاً عظيماً وانتهبوا عسكره وأفلت أبو الأغر في ألف رجل لاغير ، فدخل إلى حلب ، ووصلوا خلفه إلى حلب ، فأقاموا عليها على سبيل المحاصرة . وتسرع أهل حلب في يوم الجمعة سلخ شهر رمضان من سنة تسعين ومائتين وطلبوا الخروج لقتالهم ، فمُنعوا من ذلك ، فكسروا قفل باب المدينة ، وخرجوا إلى القرامطة ، فتحاربوا ، ونصر الله الرعية من أهل حلب عليهم ، وقتل من القرامطة جماعة كثيرة ، وخرجوا يوم السبت يوم عيد الفطر مع أبي الأغر إلى مصلى العيد ، وعيد المسلمون ، وخطب الخطيب على العادة ، ودخل الرعية إلى مدينة حلب في أمن وسلامة وأشرف أبو الأغر على عسكر القرامطة فلم يخرج إليه أحد منهم .

فلما يئسوا من فرصة ينتهزونها من حلب ساروا ومضوا إلى صاحب الخال ، ولما انتهى إلى المكتفي بالله هذه الأمور خرج نحوه وجهز إليه عسكراً قوياً في المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين . فقتل من أصحاب القرمطي خلق كثير ، وانهزم نحو الكوفة فقبض بالدالية من سقي الفرات وحمل إلي الرقة إلى المكتفي بالله ، فحمل إلى بغداد وشهر وطيف به على جمل ، وقيل على فيل . ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو وأصحابه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين ومائتين .

وكان لعنه الله أديباً شاعراً ، وكثيراً مايقع الاختلاف في اسمه ونسبه

---

(١) قال الطبري في حوادث سنة ٢٩٠ هـ ، ص ٢٢٢٢ ، ولثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر خلع على أبي الاغر ووجه به لحرب القرمطي بناحية الشام فمضى الى حلب في في عشرة آلاف رجل .

(٢) بطنان حبيب واد مابين حلب ومنبج – معجم البلدان .

واسم أخيه الذي قتل قبله علي بن عبد الله ، وبعضهم يسمي أخاه محمد ابن عبد الله بن يحيى . والصحيح أن الذي ثبت عليه في اسمه ونسبه أبو العباس أحمد بن عبد الله ، وهو دعي .

وإنما سموا القرامطة : زعموا أنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن علي ، ونسبوا الى قرمط . وهو حمدان بن الأشعث . كان بسواد الكوفة . وإنما سمي قرمطاً لأنه كان رجلاً قصيراً ، وكان رجلاه قصيرتين ، وكان خطوه متقارباً ، فسمي بهذا السبب قرمطاً . وكان قرمط قد أظهر الزهد والورع وتسوق به على الناس مكيدة وخبثاً .

وكانت أول سنة ظهر فيها أمر القرامطة سنع أربع وستين ومائتين وذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة إنما هو نسبة إلى مذهب يقال له : القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام ، فيكون على هذه المقالة عزوه إلى مذهب باطل لا إلى رجل ، وإنما قيل لهذا القرمطي صاحب الخال لأنه كان على خده الأيمن خال ، ويعرف بابن المهزول زكرويه بن مهري الصواني من أهل صوان من سواد الكوفة . وقيل هو وأخوه من قيس من بني عبادة بن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة ابن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . فادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر ، فعلى هذا يكون منسوباً إلى جدهم قرمطي ، ولا يبعد أن يكون الأمران جميعاً والله أعلم .

وقرأت في رسالة أبي عبد الله محمد بن يوسف الأنباري الكاتب إلى

أخيه أبي علي في ذكر أخبار هذا القرمطي أنه ادعى أنه أحمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد ، وأنه المهدي . وأنه نظر محمد بن إسماعيل في النسبفلما وقف على بعد هذا النسب ادعى «بعد وقعة السطح في الكسوة[1]» أنه محمد بن عبد الله بن جعفر ، وكتب بذلك كتاباً بخطه إلى المعروف بابن حوي السكسكي ممن يسكن في بيت لهيا . فصار ابن حوي بالكتاب إلى أبي نصر حمد بن محمد كاتب طغج .

ثم نزع عن هذا النسب إلى عبد الله بن إدريس الحسني القادم من الحجاز إلى مدينة أذرعات من جهة دمشق .

وقيل إن القرمطي من يهود نجران وأنه دعي .

وذكر أبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القطربلي ، ومحمد بن أبي الأزهر في التاريخ الذي اجتمعا على تأليفه في حوادث سنة تسع وثمانين قالا : وفي آخر هذه السنة ظهر رجل يقال له : محمد بن عبد الله بن يحيي ولد اسماعيل بن جعفر العلوي بنواحي دمشق يدعو إلى نفسه . واجتمع إليه خلق كثير من الأعراب وأتباع الفتن ، فسار بهم إلى دمشق وكان بها طغج بن جف مولى أمير المؤمنين من قبل هارون بن خمارويه عامل أمير المؤمنين على مصر والشام ، فلما بلغه خبره استعد لحربه وتحصن طغج بدمشق ، فحصره هذا العلوي بها ، وكانت بينها وقعات وانقضت .

قالا : وفي هذه السنة ـ يعني سنة تسعين ومائتين ـ : جرت بين طغج بن جف وبين القرمطي حروب كثير كلها على طغج ، فكتب إلى هارون/ (١٣١ ظ) يستنجده فوجه إلى مصر جيشاً بعد جيش ، كل ذلك

---

(١) انظر ماسيأتي ، خاصة رواية ابن المهذب بعد عدة صفحات .

يهزمهم القرمطي ، ثم وجه هارون بن خمارويه ببدر الحمامي ، وكتب إلى طنج في معاضدته وضم إليه وجوه القواد بمصر والشام ، فخرج إلى القرمطي فكانت بينهم حروب كثيرة أتت على أصحاب بدر الحمامي ، وكان هذا القرمطي قد جعل علامته ركوب جمل من جماله ، وترك ركوب الدواب ولبس ثياباً واسعة وتعمم عمة أعرابية ، وأمر أصحابه أن لايحاربوا أحداً ، وإن أتي عليهم حتى ينبعث الجمل من قبل نفسه من غير أن يثيره أحد ، فكانوا إذا فعلوا ذلك لم يهزموا ، وكان إذا أشار بيده إلي ناحية من النواحي انهزم من يحاربه ، واستغوى بذلك الأعراب .

فخرج إليه بدر يوماً لمحاربته ، فقصد القرمطي رجل من أصحاب بدر يقال له زهير بزانة ، فرماه بها فقتله ، ولم يظهر على ذلك أصحاب بدر إلا بعد مدة ، فطلب في القتلى فلم يوجد ، وكان يكنى أبا القاسم .

قال ابن أبي الأزهر : وحدثني كاتبه المعروف باسماعيل بن النعمان ، ويكنى بأبي المحمدين ، وسبب هذه الكنية أنه وافى مع جماعة من القرامطة بعد الصلح وقبولهم الأمان من القاسم بن سيماء ــ وكان على طريق الفرات ــ ومن عبد الله بن الحسين بن سمود ــ وكان على القابون ــ فكان القاسم ابن سيماء ، يكنى أبا محمد ، وعبد الله بن الحسين يكني أبا محمد ، وصاحب البريد المعروف بابن المهلبي يكنى أبا محمد ، وصاحب الخرائط قرابة أبي مروان يكنى أبا محمد ، فكني اسماعيل هذا أبا المحمدين ، فبقي معروفاً بذلك ، فحدثني اسماعيل عن هذه الوقعة ، قال : فصرت إليه مرة وهو راكب على نجيبه وعليه دراعة ملحم ، فقلت له : قد اشتد الأمر على أصحابنا ، وقد قربوا منك ، فتنح عن هذا الموضع إلى غيره ، فلم يرد

علي جواباً ، ولم يثر نجيبه ، فعدلت إليه ثانية فقلت له : قم ، فانتهرني ، ولم يرم إلى أن وافته زانة ، ، أو قال حربة ، فسقط عن البعير ، وكاثرنا من يريد أخذه فمنعنا منه ، وقتل زهاء مائة إنسان في ذلك الموضع ، ثم أخذناه وتنحينا بأجمعنا .

فقلت : الذي أقمتموه مقامه أهو أخوه ؟ فقال : لا ، والله مانعلم ذاك ، غير أنه وافانا قبل هذه الحادثة بيومين ، فسألناه من أنت من الامام ؟ فقال : أنا أخوه ، ولم نسمع من الشيخ شيئاً في أمره ، يعني المكتنى أبا القاسم . وكان هذا المدعي أخاه يكنى أبا العباس ، واسمه أحمد بن عبد الله . فعقد لنفسه البيعة على القرامطة ودعاهم إلى مثل ماكان أخوه يدعوهم إليه ، فاشتدت شوكته . ورغبت البوادي في النهب ، وانثالت عليه انثيالاً ، وذلك في آخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

ثم صار إلى دمشق فصالحه أهلها على خراج دفعوه إليه فانصرف عنهم ، ثم سار إلى أطراف دمشق ، وحمص ، فتغلب عليها ، وخطب له على منابرها ، وتسمى بالمهدي ، ثم صار إلى مدينة حمص فأطاعه (١٣٢ ظ) أهلها ، وفتحوا له بابها فدخلها ، ثم صار إلى : حماة ، وسلمية وبعلبك ، فاستباح أهلها ، وقتل الذراري ، ولم يبق شريفاً لشرفه ، ولاصغيراً لصغره ولا امرأة لحرمها ، وقتل أهل الذمة ، وفجروا بالنساء .

حدثني من كان معهم قال : رأيت عصاماً سيافه ، وقد أخذ من بعلبك امرأة جميلة جداً ، ومعها طفل لها رضيع ، فرأيته والله وقد فجر بها ، ثم أخذ الطفل بعد ذلك ، فرمى به نحو السماء ، ثم تلقاه بسيفه ، فرمى به قطعتين ، ثم عدل إلى أمه بذلك السيف بعينه ، فضربها به فبترها .

فلما اتصل عظيم خبرهم وإقدامهم على انتهاك المحارم ودام ، خرج أمير المؤمنين المكتفي بالله متوجهاً نحـوه يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهـر رمضان في قواده ومواليه وغلمانه وجيوشه ، وأخذ على طريق الموصل ثم صار إلى الرقة وأقام بها وأنفذ الجيوش نحو القرامطة ، وقلد القاسم ابن عبيد الله بن سليمان تدبير أمر هذه الجيوش .

فوجه القاسم محمد بن سليمان الكاتب ، صاحب الجيش خليفة له على جميع القواد ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، فنفذ عن الرقة في جيش ضخم وآلة جميلة وسلاح شاك ، وكتب إلى جميع القواد والأمراء في النواحي بالسمع له والطاعة لأمره ، وضم محمد بن سليمان القواد بعضهم إلى بعض وصمد نحو القرمطي ، فلم يزل يعمل التدبير ويذكي العيون (١٣٣ و) ويشاور ذوي الرأي ويتعرف الطرقات إلى أن دخلت سنة إحدى وتسعين .

قال : وفي أول هذه السنة : كتب أمير المؤمنين إلى محمد بن سليمان وإلى سائر القواد في منـــاهضة القرمطي ، فساروا إليـه فالتقوا على اثني عشر ميلاً من حماة في موضع بينــه وبين سلميــة [١]، فاشتدت الحرب بينهم ، وصدقوهم القتـــال ، فتجمع القرامطة وحـــلوا على الميمنة حملة رجل واحد ، فثبت الأولياء فمروا صادقين وجعلوها هزيمة ، ومنح الله من أكتافهم ، وقتل منهم وأسر أكثر من عشرة آلاف رجل ، وشرد الباقون في البوادي ، واستمرت بهم الهزيمة ، وطلبهم الأولياء إلى وقت صلاة عشاء الآخرة من ليلة الأربعاء لسبع خلون من المحرم ، ولما

---

(١) ذكر الطبري ٢٢٣٩ أن اسم المكان (تمنع) ولعله مكان قرية التانعة الحالية والتابعة إدارياً لخان شيخون، في منطقة معرة النعمان . انظر التقسيات الادارية في الجمهورية العربية السورية ـ ط. دمشق ١٩٦٨ ص ٢٨ .

رأى القرمطى ذلك ، ورأى من بقي من القرامطة ، قد كاعوا عنه ، حمل أخاً له يكنى أبا الفضل مالاً ، وتقدم إليه إلى أن يظهر في موضع آخر فيصير إليه .

وتجمع رؤساء القرامطة ، وهم الذين كانوا صاروا إلى رحبة مالك ابن طوق [١] ، فطلبوا الأمان ، وهم : أبو المحمدين ، والنعمان بن أحمد ، وأحمد بن النعمان أخو أبي المحمدين ، ووشاح ، وعطير ، وشديد بن ربعي وكليب من رهط النحاس ، وعصمة السيّاف [٢] وسجيفة رفيقه ، ومسرور وغشام . فقالوا للقرمطي ، وهو صاحب الخال : قد وجب حقك علينا ، وقد رأيت ماكان من جدنا واجتهادنا ، (١٣٣ ظ) ومن حقك علينا أن ندعك ، وإنما يطلبنا السلطان بسببك . فانج بنفسك . فأخذ ألف دينار فشدها في وسطه في هميان [٣] ، وأخذ معه غلاماً له رومياً يقال له لؤلؤ ، كان يهواه ويحل منه محل بدر من المتضد بالله ، وركب معه المدثر ، وكان يزعم أنه ابن عمه ، والمطوق غلامه ، ومع كل واحد منهم هميان في وسطه .

فأما المطوق ـ وهو اتخذ له سخاب وقت دخوله إلى مدينة السلام [٤] ـ فإني سألت عنه أبا المحمدين ، فذكر أنه رجل من أهل الموصل ،

---

(١) قرب مدينة الميادين الحالية على الفرات في سورية .

(٢) ذكر في ص ٧٥ أن اسمه (عصاماً) .

(٣) الهميان ـ فارسية معربة ـ شداد السراويل أو تكته ومايجعل فيه الدراهم ويشد على الحقو .

(٤) في اللسان وتاج العروس ـ السخاب. قلادة ـ وجاء في الطبري ـ ٢٢٤٣-٢٢٤٤ أنه لما دخل الرقة كان يشتم الناس إذا دعوا عليه ويبزق عليهم فاتخذ له مايشبه اللجام لئلا يفعل ذلك .

وأنه صار إلى الامام بزعمه ، فجعل يورق له ويسامره . ولم يعرف قبل ذلك الوقت .

وأخذوا دليلاً ، وسار يريد الكوفة عرضاً في البرية ، فغلط بهم الدليل الطريق ، وأخرجهم بموضع بين الدالية والرحبة يقال له بنو محرز فلما صاروا إلى بني محرز ، نزلوا خارج القرية ، في بيدر عامر ، فأخرجوا دقيقاً كان معهم في مزود ، واقتدحوا ناراً واحتطبوا ليخبزوا هناك ، وكان وقت مغيب الشمس ، فعلا الدخان وارتاب الموكلون ببني محرز ، من أصحاب المسالح ، بما رأوه ، فأموا الموضع ، فلقوا الدليل ، فعرفه بعضهم ، فقال : ماوراءك ؟ قال : هذا القرمطي وراء الدالية . فشدوا عليهم فأخذوهم ، وكتبوا إلى أبي خبزة وهو في الدالية يعلمونه بهذا ، فأتاهم ليلاً ، فأخذهم وصار بهم إلى الدالية ، وأخذ من وسط غلام له هميانا فيه ألفا دينار (١٣٤ و) ومن وسط المدثر مثل ذلك وأخذ الهميان الذي كان مع القرمطي ، ووكل بهم في دار بالدالية ، وكتب الى أحمد ابن محمد بن كشمرد وهو بالرحبة يخبره ، فأسرع السير إليهم[1] ، فلما وافى احتبس القرمطي في بيت لطيف في مجنب الحيري .

فحدثني بعض أهل الدالية ، قال : لما وافى ابن كشمرد ، سأل القرمطي : ما أخذ منك ؟ قال : ما أخذ مني شيء ، فقال له المطوق : أتبغي من الامام مالايحسن منه الاقرار به ، ودعا بالبزاز ، فأخذ ثياباً ، ثم دعا بالخياط ليقطع للقرمطي تلك الثياب ، فقال الخياط للقرمطي : قم حتى أقدر الثوب عليك ، فقال المطوق للخياط : أتقول يابن اللخناء للامام : قم ! اقطع ثكلتك أمك على سبعة أشبار ، وصار ابن كشمرد وأبو

---

(١) انظر الطبري : ٢٢٣٨ .

خبزة بالقرمطي إلى الرقة ، ورجعت جيوش أمير المؤمنين ، بعد أن تلقطوا كل من قدروا عليه من أصحاب القرمطي ، في أعمال حمص ونواحيها .

وورد كتاب القاسم بن عبيد الله ، بأن القرمطي أدخل الرقة ظاهراً للناس على جمل فالج ، وعليه برنس حرير ، ودراعة ديباج ، وبين يديه المدثر والمطوق ، على جملين ، في يوم الاثنين ، لأربع ليال بقين من المحرم ، سنة إحدى وتسعين ومائتين ، حتى صير بهم إلى دار أمير المؤمنين بالرقة ، فأوقفوا بين يديه ، ثم أمر بهم فحبسوا ، واستبشر الناس والأولياء بما هناه الله في أمر هذا القرمطي . وقرظ أمير المؤمنين القاسم بن عبيد الله في (١٣٤ ظ) هذا الوقت ، وأحمده فيما كان من تدبيره ، في أمر هذا الفتح ، وخلع عليه خلعاً شرفه بها ، وقلده سيفاً ولقبه بولي الدولة ، وانصرف إلى منزله بالرقة . وخلف أمير المؤمنين عساكره مع محمد بن سليمان ، وشخص من الرقة في غلمانه ووجوه أصحابه وحرمه ، وشخص معه أبو الحسين القاسم بن عبيد الله إلى بغداد ، وحمل معه القرمطي والمدثر والمطوق وجماعة ممن أسر في الوقعة مستهل صفر ، وقعد في الحراقات في الفرات ، ولم يزل متلوماً في الطريق حتى وصل إلى البستان المعروف بالبشري ليلة السبت لليلتين بقيتا من صفر ، فأقام به ثم عبر من هناك إلى الجانب الشرقي ، فعبأ الجيوش بباب الشماسية . وكان أمير المؤمنين قد عزم على أن يدخل القرمطي بغداد مصلوباً على دقل[1] . والدقل على ظهر فيه ، وأمر بهدم الطاقات

---

(١) هو خشبة يمد عليها شراع السفينة ، وتسميها البحرية : الصاري ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

التي يجتاز بها الفيل ، إذ كانت أقصر من الدقل . ثم استسمج ذلك ، فعمـــل له دميانة غلام يازمار [١] كرسياً ، ارتفاعه ذراعان ونصف ، وأجلسه عليه ، وركب الكرسي على ظهر الفيل . فدخل أمير المؤمنين مدينة السلام صبيحة يوم الاثنين مستهل ربيع الأول في زي حسن وتعبئة وجيش كثيف ، وآلة تامة وسلاح شاك ، وقدم الأسرى على جمـــال مقيدين عليهم دراريع حرير . وبرانس حرير ، ثم قدم المدثر بـين يدي القرمطي على جمل فالج وعليـه دراعـة حرير (١٣٥ ـ و) وبرنس ، ثم القرمطي على الكرسي على ظهر الفيل ، وعليه دراعة ديباج وبرنس حرير ، ثم دخل أمير المؤمنين خلفه حتى اشتق مدينة السلام إلى قصره المعروف بالحسني ، والقاسم بن عبيدالله خلفه . وأمر بالقرمطي والمدثر فأدخـلا الحبس بالحسني ، ووجه بالأسرى إلى الحبس الجديد بالجانب الغربي . ومضي المكتفي من ساعته من الحسني إلى الثريا ، بعد أن خلع على أبي الحسين القاسم بن عبيد الله ، وانصرف إلى منزله .

ووافى محمد بن سليمان بعد إصلاحه الأمور ، وتلقطه جماعة من قواد القرمطي وقضاته وأصحاب شرطه فأخذهم وقيدهم وانحـدر والقواد الذين تخلفوا معه إلى مدينة السلام ، فوافي بغداد إلى الباب المعـروف بـبـاب الأنبار ليلة الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وكان قد أمر القواد جميعاً بتلقي محمد بن سليمان ، والدخول معه الى بغداد ، ففعلوا ذلك ، ورحل محمد بن سليمان صبيحة يوم الخميس وبين يديه نيف وسبعون أسيراً ، غير من أسميناه ، والقواد معه حتى صاروا الى دار أمير المؤمنين

(١) في الطبري : ٢٢٤٣ ، غلام يازمان .

بالثريا ، فدخلوا عليه . وأمر أن يخلع على محمد بن سليمان ويطوق بطوق ذهب ، ويسور بسوارين ، وخلع على جميع القواد القادمين معه ، وطوقوا وسوروا ، وانصرفوا الى منازلهم . وأدخل الأسرى الى الحبس الجديد بمدينة السلام في الجانب الغربي منها .

فلما كان في يوم السبت (١٣٥ ـ ظ) لعشر بقين من شهر ربيع الأول بنيت دكة في المصلى العتيق ، من الجانب الشرقي ، الذي تخرج اليه الثلاث الأبواب ، ومن باب خراسان ، تكسير ذرعها عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وجعل لها أربع درج يصعد منها اليها ، وأمر القواد جميعاً بحضور هذه الدكة ، ونودي بذلك في الناس أن يحضروا عذاب القرامطة ، ففعلوا ، وكثر الناس في هذا الموضع وحضر القواد ، والواثقي المتقلد للشرطة [1] بمدينة السلام ، وحضر محمد بن سليمان ، فقعدوا جميعاً عليها ، وأحضروها ثلاثمائة ونيفاً وعشرين انساناً ممن كان أسر قديماً ، ومن جاء به محمد بن سليمان ، وأُحضر القرمطي والمدثر فأقعدا ، وقدم نيف وثلاثون انساناً من هؤلاء الأسارى من وجوههم ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم . ثم قُدم القرمطي فضرب مائتي سوط ، ورش على الضرب الزيت المغلي وكوي بالجمر ، ثم قطعت يداه ، ورجلاه وضربت عنقه . فلما قتل انصرف القواد وأكثر الناس ممن حضر للنظر الى عذاب القرمطي ، وأقام الواثقي الى وقت العشاء الآخرة في جماعة من أصحابه ، حتى ضرب أعناق باقي الأسارى ، ثم انصرف .

فلما كان يوم الأربعاء لست بقين من هذا الشهر ، صير ببدن القرمطي الى باب الجسر الأعلى من الجانب الشرقي فصلب هناك ، وحفر لأجساد

---

(١) هو أحمد بن محمد الواثقي كما ذكر الطبري : ٢٢٤٥ .

SS

القتلى آبار الى (١٣٦ ـ و) جانب الدكه ، فطرحوا فيها وطمت ، فلما كان بعد ، أمر بهدم الدكة ، وتعفية أثرها ففعل ذلك .

قال ابن أبي الأزهر في التاريخ في حوادث سنة ثلاث وتسعين ومائتين : وفيها ورد الخبر بأن أخا الحسن بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدالية من طريق الفرات ، في نفر ، واجتمع اليه جماعة من الأعراب ، وسار بهم الى نحو دمشق ، فعاث في نواحيها ، فندب للخروج اليه حسين بن حمدان ، فخرج في جماعة ، وورد الخبر برجوعه الى الدالية . فحدث محمد بن دواد بن الجراح أن زكرويه بعد قتل صاحب الشامة ، أنفذ رجلاً كان معلماً للصبيان يقال له عبد الله بن سعيد ، فتسمى نصراً ـ ليخفي أمره ـ فدار في أحياء كلب يدعوهم الى رأيه ، فاستجاب له جماعة من صعاليكهم وسقاطهم العليصيين ، فسار فيهم الى بصرى وأذرعات من كورتي حوران والبثنية ، فقتل وسبى وأخذ الأموال .

وقال : وأنفذ زكرويه رجلاً يقال له القاسم بن أحمد داعية ، فصار إلى نحو رستاق نهر ملخانا [١] . قال : فالتقت به طائفة ، فساروا إلى الكوفة حتى صبحوها غداة يوم النحر وهم غارون ، فوافوا باب الكوفة عند انصراف الناس من المصلى ، فأوقعوا بمن قدروا عليه وسلبوا وقتلوا نحواً من عشرين رجلاً ، وكان رئيسهم هذا قد حملوه في قبة يقولون : هذا ابن رسول الله ، وهو (١٣٦ ـ ظ) القاسم بن أحمد داعية زكرويه ، وينادون ؛ ياثارات الحسين ـ يعنون الحسين صاحب الشامة ـ وشعارهم يامحمد يا أحمد ـ يعنون ابني زكرويه ، ويموهون بهذا القول على أهل الكوفة ـ ونذر بهم الناس ، فرموهم بالحجارة من المنازل .

---

(١) في الطبري : ٢٢٦٠ ، نهر تلحانا .

ss

وإنما ذكرت هذا الفصل من قول ابن أبي الأزهر لأن فيه مايـدل على أن صاحب الخال ، كان يسمى الحسين بن زكرويه ، وأنـه يسمى أيضاً أحمد بن زكرويه . وعاش زكرويه بعد ولديه القرمطين في زعمه .

أنبأنا تاج الأمناء أبو الفضل أحمد بن محمـد بن الحسن بن هبـة الله الدمشقي ، قال : أخـــبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن الحافظ قال : أخـــبرنا أبو غالب بن البناء قال : أخبرنا أبو الحسين بن الأبنوسي قال : أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق قال : أخبرنا أبو محمد اسماعيـل ابن علي بن إسماعيل الحطمي قال : قام مقامه ـ يعني مقام صاحب الجمل ـ أخ له في وجهه خال يعرف به ، يقال له صاحب الخال . فأسرف في سوء الفعل وقبح السيرة ، وكثرة القتل حتى تجاوز مافعله أخوه ، وتضاعف قبيح فعله ، وقتل الأطفال ونابذ الاسلام وأهله ، ولم يتعلق منه بشيء ، فخرج المكتفي إلى الرقة ، وسير إليه الجيوش ، فكانت له وقائع ، وزادت أيامه على أيام أخيه في المدة والبلاء حتى هزم ، وهرب فظفر به في موضع يقال له الدالية (١٣٧ ـ و) بناحية الرحبة ، فأخذ أسيراً ، وأخذ معـه ابن عم يقال له المدثر ، كان قد رشحه للأمر بعده ، وذلك في المحـرم سنة إحدى وتسعين ، وانصرف المكتفي بالله إلى بغداد وهو معه .

فركب المكتفي ركوباً ظاهراً في الجيش والتعبئة وهو بين يديـه على الفيل ، وجماعة من أصحابه على الجمال مشهرين بالبرانس ، وذلـك يوم الاثنين غرة ربيع الأول من سنة إحدى وتسعين ، ثم بنيت له دكة في المصلى وحمل إليها هو وجماعة أصحابه ، فقتلوا عليها جميعـــاً في ربيع الآخر ، بعد أن ضرب بالسياط وكوي جميعه بالنار ، وقطعت منه أربعته ، ثم قتل ، ونودي في الناس فخرجوا مخرجاً عظيماً للنظر إليه ، وصلب بعد ذلك في رحبة الجسر .

وقيل أنه وأخوه من قرية من قرى الكوفة يقال لها الصوان ، وهما فيما ذكر : ابنا زكرويه بن مهرويه القرمطي ، الذي خرج في طريق مكة في آخر سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وتلقى الحاج في المحرم من سنة أربع وتسعين ، فقتلهم قتلاً ذريعاً لم يسمع قط بمثله ، واستباح القوافل وأخذ شمسة البيت الحرام ؛ وقبل ذلك ـ ما ـ دخل الكوفة يوم الأضحى بغتة وأخرج منها ، ثم لقيه جيش السلطان بظاهر الكوفة بعد دخوله اياها وخروجه عنها ، فهزمهم وأخذ ماكان معهم من السلاح والعدة فتقوى بها ، وعظم أمره في النفوس (١٣٧ ـ ظ) وهال السلطان ، وأجلبت معه كلب وأسد ، وكان يدعى السيد .

ثم سير إليه السلطان جيشاً عظيماً ، فلقوه بذي قار ، بين البصرة والكوفة في الفراض [1] فهزم وأسر جريحاً ، ثم مات ، وكان أخذه أسيراً يوم الأحد لثمان بقين من ربيع الأول ، وشهرت الشمسة بين يديه ، ليعلم الناس أنها قد استرجعت ، فطيف به ببغداد . وقيل أنه خرج يطلب ثأر ابنه المقتول على الدكة.

ذكر ابن أبي الأزهر في تاريخه أنه لما خرج على قافلة الحاج أن أصحابه أكبوا على الحاج فقتلوهم كيف شاؤوا واحتووا على جميع ماكان في القافلة وسبوا النساء الحرائر ، وجمع القرمطي لعنه الله أجساد القتلى فعمل منها دكة تشبيهاً بالدكة التي قتل عليها أصحابه .

وسيّر إلى بعض الشراف الهاشميين بحلب تاريخاً جمعه أبو غالب همام بن

---

(١) قال ياقوت : الفراض جمع الفُرضة وهي المشرعة . والأصل في الفرضة الثلمة في النهر . والفراض موضع بين البصرة واليمامة قرب فلبج .

الفضل [1] بن جعفر بن علي بن المهذب ذكر أنه تذكرة كتبها مما وجده في التواريخ المتقدمة ومما وجده بخط جد أبيه الشيخ أبي الحسين علي ابن المهذب بن أبي حامد محمد بن همام بن أبي شهاب وغيره ، قال فيه :

سنة تسعين ومائتين :

فيها : نجم بالشام قرمطي بأرض دمشق انتسب إلى العلوية .

قال : وذكر الشيخ أبو الحسين علي بن المهذب أن أباه المهذب أخبره أن (١٣٨ ـ و) هذا القرمطي أول من وقع عليه هذا اللقب ، وكان خرج في بطن من بني عدي من كلب ، يقال لهم بنو العليص ،فخرج إليه طغج بن جف ، والي دمشق من قبل الطولونية ، محتقراً له في غير عدة ولا عدة . وكان هذا القرمطي في بادية كلب ، فأوقع بطغج ، ودخل إلى دمشق مهزوماً ، ثم رجع فجمع عسكره ، وحشد وخرج إليه فكان الظفر للقرمطي أيضاً ، وقتل خلقاً كثيراً من أصحاب طغج ، ونهبوا عسكره . وعاد طغج إلى دمشق فقوي القرمطي . وكتب طغج إلى مصر فوجه إليه جماعة من الفرسان والرجالة ، وأمدهم من في الشام . فصار جيشاً عظيماً فخرج ، وهو غير شاك في الظفر به ، فأوقع القرمطي به وكانت الوقعة في موضع يعرف بالكسوة ، وسار القرمطي إلى بعلبك

(١) من مؤرخي المعرة في القرن الخامس للهجرة ، وقد ورد ذكره بين تلامذة أبي العلاء المعري ، ولم يصلنا تاريخه بل وصلنا نقول كثيرة منه بثها ابن العديم في ثنايا كتابه بغية الطلب . هذا وقد أشار حاجي خليفة لهذا الكتاب ، ولا ندري أرآه أو قرأ عنه فتحدث عنه في كشفه، ويتبين من بغية الطلب أن ابن المهذب قد أكمل أو ذيل على كتاب في التاريخ كتبه جده ثم إن أسامة بن منقذ مع واحد من أخوانه قاما فيما بعد أيضاً بالتذييل على كتاب ابن المهذب ، وأن الكتاب في هذه المرحلة بات يعرف باسم « البداية والنهاية » .

ففتحها وقتل أهلها ونهب وأحرق ، وسار منها إلى حمص فدعا لنفسه بها وبث ولاته في أعمالها ، وضرب الدنانير والدراهم وكتب عليها : « المهدي المنصور ـ أمير المؤمنين » . وكذلك كان يدعى له على المنابر ، وأنفذ سرية إلى حلب فأوقع بأبي الأغر خليفة بن المبارك السلمي ، وعادت السرية وجبى الخراج ، وحمل اليه مال جند حمص . فأنفذ الأمير أبو الحجر المؤمل بن مصبح ـ أمير برزويه والبارة والروق [1] وأفامية وأعمال ذلك ، وبقي والي هذه المواضع من قبل الخلفاء ببغداد أربعين سنة ، فيها ـ رجلين من أهل معرة النعمان اسم أحدهما (١٣٨ ـ ظ) أحمد بن محمد بن تمام ، والآخر ابن عاص القسري ، وجاءا الى القرمطي يرفعان على أهل معرة فمضيا اليه وقالا له : ان أهل معرة النعمان ، قد شقوا العصا ، وبطلوا الدعوة ، وغيروا الأذان ، ومنعوا الخراج . وكان أهل معرة النعمان قد أرسلوا معهما الخراج « فأخذ منهما في الطريق » فلما قالا له ذلك ، التفت الى كاتبه ، وقال له : اكتب « وشهد شاهدان من أهلها » فسار اليها ، وقال لأصحابه : ان أغلقوا الباب فاجعلوا غارة على الدارس [2] فخرج أهل معرة النعمان ولا علم لهم بما قد جرى ، وأصحاب القرمطي يقولون لهم القوا مولانا السيد ، فبلغ كثير من الناس الى قرب حناك [3] ، وأخذ الأبواب أصحاب القرمطي على الناس ، وقتل خلق كثير ، ودخلها يوم الأربعاء النصف من ذي الحجة ، فأقام يقتل المشايخ والنساء والرجال

---

(١) كتب ابن العديم في حاشية الأصل : الروق هو الذي يقال له الروج كورة معروفة . وهذه المناطق واقعة في منطقة حلب معروفة .

(٢) كذا في متن الأصل وكتب ابن العديم الحاشية : لعله الذراري .

(٣) حصناً كان في مشارف المعرة ـ معجم البلدان .

والأطفال ، ويحرق وينهب خمسة عشر يوماً ، فذكر أن القتلى كانوا بضعة عشر ألفاً .

وخرج المكتفي الى الرقة ، وأنفذ عساكره مع محمد بن سليمان الكاتب الأنباري وكان شهماً شجاعاً مدبراً ، فحصل في حلب في جيش فيه ثلاثون ألفاً مرتزقة ، فيما ذكر غير واحد ، وكان جهير بن محمد ، يقول له : تخرج اليه فقد أهلكوا عشيرتي . فيقول له ابن الأنباري الكاتب : لو أخذوا بلحيتي ماخرجت اليهم حتى يهل هلال المحرم — يريد سنة احدى وتسعين .

قال أبو غالب (١٣٩ - و) بن المهذب :

سنة إحدى وتسعين :

فيها : سار محمد بن سليمان الكاتب الأنباري الى القرامطة ، فأوقع بهم في قرية تعرف بالحسنية فقتلهم وبدد شملهم .

ولما تصور القرمطي ، ورأى أنه لاطاقة له بعساكر الخلافة ، هرب قبل الوقعة بأصحابه فحصل في قرية شرقي الرحبة ، تعرف بالدالية في نفر يسير من خواص أصحابه ، فتستروا وبعث بعض أصحابه متنكرا ، ليمتار لهم مايحتاجون اليه ، فأخذ وأنكر وأتي به الى رجل كان يتولى معونة الدالية ، يعرف بأبي خبزة ، لأحمد بن محمد بن كشمرد ، وكان ابن كشمرد والي الرقة ، وكان صغير الشأن حقيراً في الجند ، فسأله أبو خبزة عن خبره وقصته ، فتبين منه قولاً مختلفاً فألح عليه أبو خبزة ، فأقر ذلك الرجل بأنه من رجال القرمطي ، ودل عليهم في أي موضع هم ، فخرج أبو خبزة فيمن جمعه من الاجناد والرجال الى الموضع الذي فيه القرمطي

وأصحابه ، فظفر بهم وبالقرمطي ، وكان معهم حملان من المال ، فأخذهم والمال معهم وحملهم الى ابن كشمرد والي الرقة ، فأخذهم وكتب بخبرهم الى المكتفي ، فبعث إليه من تسلمه منه ، وأوردهم الرقة ، وانحدر المكتفي إلى مدينة السلام بغداد ، وهم معه ، فبنى له دكة عظيمة بظاهر القصر المتضدي وعذبوا عليها بأنواع العذاب .

أخبرنا أبو البركات بن محمد بن الحسن ـ كتابة (٣٩ ـ ظ) قال : أخبرنا أبو علي بن أبي محمد الدمشقي ، قال : قرأت على منصور بن خيرون عن أبي محمد الجوهري ، وأبي جعفر بن المسلمة ، عن أبي عبد الله محمد ابن عمران بن موسى المرزباني قال : أحمد بن عبد الله الخارج بالشام في أيام المكتفي بالله ، وكان ينتمي إلى الطالبيين ، وهو المعروف بصاحب الخال ، وقتل بالدكة في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، يروى له ولأخيه علي بن عبد الله شعر يشك في صحته ، فما يروى لأحمد :

متى أرى الدنيا بلا كاذب   ولا حروري ولا ناصبي
متى أرى السيف على كل من   عادى علي بن أبي طالب
متى يقول الحق أهل النهى   وينصف المغلوب من غالب
هل لبغاة الخير من ناصر   هل لكؤوس العدل من شارب

قال : ويروى له :

نفيت من الحسين ومن علي   وجعفر النطارف من جدودي
وخيب سائلي وجفوت ضيفي   وبت فقيد مكرمة وجود
وأعطيت القياد الدهر مني   يمين فتى وفي بالعهود
لئن لم أعط ماملكت يميني   لحرب من طريف أو تليد

SS

وافتتحنهـا حرباً عوانـاً تقحم بالبنود على البنـود

فإما أن أروح بروح عـز وجد آخـذ ثأر الجدود

وإما أن يقال فـتى أبي تخرم في ذرى مجـد مشيد

تهددنا زعمت شبوب حرب تقحم بالبنـود على البنـود

وهي أكثر من هذا . فيقال أن عبد الله بن المعتز أجابه عنها بقصيدة منها :

فكان السيف أدنى عند ورد إلى ودجيك من حبل الوريد

قرأت بخط أبي بكر محمد بن يحيى الصولي . وأخبرنا به أبو القاسم عبد الصمد بن (١٤٠ ـ و) محمد بن أبي الفضل ، فيما أذن لنا بروايه عنه ، قال : كتب إلينا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي ، أن أبا القاسم البذار أنبأهم ، عن أبي أحمد بن أبي مسلم ، عن أبي بكر الصولي قال : وأجلس القرامطة مكان علي بن عبد الله أخاً له يقال له أحمد بن عبد الله وزعموا أنه عهد إليه ، وصار أحمد بن عبد الله إلى حمص ، ودعي له بها وبكورها ، وأمرهم أن يصلوا الجمعة أربع ركعات ، وأن يخطبوا بعد الظهر ، ويكون أذانهم : أشهد أن محمداً رسول الله . أشهد أن علياً ولي المؤمنين . حي على خير العمل . وضرب الدراهم والدنانير وكتب عليها « الهادي المهدي » لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ [١] وعلى الجانب الآخر ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ [٢] .

ووجه أحمد بن عبد الله هذا برجل يعرف بالمطوق أمرد ـ فرأيته بعد

---

(١) سورة الاسراء : ٨١ .

(٢) سورة الشورى : ٢٣ .

ذلك ـ فكبس أبا الأغر ، ثم خرج المكتفي بالله إليه ، وأقام بالرقة وأنفذ الجيوش إليه مع محمد بن سليمان ، وأنفذ غلامه سوسناً معه في جيش عظيم ، فورد الخبر بأنه قتل ، ذكر ذلك الصولي في سنة إحدى وتسعين ومائتين .

قال : ثم أتي الخبر للنصف من المحرم من الدالية بأن فارسين من الكلبيين أحدهما من بني الأصبغ والآخر من بني ليلى نزلا بالسقافية (١٤٠ ـ ظ) فأخذا ، فأقرا أنهما من القرامطة ، وأن القرمطي بالقرب ، فركب محمد بن علي أبو خبزة وأحمد بن محمد بن كشمرد من الرحبة فظفرا بالقرمطي ، وأخذ معه رجل يقال له المدثر ، وكاتبه ، وغلام أمرد حدث يقال له المطوق ، وحمل إلى الرقة ، وقد ذكرنا خبره .

قال الصولي ومما يروى من شعر أحمد بن عبد الله :

متى أرى الدنيا بلا كاذب ... ...

وذكر الأبيات الأربعة وقال : ومنه :

ثأرت بجدي خير من وطيء الحصا وأنصاره بالطف قتلى بني هند

فأفنيت من بالشام منهم لأنهم بقصدهم جاروا عن المنهج القصد

على أنهم جاشوا لنا وتجمعوا وكادوا وكان الله أعلم بالقصد

فجاهدتهم بالله منتصراً به فأفنيتهم بالبيض والسمر والجرد

قال الصولي : ولعلي بن عبد الله وأخيه أحمد بن عبد الله شعر ، أظن بعض من يميل إليهم ، ويكره السلطان ، عمله ، أو أكثره ، وحمله عليهما .

أنبأنا أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسين الدمشقي ، قال : أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله قال : أحمد بن عبد

الله ، ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما زعم . وهو صاحب الخال أخو علي بن عبد الله القرمطي . بايعته القرامطة بعد قتل أخيه بنواحي دمشق وتسمى (١٤١ ـ و) بالمهدي ، وأفسد بالشام ، فبعث إليه المكتفي عسكراً في المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين ، فقتل من أصحابه خلق كثير ، ومضى هو في نفر من أصحابه يريد الكوفة ، فأخذ بقرية تعرف بالدالية من سقي الفرات ، وحمل إلى بغداد وأشهر وطيف به على بعير ، ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو وأصحابه الذين أخذوا معه يوم الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكان شاعراً وله في الفخار أشعار من جملتها :

سبقت يدي يده لضربة هاشمي المحتد

وأنا ابن أحمد لم أقل كذباً ولم أتزيد

من خوف بأسي قال بدر : ليتني لم أولد

يعني بدر الحمامي الطولوني ، أمير دمشق . هكذا قال الحافظ أبو أبو القاسم . ولا أعلم أحداً قال في صاحب الخال عبد الله بن أحمد غيره . والمعروف بهذا الاسم ابن عمه المعروف بالمدثر ، وكان سار إلى الشام فلقيه شبل الديلمي ، مولى المعتضد بالرصافة في سنة أربع وثمانين ومائتين فقتله القرامطة ، وقتلوا أصحابه . ودخلوا الرصافة فأحرقوها وجاؤوا مسجدها ونهبوها ، وساروا نحو الشام . فالظاهر أنه اشتبه عليه بصاحب الخال وأكد عنده ذلك هذه الأبيات الثلاثة التي عزاها (١٤١ ـ ظ) إليه ، وقوله فيها :

وأنا ابن أحمد لم أقل كذباً ولم أتزيّد

على أن هذه الأبيات ليس مراد صاحب الخال منها أن أحمد أبوه ، بل أراد بقوله: «وأنا ابن أحمد»، أنه من نسل أحمد النبي ﷺ.......... (١٤٢ - و)

خليفة بن المبارك :

أبو الأغر السلمي قائد مذكور مشهور ، ولي حلب في سنة تسع وثمانين ومائتين ، ولاه إياها المكتفي حين تولى الخلافة ، وتوجه اليها لمحاربة القرمطي صاحب الخال ، وقدمها في عشرة آلاف فارس ، فأنفذ القرمطي سرية اليه الى حلب في سنة تسعين ومائتين ، فخرج أبو الأغر فنزل وادي بطنان فلما استقر وافاهم جيش القرمطي يقدمه المطوق غلامه فكبسهم ، وقتل منهم خلقاً عظيماً ، فانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغر ، فدخل حلب ومعه ألف رجل لاغير ، وصار القرمطي الى باب حلب فحاربهم أبو الأغر فيمن بقي معه من أصحابه ، وأهل البلد ، فذهبوا وانصرفوا عنه ، ثم عزل عن ولاية حلب بعد ذلك .

ذكر أبو عبد الله محمد بن يوسف في رسالته الى أخيه بخبر القرمطي أن القرمطي وجه بخيل كثيرة ورجالة كثيفة مع المعروف بمبطر ، وهو أحد دعاته وثقاته الى ناحية حلب ، فلما كان يوم الأربعاء لعشر ليال بقين من رمضان - يعني سنة تسعين - وقعوا بخليفة بن المبارك المعروف بأبي الأغر وهو على غاية الطمأنينة ، ومايقدر أن خيل المارقة تبلغ اليه لأنه لم يكن وصل الى حلب ، وكان ابنه بها فقتل القرامطة عامة من كان في عسكره من الأولياء والبياع والتجار ، فأبيد خلق من الناس ، وسلم أبو الأغر ، فصار الى قرية من قرى حلب ، وخرج اليه ابنه من المدينة في جماعة من الأولياء والرجالة ، فأقاموا على مدينة حلب على سبيل المحاصرة لأهلها ، فلما كان يوم الجمعة سلخ شهر رمضان ، تسرع أهل

مدينة حلب إلى الخروج للقاء عدوهم ، فمنعوا من ذلك فكسروا قفل الباب وخرجوا الى الفسقة ، فدامت الحرب بين الفريقين ، ورزق الله الرعية النصر عليهم ، وخرج السلطان فأعانهم ، فقتل من القرامطة جماعة كثيرة ، ولما كان يوم السبت يوم العيد خرج أبو الأغر خليفة بن المبارك إلى المصلى ، وعيد المسلمون ، وخطب الخاطب ، ثم عادت الرعية على حال سلامة . وأشرف خليفة بن المبارك على عسكر الفسقة ، فما خرج إليه منهم أحد ، وانصرف عنهم ، فلما أيسوا رحلوا في النصف من ليلة الأحد عن معسكرهم ، وصاروا إلى صاحبهم الخائن .

أنبأنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي . قال : كتب إلينا أبو عبد الله بن علي العظيمي ، قال : سنة تسعين ومائتين خلع على أبي الأغر ، ووجه لحرب القرمطي بناحية الشام ، فمضى إلى حلب في عشرة آلاف .

قال : وللنصف من شهر (٢٣٢ ـ و) رمضان مضى أبو الأغر إلى حلب ، ونزل وادي بطنان ، قريباً من حلب ، ونزل معه جميع أصحابه فنزع ـ فيما ذكر ـ جماعة من أصحابه ثيابهم ودخلوا يتبردون بمائه ، وكان يوماً شديد الحر ، فبينا هم كذلك ، إذ وافاهم جيش القرمطي المعروف بصاحب الشامة ، مقدمهم المعروف بالمطوق . فكبسهم على تلك الحال ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغر وجماعة من أصحابه ، فدخل حلب وأفلت معه مقدار ألف رجل ، وكان في عشرة آلاف رجل مابين فارس وراجل ، وقد كان ضم إليه جماعة ممن كان على باب السلطان ، من قواد الفراغنة ورجالهم ، فلم يفلت منهم إلا اليسير ، ثم صار أصحاب القرمطي إلى باب حلب فحاربهم أبو الأغر ،

ومن بقي معه من أصحابه ، وأهل البلاد فانصرفوا عنه .

قرأت في حوادث سنة سبع وتسعين ومائتين من تاريخ ثابت بن سنان ابن قرة ، قال : في أيام المقتدر ، وفيها قدم أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي من الرقة بغير إذن ، فقبض عليه ، وعلى جماعة من أهله ، وكسر سيفه وخرق سواده ، وحبس .

وقال في حوادث سنة اثنتين وثلاثمائة : وفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من رجب ، أطلق أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي من الاعتقال في دار السلطان ، وخلع عليه خلع الرضا في يوم الخميس مستهل شعبان .

أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي ، أذنا ، قال : أخبرنا (٢٣٢ ـ ظ) الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي قال : خليفه ابن المبارك ، أبو الأغر ، ولاه المعتضد قتال الأعراب بطريق مكة ، فقتل منهم جماعة وأسر رأسهم صالح بن مدرك بالحيلة ، وقدم بغداد في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين ، فخلع عليه وطوق بطوق ذهب ، ثم ولي حلب ، وقدم دمشق مع محمد بن سليمان ، وغيره من الأمراء الذين وجههم المكتفي لحرب الطولونية بمصر ، وغزا بلاد الروم مع مؤنس الخادم في ذي القعدة سنة ست وتسعين ومائتين ، ثم خالف على السلطان ، فأخذ وأدخل بغداد هو وأولاده ، فقيدوا يوم الاثنين لأربع بقين من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، ثم أطلق في يوم الخميس ، وخلع عليه يوم الخميس مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة . فمات فجأة يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي الحجة من سنة ثلاث وثلاثمائة .

ss

٣٠٠

قرأت بخط ثابت بن سنان الصابي في كتاب وقع إلي يتضمن وفاآت من توفي في كل سنة من سنة ثلاثمائة إلى السنة التي مات فيها قال : سنة اثنتين وثلاثمائة ، أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي مات لسبع خلون من ذي الحجة فجأة .... (٢٣٣ – و) .



كتاب
نهاية الأرب في فنون الأدب

ذكر أخبار الدولة العُبيدية

التي انتسب ملوكها إلى الشرف ، وألحقوا نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها .

هذه الدولة من الدول التي امتدت أيامها ، واتسعت ممالكها ، واستولت ملوكها على كثير من الممالك المشهورة شرقاً وغرباً ، ببلاد المغرب والديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والثغور والعواصم وغير ذلك ، وكان ابتداء ظهور هذه الدولة ببلاد المغرب ، وإنما أوردناها في أخبار ملوك الديار المصرية ، وألحقنا ملوكها بملوك هذا الوادي ، لأن الديار المصرية قاعدة ملكهم ، وبها قام أكثر ملوكهم .

ولنبدأ بذكر أخبار ملوك هذه الدولة ، وابتداء أمرهم ، وماقيل في نسبهم وإلى من ينسبون ، وكيف تنقلت بهم الحال الى أن ملكوا البلاد واستولوا على الأقاليم . ولهذه الدولة أسباب ولوازم وشيعة هم الذين مهدوا لهم البلاد ، ووطئوا الممالك ، وهزموا الجيوش وفتحوا الأقاليم ، وأبادوا الأبطال حتى استقر الملك لملوك هذه الدولة وتسلموه عفواً صفواً .

لابد لنا أن نبتدىء بذكر أخبارهم ، ومافتحوه واستولوا عليه قبل ظهور المهدي الذي هو أول ملوك هذه الدولة ، ثم نذكر عاقبة أمر من قرر لهم الملك معهم ، ونذكر من ملك من ملوك هذه الدولة ، واحداً بعد واحد الى أن انقرضت دولتهم ، وبادت أيامهم . فنقول وبالله

التوفيق: أول من ملك منهم عبيد الله المنعوت بالمهدي ، ونسب نفسه أنه عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1] ، وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون ذلك ، وينفوه عن الشرف ، ويقولون اسم عبيد الله سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح بن أبي شاكر ميمون ابن ديصان بن سعيد الغضبان ، صاحب كتاب الميدان في نصر الزندقه ، وهو من أهل رامهرمز ، كورة من كور الأهواز ، وكان من خرمية المجوس .

ومن المؤرخين من زعم أن الحسين بن أحمد زوج أم سعيد ، وأن أبا سعيد يهودي .

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب[2] في كتابه المسمي بكشف الأسرار وهتك الأستار : ان سعيد هذا كان قد رباه عمه محمد بن أحمد ، المكنى بأبي الشلملع[3] [٢١] وكانوا دعاة لمحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، يأكلون البلاد باسمه ، ويدعون أنه حي يرزق الى زمانهم وفيه عمل ابن المنجم[4]

---

(١) كذا ، وهو غير مسلم به ، وهناك خلاف كبير حول شجرة النسب ، خاصة في فترة الستر ، وقد سبق لنا أن نبهنا على ذلك .

(٢) أبو بكر الباقلاني - ٣٣٨ هـ / ٩٥٠ - ٤٠٣ / ١٠١٣ ، أعظم رجال علم الكلام في عصره ، انتهت اليه رئاسة مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد حيث طارت شهرته ، له عدة كتب بعضها في حكم المفقود ، منها كشف أسرار الباطنية المشار اليه في المتن .

(٣) انظر عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب . ط. بيروت : ١٩١ .

(٤) لعله علي بن هارون « ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ - ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م » كان راوية الشعر من ندماء الخلفاء ، ولد ومات في بغداد .

قصيدته التي يقول فيها :

فإنك في دعواك أنك منهم   كمن يدعي أن النحاس من الذهب
متى كان مولى الباهليين ملحقاً   بآل رسول الله يوماً اذا انتسب

ولما ملك بهاء الدولة [١] ، أبو نصر بن عضد الدولة فناخسرو بن بويه ، بعد أن جمع الطالبيين من آفاق العراق ، وسألهم عنهم فكلهم أنكرهم ، وتبرأ منهم ، فأخذ خطوطهم بذلك ، وكان ممن شهد الشريفان الرضي والمرتضي ، وأبو حامد الاسفرائيني ، وأبو الحسين القدروي وغيرهم ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة [٢] بأمر القادر بالله العباسي .

هذا مع ماينسب الى بني بويه من التشيع [٣] . فلنذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم .

ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم

قال أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن الأمير تميم بن المعز بن باديس في كتابه المترجم بالجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان [٤] : أول من قام منهم أبو شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، وكان ممن صحب أبا الخطاب محمد بن أبي زينب [٥] مولى بني أسد ، فألقوا الى كل

---

(١) هو بهاء الدولة فيروز « ٣٧٩ ﻫ / ٩٨٩ م – ٤٠٣ ﻫ / ١٠١٢ م » .

(٢) كذا في الأصل، والمشهور أن ذلك كان سنة ٤٠٢ ﻫ . انظر المنتظم : ٧/٢٥٥ ـ ٢٥٦ . أصول الاسماعيلية : ١٤٣ .

(٣) كانوا شيعة لكن حسب المذهب الزيدي .

(٤) عثر على قطعة منه وقد طبعت ، لكن لم أستطع الوقوف على نسخة منها .

(٥) يقال في اسمه غير هذا ، وربما قتل سنة ١٣٨ ﻫ / ٧٥٥ م ، خير ماكتب عنه ما أورده برنارد لويس في اطروحته أصول الاسماعيلية : ٩٨ – ١٠٦ .

من اختصوا بـــه أن لكل شيء من العبادات باطناً ، وان الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاة ولازكاة ، ولاصوماً ولاحجاً ، ولاحرم عليهم شيئاً من المحرمات ، وأباح لهم نكاح البنات والأخوات ، وانما هـــذه العبادات عذاب على الأمة ، وأهل الظاهر ، وهي ساقطه عن الخاصة ؛ يقولون ذلك لن يتقون به ويسكنون اليه ، ويقولون في آدم وجميع الأنبياء كذابون محتالون طلاب للرئاسة .

فاشتدت شوكة هؤلاء في الدولة العباسية ، وتفرقوا في البلاد شرقاً وغرباً ، يظهرون التقشف والزهد والتصوف وكثرة الصلاة والصيام ، يعرفون الناس بذلك ، وهم على خلافه ، ويذكرون أبا الخطاب الى أن قامت البينة بالكوفة أن أبا الخطاب ، أسقط العبادات وأحل المحارم ، فأخذه عيسى بن موسى الهاشمي مع سبعين من أصحابه ، فضرب أعناقهم فتفرق بقية أصحابه في البلاد ، فصار قوم مما كان على مذهبه الى نواحي خراسان ، وقوم الى الهند .

وصار أبو شاكر ميمون بن سعيد إلى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه وأخذوا في تعلم الشعبذة والنارنجيات والحيل ، ومعرفة الرزق من صنعة النجوم والكيمياء ، ويحتالون على كل قوم بما يتفق عندهم ، وعلى العامة بإظهار الزهد والورع ، ونشأ لابن شاكر ابن يقال له عبد الله القداح ، علمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحله ، فتحذق وتقـــدم ، وكانوا يظهرون التشيع ، والبكاء على أهل البيت ، ويزيدون أكاذيباً اخترعوها ، يخدعون بها ضعفاء العقول ، وكان من كبار الشيعة رجل يسمى محمد بن الحسين بن جهار بختار ، الملقب دندان [1] ، وهو بنواحي الكرخ والأصفهان

---

(١) الخلاف بين الروايات حوله شديد ، انظر ماكتبه لويس في أصول الاسماعيلية : ١٣٣ - ١٤١ .

له حال واسعة ، وضياع عظيمة ، وهو المتولي على تلك المواضع ، وكان يبغض العرب ويذمهم ، ويجمع معايبهم ، وكان كل من طمع في نواله تقرب إليه بذم العرب ، فسمع به عبد الله بن ميمون القداح ، ومايتنحله من بغض العرب ، وصنعة النجوم ، فسار إليه وكان عبد الله يتعاطى الطب وعلاج العين ، ويقدح الماء النازل فيها ، ويظهر أنه إنما يفعل ذلك حسبة وتقرباً إلى الله عز وجل ، فطار له بهذا الاسم بنواحي أصفهان والجبل ، فأحضره دندان ، وفاتحه الحديث ، فوجده كما يحب ويهوى ، وأظهر له عبد الله من مساوىء العرب والطعن عليهم أكثر مما عنده ، فاشتد إعجابه به ، وقال له : مثلك لاينبغي أن يطب ، وإن قدرك يرتفع ويجل عن ذلك ، فقال : إنما جعلت هذا ذريعه لما وراءه مما ألقيه الى الناس ، وإلى من أسكن اليه على رفق ومهل من الطعن على الاسلام ، وأنا أشير عليك أن لاتظهر مافي نفسك إلى العرب ، ومن يتعصب لهذا الدين ، فإن هذا الدين قد غلب على الأديان كلها فما يطيقه ملوك الروم ولا الترك والفرس ، والهند مع بأسهم ونجدتهم ، وقد علمت شدة بابك صاحب الخرمية وكثرة عساكره ، وأنه لما أظهر مافي نفسه من بغض الإسلام ، وترك السير بالتشيع والبكاء [٢٢] كما تقول أولاً ، قلع أصله ، فالله الله أن تظهر مافي نفسك ، والزم التشيع والبكاء على أهل البيت ، فإنك تجد من يساعدك على ذلك من المسلمين ، ويقول : هذا هو الاسلام ، وادع عليها عداوة الرسول ، وتغيير القرآن وتبديل الأحكام فإنك إذا سببتها سببت صاحبها ، فإذا استوى لك الطعن عليها ، فقد اشتفيت من محمد ، ثم تعمل الحيلة بعد ذلك في استئصال دينه ومن ساعدك على هذا فقد خرج من الاسلام من حيث لايشعر ، ويتم لك كما تريد .

فقال دندان : هذا هو الرأي ، ثم قال له عبد الله القداح : إن لي

أصحاب وأتباع أبثهم في البلاد ، فيظهرون التقشف والتصوف ، والتشيع ويدعون إلى مازيده بعد إحكام الأمر ، فاستصوب دندان ذلك وسرّ به وبذل لعبد الله القداح ألفي ألف دينار ، فقبل المال وفرقه في كور الأهواز والبصرة وسواد الكوفه ، وبطالقان خراسان ، وسلميه من أرض حمص ، ثم مات دندان فخرج عبد الله القداح إلىالبصرة ، وسواد الكوفة وبث الدعاة وتقوى بالمال ودبر الأمر .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسين المعروف بأخي محسن [١] في كتابه : أن عبد الله بن ميمون هذا كان قد نزل عسكر مكرم [٢] ، فسكن بساباط [٣] أبي نوح وكان يتستر بالتشيع والعلم ، فلما ظهر عنه ماكان يضمره ويسره من التعطيل والإباحة ، والمكر والخديعة ، ثار الناس عليه ، فأول من جاءه الشيعة ، ثم المعتزلة ، وسائر الناس ، وكبسوا داره فهرب إلى البصرة ، ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازي ، فنزل بياهله على موال لآل عقيل بن أبي طالب ، وقال لهم أنا من ولد عقيل داع إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر فلما انتشر خبره ، طلبه العسكريون ، فهرب وأخذ طريق الشام ومعه الحسين الأهوازي . فلما توسطا الشام عدلا إلى سلمية ليخفى أمرهما ، فأقام بها عبد الله وخفي أمره .

نرجع إلى قول ابن شداد ، قال : ثم مات عبد الله ، وكان له جماعة

---

(١) ربما كان من معاصري المعز لدين الله الفاطمي . انظر اصول الاسماعيلية : ٥٧ .

(٢) بلد مشهور في نواحي خوزستان ـ معجم البلدان ـ

(٣) الساباط عند العرب سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ ، ولم يذكر ياقوت وغيره من الجغرافيين ساباط أبي نوح هذا ، ويبدو أنه كان قرية من قرى خوزستان .

من الولد ، فخلفه منهم ابنه أحمد ، فقام مقام أبيه ، وجرى على قاعدته ، وبث الدعاة واستدعى رجلاً من أهل الكوفة يقال له أبو القاسم الحسن ابن فرح [١] بن حوشب بن زاذان النجار ، وكان هذا الرجل من الامامية الذين يقولون بإمامه موسى [٢] بن جعفر ، فنقله إلى القول بإمامه اسماعيل ابن جعفر ، وكانوا يرصدون من يرد من المشاهد ، وينظرون إليهم ، فمن كان فيه مطمع وجهاله استدعوه ، ولا يستدعون الا الجهال ومن له بأس وجلد وعشيرة ومال وعز ، ويتجنبون الفقهاء والعلماء والأدباء والعقلاء . وكانوا يطلبون أطراف البلاد .

فقال لهم بعض من ورد عليهم : إن بجيشان والمذيخرة والجند من أرض اليمن رجلاً جلد كثير المال والعشيرة يتشيع ، وبهذه الناحيه شاعر يقال له ابن خيران يسب في شعره أبا بكر وعمر ، والمهاجرين ، والأنصار على مثل سبيل الحميري الشاعر [٣] ، فورد ذلك الرجل المذكور وهو أبو الخير علي بن الفضل [٤] من أهل جيشان من اليمن ، ودخل الى الحيرة

---

(١) في الأصل أبو الحسن رستم بن الكرخيين بن حوشب ، وهو خطأ صوابه ماأثبتناه وقد مر ذكره فيما سلف من نصوص كما سيرد مجدداً خاصة عند الخزرجي ، وهو الذي سيعرف باسم « منصور اليمن » انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٣٢ .

(٢) أي الكاظم الإمام السابع عند الامامية الاثناعشرية ، انظر الأئمة الإثنا عشر لابن طولون . ط. بيروت ٨٩ - ٩٣ .

(٣) ابن خيران لم أجده في المتوفر لدي من المصادر ، والحميري هو السيد الحميري « ١٠٥-١٧٣ هـ / ٧٢٣ - ٧٨٩ م » اسمه اسماعيل بن محمد ، شاعر شيعي له شهرة كبيرة. الأعلام للزركلي .

(٤) في الأصل « محمد بن الفضل » وهو خطأ صوابه ما أثبتنا ، وقد سلف ذكره كما سيأتي خاصة عند الخزرجي .

فرأوه يبكي على الحسين بن علي . فلما فرغ من زيارته أخذ الداعي يـده وقال له : اني رأيت ماكان منك من البكاء والقلق على صاحب هذا القبر فلو أدركته ماكنت تصنع ؟ قال : كنت أجاهد بين يديه ، وأجعل خدي أرضاً يطأ عليها ، وأبذل مالي ودمي دونه ، فقال له : أتظن أنه مابقي لله حجة بعد صاحب هذا القبر ؟ قال : بلى ولكن لا أعرفه بعينه ، قال : فتريده ؟ قال : أي والله . فسكت عنه الداعي ، فقال له علي بن الفضل ماقلت لي هذا القول الا وأنت عارف به ، فسكت الداعي فقوي ظن ابن الفضل ان هذا الرجل يعرف الإمام والحجه ، فألح عليه ، وقال : الله الله في أمري اجمع بيني وبينه ، فإني خرجت الى الحج ، وجئت الى هـذه الزيارة أريد الله تعالى ، فسكت الداعي وازدادت رغبـة ابن الفضـل ، فصار يتضرع اليه ويسأله ويقبل يده ، فقال له الداعي : اصبر ولاتعجل وأقم فهذا الأمر لايتم بسرعه ولابد له من صبر ومهلة ، فقال ابن الفضل لأصحابه ، ومن كان معه من جيشان : انصرفوا فلي بالكوفة شغل ، فانصرفوا وأقام هو واجتمع بالداعي ، فقال له : ماعملت في حاجتي ؟ فقال انتظرني حتى أعود اليك ، فانصرف عنه ومضى الى أحمد بن القداح وعرفه حال ابن الفضل وحرصه على لقاء الحجة ، وامام الزمان ، وبقي الداعي يرمقـه ويراه لايكاد يبرح من المسجد ، من غير أن يعلم ابن الفضل به . فلـما كان بعد أربعين يوماً أتاه الى المسجد ، وهو جالس ، فقـال له : أنت بعد ههنا ؟ فقال : نعم ولولا تجيء لأقمت في هذا المسجد الى أن أموت فعلم الداعي أنه قد قصده ، فأخذه وجمع بينه وبين أحمد بن عبد الله ابن ميمون [٢٣] .

وحكي الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسيني في كتابه الذي

صرح فيه نفي هؤلاء[١] عن النسب الى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، واستدل على ذلك بأدلة يطول شرحها . أن أحمد بن عبد الله بن ميمون لما قام الأمر بعد أبيه عبد الله بعث الحسين الأهوازي من سلمية داعية الى العراق ، فلما انتهى الى سواد الكوفه لقي حمدان بن الأشعث ، وهو قرمط الذي اليه ينسب القرامطة فصحبه ، واتبعه قرمط ، وتابعه كثير من الناس ، فلما مات الأهوازي أسند الأمر من بعده الى حمدان بن الأشعث قرمط . وقد ذكرنا هذه القصة في أخبار[٢] القرامطة .

نرجع الى قول ابن شداد ، قال : وكان أحمد يقول للحسن بن حوشب الكوفي النجار : يا أبا القاسم هل لك في غربه في الله ؟ فيقول : الأمر اليك يامولاي ، فلما اجتمع بابن الفضل ، قال له : قد جاء ماكنت تريد أبا القاسم ، هذا رجل من أهل اليمن ، وهو عظيم الشأن ، كثير المال ، ومن الشيعه قد أمكنك ماتريد . وثم خلق من الشيعة ، فأخرج

---

(١) ينقل صاحب عمدة الطالب : ١٩٠ - ١٩٣ نصوصاً اعتبرها قاطعة في تصحيح نسب الفاطميين إلى اسماعيل بن جعفر الصادق، ومما قاله في ذلك « قلت : وقد كثر الحديث في نسب الخلفاء الذين استولوا على المغرب ومصر ، ونفاهم العباسيون ، وكتبوا بذلك محضراً شهد فيه جل الاشراف ببغداد ، فانضم الى ذلك ماينسب اليهم من الأحاديث ، وسوء الاعتقاد ، وقد تأملت بعض ماحكي من الطعن فيهم فوجدته لايتمشى لكونه بناء على أن المهدي أولهم منسوب إلى أبيه محمد بن اسماعيل بن الصادق لصلبه ، وزمانه لايحتمل ذلك ، والشريف الرضي الموسوي مع جلالة قدره صحح في شعره نسبهم حيث يقول :

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صارم وأنف حمي
أحمل الضيم في بلاد الاعادي ... وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومن جده جدي ... إذا ضامني البعيد القصي

(٢) في جزء آخر من الكتاب ، اعتمد عليه أكثر من باحث ، وقد نشر بعضه اعتماداً على مخطوطة باريس رقم « ١٥٧٦ »

وعرفهم أنك رسول المهدي ، وأنه في هذا الزمان يظهر في اليمن ، واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ولاتظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وإن ورد عليك شيء لاتعلمه فقل لهذا من يعلمه ، وليس هذا وقت ذكره .

وجمع بينه وبين ابن الفضل ، وخرجا جميعاً الي أرض اليمن ، ونزل ابن حوشب بعدن ، وكان فيها قوم من الشيعة يعرفون بني موسى ، وخبرهم عند ابن ميمون ، فنزل ابن حوشب بالقرب منهم ، وأخذ في بيع مامعه من القماش ، ولزم الزهد والتقشف . فقصده بنو موسى ، وقالوا له : فيما جئت ؟ قال : للتجارة ، قالوا : لست بتاجر ، وانما أنت رسول المهدي ، وقد بلغنا خبرك ، وعرفوه بأنفسهم ، فأظهر أمره عليهم ، وسار الي عدن لاعة ، وسار ابن الفضل إلى بلده .

ولما وصل ابن حوشب إلى عدن لاعة قوّى عزائمهم وقرّب أمر المهدي عليهم ، وأنه من عندهم يخرج ، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح ، ولم يزل أمر ابن حوشب يقوى وأخباره ترد على من بالكوفه من الإمامية ، وطبقات الشيعة ، فيبادرون إليه ، ويقول بعضهم لبعض : دار الهجرة ، فكبر عددهم واشتد بأسهم ، وأغار على من جاوره ، ونهب وسبي ، وجبى الأموال وأنفذ إلى من بالكوفه من ولد عبد الله القداح أموالاً عظيمة ، وهدايا وطرفاً ، وكذلك لابن الفضل .

وكانوا أنفذوا إلى المغرب رجلان أحدهما يعرف بالحلواني والآخر بأبي سفيان[1] ، وتقدموا اليها بالوصول إلى أقاصي المغرب ، والبعد عن المدن والمنابر ، وقالوا لهما : ينزل كل واحد منكما بعيداً من الآخر ، وقولا

(١) انظر رسالة افتتاح الدعوة ٥٤-٥٨ .

لكل شيء باطن ، ونحن فقد قيل لنا : اذهبا فالمغرب أرض بور فاحرثاها واكرباها حتى يأتي صاحب البذر[1] ، فنزل أحدهما بأرض كتامه بمدينة مرمجنة[2] ، والآخر سوف جمار[3] ، فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما، وصارا يحملان التحف التي تحمل إليهما إلى ابن القداح ، ثم ماتا على قرب بينهما ، بعد أن أقاما سنين كثيرة فقال ابن حوشب لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي ـ وكان قد هاجر إليه ـ : يا أبا عبد الله أرض كتامه من المغرب قد حرثها الحلواني وأبي سفيان وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، وبادر إليها فإنها موطأة ممهدة لك ، فخرج أبو عبد الله وأخرج ابن حوشب معه عبد الله بن أبي اللاحف ، وأمده بمال ، وأوصاه بما يعمل وكيف يحتال ، وكان أبي عبد الله قد شاهد أفعال ابن حوشب ، وعرف تدبيره . فسار إلى مكة وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وأما أحمد بن عبد الله بن ميمون ، فإنه لما قوي أمره ، وكثرت أمواله ادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب ، وهم مع هذا يسترون أمرهم ، ويخفون أشخاصهم ، ويغيرون أسماءهم ، وأسماء دعاتهم ، ويتنقلون في الأماكن ، ثم مات أحمد فخلفه محمد ، وكان لمحمد ولدان : أحمد والحسين ، فمات أحمد ، وصار الحسين إلى سلمية ، وله بها أموال من ودائع جده عبد الله القداح ، ووكلاء وأتباع وغلمان . وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعلع ، وهو محمد بن عبد الله بن ميمون بن

---

(١) أي أبو عبد الله الداعي . انظر رسالة افتتاح الدعوة ٥٨ .

(٢) من مدن تونس ، على ثلاث مراحل من القيروان ـ معجم البلدان .

(٣) في الجزائر معروفة على مقربة من الحدود الجزائرية التونسية .

ديصان ، وهو مؤدب بآداب الملوك ، وكان الذي بسلميه يدعي أنه الوصي وصاحب الأمر دون بني القداح ، ويكاتب الدعاة ويراسلونـه من اليمن والمغرب والكوفة ، واتفق أنه جرى بحضرته بسلميه حـديث النساء ، فوصفوا امرأه رجل يهودي حداد ، مات عنها زوجها ، وأنهـا في غاية الجمال ، فقال لبعض وكلائه : زوجني بها ، فقال : إنها فقيرة ، ولهـــا ولد ، فقال : ما علينا من الفقر زوجني بها ورغبها ، وابذل لها ماشاءت ، فتزوجها وأحبها وحسن موقعها عنده ، وكان ابنها يماثلها في الجمال ، فأحبه وأدبه [٢٤] وعلمه ، وأقام له الخدم والأصحاب ، فتعلم الغلام ، وصارت له نفس كبيرة وهمة عظيمة ، فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول إن الامام الذي كان بسلمية من ولد القداح مات ، ولم يكن له ولد فعهد إلى ابن اليهودي الحداد ، وهو عبيد الله الذي نعت بالمهدي ، وأنه عرفه أسرار الدعوة من قول وفعل ، وأعطاه الأموال وتقـدم إلى أصحابـه ووكلائـــه بطاعته ، وخدمته ومعونته ، وعرفهم أنه الامـام والوصي وزوجه ابنة عمه أبي الشلعلع ، هذا قول ابن القاسم الأبيض العلوي .

وغيره من العلماء بهذه الدعوة ، وبعض الناس وهم قليل يقولون : إن عبيد الله ، هذا المنعوت بالمهدي من ولد القداح ، ومنهم من يقول فيه قول آخر نذكره إن شاء الله عز وجل ، فهذا ما حكي في ابتداء أمرهم فلنذكر أخبار الشيعي ببلاد المغرب ، والله أعلم ...

SS

ذكر فتوح الشام [٤١] ٣١٥

قد ذكرنا أن القائد جوهر جهز جعفر بن فلاح إلى الشام بالعساكر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فسار جعفر ولقي الحسن بن عبيد الله ابن طغج بالرملة ، وهو يومئذ صاحب الشام ، فهزمه جعفر بن فلاح وأسره ، وبعث به إلى مصر ، ثم سار الى دمشق فملكها في سنة تسع وخمسين بعد حرب شديد ، فكتب الى القائد جوهر بالفتح ، واستأذنه في السير الى غزو أنطاكيه ، فأذن له القائد ، فسار نحوها في عشرين ألف فارس ، فأقام مدة وكثرت جموعه وعساكره ، وانبسطت يده ، ودانت له البلاد ، فحاصر أنطاكية مدة إلى أن اتصل به مسير مدد الروم اليها ، فعاد عنها الى دمشق .

ذكر مقتل جعفر بن فلاح واستيلاء القرامطة على دمشق

وفي سنة ستين وثلاثمائة ، وصل الحسن الأعصم القرمطي الى دمشق وقيل انه انما قدم بأمر الخليفة المطيع ، فخرج اليه جعفر بن فلاح ، وقاتله وكان عليلاً ، فقتل وانهزم أصحابه ، ونصب رأسه على [سور] دمشق ، وملك القرمطي دمشق والشام ، وسار الى الرملة فانحاز عنه سعاده بن[١] حيان الى يافا ، وتحصن بها ، فسار اليه وحاربه ، ثم سار يريد مصر ، فتأهب القائد جوهر لذلك ، وحفر خندقاً وبنى عليه باباً كبيراً ، وركب عليه الباب الحديد الذي كان على الميدان الاخشيذي ، وبنى عليه بابان آخران ، وبنى القنطرة على الخليج ، وجعل ممراً لمن يريد المقس [٢] ،

---

(١) من غلمان المعز ، أي من قادة الفاطميين العسكريين .

(٢) مقس النيل معروف في القاهرة .

وكاد القرمطي يأخذ القاهرة ، ثم رجع عنها بغير سبب علم ، وكبس الفرما ، ثم قاطع أهلها على مال فحملوه اليه ، وأخذ عاملها عبد الله ابن يوسف ، وقيل انه كان معه خمسة عشر ألف بغل تحمل صناديق الأموال وأواني الذهب والفضة والسلاح سوى ما تحمل من المضارب والخيام والأثقال .

وفي سنة ستين وثلاثمائة أيضاً بني جوهر سوراً على القصور التي بناها في سنة ثمان وخمسين وجعلها بلداً وسماها المنصورية [١] ، ولما استقر المعز بها سماها القاهرة .

وفي سنة احدى وستين وثلاثمائة ، في المحرم ، كبس ياروق [٢] ، الفرما ، وأخرج منها ابن العمر القرمطي ، وأرسل الى مصر رؤوساً وأعلاماً ، وغير ذلك .

وفي هذا الشهر عصى أهل تنيس وغيروا الدعوة ، ودعوا للمطيع والقرامطة وحاربوا ياروق ، وفي صفر وصل ياروق منهزماً من القرامطة وهم في اثره ، وأقبلت عساكر القرامطة حتى بلغوا عين شمس .

واستعد القائد للقائهم ، وأغلق الأبواب التي بناها ، وفي مستهل ربيع الأول جاءت مقدمة القرامطة ، ووقعوا على الخندق ، فقاتلهم القائد واشتد القتال ، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، وأصبح الناس متكافئين للقتال ، وسار الأعصم القرمطي بجميع عسكره ، ووقع القتال على الخندق

---

(١) يلاحظ أن جوهر بعد فتحه لمصر لم يكن لديه مشروع بناء مدينة جديدة ، بل كل مافعله بناء عدة قصور ، إنما بعدما أجبر على إحاطة هذه القصور بسور ظهر الى الوجود مشروع مدينة جديدة هي القاهرة .

(٢) من أمراء الجند الفاطمي .

والباب مغلق ، وعمل القائد جوهر الحيلة فانهزم عن القرمطي ودام القتال الى الزوال ، ثم فتح القائد الباب وانتصب للقتال ، وخرجت العبيد والمغاربة الى القرامطة واشتد القتال واضطرب الناس في المدينة ، وكثرت القتلى من الفريقين ، وانهزم الأعصم القرمطي ، وأراد المغاربة اتباعه فمنعهم القائد جوهر لدخول الليل ، وخشية من مكيدة ، أو كمين . ونهبت صناديق القرمطي ، ودفاتره ،

وفارق القرمطي من كان معه من الاخشيذية والعرب ، قيل : وهذه أول هزيمة كانت للقرامطة .

ثم وصل بعد الكسرة بيومين أبو محمد الحسن بن عمار بعدد معه من جهة المعز ، وهرب القرمطي ، الذي كان بتنيس ، وعادت الدعوة المعزية بها .

وفي شهر ربيع الآخر ، قبض على أربعمائة وأربعين رجلاً من الاخشيذية والكافوريه ، وقيدهم وحبسهم ، وفي شعبان منها ورد على القائد جوهر رسول ملك الروم برسالته وهديته .

وفي شهر رمضان لسبع خلون منه ، كمل بناء الجامع بالقاهرة ، وجمعت فيه الجمعة ، وفي شوال منها ابتدأ القائد جوهر بحفر الخندق الذي كان عبد الرحمن بن جحدم[1] خليفة عبد الله بن الزبير حفرة قبلي مصر ، ثم شق الخندق حتى بلغ قبر الامام الشافعي رحمه الله ، فعدل به عنه في شقه مشرقاً الى الجبل ، على المقابر ، أراد بذلك أن يحفظ طريق الفج من ناحية القلزم .

---

(١) انظر كتاب الولاة والقضاة للكندي . ط. بيروت ١٩٠٨ ، ص٤٠-٤١ .

وفي ذي القعدة منها خرج أبو محمد الحسن بن عمار الى تنيس ، فسار اليه اسطول القرامطة ، فواقعهم وأسر منهم سبع مراكب وسيرهم الى مصر ومعهم خمسمائة رجل منهم ....

ذكر مكاتبة المعز لدين الله القرمطي وجواب القرمطي

قال بعض المؤرخين : لما استقر المعز بالقاهرة ، أهمه أمر الأعصم القرمطي ، فرأى أن يكتب إليه كتاباً يعلمه فيه أن المذهب واحد ، وأن القرامطة استبدوا وهم سادتهم في هذا الأمر ، وبهم وصلوا إلى هذه الرتبة ، فكتب إليه المعز كتاباً مشحوناً بالمواعظ ، وضمنه من أنواع الكفر مالايصدر إلا عن مارق من الدين [١] .

كان عنوان الكتاب :

من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن اسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين وسلاله خير النبيين ، ونجل أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد .

وأول الكتاب : رسوم النطقاء ومذاهب الأئمة والأولياء ، ومسالك الرسل والأنبياء السالف منهم والآنف ، صلى الله علينا وعلى آبائنا أولي الأيدي والأبصار في متقدم الدهور والأكوار ، وسالف الأزمان والاحضار عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله .

الابتداء بالإعذار ، والانتهاء إلي الانذار . قبل إنفاذ الأقدار ، في

---

(١) انظر نصه الكامل فيما يلي في نص اتعاظ الحنفا للمقريزي ، مع التنبيه إلى أن النويري مصدر أساسي للمقريزي .

أهل الشقاق والإصرار لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسبما قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً[١] » « وإن من أمه إلا خلا فيها نذير »[٢] .

وقد ذكرنا في أخبار القرامطة جملة من مواعظ هذا الكتاب على ما نقف عليه هناك ومن جملته ، مالم نذكره هناك : أما علمت أني « نار الله الموقده التي تطلع على الأفئدة[٣] » ، أعلم « خائنة الأعين وما تخفي الصدور[٤] » ، وحشاه بأنواع من الكفر وحضه على اقتفاء آثار آبائه وعمومته في موالاتهم . فقال : « إن آباءك كانوا أتباع آبائي » ، ثم قال فيه بعد الاطالة : وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ووقت مذكور ، لانرفع قدماً ولانضع قدماً ، إلا بعلم موضوع ، وحكم مجموع وأجل معلوم .

ثم قال فيه : وأما أنت أيها النادر الناكث المباين عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، الموقد لنار الفتنه ، الخارج عن الجماعة والسنة ، لم أغفل أمرك ولاخفي علي خبرك ، وإنك مني بمنظر وبمسمع ، قال الله تعالى : « إني معكما أسمع وأرى[٥] » « ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً[٦] » ، فعرفنا على أي رأي أصلت ، وأي طريق سلكت .

---

(١) الاسراء ١٥ .
(٢) فاطر ٢٤ .
(٣) الهمزة ٦ - ٧ .
(٤) غافر ١٩ .
(٥) طه ٤٦ .
(٦) مريم ٥٨ .

وقال في فصل منه : إنا لسنا مهمليك ولا ممهليك إلا ريثما يردنا كتابك والوقوف على مجرى جوابك ، فانظر لنفسك ماتبقي ليومك ومعادك ، قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ «لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً »[١].

ثم ختمه بأن قال : لما أنت وقومك إلا كمناخ نعم ، أو مراح غنم ، « وإما نرينك بعض الذي نعدهم[٢] » « فإنا عليهم مقتدرون[٣] » . هكذا وأنت في القفص مصفوداً[٤] » أو نتوفينك فإلينا مرجعهم[٥] عندها تخسر الدنيا والآخرة « ذلك هو الخسران المبين[٦] » . « فأنذرتكم ناراً تلظى . لايصلاها إلا الأشقى . الذي كذب وتولى[٧] » « كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون[٨] » فليتدبر من كان ذا تدبر ، وليتفكر من كان ذا فكر وليحذر يوم القيامه يوم الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس ياحسرة على مافرطت في جنب الله[٩] » « وياحسرتنا على ما فرطنا[١٠] » و « ياليتنا[١١] نرد » « فنعمل غير

---

(١) الأنعام ١٥٨ .

(٢) يونس ٤٦ .

(٣) الزخرف ٤٢ .

(٤) في الأصل « ... نعدهم أو نتوفينك » « فإنا عليهم مقتدرون » هكذا رأيت والتلاوة في سورة القصص . وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا من رواية المقريزي في اتعاظ الحنفا التي تلي هذه الرواية في كتابنا هذا .

(٥) يونس ٤٦ .

(٦) الحج ١١ .

(٧) الليل ١٤-١٦ .

(٨) الأحقاف ٣٥

(٩) الزمر ٥٦ .

(١٠) الأنعام ٣١ .

(١١) الأنعام ٢٧ .

الذي كنا نعمل (١) » .

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى [وحسبنا الله كفى (٢)] وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال : فلما وقف الحسن بن أحمد القرمطي على هذا الكتاب المطول ، كتب جوابه بعد البسملة : وصل كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن سائرون على إثره ، والسلام .

وقيل إنه كتب : الجواب ماتراه دون ما تسمعه . وقيل : [٤٤] إنه كتب إليه :

ظنت رجال الغرب أن مهوتي	بمحالها وأخو المحال ذليل
إن لم أرو النيل من دمهم	فلا نلت المراد ولاسقاني النيل

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، في شعبان بلغت مقدمة القرامطة إلى أرباض مصر وأطراف المحلة ، فنهبوها وجبوا الخراج ، واستقر الأعصم القرمطي بيلبيس ، فتأهب المعز للقائه ، وعرض العساكر ، وفرق بينهم الأموال والسلاح ، وسير جيشاً قدم عليه ولده عبد الله ، فالتقى مع الأعصم ، فانهزم القرمطي ، وأسر جماعة من رجاله ، وجهز جيشاً آخر ، قدم عليه ريان الصقلبي في أربعة آلاف فارس ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها .

(١) الأعراف ٥٣ .
(٢) زيد من رواية المقريزي ، وبه يستقيم السياق .

SS

كتاب

اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

ذكر طرف من أخبار القرامطة

وذلك أن الحسين الأهوازي لما خرج داعية إلى العراق لقي حمدان ابن الأشعث قرمط بسواد الكوفة ، ومعه ثور ينقل عليه ، فتماشيا ساعة فقال حمدان للحسين : « إني أراك جئت من سفر بعيد وأنت معيي فاركب ثوري هذا » فقال الحسين : « لم أومر بذلك » فقال له حمدان : « كأنك تعمل بأمر أمر لك ؟ » قال : « نعم » قال : « ومن يأمرك وينهاك ؟ » قال : « مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة » . فبهت حمدان قرمط يفكر ، ثم قال له : « ياهذا : مايملك ماذكرته إلا الله » قال : « صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء » قال حمدان : « فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » وكان الحسين لما رأى قرمط في الطريق سأله : « وكيف الطريق الى قس بهرام[1] » . فعرفه قرمط أنه سائر اليه ، فسأله عن قرية تعرف « بياسير[2] » في السواد ، فذكر أنها قريبة من قريته ، وكان قرمط من قرية تعرف « بالدور » على نهر « هد » من رستاق « مهزود » من طسوج « فرات بادولي »[3] .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي مصادر أخرى « ساباط نوح » ولم أقف لهما على ذكر في المصادر المتوفرة من المكتبة الجغرافية .

(٢) في الأصل غير واضح وأقرب قراءة له ما أثبتنا ، وهي بلدة من نواحي الأهواز. معجم البلدان .

(٣) الطسوج : الناحية ، وجميع المواقع التي أتى على ذكرها هي من سواد بغداد . انظر معجم البلدان ـ مواد : مهزود . بادولي ، الدور .

وانما قيل له قرمط لأنه كان قصيراً ورجلاه قصيرتين ، وخطوه متقارباً ، فسمي لذلك قرمطاً .

فلما قال للحسين : « ما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » قال له : « رفع الى جراب فيه علم وسر من أسرار الله ، وأمرت أن أشفي هذه القرية ، وأغني أهلها وأستنقذهم ، وأملكهم أملاك أصحابهم » .

[٢٤ – و] وابتدأ يدعوه ، فقال له حمدان قرمط : « ياهـــذا : نشدتـك الله ، ألا دفعت الي [شيئاً] من هذا العلم الذي معك ، وأنقذتني ينقذك الله ؟ » .

قال له : « لايجوز ذلك أو آخذ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله على النبيين والرسلين ، وألقي اليك ماينفعك » .

فما زال يضرع اليه حتى جلسا في بعض الطريق ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟

قال له : قرمط [ثم قال له] : « قم معي الى منزلي حتى تجلس فيه ، فإن لي اخواناً أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي » .

فصار معه الي منزله ، واخذ على الناس العهد ، وأقام بمنزل حمدان قرمط ، فأعجبه أمره ، وعظمه ، وكان الحسين على غاية مايكـون من الخشوع صائماً نهاره ، قائماً ليله ، فكان المغبوط من أخذه الى منزلة ليلة وكان يخيط لهم الثياب ، ويكتسب بذلك ، فكانوا يتبركون به وبخياطته .

وأدرك التمر ، فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي – وكان أحد وجوه الكوفة ومن أهل العلم والفضل – الى عمل ثمره ، فوصف له الحسين الأهوازي ، فنصبه لحفظ ثمره ، والقيام في حظيرته ، فأحسن حفظها ، واحتاط في أداء الأمانة ، وظهر منـه من التشدد في ذلـك ماخرج به عن أحوال الناس في تساهلهم في كثير من الأمور ، وذلك في

سنة أربع وستين ومائتين .

واستحكمت ثقة الناس به ، وثقته هو بحمدان قرمط ، وسكونه اليه فأظهر له أمره ، وكان :ا دعا اليه أنه جاء بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : يقول الفرج بن عثمان : انه داعية المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل ، وأن المسيح تصور له في جسم انسان ، وقال: انك الداعية ، وانك الحجة ، وانك الناقة وانك الدابة ، وانك يحيى بن زكريا ، وانك روح القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن :

الله أكبر ثلاث مرات

أشهد ألا اله الا الله مرتين

أشهد أن آدم رسول الله

أشهد أن نوحاً رسول الله

أشهد أن ابراهيم رسول الله

[أشهد أن موسى رسول الله] (١) .

أشهد أن عيسى رسول الله

أشهد محمداً رسول الله

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية [رسول الله] (١) .

والقراءة في الصلاة :

« الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المنجد لأوليائه بأوليائه ، » قل

---

(١) زيد مابين الحاصرتين عن الكامل لابن الأثير : ١٧٩/٧ .

ان الأهلة مواقيت للناس ظـاهرها ليعلموا عدد السنين والحساب والشهور [١] والأيام ، وباطنها لأوليـائي الذين عرفوا عبادتي وسبيلي ، فاتقـوني يا أولي الألباب ، وأنا الذي لا أسأل عمـا أفعل وأنا العليم الحـكيم ، وأنا الذي أبلو عبـادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري أدخلته في جنتي ، وأخلدته في نعيمي ، ومن زال عن أمري ، وكذب رسلي أخلدته مهاناً في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسنة رسلي وأنا الذي لم يعل جبار الا وضعته ، ولاعزيز الا أذللته ، وليس الذي أصر على أمره ، ودام على جهالته ، وقال: «لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون» . ثم يركع [٢] .

ومن شرائعه : صيام يومين في السنة هما : المهرجان [٣] ، والنوروز [٤]

وأن الخمر حلال ولاغسل من جنابة ، ولكن الوضوء كوضوء الصلاة وأن لايؤكل ماله ناب ولامخلب ولايشرب النبيـذ ،وأن القبـلة الى بيت المقدس ، والحج اليه وأن الجمعة يوم الاثنين لايعمل فيه شغل .

ولمـا حضرته الوفاة جعل مكانه حمدان بن الأشعث قرمط ، وأخذ على أكثر أهل السواد ، وكان ذكياً داهية .

---

(١) انظر سورة البقرة : ١٨٩ ، فقد تم التصرف بها ، ونال هذا عدداً آخر من الآيات .

(٢) في ابن الاثير ـ الـكامل : ١٧٩/٧ بعد هذا اللفظ جملة تكميلية هذا نصها : « ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولهـا مرتين . فإذا سجد قال : « الله أعلى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم » .

(٣) كان المهرجان من أعياد الفرس القديمة ، ويوافق موسم جمع المحاصيل والغلال .

(٤) النوروز ـ ويقال النيروز ـ لفظ فارسي معرب ، ومعناه اليوم الجديد : وكان الفرس يتخذونه عيـداً أيضاً ، وكان يوافق عندهم يوم الاعتدال الربيعي ـ انظر المعرب للجواليقي .

فكان ممن أجابه : مهرويه بن زكرويه السلماني ، وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، واسحاق البوراني ، وعطيف النيلي ، وغيرهم ، وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس .

وكان أكبر دعاته عبدان ، وكان فطناً خبيثاً ، خارجاً عن طبقة نظرائه من أهل السواد ، ذا فهم وحذق ، وكان يعمل عند نفسه على نصب له ، من غير أن يتجاوز به الى غيره ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ، ويدعو الى الامام من آل رسول الله ـ ﷺ ـ محمد بن اسماعيل ابن جعفر .

فكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه ، وكان شاباً ذكياً فطناً من قرية بسواد الكوفة على نهر هد ، فنصبه عبدان على إقليم نهر هد وما والاه ، ومن قبله دعاة جماعة متفرقون في عمله .

وكان [٢٤ ـ ظ] داعية عبدان على فرات بادولي : الحسن بن أيمن ، وداعيته على طسُّوج تستر : المعروف بالبوراني ـ وإليه نسب البورانية ـ ، وداعيته على جهة أخرى المعروف بوليد ، وفي أخرى أبو الفوارس . وهؤلاء رؤساء دعاة عبدان ، ولهم دعاة تحت أيديهم ، فكان كل داع يدور في عمله ويتعاهده في كل شهر مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة .

ودخل في دعوته من العرب طائفة ، فنصب فيهم دعاة ، فلم يتخلف عنه رفاعي ولا ضبعي ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن الا دخل في الدعوة منه ناس كثير أو قليل : من بني عابس ، وذهل وعنزة ، وتيم الله ، وبني ثعل ، وغيرهم من بني شيبان ، فقوي قرمط ، وزاد طمعه ، فأخذ في جمع الأموال من قومه .

فابتدأ يفرض عليهم أن يؤدوا درهماً عن كل واحد ، وسمى ذلك :

« الفطرة » ، على كل أحد من الرجال والنساء ، فسارعوا الى ذلك .

فتركهم مديدة ، ثم فرض « الهجرة » ، وهو دينار على كل رأس أدرك ، وتلا قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع علـــيم »[١] وقال : « هذا تأويل هـــذا » فدفعوا ذلك اليه ، وتعاونوا عليه ، فمن كان فقيراً أسعفوه فتركهم مديدة ، ثم فرض عليهم « البلغة » وهي سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو « البرهان » الذي أراد الله بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »[٢] وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الإيمان ، والدخول في السابقين المذكورين في قوله تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون »[٣] .

وصنع طعاماً طيباً حلواً لذيذاً ، وجعله على قدر البنادق ، يطعم كل من أدى اليه سبعة دنانير منها واحدة ، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل الى الامام ، فكان ينفذ الى كل داع منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، لكل واحدة منها سبعة دنانير .

فلما توطأ له الأمر فرض عليهم أخماس مايملكون ومايتكسبون ، وتلا عليهم : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه[٤] ـ الآية » ـ ، فقوموا جميع مايملكونه من ثوب وغيره وأدوا ذلك اليه ، فكانت المرأة تخرج خمس ماتغزل ، والرجل خمس مايكسبه .

---

(١) التوبة ١١٣ .
(٢) البقرة ١١١ .
(٣) الواقعة ١٠ .
(٤) الأنفال ٤١ .

فلما تم ذلك فرض عليهم « الألفة » ، وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لايفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه ، وتلا عليهم : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً [١] » ـ الآية ـ ، وقوله تعالى : « لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم [٢] » .

وعرفهم أنه لاحاجة بهم إلى أموال تكون معهم ، لأن الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال : « هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون » . وطالبهم بشراء السلاح وإعداده .

وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام الدعاة في كل قرية : رجلاً مختاراً من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم ، وحلي ، ومتاع وغيره ، وكان يكسو عاريهم وينفق على سائرهم مايكفيهم ، ولايدع فقيراً بينهم ولامحتاجاً ولاضعيفاً ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته ، وجمعت المرأة كسبها من مغزلها ، والصبي أجرة نظارته للطير ، وأتوه به ، فلم يتملك أحد منهم إلا سيفه وسلاحه .

فلما استقام له ذلك أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ، ويختلطن بالرجال ، ويتراكبن ولا يتنافرن ، فإن ذلك من صحة الود والألفة بينهم .

فلما تمكن من أمورهم ، ووثق بطاعتهم ، وتبين مقدار عقولهم ،

---

(١) آل عمران ١٠٣ .
(٢) الأنفال ٦٣ .

أخذ في تدريجهم ، وأتاهم بحجج من مـذهب الثنوية ، فسلكوا معه في ذلك حتى يقضي ماكان يـأمرهم به في مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقوى ، وظهر منهم بعد تدين كثير إباحة الأموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأخبرهم أن ذلك كله موضوع عنهم ، وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق تغـني [عن] كل شيء ، ولايخاف معه إثم ولاعذاب ـ يعنى إمامه الذي يدعو إليه ، وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ـ وأنه الامام المهدي الذي [٢٥ ـ و] يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق ، وأن البيعة له ، وأن الداعي إنما يأخذ على الناس له ، وأن مايجمع من الأموال مخزون له إلى أن يظهر ، وأنـه حي لم يمت ، وأنه يظهر في آخر الزمان ، وأنه مهدي الأمة .

فلما أظهر هذه الأمور كلهـا بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسل والحجة والامام ، وأنه المعول والمقصد والمراد ، وبه اتسقت هذه الأمور ، ولولا هذه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم ، ظهر في كثير منهـم الفجـور ، وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء ، وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فـأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم ـ جزعاً منهم ـ .

ثم إن الدعاة اجتمعوا ، واتفقوا على أن يجعلوا لهـم موضعاً يكون وطناً ودار هجرة يهاجرون إليها ، ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة ـ في طسُّوج الفرات من ضياع السلطان المعروفـة بالقاسميـات ـ قرية تعرف « بمهتاباذ » ، فحاذوا إليها صخراً عظيماً ، ثم بنوا حولهـا سوراً منيعاً عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من

ذلك في أسرع وقت ، وبنوا فيها البناء العظيم ، وانتقـل إليها الرجال والنساء في كل مكان ، وسميت « دار الهجرة » ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، فلم يبق حينئذ أحد إلا خافهم ، ولا بقي أحد يخافونه وتمكنهم في البلاد .

وكان الذي أعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الأعراب واللصوص بعـد السبعين ومائتين بالقفر ، وتلاف الرجال ، وفساد البلدان ، فتمكن هؤلاء ، وبسطوا أيديهم في البلاد ، وعلت كلمتهم .

وكان منهم مهرويه أحد الدعاة في مبدأ أمره ينظر النخل ويأخذ أجرته تمراً فيفرغ منه النوى ويتصدق به ، ويبيع النوى ويتقوت به ، فعظم في أعين الناس قدره ، وصارت له مرتبة في التقيـة والدين [1] ، فصار إلى صاحب الزنج لما ظهر على السلطان وقال له : « ورائي مائة ألف ضارب سيف أعينك بهم » .

فلم يلتفت إلى قوله ، ولم يجد فيه مطمعاً ، فرجع وعظم بعد ذلك في السواد ، وانقاد إليه خلق كثير ، فادعى أنه من ولد عبد الله بن محمد ابن اسماعيل بن جعفر ، فقيل له : « لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يقال له عبد الله [2] » .

---

(١) هذه رواية ثانية عن أصل حركة القرامطة في العراق ، عرضها المقريزي دون أن ينبه على ذلك .

(٢) بانسياب سريع مزج المقريزي بين بداية حركة صاحب الجمل في الشام ومسألة نسبه ، وبين ما كان يجري في سواد العراق .

فكف عن هذه الدعوى ، وصار بعد ذلك في قبة على جمل ، ودعي بالسيد ، وظهر بسواد الكوفة ، وسيأتي ذكر أبيه زكرويه ، وابن ابنه الحسين بن زكرويه إن شاء الله .

وكان رجل من أهل قرية جنابة [١] يعمل الفراء ، يقال له أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي [٢] ، أصله من الفرس ، سافر إلى سواد الكوفة وتزوج من قوم يقال لهم : « بنو القصار » كانوا من أصول هذه الدعوة فأخذ عن عبدان ، وقيل بل أخذ عن حمدان قرمط ، وسار داعية ، فنزل القطيف ـ وهي حينئذ مدينة عظيمة ـ فجلس بها يبيع الرقيق ، فلزم الوفاء والصدق ، وكان أول من أجابه الحسين بن سنبر ، وعلي بن سنبر وحمدان بن سنبر ، في قوم ضعفاء ، مابين قصاب وحمال وأمثال ذلك ، فبلغه أن بناحيته داعياً يقال له أبو زكريا ، أنفذه عبدان قبل أبي سعيد وكان قد أخذ على بني سنبر من قبل ، فعظم أمره على أبي سعيد وقبض عليه وقتله ، فحقد عليه بنو سنبر قتله [٣] .

---

(١) جنابة بلدة قائمة على ساحل فارس قبالة منطقة البصرة ـ معجم البلدان .

(٢) في حاشية الأصل : « اختلف في أبي سعيد الجنابي ، فقال قوم : اسمه الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأنه ابن صاحب الزنج القائم بالبصرة بعد سنة خمسين ومائتين ، وأن علي بن محمد كان مقيماً بهجر ، ويعرف أنه شريف ويكرم ويعطى ، ثم أنه خرج وجمع ، فقاتله العريان بن ابراهيم بأرض البحرين ، فانصرف إلى القطيف وبنى بأم أبي سعيد على سبيل الاستحلال ، وخرج من القطيف الى الاحساء ، وظهر الحمل بأم أبي سعيد ، فلما ولدته سمته الحسن ، وكنتـــه بأبي سعيد ، وكتمته سنة خوفاً عليه ، وتزوجت برجل من أهل جنابة ، فنسب أبو سعيـد اليه ، ونشأ على أنه رجل من أهل جنابة ، ينتسب إلى من هو ربيب له ، وقيل ماذكر في الأصل» .

(٣) في هذا اشارة الى قتل أبي سعيد ـ أو أبي طاهر ـ للداعي أبي زكريا الصمامي أو الطمامي . انظر ماسبق قوله في نص القاضي عبد الجبار . أصول الاسماعيلية : ١٦٩-١٧١ القرامطة لدى غوية : ١٠٢ - ١٠٨ .

واتفق أن البلد كان واسعاً ، ولأهله عادة بالحروب ، وهم رجال شداد جهال ، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، حتى اشتدت شوكته .

وكان لا يظفر بقرية إلا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس ، وأجابه كثير منهم ، وفر منه خلق كثير إلى بلدان شتى خوفاً من شره ، ولم يمتنع عليه إلا هجر ـ وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها ، وبها التجار والوجوه ـ فنازلها شهوراً يقاتل أهلها ، ثم وكل بها رجلاً .

وارتفع فنزل الأحساء ـ وبينها وبين هجر ميلان ـ فابتنى بها داراً وجعلها منزلاً ، وتقدم في زراعة الأرض وعمارتها [٢٥ ـ ظ] ، وكان يركب إلى هجر ، ويحارب أهلها ، ويعقب قومه على حصارها .

ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب ، وساروا إليه بحرمهم وأموالهم ، فأنزلهم الأحساء ، وأطمعوه في بني كلاب ، وسائر من يقرب منه من العرب فضم إليهم رجالاً ، وساروا فأكثروا من القتلى ، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة إلى الأحساء ، فدخل الناس في طاعته ، فوجه جيشاً إلى بني عقيل فظفر بهم ، ودخلوا في طاعته [١] .

فلما اجتمع اليه العرب مناهم ملك الأرض كلها ، ورد الى من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد ، ولم يرد عبداً ولا أمة ولا أيماً ولا صبياً الا أن يكون دون الأربع سنين .

وجمع الصبيان في دور ، وأقام عليهم ما يحتاجون اليه ، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم ، ونصب لهم عرفاء ، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان

---

(١) في هذا اشارة إلى أثر القرامطة في دفع القبائل من عامر بن صعصعة للهجرة شمالاً . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٦٩ ـ ٣٧٢ .

فنشأوا لايعرفون غير الحرب ، وقد صارت دعوته طبعاً لهم .

وقبض كل مال في البلد ، والثمار ، والحنطة ، والشعير . وأقام رعاة للابل والغنم ومعهم قوم لحفظها ، والتنقل معها على نوب معروفة وأجرى على أصحابه جراياب فلم يكن يصل لأحد غير مايطعمه .

هذا وهو لايغفل عن هجر ، وطال حصاره لهم على نيف وعشرين شهراً ، حتى أكلوا الكلاب ، فجمع أصحابه ، وعمل دبابات ، ومشى بها الرجال الى السور ، فاقتتلوا يومهم ، وكثر بينهم القتلى ، ثم انصرف عنهم الى الأحساء ، وباكرهم فناوشوه ، فانصرف الى قرب الأحساء ، ثم عاد في خيل ، فدار حول هجر يفكر فيما يكيدهم به فإذا لهجر عين عظيمة كثيرة الماء، تخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها، فيجتمع ماؤها في نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر ، ثم ينزل الى النخل فيسقيه ، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم.

فلما تبين له أمر العين ، انصرف الى الأحساء ، ثم غدا فأوقف على باب المدينة رجالاً كثيراً ، ورجع الى الأحساء ، وجمع الناس كلهم ، وسار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف ، وأمر بجمع الحجارة ونقلها الى العين ، وأعد الرمل والحصى والتراب ، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين ، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة ، فقذفته العين ، ولم يغن مافعله شيئاً ، فانصرف إلى الأحساء بمن معه .

وغدا في خيل فضرب البر حتى عرف أن منتهى العين بساحل البحر ، وأنها تنخفض كلما نزلت ، فرد جميع من كان معه ، وانحدر على النهر نحواً من ميلين ثم أمر بحفر نهر هناك ، وأقبل يركب هو وجمعه في كل يوم والعمال يعملون حتى حفره إلى السباخ ، ومضى الماء كله فصب في البحر ثم سار فنزل على هجر

وقد انقطع الماء عنهم ، ففر بعضهم فركب البحر ، ودخل بعضهم في دعوته ، وخرجوا اليه فنقلهم إلى الأحساء ، وبقيت طائفـــة لم يفروا لعجزهم ، ولم يدخلوا في دعوته فقتلهم ، وأخذ ماني المدينة وأخربها فبقيت خراباً ، وصارت مدينة البحرين هي الأحساء .

ثم أنفذ سرية إلى عمان في ستمائة ، وأردفهم بستمائة أخرى فقـاتلهم أهل عمان حتى تفانوا ، وبقي من أهل عمان خمسة نفر ومن القرامطة ستة نفر ، فلحقوا بأبي سعيد ، فأمر بهم فقتلوا ، وقال : « هؤلاء خاسوا بعهدي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا » وتطير بهلاك السرية ، وكف عن أهل عمان .

واتصل بالمعتضد بالله خبره ، فخاف منه على البصرة ، فأنفذ العباس بن عمرو الغنوي في ألفي رجل ، وولاه البحرين ، فخرج في سنة تسع وثمانين ومائتين والتقى مع أبي سعيد فانهزم أصحابه وأسر العباس في نحو من سبعمائة رجل من أصحابه ، واحتووا على عسكره ، وقتل من غده جميع الأسرى ، ثم أحرقهم وترك العباس ، ومضى المنهزمون فتاه أكثرهم في البر ، وتلف كثير منهم عطشاً وورد بعضهم إلى البصرة فارتاع الناس وأخذوا في الرحيل عن البصرة .

ثم لما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد العباس بن عمرو ، وقال له : « أتحب أن أطلقك ؟ » قال : « نعم » قال : « على أن تبلغ عني ما أقول صاحبك » ، [٣٦] قال : « أفعل » قال : « تقول له : الذي أزل بجيشك ما أزل ، بغيك، هذا بلد خارج عن يدك ، غلبت عليه ، وقمت به ، وكان بي من الفضل ما آخذ به غيره ، فما عرضت لما كان في يدك ، ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلاً ولا نلت أحداً من رعيتك بسوء ، فتوجيهك إلي الجيوش لأي سبب ؟ اعلم أني لا أخرج من هذا البلد ولا توصل اليه وفي هـذه العصابة التي معي روح ، فاكفني نفسك ولاتتعرض لما ليس لك فيه فائدة ، ولاتصل إلى مرادك [منه] إلا ببلوغ القلوب الحناجر » .

وأطلقه ، وبعث معه من يرده الى مأمنه ، فوصل إلى بغـداد في شهر رمضان ، وقد كان الناس يعظمون أمره ويكثرون ذكره ، ويسمونه « قائد الشهداء » فلما وصل إلى المعتضد عاتبه على تركه التحرز ، فاعتذر ولم يبرح حتى رضي عنه وسأله خبره ، فعرفه جميعه ، وبلغه ماقال القرمطي ، فقـال : « صدق ما أخذ شيئاً كان في أيدينا » وأطرق مفكراً ثم رفع رأسه وقال : « كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بي عمري لأشخصن بنفسي إلي البصرة وجميع غلـاني ، ولأوجهن اليه جيشاً كثيفاً ، فإن هزمه وجهت [بعده] جيشاً ، فإن هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي اليه حتى يحكم الله بيني وبينه » .

فشغل المعتضد عن القرمطي بأمر وصيف غلام أبي الساج [١] .

ثم توفي في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، ومازال يذكر أبا سعيد الجنابي في مرضه ، ويتلهف ويقول : « حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ثم لا ألقى أحداً أطول من سيفي إلا ضربت عنقه ، وإني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة » .

وأقبل أبو سعيد ـ بعد إطلاق العباس ـ على جمع الخيل ، واعداد السلاح ونسج الدروع والمغافر ، واتخاذ الإبل ، وإصلاح الرجال ، وضرب السيوف والأسنة ، واتخاذ الروايا والمزاود والقرب ، وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الأعراب من قريته ، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال وإصلاح أراضي المزارع وأصول النخل ، وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقدها ، ونصب الأمناء على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله ،

---

(١) انظر خبر ذلك في الكامل لابن الأثير : ٩٤/٦ .

حتى بلغ من تفقده أن الشاة إذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم لهم ، ويدفع الرأس والأكارع والبطن إلى العبيد والإماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله ، ثم يدفعه الى من ينسجه عبياً وأكسية وغرائر وجوالقات ، ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد الى الدباغ ، ثم إلى خرازي القرب والروايا ، والمزاد ، وما كان من الجلود يصلح نعالاً وخفاً عمل منه ، ثم يجمع ذلك كله إلى خزائن .

فكان ذلك دأبه لا يغفله ، ويوجه كل قليل خيلاً إلى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت ، وتصير بهم اليه ويستعبدهم ، فزادت بلاده ، وعظمت هيبته في صدور الناس .

وواقع بني ضبة وقائع مشهورة ، فظفر بهم ، وأخذ منهم خلقاً ، وبنى لهم حبساً عظيما جمعهم فيه ، وسده عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فصاحوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهراً ، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى ، ويسيراً بحال الموتى ، وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فخصاهم وخلاهم فمات أكثرهم .

وكان قد أخذ من عسكر العباس خادماً له جعله على طعامه وشرابه ، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصلياً صلاة واحدة ، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره ، فأضمر الخادم قتله ، حتى إذا دخل الحمام معه ـ وكانت الحمام في داره ـ فأعد الخادم خنجراً ماضياً ـ والحمام خال ـ فلما تمكن منه ذبحه ، ثم خرج ، فقال : « يدعي فلان » لبعض بني سنبر فأحضر ، فلما دخل قبضه وذبحه ، فلم يزل ذلك دأبه حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ، فدخل آخرهم فإذا في البيت الأول دم جار ، فارتاب وخرج مبادراً ، وأعلم الناس ، فحصروا الخادم حتى دخلوه ، فوجدوا الجماعة صرعى [٢٦ ـ ظ] وذلك في سنة إحدى وثلاثمائة ، وقيل اثنتين وثلاثمائة ، وكان قتله بأحساء من البحرين . وكانت سنه يوم قتله نيفاً وستين سنة .

وترك أبو سعيد من الأولاد: أبا القاسم سعيدا ، وأبا طاهر سليمان ، وأبا منصور أحمد ، وأبا إسحاق إبراهيم، وأبا العباس محمداً ، وأبا يعقوب يوسف.

وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته ، وأوصى إن حدث به موت يكون القيم بأمرهم سعيد ابنه إلى أن يكبر أبو طاهر ، وكان أبو طاهر أصغر سناً من سعيد ، فإذا كبر أبو طاهر كان المدبر ، فلما قتل جرى الأمر على ذلك .

وكان قد قال لهم : ستكون الفتوح له ، فجلس سعيد يدبر الأمر بعد قتل [أبيه] ، وأمر فشد الخادم بحبال ، وقرض لحمه بالمقاريض حتى مات .

فلما كان في سنة خمس وثلاثمائة سلم سعيد إلى أخيه أبي طاهر سليمان الأمر ، فعظموا أمره .

وكان ابتداء أمر أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي بالقطيف وماوالاها في سنة ست وثمانين ومائتين ، فكانت مدته نحو خمس عشر سنة .

الصناديقي

وفيها : استولى النجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديقي على اليمن ، وكانت جيوشه بالمذيخرة وسهفنة [1] ، وكان ابن أبي الفوارس ـ أحد دعاة عبدان ـ أنفذه داعياً إلى اليمن ، وكان من أهل النرس [2] ـ

(١) قرية قبلي الجند على ثلاث مراحل منها لدى سفال ، واسمها الآن سفنة ، انظر طبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي بن سمرة الجعدي نشر فؤاد السيد : ٣١٨ .

(٢) نرس نهر يأخذ من الفرات عليه عدة قرى ، وإليه تنسب الثياب النرسية . معجم البلدان .

موضع يعمل فيه الثياب النرسية ، وكان يعمل من الكتان ـ فصار إلى اليمن ودخل في دعوته خلق كثير ، فأظهر العظائم وقتل الأطفال ، وسبى النساء ، وتسمى برب العزة ، وكان يكاتب بذلك ، وأعلن سب النبي ـ ﷺ ـ وسائر الأنبياء ، واتخذ داراً خاصة سماها « دار الصفوة » يجتمع فيها النساء ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن ، ويحفظ من تحبل منهن في تلك الليلة ومن تلد من ذلك ، ويتخذ تلك الأولاد لنفسه خولاً ، ويسميهم « أولاد الصفوة » .

قال بعضهم :

« دخلت إليها لأنظر فسمعت امرأة تقول : « يابني » ، فقال : يا أمة نريد أن نمضي أمر ولي الله فينا » . وكان يقول : « إذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ، ولا ولد من ولد ، فتكونوا كنفس واحدة » . فعظمت فتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهله عنه ، وأجلى السلطان ، وقاتل أبا القاسم محمداً بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني ، الهادي [1] ، وأزاله عن عمله من صعدة ففر منه بعياله إلى الرس ، ثم أظفره الله به فهزمه بأمر إلهي ، وهو أن الله جلت قدرته ألقى على عسكره وقد بايته برداً وثلجاً قتل به أكثر أصحابه في ليلة واحدة ، وقلما عرف مثل ذلك في تلك الناحية .

وسلط الله عليه الأكلة ، وذلك أن أبا القاسم أنفذ إليه طبيباً بمبضع مسموم فصده به فقتله ؟ وأنزل الله بالبلدان التي غلب عليها بثراً يخرج في كتف الرجل منهم بثرة فيموت سريعاً ، فسمى ذلك البثر ـ بتلك البلاد ـ « حبة القرمطي » مدة من الزمان .

وأخرب الله أكثر تلك البلاد التي ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع

---

(١) المقصود بالهادي يحيى بن الحسين .

فاعتصم ابنه بجبال وأقام بها ، وكاتب أهل دعوتهم ، وعنون كتبه[١] :
« من ابن رب العزة » .

فأهلكه الله ، وبقي منهم بقية ، فاستأمنوا إلى أبي القاسم بن يحيى الهادي ، ولم يبق للنجار ـ لعنه الله ـ ولا لمن كان على دعوته بقية .

وكان قرمط يكاتب من بسلمية ، فلما مات من كان في وقته [٢] ، وخلفه ابنه من بعده كتب إلى قرمط فأنكر منه أشياء ، فاستراب ، وبعث ابن مليح ـ أحد دعاته ـ ليعرف الخبر فامتنع ، فأنفذ عبدان ، وعرف موت الذي كانوا يكاتبونه ، فسأل ابنه عن الحجة ، ومن الامام الذي يدعو إليه ، فقال الابن : « ومن الامام ؟ » . فقال عبدان : « محمد بن إسماعيل ابن جعفر صاحب الزمان » . فأنكر ذلك وقال : « لم يكن إمام غير أبي ، وأنا أقوم مقامه » .

فرجع عبدان إلى قرمط ، وعرفه الخبر ، فجمع الدعاة وأمرهم بقطع الدعوة حنقاً من قول صاحب سلمية : « لا حق لمحمد بن إسماعيل في هذا الأمر ولا إمامة » .

وكان قرمط إنما يدعو إلى إمامة محمد بن إسماعيل ، فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها امتدت في سائر الأقطار ، ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين كانوا بسلمية .

وكان رجل منهم قد نفذ إلى الطالقان يبث الدعوة فلما انقطعت

---

(١) المشكلة الأساسية مع المقريزي ـ أنه حاطب ليل ـ نادراً ما يذكر مصادره ، وعلى هذا الأساس لانستطيع تحديد مصادر الوهم الذي تسرب إلى هـذه الرواية . قارنها مع ماتقدم عند صاحب كشف أسرار الباطنية ، وما سيأتي عند الخزرجي .

(٢) أي إماماً متولياً لشؤون الدعوة

المكاتبة طال [٢٧ - و] انتظاره ، فشخص يسأل عن قرمط . فنزل على عبـــدان بسواد الكوفة ، فعتبه وعتب الدعاة في انقطاع كتبهم ، فعرفه عبدان قطعهم الدعوة ، وأنهم لا يعودون فيها ، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقة ، فانصرف عنه إلى زكرويه بن مهرويه ليدعو كما كان أبوه ، ويجمع الرجال ، فقال زكرويه : « إن هذا لا يتم مع عبدان لأنه داعي البلد كله والدعاة من قبـله ، والوجه أن نحتال على عبدان حتى نقتله » وباطن على ذلك جماعة من قرابته وثقاته ، وقال لهم : « إن عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة » فبيتوه ليلاً وقتلوه ، فشاع ذلك ، وطلب الدعاة وأصحاب قرمط زكرويه بن مهرويه ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم كلهم إلا أصل دعوته ، وتنقل في القرى - وذلك في سنة ست وثمانين - والقرامطـة تطلبه إلى سنة ثمان وثمانين ، فأنفذ ابنه الحسن إلى الشام[1] ، ومعـه من القرامطة رجل يقال له أبو الحسين القاسم بن أحمـد ، وأمره أن يقصد بني كلب ، وينتسب إلى محمد بن إسماعيل ، ويـدعوهم إلى الامام من ولده ، فاستجاب له فخذ من بني العليص ومواليهم وبايعوه ، فبعث إلى زكرويه يخبره بمن استجاب له بالشام ، فضم إليه ابن أخيه - فتسمى بالمدثر لقباً ، وبعبد الله اسماً ، وتأول أنه المذكور في القرآن بالمدثر ويقال إن المدثر هذا إسمه عيسى بن مهدي ، وأنه تسمي عبد الله بن أحمـد ابن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ، وعهد إليه صاحب الخـال من بعده ، وغلاماً من بني مهرويه تلقب بالمطوق[2] - وكان سيافاً -

وكتب إلى ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره بالسمع والطاعة اله ، وابن الحجة هذا ادعى أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل

---

(١) شرع المقريزي هنا في تقديم رواية جديدة عن أصل صاحب الجمل زعيم قرامطة الشام الأول .

(٢) مما يثير الانتباه وجود مطوق مع زعيم قرامطة الشام ، ومثيله في اليمن أيضاً.

ابن جعفر الصادق ، وأنكر قوم هذا النسب ، وقالوا إنما اسمه يحيى ابن زكرويه بن مهرويه ، وكنيته أبو القاسم ، ويلقب بالشيخ ويعرف بصاحب الناقة ، وبصاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الخال ، القائم من بعده ، فسار حتى نزل في بني كلب ، فلقيه الحسن بن زكرويه ، وسر به ، وجمع له الجموع ، وقال : « هذا صاحب الامام » ، فامتثلوا أمره ، وسروا به ، فأمرهم بالاستعداد للحرب ، وقال : « قد أظلكم النصر » ففعلوا ذلك .

واتصلت أخبارهم بشبل الديلمي ـ مولى المعتضد ـ في سنة تسع وثمانين فقصدهم ، فحاربوه وقتلوه في عدة من أصحابه بالرصافة من غربي الفرات ، ودخلوا فأحرقوا مسجدها ونهبوا .

وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها إلى أن وردوا أطراف دمشق ، وكان عليها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه ابن أحمد بن طولون ـ فبرز إليهم فهزموه وقتل كثير من أصحابه ، والتجأ إلى دمشق فحصروه وقتلوه .

وكان القرمطي يحضر الحرب على ناقة ، ويقول لأصحابه : ولاتسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فإذا سارت فاحملوا ، فإنه لاترد لكم راية ، إذ كانت مأمورة [١] » . فسمي بذلك : « صاحب الناقة » .

فأقام طغج سبعة أشهر محصوراً بدمشق ، فكتب إلى مصر بأنه محصور

---

(١) اهتم قرامطة الشام ـ أقصد الزعماء ـ باظهار بأن لكل واحد منها علامة تدل عليه ، واستميرت أفكار العلامات من السيرة النبوية ، فهذا صاحب الجمل استمار قصة ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة مهاجراً اليها ، وصاحب الخال استمار فكرة خاتم النبوة فجعله على وجهه...

وقد قتل أكثر أصحابه ، وضرب البلد ، فأنفذ إليه بدر الكبير - غلام ابن طولون المعروف بالحمامي - فسار حتى قرب من دمشق ، فاجتمع هو وطغج على محاربــــة القرمطي بقرب دمشق ، فقتل القرمطي واحتمـى أصحابه وانحازوا ، فمضوا ، وكان [القرمطي] قد ضرب دراهم ودنانير وكتب عليها :

« قل جاء الحق وزهق الباطل »(١) .

وفي الوجه الآخر : « لا إله إلا الله ، « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى »(٢) .

فلما انصرف القرامطة عن دمشق وقد قتل محمد بن عبد الله « صاحب الناقة » بايعوا الحسن بن زكرويه - وهو الذي يقال له أحمد بن عبد الله ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بـن جعفـر الصادق ، ويعرف « بصاحب الخال » - ، فسار بهم ، وافتتح عدة مـدن من الشام ، وظهر على حمص ، وقتل خلقاً ، وتسمى بأمير المؤمنين المهدي على المنابر وفي كتبه ، وذلك في سنة تسع وثمانين وبعض سنة تسعين .

ثم صاروا إلى الرقة ، فخرج إليهم مولى المكتـفي وواقعهـم فهزموه وقتلوه ، واستباحوا عسكره ، ورجعوا إلى [٢٧ - ظ] دمشق وهم ينهبون جميع مايرون به من القرى ، ويقتلون ويسبون ، فخرج إليهم جيش كثيف عليه بشير - غلام طغج - وقاتلهم حتى قتل في خلق من أصحابه .

واتصل ذلك بالمكتــــفي بالله فندب أبا الأغر السلمي - في عشرة آلاف - وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخـر سنة تسعين ،

---

(١) الاسراء ٨١ .
(٢) الشورى ٢٣ .

فسار حتى نزل حلب ، ثم خرج فوافاه جيش القرامطة غفلة يقدمهم المطوق ، فانهزم أبو الأغر ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون ويأسرون حتى حجز بينهم الليل وقد أتوا على عامة العسكر ، ولحق أبو الأغر بطائفة من أصحابه ، فالتجأوا بحلب ، وصار في نحو الألف ، فنازله القرامطة ، فلم يقدروا منه على شيء فانصرفوا . وجمع الحسن بن زكرويه بن مهرويه أصحابه ، وسار بهم إلى حمص ، فخطب له على منابرها ثم سار إلى حماة والمعرة ، فقتل الرجال والنساء والأطفال ، ورجع إلى بعلبك فقتل عامة أهلها ثم سار إلى سلمية فحارب أهلها وامتنعوا منه فأمنهم ، ودخلها فبدأ بمن فيها من بني هاشم ــ وكانوا جماعة ــ فقتلهم ثم كر على أهلها فقتلهم أجمعين ، وخربها ، وخرج عنها وما بها عين تطرف ، فلم يمر بقرية إلا أخربها ، ولم يدع فيها أحداً ، فخرب البلاد وقتل الناس ، ولم يقاومه أحد ، وفنيت رجال طنج ، وبقي في عدة يسيرة ، فكانت القرامطة تقصد دمشق فلا يقاتلهم إلا العامة وقد أشرفوا على الهلكة ، فكثر الضجيج ببغداد ، واجتمعت العامة إلى يوسف بن يعقوب القاضي ، وسألوه إنهاء الخبر إلى السلطان .

ووردت الكتب من مصر إلى المكتفي بخبر قتل عسكرهم الذي خرج إلى الشام بيد القرامطة ، وخراب الشام ، فأمر المكتفي الجيش بالاستعداد ، وخرج إلى مضربه في القواد والجند لاثنتي عشرة خلت من رمضان ، ومضى نحو الرقة بالجيوش حتى نزلها ، وانبثت الجيوش بين حلب وحمص وقلد محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشاً كثيفاً ــ وكان صاحب ديوان العطاء ــ

وعرض الجيش فسار إليهم والتقاهم لست خلون من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً ، فاقتتلوا

قتالاً شديداً حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجال القرامطة فولوا مدبرين .

وكان الحسن بن زكرويه لما أحس بالجيوش اصطفى مقاتلة ممن معه ، ورتب أحوالهم ، فلما انهزم أصحابه ، رحل من وقته ، وتلاحق به من أفلت ، فقال لهم : « أتيتم من قبل أنفسكم وذنوبكم وإنكم لم تصدقوا الله » ، وحرضهم على المعاودة إلى الحرب ، فاعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فقال لهم : « قد كاتبني خلق من أهل بغداد بالبيعة لي ودعاتي بها ينتظرون أمري ، وقد خلت من السلطان الآن ، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد ـ صاحبي ـ وكتبي ترد عليه بما يعمل ، فاسمعوا وأطيعوا » .

فضمنوا ذلك له ، وشخص معه قريبه عيسى بن أخت مهرويه المسمى « بالمدثر » ، وصاحبه المعروف « بالمطوق » ، وغلام له رومي ، وأخذ دليلاً يرشدهم إلى الطريق ، فساروا يريدون سواد الكوفة ، وسلك في البرية وتجنب القرى والمدن حتى صار قريباً من الرحبة بموضع يقال له الدالية ، فأمر الدليل فسار بهم إليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجه بعض من معه لابتياع مايصلحه ، فدخل القرية فأنكر بعض أهلها زيه ، وسأله عن أمره وتلجلج ، فارتاب به وقبض عليه ، وأتي به واليها ـ ويقال له أبو خبزة وكان يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات ـ فسأله أبو خبزة ورهب عليه ، فعرفه أن القرمطي الذي خرج الخليفة المكتفي في طلبه خلف رابية أشار إليها ، فسار الوالي مع جماعة بالسلاح فأخذوهم وشدوهم وثاقاً ، وتوجه بهم إلى ابن كشمرد ، فصار بهم إلى المكتفي ـ وهو بالرقة ـ فشهرهم بالرقة ، وعلى الحسن

ابن زكرويه دراعة ديباج وبرنس حرير ، وعلى المدثر دراعة وبرنس حرير ، وذلك لأربع بقين من المحرم .

وقدم محمد بن سليمان بجيوشه إلى الرقة ـ ومعه الأسرى ـ فخلف المكتفي عساكره مع محمد بن سليمان بالرقة ، وشخص في خاصته وغلمانه وتبعه وزيره [٢٨ ـ و] القاسم بن عبيد الله إلى بغداد ، ومعه القرمطي وأصحابه .

فلما صار إلى بغداد عمل له كرسي سمكه ذراعان ونصف ، وركب على فيل وأركب عليه ، ودخل المكتفي وهو بين يديه مع أصحابه الأسرى ، وذلك ثالث ربيع الأول ، ثم سجنوا .

فلما وصل محمد بن سليمان ببقية القرامطة لاثنتي عشرة خلت منه ، أمر المكتفي القواد بتلقيه والدخول معه ، فدخل في زي حسن وبين يديه نيف وسبعون أسيراً ، فخلع عليه ، وطوق بطوق من ذهب ، وسور سوارين من ذهب ، وخلع على جميع من كان معه من القواد وطوقوا وسوروا .

وأمر [المكتفي] ببناء دكة في الجانب الشرقي مربعة ، ذرعها عشرون ذراعاً في مثلها وارتفاعها عشرة أذرع ، يصعد إليها بدرج ، فلما كان لأربع بقين منه خرج القواد والعامة ، وحمل القرامطة على الجمال إلى الدكة ، وقتلوا جميعاً وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل دون ذلك .

وقدم الحسن بن زكرويه ، وعيسى بن أخت مهرويه إلى أعلى الدكة ، ومعها أربعة وثلاثون إنساناً من وجوه القرامطة ممن عرف بالنكاية ، وكان الواحد منهم يبطح على وجهه ، وتقطع يده اليمنى ، فيرمى بها إلى أسفل

ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويرمى بها ، ثم يضرب عنقه ويرمى بها .

ثم قدم المدثر ففعل به كذلك بعدما كوي ليعذب ، وضربت عنقه

ثم قدم الحسن بن زكرويه فضرب مائتي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه وكوي ، وضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة ، وكبر من على الدكة فكبر الناس وانصرفوا .

وحملت الرؤوس فصلبت على الجسر وصلب بدن القرمطي فمكث نحو سنة .

ومن كتب الحسن بن زكرويه إلى عماله ماهذه نسخته بعد البسملة :

« من عبد الله المهدي المنصور بالله ، الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله [الحاكم بحكم الله] ، الداعي إلى كتاب الله ، الذاب عن حرم الله المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، ومذل المنافقين ، وخليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المستبصرين [وضياء المستضيئين] ، ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة [سيد] المرسلين ، وولد خير الوصيين - صلي [الله] عليه وعلى آله الطيبين وسلم [كثيراً] [1] .

كتاب إلى فلان :

« سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد جدي رسول الله .

---

(١) استعين بضبط هذه بالنصوص السالفة بمواد تاريخ الطبري .

أما بعد :

فقد أنهي إلينا ماحدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، ومافعلوه بناحيتك من الظلم والعيث والفساد في الأرض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ إلى ماهنالك من جيوشنا من ينتقم الله به من أعدائه الظالمين الذين يسعون في الأرض فساداً ، فأنفذنا عطيراً داعيتنا وجماعة من المؤمنين إلى مدينة حمص [وأمددناهم بالعساكر] ، ونحن في إثرهم ، وقد أوعزنا إليهم في المصير إلى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم .

فينبغي أن تشد قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودناه في كل من مرق عن الطاعة ، وانحرف عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الناحية ، وما يتجدد فيها ، ولاتخف عنا شيئاً من أمرها [إن شاء الله] .

«سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »(١) ، وصلى الله على جدي [محمد] رسوله ، وعلى أهل بيته وسلم كثيراً » .

وكانت عماله تكاتبه بمثل هذا الصدد .

وسلم القاسم بن أحمد أبو الحسين ـ خليفة الحسن بن زكرويه ـ فقدم سواد الكوفة إلى زكرويه بن مهرويه ، فأخبره بخبر القوم الذين استخلفهم ابنه عليهم ، وأنهم اضطربوا فخافهم وتركهم ، فلامه زكرويه على قدومه لوماً شديداً ، وقال له : « ألا كاتبتني قبل انصرافك إلي ؟ » . ووجده مع ذلك على خوف شديد من طلب السلطان ومن طلب أصحاب عبدان .

---

(١) يونس ١٠ .

ثم إنه أعرض عن أبي الحسين ، وأنفذ إلى القوم - في سنة ثلاث وتسعين - رجلاً أصحابه - كان معلماً - يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد ويكني بأبي غانم ، فتسمي نصراً ليعمى أمره ، وأمره أن يدور أحياء كلب ويدعوهم ، فدار ودعاهم ، فاستجاب له طوائف من الأصبغيين ، ومن بني [٢٨ - ظ] العليص ، فسار بهم نحو الشام ، وعامل المكتفي بالله يومئذ على دمشق والأردن أحمد بن كيغلغ ، وهو بمصر في حرب ابن الخليج (٢) ، فاغتنم ذلك محمد بن عبد الله المعلم ، وسار إلى بصرى وأذرعات فحارب أهلها ، وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسار يريد دمشق ، فخرج إليه جيش مع صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كيغلغ ، فظهروا عليه ، وقتلوا عسكره ، وأسروه فقتلوه وهموا بدخول دمشق فدافعهم أهلها ، فمضوا إلى طبرية ، فكانت لهم وقعة على الأردن غلبوا فيها ، ونهبوا طبرية ، وقتلوا وسبوا النساء .

فبعث المكتفي بالحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد ، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فساروا نحو السماوة ، وتبعهم ابن حمدان في البرية ، فأخذوا يغورون ما يرتحلون عنه من الماء ، فانقطع [ابن حمدان] عنهم لعدم الماء ، ومال نحو رحبة مالك بن طوق ، فأسرى القرامطة إلى هيت ، وأغاروا عليها لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ونهبوا الربض والسفن التي في الفرات ، وقتلوا نحو مائتي إنسان.

ثم رحلوا بعد يومين بما غنموه ، فأنفذ المكتفي إلى هيت محمد بن إسحاق بن كنداج في جماعة من القواد بجيش كثيف ، وأتبعه بمؤنس ،

---

(١) انظر خبر ثورة ابن الخليج في ولاة الكندي : ٢٥٨-٢٦٣ .

فإذا هم قد غوروا المياه ، فأنفذ إليهم من بغداد بالروايا والزاد ، وكتب إلى ابن حمدان بالنفوذ إليهم من الرحبة .

فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم المعلم ، ووثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله ، وشخص إلى بغداد متقرباً بذلك ، فأسنيت له الجائزة ، وكف عن طلب قومه ، وحمل رأس القائم المسمى بنصر المعلم إلى بغداد .

ثم إن قوماً من بني كلب أنكروا فعل الذئب وقتله المعلم ، ورضيه آخرون ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وافترقوا فرقتين ، فصارت الفرقة التي رضيت قتل المعلم إلى عين التمر ، وتخلفت الأخرى ، وبلغ ذلك زكرويه ـ وأحمد بن القاسم عنده ـ فرده إليهم ، فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال : « أنا رسول وليكم ، وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم ، وانكم قد ارتددتم عن الدين » فاعتذروا ، وحلفوا ماكان ذلك بمحبتهم ، وأعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب ، فقال لهم : « قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، يقول لكم وليكم : قد حضر أمركم ، وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفاً ، ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم [الذي] ذكره الله [في شأن موسى ﷺ وعدوه فرعون إذ يقول : « موعدكم][1] يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى[2] » فأجمعوا أمركم ، وسيروا الى الكوفة ، فإنه لادافع لكم عنها ، ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي»

فسروا بذلك ، وارتحلوا نحو الكوفة ، فنزلوا دونها بستة وثلاثين

---

(١) أضيف مابين الحاصرتين مما تقدم في نص ثابت بن سنان ، وبه يستقيم السياق .

(٢) طه ٥٩ .

ميلاً قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ، فخلفوا هناك الخدم والأموال ، وأمرهم أن يلحقوا به على ستة أميال من القادسية .

ثم شاور الوجوه من أصحابه في طروق الكوفة أي وقت ، فاتفقوا على أن يكمنوا في النجف ، فيريحوا الخيل والدواب ، ثم يركبوا عمود الصبح فيشنوها غارة والناس في صلاة العيد .

فركبوا وساروا ، ثم نزلوا فناموا ، فلم يوقظهم الا الشمس يوم العيد لطفاً من الله بالناس ، فلم يصلوا الى الكوفة إلا وقد انقضت الصلاة ، وانصرف الناس وهم متبددون في ظاهر الكوفة ، ولأمير البلد طلائع تتفقد ، وكان قد أرجف في البلد بحدوث فتن فأقبلوا ودخلت خيل منهم الكوفة ، فوضعوا السيف وقتلوا كثيراً من الناس وأحرقوا ، فارتجت الكوفة ، وخرج الناس بالسلاح ، وتكاثروا عليهم يقذفونهم بالحجارة ، فقتلوا منهم عدة ، وأقبل بقيتهم فخرج إليهم إسحق بن عمران [١] في يسير من الجند ، وتلاحق به الناس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً في يوم صائف شديد الحر فانصرف القرامطة مكدودين ، فنزلوا على ميلين من الكوفة ، ثم ارتحلوا عشاء نحو سوادهم ، واجتازوا بالقادسية وقد تأهبوا لحربهم ، فانصرفوا عنها ، وبعث أمير الكوفة بخبر ذلك إلى بغداد .

وسار القرامطة إلى سواد الكوفة ، فاجتمع [٢٩ ـ و] أحمد بن القاسم بزكرويه بن مهرويه ـ وكان مستتراً ـ فقال للعسكر : « هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذي تنتظرونه » فترجل الجميع وألصقوا خدودهم بالأرض ، وضربوا لزكرويه مضرباً عظيماً ، وطافوا به ، وسروا

---

(١) عامل الكوفة .

ss

سروراً عظيماً ، واجتمع إليهم أهل دعوته من السواد ، فعظم الجيش جداً .

وسير المكتفي جيشاً عظيماً ، فساروا بالأثقال والبنود والبزاة على غير تعبئة مستخفين بالقوم ، فوصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم ، فلقيهم القرامطة وقاتلوهم وهزموهم ، ووضعوا فيهم السيوف ، فقتل الأكثر ، ونجا الأقل إلى القادسية ، فأقاموا في جمع الغنائم ثلاثاً ، فكان من قتل من الجيش نحو الألف وخمسمائة ، فقويت القرامطة بما غنموا ، وبلغ المكتفي فخاف على الحاج ، وبعث محمد بن إسحاق بن كنداج لحفظ الحاج ، وطلب القرامطة ، وضم إليه خلقاً عظيماً .

فسار القرامطة وأدركوا الحاج ، فأخذوا الخراسانية لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة أربع وتسعين ، ووضعوا فيهم السيف وقتلوا خلقاً عظيماً ، واستولى زكرويه على الأموال وقدم ابن كنداج فأقام بالقادسية - وقد أدركه من هرب من حاج خراسان - وقال : « لا أغرر بجيش السلطان » وقدمت قافلة الحاج الثانية والثالثة ، فقاتلوا القرامطة قتالاً شديداً حتى غلبوا ، وقتل كثير من الحاج ، واستولوا على جميع ما في القافلة ، وأخذوا النساء ، ولم يطلقوا منهم الا من لاحاجة لهم فيها ، ومات كثير من الحاج عطشاً ، ويقال انه هلك نحو من عشرين ألفاً ، فارتجت بغداد لذلك .

وأخرج المكتفي الأموال لإنفاذ الجيوش من الكوفة - لاحدى عشرة بقيت من المحرم وخزائن السلاح ورحل زكرويه فلم يدع ماء الا طرح فيه جيف القتلى ، وبث الطلائع فوافته القافلة التي فيها القواد والشمسة [1] - وكان المعتضد جعل فيها جوهراً نفيساً - ومعهم الخزانة

(١) العائدة للكعبة .

ووجوه الناس والرؤساء ومياسير التجار ، وفيها من أنواع المال مايخرج عن الوصف ، فناهضهم زكرويه بالهبير [١] ، وقاتلهم يومه ، فأدركتهم قافلة العمرة ، وكان المعتمرون يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج ويخرجون اذا دخل المحرم ، وينفردون قافلة ، وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس وقاتلوا يومهم وقد نفذ الماء ، فملك القافلة ، وقتل الناس ، وأخذ مافيها من حريم ومال وغيره ، وأفلت ناس فمات أكثرهم عطشاً ، وسار فأخذ أهل فيد [٢] .

وأما بغداد فإنه حصل بها وبالكوفة وجميع العراق مصاب بحيث لم يبق دار الا وفيها مصيبة ، وعبرة سائلة ، وضجيج وعويل ، واعتزل المكتفي النساء هماً وغماً ، وتقدم بالمسير خلف زكرويه ، وأنفذ الجيوش فالتقوا مع زكرويه لسبع بقين من ربيع الأول ، فاقتتلوا قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان حتى انهزم زكرويه ومن معه ، وأسر منهم خلق كثير وطرحت النار في قبته ، فخرج من ظهرها ، وأدركه رجل فضربه حتى سقط الى الأرض ، فأدركه رجل يعرفه . فأركبه نجيباً فارهاً ، وسار به الى نحو بغداد ، فمات من جراحات كانت به ، وصبر وأدخل به الى بغداد فشهر كذلك ، ومعه حرمه وحرم أصحابه وأولادهم والأسرى ورؤوس من قتل بين يديه في الجوالقات [٣] ، ومات خبر القرمطة بموت زكرويه ودعوتهم ذكرها شائع .

---

(١) محطة من محطات طريق الحج بين العراق والحجاز ـ انظرها في معجم البلدان .

(٢) بلدة كانت قائمة على منتصف طريق حجاج العراق من الكوفة إلى مكة ـ معجم البلدان .

(٣) أي الأوعية ـ القاموس .

فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من السواد من الفلط [١] يعرف بأبي حاتم الفلطي ، فقصد أصحاب البوراني داعيا - وهم يعرفون بالبورانية - وحرم عليهم الثوم والبصل والكراث والفجل ، وحرم عليهم إراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم أن يتمسكوا بمذهب البوراني ، وأمرهم بما لا يقبله إلا أحمق ، وأقام فيهم نحو سنة ، ثم زال، فاختلفوا بعده ، فقالت طائفة : « زكرويه بن مهرويه حي ، وإنما شبه على الناس به » . وقالت فرقة : « الحجة لله محمد بن إسماعيل » .

ثم خرج رجل من بني عجل قرمطي يقال له محمد بن قطبه، فاجتمع عليه نحو مائة رجل ، فمضى بهم نحو واسط ، فنهب وأفسد فخرج إليه آمر الناحية ، فقتلهم وأسرهم .

ثم خمدت أحوال القرامطة إلى أن تحرك أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي ، وعمل على أخذ البصرة سنة عشر [٢٩ - ظ] وثلاثمائة ، فعمل سلالم عراضا يصعد كل مرقاة اثنان بزرافين [٢] ، إذا اجتمع إليها نصبت ، وتخلع إذا حملت ، فرحل يريد البصرة ، فلما قاربها فرق السلاح ، وحشى الغرائر بالرمل ، وحملها على الجمال ، فسار إلى السور قبل الفجر ، فوضع السلالم ، وصعد عليها قوم ، ونزلوا فوضعوا السيف وكسروا الأقفال ، فدخل الجيش ، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول في الأبواب ليمنع من غلقها ، وبدر لهم الناس ومعهم

---

(١) الزنوج ذوي الأصل الهنـدي Jet ، جلب المسلمون أعداداً كبيرة منهم أيام الفتوحات في العصر الأموي ، وأسكنوهم في السواد للعمل في المزارع ، وقد تحركوا في أكثر من ثورة في العصر العباسي .

(٢) الزرفين حلقة الباب ، وفي الحديث : كانت درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات زرافين ، إذا علقت بزرافينها سترت - اللسان .

الأمير ، فأقاموا النهار يقتتلون حتى حجز بينهم الظلام ، فخرجوا وقد قتل من الناس مقتلة عظيمة ، فباتوا ثم باكروا البلد فقتلوا ونهبوا .

ثم رحلوا إلى الأحساء ، فأنفذ السلطان عسكرا ـ وكان أبو الهجاء عبد الله بن حمدان قد قلد أعمال الكوفة والسواد وطرق مكة ـ فدخل في أثرهم وأسر منهم وعاد .

فلما قدمت قوافل الحاج واعترضها أبو طاهر القرمطي فقتل منهم ، وأدركهم ابو الهيجاء بن حمدان بجيوش كثيرة ، فحملت القرامطة عليهم فهزموهم ، وأخذ أبو الهيجاء أسيرا ، فلما رآه أبو طاهر تضاحك وقال له : « جئناك عبد الله ، ولم نكلفك قصدنا » . فتلطف له أبو الهجاء حتى استأمنه ، وأمر بتمييز الحاج ، وعزل الجمالين والصناع ناحية ، فأخذوا مـا مع الحاج وخلوهم ، فردوا بشر حال في صورة الموتى ، ورحل من الغد من بعد أن أخذ من أبي الهجاء وحده نحو عشرين ألف دينار مع أموال لاتحصى كثرة ، ثم أطلق أبا الهجاء بعد أشهر ، فورد بغداد .

فلما كان في سنة اثنتي عشر وثلاثمائة خرج من بغداد جيش كثيف لحفظ الحاج ، فلقيهم لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة ، فناوشه الناس وانكفأ راجعاً ، ثم باكرهم بالقتال وخرجب إليه جيوش السلطان ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل قوادهم وكثيراً من العامة ، ونهب البلد إلى العشرين منه ، فرحل من البلد .

فلما كان في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج القرمطي من بلده لقتال ابن أبي الساج ، وقد كان السلطان أنزله في جيش كبير بواسط ليسير إلى القرمطي ، فاستصعب مسيره لكثرة من معه ، وثقل عليه سيره في أرض قفر ، فاحتال على القرمطي ، وكاتبه باظهار المواطأة ، وأطمعه في أخذ بغداد ومماضدته ،

فاغتر بـــذلك ، ورحل بعيال وحشم وأتباع ، وجيشه على أقوى مايمكنه ، وأقبل يريد الكوفة .

ورحل ابن أبي الساج بجيشه عن واسط إلى الكوفة ، وقد سبقه القرمطي ، ودخلها لسبع خلون من شوال ، فاستولى عليها ، وأخذ منها الميرة ، وأعد مايحتاج إليــــه ، وأقبل ابن أبي الساج على غير تعبئة ، وعبر مستهينا بأمر القرمطي مستحقراً له ، ثم واقعه وهو في جيش يضيق عنه موضعه ، ولا يملك تدبيره ، وقد تفرق عنه عسكره ، وركبوا ـ من نهب القرى وأذى الناس وإظهار الفجور ـ شيئاً كثيراً ، فأقبل إليه القرمطي وقاتله ، فانهزمت عساكر ابن أبي الساج بعدما كثرت بينهما القتلى والجراح ، فقتلوا الناس قتلا ذريعاً حتى صاروا في بساط واحد نحو فرسخين أو أربع ، واحتوى على عسكره ، ونهب الأكرة من أهل السواد ماقدروا عليه ، وأقام أربعين يوماً ، وخرج بعد أن يئس من مجيء عسكر إليه ، فقصد بغداد ، ونزل بسواد الأنبار ، وعبر الفرات إلى الجانب الغربي ،وتوجه بين الفرات ودجلة يريد بغداد ، فجيش الجيش إليه ، وسار مؤنس حتى نازله على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وقاتل القرامطة قتالا شديداً ، وورد كتاب المقتدر يأمر مؤنسا بمعاجلته القتال ، ويذكر ما لزم من صرف الأموال إلى وقت وصوله .

فكتب إليه : « إن في مقدمنا ـ أطال الله بقاء مولانا ـ نفقة المال ، وفي لقائنا نفقة الرجال ، ونحن أحرياء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال » .

ثم أنفذ إلى القرمطي يقول له :

« ويلك ، ظننتني كمن لقيك أبرز لك رجالي ، والله ما يسرني أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابي ، ولكني أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذاً بيدي إن شاء الله » .

SS

وأنفذ يلبق في جيش للايقاع بمن في قصر ابن هبيرة ، فعظم ذلك على القرمطي فاضطرب ، [٣٠ ـ و] وأخذ أصحابه يحتالون في الهرب ، وتركوا مضاربهم ، فنهب مؤنس ما خلفوه ، وسار جيش القرمطي من غربي الفرات ، وسار مؤنس من شرقيه، إلى أن وافى القرمطي الرحبة،ومؤنس يحتال في ارسال زواريق فيها فاكهة مسمومة ، فكان القرامطة يأخذونها ، فكثرت الميتة فيهم ، وكثر بهم الذرب ، وظهر جهدهم ، فكروا راجعين وقد قل الظهر معهم ، فقاتلوا أهل هيت وانصرفوا مفلولين ، فدخل الكوفة على حال ضعف وجراحات وعلل ـ لثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ـ فأقام بها إلى مستهل ذي الحجة ، ولم يقتل ولا نهب ، ثم رحل .

فلما كان في سنة سبع عشرة رحل بجيشه ، فوافى مكة لثمان خلون من ذي الحجة ، فقتل الناس في المسجد قتلا ذريعا ، ونهب الكعبة ، وأخذ كسوتها وحليها ، ونزع الباب وستاره ، وأظهر الاستخفاف به ، وقلع الحجر الأسود وأخذه معه ـ وظن أنه مغناطيس القلوب ـ ، وأخذ الميزاب أيضاً .

وعاد إلى بلده في المحرم سنة ثماني عشرة وقد أصابه كد شديد ، وقد أخذ ستة وعشرين ألف حمل جمل ، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار ، واستملك من النساء والغلمان والصبيان ما ضاق بهم الفضاء كثرة ، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة حتى عدل به دليل إلى غير الطريق المعروف إلى بلده .

فلما كان في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة سار إلى الكوفة ، فعاث عسكره في السواد، وأسروا خلقاً، وأشتروا أمتعة ،ورجعوا ـ بعد خمسين ليلة أقاموا بها ـ إلى بلدهم .

وبعث أبو طاهر سرية في البحر نحو أربعين مركبا فوضعوا السيف في الساحل ، ولم يلقوا أحداً إلا قتلوه ـ من رجل وامرأة وصبي ـ فما نجا منهم

إلا من لحق بالجبال ، وسبوا النساء ، واجتمع الناس ، فقتلوا منهم - في الحرب معهم - خلقاً كثيراً ، وأسروا جماعة ، ثم تحاملوا عليهم ، وتباروا بالشهادة ، وجدوا ، فقتلوا أكثرهم ، وأخذوا جميع من بقي أسرا بحيث لم يفلت منهم أحد ، وحملت الأسرى إلى بغداد مع الرءوس - وهم نحو المائة رجل ومائة رأس - فحبسوا ببغداد .

ثم خلصوا وصاروا إلى أبي طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يراسلون إليهم ، بما يتقربون به إليهم ، وكان سبب خلاصهم مكاتبه جرت بينهم بالمهادنة على أن يردوا الحجر الأسود ، ويطلقوا الأسرى ، ولا يتعرضوا الحاج ، فجرى الأمر على ذلك .

ودخل القرمطي - في سنة ثلاث وعشرين - إلى الكوفة ، والحاج قد خرج في ذي القعدة ، وعاد الحاج إلى الكوفة ، ولم يقدروا على مقاومته ، فظفر بمن ظفر منهم ، فلم يكثر القتل ، وأخذ ما وجد .

وبلغ القرمطي أن رجلا من أصحابه قال: « والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الأرض وغربها ، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء ، وما يفوز بأكثر أموالهم إلا الأعراب والشذاذ من الناس ، فلو أنه حين ظفر بهم دعاهم إلى أن يؤدي كل رجل منهم دينار ويطلقهم ويؤمنهم ، لم يكره ذلك منهم أحد ، وخف عليهم وسهل ، وحج الناس من كل بلد ، لأنهم ظمأى إلى ذلك جداً ، ولم يبق ملك إلا كاتبه وهاداه واحتاج إليه في حفظ أهل بلده وخاصته ، وجاء في كل سنة من المال مالا يصير لسلطان مثله على الخراج ، واستولى على الأرض وانقاد له الناس ؛ وإن منع من ذلك سلطان اكتسب المذمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج .

فاستصوب القرمطي هذا الرأي ، ونادى من وقته في الناس بالأمان

وأحضر الخراسانية ، فوطأ أمرهم على أنهم يحجوا ويؤدوا اليه المال في كل سنة ، ويكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم ، وأخرج أهل مصر أيضاً عن الحاج ضرائب من مال السلطان ، ثم ولى تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولامنقصة ، فصار لهم على الحاج رسماً بالكوفة .

فلما كانت سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة ، وقبض على شفيع اللؤلؤي ـ أميرها ـ بأمان ، فبعثه إلى السلطان [٣٠ ـ ظ] يعرفه أنهم صعاليك لابد لهم من أموال ، فإن أعطاهم مالاً لم يفسدوا عليه ، وخدموه فيما يلتمسه ، وإلا فلا يجدوا بداً من أن يأكلوا بأسيافهم ، وبر [أبو طاهر] شفيعاً ووصله ، فوصل شفيع إلى السلطان وعرفه ، فبعث إليهم رجلاً فناظر القرمطي ، وملأ صدره من السلطان وأتباعه ، فزاده انكساراً ، وسار عن البلد ، فابتلاه الله بالجدري وقتله فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر .

فلما كان في سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس ، فحملوا الحجر الأسود إلى الكوفة ، ونصبوه فيها على الاسطوانة بالجامع .

وكان قد جاء عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ الملقب زين العابدين [١] ـ : « إن الحجر الأسود يعلق في مسجد الجامع بالكوفة في آخر الزمان » .

ثم قدم به سنبر بن الحسن بن سنبر إلى مكة ـ وأمير مكة معه ـ فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط كان به مصوناً ، وعلى الحجر ضباب فضة قد عملت عليه ، تأخذه طولاً وعرضاً ، تضبط شقوقاً حدثت

---

(١) كذا والمشهور بلقب زين العابدين هو علي بن الحسين ، لا محمد ابنه الذي شهر بلقب الباقر . انظر الأئمة الاثنا عشر لابن طولون : ٧٥ - ٨١ .

فيه بعد انقلاعه ، وكان قد أحضر له صانع معه جص يشد به الحجر ، وحضر جماعة من حجبة البيت ، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده في موضعه ـ ومعه الحجبة ـ وشده الصانع بالجص ـ بعد وضعه ـ وقال لما رده : « أخذناه بقدرة الله ، ورددناه بمشيئته » ونظر الناس إليه وقبلوه ولمسوه ، وطاف سنبر بالبيت .

وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

وكان رده يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي الحجة ـ يوم النحر ـ سنة تسع وثلاثين .

فكانت مدة كينونته عند الجنابي وأصحابه اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام .

وكان في سنة ست عشرة وثلاثمائة قد تحركت القرامطة بسواد الكوفة عند انصراف أبي طاهر القرمطي عن بغداد إلى نحو الشام ، وتداعوا إلى الاجتماع في دار هجرتهم فكثروا ، وكبسوا نواحي واسط وقتلوا خلقاً كثيراً ، وملكوا ماحواه العسكر هناك من سلاح وغيره ، فقوي أمرهم ، وسار بهم عيسى بن موسى والحجازي ـ وهما داعيان ـ وكان الحجازي بالكوفة يبيع الخبز ، فصحب يزيد النقاش ، واجتمع عليها غلمان ، وساروا فنهبوا وأخافوا ، والبلد ضعيف لاتصال الفتن وتخريب البوراني لسواده وضعف يد السلطان ، وطالبوا جميع أهل السواد بالرحيل إليهم ، فاجتمعوا نحو العشرة آلاف وفرقوا العمال ، ورحلوا إلى الكوفة فدخلوها عنوة ، وهرب واليها ، وولوا على خراجها وعلى حربها ، وأحدثوا في الأذان مالم يكن فيه ، فأنفذ السلطان إليهم جيشاً فواقعهم فانهزموا ،

وقتل منهم مالايحصى ، وغرق منهم وهرب الباقون ، وحملت الأسرى إلى بغداد فقتلوا وصلبوا ، وحبس عيسى بن موسى مدة ثم تخلص بغفلة السلطان وحدوث الفتن آخر أيام المقتدر ، فأقام ببغداد يدعو الناس ووضع كتباً نسبها إلى عبدان الداعي ، نسبه فيها إلى الفلسفة ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، فصار له أتباع ، وأفسد فساداً عظيماً ، وصار له خلفاء من بعده مدة .

وأما خراسان فقدم إليها بالدعوة أبو عبد الله الخادم ، فأول ماظهرت بنيسابور ، فاستخلف عند موته أبا سعيد الشعراني ، وصار منهم خلق كثير هناك من الرؤساء وأصحاب السلاح .

وانتشرت في الري من رجل يعرف بخلف الحلاج ، وكان يحلج القطن فعرفت بها طائفته بالخلفية ، وهم خلق كثير ، ومال إليهم قوم من الديلم وغيرهم ، وكان منهم أسفاراً [1] فلما قتل مرداويج أسفاراً عظمت شوكة القرامطة في أيامه بالري وأخذوا يقتلون الناس غيلة حتى أفنوا خلقاً كثيراً .

ثم خرج مرداويج إلى جرجان لقتال نصر بن أحمد الساماني ، فنصر عليهم وقتلهم مع صبيانهم ونسائهم حتى لم يبق منهم أحد ، وصار بعضهم إلى مفلح - غلام ابن أبي الساج - فاستجاب له ، ودخل في دعوته .

فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، استعد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة لقتال من يرد عليه من قبل جوهر القائد ، فورد عليه

---

(١) ابن شيرويه سبقت الاشارة اليه وأنه مع مرداويج نرى في سيرتهما مقدمة قيام دولة آل بويه من الديلم . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣١٧-٣١٨ .

الخبر بأن [٣١ - و] القرامطة تقصده ، ووافت الرملة فهزموا الحسن ابن عبيد الله ، ثم جرى بينهم صلح ، وصاهر إليهم في ذي الحجة منها ، فأقام القرمطي بظاهر الرملة ثلاثين يوماً ورحل .

وسار جعفر بن فلاح من مصر فهزم الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وقتل رجاله ، وأخذه أسيراً ، فسار إلى دمشق فنزل بظاهرها ، فمنعه أهل البلد وقاتلوه قتالاً شديداً ، ثم إنه دخلها بعد حروب ، وفر منه جماعة - منهم ظالم بن موهوب العقيلي ، ومحمد بن عصودا - فلحقا بالأحساء إلى القرامطة ، وحثوهم على المسير إلى الشام ، فوقع ذلك منهم بالموافقة ، لأن الاخشيدية كانت تحمل إليهم في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، فلما صارت عساكر المعز إلى مصر مع جوهر ، وزالت الدولة الاخشيدية انقطع المال عن القرامطة[1] بعد أن بعثوا عرفاءهم لجمع العرب ، فنزلوا الكوفة وراسلوا السلطان ببغداد ، فأنفذ إليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ، ورحلوا إلى الرحبة - وعليها أبو تغلب - فحمل إليهم العلوفة والمال الذي كتب به لهم .

وجمع جعفر بن فلاح أصحابه واستمد لحربهم ، فتفرق الناس عنه إلى مواضعهم ، ولم يفكروا بالموكلين على الطرق ، وكان رئيس القرامطة الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ، فبعث إليه أبو تغلب يقول : « هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنا مقيم في هذا الموضع الي أن يرد علي خبرك ، فإن احتجت الى مسيري سرت اليك » ، ونادى في عسكره :

---

(١) كان مكان عبارة القرامطة بياض بالأصل ، وقد اضيفت اعتماداً على ما أورده المقريزي في ترجمة الأعصم التالية .

« من أراد المسير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه ، فقد أذنا له في المسير ، والعسكران واحد» فخرج الى عسكر القرمطي جماعة من عسكر أبي تغلب ، وفيهم كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر ، صاروا اليه - لما دخل جوهر - من مصر وفلسطين ، وكان سبب هذا الفعل من أبي تغلب أن جعفر بن فلاح كان قد أنفذ اليه من طبرية داعياً يقال له أبو طالب التنوخي - من أهل الرملة - يقول له : « اني سائر اليك فتقيم الدعوة » ، فقال له أبو تغلب - وكان بالموصل - : « هذا مالا يتم لأنا في دهليز بغداد ، والعساكر قريبة منا ، ولكن اذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ماذكرتم » فانصرف من عنده على غير شيء وبلغ ذلك القرمطي فسره وزاده قوة ، وسار عن الرحبة ، فأشار أصحاب جعفر - لما قارب القرامطة دمشق - أن يقاتلهم بطرف البرية ، فخرج اليهم وواقعهم ، فانهزم ، وقتل لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

ونزل القرمطي ظاهر المزة فجبي مالاً ، وسار يريد الرملة - وعليها سعادة بن حيان - فالتجأ الى يافا ، ونزل عليه القرمطي ، وقد اجتمعت اليه عرب الشام وأتباع من الجند ، فناصبها القتال حتى أكل أهلها الميتة ، وهلك أكثرهم جوعاً ثم سار عنها ، وترك على حصارها ظالم العقيلي وأبا المنجا بن منجا [1] ، وأقام القرامطة الدعوة للمطيع لله العباسي في

---

(١) جاء في حاشية الأصل طرة تعرف بابن منجا نصها مايلي :

« أبو المنجا : هو عبد الله بن علي بن المنجا ، أحد أصحاب أبي علي الحسين بن أحمد ابن الحسين بن بهرام القرمطي المنعوت بالأعصم ، وكان يرجع اليه لرأيه وسياسته ، واستخلفه على دمشق حين رحل الى الأحساء بعد انهزامه من أبي محمود ابراهيم بن جعفر الكتامي ، فقصده ظالم بن موهوب العقيلي من بعلبك براسلة ، فاستأمن الى ظالم عدة من أصحاب=

كل بلد فتحوه ، وسودوا أعلامهم ، ورجعوا عما كانوا يخرقون بـه ، وأظهروا أنهم كأمراء النواحي الذين من قبل الخليفة العباسي .

ونزل على مصر أول ربيع الأول سنة احدى وستين وثلاثمائـــة ، فقاتله جوهر على الخندق وهزمه ، فرحل الى الأحساء .

وأنفذ جوهر جيشاً نحو يافا فملكها ، ورحل المحاصرون لها الى دمشق ونزلوا بظاهرها ، فاختلف ظالم العقيلي وأبو المنجا يسبب الخراج ، فكان كل منهما يريد أخذه للنفقة في رجاله ، وكان أبو المنجا أثيراً عند القرمطي يولج اليه أموره ، ويستخلفه على تدبيره .

ورجع الحسن بن أحمد القرمطي من الأحساء فنزل الرملة ولقيـه أبو المنجا وظالم ، وبلغه ماجرى بينهما من الاختلاف ، فقبض على ظالم واعتقله مدة ثم خلى عنه .

وطرح القرمطي مراكب في البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، وسيرهـا إلى تنيس وغيرها من سواحل مصر ، وجمع من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهب للمسير إلى مصر ، هذا بعد أن كان القرامطة أولاً يخرقون بالمهدي ويوهمـون أنه صاحب المغرب ، وأن دعوتهـم إليه ، ويراسلون الامام المنصور [٣١ - ظ] إسماعيل بن محمد القائم بن عبد الله المهدي ، ويخرجون إلى أكابر أصحابهم أنهم من أصحابه إلى أن افتضح كذبهم بمحاربة القائد جوهر لهم ، وقتله كثيراً منهم ، وكسره القبة التي كانت لهم .

فلما نزل المعز لدين الله القاهرة عندما قدم من المغرب وقـد تيقن أخبار القرامطة كتب إلى الحسن بن أحمد القرمطي كتاباً عنوانه :

=أبي المنجا لمنعه عنهم العطاء وقلة ماله ، فأسره ظالم يوم السبت لعشر خلون من رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وجهزه أبو محمود هو وابنيه في قفصين الى مصر فحبسا بها » .

« من عبد الله ووليه ، وخيرته وصفيه ، معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل علي أفضـــل الوصيين إلى الحسن بن أحمد » :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسوم النطقاء ، ومذاهب الأئمة والأنبياء ، ومسالك الرسل والأوصياء السالف والآنف منا ، صلوات الله علينا وعلى آبائنا ، أولي الأيدي والأبصار في متقدم الدهور والأكوار ، وسالف الأزمان والأعصار ، عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله .

الابتداء بالإعذار والانتهاء بالإنذار ، قبل إنفاذ الأقدار ، في أهل الشقاق والآصار ، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسب ماقال الله جل وعز : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » [1] و « إن من أمة إلا خلا فيها نذير » [2] . وقوله سبحانه : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين [3] » .

« فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق » [4] .

أما بعد ، أيها الناس فإنا نحمد الله بجميع محامده ، ونمجده بأحسن

---

(١) الاسراء ١٥ .
(٢) فاطر ٢٤ .
(٣) يوسف ١٠٨ .
(٤) البقرة ١٣٧ .

ماجده ، حمداً دائماً أبداً ، ومجداً عالياً سرمداً ، على سبوغ نعمائه ، وحسن بلائه ، ونبتغي إليه الوسيلة بالتوفيق ، والمعونة على طاعتـــه ، والتسديد في نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد منه إتمام الصلوات ، وإفاضات البركات ، وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتجبين الذين قضوا « بالحق وكانوا به يعدلون »[1] .

أيها الناس : « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها »[2] ليذكر من يذكر ، وينذر من أبصر واعتبر .

أيها الناس : إن الله جل وعز إذا أراد أمراً قضـاه ، وإذا قضـاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحاً ، وأبرزنا أرواحاً ، بالقدرة مالكين ، وبالقدرة قادرين ، حين لاسماء مبنية ، ولاأرض مدحية ، ولاشمس تضيء ، ولاقمر يسري ، ولاكوكب يجري ، ولاليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق ، ولاجناح يخفق ، ولاليل ولانهار ولافلك دوار ولاكوكب سيار .

فنحن أول الفكرة ، وآخر العمل ، بقدر مقدور ، وأمر في القدم مبرور ، فعند تكامل الأمر وصحة العزم ، وإنشاء الله ـ جل وعز ـ المنشآت ، وإبداء الأمهـات من الهيولات ، طبعنـا أنواراً وظلمـــاً ، وحركة وسكونا .

وكان من حكمه السابق في علمه ماترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ، ومافي الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات

---

(١) الاعراف ١٨١ .

(٢) الانعام ١٠٤ .

ومافي الأقطار من الآثار ، ومافي النفوس من الأجناس والصور والأنواع من كثيف ولطيف ، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ودان وشاسع ، وهابط وطالع .

كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا ، وإشارة إلينا ، يهدي به الله من كان [له] لب سجيح ، ورأى صحيح ، قد سبقت له منا الحسنى[١] فدان بالمعنى .

ثم إنه - جل وعلا - أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم ، آدم وحوا أبوين ذكرا وأنثي ، سبباً لإنشاء البشرية ، ودلالة لإظهار القدرة القوية ، وزاوج بينهما فتوالد الأولاد ، وتكاثرت الأعداد ، ونحن ننتقل في الأصلاب الزكية ، والأرحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلم ، وهلم جرا إلى آخر الجد الأول ، والأب الأفضل سيد المرسلين ، وإمام النبيين ، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه ، وبان غناؤه ، وأباد المشركين ، وقصم الظالمين ، وأظهر الحق ، واستعمل الصدق ، وظهر بالأحدية ، ودان بالصمدية ، فعندها سقطت الأصنام ، وانعقد الاسلام ، وانتشر الإيمان ، وبطل السحر والقربان ، وهدمت الأوثان ، وأتي [٣٢-و] بالقرآن ، شاهداً بالحق والبرهان ، فيه خبر ماكان ومايكون إلى يوم الوقت المعلوم ، منبئاً عن كتب تقدمت ، في صحف قد تنزلت ، تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة ونورا « وسراجاً منيراً »[٢] .

وكل ذلك دلالات لنا ، ومقدمات بين أيدينا ، وأسباب لإظهار أمرنا

---

(١) انظر الآية ١٠١ من سورة الانبياء .

(٢) الاحزاب ٤٦ .

هدايات وآيات وشهادات ، وسعادات قدسيات ، إلهيات أزليات ، كائنات منشآت ، مبدئات معيدات ، فما من ناطق نطق ، ولا نبي بعث ، ولا وصي ظهر ، إلا وقد أشار إلينا ، ولوح بنا ، ودل علينا في كتابه وخطابه ومنار أعلامه ، ومرموز كلامه ، فيا هو موجود غير معدوم ، وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع الندا ، وشاهد ورأى ، من الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو نسي ، أو ضل أو غوى ، فلينظر في الكتب الأولى ، والصحف المنزلة ، وليتأمل آي القرآن ، ومافيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر إن كان لايعلم ، فقد أمر الله عز وجل بالسؤال ، فقال : « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون [١] » .

وقال سبحانه وتعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون [٢] » .

ألا تسمعون قول الله حيث يقول : « وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون [٣] .

وقوله تقدست أسماؤه : « ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » [٤]

وقوله له العزة : « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا به كبر على المشركين ماتدعوهم إليه [٥] » .

---

(١) النحل ٤٣
(٢) التوبة ١٢٢ .
(٣) الزخرف ٢٨ .
(٤) آل عمران ٣٤ .
(٥) الشورى ١٣ .

ومثل ذلك في كتاب الله تعالى جده كثير ، ولولا الإطالة لأتينـا على كثير منه .

ومما دل به علينا ، وأنبأ به عنا ، قوله عز وجل :

« كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثـال للناس والله بكل شيء عليم [١] .

وقوله في تفضيل الجد الفاضل والأب الكامل محمد ـ صلى الله عليـه وعليه السلام ـ اعلاماً بجليل قدرنا ، وعلو أمرنا : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم » [٢] .

هذا مع ما أشار ولوح ، وأبان وأوضح ، في السر والاعلان ، من كل مثل مضروب ، وآية وخبر واشارة ودلالة ، حيث يقول : وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون » [٣] . وقال سبحانـــه وتعالى : « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليـــل والنهار لآيات لأولي الألباب [٤] » .

وقوله جل وعز : « سنريهم اياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق [٥] » .

فإن اعتبر معتبر ، وقام وتدبر مافي الأرض ومافي الأقطار والآثار ، وما في النفس من الصور المختلفات ، والأعضاء المؤتلفـــات والآيات

---

(١) النور ٣٥ .
(٢) الحجر ٨٧ .
(٣) العنكبوت ٤٣ .
(٤) آل عمران ١٩٠ .
(٥) فصلت ٥٣ .

SS

والملامات ، والاتفاقات والاختـــتراعات ، والأجناس والأنواع ، ومافي كون الابداع من الصور البشرية ، والآثار العلوية ، ومايشهد به حروف المعجم ، والحساب المقوم ، وماجمعته الفرائض والسنن ، وماجمعته السنون من فصل وشهر ويوم ، وتصنيف القرآن من تحزيبه وأسباعه ، ومعانيه وأرباعه وموضع الشرائع المتقدمة ، والسنن المحكمة ، وما جمعته كلمـــة الإخلاص في تقاطيعها وحروفها وفصولها ، ومافي الأرض من إقليم وجزيرة وبر وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض وفوق وتحت ، إلى ما اتفـق عليه في جميع الحروف من أسماء المدبرات السبعة النطقا ، والأوصيا والخلفا وماصدرت به الشرائع من فرض وسنة وحد وبينة ومافي الحساب من أحاد وأفراد ، وأزواج وأعداد ، تثاليثه وترابيعه واثني عشريتـه وتسابيعـه ، وأبواب العشرات والمئين والألوف ، وكيف تجتمع وتشتمل على ما اجتمع عليه ماتقدم من شاهد عدل وقول صدق ، وحكمة حكيم وترتيب عليم .

فـ « لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى »[1] والأمثال العلى « وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها »[2]. « وفوق كل ذي علم عليم »[3] « ولو أنـ مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر [٣٢ - ط] يمـده من بعده سبعة أبحر مانفذت كلمات الله »[4].

وليعلم من « كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »[5] ، أنا كلمات الله الأزليات ، وأسماؤه التامات ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ،

(١) طـــه ٧ .
(٢) ابراهيم ٣٤ .
(٣) يوسف ٧٦ .
(٤) لقمان ٢٧ .
(٥) ق ٣٧ .

ومصابيحه البينات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات ، وأقداره النافذات لايخرج منا أمر ، ولايخلو منا عصر .

وإنا لكما قال الله سبحانه وتعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ماكانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم »[1] .

فاستشعروا النظر فقد نقر في الناقور ، وفار التنور ، وأتى النذير بين يدي عذاب شديد ، فمن شاء فلينظر ، ومن شاء فليتدبر ، « وما على الرسول إلا البلاغ المبين »[2] .

وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ، ووقت مذكور ، فلا نرفع قدماً ولانضع قدماً إلا بعلم موضوع ، وحكم مجموع وأجل معلوم ، وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق .

فلما دخلنا وقد قدر المرجفون من أهلها أن الرجفة تنالهم ، والصعقة تحل بهم ، تبادروا وتعادوا شاردين ، وجلوا عن الأهل والحريم والأولاد والرسوم ، وإنا « نار الله الموقدة . التي تطلع على الأفئدة »[3] ، فلم أكشف لهم خبراً ، ولاقصصت لهم أثراً ، ولكني أمرت بالنداء وأذنت بالأمان ، لكل باد وحاضر ، ومنافق ومشاقق ، وعاص ومارق ، ومعاند ومسابق ، ومن أظهر صفحته وأبدى لي سوءته ، فاجتمع الموافق والمخالف والمباين والمنافق ، فقابلت الولي بالإحسان ، والمسيء بالغفران ، حتى رجع

---

(١) المجادلة ٧ .

(٢) النور ٥٤ .

(٣) الهمزة ٦ - ٧ .

الباد والشارد ، وتساوى الفريقان ، واتفق الجمان ، وانبسط القطوب وزال الشحوب ، جرياً على العادة بالإحسان ، والصفح والامتنان ، والرأفة والغفران ، فتكاثرت الخيرات ، وانتشرت البركات .

كل ذلك بقدرة ربانية ، وأمرة برهانية ، فأقمت الحدود ، بالبينة والشهود ، في العرب والعبيد ، الخاص والعام ، والبادي والحاضر بأحكام الله ـ عز وجل ـ وآدابه ، وحقه وصوابه ، فالولي آمن جذل ، والعدو خائف وجل .

فأما أنت أيها الغادر الخائن ، الناكث المباين عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة فلم أغفل أمرك ، ولاخفي عني خبرك ، ولا استتر دوني أثرك ، وإنك مني لبمنظر ومسمع ، كما قال الله جل وعز :

« إنني معكما أسمع وأرى [1] » ، « ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً [2] » .

فعرفنا على أي رأي أصلت ، وأي طريق سلكت : أما كان لك بجدك أبي سعيد أسوة وبعمل أبي طاهر قدوة ؟ أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ولاقرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكنت غائباً عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم أنهم كانوا « عباداً لنا أولى بأس شديد » [3] ، وعزم سديد ، وأمر رشيد ، وفعل حميد ، تفيض إليهم موادنا ، وتنشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الأعمال ، ودان لهم كل أمير ووال ولقبوا بالسادة فسادوا

---

(١) طـه ٤٦ .
(٢) مريم ٢٨ .
(٣) الاسراء ٥ .

منحة منا واسماً من أسمائنا ، فعلت أسماؤهم ، واستعلت هممهم واشتد عزمهم فسارت إليهم وفود الآفاق ، وامتدت نحوهم الأحداق ، وخضعت لهيبتهم الأعناق ، وخيف منهم الفساد والعناد وأن يكونوا لبني العباس أضداد ، فبعثت الجيوش وسار إليهم كل خميس بالرجال المنتجبة ، والعدد المهذبة ، والعساكر الموكبة ، فلم يلقهم جيش إلا كبسوه « ولا رئيس إلا أسروه ولا عسكر إلا كسروه ، وألحاظنا ترمقهم ونصرنا يلحقهم كما قال الله جل وعز :

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا[1] » ، « وإن جندنا لهم الغالبون[2] » ، وإن حزبنا لهم المنصورون .

فلم يزل ذلك دأبهم ، وعين الله ترمقهم ، إلى أن اختار لهم ما اختار من تقلبهم من [٣٣ - و] دار الفناء ، إلى دار البقاء ، ومن نعيم يزول إلى نعيم لايزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين . إلى روح وريحان وجنات النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب .

ومع هذا فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون إلينا ، ويدلون علينا ويأخذون بيعتنا ، ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا ، وينذرون بأسنا ، ويبشرون بأيامنا ، بتصاريف اللغات واختلاف الألسن ، وفي كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون ، وعنهم يأخذون ، وهو قول الله عز وجل : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم[3] » وأنت عارف بذلك فيأيها الناكث الحانث ماالذي أرداك وصدك ؟ أشيء شككت فيه ؟ أم أمر استربت به ، أم كنت خلياً

---

(١) غافر ٤٠ .
(٢) الصافات ١٧٣ .
(٣) إبراهيم ٤ .

من الحكمة ، وخارجاً عن الكلمة ، فأزالك وصدك ، وعن السبيل ردك ؟ إن هي الا « فتنة لكم ومتاع الى حين » [١] .

وأيم لله لقد كان الأعلى لجدك ، والأرفع لقدرك ، والأفضل لمجدك والأوسع لوفدك ، والأنضر لمودك ، والأحسن لمذرك ، الكشف عن أحوال سلفك وان خفيت عليك ، والقفو لآثارهم وان عميت لديك لتجري على سننهم ، وتدخل في زمرهم ، وتسلك في مذهبهم ، أخذاً بأمورهم في وقتهم ، وزيهم في عصرهم ، فتكون خلفاً قفا سلفاً بجد وعزم مؤتلف ، وأمر غير مختلف .

لكن غلب الران على قلبك ، والصدأ على لبك ، فأزالك عن الهدى وأزاغك عن البصيرة والضيا ، وأمالك عن مناهج الأوليا ، وكنت من بعدهم كما قال الله عز وجل :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً » [٢] .

ثم لم تقنع في انتكاسك ، وترديتك في ارتكاسك ، وارتباكك وانعكاسك من خلافك الآباء ومشيك القهقرى ، والنكوص على الاعقاب والتسمي بالالقاب « بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » [٣] ، وعصيانك مولاك ، وجحدك ولاءك ، حتي انقلبت على الادبار ، وتحملت عظيم الاوزار ، لتقيم [٤] دعوة قد درست ، ودولة قد طمست ، وانك لمن الغاوين ، وانك لفي ضلال مبين .

---

(١) الأنبياء ١١١ .
(٢) مريم ٥٩ .
(٣) الحجرات ١١ .
(٤) في حاشية الأصل : « يعني إنه يريد إقامة دولة بني العباس بكونه أخذ منهم السلاح والمال من أبي تغلب بن حمدان ، وقدم يقاتل المعز نصرة لهم » .

أم تريد أن ترد القرون السالفة ، والأشخاص الغابرة ؟ أما قرأت كتاب السفر ، ومافيه من نص وخبر ؟ فأين تذهبون إن هي إلا حياتكم الدنيا ، تموتون وتظنون أنكم لستم بمبعوثين ، « قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير »[١] .

أما علمت أن المطيع آخر ولد العباس ، وآخر الترايس في الناس ؟

أما تراهم « كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية »[٢] ؟

ختم - والله - الحساب ، وطوي الكتاب ، وعاد الأمر إلى أهله ، والزمان إلى أوله ، « وأزفت الآزفة »[٣] ، « ووقعت الواقعة »[٤] وقرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من وطنها ، وجيء بالملائكة والنبيين ، وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق ، والملك لله الواحد القهار ، « لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء »[٥] ، « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »[٦] :

فقد ضل عملك ، وخاب سعيك ، وطلع نحسك ، وغاب سعدك ، حين آثرت الحياة الدنيا على الآخرة ، ومال بك الهوى ، فأزالك عن الهدى ، فـ « إن تكفروا أنتم ومن في الأرض[٧] جميعاً » « وإن الله لهو الغني الحميد »[٨] .

---

(١) التغابن ٧ .
(٢) الحاقة ٧ - ٨ .
(٣) النجم ٥٧ .
(٤) الواقعة ١ .
(٥) الروم ٤ - ٥ .
(٦) الحج ٢ .
(٧) إبراهيم ٨ .
(٨) الحج ٦٤ .

ثم لم يكفك ذلك ـ مع بلائك وطول شقائك ـ حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك ، وحشدت أوباشك وأفلاسك ، وسرت قاصداً إلى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة [١] وزويلة ، فقتلته وقتلتهم ، ـ جرأة على الله ورداً لأمره ـ واستبحت أموالهم ، وسبيت نساءهم ، وليس بينك وبينهم ترة ولاثأر ، ولاحقد ولا إضرار ، فعل بني الأصفر [٢] والترك والخزر ، ثم سرت أمامك ولم ترجع ، وأقمت على كفرك ولم تقلع ، حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان في زمرة قليلة وفرقة [٣٣ ـ ظ] يسيرة ، فاعتزل عنك إلى يافا ، مستكفياً شرك ، وتاركاً حربك ، فلم تزل ماكثاً على نكثك باكراً وصابحاً ، وغادياً ورائحاً تقعد لهم بكل مقعد ، وتأخذ عليهم بكل مرصد ، وتقصدهم بكل مقصد كأنهم ترك وروم وخزر ، لاينهاك عن سفك الدماء دين ، ولايردعك عهد ولا يقين ، قد استوعب من الردى حيزومك ، وانقسم على الشقاء خرطومك .

أما كان لك مذكر ، وفي بعض أفعالك مزدجر ، أو ماكان لك في كتاب الله عز وجل معتبر حيث يقول .

« ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » [٣] ؟

فحسبك بها فعلة تلقاك يوم ورودك وحشرك حين لامناص ، ولالك من الله خلاص ، ولم تستقيلها ، وكيف تستقيلها وأني لك مقيلها ؟

---

(١) من قبائل البربر .
(٢) بنو الأصفر : الروم البيزنطيون .
(٣) النساء ٩٣ .

ss

هيهات ، هيهات ، هلك الضالون ، وخسر هنالك المبطلون، وقـل النصير ، وزال العشير ، ومن بعد ذلك تماديك في غيك ، ومقامك في بغيك ، عداوة لله ولأوليائه ، وكفراً لهم وطغياناً ، وعمى وبهتاناً .

أتراك تحسب أنك خلد أم لأمر الله راد ؟

أم « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و [يأبى] الله [إلا أن] يتم نوره ولو كره الكافرون » [1] .

هيهات لاخلود لمذكور ، ولامرد لمقدور ، ولاطافيء لنور ، ولامقر لمولود ، ولاقرار لموعود ، لقد خاب منك الأمل ، وحان لك الأجل ، فإن شئت فاستعد للتوبة بابا ، وللنقلة جلبابا ، فقد بلغ الكتاب أجله ، والوالي أمله ، وقد رفع الله قبضته عن أفواه حكمته ، ونطق من كان بالأمس صامتاً ، ونهض من كان خائفاً ، ونحن أشباح فوق الأمـــر والنفس ، دون العقل وأرواح في القدس ، نسبة ذاتية ، وآيات لدنية نسمع ونرى ، « ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلنـاه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا » [2] ، « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » [3] .

ونحن معرضون عليك ثلاث خصال ــ والرابعة أردى لك، وأشقى لبالك ، وما أحسبك تحصل إلا عليها ــ فاختر :

إما قـدت [4] نفسك لجعفر بن فلاح ، وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرمـلة من رجاله ورجال سعادة بن حيان ، ورد جميـــع

(١) التوبة ٣٢ .

(٢) الشورى ٥٢ .

(٣) الأعراف ١٩٨ .

(٤) أي جعلت من نفسك دية .

ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير – وهي أسهل مايرد عليك – .

وإما أن تردهم أحياء في صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم – ولاسبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار – .

وإما سرت ومن معك بغير زمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريك على إحدى ثلاث : إما قصاص ، « فإمامنا بعد وإما [1] فداء » ، فعسى أن يكون تمحيصاً لذنوبك ، وإقالة لعثرتك .

وإن أبيت إلا فعل اللعين [2] : « فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين [3] » .

أخرج منها فما يكون لك أن تمكث فيها ، وقيل اخسئوا فيها ولاتكلمون ، فما أنت إلا « كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار » [4] ، فلا سماء تظلك ولا أرض تقلك ، ولا ليل يجنك ، ولانهار يكنك ، ولا [علم يسترك] ، ولافئة تنصرك ، قد تقطعت بكم الأسباب ، وأعجزكم الذهاب ، فأنتم كما قال الله عز وجل : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء [5] » .

فلا ملجأ لكم من الله يومئذ ولامنجى منه ، وجنود الله في طلبك قافية ، لاتزال ذو أحقاد ، وثوار أمجاد ، ورجال أنجاد ، فلا تجد في السماء مصعداً ، ولا في الأرض مقعداً ، ولا في البر ولا في البحر منهجاً ،

---

(١) محمد ٤ .
(٢) أي ابليس .
(٣) الحجر ٣٤ – ٣٥ .
(٤) إبراهيم ٢٦ .
(٥) النساء ١٤٣ .

ولا في الجبال مسلكاً ، ولا إلى الهواء سلماً ، ولا الى مخلوق ملتجأ .

حينئذ يفارقك أصحابك ، ويتخلى عنك أحبابك ، ويخذلك أترابك ، فتبقى وحيداً فريداً ، وخائفاً طريداً ، وهائماً شريداً ، قد ألجمك العرق وكظك القلق ، وأسلمتك ذنوبك ، وازدراك حزبك ، « كلا لاوزر . الى ربك يومئذ المستقر [1] » ، « هذا يوم لاينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون » [2] ، « وجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة » [3] .

واعلم أنا لسنا بمهليك ولامهمليك الا ريثما يرد [١٣٤] كتابك ، ونقف على فحوى خطابك فانظر لنفسك ، ماتبقى ليومك ومعادك قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ لاينفع نفساً ايمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً .

وإن كنت على ثقة من أمرك . ومهل في أمر عصرك وعمرك ، فاستقر بمركزك ، وأربع على ضلعك ، فلينالنك ما نال من كان قبلك من عاد وثمود ، « وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد » [4] ، فلنأتيكم بجنود لاقبل لكم بها ، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون ، بأولي بأس شديد ، وعزم سديد ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، بقلوب نقية ، وأرواح تقية ، ونفوس أبية ، يقدمهم النصر ، ويشملهم الظفر ، تمدهم « ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون [5] » .

---

(١) القيامة ١٠ — ١١ .
(٢) المرسلات ٣٥ — ٣٦ .
(٣) عبس ٤٠ — ٤٢ .
(٤) ق ١٤ .
(٥) التحريم ٦ .

فما أنت وقومك إلا كمناخ نعم، أو كمراح غنم، «فإما نرينك بعض الذي نعدهم[1] » « فإنا عليهم مقتدون[2] » ، وأنت في القفص مصفودا ، « أو نتوفينك فإلينا مرجعهم[3] » فعندها تخسر الدنيا والآخرة ، « ذلـــك هو الخسران المبين[4] » ، « فأنذرتكم ناراً تلظى . لا يصلاها إلا الأشقى . الذي كـــذب وتولى[5] » ، «كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون[6] » .

فليتدبر من كان ذا تدبير ، وليتفكر من كان ذا تفكر ، وليحذر يوم القيامه من الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس ياحسرتي على ما فرطت في جنب الله[7] » ، « وياحسرتنا على ما فرطنا[8] » ، «ويا ليتنا[9] نرد» «فنعمل غير الذي كنا نعمل[10] » ، هيهات غلبت عليكم شقاوتكم « وكنتم قوماً بوراً[11] » .

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى ، وانتمي إلى الملأ الأعلى ، وحسبنا الله وكفى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير .

---

(١) يونس ٤٦ .
(٢) الزخرف ٤٢ .
(٣) يونس ٤٦ .
(٤) الحج ١١ .
(٥) الليل ١٤ – ١٦ .
(٦) الاحقاف ٣٥ .
(٧) الزمر ٥٦ .
(٨) الأنعام ٣١ .
(٩) الأنعام ٢٧ .
(١٠) الاعراف ٥٣ .
(١١) الفتح ١٢ .

ss

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا النبي [الأمي] والطيبين من عترته ، وسلم تسليماً .

فأجابه الحسن الأعصم بما نصه : « من الحسن بن أحمد القرمطي الأعصم :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل إلينا كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، ونحن سائرون على إثره ، والسلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وسار الحسن بن أحمد القرمطي بعد ذلك إلى مصر ، فنزل بعسكره بلبيس ، وبعث إلى الصعيد بعبد الله بن عبيد الله أخي الشريف مسلم ، وانبثت سراياه في أرض مصر ، فتأهب المعز وعرض عساكره في ثالث رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال ، ووسع عليهم في الأرزاق ، وسير معهم الأشراف والعرب .

وسير معهم المعز ابنه الأمير عبد الله ، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الأموال والخلع ، وسير معه أولاده وجميع أهله ، وجمعاً من جند المصريين خلا الشريف مسلم ، فإنه أعفاه من ذلك .

وانبسطت سرية القرمطي في نواحي أسفل الأرض [1] ، فأنفذ المعز عبده ريان الصقلبي في أربعة آلاف ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر .

ولثمان خلون منه قدمت سرية القرامطة إلى الخندق ، فبرز إليها المغاربة فهزموهم ، ثم كروا على المغاربة فقتلوا منهم جماعة وأسروا ، وفر إليهم علي بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة .

---

(١) أي الوجه البحري .

وورد الخبر بأن عبد الله بن عبيد الله أخا مسلم أوغل في الصعيد ، وقتل ، واستخرج الأموال ، واسرف في قتل المناربة وأسرهم ، ثم كر راجعاً إلى خبم .

ولست عشرة خلت منه جمع المعز أولاد الإخشيدية وغيرهم من الجند واعتقلهم .

وفي سلخة طيف بتسمة من القرامطة على الأبل بالبرانس ومعهم ثلاثة رؤوس ؛

وفيه سار عسكر المعز مع ابنه عبد الله فنزل جب عميرة ، ونزل عسكر القرمطي نصفين : نصف مع النعمان أخي الحسن بن أحمد الأعصم مواجهة لعبد الله بن المعز ، ونصف مع الحسن بسطح الجب .

فبعث عبد الله المساكر ، فأحاطت بالحسن بن أحمد ، وعسكر زحف إلى النعمان فقاتله فانهزم ، وقتل من أصحابه ، وواقع [٣٤ - ظ] الآخرون الحسن حتى كاد أن يؤخذ ، فإنهم أحاطوا به ، وصار في وسطهم ، فاغتنم فرجه مضى منها على وجهه ، ونهب سواده وأخذت قبته [1] ، وأسر رجاله ، وأخذ

(١) ورد في ورقة منفصلة بين الصفحتين في الاصل شرح للقبة هذا نصه : « في ورقة ملصوقة بهذا المحل بخطه ما مقاله » :

«كان من مخاريق القرامطة القبة ، وهي أن أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي كانت عادته في الحروب أن يفرد طائفة من عسكره - فرساناً ورجالة - عن القتال ، يقفون معه لا يقاتل ولا يقاتلون ، فاذا كل المقاتلة عن القتال حمل هو بنفسه في الطائفة المستريحة التي لم تحضر القتال ، فقاتل وقد كلوا منهزمين عنه ، فلما مات ضعفت هيبة القرامطة بعده عن رجالهم وترتيب وقوفهم - كما ذكرنا - ، فرجعوا الى المخرقة ، وأقاموا قبه كالعمارية على جمل وقالوا : « إن النصر ينزل من هذه القبة في وقت معلوم ، وأخذوا من حب الكحل ومن اللؤلؤ الكبار وجعلوه في صرة مع فحمة ومدخنة بداخل القبة ، وإذا أرادوا الحمل على عسكر من يحاربوه صعد رجل منهم الى القبة ، وقدح النار في المجمرة ، وأخذ حب الكحل ، وأرى=

من عسكره وعسكر أخيه خلق كثير ، وأخذ جماعة ممن كان مع المصريين .

ووصل الكتاب مع الطائر إلى عبد الله أخي مسلم بهزيمة القرامطة ـ وهو بالصعيد ـ ، فعدى إلى جانب الشرقي لينقلب إلى الشام ، فبلغه مسير عساكر المعز فعاد إلى الجانب الغربي .

وورد كتاب الطائر إلى المعز من الأمير عبد الله ابنه بـأن عبد الله أخا مسلم قد أخذ ، فأرسل المعز إلى أخيه أبي جعفر مسلم يخبره ، فخلع على البشير .

وكان في البرية سرية للمعز قد أخذوا الطريق على عبد الله أخي مسلم ، فوقع في أيديهم في الليل رجل بدوي ، فقال : « أنا عبد الله أخو مسلم » فجاء إلى الأمير عبد الله ، فكتب إلى الطائر بأخـذ عبد الله ، فلما جيء بالبدوي من الغد إلى الأمير عبد الله وهو في معسكره ـ وكان في مجلسه عبد الله بن الشويخ ـ فقال للأمير عبد الله : « ماهذا عمي عبد الله » . فبطل القول . وكان خبر هذا البدوي أنه كان مع عبد الله أخي مسلم بالصعيد ،

=القواد والناس بياضه (كذا) من بعيد وهم لايعرفونه ، ثم يطرحه على النار ، فيفرقع فرقعة شديدة ، ويبعد من غير دخان ، فيظن القوم ذلك شيئاً ، ويحملون على أعدائهم ومعهم القبة ، ولا . . منها شيء ، ولا يوقد ذلك إلا عندما يقول صاحب العسكر : « قد نزل النصر » وذلك أنه يقف مع القبة قطعة من الجيش مستريحة لاتقاتل ، وهو مستخف معهم وأكثر القوم يقاتلون وهم بالقبة من وراء المقاتلة ، فمن انهزم من مقاتلتهم حل دمه وقتل ، فإذا أحس بأنهم قد كانوا أمر بعمل ماقلنا في القبة ، وحمل بها في الطائفه المستريحة فهزم من عساه يكون ، ومازالت مخرقتهم هذه يوهمون بها إلى أن كسرت هذه القبة في الرملة ، ثم أخذها عبد الله بن المعز خارج القاهرة ، فقلت عند ذلك مهابة القرامطة بما ذهب من قيمتهم ، وبهذا قدروا على قتل جعفر بن فلاح ، وأنهم كانوا لايسيرون بالقبة إلا كمن يسير إلى أمر مهد ، فيقولون : نزل النصر ، وتشد قلوبهم وتقوى ، فما سارت القبة من غير معارضة حتى يكون الظفر لهم » .

وعبر معه بريد الشام ، فأراد أن يسقي دوابه ، فقال له البدوي : « ما تأمن أن يكون على الماء طلب ، فدعني أتقدمك ، فإن لم أجد أحد جئتك ، وإن أبطأت عليك فاعلم أني أخذت » فلما وافى البدوي البئر أخذ فقال لهم : « أنا عبد الله أخو مسلم ليشغلهم عن طلبه ، فلما أبطأ البدوي على عبد الله علم أن الطلب قد أخذوه ، فكر راجعاً وعاد إلى الجانب الغربي ، وركب البحر إلى عينون[1] ، ومضى إلى الحجاز .

وكان ياروق على عسكر للمعز ، فرأى أصحابه عبد الله ، فأفلت منهم على فرس دهماء عربيه بعدما حط قبته وقطعها بسيفه ، فظفر ياروق بنوقه ، ووصل عبد الله إلى المدينة النبوية ، وجلس يتحدث في المسجد ، فقيل له : « إن الكتب قد سبقتك ، وبذل فيك مال عظيم » فنهض لوقته ، وتوجه إلى الأحساء ، فاستنهض القرامطة ، فلم يكن فيهم نهضة ، فوبخهم لما رأى من عجزهم ، وقال : داروني ما عندكم من القوة التي تقاومون بها صاحب مصر » فأوقفوه على ماعندهم من المال والسلاح والكراع ، فاستقله وقال : « بهذا تقاومون صاحب مصر والشامات والمغرب ؟ » .

وانصرف عنهم إلى العراق ، فأتبعوه برجل يقال أنه من بني سنبر ، فسمه في لبن بموضع يقال له النصيرية ــ على ميلين من البصرة ــ فقام مائتي مجلس في ليلة ومات بموضعه ، فنسل وكفن وأدخل البصرة ، فصلي عليه ودفن بها إلى أن جاء حسن بن طاهر بن أحمد فحمله إلى المدينة .

وورد الخبر بذلك إلى المعز ، فأخبر الناس بموته وموت المطيع ، فإن ابنه سمه أيضاً ، كما سمت القرامطة عبد الله أخا مسلم .

وأما أخبار القرامطة في كتب المؤرخين من المشارقة المتعصبين على الدولة

---

(١) قرية يطوها طريق المصريين إذا حجوا ــ معجم البلدان .

الفاطمية أن سبب انهزام الحسن بن أحمد القرمطي من عساكر المعز أن العرب لما أنكت بمسير سراياها بأرض مصر، رأى المعز أن يفل عساكر القرامطة وجموعهم بمخادعة حسان [1] بن الجراح الطائي - أمير العرب ببلاد الشام - ، وكان قدم مع القرمطي في جمع عظيم قوى به عسكر القرمطي، فبعث المعز إلى ابن الجراح، وبذل له مائة ألف دينار على أن يفل عسكر القرمطي، فأجابه إلى ذلك، وأن المعز استكثر المال، فعمل دنانير من نحاس وطلاها بالذهب، وجعلها في أكياس، ووضع على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب ليغطي ما تحتها، وشدت الأكياس وحملت الى ثقة من ثقات ابن الجراح بعدما كانوا استوثقوا منه وعاهدوه أنه لا يغدر بهم، فلما وصل إليه المال تقدم إلى كبراء أصحابه بأن يتبعوه إذا توقف العسكران وقامت الحرب، فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزما واتبعه أصحابه - وكان في جمع كبير -

فلما رآه القرمطي - وقد انهزم - تحير، فكان جهده أن قاتل بمن معه حتى تخلص، وكانوا قد أحاطوا به من كل جانب، فخشي على على نفسه وانهزم، وتبعوه ودخلوا عسكره، فظفروا منه بنحو من [٣٥-و] ألف وخمسمائة رجل، فأخذوهم أسرى، وانتهبوا العسكر.

ولما كان لخمس بقين من شعبان أنفذ المعز أبا محمود إبراهيم بن

---

(١) ورد في حاشية الاصل تعريف به، نصه:

« حسان بن علي بن مفرج بن دغفل بن حرام بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن... بن... بن... بن علقي بن حوط بن عمرو بن خالد بن معدان بن... أفلت بن سلسلة ابن عمرو بن سلسلة بن غانم بن ثور بن معن بن... بن عنين بن سلامان بن... بن عمرو ابن الغوث بن طيء.

جعفر إلى الشام خلف القرمطي في عسكر يقال مبلغه عشرون ألفاً ، فظفر في طريقه بجماعة من أصحاب القرمطي ، فبعث بهم إلى مصر.

وسار الحسن بن أحمد القرمطي فنزل أذرعات[1] ، وأنفذ أبا المنجا في طائفة إلى دمشق.

وبعث المعز إلى ظالم بن موهوب العقيلي[2] لما بلغه ماوقع بينه وبين القرمطي وزول أبي المنجا دمشق ، فسار القرمطي ودخل البرية يريد بلده وفي نيته العود.

وكان للحسن بن أحمد القرمطي هذا شعر ، فمنه في أصحاب المعز لدين الله :

زعمت رجال الغرب أني هبتها ... فدمي إذاً ما بينهم مطلول
يامصر إن لم أسق أرضك من دم ... يروى ثراك ، فلاسقاك النيل[3]

ولما كان في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد إسحاق وجعفر الهجريان من القرامطة فملكا الكوفة ، وخطبا لشرف الدولة ، فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم ، وكان من الهيبة ما أن عضد الدولة بن بويه وبختيار أقطعاهم الكثير ، وكان لهم ببغداد نائب يعرف بأبي بكر بن ماهويه يتحكم تحكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة بن عضد

---

(١) درعا الحالية في سورية .

(٢) جاء في حاشية الاصل طرة نصها :

« بخطه : فبعث عضد الدولة فناخسرو الديلمي من العراق عسكراً إلى الاحساء ، وبها يومئذ أبو يعقوب بن أبي سعيد الجنابي ، عم الحسن بن أحمد الاعصم ، ففر أبو يعقوب ، وأخذ العسكر ما كان في الاحساء ، فقدم الاعصم منهزماً من الشام فيمن بقي معه ، فانضم اليه عمه ، وسار وأوقع بالعسكر ، واستباحه قتلاً ونهباً ، فقويت نفسه ، وكاتب العرب فأتوه وبعث رسولاً إلى المعز يطلب الموادعة » .

(٣) روايات هذا الشعر متباينة بعض الشيء ، انظر الروايات السابقة .

الدولة ، فلما ورد القرامطة الكوفة كتب إليها صمصام الدولة يتلطفهما ويسألها عن سبب حركتها ، فذكرا أن قبض نائبهم هو السبب في قصدهم البلاد ، وبثا أصحابها فجبوا المال ، فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب ، فعبروا الفرات إليه وقاتلوه وأسروا ، فانجلت الوقائع بينهم وبين العساكر عن هزيمة القرامطة ، وقتل مقدمتهم في جماعة ، وأسر عدة ، ونهب سوادهم ، فرحل من بقي منهم من الكوفة ، وتبعتهم العساكر إلى القادسية فلم يدركوهم ، وزال من حينئذ بأسهم .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع شخص يعرف بالأصفر من بني المنتفق جمعاً كبيراً [وكان] بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة ، وانهزم أصحابه وقد قتل منهم وأسر كثير ، فسار الأصفر إلى الأحساء وقد تحصن منه القرامطة بها ، فعدى إلى القطيف وأخذ ماكان فيها من مال وعبيد ومواشي ، وسار بها إلى البصرة [١] ....



(١) يتلو هذا بياض في الاصل قدره حوالي نصف صفحة ، يبدو أن المصنف تركه ليضيف فيه معلومات أخرى .

كتاب

المقفّى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها

SS

الحسن الأعصم القرمطي

الحسن بن أحمد بن الحسن بن بهرام ، أبو علي ، وقيل أبو محمد ، ابن أبي منصور بن أبي سعيد الجنابي (١) ، ويعرف بالأعصم (٢) القرمطي وقيل فيه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ، واسمه الحسن بن بهرام ، ويقال الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كوذركار ، ولد بالاحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين .

وهذه الطائفة التي تعرف بالقرامطة قد عظم في العالم أمرها ، وشنع بين الخليقة ذكرها ، ودوخوا الممالك والأقطار وأذلوا أعزة أهل البدو وسكان الأمصار ، وسأتلو من أنبائهم جملة توقفك على كنه أحوالهم فأقول : إن ابتداء أمر هذه الطائفة كان من رجل من الشيعة ، يعرف بحسين الأهوازي ، سكن عسكر مكرم (٣) ، وتحول إلى البصرة ، ثم

---

(١) وقع بالهامش الأيمن بنفس الخط : جنابي بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الألف ياء موحدة من أسفل ، وهي بلدة صغيرة من سواحل فارس بينها وبين سيراف أربعة وخمسون فرسخاً .

(٢) وقع بالهامش الأيسر بنفس الخط: الأعصم بهمزة وعين مهملة وصاد مهملة بعدها ميم . وجاء في الهامش الايمن بنفس الخط أيضاً : الاعصم من الظباء الذي في ذراعه بياض ، وغراب أعصم في أحد جناحيه ريشة بيضاء . وقيل هو الابيض والاعسم الذي يبس رسغه أو يبس مرفقه ، يقال له رجل أعسم ـ وامرأة عسماء ـ إذا تعوج منه اليدان . كذا في الاصل والذي في اللسان مادة عسم: تعوج منه اليد والقدم، وانظر أيضاً ـ في نفس المصدر ـ مادة عصم.

(٣) قال عنه ياقوت : بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب أيام الحجاج بن يوسف الثقفي .

صار إلى سلمية من أرض حمص فأقام بها مدة ، وخرج داعية إلى العراق فصادف بطريقه في سواد الكوفة رجلاً يعرف بحمدان بن الأشعث ، ويقال له قرمط ، من أجل أنه كان قصير القامة ، قصير الرجلين ، متقارب الخطا ، وهو ماش ومعه ثور ، فسأله الحسين عن الطريق إلى قرية يقال لها قس بهرام ، فقال له حمدان : أنا قاصدها ، فتماشيا ساعة وعرض حمدان على الحسين أن يركب ثوره ، فأبى ذلك ، وقال : لم أومر بذلك فقال له حمدان : كأنك تعمل بأمر أمر لك ؟ قال : نعم . قال : ومن يأمرك وينهاك ؟ قال : مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة ، فبهت حمدان أن يفكر ، ثم نظر إليه ، وقال : ياهذا مايملك ماذكرته إلا الله . قال : صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء . قال حمدان : فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال : دفع إلي جراب فيه علم وسر[1] من أسرار الله ، وأمرت أن أشفي هذه القرية ، وأغني أهلها ، وأستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابهم ، وشرع يدعوه ، فقال له حمدان : ياهذا نشدتك الله إلا دفعت إلي من هذا العلم الذي معك ، وأنقذتني ينقذك الله ، فقال : لايجوز ذلك ، أو آخذ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله على النبيين والمرسلين ، وألقي إليك ماينفعك ، فما زال حمدان يضرع إليه ، حتى جلسا ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : مااسمك ؟ قال له : حمدان ابن الأشعث قرمط ، وأسألك أن تسير معي إلى منزلي حتى تجلس فيه فإن لي إخواناً أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي ، فصار معه إلى منزله ، وجمع عليه حمدان الناس ، فأخذ عليهم العهد للمهدي ، واغتبط

---

(١) في الاصل سر والزيادة من اتعاظ الحنفا . ط القاهرة ١٩٦٧ وجاء هناك : رفع إلي كتاب ، وما أثبتناه هنا أقوم .

به حمدان لكثرة ماشاهده من خشوعه ، وصيام نهاره ، وقيام ليله ، وشهر أمره في أصحابه حتى كان أغبط الناس به ، من أخذه إلى منزلة وكان يخيط لهم الثياب فيتبركون بخياطته ، ويرتزق من أجرتها ، إلى أن أدرك التمر ، فوصف لأبي عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي - أحد وجوه الكوفة وعلمائها وفضلائها - أمر الحسين الأهوازي ، فنصبه لحفظ ثمره ، فأحسن القيام في حفظها ، وبالغ في أداء الأمانة ، وخرج عن الحد في كثرة [١] التشدد وذلك في سنة أربع وستين ومائتين ، فاستحكمت ثقة الناس بالحسين ، إلى أن حضرته الوفاة ، فمهد لحمدان بن الأشعث قرمط ، وأقامه مقامه ، وقفى نحبه .

وكان قد استجاب له مهرويه بن زكرويه السلماني الصواني ، وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، وإسحاق البوراني ، وعطيف النيلي في آخرين وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس العهود ، وكان أكبر دعاته عبدان الأهوازي ختن قرمط ، فقام في الدعوة ، وبث الدعاة في أعمال السواد بالكوفة ، فدخل [٣٤٥ ظ] في دعوة قرمط بنو ضبيعة بن عجل من ربيعة ، وبنو يشكر من بكر بن وائل ، حتى لم يتخلف عنه رفاعي ولاضبعي إلا ودخل في دعوته ، ودان بها ، ولم يبق من بطون العرب المتصلة بواسط بطن إلا استجاب له ؛ فدخل في دعوته كثير من بني عابس ومن ذهل ، وعنزة ، وتيم الله ، وبني ثعل ، وهم معظم سواد الكوفة .

فقوي قرمط ، وأخذ يجمع أموالهم ، فكان أول مافرض عليهم

---

(١) في الاصل : (كثر) . وما أثبتناه أقوم .

الفطرة وهي [١] : درهم يأخذ من كل واحد من الرجال والنساء والصبيان فسارعوا إلى ذلك وحملوه إليه ، ثم فرض عليهم **الهجرة** ، وهي : دينار عن كل رأس أدرك الحنث ، وتلا قول الله تعالى : ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ [٢] ، وقال لهم : هذا تأويل هذا ، فدفعوا ذلك إليه ، وتعاونوا عليه ، حتى أن من كان منهم فقيراً أسعفوه ، ثم فرض عليهم **البلغة** ، وهي : سبعة دنانير ، وقال : هذا هو البرهان الذي أراده الله تعالى بقوله : ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [٣] . وقال : هذا بلاغ من يريد الإيمان والدخول في السابقين ﴿أولئك المقربون﴾ [٤] ، فكان من أدى سبعة دنانير عن **البلغة** ، أطعمه شيئاً حلواً لذيذاً في قدر البندقة ، وقال له : هذا طعام أهل الجنة نزل إلى الإمام ، وصار يبعث إلى كل داع منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، عن كل واحدة سبعة دنانير ثم فرض عليهم **الخمس** من كل مايملكونه ومايكتسبونه ، وتلا عليهم قول الله تعالى : ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه﴾ [٥] الآية ، فبادروا إلى ذلك وقوموا سائر مايملكونه من ثوب وغيره ، وأدوا منه الخمس ، حتي أن المرأة كانت تخرج من غزلها خمسه ، والرجل يخرج الخمس مما يكسبه ، ثم فرض عليهم **الألفة** ، وهي أنهم يجمعون أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه كلهم أسوة واحدة ، لايفضل أحد

---

(١) في الاصل : (وم) . وما أثبتناه أقوم .

(٢) سورة التوبة ١٠٣ .

(٣) سورة البقرة ١١١ .

(٤) سورة الواقعة ١٠ .

(٥) سورة الانفال ٤١ .

من أصحابه على صاحبه ، ولا أخيه في ملك يملكه بشيء البتة ، وتلا عليهم قول الله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾[١] الآية . وقوله تعالى : ﴿ لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾[٢] ، وقال لهم : لاحاجة بكم إلى الأموال فإن الأرض بأسرها ستكون لكم دون غيركم ، وقال لهم : هذه محنتكم التي امتحنتم بها ، ليعلم كيف تعملون ، وألزمهم بشراء السلاح في سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام في كل قرية رجلاً مختاراً من الثقات ، فجمع عنده أموال قريته من : غنم ، وبقر ، وحلي ، ومتاع ، وغير ذلك ، فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم مايكفيهم ، حتى لم يبق بينهم فقير ولامحتاج ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته : وجمعت إليه المرأة كسبها من مغزلها ، وأدى إليه الصبي أجرة نطارته وحراسته للطير ونحوه ، ولم يبق في ملك أحد منهم غير سيفه وسلاحه لاغير .

ثم لما استقام له ذلك كله ، أمر الدعاة أن تجمع النساء في ليلة عينها ويخلطهن بالرجال ، حتى يتراكبن ، وقال : هذا من صحة الود والالف ففعلوا ذلك . ثم إنه أفتى فيهم إباحة الأموال والفروج ، والثناء عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض ، وقال : هذا كله موضوع عنكم ، ودماء المخالفين وأموالهم حلال لكم ، ومعرفة صاحب الحق تغنيكم عن كل شيء ، ولاتخافون معه إثماً ولاعذاباً ، وعنى بصاحب الحق الامام محمد

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣ .

(٢) سورة الانفال ٦٣ .

ابن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقال : بهذا الامام اتسقت هذه الأمور ولولاه لهلك الخلق ، وعدم الهدي والعلم ، فبسطوا أيديهم بسفك الدماء وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس ، ووافقهم كثير من مجاوريهم .

ثم إن الدعاة اتفقوا على بناء دار هجرة ، فأقاموا سوراً في قرية يقال لها مهماباذ ، من سواد الكوفة ، وجعلوا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه [٣٤٦-و] خندق عظيم ، وبنوا من داخل السور المباني ، وتحول إليها الرجال والنساء ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، كل ذلك والخليفة ببغداد مشغول بصاحب الزنج ، وكثرة الفتن ، فلم يبق أحد الا خافهم لقوتهم ، وتمكنهم في البلاد ، ومات عبدان .

وكان منهم رجل يقال له مهرويه ، قد عرف بالثقة والدين (١) ، فانقاد اليه خلق كثير ، وقال : أنا من ولد عبد الله بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق (٢) . وصار يركب في قبة على جمل ، ويدعى بالسيد وكان له ابن يقال له زكرويه أحد الدعاة . ومن الناس من يسميه الحسين ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق .

فاتهم زكرويه بقتل عبدان ، فخاف ، ثم تحول من سواد الكوفة ، وأنفذ ابنه الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ونزل سلمية فوجد بها بني أبي اللاحف ، وهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد وأخواه (٣) أبو العباس أحمد ، وحسن ، فاستمالوه الى القرامطة ، وحسنوا له أن

---

(١) في الاصل : (والديون) ، وهو تصحيف ظاهر .

(٢) زاد مؤلفنا المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء فقيل له : لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يقال له عبد الله ، فكف عن هذه الدعوى .

(٣) في الاصل : وأخويه .

يدعو الى أبيه محمد بن اسماعيل ، فأجابهم الى ذلك [1] . وكان معه من أولاده أربعة ، هم : أبو القاسم أحمد بن الحسين صاحب الجمل ، وأبو الحسن علي صاحب الخال وأبو محمد عبيد الله [2] الذي ملك افريقية ، والقاسم الذي خرج مع أبيه الحسين بالمبير .

فخرج أبو القاسم أحمد في أول المحرم سنة تسعين ومائتين في ألف رجل ، وتوجه الى الرقة ، وقاتل عاملها شبل الديلمي وقتله وأخذ جميع ما في عسكره ، وسار إلى دمشق فخرج إليه طغج بن جف ، عاملها من قبل أبي موسى هارون بن أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، فهزمه أقبح هزيمة ، وقتل أكثر من معه ، وأخذ أموالهم ، ونجا طغج إلى دمشق ، فنزل أبو القاسم على دمشق بين داريا إلى المزة ، وحصرها سبعة أشهر حتى قدم بدر الحمامي بجيوش مصر ، فزحف إليهم وقد ركب جملاً أحمراً ، قدام عسكره ، وحوله مائة أسود بسيوف وجحف فكان إذا أشار بكمه إلى ناحية من عسكره ، حملوا على عساكر مصر وهزموهم ، إلى أن انتدب له فارس من أهل مصر طعنه برمح أرداه به عن الجمل ، ومات ، فقتل الفارس .

وقام من بعد أبي القاسم أخوه أبو الحسن علي صاحب الخال ، فمضى بمن معه عن دمشق ، فبعث إليه المكتفي بالله أبا الأغر السلمي فلقيه على حلب وهزمه ، فسير إليه محمد بن سليمان الكاتب فواقعه بناحية سلمية

---

(١) في هذا اضطراب ولعل الصواب : فاستالهم إلى القرمطة وحسن لهم أن يدعو إلى أبيه محمد بن اسماعيل فأجابوه الى ذلك .

(٢) كذا في الاصل ، وسبق التنبيه إلى أن الصحيح « عبد الله » ويلاحظ أن معلومات المقريزي فيها اضطراب شديد ، ومرد هذا إلى أن المقريزي جمع مواد مسودة كتابه المقفى وتوفي قبل أن يكمله أو يعيد النظر فيه .

وقتل من أصحابه ستة آلاف رجل ، وفر فقبض عليه وحمل الى بغداد على فيل في ثاني ربيع الأول سنة احدى وتسعين ، فصار يقول : ألستم يافسقة بقايا قتلة الحسين بن علي ، وضربت عنقه وعنق المدثر ، ابن أخيه ، واسمه عبد الله [1] بن الحسين بن محمد بن اسماعيل ، وبقية أصحابه وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة ، وقيل انه قتل هو وأخوه من أهل الشام والبوادي وأصحاب السلطان وأهل المدن ومن جند مصر ومن جند العراق نحو ستمائة ألف انسان .

ولما قتل المكتفي من ذكرنا ، غضب لذلك الحسين بن محمد وجمع وسار الى الكوفة وقتل جماعة ونهب ثم سار وأخذ الحاج بأسرهم ، فخرج اليهم جيش من بغداد وقاتلهم وقتلهم في ربيع الأول سنة خمس وتسعين وقتل الحسين بن محمد وابنه القاسم ، وقتل معه زكرويه وسائر دعاته . فهذه جملة أخبار القرامطة الخارجين ببلاد الشام .

وأما **قرامطة البحرين** ، فكان مبدأ أمرهم أن رجلاً من أهل جنابة يعرف بأبي سعيد الجنابي ، واختلف في اسمه فقيل الحسن بن بهرام ، وأنه من الفرس ، وقيل الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأنه كان يعمل الفراء ، ويسافر من البحرين الى سواد الكوفة ، فنكح امرأة من قوم كانوا يدينون بالقرمطة وصحب عبدان ، وقيل بل صحب قرمط وأخذ عنه ، وعاد الى القطيف فدعا الناس ، وكان أول من استجاب له بنو سنبر ، وهم : الحسين وعلي وحمدان ، ومازالت دعوته تنتشر وأمره يقوى ، حتى جمع وقاتل من خالفه

---

(١) كذا وهو عنده قبل بضعة أسطر اسمه « علي » ، ومرد هذا كما سبقت الاشارة إلى أن المقريزي جمع بسرعة دون تحري ومراجعة .

بمن أطاعه ، وهدم مدينة هجر [٣٤٦ ـ ظ] بعد محاربة أهلها عدة أشهر وبنى دار هجرة بمدينة الأحساء . وقاتل جيوش المعتضد في سنة سبع وثمانين ومائتين ، وقتل أكثرهم وأسر معظمهم . ولم يزل أمره يشتد حتى قتله غلامه في الحمام بمدينة الأحساء في سنة اثنتين وثلاثمائة ، وكانت أيامه (١) نحو ست عشرة سنة .

وقام من بعده ابنه أبو طاهر سليمان ، فأكثر من الغزو ، وسار إلى إلى البصرة ، وأخذها في ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وقتل منها خلقاً كثيراً ، ثم أوقع بالحاج في ذي الحجة منها وأخذ لهم من المال مالا يقدر قدره ، وأخذ الكوفة في ذي القعدة سنة ثنتي عشرة ، وقتل منها وأسر كثيراً ، ثم سار يريد بغداد في سنة خمس عشرة ، ونزل الكوفة في شوال منها ، وقاتل يوسف بن أبي الساج ، وأسره ودمر عساكره ، وسار إلى الأنبار فهم أهل بغداد بالهرب ، وكانت هناك معارك مع جيوش العراق ، وسار الى الرحبة ووضع السيف في أهلها ونهب الجزيرة ، وقاتل أهل الرقة ورأس العين وسنجار ، وفرض الأموال على الناس ، وعاد الى الأحساء ، ثم قدم مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وردم زمزم بالقتلى ، وانتهك حرمة الكعبة ، وأخذ كسوتها وأموالها ، وقلع الحجر الأسود من موضعه ، وعاد الى بلاده ، ثم سار الى الكوفة في سنة تسع عشرة ، فأفسد وعاد .

ثم خرج في سنة ثلاث وعشرين الى الكوفة ونادى بالأمان ، وفرض على أهل خراسان وبغداد والشام ومصر الأموال العظيمة ، فكانت تحمل اليه في كل سنة اتقاء شره .

---

(١) في الاصل : يامه ، وهو تصحيف .

ثم سار أيضاً الى الكوفة سنة خمس وعشرين ، وعاد فأهلكه الله بالجدري ، بعدما تقطع جسده ، وذلك في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

فقام من بعد أخواه : أبو قاسم سعيد ، وأبو العباس أحمد ، واستقر الرأي والتدبير منوط بستة نفر ، وردوا الحجر الأسود مع سنبر بن الحسين ابن سنبر في سنة تسع وثلاثين ووضع في مكانه يوم النحر فكانت مدة غيبته اثنتين وعشرين سنة تنقص أيام .

وغلب الحسن بن أحمد على الشام في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، وولى على دمشق وشاحاً السلمي ، ثم رجع الى الاحساء في صفر سنه ثمان وخمسين ، وفي سنة تسع وخمسين خطب لهم بمكة ، وساروا الى دمشق في سنة ستين وثلاثمائة ، وقتلوا جعفر بن فلاح في ذي القعدة ، وكبيرهم يومئذ الحسن بن أحمد صاحب الترجمة ، وكان سبب حركته هذه أن ظالم بن مرهوب العقيلي ، لما انهزم من جعفر بن فلاح عن بلاد حوران والبثنية ، لحق بالأحساء وحث القرامطة ، فإن المال الذي كان يحمل إليهم من مصر انقطع عند دخول القائد جوهر بعساكر المعز لدين الله إلى مصر ، فبعثوا العرفاء لجميع العرب ، وسار الحسن بن أحمد إلى الكوفة فوافاه من استجاب له من العربان ، وأنفذ إلي بغداد يطلب المال ، فجهز إليه خزانة سلاح ، وأربعمائة ألف درهم أحيل بها على أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة الحسن[1] بن حمدان وهو على الرحبة ، فسار الحسن إلى الرحبة ، وحمل إليه أبو تغلب العلوفة والمال المرسوم به ، وتوجه إلى دمشق ، وقد صحبه كثير من عسكر أبي تغلب ومن انهزم من الاخشيدية ، فخرج إليه

(١) في الاصل : الحسين ، وهو خطأ ظاهر .

أبو الفضل جعفر بن فلاح وقاتله ، فقتل جعفر ، ونزل الحسن يوم الخميس سادس ذي القعدة على المزة خارج دمشق ، وجبى من المدينة مالاً كثيراً ، وسار إلى الرملة من دمشق يوم الثلاثاء لإحدى عشرة [ليلة] خلت من ذي القعدة ، وقد استخلف عليها ظالم بن مرهوب ، واجتمع عليه عرب الشام ، وكثير من الأتباع والأجناد ، ونازل يافا وبها سعادة بن حيان وقاتله ، ثم رحـــل عنها ، وترك على حصارها أبا المنجا عبد الله بن علي بن منجا القرمطي ، وظالم بن مرهـــوب العقيلي ، ونزل خارج القاهـرة بعين شمس لعشر بقين من صفر سنة إحـــدى (٣٤٧ ـ ظ) وستين ، ومعه خمسة عشر ألف جمل وبغل تحمل صناديق الأمـوال ، وأواني الذهب والفضة ، سوى التي تحمل الخيم والمضارب والبنود ، وغير ذلـــك من الأثقال ، وقد استعد جـــوهر القائد لحربه ، فالتحم القتال في يوم الجمعة أول ربيـع الأول على باب القاهرة ، وقتل من الفريقين وأسر جمـــاعة ، وباتوا ليلة السبت وأصبحوا متكافين ، وغدوا يوم الأحد للقتال على باب الخندق فكانت وقائع شديدة قتل فيها من الفريقين عدد كبير ، وانهزم الحسن ، ونهب سواده ببركة الحاج ، وأخذت صناديقه وكتبه ، ومضى في الليل على طريق القلزم ، ونهبت بنو عقيل وبنو طيء كثيراً من سواده ، وهو مشغول بالقتال ، فسار الى الأحساء ، ثم عاد من الأحساء ونزل الرملة في سابع رمضان ، وطـــرح مراكب في البحر ، وملأها بالمقاتلة ، وأكثر من جمع العربان معه للسير الى القاهرة ، فقدم المعز لدين الله أبو تميم معد من بلاد الغرب ، ونزل بالقاهرة في رمضان سنة اثنتين وستين ، فكتب الى الحسن بن أحمد كتاباً عظيماً ، فكتب جوابه . بعد البسملة : وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، ونحن سائرون على اثره ، والسلام .

فلما كان شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين ، كثر انتشار القرامطة

في أعمال (١) الشام ، وكثر الإرجاف بهم في القاهرة ومصر ، وبلغت مقدمتهم أرياف مصر ، وأطراف المحلة لعشر بقين من جمادى الآخرة ، ووصلت منهم سرية الى أطراف الحوف أول يوم من رجب ، وبعث الحسن بن أحمد ، عبد الله بن عبيد الله أخا الشريف مسلم الى الصعيد ، فنزل في نواحي أسيوط وأخميم ، وجبى الأمـــوال ، وحارب أصحاب المعز ، ونزل الحسن بلبيس ، فتأهب المعز لقتاله ، وندب ابنه ولي العهد الأمير عبد الله بالعساكر ، وقد انتشر القرامطة في نواحي أسفل الأرض ، يجبون الأمـــوال ، وخرج ريان الصقلبي في أربعة آلاف الى المحلة ، فقتل وأسر كثيراً من القرامطـة ، فاشتعلت أرض مصر أعلاها وأسفلها بنار الحرب من القرامطة ، ونزل الأمير عبد الله بركة الحاج ، في سلخ رجب ، وقد نزل النعمان بن أحمد ، أخو الحسن بن أحمد تجاهه . ونزل الحسن بسطح البركة ووقع القتال بين الفريقين واشتد ، فولى حسان بن علي بن الجراح الطائي منهزماً عن الحسن بمن معه ، وكانوا جمعاً كبيراً فلم يثبت الحسن ، ومضى على وجهه ونهب سواده ، وأخذت قبته ، وأسر من عساكره خلق كثير ، فنزل أذرعات ، وتوجه منها إلى الأحساء وقد تمزقت عساكره ، فبلغ ذلك عضد الدولة فناخسره بن ركن الدولة علي بن بويه ، فطمع أن يظفر ببقية القرامطة في الأحساء ، وبها يومئذ أبو يعقوب عم الحسن بن أحمد ، فبعث اليه عسكراً كثيفاً ، ففر عن الأحساء ، فاحتوى العسكر على الأحساء وما فيها ، ووافى الحسن بن أحمد فيمن بقي معه فانضم اليه عمه ، وبقية أصحابه ، وحارب العسكر ، وكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها رجال العسكر ، وأخـــذت أموالهم ، فقويت نفس الحسن بن أحمـد ، وعادت دولته ، وكتب يستدعي العرب

---

(١) في الاصل : وأعماد ، وهو تصحيف .

فأجابوه ، ثم بعث رسوله الى المعز يطلب موادعته ويوصيه بكاتبه أبي المنجا ، وقد قبض عليه وحمل الى القاهرة ليسجن بها ، فأفرج[1] عنه في خامس محرم سنة أربع وستين .

فلما قدم ألبتكين الشرابي الى دمشق وملكها ، وسار القائد جوهر من القاهرة الى دمشق وحصر البتكين ، وبعث الى الحسن بن أحمد يستدعيه ، فسار من الأحساء يريــد دمشق ، فسار جوهر بعد مصالحة ألبتكين الى طبرية ، وقد قرب منه الحسن بن أحمد ، فأسرع في الرحيل ، وخرج الحسن من البرية يريد طبرية ، ففاته جوهر ، فبعث سرية تلحقه ، فواقعهم أصحاب جوهر ، وجلوا الى الرملة . فلما (٣٤٧ ـ ظ) بلغ ذلك الحسن سار من طبرية وسار ألبتكين في اثره ، حتى نزلا الرملة ، فمات الحسن بها في يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رجب سنة ست وستين وثلاثمائة .

فقام من بعده ابن عمه جعفر بن أبي سعيد الجنابي ، وقاتل جوهراً هو وألبتكين بقية السنة ، ثم فسد ما بينه وبين ألبتكين فسار الى الأحساء ، وحمل معه الحسن حتى دفنه هناك .

وكان الحسن بن أحمد قصيراً له كرسي من خشب يصعد عليه حتى يركب ، وكان لايركب من الخيل الا أقواها ، وقال يرد على من عيره بالقصر :

زعمــوا أنني قصير لعمري ... ما تكال الرجال بالقفــزان

انمــا المرء باللسان بالقلــب وهــذا قلبي وهذا لساني

---

(١) في الاصل : فأخرج ، وهو تصحيف ظاهر .

ووقع في [١] آخر يوم من أيام حياته توقيعاً [٢] بخطه لم يفهم من ضعف يده ، فاستثبت فيه ، فتنبه وقال :

رأوا خطي نحيلاً فاستـــدلوا　　بــه أني [٣] على جسم نحيل

وقـد قرئت سطورهم بجمدي　　ولكن ماسحدم والذبول [٤]

فمات من يومه ومن شعر الحسن :

زعمـــوا أنني ضئيل لعمري　　ما تـــكال الرجال بالقفزان

انمـــا المرء باللسان والقلـــب　　وهذا قلبي وهـــذا لساني [٥]

وقال يرثي [٦] :

أعـــزز علي بقتله　　لشبابـــه وأبوتـــه

قـــد كنت ذا خوف عليـه　　لبطشـــه وجراءتـه

وجمـــاله وكمـــاله　　وحيائـه ومروءتـه

وعطائـــه ووفاتـه　　وبهائـــه ورئاسته

وحبائـــه لعداتـه　　وجميل وصف سياسته

حاو خصـال الخير لم　　يعتن قط ولم يتـــه

فاق المغـارب جـوده　　فعلا تعـالى همته

جاد الإله في عـــليه　　في الأخـــرى بسكنى جنته

---

(١) في الاصل : لي .

(٢) في الاصل : مرقما .

(٣) في الاصل : ينبي .

(٤) في الاصل : وقد قريت أسطر بجمدي : ولكن ما اسحدم والذبول . وفي حين كان بالامكان تقويم الشطر الاول من هذا البيت لم أستطع الاهتداء إلى وجه أو مصدر لتقويم الشطر الثاني .

(٥) انظر سر الفصاحة للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي. ط القاهرة ١٩٣٢ . ص ٥٨ .

(٦) في الاصل : يرثني وهو تصحيف .

والقرمطي نسبة [١] إلى قرمط ، وهو حمدان بن الأشعث ، وإنما سمي قرمطاً ، لأنه كان قصير القامة قصير الرجلين ، وكان خطوه متقارباً فقيل له من ذلك قرمط . وقيل بل هو نسبة إلى مذهب يقال له القرمطة خارج من مذاهب الإسلام . وقيل لأن صاحب الجمل وصاحب الخال القائمين بلاد الشام كانا من قيس من بني عبادة بن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي بن جعفر بن عثمان بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان [٢] .

ولما نزل الحسن بن أحمد إلى الرملة أحضر إليه الفراشون في بعض الليالي الشموع ، فقال لأبي نصر بن كشاجم ـ وكان كاتبه ـ : يا أبا نصر ما يحضرك في صفة هذه الشموع ، فقال : إنما نحن في مجلس السيد ، لنسمع من كلامه ، ونستفيد من أدبه ، فقال الحسن بن أحمد في الحال بديهاً :

ومجدولة مثل صدر القناة ⁂ تعرت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها ⁂ وتاج على هيئة البرنس
إذا غازلتها الصبا حركت ⁂ لساناً من الذهب الأملس
وإن رنقت لنعاس عرا ⁂ رقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ⁂ ضياء يجلي دجى الحندس
فنحن من [٣] النور في أسعد ⁂ وتلك من النار في أنحس

---

(١) في الاصل : نسبك ، وهو تصحيف ظاهر .

(٢) واضح أن المقريزي ينقل هنا من كتاب بغية الطلب لابن العديم ، دون الاشارة يه ، ذلك أنه نادراً مايشير الى مصادره ، وثبت لدي أن المقريزي قد تملك بعض مجلدات نية الطلب ، واعتمده في مشروع كتابه المقفى

(٣) في الاصل : «في» وهو تصحيف .

فقام أبو نصر ، وقبل الارض وسأله أن يأذن له في إجازة الأبيات فأذن له فقال :

وليلتنا هـــذه ليـلة　　تشاكل أشكال إقليدس [٣٤٨ و]
فياربة العود حثي الغنـا　　ويا حامل الكاس لاتحبسي

فتقـدم بأن يخلع عليه ، وحمل إليه صلة سنية وإلى كل واحـد من الحاضرين .

وكتب الحسن بن أحمد إلي جعفر بن فلاح :

الكتب معذرة والرسل مخبرة　　والحق متبع والخـير موجود
والحرب ساكنة والخيل صافنة　　والسلم مبتذل والظـل ممـدود
فإن أنبـتم فمقبول إنابتـــكم　　وإن أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المطايا أو يردن بنا　　دمشق والباب مهدوم ومردود
إني امرؤ ليس من شأني ولا أربي　　طبل يرن ولا ناي ولا عـــود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة　　وذات دل لهـــا دل وتفنيـد
ولا أبيت بطين البطن من شبع　　ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولاتسامت بي الدنيا إلى طمع　　يوماً ولاغرني فيها المواعيـــد

ومن مختار شعره :

له مقلة صحت ولكن جفونها　　بها مرض يسبي القلوب ويتلف
وخد كورد الروض يجنى بأعين　　وقد عز حتى إنه ليس يقطف
وعطفه صدغ لو يعلم عطفهـا　　لكان على عشاقــه يتعطف

وقوله :

ياساكن البـلد المنيف تعززا　　بقلاعه وحصونه وكهوفـــه
لاعـز إلا للعـــزيز بنفسه　　وبخيله وبرجـله وسيوفـــه

ss

وبقبـة بيضاء قد ضربت على شرف الخيام لجاره وحليفـه
قرم إذا اشتد الوغى أردى العدى وشفى النفوس بضربه ووقوفه

وقوله :

لم يرض بالشرف التليد لنفسه حتى أشاد تليده بطريف
إني وقومي في أحساب قومهم كمسجد الخيف في محبوحة الخيف
ماعلق السيف منا بابن عاشرة إلا وهمته أمضى من السيف

وكان الحسن بن أحمد يعشق أبا الدواد المفرج بن دغفل بن الجراح فدخل عليه يوماً وفي وجهـه أثر ، فسأله عنه فقال : قبلتـني الحمـى . فـأنشد :

قبلته الحمــــى ولي أتمـنى قبلة منه من زمان طويل
حاجـة طالما ترددت فيهـا قضيت للغريب قبـل الخليـل

وفيه يقول :

هـل لنا فرجـة إليك أيـا ابن (١) مفـرج
لامــــني فيك (٢) معشر م إلى الـلوم أحوج
كيف لم يسبهــم (٣) عذارك [وهو] (٤) المدرج

وفي شعره علته :

ولو أني ملكت زمام أمري لما قصرت عن طلب النجاح
ولكــــني ملكت فصار حالي كحال البدن في يوم الأضاحي
يقدن إلى الردى فيمتن كرهاً ولو يستطعن طرن مع الرياح

---

(١) في الاصل : يا بن ، وهو تصحيف .
(٢) في الاصل : منك ، وهو تصحيف .
(٣) في الاصل : سهم ، وهو تصحيف .
(٤) أضيف مابين الحاصرتين لتقويم الوزن .

العسجد المسبوك
فيمن
وَلِيَ اليمن من الملوك

الفَصْلُ السَّادِسُ (١)
في
ذكرِ القَرامِطَةِ باليمنِ وَذكرِ عَلي بنْ الفَضْلِ وَبدوِ أَمْرِهِ (٢)
المقالةُ في أَصْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ المَلْعُونَةِ وَمَبْدَئِهَا

قال علماء السير والتواريخ : كان علي بن الفضل شيعياً ، على مذهب الإثني عشرية ، فاتفق أنه حج مكة في بعض السنين ، ثم خرج يريد العراق ، قاصداً زيارة قبر الحسين بن علي ، عليهما السلام ، فلما وصل إلى العراق ، وزار قبر الحسين عليه السلام ، بكى بكاء شديداً عنده وترحم عليه ، واستغفر له ، وأظهر من التأسف والكآبة عليه ما أطمع ميمون القداح(٣) في اصطياده ، وكان ميمون القداح يخدم الضريح ، هـو وولده عبيد الله ، ولا يكاد يفارقانه ليلاً ولا نهاراً ، وولده عبيد

---

(١) من ص ٣٥-٤٣ من نسخة الجامع الكبير ومن ص ٣٦-٤٨ من نسخة مكتبة الحرم المكي .

(٢) تحسن مقارنة رواية الخزرجي مع ماذكره القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة ٣٢-٥٤ ، والحادي في كشف أسرار الباطنيه ٢١-٤٤ . ويلاحظ أن هناك فوارق بين رواية الخزرجي من جهة ورواية كل من القاضي النعمان والحادي من جهة ثانية ،فرواية الخزرجي تمثل وجهة نظر يمانية غير اسماعيلية ، بينما رواية القاضي النعمان اسماعيلية فاطمية ، ورواية الحادي نهلت من مصادر اسماعيلية صليحية يمانية ، كما أنه من الملاحظ أن القاضي النعمان مرّ بذكر علي بن الفضل مرور الكرام ، على حين أولته الروايات اليمانية عظيم الاهتمام .

(٣) هو الامام الاسماعيلي لوقته كما جاء في رسالة افتتاح الدعوة : ٣٣-٣٧ ، ولعله تظاهر باسم ميمون تمويهاً وتستراً ، مما جعل الأمر يلتبس على الرواة وسواهم ، علماً بأن بعض المصادر الاسماعيلية تجعل ميمون وأولاده من بعده حججاً أو حجاباً للأئمة ،

الله [١] هو جد العبيديين ، الذين ملكوا مصر ـ وقد تقدم ذكرهم في القسم الأول في الكتاب في الباب الرابع منه ...

فلما رأى ميمون ماظهر من علي بن الفضل من التأسف ، والبكاء ، طمع في إصطياده ، فخلا به وحادثه ، فوجده مائلاً إلى مذهبهم ، مع ماتبين له فيه من النجابة والشهامة ، وكان ميمون منجماً له معرفة بعلوم الفلك ، فرأى أنه سيكون له أمر عظيم ، وكان قد شهر له علمه ، أنه سيكون لابنه عبيد الله شأن عظيم ، يفضي به إلى الملك ، وأن عقبه يتوارثون ملكه بعده ، دهراً طويلاً ، وبعد عليه وجه اتصاله بالملك .

وكان على ماحكاه بعض العلماء يهودياً ، فركبه الاسلام ، فلم ير بدّاً من الدخول فيه ، فتظاهر بالاسلام ، فقدم مشهد الحسين ، وادعى أنه من ولده ، والعلماء من العلويين وغيرهم ينكر نسبه إلى أهل البيت ،

---

(١) مؤسس الدولة الفاطمية ، كان اسمه بعد إعلانه أول خليفة فاطمي عبد الله ، وقد لقب بالمهدي « والمهدي عند الاسماعيلية على عكس مالدى العباسيين، اسمه مثل اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم » ومعروف أن اسم عبيد الله هو مصغر عبد الله ، ومن المعلوم أن في التصغير تحقير ، فالسلطات العباسية لم تكتف بالطعن في نسب المهدي بل سعت إلى تحقيره بتصغير اسمه ومؤكد أن اسم المهدي في المصادر الاسماعيلية ، وفي الكتابات التاريخية المعاصرة له ثم على الصنوج والنقود هو عبد الله ، وقد رأيت في القيروان دينارين ذهبيين من دنانير المهدي ، ضربا فيها الأول سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤م والثاني سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦م ، ونقشهما:

الامام	عبد الله
لا إله إلا الله	محمد رسول الله
وحده لاشريك	
له	
المهدي بالله	أمير المؤمنين

وقد تقدم في صدر كتابنا هـذا ، في القسم الأول ، من البـاب الرابع منه ، ذكره مستوفى ، واختلاف القائلين فيه ، والله أعلم.

وكان قد قدم عليه رجل من ولد عقيل بن أبي طالب ، يقـال له « منصور بن حسن »(١) ، وكان اثني عشري المذهب أيضاً ، وفيـه من العقل ، والفطنة ، والذكاء ، والدهاء ما لامزيد عليه ، فلما قدم علي بن الفضل ، ورأى فيه [مارأى] من النجابة ، جمعها ميمون القداح ، وباح لهما ماعنده من المذهب ، وأخبرهما أن ابنه إمام الزمان ، وأنه لابد له من دعاة ، وذلك بعد أن أخذ عليها العهود والمواثيق.

فأجاباه إلى مايريد ، ثم قال لهما : إعلما أن الايمان يمان ، والحكمة يمانية (٢) ، وكل أمر يكون مبدأه من اليمن ـ أو من قبل اليمن ـ فهو ثابت لثبوت نجمه ، وكان منصور قد عرف من ميمون اجابات كثيرة ، وأجابه إلى ذلك ، ووافقها علي بن الفضل ، فعاهد بينهما ، وأوصى كل واحد منها بصاحبه ، ثم قال لمنصور : الله ، الله في صاحبك ، احفظـه وأحسن إليه ، وامره بحسن السيرة ، فإنه شاب ، ولا آمن عليه ، وقال لعلي بن الفضل : الله ، الله في صاحبك ، وقره ، واعرف حقـه ،

---

(١) هو عند للقاضي النعمان : ٣٢ : « أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي ، وسمي بالمنصور باليمن ، لما أتيح له من النصر ، وكان إذا قيـل له ذلك ، قال لهم : المنصور إمام من أئمة آل محمد صلى الله عليه وسلم ».

(٢) في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ـ ط. بيروت ١٩٦٧ : ١٠/٥٥ « بينا النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة إذ قال : الله أكبر إذا جاء نصر الله والفتح ، وجاء اهل اليمن ، قوم نقية قلوبهم ، حسنة طاعتهم ـ أو كلمة نحوها ـ الإيمان يمان ، والفقـه يمان ، والحكمة يمانية » . هذا ويمكن إدراج هذا الحديث ضمن أحاديث فضائل البلدان ، وجلها موضـوع .

ولاتخرج عن أمره ، فإنه أعرف منك بي ، فإن عصيته لم ترشد .

فسارا إلى اليمن ، وكان دخولهما اليمن عقيب قتل محمد بن يعفر [١] ، واختلاف آل يعفر ، فافترقا من [٢] غلافقه ، فقدم منصور لاعـــة [٣] عــــدن ، وبذلك أمره ميمون القداح ، وقصد علي بن الفضل شرف يافع [٤] ، وأقام كل واحد منهما في ناحيته التي هو فيها ، يظهر الزهد ، والتقشف والورع ، والصلاح ، حتى صار كل واحد منهما مسموع القول في ناحيته لما ظهر من ظاهر أمره ، ثم أمر كل واحد منهما من حوله من أهل ناحيته بجمع زكواتهم ، فاجتمع من ذلك لكل واحد منهما مال عظيم ، فقال منصور بن حسن لمن حوله : أريد موضعاً يكون بيت مال للمسلمين ، فسارعوا إلى قوله ، وبنوا له موضعاً يسمي عثر محرم ، وهو حصن كان لقوم يقال لهم بنو العرجاء [٥] ، تحت مسور [٦] ، فلما

---

(١) عند القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « فدخلا اليمن اول سنة ثمان وستين ومائتين » انظر غاية الأماني في أخبار القطر اليماني – ط. القـــاهرة ١٩٦٨ : ١/١٦٤–١٦٥ . الأعلام للزركلي .

(٢) بلد على ساحل اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد ، بينها وبين زبيد خمسة عشر ميلا، كانت ترفأ اليها سفن البحر القاصدة لزبيد – معجم البلدان – وتعرف الآن بغليفقه .

(٣) هي اليوم أطلال وخرائب ، تقع في الشمال الغربي من صنعـاء على مسافة ثلاثة ايام منها . انظر تاريخ اليمن لعمارة بن علي – ط ثالثة ١٩٧٩ : ٦١–٦٢ .

(٤) الشرف هو مايشرف منه على غيره. انظر صفة الجزيرة : ١١٣–١١٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي : ٦٣ .

(٥) كان عند الحادي : ٢٥ « عبر محرم ، وهو جبل تحت مسور ، وهـــو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين المغرب وهمدان » غاية الأماني : ١/٢٢٠ « عـين » ولم أجد اي منها في المصادر ، فذهبت الى أنه تصحيف لعل صوابه ما أثبت . انظر صفة الجزيرة : ٢٤٨ . معجم البلدان – مادة عثر – تاريخ المستبصر لابن المجاور : ١٨٤ . سيرة الهادي الى الحق : ٣٩٤–٣٩٨ .

(٦) انظر صفة الجزيرة . ط. بيروت : ٢٤٩ – معجم البلدان . تاريخ اليمن لعمارة ابن علي ٢٣٤–٢٣٥ .

حصنه ، نقل ما كان عنده من دراهم وطعام ، وجمع من رجال الحرب نحواً من خمسمائة رجل ، فعاهدهم على القيام بدعوة الامام المهدي ، الذي بشر به النبي ﷺ ، وانتقلوا إليه بأموالهم وأولادهم ، واستوطنوا الحصن .

وأنكر الناس ذلك ، فقال لهم : انما تحصنت من السلطان ، فلم يقبلوا قوله وقاتلوه ، فهزمهم هزيمة شديدة فعظم شأنه ، وشاع ذكره ، وعمل لنفسه طبولاً ورايات ، وأظهر مذهبه ودعا الى المهدي وقال : ما أخذت هذا بحالي ولابرجالي ، وانما أنا داعي المهدي ، فانهمك اليه عامة الناس ، فدخلوا في مذهبه .

ثم سمت همته الى ارتكاب جبل مسور ، فأعد له الرجال والعدد ، ثم عامل عشرين رجلاً من المرتبين في حصن مسور [١] ، فجمع جموعه ، وطلع الجبل في وقت معلوم ، ففتح له أولئك العشرون ، وقال : « ادخلوها بسلام آمنين » ، وكان طلوعه في ثلاثة آلاف رجل ، وكانت طبوله ثلاثين طبلاً ، اذا ضربت سمعت من المواضع البعيدة ، وآمن مستحفظ الحصن ، ومن معه وكان معه مال عظيم للحواليين [٢] ، فلم يعرض له ، وعمر بيت ريب [٣] ، وجعله دار الامارة ، وحصنه وحصن سائر الجبل ودربه من كل ناحية ، وجعل له بابين ، ولم تزل عساكره تغير على القبائل التي حوله ، حتى أبادهم ، وأخذ أموالهم ، وملك جميع تلك

---

(١) كان اسم حصن جبل مسور « فايز » وهو من أمنع حصون اليمن ، كشف اسرار الباطنية ٢٦ . وقد ورد اسمه عند الهمداني في الاكليل ٢/٨٢ ، صفة الجزيرة ٢٦٧ « فائس » بالسين المهملة ، ولافرق فمخرج السين والزاي فيه تقارب كبير .

(٢) أي آل يعفر انظر غاية الأماني ١/١٦٤-١٦٥ .

(٣) انظر وصفه في صفة الجزيرة ٣٤٥ معجم البلدان .

المخاليف ، وسار الى بلد بني شاور ، فافتتحها ، ثم خرج الى ناحية شبام[1] ، فحارب الحواليين ، فكسروه وقتلوا طائفة من عسكره ، ثم عامل رجلاً من مواليهم ، كان مستحفظاً على حصن الضلع ، وسار نحو الحواليين فهزمهم ، وغنم جميع ماكان لهم بشبام ، فنقله إلى مسور ثم خالف عليه ذلك المولى ، الذي عامله على الحصن ، وندم على مافعل واستدعى العساكر من صنعاء ، فكبسوه إلى شبام ، فخرج منهزماً إلى مسور ، وترك كل ماكان له هنالك ، وكتب الى ميمون القداح ، وولده عبيد الله ، يخبرهما بالفتح الذي فتح الله عليه من البلاد ، وبعث هدايا من طرف اليمن ، وذلك في سنة تسعين ومائتين ، والله أعلم .

وأما **علي بن الفضل** ، فهو رجل من أهل اليمن ، خنفري النسب ، من ولد خنفر بن سبأ بن صيفي بن زرعة بن سبأ الأصغر ، وكان ساقطاً في أول عمره ، مغموراً لاشهرة له[2] ، الا أنه كان أديباً ذكياً شجاعاً ، جريئاً لسناً فصيحاً ، ورحل من اليمن الى الكوفة كما ذكرنا ، وتعلم مذهب الاسماعيلية ، ورجع الى اليمن داعية ، هو ومنصور ابن حسن ، فافترقا من غلافقة ، فطلع علي بن الفضل الى الجند[3] ،

---

(١) أي شبام حمير . انظر كشف اسرار الباطنية ٢٧ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٦٥ . حيث وصفه بقوله : منيع جداً وفيه قري ومزارع وجامع كبير ، وهو عمل مستقل بنفسه . انظر أيضاً تاريخ المستبصر لابن المجاور ١٨٤ .

(٢) وصفه القاضي النعمان ـ رسالة افتتاح الدعوة ٣٨-٣٩ : « شاب جميل من اهل بيت تشيع ونعمة ويسار » . هذا وهناك خلاف حول اصله ونسبه ؛ انظر الحمادي ٢١ ، مع رسالة افتتاح الدعوة ، وتاريخ اليمن لعمارة بن علي ٥٨-٦٥ .

(٣) كانت احدى مدن اليمن الكبرى ، وفيها اسس الصحابي معاذ بن جبل اول مسجد اسلامي في اليمن . انظر صفة الجزيرة ١٤٤ . تاريخ ابن المجاور ١٦١ . تاريخ اليمن لعمارة ٥٠ .

ثم خرج منها الى أبين ، ثم خرج الى يافع ، فوجدهم رعاعاً ، فجعل يتعبد في بطون الأودية ، ويأتونه بالطعام ، فلا يأكل منه شيئاً ، وان أكل منه أكل شيئاً يسيراً ، وكان قد أقام في رأس جبل متخلياً بزعمه للعبادة ، وكان يريهم أنه يصوم النهار ، ويقوم الليل فأحبوه وافتتنوا به ، وجعلوا أمرهم بيده ، وسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن معهم ، فقال : لا أفعل ذلك ، الا أن تأتمروا بالمعروف ، وتنتهوا عن المنكر ، وتتوبوا الى الله من سائر المعاصي ، وتقبلوا على طاعة الله ، فأجابوه الى ذلك ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق ، بالسمع والطاعة له ثم أمرهم بعمارة حصن في ناحية الشرف ، ففعلوا فأنهبهم أطراف البلاد ، وأراهم أن ذلك جهاد في سبيل الله للعاصين ، حتى يدخلوا في دين الله طوعاً وكرهاً ، وكان يومئذ في لحج وأبين رجل يعرف بابن أبي العلاء ، من الأصابح ، مالكاً لها ، فقصده ابن الفضل بمن معه من يافع وغيرهم ، فهزمه ابن أبي العلاء ، وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً ، وانهزم علي بن الفضل الى صهيب[1] ، واجتمع أصحابه المنهزمون جميعاً ، فقال لهم : انني أرى رأياً صائباً ، فقالوا : وماهو ؟ قال : اعلموا أن القوم قد أمنوا منا ، وأري أنا نهجم عليهم . فإنا نظفر بهم ، فوافقوه الى مايريد ، فلم يشعر ابن أبي العلاء ألا وهو معه بخنفر على حين غفلة ، وافتراق من أصحابه ، فقتل ابن أبي العلاء ، وطائفه كثيرة من أصحابه واستباح ماكان لهم ، ووجد في الخزانة التي لابن أبي العلاء ، سبعين بدرة ، البدرة عشرة آلاف درهم ، الجملة سبعمائة ألف درهم ، وعاد الى بلد يافع ، فعظم شأنه ، وشاع ذكره[2] .

---

(١) انظر صفة الجزيرة ٧٩ .

(٢) انظر الحادي ٢٨-٢٩ .

ثم قصد المذيخرة[1] في سنة احدى وتسعين ومائتين ، وبها جعفر ابن محمد المناخي ، وهو الذي ينسب اليه مخلاف جعفر ، وكان قد كتب اليه : بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموالهم ، وانما قمت لإقامة الحق ، واماتة الباطل ، فادفع لأهل دلال[2] دية ماقطعت من أموالهم ، وكان جعفر قد قطع منهم على حجر في المذيخرة ثلاثمائة يد ، ولم يزل أثر الدم على تلك الحجر زماناً طويلاً .

ثم ان علي بن الفضل جمع جموعه ، وسار نحو المعافر[3] ، وهي مابين ذبحان وجبأ[4] ، وجمع المناخي جموعه ، وسار نحوه ، فلازم هو وأصحابه نقيل البردان[5] ، وقاتلوه هنالك ، فانهزم علي بن الفضل وأصحابه : وعادوا الى بلد يافع ، وكانت الوقعة يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ثم قصدوا بجموعهم مرة أخرى المذيخرة يوم الأربعاء ، لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فأخذها وأخذ حصن التَمَكّر ، وانهزم جعفر بن ابراهيم المناخي إلى تهامة ، فيقال إنه بلغ القريب من وادي زبيد ، فأمده صاحب زبيد بجيشٍ كثيف .

فخرج جعفر بن ابراهيم يريد المذيخرة ، فلقيه علي بن الفضل في جموعه ، فكان بينهما وقعة مشهورة بوادي نخلة ، وفيها قتل جعفر بن إبراهيم

---

(١) انظر صفة الجزيرة ١٠٢-١٠٣ . الحمادي ٢٩ . تاريخ اليمن لعمارة ٦٤ . تاريخ المستبصر لابن المجاور ١٨٣-١٨٤ .

(٢) انظر صفة الجزيرة ١٣٣ ، الحمادي ٢٩ .

(٣) انظر صفة الجزيرة ٢٠٧ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٥٠ .

(٤) انظر صفة الجزيرة ٢٠٧-٢١٠ .

(٥) انظر صفة الجزيرة ١٠٢-١٠٤ ، ٤١٩ .

بأكمة جوالة[١] ، هو وابن عمه أبو الفتوح ، وكانت الوقعة يوم الجمعة آخر جمعة من رجب من السنة المذكورة ، ودخلت رؤوسهم المذيخرة ، يوم السبت أول يوم من شعبان ، فقويت شوكة القرامطة ، واستولى علي بن الفضل على بلاد المناخي ، وجعلها مستقر ملكه ، وكانت دولة جعفر بن إبراهيم المناخي من سنة تسع وأربعين إلى سنة اثنتين وتسعين ، ثلاث وأربعون سنة[٢] ،

ثم سار علي بن الفضل إلى بلد يحصب[٣] ، فدخل منكث[٤] فأخربها فلما صار بذمار وجد جيشاً عظيماً بهران[٥] من أصحاب الحوالي ، فكتب إلى والي هران يستميله ، فأجابه ، ودخل في ملته ، ثم قصد صنعاء ، فهرب منه أسعد بن أبي يعفر ، فلما صار علي بن الفضل في صنعاء ، أظهر مذهبه الخبيث ، ودينه المشؤوم ، وارتكبت محظورات الشرع ، وادعى النبوة ، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه : أشهد أن علي بن الفضل رسول الله ، وأباح لأصحابه شرب الخمر ، ونكاح البنات والأخوات ، وسائر المحرمات ، وأنشد :

خذي الدف ياهذي والعبي   وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم   وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعه   وهاتا شريعة هذا النبي

---

(١) انظر صفة الجزيرة ١٣١ حيث اورد الهمداني أن جوالة من حصون المنطقة .
(٢) انظر الحمادي ٢٩-٣٠ .
(٣) انظر معجم البلدان ـ مادة يحصب .
(٤) انظر صفة الجزيرة ٧٩ . معجم البلدان .
(٥) من حصون ذمار : صفة الجزيرة ١٤٩ . معجم البلدان .

فقد حط عنا فروض الصلاة وحـط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صوموا فكلي واشربي (١)
ولاتمنعـي نفسك المرسين من الأقـربين أو الأجنبي
فـلم ذا حللت لهذا الغريب وصـرت محـرمة للأب
أليس الغراس لمـن ربه وسقـاه في الزمن المجـدب
وما الخمـر إلا كمـاء السما حـلال فقدست من مذهب (٢)

* * *

وصلي إلهـي على أحمـد وأخزي الفويسق من يعـرب
وحرم عليه جنان النعيـم فقـد باح بالكفر لم يرقب (٣)

ولما علم منصور بن الحسن ، بدخول علي بن الفضل صنعاء ، سره ذلك ، وتجهز بالمسير إليه ، والتقيا ، أقاما أياماً ، وابن الفضل يوجه منصوراً ، ويقول : إنما أنا سيف من سيوفك ، وكان منصور بن حسن يهاب علي بن الفضل ، ويخافه لما يرى من شهامته وصرامته .

ثم عزم علي بن الفضل على نزول تهامة ، فنهاه صاحبه منصور ، وقال له : الصواب أن تأني وتقف بصنعاء ، وأنا بشبام سنة حتى نصلح جميع ما استفتحناه ، فلم يقبل منه ، فجمع ثلاثين ألفاً مابين فارس وراجل ، وسار على الطريق اللحب (٤) ، فلما توسط مضائق البلاد ، ثاروا عليه ، ولزموا الطريق ، فلم يقدر على التخلص ، فلما علم منصور بن حسن ، جمع جموعه ، وسار نحوه ، فاستنفذه وعاد إلى

---

(١) زاد الحمادي بعد هذا البيت ، البيت التالي :
ولا تطلبي السعي عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب
(٢) انظر الحمادي ٣١ . وما صنعه علي بن الفضل يمكن اعتباره اعلان للقيامة وهو أمر عرفته العقيدة الاسماعيلية ، انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة ٨٧ - ٨٩ .
(٣) لاندري ناظم هذين البيتين أهو الخزرجي أم احد النساخ ؟
(٤) اللحب الطريق الواضح ـ القاموس .

صنعاء ، ورتب بها ، وسار إلي حراز [١] ، وملحان [٢] ، ونزل المهجم [٣] فقتل صاحبها ، ثم سار إلى الكدراء ، فأخذها ، وسار إلى زبيد ، فهرب صاحبها اسحق بن إبراهيم بن محمد بن زياد ، فهجم على من فيها ، فقتلهم واستباحهم ، وسبى من زبيد أربعة آلاف عذراء ، ثم خرج منها ، فلما صار في موضع يسمى المشاحيط ، جمع جنده ، وقال : إن هؤلاء النسوان يشغلنكم عن الجهاد ، ونساء الحصيب فتنة ، فاذبحوا مافي أيديكم منهن ، وتجردوا للجهاد ، فذبحوا أربعة آلاف عذراء في ساعة واحدة ، فسمي الموضع المشاحيط [٤] ، ثم رجع إلى المذيخرة ، وقد جعلها دار مملكته ، وأمر بقطع الحج .

ثم إن أهل صنعاء استدعوا الإمام الهادي [٥] ، وكان مقيماً بصعدة فسار إليهم ووجه ابنه أبا القاسم ، المرتضى محمد بن الامام الهادي إلى ذمار ومخاليفها ، فاستعمل العمال ، ثم تعاظم أمر القرامطة ، وقصدوا أبا القاسم المرتضي إلى ذمار ، فخرج من ذمار إلى أبيه ، وكان بصنعاء وذلك في سنة أربع وتسعين ومائتين .

ثم إن موالي بني يعفر : الحسن بن كيالة ، وابن جراح جمعوا جموعهم لحرب الامام الهادي ، فندب أهل صنعاء لحربهم ، فتخاذلوا عنه ، فخرج من صنعاء إلى صعدة ، فدخل أسعد بن يعفر صنعاء ،

---

(١) مخلاف قرب زبيد ـ معجم البلدان .
(٢) انظر صفة الجزيرة ١٤٤-١٤٥ ـ معجم البلدان .
(٣) انظر صفة الجزيرة ٢٠٨-٢٠٩ ـ معجم البلدان .
(٤) انظر الحمادي ٣٢-٣٣ حيث ذكر بأن المكان كان اسمه قبل المذبحة : اللاحيط ثم تحول بعدها الى الشاحيط .
(٥) لقد سبق لي ان نشرت سيرة الهادي الى الحق ـ بيروت ١٩٧٢ : ٢٢٥ .

فملكها [١] .

ثم ان ذا الطوق [٢] اليافعي ، أحد قواد علي بن الفضل ، قصد ابن الروية المذحجي الى ذمار ، فهرب منه الى رداع [٣] ، وجمع عشيرته فقصده ذو الطوق الى رداع ، فقتله ثم سار ذو الطوق نحو صنعاء ، فلقيه أسعد بن أبي يعفر في جمع من أصحابه وغيرهم فقاتله ذو الطوق فهزمه ، وقتل من أصحابه نحواً من ثلاثمائة رجل ، ومن سائر جمعه عدة ودخل ذو الطوق صنعاء فملكها .

واستدعى أهل صنعاء الامام الهادي أيضاً ، فنهض نحوهم ، وبعث مقدمة من عسكره عليها علي بن أبي جعفر العلوي ، والدعام بن ابراهيم وسار بعدهم ولده المرتضى في جيش آخر ، فخرجت القرامطة من صنعاء ، ودخلها المرتضى محمد بن الامام الهادي ، فأقام فيها زماناً ، حتى جاءته القرامطة ، بما لاقبل له به ، فخرج من صنعاء ، وخرج معه جيش عظيم ، فلقيهم الهادي بورور [٤] ، وقد انتشر ذكر القرامطة في البلاد ، فعادوا جميعاً الى صعدة ، ولم يلبث الامام الهادي أن توفي ، وكانت وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين [٥] .

ولما انتشرت القرامطة باليمن [٦] ، وعظم أمرهم ، جمع آل يعفر

---

(١) انظر سيرة الهادي ٣٩٠ . غاية الأماني ١/١٩٨ .

(٢) مما يثير الانتباه ان احد المقربين من صاحب الخال ، إمام قرامطة الشام عرف باسم المطوق .

(٣) انظر صفة الجزيرة ٨٠ - ٨١ .

(٤) انظر صفة الجزيرة ٢٤١ .

(٥) انظر سيرة الهادي ٣٩٤ - ٣٩٧ .

(٦) في نسخة الحرم : البلاد .

مواليهم ، ومن قدروا عليه ، وقصدوا القرامطة الى صنعاء ، فقتلوا بعضهم وهرب الباقون ، ودخل أسعد بن أبي يعفر صنعاء ، وملكها .

ثم قصد علي بن الفضل صنعاء ، سنة تسع وتسعين ومائتين ، فدخلها يوم الخميس لثلاث مضين من رمضان المعظم ، من السنة المذكورة ، وخرج أسعد منها هارباً ، فرتب عليها ابن الفضل من يحفظها .

ولما رأي علي بن الفضل أنه قد استحكم له أمر اليمن ، خلع طاعة عبيد الله المهدي ، ثم كاتب صاحبه منصور بن حسن بذلك ، فعاد جوابه يعاتبه ، ويقول : كيف تخلع من لم تنل خيراً الا به ، وببركة الدعاء اليه ، أما تذكر مابينك وبينه من العهود والمواثيق ، وما أخذ علينا جميعاً من الوصية بالاتفاق ، وعدم الافتراق ، فلم يلتفت اليه فكتب اليه علي بن الفضل كتاباً ، يقول فيه : ان لي بأبي سعيد الجنابي [1] أسوة ، وقد دعا الي نفسه ، وأنت ان لم تدخل في طاعتي نابذتك بالحرب .

فلما ورد كتابه على منصور بذلك غلب على ظنه صحته ، فطلع جبل مسور ، وحصنه من كل ناحية ، وقال : انما أحصن هذا الجبل من أجل هذا الطاغية وأمثاله ، ولقد عرفت الشر في وجهه يوم اجتمعنا بصنعاء ، ثم ان علي بن الفضل سار لحرب منصور بن حسن ، وانتدب لقتاله عشرة آلاف رجل من المعروفين بالشجاعة والاقدام في عسكره ، وحصره ثمانية أشهر ، فلم يظفر منه بطائل ، وشق به الوقوف ، فراسله منصور بالصلح ، فقال لا أفعل الا أن يرسل لي بعض ولده ، يقف مني

---

(١) مؤسس دولة قرامطة البحرين تقدم ذكره . انظر تاريخ أخبار القرامطة ١٥-١٧ . كشف أسرار الباطنية ٢٠ . تاريخ العرب والاسلام ٣٠٦ .

على الطاعة ، ويشيع عند العالم أني إنما تركته تفضلاً لاعجزاً ، فأرسل منصور بعض أولاده ، فطوقه علي بن الفضل طوقاً من ذهب ، وسار به معه إلى صنعاء ، فأقام بها أياماً .

وكان أسعد بن أبي يعفر ، ومولاهم الحسن بن كيالة بذمار ، فلما توجه علي بن الفضل نحو المذيخرة ، وثب أسعد بن أبي يعفر على الحسن ابن كيالة ، فقتله ، فاصطلح هو وعلي بن الفضل ، فولاه صنعاء ، وخطب له ، ولبس البياض [١] ، وقطع ذكر بني العباس ، وتراجع أهل صنعاء ، وأمن الناس .

وكان أسعد بن أبي يعفر حذراً من غدره ، ولايكاد يستقر بصنعاء خوفاً من غارة تهجم عليه ، وكان عنوان كتابه ، إذا كتب : من باسط الأرض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل ، إلى عبده فلان ـ وكفى بهذا دليلاً على كفره .

وفي مدة نيابة أسعد بن أبي يعفر ، لعلي بن الفضل ، قدم رجل غريب من أهل بغداد ، يذكر أنه شريف ، فصحبه أسعد بن أبي يعفر واختص عنده مدة ، وكان جرائحياً ماهراً في عمل الأدوية ، بصيراً بفتح العروق ، ومداواة الجرحى ، فلما رأى شدة خوف أسعد من علي بن الفضل ، قال له : قد عزمت على أن أهب نفسي لله وللمسلمين ، وأريح الناس من هذا الرجل الطاغي ، فقال له أسعد : لئن فعلت ، ثم عدت إلي لأقاسمنك فيما أنا فيه من الملك ، فأخذ منه عهداً وميثاقاً ، وخرج من صنعاء يريد المذيخرة ، فلما قدمها خالط وجوه الدولة وكبراءها وسقاهم الأدوية النافعة ، وفصد من احتاج إلى الفصد ، وانتفع به أناس

---

(١) شعار الشيعة من كل الطوائف والبياض ضد السواد شعار الدولة العباسية .

كثير ، فرفع ذكره إلى علي بن الفضل ، وأثني عليه في حضرته ، وقيل له : إنه لايصلح إلا لمثلك .

فلما كان ذات يوم أحب الفصاد ، فطلبه ، فلما حضر بين يديه ، جرده من ثيابه ، وغسل المبضع وهو ينظر ، وكان قد دهن أطراف شعر لحيته بسم قاتل ، فلما دنا منه ليفصده ، وقعد بين يديه ، مص المبضع تنزيهاً لنفسه ، ثم مسحه بأطراف شعره ، كالمجفف له ، فعلق فيه ماعلق من السم ، ثم فصد الأكحل وربطه ، وخرج من فوره هارباً من المذيخرة ، متوجهاً إلى أسعد بن يعفر ، فلما كان بعد ساعة ، أحس علي بن الفضل بالموت ، فطلب الحكيم الغريب ، فلم يجد له خبراً ، فأيقن بالموت ، فأمر أن يلحق حيث كان ، فخرج العسكر في طلبه في كل وجه ، فأدركه بعضهم في وادي السحول عند المسجد المعروف بقينان[1] فأرادوا لزمه ، فامتنع وقاتل عن نفسه ، حتى قتل في ذلك الموضع ، وقبره في ذلك الموضع ، وتوفي علي بن الفضل عقيب ذلك ، وكانت وفاته ليلة الخميس النصف من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمائة ، ، وكانت مدة محنته ، وملكه سبع عشرة سنة [2] ـ فلا رحم الله مثواه ، ولا بل بشيء من الرحمة ثراه .

ولما علم أسعد بن أبي يعفر بوفاته ، فرح فرحاً شديداً ، وخرج يريد المذيخرة ، وكتب إلى أهل الجند ، والمعافر ، فالتف العسكر إليه وكان لعلي بن الفضل ولد قد انضم إليه أهل مذهبه وتحصنوا بالمذيخرة

---

(١) انظر صفة الجزيرة ١٠١ ـ ١٠٤ . الاكليل ٢/٢٣٤ـ ٢٤٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٨٨ .

(٢) انظر الحمادي ٣٦ ـ ٣٧ .

فأحاطت بهم العساكر مع أسعد بن أبي يعفر ، فنصب لهم المنجنيقات ، ولم يزل مصابراً لهم مدة سنة كاملة ، حتى أخربها المنجنيق ، ودخلها قهراً بالسيف ، وقتل ولد علي بن الفضل ، وسبا بناته ، وكن ثلاثـاً ، فرقهن في رؤساء العرب ، ووهب واحدة منهن لابن أخيه ، قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان ، وكان اسمها معاذة ، وانقطعت دولة القرامطة من مخلاف جعفر ، ولم تزل المذيخرة خراباً إلى يومنا (١) هذا ، فهذه أخبار علي بن الفضل بأسرها .

واستولى الأمير أسعد بن أبي يعفر على البلاد في رجب سنة أربع وثلاثمائة ، وفي أيام أسعد بن أبي يعفر المذكور ، قدم اليمن الوزير علي ابن عيسى بن الجراح من العراق ، فأقام بصنعاء على أوفى كرامة ، وقدم له مالاً كثيراً ، ورجع الوزير إلى بغداد ، وهو من الشاكرين لأسعد بن أبي يعفر الحوالي المذكور ، فعمل في رفع الخراج عن اليمن فجزاه الله خيراً ، وكانت وفاته في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة (٢) .

وولي البلاد بعده أبو يعفر سبعة أشهر ، ثم ولي البلاد عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، وهو الذي أمه معاذة بنت علي بن الفضل ، وكانت وفاته في الثامن عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة (٣) ، وكانت له وقعات مشهورة منها : أن أبا يعقوب المحابي ، وازر الحسين بن سلامة على قتال بني الحوالي ، فالتقوا للحرب

(١) في نسخة الجامع الكبير : عصرنا .
(٢) في غاية الأماني ١/٢١٩ ، كانت وفاته سنة ٣٣١ هـ .
(٣) في غاية الأماني ١/٢٢٧ ، كانت وفاته سنة ٣٨٧ هـ .

في اليوم السادس عشر من شوال سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، نحواً من ألفي رجل ، وكانت الدائرة على أبي يعقوب الحابي ، وهو من جهة الحسين بن سلامة [1] ، والله أعلم.

وأما منصور بن حسن ، فكان رجلاً عاقلاً لبيباً كاملاً ، وكان موادعاً يحب الباقاة ، ولم يبرح في جهة لاعة إلى أن توفي سنة اثنتين وثلاثمائة ولما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه الحسن بن منصور ، وإلى رجل من أصحابه ، يقال له عبد الله الشاوري ، وكان خصيصاً به ، فأمرهما بالمحافظة على مذهبه ، وأن لايقطعا أمراً دون عبيد الله المهدي ، وأمرهما بمكاتبة المهدي ، فإذا ورد أمره [2] بولاية أحدهما ، سمع الآخر وأطاع ، فكتب الشاوري إلي المهدي برسالة وهدية ، وعرفه بموت منصور ، وكان منصور ابن حسن ، قد أرسل الشاوري إلى المهدي ، قدم عليه ، وهو في المهدية ، فدفع اليه الكتاب ، فلما قرأه ، أقر الشاوري بالاستقلال ، وبعث إليه تسع رايات ، وعاد الحسن بن منصور خائباً .

فلما وصلت كتب المهدي بولاية الشاوري ، وعزل أولاد المنصور ، ووصل الحسن بن منصور خائباً ، عمل على قتل الشاوري ، فنهاه أخوته فلم ينته ، فكان أولاد المنصور يواصلون الشاوري ، وهو يكرمهم ويبجلهم ولايحجب منهم أحداً ، ثم إن الحسن بن منصور دخل يوماً على الشاوري في بعض الغفلات ، فلم يجد عنده أحداً فقتله واستولى على البلاد ، فلما استوثق له الأمر جمع الرعايا من أقاصي البلاد ودانيها ، وأشهدهم على نفسه ، أنه قد خرج من مذهب القرامطة ، إلى مذهب أهل السنة ،

---

(١) في هذا خلاف، انظر تاريخ اليمن لعمارة ٦٨-٧٣ . تاريخ ثغر عدن ٢/٥٩-٦٣

(٢) في نسخة الجامع الكبير : كتابه .

فأحبه الناس ، ودانوا له ، فدخل عليه أخ له ، يسمى جعفر فنهاه عما فعل ، وقبحه عليه ، فلم يلتفت اليه ، وقتل القرامطة الذين حوله ، وشردهم في كل وجه .

ثم إنه خرج يوماً من مسور إلى عثر محرم ، وفيها رجل من قبله يقال له ابن أبي العرجاء ، واستخلف على مسور إبراهيم بن عبد الحميد السباعي ، وهو جد بني المنتاب ، فلما دخل عليه حسن بن منصور عثر محرم ، وثب عليه نائبه ابن أبي العرجاء ، فقتله واستولى على ماتحت يده وبلغ الخبر إلى ابراهيم بن عبد الحميد ، فلزم مسوراً ، وادعى الأمر لنفسه ، وخرج أولاد منصور بن حسن وحريمهم الى جبل ذي عسب فوثب عليهم المسلمون وقتلوهم ، ولم يبقوا منهم وسبوا حريمهم ، ثم اتفق ابن أبي العرجاء ، وإبراهيم بن عبد الحميد ، فاقتسما البلاد نصفين ، ورجع إبراهيم إلى مذهب أهل السنة (١) ، وخطب للخليفة العباسي ، وكاتب الأمير ابراهيم بن زياد صاحب زبيد ، ودخل في طاعته ، وسأله أن يرسل إليه رجلاً (٢) من قبله ، فبعث ابن زياد برجل يعرف بالسراج ، وقال له ابن زياد : إذا أمكنتك الفرصة من إبراهيم فثب عليه ، فتلقاه ابراهيم وأنصفه وأكرمه ، فعامل عليه السراج من يقتله ، فبلغ العلم إلى ابراهيم بن عبد الحميد فقبض على السراج ، وحلق رأسه ولحيته ، ونفاه (٣) .

وقطع مواصلة ابن زياد ، وتتبع القرامطة بالقتل والسبي حتى أفناهم

(١) انظر الحمادي ٣٩ – ٤٢ .
(٢) في نسخة الجامع الكبير : برجل .
(٣) انظر الحمادي ٤١ .

ss

ولم يبق منهم الا طائفة قليلة بناحية مسور صائنين [١] أمرهم ، مقيمين ناموسهم برجل يقال له ابن الطفيل ، فقتله ابراهيم بن عبد الحميد ، فانتقلت الدعوة الى رجل يعرف بابن قحيم [٢] ، وذلك في أيام المنتاب بعد موت أبيه ابراهيم بن عبد الحميد ، فخاف ابن قحيم على نفسه ، فكان لايستقر في موضع واحد خوفاً من المنتاب ، وكان يكاتب المعز الى مصر بعد خروجه من القيروان ، فلما حضرته الوفاة ، استخلف رجلاً من شبام ، يقال له الأسد ، فأقام دعوته حياته ، فلما حضرته الوفاة استخلف عنده موته سليمان بن عبد الله الزواخي [٣] ، وهو رجل من حمير ـ والزواخي قرية من أعمال حراز ، ينسب اليها المذكور ، والزواخي أيضاً قرية من أعمال حدد ، والزواخي أيضاً قرية من أعمال حيس بتهامة .

فكان سليمان داعياً في أيام الحاكم والظاهر ، وأول أيام المستنصر ، وكان كثير المال والجاه ، فاستمال الرعاع والطغام الى مذهبه ، وكلما هم به المسلمون دافعهم بالجميل ، ويقول أنا رجل مسلم ، أشهد أن لا إله إلا الله ، فيمسكون عنه ، وكان فيه كرم نفس ، وافضال على الناس ، فلما حضرته الوفاة استخلف علي بن محمد الصليحي [٤] ، الذي سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ...



(١) في نسخة الجامع الكبير : كاتين .
(٢) عند الحمادي ٤١ ابن رحيم .
(٣) ضبطها ياقوت في معجم البلدان بالخاء المعجمة وكذلك فعل البكري في معجم ما استعجم ، بينما ضبطها الأكوع في صفة الجزيرة ١٠٣ ـ ١٠٤ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٠ « بالحاء المهملة » .
(٤) انظر الحمادي ٤٢ ـ ٤٤ .

الفهارس

الآيات القرآنية

* * *

الشعر

* * *

ss

الأعـــلام

(في المقدمة)

الاعـــلام

(في متن الكتاب)

* * *

المحتوى

الموضوع	الصفحة

ss

الموضوع	الصفحة

SS

مِنْ مَنْشُوراتِنا

١ ـ مائة أوائل من تراثنا — تأليف : د. سهيل زكار، أحمد غسان سبانو

٢ ـ الكسب للامام محمد بن الحسن الشيباني — تحقيق د. سهيل زكار

٣ ـ الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين
تصنيف أحمد بن علي الحريري — تحقيق د. سهيل زكار

١ ـ مائة أوائل من تراثنا

في حلة جديدة وترتيب مبتكر حديث ، يبحث في تاريخ أمتنا وقضايا ماضينا من خلال أفراد ، لكنه لا يمجد دور الفرد البطل ولا يلغي هذا الدور ٠

وهو قائم على اعتبار أن النبي محمد ﷺ هو الأول المطلق في كل ميدان ومجال ، ومؤسس على اعتبار علم الأوائل علم عربي أصيل ٠

إنه ليس كتاب تراجم ، إنما هو الأول من نوعه بالعربية كتب بروح قرآنية محمدية تراثيـــة شموليـــة وضمن منظور عربي أصيل لتفسير التاريخ الاسلامي نابع من نظرة القرآن والسيرة النبوية وتراث الكتاب الأوائل وتجاربهم الغنية ٠

٢ ـ الكســب

أول مصنف بالعربيـــة في التشريع الاقتصادي ومعالجــة المشاكل الاجتماعية والتعليمية ٠

أملاه الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب الامام أبي حنيفة ، ومصنف تراث المذهب الحنفي وفقيه الاسلام وأهل العراق الأول ٠

ـ شرحه الامـــام السرخسي لكنه لم يدخـــله بين مجموعة المبسوط ٠

ـ هو آخر ما صنفه الامام الشيباني لذلك حوى خلاصة تجربته الفقهية وزبـــدة مواقفه التشريعية مـــع ردوده على المتصوفة وأتباع الزهد الأعجمي ٠

٣ ـ الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين

لأحمد بن علي الحريري من رجال القرن العاشر الهجري٠

ـ يبحث في تاريخ الحروب الصليبية بشكل مكثف مستقياً معلوماته من آهم المصادر الأولى ٠

ـ في مقدمته محاولة عربية جادة لتعليل تاريخ الحروب الصليبيـــة ومشروع عربي متكامل لكتابـــه تاريـــخ الحروب الصليبية بشكل علمي عربي ٠

٤ ـ مشهد العيـــان في حوادث سورية ولبنـــان للدكتور مشاقـــة

يبحث في تاريخ بلاد الشام في ظل الحكم العثماني طيلة قرن من الزمن شروعاً بعصر أحمد باشا الجزار وختاماً بمذابح ١٨٦٠ ، بشكل وثائقي رفيع ٠

ألحق به رحلة السفير المغربي أبي القاسم الزياني الذي وصف طـــرق الحج الشامية والمصرية وبلدان الشام وأرض

الكنانة والتقى في الديار المقدسة بأحمد باشا الجزار الذي كان يعد نفسه للاعلان عن ذاته مهدي زمـانه مما يلقي أضواء جديد على هذه الشخصية التاريخية الهامة ٠

قيـد الطباعـة والنشـر

١ ـ تاريخ العرب والاسلام منذ ما قبـل المبعث وحتى نهـاية العصر العثماني ٠

في ـ ٧ ـ مجلـدات كبـار ٠

٢ ـ تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار

ألفـه باللاتينية وليم رئيس أساقفة صور ومؤرخ بلاط مملكة القدس الصليبية ٠

ـ هو أهم مصدر كتبه الصليبيون عن تاريخهم في الشرق منذ البداية وحتى ما قبل معركة حطين ٠

يحوي من المعلومات مالا يوجد في أي مصدر آخر بأية لغة كانت ٠

ـ تاريخ موسع وقد جاء بالعربية في أربع مجلدات رفيعة الضبط فيها جميع الاحالات والمقارنات مع روايات المصـادر العربية وغيرها ٠

٣ ـ التاريخ السري للمغول ووثائق العلاقات المغوليـة الكاثوليكية

يتحدث عن حياة جنكيز خان كما روتها الكتابات الصينية المعاصرة له ويقـدم سجلات رحلات السفراء الذين جاءوا من الفاتيكان وانكلترة وأوربة إلـى البـلاط المغولي وسفارات هذا البلاط إلى أوربـة · مترجمـة عن الصينية واللاتينيـة والفرنسية القديمة ·

٤ ــ العالم الاسلامى في العصر المغولى ·

آخر ما صدر في موضوعه باللغة الألمانية ·

٥ ــ الحملتان الصليبيتان الأولى والثـانية كما روتهـا المصادر السريانية واللاتينية

إنها روايات وثائقية لشهود عيـان شاركوا في الأحداث بشكل مباشر ·

٦ ــ بابوات يهود (من الغيتو اليهودي لروما)

بحث تاريخي موثق كتبـه بالانكليزية حاخام نيويورك الأسبق فتحدث بـه عن أسرة يهودية قدمت عدداً من مشاهير البابوات حتى قيام الدعوة للحروب الصليبية ·

٧ ــ تاريخ امبراطوريةالخزر اليهودية تأليف م ــ دنلوب

هو أفضل بحث أكاديمي موثقكتب عن تاريخ هذه الدولة التـي شغلت دوراً هـاماً في تاريخ المسـلمين والامبراطورية البيزنطية ·

إن دار حسان للطباعة والنشر تهتم بجمع الدراسات عن تاريخ العرب والاسلام وتسعى لاحيـاء النصوص التراثيـة ونشرها محققة بشكل علمي واخراج لائق ·

يمكن الحصول على مطبوعاتنا عن طريق مراسلتنا إلى دمشق ــ ص · ب / ٣٢١٨ /

SS

هذا الكتاب

- يبحث في نشأة القرامطة ويقدم نظريات جديدة حول موطنهم الأول وأصل تسميتهم .
- هو أول كتاب يطرح قضية قرامطة اليمن ويوضح أثر حركاتهم على بقية جماعات القرامطة وبلدان وشعوب العالم الاسلامي .
- فيه يرى القارىء نتائج ثورات القرامطة بشكل جلي وأهداف حركاتهم الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .....
- لم يسبق أن حوى كتاب آخر ماحواه هذا الكتاب من مواد تاريخية تنشر للمرة الأولى بشكل علمي ويرقى بعضها إلى أيام القرامطة .

الجامع في

أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

الجزء الثاني

الطبعة الثالثة
مزيدة بدراسة وببعض النصوص ومنقحة
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

دار حسّان
للطباعة والنشر
دمشق ـ ص.ب ٣٢١٨

الدكتور سهيل زكار

الجامع في أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

دراسة وتحقيق لما جاء في مصنفات :

ثابت بن سنان بن قرة الصابئ وآله - علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي

الداعية الإسماعيلي أحمد بن ابراهيم النيسابوري - داعية إسماعيلي قديم مجهول

القاضي عبد الجبار الهمذاني - ناصر خسرو - أبو محمد اليماني - محمد بن مالك اليماني

عبد الرحمن بن الجوزي - علي بن ظافر الأزدي - كمال الدين بن العديم

أحمد بن عبد الوهاب النويري - أحمد بن علي المقريزي - علي بن الحسن الخزرجي

كتـــاب

الفـــرق والتواريـــخ

والدليل على صحة ذلك ما روي أنه كان باليمن رجل من أهله يقال له علي بن فضل ، من ولد خنفر بن سبأ ، وكان مولده ومنشأه في قرية من قرى آل رعين يقال لها جيشان ما بين عدن أبين وصنعاء اليمن ، وكان أهل بيت هذا الرجل أهل تشيع . فرغب في علم الادب ، وكان لسنا جريء القلب صبورا نظارا ، فانتحل مذهب الاثنى عشرية ، ثم انه حج ذات سنة ، وزار قبر النبي ﷺ فدعته نفسه بعد ذلك الى زيارة قبر أمير المؤمنين وقبر ابنه الحسين بكربلاء رضي الله عنهما ، فخرج مع الصادرين من حاج العراق الى هنالك فلما وصل الى الكوفة وزار قبر الحسين رضي الله عنه رأى عنده زوارا كثرة ، فاجتهد في البكاء والجزع ، وفي أولئك الزوار شيخ ينظر اليه ويراعيه ، قيل أنه ميمون القداح الذي تقدم ذكره في باب الامامة . وهو أول من أظهر هذه المقالة،فنظر الشيخ اليه وراعاه مدة مقامه هناك،فرآه مجتهدا في التوجع والبكاء ، فخلا به ونشطه من نفسه ، وألقى عليه من مقالته ، فركن اليه ولازمه وبحث عما عنده ، فوجده على ما يحب فذهب الى موضعه ، وأخذ عليه العهود في كتم سره ، ومضى به الى الامام المستور الذي وهمّ به أنه من أهل البيت ، وهو ولد نفسه، دعا اليه، ونسبه من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كما قال مخالفوهم)، والله أعلم بذلك ، فقال له الشيخ : اعلم أن البيت يماني والركن يماني والدين يماني، وليس يقوم هذا الدين الذي نحن فيه الا من ناحية اليمن ، وكان عند هذا الامام المستور الدي ذكروه رجل يقال له [أبو القاسم رجل مواظب معه على مراده فقال له:] يا أبا القاسم هذا الرجل الذي كنا نطلبه من نهج اليمن ، فما رأيك بالخروج معه الى بلده ، وتدعوان الناس الى هذه المقالة ؟ فقال له : يا مولاي ، ان الامر اليك فأمرني بما شئت ، فقال : أعزم على بركة الله ، وجهزهما داعيين له ، وقال : انما تصدران الى عدن فان منها يظهر أمرنا وتعز دولتنا ، ولقب أبو القاسم منصور اليمن ، فمضيا وكان مضيهما في سنة سبع وستين ومائتين ، فدخلا مع الحاج مكة حرسها الله تعالى، وخرجا الى اليمن في سنة ثمان وستين ومائتين ، فلما وصلا اليمن افترقا ، فمضى علي ابن فضل الى بلده من جيشان وأبو القاسم الى عدن لاعة موضع عند جبل مسور ببلاد — حراز — . فمكثا يدعوان الناس سرا ويخدعان من انخدع لهما ، ثم ظهرت مقالتهما سنة سبعين ومائتين ، فأجابهما خلق كثير ، فلم يزل أبو القاسم يحتال في طلوع جبل مسور حتى أدرك ذلك وأخرج منه عبد الحميد المسدري ، وبنى فيه دارا

سماها دار ريب وجمع أصحابه اليه وكثر عدده ، واستجاب أيضا لعلي بن فضل يافع وشرذمة من رعين وبنى حصنا في جبل السرو ، كما بنى منصور اليمن مسور ، فلما استقام لهذا علي بن فضل مراده جمع الجموع وسار بهم الى مخلاف خدير ، فحارب أبا المفلس أحمد بن منصور بن اسحق ، أمير تلك الناحية ، وهو اذ ذاك في حصن الدملوه فاستنزله منه وحبسه ثم قتله في الحبس واستعمل على البلد ، ومضى الى المذيخرة ، بلد ذي مناخ الامير جعفر بن ابراهيم المناخي ، الذي ينسب اليه مخلاف ابن جعفر الى هذه الغاية ، وحاصره في قلعة ريمة واستنزله منها واستولى على البلد، ثم إن جعفر مضى الى زبيد واستنجد معه الاشاعر وغيرهم والتقوا في وادي نخلة فهزم علي بن فضل الامير جعفر بن ابراهيم ومن معه ، وقتل جعفر وابنه ومن معه وابن عم له يقال له أبو الفتوح ، واستعمل علي بن فضل على البلاد ، وسار الى أبين وأميرها يومئذ محمد بن أبي العلاء الاصبحي وهو في خنفر مدينة آبين ، فحاربه فانهزم علي بن فضل وأصحابه الى بلد يافع ، فلما استقروا بها ودخل الليل ، قال لهم علي بن فضل : ان محمد بن أبي العلاء وأصحابه قد أمنوا واغتبطوا بالظفر ، فعودوا بنا اليهم فرجع هو ومن صبر معه ، فلم يشعر أهل خنفر ، حتى طرقوهم ليلا، فدخلوها وأضرموها بالنيران ، وخرج الامير ومن معه فوقع فيه سهم فقتله ، واحتزوا رأسه ، وقصد علي بن فضل داره فغنم أموالا عظاما ، قيل ان مبلغ النقد منها ثمان مائة كيس غير الامتعة والاموال الجليلة والفرش والدواب ، وغير ذلك ثم سير جيشا مع بعض أصحابه الى معافر ، فاستفتحها ، فلما دخل وظفر بما ظفر ، سار الى صنعاء اليمن في نحو عشرين ألفا ، فدخلها وقتل فيها بشرا كثيرا واستباح هو وعسكره ما كان فيها ، وكان أميرها أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، فانهزم الى بعض بلد همدان ثم ان علي بن فضل استعمل عليها وخرج بمن معه الى قريب الشبام ، ولقيهم الى هنالك أصحاب منصور اليمن ، من مسور . لأن أمرهم كان واحدا في اقامة هذه الدعوة ، ثم ساروا جميعا لحرب ابن الخطاب الحوالي وهو في المغرب فاستباحوا بلاده وهرب منهم .

ثم ان علي بن فضل خرج الى تهامة فتلقاه أمير سرود ابراهيم بن محمد بن علي الازدي ، فهزمه ومر هاربا الى بلد حكم ، ودخل ابن فضل المهجم والكدراء ، واستباح ما فيها ، ثم قصد الى مدينة زبيد وفيها الامير ابن محمد الازدي وترك

بعض عسكره بالمهجم والكدراء ، ونقله فخلف على المهجم والكدراء أخو الامـير أحمد بن محمد ، فقتل الازدي من كان فيها ، فبلغ علي بن فضل الخبر ، فانهزم الى طريق وادي نخلة حتى سار الى مستقره بالمذيخرة ، ثم ندب عسكرا مع ذي الطوق وعيسى اليافعي لحرب أبي العشيرة أحمد بن محمد بن الروية وهو اذ ذاك برادع ، فحارباه فقتلاه وجماعة معه ، واستولى على بلاده ، فلما استقام لعلي بن فضل الامر، وشاع ذكره وجبى الاموال وقتل الرجال ، واستمكن من البلاد ، وأمن الغدر ، أظهر ما أبطنه أهل هذه المقالة ، وأشاع ما كتموه ، وقال لاصحابه : أنا الامام المهدي الذي كنت دعوتكم اليه فاحلقوا رؤوسكم ، فحلق منهم قدر مائة ألف نفس يظنون أن ذلك شيء من الدين ، وأباح لهم ما حرم عليهم ، وقال : انما الجنة التي ذكرها الله في كتابه هي الدخول في اللذات المكتومات عن هذا الخلق المنكود ، ولهذا سميت الجن جنا لاستتارهم من أعين الناس ، وقد أبحت لكم اظهارها فصدقوه ، وانتهكوا المحارم،ونسخ لهم الشرائع وادعى بعد ذلك أنه نبي نسخ الله تعالى به نبوة محمدﷺ بتحليل ما حرم الله عليه وتحريم ماأحل الله له ، وقال لهم : اني بعثت بالراحة السمحة، والاستباحة المحضة ،يعني بالراحة « ترك العبادات » والاستباحة « ترك المحظورات» فتبعه على ذلك خلق كثير ، وسار الى صنعاء وأظهر بها ذلك ، ثم مضى لقتال صاحب زبيد المظفر بن حاج أمير المقتدر بالله ، فانهزم عنه ودخلها هو وأصحابه وعملوا فيها المنكرات ، ثم سار الى الجند وأمر جواريه أن يضربن الدفوف على المنبر ويغنين بشعر قاله أوله :

خذي الدف يا هذه واضربي	وغني هزارك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
فقد حط عنا فروض الصلوة	وحط الصيام فلم تتعب

فأقام على ذلك حتى احتالوا على سمه فسموه فمات لا رحمه الله .

ثم قام من بعده محمد بن علي وأعطى لأصحابه الاموال ، فلما علم المسلمون ذلك تكاتبوا وتراسلوا في حرب هذا محمد وساروا الى الامير أسعد بن يعفر الحوالي ، منهم عبد الله بن أبي ثرمة السكسكي وابن الهرامس ، وزياد بن محمد وعبد الله بن يحيى بن أبي الغارات الجندي ، وأحمد بن محمد بن اسماعيل الزبيدي

ويزيد بن موسى البكري الكلاعي ونظرائهم ، وجمع كل من عشيرته ما اقتدر عليه، وسار الامير الحوالي لحرب هذا محمد بن علي بالمذيخرة فظفر به ، وكان ذلك في سنة أربع وثلاثمائة ، وقتل أصحابه وأخذ أمواله وسبى حريمه وفيهن أختين، وأسروا عدة من أصحابه ، فوهب الامير أسعد احدى أختيه لابن أخيه قحطان والاخرى لابن أخيه خطاب بن عبد الرحيم ، ثم مضى بهذا محمد وأصحابه القرامطة الى صنعاء موكبا فحبسهم وأمر بهم بعد ذلك ، وقتلوا وأخذت رؤوسهم وطليت بالصبر وجعلها في صناديق ، ومضى هذا وأمر بها الى أمير مكة حرسها الله تعالى فنصبت بمنى يوم التروية ، ثم نصبت بعرفات يوم عرفة ، ثم نصبت على باب المعلاة وباب المسفلة بمكة حرسها الله تعالى وقطع دابرهم، وأظهر فسقهم وقرمطتهم فتحابى أهل العقول مذمتهم وعرفوا باطن مقالتهم وأنها الكفر الصراح ألبسوها بالاسلام ، والكتمان والترحم على علي بن أبي طالب رضي اللهعنه ، وهو بضد ذلك، فمن استتم على كتمان بدعتهم سموه مؤمنا ، ومن رجع الى الاسلام سموه منافقا جنبا لا ترفع جنابته الا بالعود اليهم وتجديد العهود المؤكدة ، ومن تظاهر في الذي أباحوه وانتهاك المحارم سموه قرمطيا ، وسبوه أقبح سب ، وإن كانت قرمطتهم ثابتة لكنها مكتومة والله تعالى مجازيهم بما اخترعوه ولبسوه على ضعفاء العقول .

قال صاحب الكتاب أيده الله : ومن جملة دعاتهم الذين أظهروا مكتومهم واستحلوا ماحذره الاسلام عليهم، وبانت قرمطتهم ، رجل يقال له ذو الشامة[1]،خرج بالشام وكانت أنصاره كلب بن وبرة ، فغلب على دمشق وعاث في الشام فقتل ، وكان داعيا ، ثم قام بعده أخ له فكان أعظم منه بطشا وقتل الرجال وأخذ الاموال ودعا الى نفسه بالامامة فخرج له المكتفي بالله فأسره وقوما من أصحابه فقتلوا ببغداد صبرا وأحرقوه ، ثم قام أيضا داع منهم يقال له زكرويه بن مهرويه ، فعاث بالمسلمين وقتل وسبى وأظهر المنكرات وأحل المحرمات فقتله أيضا المكتفي بالله ، ومن جملة دعاتهم المظهر لقرمطتهم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، قام بحقوق دعوتهم وانتهج طريق التشيع ، فكان أنصاره من ناحية رجال البحرين من الازد ، وتنوخ ،

---

(١) وهم المصنف فالذي خرج أولا صاحب الجمل ثم خلفه اخوه صاحب الخال .

فأظهر ما كتموه من اباحة المحرمات ، فملك البحرين واليمامة[1] وفتح الفلج[2] وقتل آل أبي سمرة ورجال عبد القيس وبكرو عقيل ، وضرب أعناق بشر كثير غير مـــن سمروه بالجدر ، والخشب ، ممن اقتدر عليه ، وهم أحياء بالمسامير ، فأقام على ذلك الى أن قتله غلامان غيلة وهو في الخلاء ، فأقام بعده ابنه أبو طاهر ، لا طهر الله قلبه، ولا غفر ذنبه ، يدين بدين أبيه وزندقته وقرمطته ، وتبعه خلق كثير ، فسام المسلمين بسوم الخسف • وأذاقهم العذاب الاليم ، وأمرهم بترك الصوم والصلاة وأباح لهم ارتكاب المحرمات ، وكان يأمر أحدهم أن يقتل أباه وأخاه وابنه ، بزعمه تقربا الى الله تعالى فيفعلوا ذلك ، ثم يسير بهم كل يوم الى بلد من البلدان فيذبح الاطفال ويقتل الرجال ، ويسبي النسوان ، ويأخذ الاموال ويسترق الاحرار ، ثم سار بهم نحو البصرة فقتلوا أميرها ، وحملوا وقر عشرة آلاف جمل من الامتعة ، وقتلوا بشرا كثيرا ، ثم اعترض الحاج فاعترض قواد المقتدر بالله الذين كانوا معهم ، وكبار بني العباس وبني علـــي بن أبي طالب رضي الله عنـــه والقراء والفقهاء وعظماء التجـــار لا يحصيهم الا الله تعالى وأسر ناسا ، وانفلت آخرون فماتوا في سائر الفلوات ، ظمئا وجوعا ، وسبى كل امرأة وجدها من المحصنات اللائي خرجن لأداء الحج والزيارة ، وغنم أموالا عظيمة وأخذ شمسة البيت الحرام فلم يحج تلك السنة أحد ، ثم خرج الحاج في السنة الثانية من جميع البلدان في العدد العظيم والقوة القوية ، فاعترضهم أيضا ، وقتل رجالهم وسبى نساءهم وغنم أموالهم ، فبعث المقتدر بالله جيشا عظيما كثيفا الى الكوفة ، فلما سمع أبو طاهر بمضيهم تلقاهم بمن معه اليها ، فتلقتهم تلك الجيوش عن الخندق • فاقتتلوا يومهم ذلك ثم اليوم الثاني فانهزم جيش المقتدر بالله ، ودخل أبو طاهر ومن معه الكوفة من فورهم وغلبوا عليها ، وقتلوا فيها بشرا كثيرا ، وخرج من بقي هاربا على وجهه ، فورد الخبر الى بغداد فخاف منه الناس خوفا شديدا ، وخافوا أن يقصد أبو طاهر بغداد فانزعج الناس انزعاجا شديدا ، وخرج القرامطة من الكوفة بعد أن أقاموا فيها سبعة أيام يعملون المحرمات، وحملوا ما كان فيها من الامتعة ما يجاوز الحد ، ومضوا الى مستقرهم من البحرين ، وشاع

---

(١) اليمامة وهو بلد كبير فيه حصون وعيون ونخل في شبه جزيرة العرب ـ معجم البلدان .

(٢) الفلج بفتح أوله وثانيه مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة ـ معجم البلدان .

الخبر الى البلدان فلم يجسر أحد أن يحج في السنة الثانية خوفا منهم ، ثم سار عدو الله قاصدا نحو العراق من البحرين بخلق كثير والاثقال ، وزعموا أن من كان معه في تلك الرحلة أربعون ألف جمل ، منها ستون تحمل المال والباقي الاثقال ، وكانت في سنة خمسة عشر وثلاثمائة ، فورد الخبر الى بغداد أنه قاصد لهم ، فانصرفوا انصرافا شديدا ، فكتب المقتدر بالله الى بعض قواده بواسط أن يتقدم بالجيش الى الكوفة ، فتقدم في أربعة وعشرين ألفا ومائتين فارس وراجل فتلقاهم القرمطي بخيله ورجله ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم جيش الخليفة ، وقتلوا القائد وأخذوا ما كان في العسكر ، فقويت شوكتهم ، في ذلك فلم يزل عدو الله يقود الجيوش بتلك البلاد، حتى أباد أهلها ودخل الانبار ، وهيت[1] ، والرحبة[2] ، وغير ذلك ، وهدم المساجد حيث كانت ، وانقطع الحاج من خوفه سبع سنين .

ثم قصد مكة في أيام الحج في جموعه فأتى وادي الأبطح غداة يوم السابع من ذي الحجة ، فالتقى هو وأهل مكة في الأبطح ، واصطفوا للقتال وما كانت الا ساعة حتى انهزم المكيون ، وهرب أميرهم وقتل منهم خلق كثير ، وهرب الباقون على وجوههم ، وضرب أبو طاهر قبابه بالأبطح ، ودخل طائفة من أصحابه مكة ، فقصدوا المسجد الحرام فقتلوا من وجدوا فيه من الناس ، وسبوا النساء والصبيان ، وأخذوا الامتعة والاموال ، وجاء قوم الى المسجد الحرام فدخلوا عليهم ، فقتلوهم وكان عدد من قتل في المسجد ، ألفي رجل وفي سائر المدينة نحو عشرة آلاف ، وأقاموا بالأبطح ومكة خاوية ، وهم لعنهم الله تعالى يدخلونها فيقتلون ما فيها ، فلما فرغوا من ذلك دخلوا المسجد الحرام وفتحوا الكعبة واقتلعوا جميع ما فيها من الذهب والفضة والمحاريب المذهبة التي كانت أحدثت فيها في أيام المقتدر ، والمنطقة الفضة المنقوشة التي كانت ضربت عليها، واقتلعوا بابي الكعبة فأخذوا ماعليها من صفائح الذهب، ثم عادوا الى الحجر الاسود فاقتلعوه بالمناقير ، وارتحلوا من مكة وساقوا معهم جميع ما أخذوه منها بعد أن كان مكثهم بها ثمانية أيام ، ثم تراجع من سلم من الناس الى مكة بعد رحيل القرامطة لعنهم الله ، فنظروا منظرا قبيحا وأمرا فظيعا ودخلوا المسجد

---

(١) هيت بلدة على الفرات فوق الانبار .

(٢) بلدة بقاياها على الفرات على مقربة من بلدة الميادين السورية .

الحرام فوجدوا القتلى فيه مصرعين في موضع الطواف والحجر ، وفي سائر المسجد قد انتفخوا وجيفوا ، فاجتمع رأي من حضر من الناس على أن يحفروا لهم خندقا عميقا بالمسجد ، ويجروا القتلى فيطرحوهم فيه ، ويضعوا التراب عليهم رضي الله عنهم ، وأخرجوا من سقط في بئر زمزم ونزحت حتى صفا ماؤها ، وغسلوا جوانبها، وغسلوا الدماء من جدار الكعبة والحجر وغير ذلك ، وبقي موضع الحجر الاسود مجوفا لا شيء فيه يتمسح الناس بداخله لا غير ، فأقاموا على ذلك الى أن استنقذ الخليفة الحجر ، بخمسين ألف مثقال وأعاده حيث كان ، وأقامت القرامطة مصرين على كفرهم متظاهرين بفسقهم الى أن أبادهم الله بالموت والقتل بأخبار يطول شرحها، فهذا أيدك الله بعض حكايات دعاة أهل هذه المقالة الذين أظهروا ما ندبوا الناس الى كتمه وأخذوا العهود المؤكدة عليه ، ليقع عند كل عاقل موفق أن الذي أبطنوه هو الذي أظهروه ، فتجانب محالهم ولا تغتر بما زخرفوه ولبسوه على ضعفاء العقول من كتم بدعتهم واحتجاجهم، انه الدين القويم، والصراط المستقيم وما كتموه الا لشرفه، فلا يبلغ اليـه الا الخواص الموفقون والمؤمنون المخلصون ، وايم الله لقـد كذبوا وما كتموه الا من قبحه ، ولا أخذوا عليه العهود الا من شهر له ، ولقد سعد مـن جانبهم وغوى من خالطهم ، فرحم الله امرأ وفق وحليما سدد ، والله المستعان على ما يصفون •



كتـــاب

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن مالك ــ رحمة الله عليه : اعلموا أيها الناس المسلمون ــ عصمكم الله بالاسلام ، وجنبنا واياكم طرق الاثام ، وأصلحكم وأرشدكم ووفقكم لمرضاته ، وسددكم ــ اني كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجـل الصليحي[1] كما تسمعون ، وما يتكلم به عليه من سيء الاذاعة، وقبح الشناعة فاذا قال القائل : هو يفعل ويصنع، قلت : أنت تشهد عليه غدا ؟ فيقول ما شهدت ولا عاينت ، بل أقول كما يقول الناس، فكنت أتعجب من هذا أولا ، ولا أكاد أصدق ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس ، ونطقت به الألسن ، فتارة أقول هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم ، ولا سمع به فيما تقدم في سالف الامم ، انما هذه عداوة له من الناس للمآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس[2] ، وكنت كثيرا ما أسمعه يقول : « حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا » .

فرأيت أن أدخل في مذهبه لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه ولأطلع علـى سرائره وكتبه ، فلما تصفحت جميع ما فيها وعرفت معانيها رأيت أن أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته ، وأكشف لهم عن كفره وضلالته، نصيحة لله وللمسلمين، وتحذيرا ممن يحاول بغض هذا الدين ، والله موهن كيد الكافرين .

فأول ما أشهد به وأشرحه ، وأبينه للمسلمين ، وأوضحه أن له نواباً يسميهم : الدعاة المأذونين ، وآخرين يلقبهم المكلبين، تشبيها لهم بكلاب الصيد، لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضون عن كل عاقل ، ويلبسون على كل

---

(١) هو ابو الحسن علي بن محمد الصليحي ، اصله من احواز صنعاء ، خرج سنة ٤٣٩ هـ/١٠٤٨ م فأسس الدولة الصليحية الاسماعيلية ، وظل يحكمها حتـى سنة مقتله ٤٥٩ هـ/١٠٦٨ م .

(٢) بدأ الصليحي حياته دليلا للحاج على طريق جبال السراة ، واستمر على ذلك مدة خمس عشرة سنة . انظر تاريخ اليمن لعمارة بن علي : ٨٥ ــ ١٣٦ .

جاهل ، بكلمة حق يراد بها الباطل يحضونه على شرائع الاسلام من الصلاة والصيام والزكاة ، كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه ، فيقيم أكثر من سنة يمنعون به ، وينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بروايات عن النبي ﷺ محرفة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه فاذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والاعجاب بجميع ما يعاملونه ، والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ : اكشف عن السرائر ولا ترض لنفسك ، ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر ، وتدبر القرآن ورموزه واعرف مثله وممثوله ، واعرف معاني الصلاة والطهارة ، وما روي عن النبي ﷺ ، بالرموز والاشارة دون التصريح في ذلك في العبارة ، فانما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لمثولات محجوبة : فاعرف الصلاة وما فيها ، وقف على باطنها ومعانيها ، فان العمل بغير علم ، لا ينتفع به صاحبه ، فيقول : عم اسأل ؟ فيقول قال الله تعالى : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »[1] فالزكاة مفروضة في كل عام مرة ، وكذلك من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، وأيضا فالصلاة والزكاة لهما باطن ، لأن الصلاة صلاتان ، والزكاة زكاتان ، والصوم صومان والحج حجان ، وما خلق الله سبحانه من ظاهر الا وله باطن يدل على ذلك « وذروا ظاهر الاثم وباطنه »[2] و « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن »[3] ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن ، فالظاهر ما تساوى به الناس ، وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به ؟ فلا يعرفه الا القليل ومن ذلك قوله : « وما آمن معه إلا قليل[4] » وقوله « وقليل ما هم »[5] وقوله « وقليل من عبادي الشكور[6] » فالاقل من الاكثر الذين

والصلاة والزكاة سبعة أحرف ، دليل على محمد وعلي صلى الله عليهما لأنهما سبعة أحرف ، فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي ، فمن تولاهما فقد أقام

---

(١) في أكثر من سورة ، انظر مثلا البقرة : ٤٣ .

(٢) سورة الانعام : ١٢٠ .

(٣) سورة الاعراف : ٣٣ .

(٤) سورة هود : ٤٠ .

(٥) سورة ص : ٢٤ .

(٦) سورة سبأ : ١٣

الصلاة وآتى الزكاة ، فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن ، وسنن النبي ﷺ ، فيقع هذا من ذلك المخدوع ، بموقع الاتفاق والموافقة ، لأنـه مذهب الراحة والاباحة ، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله ، فاذا قبل منهم ذلك المغرور هذا ، قالوا له : قرب قربانا يكون لك سلما ونجوى ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ، ويضع عنك في هـذا الأصر فيدفع اثني عشر دينارا ، فيقول ذلك الداعي : يا مولانا ان عبدك فلان قـد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة ، وضع عنه هذا الأصر وهذه نجواه اثنا عشر دينارا ، فيقول اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له « ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم »[1] ، فعند ذلك يقبل اليه أهل هذه الدعوة يهنئونـه ، ويقولون الحمد لله الذي وضع « عنك وزرك • الذي أنقض ظهرك[2] » ثم يقول له ذلك الداعي الملعون ، بعد مدة : قد عرفت الصلاة ، وهي أول درجة ، وأنا أرجو أن يبلغك الله الى أعلى الدرجات ، فاسأل وابحث ، فيقول : عم اسأل ؟ فيقول له سل عن الخمر ، والميسر الذي نهى الله تعالى عنهما : أبو بكر ، وعمر لمخالفتهما على علي وأخذهما الخلافة دونه ، فأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة ، وغير ذلك فليس بحرام ، لأنه مما أنبتت الارض ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق[3] الى آخر الاية •

ويتلو عليه « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا[4] الى آخر الاية، والصوم : الكتمان، فيتلو عليه « فمن شهد منكم الشهر فليصمه[5]» يريد كتمان الائمة في وقت استتارهم خوفا من الظالمين ويتلو عليه « انـي نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا[6] » فلو كان عني بالصيام ترك الطعام لقـال : فلن أطعم اليوم شيئا ، فدل على أن الصيام الصمت •

---

(1) سورة الاعراف : ١٥٧ .
(2) سورة الشرح : ٢ ــ ٣ .
(3) سورة الاعراف : ٣٢ .
(4) سورة المائدة : ٩٣ .
(5) سورة البقرة : ١٨٥ .
(6) سورة مريـم : ٢٦ .

فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغيانا وكفرا ، وينهمك الى قول ذلك الداعي الملعون ، لأنه أتاه بما يوافق هواه ، والنفس أمارة بالسوء •

ثم يقول له ادفع النجوى ، تكون لك سلما ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم ، فيدفع اثني عشر دينارا فيمضي به اليه ، فيقول يامولانا ، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأبح له الاكل برمضان ، فيقول له : قد وثقته وأمنته على سرائرنا ؟ فيقول له : نعم ، فيقول : قد وضعت عنه ذلك مدة فيأتيه ذلك الداعي الملعون فيقول له : قد عرفت ثلاث درجات ، فاعرف الطهارة ما هي ، ومعنى الجنابة ما هي في التأويل ، فيقول : فسر لي في ذلك ، فيقول له : اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب ، وأن المؤمن طاهر بذاته ، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره ، وأن الجنابة هي موالاة الاضداد ، أضداد الانبياء والائمة ، فأما المني فليس بنجس ، منه خلق الله الانبياء والاولياء وأهل طاعته ، وكيف يكون نجسا ، وهو مبدأ خلق الانسان وعليه يكون أساس البنيان ، فلو كان التطهير منه ، من أمر الدين ، لكان الغسل من الغائط والبول أوجب ، لأنهما نجسان ، وانما معنى « وان كنتم جنبا فاطهروا »[1] ، معناه فان كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذي هو حياة الارواح ، كالماء الذي هو حياة الابدان قال الله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي[2] » • وقوله « فلينظر الانسان مم خلق • خلق من ماء دافق[3] » فلما سماه الله بهذا دل على طهارته ، ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة ، ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر دينارا ، ويقول : يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة ، وهذا قربانه اليك ، فيقول : اشهدوا أني قد حللت له ترك الغسل من الجنابة •

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعي الملعون : قد عرفت أربع درجات وبقي عليك الخامسة ، فاكشف عنها ، فانها منتهى أمرك ، وغاية سعادتك ويتلو عليه « فلا تعلم

---

(١) سورة المائدة : ٦ .
(٢) سورة الانبياء : ٣٠ .
(٣) سورة الطارق : ٥ — ٦ .

نفس ما أخفي لهم من قرة أعين[١] » فيقول له : ألهمني اياها ، ودلني عليها فيتلو عليه « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد[٢] » . ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا ؟ فيقول : وكيف لي بذلك ؟ فيتلو عليه « وان لنا للاخرة والاولى »[٣] ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة »[٤] والزينة هاهنا ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لايطلع عليها الا المخصوصون بذلك، وذلك قوله « ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن[٥] » ، والزينة مستورة غير مشهورة ثم يتلو عليه « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون[٦] » ، فمن لم ينل الجنة في الدنيا ، لم ينلها في الاخرة ، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الالباب ، وأهل العقول دون الجهال ، لأن المستجن من الاشياء ما خفي ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة، وسميت الجن جنا لاختفائهم عن الناس، والمجنة المقبرة لأنها تستر من فيها، والترس المجن لأنه يستتر به ، فالجنة ها هنا ما استتر عن هذا الخاق المنكوس ، الذين لا علم لهم ولا عقول ، فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكا ، ويقول لذلك الداعي الملعون : تلطف في حالي ، وبلغني الى ما شوقتني اليه ، فيقول ادفع النجوى اثني عشر دينارا تكون لك قربانا وسلما ، فيمضي به فيقول : يا مولانا ان عبدك فلان قد صحت سريرته ، وصفت خبرته ، وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتبلغه حد الاحكام وتزوجه الحور العين ، فيقول له : قد وثقته وأمنته ؟ فيقول يا مولانا قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابرا ولأنعمك شاكرا فيقول علمنا صعب مستصعب ، لا يحمله الا نبي مرسل ، أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالايمان فاذا صح عندك حاله ، فاذهب به الى زوجتك ، فاجمع بينه وبينها ، فيقول سمعا وطاعة لله ولمولانا ، فيمضي به الى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى اذا كان الصباح ، قرع عليهما الباب ، وقال : قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكره ذلك المخدوع،

---

(١) سورة السجدة : ١٧ .
(٢) سورة ق : ٢٢ .
(٣) سورة الليل : ١٣ .
(٤) سورة الاعراف : ٣٢ .
(٥) سورة النور : ٣١ .
(٦) سورة الواقعة : ٢٢ .

ويدعو له ، فيقول له : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا ، فاذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد الا بات مع زوجته ، كما فعل ذلك الداعي الملعون ، ثم يقول له : لا بد لك أن تشهد المشهد الاعظم عند مولانا ، فادفع قربانك ، فيدفع اثني عشر دينارا ، ويصل به ويقول يا مولانا ، ان عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الاعظم ، وهذا قربانه ، حتى اذا جن الليل ودارت الكؤوس ، وحميت الرؤوس وطابت النفوس، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفأوا السرج والشموع ، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه في يده ، ثم يأمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون ، وجميع المستجيبين ، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له فيقول : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه ، على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آصاركم ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم[1] » .

قال محمد بن مالك رحمه الله تعالى : هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى علي شهيد بجميع ما ذكرته ، مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته ، عالم به ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم بباطل له جهنم وساءت مصيرا ، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته الى حول الشيطان وقوته ، فأديت هذه النصيحة الى المسلمين حسب ما أوجبه الله علي من حفظ هذه الشهادة ، فان الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة ، ومراعاتها وأدائها الى من يسمعها ، قال الله سبحانه وتعالى : « ستكتب شهادتهم ويسئلون[2] » ، والله أسأله أن يتوفانا مسلمين ، ولا ينزع عنا الاسلام بعد اذ آتانا الله بمنه ورحمته .

---

(١) سورة فصلت : ٣٥ .
(٢) سورة الزخرف : ١٩ .

المقالة في اصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها :

وقد رأيت أيها الناس ـ وفقنا الله واياكم للصواب ، وجنبنا واياكم طرق الكفر والارتياب ـ أن أذكر أصل هذه الدعوة الملعونة ، لئلا يميل الى مذهبهم مائل ، ولا يصبو الى مقالتهم لبيب عاقل ، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب انذارا لمن نظره ، واعذارا لمن وقف عليه واعتبره .

باب : اعلموا يا أخواني في الاسلام أن لكل شيء من أسباب الخير والشر والنفع والضر والداء أصولا ، وللاصول فروعا وأصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى به الشيطان أهل الكفر والشقوة ظهور « عبد الله بن ميمون القداح » في الكوفة ، وما كان له من الاخبار المعروفة والمنكرات المشهورة الموصوفة ، ودخوله في طريق الفلسفة واستعماله الكتب المزخرفة وتمشيته اياها على الطغام ، ومكيدته لأهل الاسلام .

وكان ظهوره في سنة ست وسبعين ومائتين ، من التاريخ للهجرة النبوية، فنصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم في الغوائل ولبس الحق بالباطل « ومكر أولئك هو يبور[1] » ، وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيرا ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلا وزخرف الاقوال ، وضرب الامثال ، وجعل لآي القرآن شكلا يوازيه يضاهيه، وكان الملعون عارفا بالنجوم،معطلا لجميع العلوم« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »[2] ، فجعل أصل دعوته التي دعاها ، وأساس بنيته التي بناها الدعاء الى الله والى رسوله، ويحتج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله، والاختصاص لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتقديم والامامة ، والطعن على جميع الصحابة بالسب والاذى وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن الله من سب أصحابي » ، وقال عليه السلام « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقال ﷺ « من سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله على وجهه في النار[3] » فأفسد بتمويهه قلوب الجهال ، وزين لهم الكفر والضلال ، وله شرح يطول فيه الخطاب ، غير أني أختصر ، وفيما أشرحه كفاية واعتبار لأولي الالباب والابصار .

---

(1) سورة فاطر : ١٠ .
(2) سورة الصف : ٨ .
(3) انظر سنن أبي داود ـ ط. دار احياء السنة النبوية : ٤/١٢٩ ، ٢١٤ ـ ٢١٥ .

وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ، ويظهر الاسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سلمية[1] ، وكان من أحبار اليهود ، وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب ، وكان صائغا يخدم اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله في اليهود من عداوة للاسلام وأهله ، والبغضاء لرسول الله ﷺ ، فلم ير وجها يدخل به على الناس ، حتى يردهم عن الاسلام ، ألطف من دعوته الى أهل بيت رسول الله ﷺ ، وكان قد خرج في أيام قرمط البقار ، وكان اسمه أو لقبه لأنه كان يقرمط في سيره اذا مشى ، ولذلك نسب أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون الى قرمط ، لأنهما اجتمعا وعملا ناموسا يدعوان اليه ، وكانا يعرفان النجوم ، وأحكام الازمان فدلهما الوقت على تأسيس ما عملاه ، فخرج ميمون الى الكوفة ، وأقام بها مدة ، وله أخبار يطول شرحها ، مما كان منه ومن علي بن فضل ، والمنصور صاحب مسور ، وأبي سعيد الجنابي، وأنا أشرح ذلك عند انتهائي اليه ان شاء الله تعالى ــ وأما قرمط البقار فانه خرج الى بغداد ، فقتل هناك لا رحمه الله .

باب ذكر ما كان من القداح وعقبه لعنه الله ومن تعلق بسببه ودخل في ضلالته ومذهبـــه :

وكان أول أولاده عبيد[2] وهـــو المهدي ثم « محمد » وهو القائم[3] ، ثـم اسماعيل المنصور[4]،ثم «المعز»[5] ثم «العزيز»[6]، ثم«الحاكم»[7] ثم «الظاهر»[8]

---

(١) معروفة الى الشرق من حماة بينهما ٣٣ كم ، وكانت وما تزال تتمتع بموقـــع ممتاز ، فهي بالاضافة لخصبها وثيقة الصلة بالبادية واهلها ، ووقع اختيـــار الدعوة الاسماعيلية عليها لهذه المزايا .

(٢) كذا ، وهو خطأ ، وصوابه عبد الله ، وهذه مسالة سنعود لها فيما بعد في ترجمة علي بن الفضل .

(٣) ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م ــ ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م .

(٤) ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م ــ ٣٤١ هـ/٩٥٣ م .

(٥) ٣٤١ هـ/٩٥٣ م ــ ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م .

(٦) ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م ــ ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م .

(٧) ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م ــ ٤١١ هـ/١٠٢١ م .

(٨) ٤١١ هـ/١٠٢١ م ــ ٤٢٧ هـ/١٠٣٦ م

ثم « معد المستنصر »[1] هؤلاء الذين ينسبون اليه الى عصرنا هذا ، فانتسبوا الى ولد الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وانتحالهم اليه انتحال كاذب وليس لهم في ذلك برهان وأهل الشرف ينكرون ذلك فانهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلا مذكورا ، ولا عرفوا لهم في كتاب الشجرة نسبا مشهورا ، بل الكل يقصيهم عن الشرف وبنفيهم عن النسب الا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فانه يشهد لهم الزور ويساعدهم في جميع الامور،وقد زعموا أنهم من ولد محمدبن اسماعيل بن جعفر الصادق وحاشى لله ماكان لمحمد بن اسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس أحد بل هم « كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار »[2] .

الدليل على ذلك وعلى بطلان ما ذكروه أنهم يقولون معدا المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد[3] بن ميمون ، ثم يقولون ابن الائمة المستورين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق ، فاذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين[4] حادوا عن الجواب وكان للسائل لهم الارتياب، وقالوا : هم أئمة قهروا فتستروا ولم يؤمروا باظهارهم ولا ذكرهم لأحد ، وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا اليه .

والدليل على أنهم من ولد اليهود ، استعمالهم اليهود في الوزارة والرئاسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة،ما زالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم، وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد .

باب خروج ميمون القداح من سلمية الى الكوفة :

وقد ولد له عبيد وهو الذي يسمونه عبيد الله المهدي ، فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتى تهيأ لهما ما كانا يطلبان ، والى أن أجابهما الى ذلك تسعة رهط، يفسدون

---

(١) ٤٢٧ هـ/١٠٣٦ م — ٤٨ هـ/١٠٩٤ م ، وهذا دليل على ان الكتاب صنف في عصر المستنصر .

(٢) سورة ابراهيم : ٢٦ .

(٣) كذا ، وهو مخالف لجميع المصادر على تباين رواياتها ومواقفها . انظر اصول الاسماعيلية : ١٣٣ — ١٥٦ .

(٤) المصادر الاسماعيلية غير متفقة على سلسلة الائمة المستوردين ، انظر اصول الاسماعيلية : ١١٥ — ١٣٣ .

في الارض ولا يصلحون منهم علـــي بن فضل الجدني اليماني ، وأبو القاسم بـــن زاذان الكوفي المسمى المنصور عند كونه في اليمن في مسور ، وأبو سعيد الجنابي صاحب الاحساء والبحرين ، وأبو عبد الله الشيعي صاحب كتامة في الغرب ، والحسن ابن مهران المسمى بالمقنع الخارج فيما وراء النهر من خراسان ، ومحمد بن زكريـا الخارج في الكوفة، ولابد أن أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصراً ان شاء الله تعالى.

باب ذكر أبي سعيد الجنابي لعنه الله :

كان فيلسوفا ملعونا ملك البحرين واليمامة والاحساء وادعي فيها أنه المهدي القائم بدين الله فاستفتح[1] ... ودخل مكة وقتل الناس في المسجد الحرام ، ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به الى الاحساء وقال في ذلك شعرا :

ولـــو كـــان هـــذا البيت لله ربنـــا لصب علينـــا النـــار من فوقنا صبا

لأنـــا حججنـــا حجـــة جاهليـــــة مجللـــة لـــم نبق شرقـــا ولا غربـــا

وانـــا تركنا بـــين زمـــزم والصفـــا جنائـــز لا تبغي سوى ربهـــا ربـــا

وله لعنه الله أشعار بالقدر في ذلك تركنها اختصارا وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا عليه لعنة الله .

باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع :

خرج فيما وراء النهر وله أخبار شنيعة وكان حكيما فيلسوفا متمكناً ذكروا أنه عمل قمرا بالطلسم يطلع في السنة أربعين ليلة ، ولقد كنت أكذب ذلك حتى صححه لي جماعة من أهل خراسان ، وذكروا أنه بنى حصنا وعمل فيه لولبا ، فكان المسلمون اذا أتوا لقتاله قذفوا بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون ، فمال اليه خلق كثير حتى بعث الله عليهم غلاما حكيما ، فأمر المسلمين أن يحفروا حول الحصن فوقعوا علـــى اللوالب فأخرجوها ، ودخلوا عليه فقتلوه وقيل إنه أحرق نفسه قبل دخولهم عليه فأمكن الله سبحانه وتعالى منه[1] .

---

(١) سقط في الاصل حوى أخبار أبي سعيد الجنابي حتى وفاته ، ومطلع أخبار أبي طاهر من بعده حتى دخول مكة انظر ما سبق بيانه في نص ثابت بن سنان وغيره .

(٢) انظر أخباره في تاريخ الطبري : ٨/١٣٥ ـ ١٤٨ .

باب ذكر محمد بن زكريا لعنه الله :

أحسب أن اسمه زكرويه بن مهرويه القرمطي وكان قد خرج بالكوفة فخرج اليه المكتفي أمير المؤمنين من بني العباس فقتله لعنه الله ولا رحمه •

باب ذكر علي بن فضل الجدني لعنه الله(١) :

من ذربة ذي جدن والاجدون من سبأ صهيب ، وأصله من جيشان ، وكان في أوله ينتحل الاثني عشرية ، فخرج للحج ثم زار قبر النبي ﷺ ثم مضى الى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن علي رضي الله عنه ، فلما وصل الكوفة وزار قبر الحسين رضي الله تعالى عنه بكى على القبر بكاء شديدا وجعل ينوح ويقول : بأبي أنت يا ابن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء ، وكان ميمون القداح على القبر ، وولده عبيد فلما بصرا به سرهما وطمعا به وعلما أنه ممن يميل اليهما ويدخل في ناموسهما ، فقال ميمون : أيها الشاب ما كنت تفعل لو رأيت صاحب هذا القبر ؟ قال : اذا والله أضع له خدي وأجاهد بين يديه حتى أموت شهيدا فقال له ميمون : أتظن أن الله قطع هذا الامر ؟ قال له علي بن فضل : لا ولكني لا أعلم ذلك ، فهل عندك منه خبر أيها الشيخ ؟ فقال : أخبرك به ان شاء الله ، عند الامكان ، ثم قام ميمون فتعلق به ، فقال ميمون : تقف بهذا المسجد الى غد فوقف أياما فلم يرد له خبرا ، فودع أصحابه ، وقال لهم أما أنا فلا أبرح ها هنا حتى أتنجز وعدا قد وعدته فأخذ له من المؤونة ما يكفيه فوق أربعين يوما وميمون وولده يرمقانه من حيث لا يعلم بهما ، فلما رأى ميمون صبره أعجبه وعلم أنه لا يخالفه في شيء من دعوته والميل الى كفره وضلالته ، فأتاه عبيد فوثب اليه فاعتنقه وقال سبحان الله يا سيدي وعدني الشيخ وعدا فأخلفني ، فقال : لم يخلفك وانما قال:أنا آتيك غدا ان شاء الله، وله في هذا مخرج على ضميره ، ثم جلسا وجرى بينهما الكلام وقال له : يا أخي اعلم أن ذلك الشيخ أبي ، وقد سره ما رأى من صبرك وعلو همتك ، وهو يبلغك محبوبك ان شاء الله ، ثم أخذ بيده فأوصله الى الشيخ ، فلما رآه قال : الحمد لله الذي رزقني رجلا نحريرا مثلك أستعين به على أمري ، وأكشف له مكنون سري ، ثم كشف له أمر مذهبه لعنهما الله فأصغى اليه ، واشرأب قلبه وتلقى كلامه بالقبول ،

---

(١) ستاتي ترجمته مفصلة في آخر هذا الكتاب ، وانظر ايضا ما سبق تقديمه من اخباره في النصوص السابقة .

وقال له علي : والله ان الفرصة ممكنة باليمن ، وان الذي تدعو اليه جائز هنالك ، وناموسا يمشي عليهم ، وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الاحلام ، وتشتيت الرأي وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية ، فقال له ميمون أنا موجهك والمنصور الحسن ابن زاذان ، وكان ينسب الى ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وكان أبوه ممن ينتحل مذهب الشيعة الاثني عشرية ، وكان من أهل الكوفة ، فلما دخل ميمون الكوفة ظفر بالحسن بن زاذان وعلم أنه مسعود ، وانه ينال ملكا وشرفا ، وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة ، فجعل ميمون يلطف به ويرفق ، فيكشف له مذاهب الفلسفة ومقالهم ، فلم يزل به حتى قبل منه ، وركن الى قوله وما زال به حتى مال الى معتقده وصار من دعاته الذين يدعون اليه والى ولده ، فعند ذلك قال ميمون : يا أبا القاسم ان الدين يماني ، والحكمة يمانية[1] ، وكل أمر يكون مبدؤه من قبل اليمن فانه يكون ثابتا لثبوت ذلك النجم ، وذلك أن اقليم اليمن أعلى الاقاليم الدنيا، ولا بد من خروجك الى هنالك أنت وأخوك علي بن فضل اليماني ، فسيكون لكما شأن وملك وسلطان في اليمن ، فكونا على أهبة فقال له : الامر اليك يا سيدي ، قال المنصور : فكنت أنا وعلي بن فضل ، وعبيد لا نزال نكثر المذاكرة في مجلس الشيخ، وكان يقول عند تمام الوقت ومضي ستة أدوار من الهجرة المحمدية أبعثكما الى اليمن تدعوان الى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وأخذ علي ، وعلى علي ابن فضل ، العهود والمواثيق لولده ، فلما كان أوان خروجنا قال لنا ميمون : هذا هو الوقت الذي كنا ننتظر ، فأخرجنا في هذا الموسم ، ثم وجهنا الى اليمن تتظاهر بالحج ، وعهد الينا ، ثم خلا بي وأوصاني بالاستتار حتى أبلغ مرادي ، وقال لي : الله الله بصاحبك ، وقره واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ، أنه أعرف منك وانك ان خالفته لم ترشد .

قال المنصور : فلما صرت في بعض الطريق ، لحقني كمد عظيم لحال الغربة واذا بحاد يحدو ويقول :

يا أيها الحادي المليح الزجر ... بشر مطاياك بضوء الفجر

تدرك ما أملته من أمر

---

(١) انظر تاريخ صنعاء ـ ط. دمشق ١٩٧٤ : ٦ ـ ٩ .

قال : فلما سمعت ذلك سررت به ، واستبشرت ، فوصلت مكة مع الحاج وذلك أيام محمد بن يعفر الحوالي[1] ، ثم أقبلنا نسأل عن أخبار اليمن ، فقيل لنا : ان ‹مير محمد بن يعفر رد المظالم ، واعتزل عن الناس ، ورجع الى التنسك والعبادة ، لنا : ولم فعل ذلك ؟ فقيل لنا : انه قيل له ان في هذه السنة يخرج عليه خارجي ، يكون زوال أمره على يديه ، ويقال انه رد في يوم واحد ألف دينار ، وقام في بني وال رجل يقال له ابراهيم فقال :

يا ذا حوال يا مصابيح الافق	تداركوا عزكم لا ينفتق
فتطلبون رتق ما لا يرتتق	فأيكم قام بها فقد سبق

فقام ولد محمد بن يعفر .

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله :

فلما خرج علي بن فضل مع الحاج هو والمنصور وصارا في غلافقة[2] افترقا ، قال كل واحد منهما لصاحبه : أعلمني بأمرك وما يكون منك ، فوصل المنصور الى جند[3] وصاحب الامر يومئذ جعفر بن ابراهيم المناخي وخرج علي بن فضل الى حية جيشان . فأما المنصور فان ميمونا كان قال له : لا يظهر أمرك الا من موضع قال له « عدن لاعة »[4] فانه أقوى لأمرك وأمضى لناموسك « وانما دله على ذلك فلسفة وعرف ما سطره في كتبهم من تسمية الاقاليم والبلدان وتقويم الكواكب سبعة » ، فلما صار المنصور الى الجند سأل عن « عدن لاعة » فقالوا : لا نعرف الا عدن أبين »[5] فدخل « عدن أبين » بتجارة تصلح لعدن ، كما يفعل التجار فأقام باما فيها يسأل عن « عدن لاعة » مدة مقامه هنالك ، فبصر به شيخ من تجار عدن ،

---

1) ربما سنة ٢٦٨ انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ . وانظر غاية الاماني في أخبار القطر اليماني – ط. القاهرة ١٩٦٨ : ١٦٤/١ – ١٦٥ . اعلام الزركلي .

2) مدينة على ساحل اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد ، تعرف الان بغليفقة معجم البلدان .

3) من اشهر مدن اليمن الى الجنوب من صنعاء . معجم البلدان .

4) هي اليوم اطلال في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ثلاثة ايام منها . تاريخ اليمن لعمارة اليمني : ٦١ – ٦٢ .

5) عدن الحالية في اليمن الجنوبي .

فأنكره فسأله عن حاله ، فقال · أنا رجل من أهل العراق ، وكنت حاجا في هذه السنة، قال : فهل عندك خبر[1] ؟ قال : لست صاحب أخبار ، وعما تريد أن أخبرك عنه ؟ قال له العدني : هل حدث في الشام حدث ؟ قال : لا علم لي بشيء ، فلم يزل به حتى أعلمه ما في ضميره ، فعاهده المنصور على كتمان سره ، وسأله عن « عدن لاعة »فقال هي معروفة ، ولا يزال أهلها من التجار يصلون الينا ، وأنا أعلمك بهم اذا وصاوا ، ويقال ان هذا العدني جد بني الوزان[2] فاسدي المذهب ، وبنو الوزان الى اليوم رافضة شيع ، فلما وصل التجار من « عدن لاعة » ، ومن غزان[3] فسألهم عن الموضع فأخبروه عنه ، وأنه في ناحية بلادهم ، وهي قرية صغيرة ، [قالوا :] فمن أعلمك بها؟ قال : الناس يسمعون بذكر البلدان ، فلما عزموا على الرحيل تأهب للخروج معهم ، وقال : أنا رجل من أهل العلم ، وقد رغبت بالخروج معكم الى بلدكم ، ففرحوا به وأكرموه وقالوا : مرحبا بك نحن أحوج الى من يبصرنا في أمر ديننا ، ونحن نكفيك المؤونة ، وتحملك ، فأثنى عليهم وشكرهم ، وقال : لا حاجة لي عندكم ، وانما أردت وجه الله تعالى ، فارتحل معهم ، فكان يسامرهم ، ويروي لهم أحسن الاخبار، فأحبوه وأصغوا اليه والى قوله فكانوا يحدقون به اكراما وتبجيلا حتى قدموا « لاعة » ، فادعى الفقه ومذهب السنة والجماعة فتسامع به الناس وأقبلوا اليه من كل ناحية ، وهو مستعمل للورع وحسن السيرة حتى مالت اليه مخاليف المغرب «لاعة، وأقيان[4] وحجة وعزان ، وبلدان البياض[5] » فأمرهم بجمع زكاة أموالهم فاستعمل عليها منهم ثقات وعدولا يقبضون أعشار أموالهم على ما يوجبه الفقه فأقام سنتين بعد قتل « محمد بن يعفر »[6]واختلاف بني حوال فيما بينهم ، فقال لهم : قد رأيت أن تبنوا موضعا منيعا يكون لبيت مال المسلمين ، فعزموا على ذلك ولم يخالفوه فيما أمرهم

---

(١) في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « معك من علم آل محمد شيء » .
(٢) في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « بنو موسى » .
(٣) انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٨٧ — ٨٨ . معجم البلدان — مادة عزان —
(٤) قرية كان بها ملك بني حوال — صفة الجزيرة : ٢٣١ ، وقد صحف الاسم في الاصل ، ولعل وجه الصواب ما اثبتنا .
(٥) معظم هذه البلدان ما تزال معروفة بذات الاسماء في منطقة حجة . انظر صفة الجزيرة : ٢٣١ — ٢٣٤ .
(٦) انظر الاكليل للهمداني : ١/١٧٧ — ١٨٦ من ط القاهرة : ١٣٨٦ هـ .

به فأجمعوا على بناء موضع يقال له « عثر محرم »[1] وهو جبل تحت مسور[2] وهو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين ــ المغرب ــ همدان، فلما بنى الجبل، وحصنه، حمل اليه كل ما يحتاج اليه بعد أن ساعده الى ارادته خمسمائة رجل ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق ، ثم انه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وأصحابه ونقلوا حريمهم وأموالهم ، وذلك بعد أن أخرج الحوالي عسكرا في جنح الليل الى مواضع كانوا فيه يقال له « الحيفة » في ناحية « لاعــة » فقتل من أصحاب المنصور اثنــي عشر وارتكب « عثر محرم » بمعاملة لبني العرجاء وأنكر الناس أمره وأضرموا النيران لحربه فكتب اليهم اني ما طلعت هذا الجبل الا لأحصن به نفسي من السلطان ، فلم يقبلوا منه ، وجاءوا اليه فقاتلوه ، وقتل منهم بشرا كثيرا فعظم حينئذ شأنه ، وشاع الى جميع العشائر ذكره ، وبلغ الامير ذلك فكتب الى جميع العشائر حوله يحرضهم على قتاله ، فقاتلوه مرارا وهو ينتصر عليهم ، ثم استنجدوا عليه رجلا من سلاطين شاور يقال اه أبو اسماعيل وبالحوالي[3] صاحب صنعاء فأمدوهم بالعساكر الكثيرة فهزمهم وقتل منهم قتلا كثيرا ، فازداد بذلك ذكره وعظم أمره ودخل في طاعته مــن كان حوله طوعا وكرها ، واستعمل الطبول والرايات وأظهر مذهبه ودعا الى عبيد بن ميمون ، وكان يقول والله ما أخذت هذا الامر بمالي ولا بكثرة رجالي وانما أنا داعي المهدي الذي بشر به ﷺ ، فانهمك اليه عامة الناس ودخلوا في بيعته ومذهبه ثم سمت به همته الى ارتكاب حصن في جبل مسور يقال له «فايز»[4] فيه خمسمائة رجل وأمور للحوالي ، فلم يزل الملعون يتلطف حتى عامل مع عشرين رجلا منهم ، فارتكب الجبل بالليل ، فأصبح في رأسه وقصد من كان في « بيت فايز » ، وفتح له العشرون الذين

---

(١) في الاصل « عبر » وفي غاية الاماني : ٢٢٠/١ « عين » ولم نعثر لاي منهما على ذكر ، فقدرنا أنه تصحيف صوابه ما أثبتنا . انظر صفة الجزيرة : ٢٤٨ ــ معجم البلدان . تاريخ ابن المجاور : ١٨٤ . سيرة الهادي الى الحق : ٣٩٤ ــ ٣٨٨ .

(٢) انظره في صفة الجزيرة : ٣٤٩ تاريــخ اليمن لعمارة : ٢٣٤ ــ ٢٣٥ . معجــم البلدان . تاريخ ابن المجاور : ١٨٣ ــ ١٨٤ .

(٣) أي آل يعفر ، انظر الاكليل : ١٠/ ١٧٩ ــ ١٨٦ غاية الاماني ١٦٤/١ ــ ١٦٥ .

(٤) هو فائس عند الهمداني . صفة الجزيرة : ٢٦٧ ، الاكليل : ٨٢/٢ . وهو يعرف اليوم باسم « فائز » ومخرج حرف السين مقارب لمخرج حرف الزاي كما هو معلوم لذلك يختلف الرسم عند اصحاب المصنفات .

عاملوه،وقال:«ادخلوها بسلام آمنين[1]»،فقال المنصور : اخرجوا منها فانا داخلون، وسأله صاحب الحصن الامان على نفسه ومن معه ، فأمنهم ، فلما رأى المنصور صاحب الحصن مقبلا نزل عن دابته ومشى اليه واعتنقه فزال عنه الرعب ، وقال له : ان معي مالا للسلطان فمن يقبضه ، فقال ـ المنصور لعنه الله ـ : لسنا ممن يرغب في مال السلطان ، وما طلعت هذا الجبل لأخذ أموال الناس ،وانما طلعت لاصلاح الاسلام والمسلمين ، خذ مال صاحبك فأده اليه ، فذكروا أنه لعنه الله طلع جبل مسور في ثلاثة آلاف رجل ، ومعه ثلاثون طبلا ، فكانت طبوله اذا ضربت سمعت الى المواضع البعيدة من المغرب ، ثم انه حصّن الحصن ودربه وبنى فيه دار الإمرة وهو بيت ربيب[2] وهو أول من أسسه وجعل فيه من يثق به من أهل مذهبه ، ثم بنى بيت ريب ودرب الجبل من كل ناحية وجعل له بابين ، وبنى في بيت ريب قصرا وسماه دار التحية ، فعند ذلك أحل ما حرم الله ، وكان يجمع أصحابه في ذلك القصر ونساءهم يرتكبون الفواحش وأقام يحارب من حوله من القبائل ويبعث اليهم بالعساكر فأبادهم وأخذ أموالهم وقتل رجالهم حتى دخلوا في طاعته كارهين ذلك واستولى على جميع مخاليف المغرب قهرا واستعمل عليهم رجلا من أهل مذهبه يقال له أبو الملاحف[3] فأقام بناحية جبل تيس[4] واليا للمنصور وخرج بنفسه وعساكره الى بلاد « شاور » فاستفتحها وحاصر صاحبها أبا اسماعيل الشاوري سبعة أشهر حتى استنزله من حصنه ورجع الى مسور ثم خرج الى ناحية « شبام حمير[5] » فأقام يحاربهم مدة طويلة وخرجت عساكره الى ناحية المصانع من بلد حمير فأقام وهناك في مراكز لحمير، فتحموا عليه وقتلوا جماعة من عسكره فانهزموا الى مسور فغفل عنهم أياما يسيرة

---

(١) سورة الحجر : ٤٦ .

(٢) انظره ووصفه في صفة الجزيرة : ٣٤٥ ــ معجم البلدان .

(٣) ذكر القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة : ٦١ ، وعنه نقل الداعي المطلق ادريس القرشي في عيون الاخبار وفنون الاثار : ٥/٤٤ ــ ٤٥ ، ما يظن انه ولد أبي الملاحف واسمه عبد الله ، وانه وجه من اليمن في البداية برفقة أبي عبد الله الداعي ليتوجها نحو المغرب . انظر ما سبق في ص : ١٠٤ .

(٤) انظره في صفة الجزيرة : ١٢٣ .

(٥) شبام حمير الان موضع فيه قرية يقع الى الشمال الغربي من صنعاء ، وكان يعرف أيضا باسم جبل ذخار ، فيه حصن كوكبان الشهير ، وفي سفحه مدينة شبام وذلك من الشرق انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٦٥ ــ ٦٦ . ابن المجاور : ١٨٤ ــ ١٨٥. تاريخ صنعاء : ٥٦٦ . صفة الجزيرة : ٢٣١ ــ ٢٣٤ .

وعامل رجلا يقال له الحسين بن جراح وكان في الضلع « ضلع شبام » واليا علـى أن يعضده علـى شبام ويكون أمرها اليـه فعاقده على ذلـك ، وخـرج بنفسه وعساكره وقام الحسين بن جراح ففتح « شبام الاهجر » فأخرج منها بني حوال ، وحمل الى مسور جميع ما غنمه من ممالك بني حوال وأموالهم وأقام هناك شهرا ، وندم ابن جراح على ما كان منه من معاملته، وخاف على نفسه، وحالف رجلا يقال له ابن كيالة من قواد بني حوال ، كان واليا على صنعاء فجاش ابن كيالة[1] بقبائل حمير وهمدان وخالف ابن جراح القرمطي فصار فيوجهه وابن كيالة يقابله على درب شبام، فضاق حال الملعون القرمطي وخرج منهزما بالليل هو وأصحابه الى مسور ، فذكروا أنه ما خرج الا بنفسه وترك خيله وأقاما في شبام حتى رجع لهما القرمطي ثانية[2] وذلك عند دخول علي بن فضل صنعاء ، وأنا أذكر ما كان منهما لعنهما الله .

وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلي بن فضل الى ميمون وولده يخبره بما فتح من البلاد ووجه اليهما بهدايا وطرف من طرف اليمن وكان ذلك في سنة وتسعين ومائتين ، فلما وصلت هديته الى القداح وولده سرهما ذلك ، وقـال لولده : هذه دولتك قد أقبلت .

ثم ان المنصور أقام في مسور الى أن جرى بينه وبين علي بن فضل الجدني اختلاف ومحاربة ، وأنا أشرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

وكان موت المنصور لعنه الله سنة اثنتين وثلاثمائة وولي الامر من بعده عبد الله ابن عباس الشاوري[3] .

---

(١) الحسن بن كياله من موالي بني يعفر . انظر سيرة الهادي : ٣٨٠ ــ ٣٩٣ .

(٢) انظر غاية الاماني : ١/١٩٢ .

(٣) انظر عيون الاخبار : ٥/٤٤ ، هذا وذكر الخزرجي في العسجد المسبوك ــ انظره فيما بعد ــ أن منصورا أوصى الى ابنه الحسن والى عبد الله الشاوري ، وبين أن منصور توجه الى المهدية ، حيث يبدو أنه مكث هناك فترة من الزمن وشارك في العديد من الاحداث ، كما يبدو أنه كان شاعرا، وقد ذكر له الداعي ادريس عددا من القصائد في عيون الاخبار ٥/٢٠٦ ، ٢٧٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، وخلال اقامـة الحسن في افريقية أوكلت المهدية امور الدعوة في اليمن الى الشاوري ، لكن بعدما عاد حسن بن المنصور الى اليمن اغتال الشاوري واستبد بأمور الدعوة .

باب ذكر علي بن فضل بن احمد الجدني لعنه الله :

كان من خبره أنه لما افترق هو المنصور بغلافقة ، خرج الى اليمن أيضا وفيها جعفر بن ابراهيم المناخي ، وخرج الى جعفر[1] من « أبين » وفيها رجل من الاصابح يقال له محمد بن أبي العلاء فخرج القرمطي الى جيشان ثم خرج الى « سرويافع »[2] فتفرسهم فعلم أنهم أسرع الناس الى اجابته فطلع رأس جبل وبنى فيه مسجدا وأخذ بالنسك والعبادة فكان نهاره صائما وليله قائما فأنسوا اليه وأحبوه وافتتنوا به ، ثم انهم قلدوه أمرهم ، وجعلوا حكمهم اليه فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن بينهم فقال لا أفعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضلال الا أن تعطوني العهود والمواثيق أن لا تشربوا الخمر ، ففعلوا له ذلك ، وأنهم ينكرون المنكر ، وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم ، فلم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ ارادته ، وأمرهم ببناء حصن في ناحية « سرو يافع » فأطاعوه وسمعوا لأمره ، ثم أنه أنهبهم أطراف بلدان ابن أبي العلاء وأراهم أن ذلك جهاد لأهل المعاصي حتى يدخلوا في دين الله طوعا وكرها ، وأمرهم أن يتخطفوا بلاد ابن أبي العلاء فاشتد بأسهم ، وكانوا لا يلقون جمعا الا هزموه وظفروا عليهم ، وذلك لما سبق من علم الله من فتنة المسلمين على يديه لعنه الله ، فلما شاع ذكره وسمع به جعفر بن ابراهيم[3] ، كاتبه وفرح به ، وذلك لشحناء كانت بينه وبين ابن أبي العلاء لقرب القرمطي اليه فكاتبه جعفر على مطابقته على حرب ابن أبي العلاء ، ووجه من عنده عسكرا الى القرمطي وتعاقدا أن يكون جميع ما يفتح من بلدان ابن أبي العلاء بينهما نصفين فخرج القرمطي لحرب ابن أبي العلاء بقبائل يافع وعسكر جعفر ، فهزمهم ابن أبي العلاء وقتل منهم قتلا كثيرا وانهزم القرمطي الى « سبأ صهيب »[4] فلما كان الليل جمع أصحابه ، وقال اني أرى رأيا صائبا ، ان القوم قد أمنوا منا ، وقد علمتم ما فعلوا بنا وأرى أن نهجم عليهم ، فانا نظفر بهم ، فأجابوه الى ذلك ، وهجم عليهم الى « خنفر »[5] فقتل ابن

---

(١) اي مخلاف ــ منطقة ــ جعفر . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٨ ــ ٤٩ .

(٢) انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٧ ــ ٥١ .

(٣) المناخي . انظر صفة الجزيرة : ١٣١ . الاكليل : ٢/٩٣ ــ ٩٥ .

(٤) انظر صفة الجزيرة : ٧٩ .

(٥) بلدة كانت تقوم وسط وادي أبين هي الان أنقاض . صفة الجزيرة : ٧١ الاكليل : ٢/١١١ .

أبي العلاء وعسكره واستباح ما كان له وأخذ من خزائنه تسعين ملحما في كل واحد عشرة آلاف[1] ، فلما رجع الى بلاد يافع ، عظم شأنه ، وشاع ذكره ، وأجابته قبائل مذحج بأسرها ، وزبيد ، ومالا يحصى عدده ، فلما بلغ ذلك جعفرا اغتم غما شديدا وسفر اليه ينظر ما عنده ، فسأله أن يقسم ما أخذ من « خنفر » فجمع القرمطي القبائل والعساكر ولقى السفير في أعظم زي من العدة والعدد ، فلما عرف السفير بما جاء به ، جمع العساكر ، وقال : ان جعفرا أرسل الي لما بيني وبينه من العهد بقسمة ما غنمت ، وقد أحضرتكم شهودا على تسليمه اليه لأني لا رغبة لي في المال ، انما قمت لنصرة الاسلام ، فشكروه على ذلك ثم أحضر المال فقسمه شطرين وسلم الى السفير ، وقال : انصرف الى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد لحربي ، وكتب معه كتابا اليه ، يذكر فيه : انه بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموال الناس وأنا قمت لأميت المظالم ، وأرد الحق الى أهله ، فان أردت تمام ما بيني وبينك فرد الظلامات الى أهلها ، وادفع لأهل دلال دية[2] ما قطعت من أيديهم ، وذلك أن جعفرا قطع أيدي ثمانمائة رجل من أهل دلال على حجر المذيخرة ، يقال ان أثر الدم على الحجر الى اليوم ، فلما بلغه كتابه علم أنه منابذه الحرب فقطع مكاتبته

فلما كان العام المقبل خرج القرمطي بالجمع الكثير ، فدخل المعافر فأمر جعفر بلزوم نقيل بردان عند التعكر[3] وخرج في لقائه أكثر من ألف فارس فانهزم القرمطي موليا الى بلاد يافع فجمع جموعا كثيرة ، ورجع فهزم جموع جعفر الى المذيخرة ، فتبعه القرمطي ، فدخل المذيخرة وانهزم جعفر الى تهامة ، فأقام القرمطي في مذيخرة فاستنجد جعفر بصاحب تهامة ، فأنجده بعسكر عظيم فطلع حتى صار في موضع يقال له الرواهد بناحية « نخلة » فلما سمع به القرمطي خرج اليه في جنح الليل فظفر به وقتل جعفرا في الجوالة بنخلة[4] .

---

(١) من الدنانير ، ذلك أن خنفر شهرت بذهبها . صفة الجزيرة : ٧١ .

(٢) انظر صفة الجزيرة : ١٣٣ .

(٣) من معاقل اليمن الشهيرة والمتناهية القدم. انظر صفة الجزيرة: ٢: ١٠٢–١٠٤، ١٩٢.

(٤) لا زال وادي نخلة يحتفظ باسمه ، وجوالة حصن : ذكره الهمداني في صفة الجزيرة : ١٣١ ، وقال : « قتل فيه جعفر بن ابراهيم المناخي » وقد ذكر الهمداني بقية المواقع هذه في صفة الجزيرة : ١٣٠ — ١٣٤ . كما ذكر نسب المناخي وبعض اخباره في الاكليل : ٢/٩٥ — ٩٦ ، ١٠/١٧٧ — ١٨٦ . وكان مقتل المناخي سنة احدى وتسعين ومائتين او في السنة التالية . انظر سيرة الهادي الى الحق : ٣٨٩ . غاية الاماني : ١٩٢ — ١٨٥ .

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله تعالى : وكان هـذا جعفر بن ابراهيم ظلوما ، غشوما سفاكا للدماء ، وانه قال في شعر له طويل قدر مائتي بيت في حرب كانت بينه وبين آبي جعفر الحوالي ، وظفر جعفر على الحوالي ، في [شبام آخر المحرم سنة تسع وسبعين ، و] من شعره[1] :

اذا ما تجعظروا[2] بطشنـا بقـدرة ... ونفعـل ما شئنـا ومـا تتجعظـر
فمـا قبلنـا ولا بعـد بعـدنـا ... لمفتخـر فخـرا اذا عـد مفخـر
سوى الطيبين الطاهرين الذين هـم ... من الرجس والعاهات والسوء طهر
سلالة اسماعيل ذي الوعـد والوفا ... ودعـوة ابراهيـم والبيت يعمـر
محمـد الهـادي النبي وصنـوه ... علـي وسبطـاه شبـير و[3] شبر
ونسلهـم الهـادين بالحق والتقى ... بطاعتـم رب السماوات يأمـر
ومولاتي الزهراء التي عـدل مريم ... وصهـر رسول الله مولاي حيـدر
رويـدك عنـي بالمـلامـة انـني ... بهـا وبهـم أزهو وأعلـو وأفخر
ألا كـل مجـد ما خلا مجد أحمد ... وعترتـه من دون مجـدي يقصر
وكل امرىء والى سوى آل أحمـد ... فذاك الذي الدنيـا مع الدين يخسر
بهـم زادني الرحمن عزا ومفخـرا ... فأحمـده حمـدا كثيرا واشكـر
أنـا ابن اسحـاق منصور حمـير ... وفارسهـا والشعشعان المظفر
فاولاي لـم يخلق سريـر ممهـد ... ولولاي لم ينصب على الارض منبر
أنـا قمـر الدنيا وعمـي سراجها ... وجدي الذي كانت به الارض تعمر
هـم أنزلوني منزل العـز حيث لا ... يرانـي الا دونـي الطرف يحسـر

---

(١) بالاصل : في شيء من شعره ، والزيادة والتقويم عن العسجد المسبوك للخزرجي نسخة الجامع الكبير في صنعاء : ٣٣ .

(٢) الجعظري : الفظ الغليظ ، المنتفخ بما ليس عنده ــ القاموس .

(٣) (Shafira) (Shafra) وقد جاء في سيرة ابن اسحق : ٢٤٧ « ... عن علي قال : لما ولد علي سميته حربا ، قال : فجاء رسول الله ﷺ ، فقال أروني ابني ، ماذا سميتموه ؟ فقلت حربا فقال رسول الله ﷺ : لا ولكن اسمه حسن ، فلما ولدت حسينا سميته حربا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أروني ابني ماسميتموه؟ فقلت : سميته حربا ، فقال : لا ولكن اسمه حسين ... ثم قال : اني سميتهما ببني هرون شبره وشبيرا ، يقول حسن وحسين » .

أصول ولا يعدى علي وأعتدي　　وأخمد نيران الحروب وأسعر
وطعمي للاعداء مر وعلقم　　وطعمي لأهل السلم شرب معنبر
ألم تر أن البغي مهلك أهله　　وان الذي يبغى عليه سينصر

رجع الحديث الى علي بن فضل القرمطي — لعنه الله — أنه لما قتل جعفرا أظهر كفره ، وادعى النبوة ، وأحل البنات والاخوات[1] ، وفي ذلك يقول شاعرهم على منبر الجامع في الجند :

خذي الدف يا هذه والعبي[2]　　وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم　　وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة　　وهذي شرائع هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة　　وحط الصيام ولم يتعب
اذا الناس صلوا فلا تنهضي　　وان صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا　　ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين　　من أقربي ومن أجنبي
فكيف تحلي لهذا الغريب　　وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه　　وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر الا كماء السماء　　حلالا فقدست من مذهب

والشعر طويل وكله تحليل محرمات الشريعة والاستهانة بها .

ثم خرج يريد الحوالي[3] ، وخرج قبل ذلك الى بلاد « يحصب »[4] فدخل « منكث »[5] فأحرقها ثم خرج يريد الحوالي صاحب صنعاء ، فلما بلغ بلد «عنس»[6]، وكان للحوالي مأمور في وهران[7] فأرسل اليه القرمطي ليدخل فيما هم

---

(1) يمكن رؤية ما صنعه ابن الفضل على انه اعلان للقيامة ، العقيدة الاسماعيلية المعروفة . انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة : ٨٧ — ٨٩ .
(2) في روايات أخرى : واضربي .
(3) أي أسعد بن يعفر . انظر الاكليل للهمداني : ١/١٨٥ — ١٨٦ . تاريخ اليمن السياسي لمحمد يحيى الحداد . ط. القاهرة : ١٩٦٨ : ٢/٥٣ — ٥٦ .
(4) مخلاف من مخاليف اليمن فيه قصر ريدان الشهير . صفة الجزيرة : ٢٧٨ . تاريخ اليمن لعمارة : ٧٤ — معجم البلدان .
(5) تقع الى الشرق من يحصب، وتبعد عن بلدة يريم بحوالي ٢٠ كم . صفة الجزيرة : ٧٩ .
(6) في الشمال الشرقي من ذمار . انظر صفة الجزيرة : ٤٠٦ .
(7) حصن في شمال ذمار — صفة الجزيرة : ١٤٩ .

عايه ، فأجابه الى ذلك ، فنزل اليه ودخل في ملته وقرمطته ، وكان معه خمسمائة فارس رجع منهم الى صنعاء الى الحوالي مائة وخمسون ، وخرج القرمطي يريد صنعاء فلما سمع به الحوالي ، وبالجموع التي معه ، وعلم أنه لا طاقة له به خرج من صنعاء هاربا الى الجوف ، فدخل القرمطي صنعاء ، فأقام فيها وأظهر فيها الفحشاء وأمر الناس بحلق رؤوسهم ، ثم التقى هو وصاحب مسور الحسن بن منصور الى شبام[1] فأقاما هنالك أياما ، وعلي بن فضل يكبر المتصور ، ويقول انما أنا سيف من أسيافك ، والمنصور يهابه ، ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته واقدامه ، فعزم على الخروج الى مخاليف « البياض »[2] فنهاه المنصور ، وقال له : قد ملكنا اليمن بأسره ، ولم يبق الا الاقل فعليك بالتأني والوقوف في صنعاء سنة ، وأنا في « شبام » فيصلح كل واحد ما استفتح ثم بعد ذلك يكون لنا نظر ، فانك ان خرجت من صنعاء خالف أهلها وفسد علينا ما ملكناه،فلم يقبل منه وقال : لا بد من الخروج ، واستفتح تهامة فخرج الى مخاليف البياض ، وهي بلاد وعرة فلما توسط بينهم ومعه قدر ثلاثين ألفا أحاطوا به ، وقطعوا عليه الطرق ، ولم يقدر على التخلص ، فلما سمع المنصور خاف عليه ، وأغار اليه ، واستنقذه فرجع الى شبام ، وعاد الى صنعاء ، وخرج الى جبال حضور ثم الى حراز[3] ثم الى ملحان[4] ونزل المهجم[5] وقتل صاحبها وهو ابراهيم بن علي رجل من عك واستفتح الكدراء[6] ورجع الى ملحان وسرى بالليل الى زبيد وفيها المظفر بن حاج ومعه ستمائة فارس وهجم عليهم في

---

(١) شبام كوكبان غربي صنعاء ، بينهما يوم وليلة ، وهو جبل صعب المرتقى كان يسكنه آل يعفر ، والان عامر بالابنية الحديثة ــ صفة الجزيرة : ٨٦ ، ١٧٢ ، الاكليل : ٢/٧١ ــ معجم البلدان .

(٢) في سيرة الهادي : ٣٩١ ، حدث هذا سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وانه خرج يريد تهامة ، وهذا ما ذكره الخزرجي في العسجد المسبوك ، والبياض حصن قريب من صنعاء ــ معجم البلدان .

(٣) مخلاف قرب زبيد . معجم البلدان .

(٤) انظر صفة الجزيرة : ١٤٤ ــ ١٤٥ . معجم البلدان .

(٥) انظر صفة الجزيرة : ٢٥٨ ــ ٢٥٩ . معجم البلدان .

(٦) مدينة كانت ذات مكانة على شط وادي سهام ، كان « يسكنها خليط عك » القبيلة اليمانية المشهورة . صفة الجزيرة : ٧٤ . الاكليل : ٢/٢٣٨ .

أربعين ألفا فأحاط بعسكره ، فقتل المظفر بن حاج ، وكـان المظفر مأمورا لصاحب بغداد[1] وسبى القرمطي من زبيد أربعة آلاف عذراء ، ثم خرج منها الى الملاحيط ، وأمر صائحه وعسكره : يا جند الله فلما اجتمعوا اليه قال : قد علمتم أنا مجاهدون وقد أخذتم من نساء الحصيب[2] ما قد علمتم وان نساء الحصيب تفتن الرجـال فيشغلنكم عن الجهاد فليذبح كل رجل منكم من في يده فسميت الملاحيط المشاحيط[3] لذلك ، ثم رجع الى مذيخرة دار مملكته ، وأمر بقطع الحج[4] وقال : حجوا الى الحرف ، واعتمروا الى الثاني ، موضعان معروفان هنالك .

فلما أصبحت اليمن بيده وقتل الاضداد مثل المناخي وجعفر بن الكرندي[5] والرؤساء ، وطرد بني (زياد) وكانوا رؤساء مخلاف جعفر ، ولم يبق له ضد يناوئه، عصا المنصور وخلع عبيد بن ميمون[6] الذي كان يدعو اليه فكتب اليـه المنصور

---

(1) اي الخليفة العباسي المكتفي : ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ــ ٢٩٥ هـ / ٨٠٨ م .

(2) الحصيب هي قرية زبيد . صفة الجزيرة : ٧٣ .

(3) شحطه تشحيطا: ضرجه بالدم، فتشحط : تضرج به، واضطرب فيه.القاموس.

(4) ذكر صاحب غاية الاماني في حوادث سنة ٣٠٠ هـ : ٢٠٢ بأن ابن الفضل بعث قائدين من قواده وهما محمد بن درهم الجنابي،وحسن بن محمد بن ابي الملاحف الصنعاني الى مكة انظر ما تقدم .

(5) بنو الكرندي قوم من زعماء المعافر من حمير . انظر تاريخ عمارة : ٨٧ ، ١٢٧ .

(6) يستخلص من المصادر الاسماعيلية : أن مركز الدعوة في السلمية عانى قبيل ومع بداية حركة القرامطة من انقسامات خطيرة للغاية،اسهمت في الصراعات القرمطية الاسماعيلية في الشام ، ودفعت المهدي الى مغادرة السلمية نحو الرملة فمصر عاقدا النية في البداية على السفر الى اليمن ، لكنه عدل عن رأيه في مصر وقـرر التوجه غربا . وفي الطريق من الشام الى مصر رافق المهدي عدد من أهله وبعض اعوانه ، على راسهم رجل عرف باسم فيروز ، وصفه الحاجب جعفر الذي كان من حاشية المهدي بانه كان«داعي الدعاة واجل الناس عند الامام واعظمهم منزلة، والدعاة كلهم اولاده ومن تحت يده ، وهو باب الابواب الى الائمـة » وفي مصر وبسبب قرار التوجه غربا ولاسباب أخرى لا نعلمها فارق فيروز المهدي، ورفض البقاء معه ، وتوجه نحو اليمن ، فالتحق أولا بالمنصور الذي لقيه بالتبجيـل والتعظيم،ذلك لان المنصور كان ــ كما قيل ــ قد انضم الى الدعوة الاسماعيلية على يدي فيروز وبوساطته ، وكتب المهدي الى منصور اليمن يسأله قتل فيروز ، وعلم فيروز بالامر فغادره والتحق بعلي بن الفضل « ففتنه وأفسده » وكان سبب الخلاف بين ابن الفضل ومنصور . انظر سيرة الحاجب جعفر نشرت في مجلة كلية الاداب لجامعة القاهرة عام١٩٣٦ : ٤/١١٠ــ١١٥ .عيون الاخبار:٥/٩٢ــ٩٦.

يعاتبه ويذكر ما كان من احسان القداح وقيامه بأمرهما وما أخذ عليهما من العهد لابنه فلم يلتفت الى قوله ، وكتب اليه انما هذه الدنيا شاة من ظفر بها افترسها ، ولي بأبي سعيد الجنابي أسوة ، لأنه خلع ميمونا وابنه ، ودعا الى نفسه ، وأنا أدعو الى نفسي ، فاما نزلت على حكمي ودخلت في طاعتي والا خرجت اليك وقد كان [أبو طاهر بن أبي] سعيد الجنابي[1] دخل مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا وقطع الركن يوم النحر ، وهو القائل لعنه الله :

فلو كان هذا البيت لله ربنا	لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهلية	مجللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا	كتائب لا تبغي سوى ربها ربا
ولكن رب العرش جل جلاله	ولم يتخذ بيتا ولم يتخذ حجبا

في شعر طويل . وقد كان الخليفة[2] ببغداد كتب اليه يذكر له ما فعل ويتوعده على ما استحل فأجابه أبو [طاهر بن أبي][3] سعيد القرمطي :

« بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين .

من أبي [طاهر سليمان بن][3] الحسن الجنابي ، الداعي الى تقوى الله القائم بأمر الله ، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ ، الى قائد الارجاس المسمى بولد العباس .

أما بعد ــ عرفك الله مراشد الامور ، وجنبك التمسك بحبل الغرور ــ فانه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك ، وذكرك ما وضعته من نظم كلامك ، وقمت به من فخامة اعظامك ، من التعلق بالاباطيل ، والاصغاء الى فحش الاقاويل من الذين يصدون عن السبيل ، فبشرهم بعذاب أليم على حين زوال دولتك ، ونفاد منتهى طلبتك ، وتمكن أولياء الله من رقبتك ، وهجومهم على معاقل أوطانك ، ظفرا ، وسبيهم حرمك قسرا ، وقتل جموعك صبرا ، أولئك حزب الله « الا أن حزب الله هم

(١) اضيف ما بين الحاصرتين كيما يصح الخبر لان وفاة ابي سعيد جاءت قبل هذا .
(٢) المقتدر : ٢٩٥ هـ/٩٠٨ م ــ ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م .
(٣) زيد ما بين الحاصرتين تقويما .

المفلحون »[1] وجند الله هم الغالبون . هذا وقد خرج عليك الامام المنتظر كالاسد الغضنفر في سرابيل الظفر ، متقلدا سيف الغضب ، مستغنيا عن نصر العرب ، لاتأخذه في الله لومة لائم ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم[2] » وقد اكتنفه العز من حواليه ، وسارت الهيبة بين يديه ، وضربت الدولة عليه سرادقها ، وألقت عنه قناع بوائقها[3] ، وانقشعت طخاء[4] الظلمة ، ودجنة الضلالة ، وغاضت بحار الجهالة ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون .

تالله غرتك نفسك ، وأطمعتك فيما لست نائله ، وسولت لك ما لست واصله ، فكتبت لي بما أجمعت عليه أذهان كتابك ، ذكرتني بالعيوب الشنيعة ، وقذفتني بالمثالب السمجة، تالله «ولتسألن عما كنتم تعملون»[5] فأما ما ذكرت من قتل الحجيج، واخراب الامصار ، واحراق المساجد فوالله ما فعلت ذلك الا بعد وضوح الحجة كايضاح الشمس ، وادعاء طوائف منهم أنهم أبرار ، ومعاينتي منهم أخلاق الفجار ، فحكمت عليهم بحكم الله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »[6] .

خبرني أيها المحتج لهم ، والمناظر عنهم ، في أي آية من كتاب الله أو أي خبر عن رسول الله ﷺ اباحة شرب الخمور ، وضرب الطنبور ، وعزف القيان ، ومعانقة الغلمان ، وقد جمعوا الاموال من ظهور الايتام ، واحتووها من وجوه الحرام .

وأما ما ذكرت من احراق مساجد الابرار ، فأي مساجد أحق بالخراب من مساجد اذا توسطتها ، سمعت فيها الكذب على الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ ، بأسانيد عن مشايخ فجرة ، بما أجمعوا عليه من الضلالة ، وابتدعوا من الجهالة .

وأما تخويفك لي بالله ، وأمرك بمراقبته ، فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك، أترى اني أجهل بالله منك ، وصرفك أموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ، ومنعها

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٢) سورة المائدة : ٥٤ .

(٣) البائقة : الداهية ، جمع بوائق . القاموس .

(٤) الطخاء : السحاب المرتفع . القاموس .

(٥) سورة النحل : ٩٣ .

(٦) سورة المائدة : ٤٨ .

عن مستحقيها ، يدعى على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان « آلله أذن لكم أم على الله تفترون[1] » .

وأما ما ذكرت أني تسميت بسمة عدوان ، فليس بأعظم من تسميك بالمقتدر بالله[2] أمير المؤمنين أي جيش صدمك ، فاقتدرت عليه ، أم أي عدو ساقك فابتدرت اليه ؟! لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين وانك لتتقلد بعض خدمك شيئا من أمرك،فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى،فأي الامرين «أقرب للتقوى»[3] أوما علمت أنه من انقاد له نفر من عشيرته ، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعــلا فيهم .

وبعد : فمالك وللوعيد والابراق والتهديد ، اعزم على ما أنت عليه عازم واقدم على ما أنت عليه قادم ، والله من ورائي ظهير ، وهو نعم المولى ونعم النصير ،والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته » .

قال محمد بن مالك الحمادي ــ رحمه الله تعالى : يرجع الحديث الى قصــة صاحب مسور ، وعلي بن فضل لعنهما الله تعالى .

وذلك أن صاحب مسور لما علم أن علي بن فضل غير تاركه ، كما ذكر في كتابه، عمد الى جبل مسور فحصنه ، وأعد فيه جميع ما يحتاج اليه للحصار ، وقال لأصحابه اني لأخاف هذا الطاغية ، ولقد تبين لي في وجهه الشر حين واجهته في « شبام » ، فلم يلبث علي بن فضل أن خرج لحرب المنصور ، واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل من يافع ومذحج وزبيد وعنس وقبائل العرب ، فدخل قرية « شبام » ، وأخرج المنصور للقائه ألف مقاتل الى موضع يقال له المصانع[4] من بلد حمير فضبطوا ذلك الجبل فزحف اليه فاقتتلوا من أول النهار الى الليل فخرج علي بن فضل على طريق العضد[5] ودخل « لاعة » مصعدا الى جبل الجمجمة[6] مقاتلا للمنصور فضرب فيها ورجع الى

---

(1) سورة يونس : ٥٩ .
(2) المقتدر حكم : ٢٩٥ هـ/٨٠٨ م ـــ ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م .
(3) سورة المائدة : ٨ .
(4) انظر صفة الجزيرة : ١٢٢ ، ٢١٧ ، ٣٢٢ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٠ .
(5) جبال العضد من أعمال شبام . صفة الجزيرة : ١٢٣ .
(6) من جبال اليمن الشاهقة . صفة الجزيرة : ٦٥ ، ٢٦٨ .

أصحاب حضور المصانع فلزموا بيت ريب[1] وضبطوا الجبل ، فأقسم أن لا يبرح حتى يستنزل المنصور ، فحاصره ثمانية أشهر وقيل ان المنصور حمل من سوق طمام[2] خمسمائة حمل ملح قبل وصول علي بن فضل وعق[3] له في الجبل عقا واسعا في موضع كثير التراب ، وأوقدوا فوقه الحطب أياما حتى استملح الجبل فصار ملحا كله ، ثم نقله الى الخزائن .

ثم ان علي بن فضل مل المقام ، فلما علم منه المنصور ذلك ، دس عليه في أمر الصلح ، فقال : لست أبرح وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته الا أن يرسل الي بعض ولده ، فيكون ذلك لي مخرجا عند الناس ، ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي ، فأرسل اليه ولده ودفعه بالتي هي أحسن ، فرجع الى « مذيخرة » فأقام عنده ولد المنصور سنة ثم رده الى أبيه وبره وطوقه بطوق من ذهب ، ثم أقام بمذيخرة يحل المحرمات ويرتكب الفواحش وأمر الناس باستحلال البنات والاخوات ، وكان يجمع أهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ، ويأمر باطفاء السرج وأخذ كل واحد من وقعت يده عليه ، ورووي أن عجوزا محدودبة الظهر ، وقعت مع رجل منهم فلما تبنى[4] بها خلاها فتعلقت بثيابه وقالت « دوبد من ذي حكم الامير »[5] فجرت مثلا .

ويقال ان أيامه لعنه الله كانت سبع عشرة سنة ، ومات مسموما سنة ثلاث وثلاثمائة

وكان سبب موته لعنه الله أن رجلا من أهل بغداد يقال انه شريف وصل الى الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، وكان في ذلك الوقت هاربا من القرمطي في

(١) لا يزال يحمل هذا الاسم ، وقال عنه الهمداني في صفة الجزيرة : ٣٤٥ : وبيت ريب حصن ذو عرقة منقطعة عليها قصور آل المنصور وحرمهم واموالهم ، لامسلك لها غير باب واحد .

(٢) سوق شهير للغاية كان في منطقة لاعه . صفة الجزيرة : ١١١ ، ٢٤٨ .

(٣) عق : شق ــ القاموس .

(٤) الابتناء والبناء : الدخول بالزوجة ــ النهاية لابن الاثير .

(٥) « دو » في احدى لهجات اليمن « لا » وعلى هذا « دويد » : « لابد » ومعنى الجملة « لابد من الذي حكم به الامير » أو ما يقارب هذا .

الجوف من بلد همدان مستجيرا ببني الدعام[1] ، وأن ذلك البغدادي وهب نفسه لله وللاسلام ، وقال للامير تعاهدني وأعاهدك أني اذا قتلت هذا القرمطي كنت معك شريكا فيما يصل اليك ، فعاهده على ذلك ، وكان طبيبا حاذقا فخرج الى مذيخرة ، فكان مع كبار أهل دولة القرمطي ، يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات ، حتى وصفوه للقرمطي بالحذق بالطب وفتح العروق ، وقالوا : ان مثلك لا يستغني أن يكون في حضرته مثله ، ثم انه احتاج الى اخراج الدم فأمره أن يفصده فعمد الى السم فجعله على شعر رأسه ، فدخل على القرمطي فسلم عليه فأمره أن ينزع ثيابه ، ويلبس غيرها ، ثم أخرج المبضع ، ثم مصه ، وعلي بن فضل ينظر اليه ، ثم مسحه برأسه فتعلق به من السم حاجته ، ثم فصده وخرج من ساعته ، فركب دابته ، وخرج هاربا ، فلما أحس عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب ، فلم يوجد فلحقوا به دون « نقيل صيد[2] » بازاء قينان[3] فقتلوه هنالك رحمه الله تعالى ومات القرمطي[4] لا رحمه الله .

---

(١) انظر الاكليل : ١٠/١٧٧ ــ ١٨٦ حيث قال الهمداني « الدعام بن ابراهيم ، سيد همدان في عصره ، والزائد على من تقدمه نجدة وفروسية وجودا وحلما ودهاء وثباتا ووفاء وصبرا وصونا » هذا وللدعام ذكر طويل في سيرة الهادي الى الحق: ٩١ ــ ٣٩٥ .

(٢) النقيل عند أهل اليمن العقبة اي الاكمة المرتفعة ، ونقيل صيد اوعر نقطة على الطريق الذي يعتبر حدا فاصلا بين اليمن الاعلى واليمن الاسفل. صفة الجزيرة: ٣٤٤ . تاريخ اليمن لعمارة : ٧٤ .

(٣) تقع قينان في سافله يحصب السفل من بطن السحول ليس بعيدا عن اب بجوار رفود وشمال مركز المخادر ــ صفة الجزيرة : ١٠٤ . الاكليل : ٢/٢٣٤ .

(٤) تتفق رواية الخزرجي مع هذه الرواية مع زيادة بالتفاصيل ، انما جاء في سيرة الهادي ٤٠٣ « وأصاب ابن فضل ــ لعنه الله ــ مرض في بدنه ، فتفجر من أسفل بطنه ، وأماته الله على أسوا حال ــ لعنه الله ــ وكانت وفاته يوم الاربعاء للنصف من شهر ربيع الاخر » لسنة ٣٠٣ هـ/٩١٥ م . هذا وذكر الداعي المطلق ادريس القرشي في كتابه عيون الاخبار : ٥/٤٣ ــ ٤٤ ، انه بعدما قامت الخلافة الفاطمية أمر المهدي«رجلين من اهل دعوته،وممن فيحضرته حتى وصلا الى مدينة صنعاء، وتسميا انهما طبيبان ، حتى دخل احدهما على ابن فضل ــ لعنه الله ــ ففصده وجعل في مفصده سما قاتلا وخرج من عنده ، وبادر الهرب هو وصاحبه ، ومات

وولى الامر من بعده ولده الفأفاء[1] وشاع موته في الناس ووصل الى الحوالي جماعة من رؤساء الناس : بنو المحابي والانبوع وغيرهم فزحف بالعسكر الغليظ لحرب القرامطة فدخل التعكر[2] ثم تقدم الى جبل التومان[3] ، فحاصر القرامطة ، وسلط الله سبحانه وتعالى عليهم سيف النقمة ، لا يخرج لهم جمع الا هزموا ، أو قتلوا ، وأيد الله سبحانه وتعالى المسلمين بنصره .

قال الله تعالى « انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون[4] فأقام يحاصر القرامطة سنة ويقال ان من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ما حل عدته ولا سلاحه بل يصلي وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه[5] وقتل القرامطة وأحيا الاسلام .

ابن الفضل لعنه الله ، وعجل الله بروحه الى النار ، ولحق بأمثاله من الكفار والفجار ، وأخذ أصحاب ابن الفضل في طلب الرجلين اللذين قصداه ، ومازالوا يتبعوهما ويسألون عنهما حتى انتهيا الى موضع تحت نقيل صيد فأدركا هنالك ، وقتلا رحمة الله عليهما » وبرغم ما ذكره الداعي ادريس مع المصادر المتأثرة بالروايات الاسماعيلية نجد صاحب غاية الاماني : ٢٠٨/١ يذكر في حوادث سنة ٣٠٣ هـ : « وفي هذه السنة اراح الله العباد ، وطهر البلاد ، بهلاك قائد العاصين ورئيس المفسدين علي بن فضل — لعنه الله — وكانت وفاته الى عذاب الله في يوم الاربعاء منتصف شهر ربيع الاخر ، بعد ألم ألم به ، وطرف من تعجيل عقوبته ، « ولعذاب الاخرة أخزى وهم لا ينصرون » — فصلت : ١٦ — ودفن بالمذيخرة » .

(١) كذا في الاصل ، وفي النفس شيء منه ، فلعله تصحيف « فضل » هذا ولم تذكر المصادر التي تعرضت لعلي بن الفضل وما جرى بعده اسم ابنه ، بل تحدثت عنه دون تبيان اسمه .

(٢) سبق ذكره بأنه من أمنع حصون اليمن وأقدمها — انظر صفة الجزيرة : ١٠٤ .

(٣) في الجنوب الشرقي من جبل المذيخرة فيه عسكر أسعد بن أبي يعفر ، لحصار القرامطة وكان ذلك سنة ٣٠٤ هـ . انظر صفة الجزيرة : ٢١٣ .

(٤) سورة الصافات : ١٧٢ — ١٧٣ .

(٥) وصفه الهمداني ، وهو من معاصريه ، في الاكليل : ١٨٤/٢ — ١٨٦ ، بقوله : « وأسعد هو أبو حسان ، ملك عصرنا ، وذهب على من قبله بالصوت ، وهو الذي اجتث عرقاة القرامطة باليمن ، وهو فارس حمير في عصره ، والقائل : اذا تم لي مقدم الحصان فيأكل مؤخره الذئب ، وجوادها ومهيبها ، وله تواقيع معجزة لا يجارى فيها مع حسن السياسة ، وعظم الدهاء ، وبعد الفور ، وكتمان ما في النفس ، واذا غضب غضب ، واذا رضي رضي ، لا بعدة له على قومه ولا عصبية له ، ولا ولد له ، فدرج ، وتوفي يوم السبت لثمان خلون من شهر رمضان من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وأخباره وسيره تكثر » .

ليس كولاة الامر من أهل زماننا الذين غرقوا في اللذات ، واتبعوا الشهوات ولم يرغبوا في المكارم والنجدات ، وعظوا فلم يتعظوا وناموا فلم يستيقظوا ، ونظروا ما حل بغيرهم فلم يعتبروا ، وقد قيل في المثل السائر •

واذا رأيت أخـوك يحلق رأسـه أوشكت بعـد أخيك تصبح أصلعا

ومن عجز عن رعاية رعيته ، وجار عليها في حكمه وقضيته ، دل علـى زوال مملكته وتعجيل منيته ، وقد قال الاول :

ومن رعـى غنمـا في أرض مسبعة ونـام عنهـا تولى رعيهـا الاسد

واذا فرط الراعي في أمر رعيته ، وطاوع نفسه الدنية ، وذهبت عنه الانفـة والحمية ، فقد عظمت عليه البلية ، وقال الافوه الاودي :

لا يصلح القوم فوضي لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهـم سادوا
تهدي الامور بأهل الرأي ما صلحت فـان تولت فبالاشرار ينقـادوا[1]

رجع الحديث الى محاصرة الحوالي،فروي أنه نصب المنجنيقات فهدم المذيخرة بعد سنة ، ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم ما لا يحصى ، وسبى بنات القرمطي وكن ثلاثا ، فصارا اثنتين في رعين وواحدة وهبها الامير لابن أخيه قحطان، وأباد الله القرامطة على يد الامير الحوالي بمنه وسعادته ، وجعل لا يسمع بأحد منهم الا قتله ، ورجع الى صنعاء وقد أطفأ جمرة الشرك ، وملك جميع البلاد ، وزالت الفتنة ، وأراح الله من القرامطة ، وطهر منهم البلاد ، وأمن منهم العباد ، وسار الامير في الناس بأحسن سيرة ، وعدل في الرعية ، ورد بني المحابي[2] الى مخلاف جعفر ، وجرت المكاتبة بين الامير الحوالي ، والامير ابراهيم بن زياد[3] والناصر أحمد بن

---

(١) هو صلاة بن عمرو من مذحج ، ويكنى أبا ربيعـة ، انظره وابياته في الشعـر والشعراء لابن قتيبة ــ ط. ليدن ١٩٠٢ م : ١١٠ ــ ١١١ .

(٢) بنو المحابي من الكلاع ، منهم ابو يعقوب وهو الذي عاصر اسعد الحوالي ، وفي النفس شيء من قوله : ردهم الى مخلاف جعفر . انظر الاكليل : ١٩٥/٢ . تاريخ عمارة : ٤٦ ــ ٥٨ .

(٣) حول تاريخ ملوك بني زياد في تهامة وزبيد . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٦ــ٥٨ تاريخ ثغر عدن ــ ط. بريل ١٦٣٦ : ٢ــ١٦٣،ــ١٧ . تاريخ اليمن السياسي: ٤٥ــ٥١

يحيى الامام الهادي صاحب صعده[1] وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة وقتل القرامطة حيث ما وجدوا ، وذكروا أنه كان يوجد عنوان : كنتم بركة في بركة ونعمة مشتركة ، والارض فيما بيننا قد حصلت في شبكة ، وكان الخارج اذا خرج من بلد أحدهم لذنب أذنبه كاتب فيه ، وسأل الصفح عنه ، وصفت لهم المعيشة ، واستقامت لهم الدولة ، ولزم كل واحد منهم بلده ، ولم يطمع واحد على صاحبه ، وألف الله بين قلوب المسلمين ، ولم يبق من القرامطة الا شرذمة قليلة من أولاد المنصور في ناحية مسور ، وأبادهم الله تعالى على يد الدعام بن ابراهيم ، والناصر بن يحيى ، وأنا أذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

باب ذكر أولاد المنصور :

مات لعنه الله سنة اثنتين وثلاثمائة واستخلف على أهل دعوته رجلا يقال له عبد الله بن عباس الشاوري [وأوصى اليه] والى ولده أبي الحسن المنصور ، وقال : « قد أوصيتكما بمبدأ الامر فاحفظاه ولا تقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون ، فنحن من غرسهم ، ولولا ناموسهم وما دعونا به اليهم ما صار الينا من الملك ما قد نلناه ، ولا تم لنا في الرئاسة حال ، فعليكما بمكاتبة القائم منهم ، واستيراد الامر منهم ، فأوصيكما بطاعة المهدي يعني عبيد بن ميمون حتى يرد أمره بولاية أحدكما ، ويكون كل واحد منكما عونا لصاحبه » .

وقد كان لعبد الله بن عباس ، عند عبيد بن ميمون سابقة ومعرفة ، لأن المنصور قد كان ــ لعنه الله ــ بعثه مع أبي عبد الله الشيعي الخارج بكتامة من بلاد الغرب على ما أذكره فيما بعد .

ثم ان عبد الله بن عباس كتب الى عبيد بن ميمون المسمى بالمهدي ، بموت المنصور ، وهو يومئذ بمدينة بناها وسماها المهدية[2] بالغرب ، وأنه قام بمذهبه من بعد

---

(١) بعد وفاة الهادي الى الحق خلفه ابنه الامير المرتضى ، لكن هذا الامير تخلى عن الحكم سنة ٢٩٩ هـ/٩١٢ م ، وبعد تخليه جاء اخوه الناصر احمد الى صعدة لانه كان غائبا في الحجاز ، وفي صعدة بويع خلفا لاخيه . انظر سيرة الهادي : ٤٠٠ ــ ٤٠٧ . تاريخ اليمن السياسي : ٦٣ ــ ٦٨ .

(٢) معروفة في الجمهورية التونسية ، ما تزال تحوي العديد من آثار الفاطميين .

المنصور ، ودعا اليه ، وأنه لم يبق الا استيراد الامر ، ويسأله الولاية لنفسه وعزل أولاد المنصور وخرج ولـد المنصور بنفسه الـى القيروان يسأل الولاية لنفسه ، ولا ينزع الامر منهم بعد أبيهم وقد كانت وصلت هدايا ابن عباس وكتابه ، وولاه الامر ، وكتب له ، فلما وصل ابن المنصور أمره بطاعة ابن عباس وبعث لابن عباس بسبع رايات : فرجع ولد المنصور الى مسور ، وقد يئس مما كان يرجو من الولاية، فلقيه عبد الله بن عباس بنفسه وأهل دعوته فبجله وعظمه ، ولقيه أخوه جعفر وأبو الفضل وبقية أولاد القرمطي لعنه الله ، فسألوه بما ورد به الامر فعرفهم بصرف الامر عنهم الى عبد الله بن عباس دونهم ، فتبين لجعفر في وجه أخيه أبي الحسن الشـر والعداوة لابن عباس والحسد ، فنهاه عن ذلك ، وقبح عليه وزجره ، وقال له : أنت تعلم أنه غرس أبينا ، وأنه لا يقدم علينا سوانا في هذا الامر ، قال : والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره ، ونحن أحق به منه ، فقال له أخوه جعفر : ان أمرنا اذاً يتلاشى ، ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذي نمسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك ، فلم يلتفت الى قوله وكتم السر نفسه ، وكان أولاد المنصور لا يحجبون عـن أبي العباس ليلا ولا نهارا ، فوثب عليـه أبو الحسن بن المنصور ، فقتله غدرا ، وولي الامر من بعده فولي ما كان أبوه يلي ، ورجع الى مذهب الاسلام ، وجمع العشائر من بلده وأشهد أنه رجع عما كان عليه أبوه ، فأحبه الناس ، فدخل عليه جعفر ، فقبح ما فعله ، وقال : قطعت يدك بيدك ، فلم يلتفت الى قوله وخرج جعفر الى ولد عبيد المسمى بالقائم[1] ، فكاتب أخاه يعيب عليه فعله بشعر طويل يقول فيه :

فكنتـم وأنتـم تهدمون وأبتنـي　　　فشتـان من يبني وآخـر يهـدم

وتتبع أبو الحسن من كان على دين أبيه يقتلهم ، فأباد القرامطة ، وبقي منهم قوم يتكتمون منه ، وأقاموا ناموسهم برجل منهم ، وكان لا يقطع مكاتبة بني عبيد، ثم ان أبا الحسن خرج من مسور الى عثر محرم وفيه يومئذ رجل من بني العرجاء ، واستخلف أبو الحسن على مسور رجلا يقال له ابراهيم بن عبد الحميد السباعي وهو جد بني المنتاب فوثب ابن العرجي على أبي الحسن فقتله ، فلما انتهى الخبر الى

---

(١) حكم القائم الفترة : ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م – ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م .

ابراهيم بن عبد الحميد السباعي لزم مسورا ، وادعى الامر لنفسه وأخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور الى جبل ذي عسب[1] فوثب عليهم المسلمون من أهل المغرب[2] فقتاوهم الصغير والكبير ، وسبوا حريمهم ولم يبقوا على وجه « الارض من الكافرين دياراً » ولم يبق للمنصور عقب يعرف بحمد الله ومنه .

ثم ان ابراهيم بن عبد الحميد اتفق هو وابن العرجي ، واقتسما بينهما نصفين، لكل واحد منهما ما يليه ، ورجع ابراهيم عن مذهب القرامطة وكان أبوه من كبار قواد المنصور وأصله من قدم من حمير وكان أبوه قتل في مخلاف البياض[3] لأن المنصور كان أخرجه الى هنالك بالعساكر ثم إن ابراهيم بنى في بيت ريب مسجدا ، ونصب منبرا وخطب لأمير المؤمنين من بني العباس ، وكاتب الامير أبا الحسن بن ابراهيم بن زياد ، وبذل له من نفسه السمع والطاعة ، والدخول في الخدمة ، وسأله أن يبعث اليه محاضر من قبله يكون عنده ، فأرسل رجلا يقال له السراج وقال له : اذا تمكنت قبضت على ابراهيم بن عبد الحميد ، فوصل من زبيد ، ولقيه ابراهيم بن عبد الحميد الى بيت ريب ، وطلع ابراهيم بن عبد الحميد الى حصن في رأس الجبل وكان ينزل اليه كل يوم يصحبه ويعظم حقه ، ثم ان السراج عامل على ابراهيم ناسا من أهل الجبل فنزل اليه يصحبه ، فلقيه رجل من المعاملين فأخبره بالمعاملة فرجع الى حصنه فضرب الطبول ، فاجتمع اليه الناس ، وكان فيه من أهل دولته فدخل على السراج ؛ فقبض عليه ، فأمر بحلق لحيته ، ونفاه عن بلده وانقطعت المكاتبة بينه وبين ابن زياد ، واستمر أمره ، وجعل يتتبع القرامطة يقتلهم ويسبي ذراريهم ، فبقي منهم قليل في ناحية جبل مسور ، فأقاموا قرمطيا منهم يقال له ابن الطفيل[4] ، فسمع به ابراهيم بن عبد الحميد ، فخرج اليه فقتله ، وتفرق من بقي من أصحابه الى نواحي عمان وقطابه[5] وانكتم أمرهم عن ابراهيم .

---

(1) انظر صفة الجزيرة : ١٨٧ .

(2) اي مغرب اليمن .

(3) سبق تعريفه ، حيث قال ياقوت : حصن باليمن من اعمال الحقل قرب صنعاء .

(4) يوسف بن موسى بن الطفيل . صفة الجزيرة : ١١٣ .

(5) قطابة واد وسوق شمال همل التي هي واد كثير الاشجار موبوء يقع أسافل مركز كحلان عفار . صفة الجزيرة : ١١٣ .

ثم انهم أقاموا ناموسهم برجل يقال له ابن رحيم ، وذلك في أيام المنتاب ، بعد موت أبيه ابراهيم، وكان ابن رحيم هذا لا يستقر في موضع واحد ، خوفا من المنتاب ومن المسلمين ، وهو يكاتب ابن عبيد ، وذلك بعد خروج المعز من القيروان الى بلاد مصر عند بنائه القاهرة المنسوبة اليه ، فلم يزل ابن رحيم يكاتب أهل مصر المعز ومن بعده ، وينهى أخبار أهل اليمن حتى مات لا رحمه الله • واستخلف على من بقي من القرامطة لعنهم الله رجلا يقال له يوسف بن الاسد من أهل شبام حمير فأقام لعنه الله يدعو الى الحاكم ويبايع له على وجه السر حتى مات لعنه الله •

واستخلف على مذهبه رجلا يقال له سليمان بن عبد الله الزواخي[1] من حمير ، من ضلع شبام من موضع يقال له الخنن[2] فأقام يدعو الي الحاكم والى المستنصر ، وكان الملعون كثير المال عظيم الجاه فاستمال الرعاع والطغام الى مذهبه ، وكان في أيامه قد شهر نفسه بالمبايعة لأهل مصر من بني عبيد بن ميمون الملعون ، وقد عرف بذلك ونسب اليه فكل ما هم به المسلمون من حمير وشبام ، وما حوله من القبائل ، دفعهم بالجميل وقال لهم أنا رجل مسلم ، فكيف يحل لكم قتلي فينتهون عنه •

وكان فيه كرم نفس وكان يكرم الناس ويتلطف بهم فلم يزل كذلك حتى مات لا رحمه الله •

باب ذكر ابتداء دولة الصليحيين :

وكان هذا الصليحي المسمى علي بن محمد كثير الخلطة به والمعاشرة وكان أحظى من عنده ، وأطوع أهل مذهبه له ، وكان يأتيه من بلد الاخروج وهو سبع من أسباع حراز[3] وكان الصليحي الملعون شهما شجاعا مقداما ، فلما عرفه سليمان

(١) نسبة الى قرية الزواخي من اعمال حراز ، وقد ضبط كل من البكري في معجم ما استعجم وياقوت في معجم البلدان « الزواخي » بالخاء المعجمة ، في حين ان السيوطي في لب اللباب والاكوع في صفة الجزيرة : ١٠٣ ــ ١٥٤ وتاريخ اليمن لعماره : ٩٥ « بالحاء المهملة » .

(٢) بلد وجبل غربي المذيخرة . صفة الجزيرة : ١٠٢ ــ ١٠٣ .

(٣) قال الهمداني في صفة الجزيرة ١٠٨ : « وارض حراز ، وهي سبعة اسباع : حراز ، وهوزن ، ولهاب ، ومجيح ، وكرار ، ومسار ، وحراز المستحرزة .

بذلك، وحضرته الوفاة لا رحمه الله أوصاه بأهل مذهبه ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، وسلم اليه مالا كثيرا قد كان جمعه من أهل مذهبه ، ثم ان الصايحي الملعون أرسل الى القرامطة من أوطان كثيرة بعيدة ومواضع متباينة ووعدهم بالوصول اليه ليوم معلوم ، فلما وصلوا اليه طلع بهم مسار[1] وكان طلوعه ليلة الخميس للنصف من جمادى الاولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائةوطليعته تسعمائة رجل وخمسون رجلا[2] فلما استقر بالجبل كتب[3] الى صاحب مصر ، وهو المستنصر من بني عبيد ووجه اليه بهدايا سبعين سيفا مقابضها عقيق ، واثني عشر سكينا نصبها عقيق لأن للعقيق عندهم قدرا ، لانه ، لا يكون الا في اليمن وخمسة أثواب وشي ، وجام عقيق ، وفصوص عقيق مع اهليلج كابلي[4] ومسك وعتبر ٠

فوجه معه المستنصر اليه برايات وألقاب ، وعقد له الولاية ، وكان سفيره خاله أحمد بن المظفر ، وأحمد بن محمد الذي انهدمت عليه الدار بعدن ، وهو أبو زوجة المكرم[5] المسماة بالسيدة بنت أحمد[6] ٠

فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون الى قوله فانه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن اليهم ، لقد سمعته مرارا وأسفارا وهو يقول لأصحابه قد قرب كشف ما نحن نخفيه ، وزوال هذه الشريعة المحمدية ، والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين وهلاك المسلمين ٠

خلعت العذر ولم أستتر	وأظهرت ما ليس بالمظهر
وبحت بما كنت أسررته	من الغي والمذهب الأخسر
وتبت الى الله مستغفراً	منيبا انابة مستغفر

(١) مسار حصن عال عظيم الشأن فيه قرى ومزارع منه أعلن الصليحي ثورته . صفة الجزيرة : ١٠٨ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٤ — ١٢٨ . تاريخ ثغر عدن : ١٥٩ — ١٦٤ غاية الاماني : ٢٤٧/١ .

(٢) وقيل غير هذا . انظر تاريخ عمارة مع تعليقات الاكوع : ١٠١ — ١١٦ .

(٣) في تاريخ عمارة : ١١٨ ان هذا كان سنة ثلاث وخمسين .

(٤) ثمر . قال عنه صاحب القاموس « معروف » انظر المعرب للجواليقي .

(٥) هو احمد بن علي الصليحي خلف اباه بعد مقتله . تاريخ عمارة : ١٢٧ — ١٣٦ .

(٦) انظر تاريخ عدن : ١٩٤ .

وحرمت ما كنت حللتـه   لقومك من كـل مستنكر
وحـذرت من فعلك العالمـ   ـين وعـدت الى المنهج الأنور
فاني جئت نحوك مستغفرا   فبـالله بـالله لا تغفـر
أتحسبني آنثنـي صبـوة   الـى رائق اللون والمنظـر
وحـاشا لمثلـي أن ينثني   الـى الكفـر والمذهب الأغبـر
فإن لـم يكن غـير هجر الملاح   فـلا زال ذاك الى المحشر

عباد الله اني لم أزل أتلطف بخاصته ، وأهل مذهبه ولم أقنع حتى خالطتـه وأطمعته بقبول ما هو عليه من مذهبه ، وضلالته وكفره وبدعته ، وأعماله الشنيعة ، وضلالته الفظيعة ، التي تنكرها القلوب ، وتشمئز منها النفوس .

وذلك أن الصليحي[1] ومن على مذهبه ، يدعون الى ناموس خفي ، كل جهول غبي ، بعهود مؤكدة ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان ما بويع عليه ودعي اليه ، وأنه لا يكشف لهم سرا ، ولا يظهر لهم أمرا ، ثم يطلعه على علوم مموهة ، وروايات مشبهة يدعوه في بدء الامر الى الله ورسوله — كلمة حق يراد بها الباطل — ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ ، فاذا انقاد له وطاوعه ، أدخلـه في طرق المهالك تدريجا ، ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفا وتعويجا ، بكتب مصنعة ، وأقوال مزخرفة الى أن يلبس عليه الدين، ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين، وقصارى أمره ابطال الشرائع ، وتحليل جميع المحارم ، فسارع اليه من لم يكن لـه بالشرع معرفة لأنه صادف أكثر الناس عواما فأجابه الى دعوته الرعاع والطغام ومن لم يكن له معرفة قبل بالاسلام ، من جنب وسنحان ويام[2] فحرم الحلال وأحـل الحرام ، وناقض بجهده الاسلام وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج الى بيت الله الحرام ، فأهلكهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق .

«آخر رسالة محمد بن مالك رحمه الله رحمة الابرار ، ووقاه عذاب النار »

---

(١) جاءت وفاة الصليحي سنة ٥٤٩ هـ، ويبدو أن المصنف لم يدرك وفاة الصليحي.

(٢) جنب وسنحان من قبائل مذحج سكان السراة ، ويام من همدان تقطن نجران ما تزال تعرف باسمها ومعتقدها حتى يومنا هذا . انظر الاكليل : ١٠/٦٥—٩٠. تاريخ عمارة : ١٠٣ .

كتــاب

المنتظم في تاريــخ الملــوك والأمــم

القرامطـة

[سنة ٢٧٨ هـ]

وفيها وردت الاخبار ، بحركة قوم يعرفون بالقرامطة ، وهم الباطنية وهؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين ، وجحدوا الشرائع ، وأنا أشير الى البدايات التي بنـوا عليها ، ثم الى الباعث لهم على ما فعلوا من نصب دعوتهم ثم الى ألقابهم ، ثـم الى مذاهبهم وعلومهم، أما البدايات التي بنوا عليها فانه لما كان مقصودهم الالحاد تعلقوا بمذاهب الملحدين مثل زرادشت[1] ومزدك ، فانهما كانا ينتحلان المحظورات ، وقد سبق في أوائل هذا الكتاب شرح حالهما وما زال أكثر الناس مع أعراضهم،لايدخلون في حجر يمنعهم اياها ، فلما جاء نبينا ﷺ ، فقهر الملك ، ومنع الالحاد أجمع جماعة من الثنوية والمجوس والملحدين ، ومـن دان بدين الفلاسفة المتقدمـين ، فأعملوا آرائهم ، وقالوا : قد ثبت عندنا أن جميع الانبياء كذبوا وتمخرقوا على أممهـم ، وأعظم الكل بلية علينا محمد فانه نبغ بين العرب الطغام ، فخدعهم بناموسه ، فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذوا ممالكنا ، وقد طالت مدتهم ، والآن قد تشاغل أتباعه ، فمنهم مقبل على كسب الاموال ، ومنهم على تشييد البنيان ومنهم علـى الملاهي ، وعلماؤهم يتلاعنون ويكفر بعضهم بعضا ، وقد ضعفت بصائرهم ، فنحن نطمع في ابطال دينهم ، الا انا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم ، فليس الطريق الا بانشاء دعوة في الدين ، والانتماء الى فرقة منهم ، وليس فيهم فرقة أضعف عقولا مـن الرافضة ، فندخل عليهم بذكر ظلم سلفهم الاشراف من آل نبيهم ، ودفعهم عن حقهم،

---

(١) ينسب اليه تأسيس الديانة الزرادشتية ، التي دانت الامبراطورية الساسانية بها حتى سقوطها، وقامت عقيدتها على اساس الصراع بين قوتين الهيتين،واحدة نورانية للخير ، وأخرى مظلمة شريرة [أهورامزدا واهرمان] ومن صراعهما ولد الانسان المادي المظلم والروحاني المنير ، ومزدك قام في القرن السادس للميلاد يحاول اصلاح الديانة والمجتمع ، فكان أول اشتراكي في التاريخ ، وقد قضي على حركته من قبل كسرى انوشروان الاول .

وقتلهم وماجرى عليهم من الذل لنستعين بهؤلاء على ابطال دينهم،فتناصروا وتكاتفوا وتواثقوا وانتسبوا الى اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق ، وكان لجعفر أولاد منهم اسماعيل الاعرج ، ثم سول لهم الشيطان آراء ومذاهب أخذوا بعضها من المجوس ، وأخذوا بعضها من الفلاسفة ، وتمخرقوا على أتباعهم ، وانما قصدهم الجحد المطلق ، لكنهم لما لم يمكنهم توسلوا اليه ، فقد بان ذلك بما ذكرت ، ومن البدايات التي بنوا عليها ، الباعث لهم على ما فعلوا من نصب الدعوة .

وأما ألقابهم فانهم يسمون الاسماعيلية ، والباطنية ، والقرامطة ، والخرمية ، والبابكية ، والمحمرة ، والسبعية والتعليمية ، فأما تسميتهم بالاسماعيلية ، فبانتسابهم الى اسماعيل بن جعفر على ما ذكرناه ، وأما تسميتهم بالباطنية فانهم ادعوا أن لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر ، وأنها توهم الأغبياء صورا وتفهم الفطناء رموزا واشارات الى حقائق خفية ، وأن من تباعد عن العرض على الخفايا والبواطن متعثر ، ومن ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكلف واستراح من أعبائه ، واستشهدوا بقوله تعالى « ويضع عنهم آصرهم والاغلال التي كانت عليهم[1] » ، قالوا : والجهال بذلك هم المرادون بقوله : « فضُرب بينهم بسور له باب »[2] وغرضهم فيما وضعوا من ذلك، ابطال الشرائع ، لأنهم اذا صرفوا العقائد عن موجب الظاهر حكموا بدعوى الباطن ، على موجب الانسلاخ عن الدين .

وأما تسميتهم بالقرامطة ففي سبب ذلك ستة أقوال :

احدها : أنهم سموا بذلك لأن أول من أشير لهم بتلك الجهة محمد الوراق المقرمط ، وكان كوفيا .

الثاني : أن لهم رئيسا من السواد ، من الانباط يلقب بقرمطويه فنسبوا اليه .

الثالث : أن قرمطا كان غلاما لاسماعيل بن جعفر فنسبوا اليه ، لأنه أحدث لهم مقالاتهم .

الرابع : أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له كرميته فلما رحل تسمى قرمط بن الأشعث ، ثم أدخله في مذهبه .

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ .

(٢) سورة الحديد : ١٣ .

الخامس : أن بعض دعاتهم يقال له كرميته ، فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل، ثم خفف الاسم فقيل قرمط .

قال أهل السير : كان ذلك الرجل الداعي من ناحية خوزستان ، وكان يظهر الزهد ، والتقشف ، ويسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، ويحفظ للقوم ما صرموا من نخلهم في حظيرة ، ويصلي أكثر الناس ، ويصوم ، ويأخذ عند افطاره من البقال رطلا من التمر ، فيفطر عليه ، ويجمع نواه فيدفعه الى البقال ، ثم يحاسبه على ما أخذ منه ، ويحط من ذلك ثمن النوى فسمع التجار الذين صرموا نخلهم ، فوثبوا عليه ، وضربوه ، وقالوا : لم ترض بأن أكلت التمر حتى بعت النوى ، فأخبرهم البقال في الحال ، فندموا على ضربه ، وسألوه الاحلال ، فازداد بذلك نبلا عند أهل القريـة ، وكان اذا قعد اليه انسان ، ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، ثم أعلم الناس أنه يدعو الى امام من أهل بيت رسول الله ﷺ ، ثم مرض ومكث مطروحا على الطريق ، وكان في القرية رجل يحمل على أثوار له ، وكان أحمر العينين ، وكان أهل القرية يسمونـه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنبطية حار العين ، فكلم البقال ــ كرميته هذا ــ في أن يحمل هذا العليل الى منزله ، ويوصي أهله الاشراف عليه ، والعناية به . ففعل فأقام عنده حتى بريء ، ثم كان يأوي الى منزله .

ودعا أهل القرية الى أمره فأجابوه ، وكان يأخذ من الرجل اذا دخل في دينـه دينارا ، ويزعم أنه يأخذ ذلك للامام ، فمكث يدعو أهل القرى فيجيبونه ، واتخذ منهم اثني عشر نقيبا ، وأمرهم أن يدعو الناس الى دينه ، وقال لهم : أنتم كحواري عيسى بن مريم عليهما السلام ، فشغل أكره[1] تلك الناحية عن أعمالهم بما رسمـه لهم من الخمسين صلاة التي ذكر أنها فرضت عليهم ، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير اكرته في العمارة ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن رجلا قدم عليهم ، فأظهر لهم مذهبا من الدين،وأعلمهم أن الله عز وجل قد افترض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة ، وقد اشتغلوا بها ، فوجه اليه فجيء به فسأله عن أمره فأخبره بقصته ، فحبسه في بيت ، وحلف بقتله وأقفل عليه ، وترك المفتاح تحت وسادته ،

---

(1) اي الاجراء والعمال .

فنام فرقت له جاريته فأخذت المفتاح ، وفتحت وأخرجته ، ثم أعادت المفتاح الى موضعه فلما أصبح الهيصم فتح الباب فلم يجده ، فشاع ذلك الخبر بين أهل تلك الناحية وقالوا : قد رفع ، ثم ظهر في موضع آخر ولقي جماعة من أصحابه ، فسألوه عن قصته فقال : ليس يمكن أحدا أن يؤذيني، ثم خاف على نفسه ، وخرج الى الشام، وتسمى باسم الرجل الذي كان في منزله ــ كرميته ــ ثم خفف فقيل قرمط ، وفشا أمره ، وأمر أصحابه ، وكان قد لقي صاحب الزنج فقال له : أنا على مذهب وورائي مائة ألف سيف فناظرني فان اتفقنا ملت بمن معي اليك، وان تكن الاخرى انصرفت، فناظره فاختلفا ففارقه .

السادس : أنهم لقبوا بهذا نسبة الى رجل من دعاتهم يقال له حمدان بن قرمط، وكان حمدان من أهل الكوفة يميل الى الزهد ، فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريقه وهو متوجه الى قريته وبين يديه بقر يسوقها فقال حمدان لذلك الراعي ، وهو لا يعرفه : أين تقصد ؟ فسمى قرية حمدان ، فقال له : اركب بقرة من هذه البقر لتستريح من المشي ، فقال : اني لم أؤمر بذلك ، قال : كأنك لا تعمل الا بأمر ؟ قال : نعم فقال حمدان : وبأمر من تعمل؟ قال بأمر مالكي ومالكك؟ ومالك الدنيا والآخرة، فقال : ذلك الله عز وجل ، قال : صدقت : وما غرضك في هذه البقعة ؟ قال : أمرت أن أدعو أهلها من الجهل الى العلم ، ومن الضلال الى الهدى ، ومن الشقاوة الى السعادة وأستنقذهم من ورطات الذل والفقر ، وأملكهم مالا يستغنون به عن التعب والكد ، فقال له حمدان : أنقذني أنقذك الله ، وأفض علي من العلم ما تحييني به ، فما أشد حاجتي الى ذلك ، فقال : ما أمرت أن أخرج السر المكنون الى كل أحد الا بعد الثقة به ، والعهد اليه ، قال : فاذكر عهدك فاني ملتزم به ، فقال : أن تجعل لي وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه أن لا تخرج سر الامام الذي ألقيه اليك ، ولا تفشي سري أيضا ، فالتزم حمدان عهده ، ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهل ، حتى استدرجه واستغواه ، واستجاب له في جميع ما دعاه اليه ، ثم انتدب للدعوة ، وصار أصلا من أصول هذه البدعة ، فسمي أتباعه القرمطية .

وأما تسميتهم بالخرمية فان خرم لفظ أعجمي ينبىء عن الشيء المستلذ الذي يشتهيه الآدمي ، وكان هذا لقبا للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس ، الذين نبغوا

في أيام قباذ، على ماذكرنا[1] فأباحوا المحظورات فلقب هؤلاء بلقب أولئك لمشابهتهم اياهم في اعتقادهم ومذهبهم •

وأما تسميتهم بالبابكية فان طائفة منهم تبعوا بابك الخرمي ، وكان قد خرج في ناحية أذربيجان في أيام المعتصم ، فاستفحل أمره ، فبعث اليه المعتصم الافشين ، فتخاذل عن قتاله ، وأضمر موافقته في ضلاله ، فاشتدت وطأة البابكية على المسلمين الى أن أخذ بابك ، وقتل على ما سبق شرحه[2] ، وقد بقي من البابكية جماعة يقال : ان لهم في كل سنة ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ، فيطفئون المصابيح، ويتناهبون النساء ، ويزعمون أن من أخذ امرأة استحلها بالاصطياد •

فأما تسميتهم بالمحمرة فيذكر عنهم أنهم صبغوا الثياب بالحمر أيام بابك ، وكانت شعارهم •

وأما تسميتهم بالسبعية فانهم زعموا أن الكواكب السبعة مدبرة للعالم السفلي•

وأما تسميتهم بالتعليمية فان مبدأ مذاهبهم ابطال الرأي، وافساد تصرف العقل، ودعوة الخلق الى التعلم من الامام المعصوم ، وأنه لا مدرك الا بالتعليم •

فصـــل

وأما الاشارة الى مذاهبهم ، فان مقصودهم الالحاد وتعطيل الشرائع وهـم يستدرجون الخلق الى مذاهبهم بما يقدرون عليه ، فيميلون الى كـل قوم بسبب يوافقهم ، ويميزون من يمكن أن يخدعهم ممن لا يمكن ، فيوصون دعاتهم فيقولون للداعي اذا وجدت من تدعوه فاجعل التشيع دينك ، ادخل عليه من جهة ظلم الامة لعلي عليه السلام ، وقتلهم الحسين وسبيهم لأهله ، والتبرىء من تيم وعدي وبني أمية ، وبني العباس ، وقل بالرجعة[3] وأن عليا يعلم الغيب ، فاذا تمكنت منـه ،

---

(۱) ما زال النصف الاول من المنتظم مخطوطا لم ينشر بعد ، ولا املك مصورة له .

(۲) انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ۲۷۲ ــ ۲۷۳ .

(۳) في حاشية الاصل : « يعني أن عليا يرجع الى الدنيا لان المراد من دابة الارض علي رضي الله عنه كماهو مذهب بابر الجعفي الرافضي الشيعي» ــ لمحرره عفي عنه ــ.

أوقفته على مثالب علي وولده ، وبينت له بطلان ما عليه أهل ملة محمد عليه السلام وغيره من الرسل عليهم السلام ، وان كان يهوديا ، فادخل عليه من جهة المسيح ، وأن المسيح هو محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو المهدي واطعن في النصارى والمسلمين، وان كان نصرانيا فاعكس ، وان كان صابئيا فتعظيم الكواكب ، وان كان مجوسيا فتعظيم النار والنور ، وان وجدت فيلسوفيا ، فهم عمدتنا ، لأنا نتفق ، وهم ، على ابطال النواميس والانبياء ، وعلى قدم العالم ، ومن أظهرت له التشيع فأظهر له بغض أبي بكر وعمر ، ثم أظهر له العفاف والتقشف وترك الدنيا والاعراض عن الشهوات ، ومر بالصدق والامانة والامر بالمعروف ، فاذا استقر عنده ذلك فاذكر له مثالب أبي بكر وعمر، وان كان سنيا فاعكس، وان كان مائلا الى المجون والخلاعة فقرر عنده أن العبادة بله ، والورع حماقة ، وانما الفطنة في اتباع اللذة والوطر من الدنيا الفانيـــة .

وقد يستحبون من له صوت طيب بالقرآن فاذا قرأ ، تكلم داعيهم ووعظ ، وقدح في السلاطين وعلماء الزمان وجهال العامة ، ويقول : الفرج منتظر ببركة آل الرسول ﷺ،وربما قال ان لله عز وجل في كلماته أسرارا لا يطلع عليها الا من اجتباه.

ومن مذاهبهم أنهم لا يتكلمون مع عالم ، بل مع الجهال ، ويجتهدون في تزلزل العقائد بالقاء المتشابه ، وكل ما لا يظهر للعقول معناه ، فيقولون : ما معنى الاغتسال من المني دون البول ؟ ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ وقولـه : « عليها تسعة عشر »[1] ضاقت القافية ! ما يطن هذا الا لفائدة لا يفهمها كثير من الناس ، ويقولون : لم كانت السموات سبعا ، ثم يشوقون الى جواب هذه الاشياء، فان سكت السائل ، سكتوا ، وان ألح قالوا : عليك بالعهد والميثاق على كتمان هذا السر ، فانه الدر الثمين ، فيأخذون عليه العهود والميثاق على كتمان هذا ويقولون في الأيمان : « وكل مالك صدقة وكل امرأة لك طالق ثلاثا ان أخبرت بذلك » ، ثم يخبرونه ببعض الشيء ويقولون هذا لا يعلمه الا آل رسول الله ﷺ ، ويقولون هذا الظاهر له باطن ، وفلان يعتقد ما نقول ، ولكنه يستره ويذكرون له بعض الافاضل ، ولكنه ببلد بعيد

(١) سورة المدثر : ٣ .

فصل

واعلم أن مذهبهم ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الامام المعصوم ، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعترضها من الشبهات ، والمعصوم يطلع من جهة الله تعالى على جميع أسرار الشرائع ، ولا بد في كل زمان من امام معصوم يرجع اليه ، هذا مبدأ دعوتهم ، ثم يبين أن غاية مقصدهم نقض الشرائع ، لأن سبيل دعوتهم ليس متعينا في واحد بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيهم ، لأن غرضهم الاستتباع ، وقد ثبت عنهم أنهم يقولون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان الا أن أحدهما علة لوجود الثاني ، واسم العلة السابق ، واسم المعلول التالي ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه ، وقد يسمون الاول عقلا والثاني نفسا، والاول تاما والثاني ناقصا، والاول لا يوصف بوجود ولا عدم ، ولا موصوف ولا غير موصوف ، فهم يومون الى النفي لأنهم لو قالوا معدوم ما قبل منهم ، وقد سموا هذا النفي تنزيها •

ومذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة ، وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية ، وأن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه لا انه شخص وان القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل فسمى كلام الله مجازا لأنه مركب من جهته ، وهذه القوة الفائضة على النبي لا تفيض عليه في أول أمره ، وانما تتربى كنطفة •

واتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من امام معصوم قائم بالحق يرجع اليه في تأويل الظواهر وحل الاشكال في القرآن والاخبار ، وأنه يساوي النبي في العصمة ، ولا يتصور في زمان واحد امامان بل يستظهر الامام بالدعاة ، وهم الحجج ولا بد للامام من اثني عشر حجة ، أربعة منهم لا يفارقونه •

وكلهم أنكر القيامة وقالوا: هذا النظام وتعاقب الليل والنهار وتولد الحيوانات لا ينقضي أبدا ، وأولوا القيامة بأنها رمز الى خروج الامام ، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ، ولا الجنة ولا النار ، ومعنى المعاد عندهم عود كل شيء الى أصله ، قالوا :

فجسم الآدمي يبلى والروح ــ ان صفت بمجانبة الهوى ، والمواظبة على العبادات ، وغذيت بالعلم ــ استعدت بالعود الى وطنها الاصلي وكمالها بموتها ، اذ به خلاصها من ضيق الجسد .

وأما النفوس المنكوسة المغموسة في عالم الطبيعة المعرضة عن طلب رشدها من الائمة المعصومين فانها أبدا في النار،على معنى أنها تتناسخ في الابدان الجسمانية، وكلما فارقت جسدا تلقاها آخر ، واستدلوا بقوله تعالى « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها[1] » .

وأكثر مذاهبهم يوافق الثنوية ، والفلاسفة في الباطن ، والروافض في الظاهر ، وغرضهم بهذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الناس ، حتى تبطل الرغبة والرهبة .

ثم انهم يعتقدون استباحة المحظورات ، ورفع الحجر ، ولو ذكر لهم هذا لأنكروه ، وقالوا : لا بد من الانقياد للشرع على ما يفعله الامام فاذا أحاطوا بحقائق الامور انحلت عنهم القيود،والتكاليف العملية اذ المقصود عندهم من أعمال الجوارح تنبيه القلب ، وانما تكليف الجوارح للغمر الذين لا يراضون الا بالسياقة[2] ، وغرضهم هدم قوانين الشرع .

قالوا : وكلما ذكر من التكاليف فرموز الى باطن ، فمعنى الجنابة مبادرة المستجيب[3] بافشاء سر اليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق لذلك ، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك ، والزنا القاء نطفة العلم الباطن الى نفس معه عقد العهد ، والاحتلام أن يسبق اللسان الي افشاء السر في غير محله ، والصيام الامساك عن كشف السر ، والمحرمات عبارة عن ذوي السر[4] ، والبعث عندهم الاهتداء الى

---

(١) سورة النساء : ٥٦ .

(٢) توضح هذه الفقرة ما كتبه الغزالي في كتابه فضائح الباطنية : ٤٧ « وانما تكليف الجوارح في حق من يجري بجهله مجرى الحمر التي لا يمكن رياضتها الا بالاعمال الشاقة » .

(٣) من ادنى المراتب في الدعوة الاسماعيلية ، انظر فضائح الباطنية : ٥٥ ــ ٥٦ .

(٤) كذا في الاصل ، وفي فضائح الباطنية : ٥٦ « الحرمات عبارة عن ذوي الشر من الرجال وقد تعبدنا باجتنابهم » .

مذاهبهم .ويقولون « للذكر مثل حظ الانثيين »[1] الذكر : الامام ، والحجة الانثى .

وقالوا : « يوم يأتي تأويله »[2] أي يظهر محمد بن اسماعيل ، وفي قولـه : « حرمت عليكم الميتة »[3] ، قالوا : الميتة الحامل على الظاهر الذي لا يلتفت الـى التـأويل .

وقالوا : ان الشاة والبقر هم الذين حضروا محاربة الانبياء والائمة ، يترددون في هذه الصور،ويجب على الذابح أن يقول عند الذبح اللهم اني أبرأ اليك من روحه وبدنه ، وأشهد له بالضلالة ، اللهم لا تجعلني من المذبوحين ، ولهم من هذا الهذيان ما ينبغي تنزيه الوقت عن ذكره وانما علمت هذه الفضائح من أقوام تدينوا بدينهم ، ثم بانت لهم قبائحهم فتركوا مذهبهم .

فان قال قائل : مثل هذه الاعتقادات الركيكة ، والحديث الفارغ ، كيف يخفى على من يتبعهم ، ونحن نرى أتباعهم خلقا كثيرا ؟ فالجواب : ان أتباعهم أصناف ، فمنهم قوم ضعفت عقولهم ، وقلت بصائرهم وغلبت عليهم البلادة والبله ، ولم يعرفوا شيئا من العلوم ، كأهل السواد والاكراد وجفاة الاعاجم ، وسفهاء الاحداث ، فلا يستبعد ضلال هؤلاء فقد كان خلق ينحتون الاصنام ويعبدونها .

ومن أتباعهم طائفة انقطعت دولة أسلافهم بدولـة الاسلام كأبناء الاكـاسرة والدهاقين[4] ، وأولاد المجوس ، فهؤلاء موتورون قد استكن الحقد في صدورهم، فهولاء كالداء الدفين فاذا حركته مخائيل المبطلين اشتعلت نيرانه .

ومن أتباعهم قوم لهم تطلع الى التسلط والاستيلاء ، ولكن الزمان لايساعدهم، فاذا رأوا طريق الظفر بمقاصدهم سارعوا .

ومن أتباعهم قوم جبلوا على حب التميز عن العوام ، فزعموا أنهـم يطلبون الحقائق وأن أكثر الخلق كالبهائم ، وكل ذلك لحب النادر الغريب .

---

(١) سورة النساء : ١١

(٢) سورة الاعراف : ٥٣

(٣) سورة المـائدة : ٣ .

(٤) جمع دهقان ، وهم رؤساء القرى وجباة الضرائب والتجار الكبار في العهـد الساساني ، واستمر حالهم في بداية الاسلام . انظر المعرب للجواليقي .

ومن أتباعهم الملحدة[1] الفلاسفة والثنوية الذين اعتقدوا الشرائع نواميس مؤلفة،والمعجزات مخاريق مزخرفة فاذا رأوا من يعطيهم شيئا من أغراضهم مالوا اليه.

ومن أتباعهم قوم مالوا الى عاجل اللذات ، ولم يكن لهم علم ولا دين ، فاذا صادفوا من يرفع عنهم الحجر مالوا اليه ، على أن هؤلاء القوم لا يكشفون أمرهم الا بالتدريج على قدر طمعهم في الشخص .

وانما مددنا النفس في شرح حالهم،وان كنا ذكرنا بينا من قصيدة لعظم ضررهم على الدين وشياع كلمتهم المشوبة ، وانما اجتمعت لهم الاسباب التي ذكرناها في وسط أيامهم ، والا فمعاندوا الشرائع خلق كثير ، وقد نبغ منهم قوم أظهروا امامة محمد بن الحنفية وقالوا : ان روح محمد انتقلت اليه ، ثم انتقلت منه الى أبي مسلم صاحب الدعوة ، ثم الى المهدي ثم الى رجل يعرف بابن القصري ثم خمدت نارهم .

ثم نبغ لهم في أيام المأمون رجل ، فاحتال فلم تنفذ حيلته ، ثم تناصروا في أيام المعتصم وكاتبوا الافشين[2] وهو رئيس الاعاجم ، فمال اليهم واجتمعوا مع بابك ، ثم زاد جمعهم على ثلاثمائة ألف فقتل المعتصم منهم ستين ألفا وقتل الافشين أيضا ، ثم ركدت دولتهم .

ثم نبغ منهم جماعة وفيهم رجل من ولد بهرام جور ، وقصدوا ابطال الاسلام ورد الدولة الفارسية ، وأخذوا يحتالون في تضعيف قلوب المؤمنين وأظهروا مذهب الامامية ، وبعضهم مذهب الفلاسفة .

---

(١) في الاصل « المخلدة » وهو تصحيف ، صوابه ما اثبتنا . انظر فضائح الباطنية ٣٦ ، ويلاحظ أن ابن الجوزي قام بالاعتماد المطلق على كتاب الغزالي هذا . انظر : ٢٨ ـ ٣٦ .

(٢) اختلف حول تورط الافشين في قضية بابك ، وقد جرت له محاكمة ايام المعتصم قتل اثرها . انظر مروج الذهب : ٣٠٥/٣ . وراجع ما كتبه قاسم العزيز في اطروحته عن بابك ـ ط. بيروت دار الفارابي .

وجعل لهم رأس يعرف بعبد الله بن ميمون بن عمرو، ويقال ابن ديصان القداح، الاهوازي وكان مشعبذا ممخرقا ، وكان معظم ممخرقته باظهار الزهد والورع ، وأن الارض تطوى له ، وكان يبعث خواص أصحابه الى الاطراف معهم طير ، ويأمرهم أن يكتبوا اليه الاخبار عن الاباعد ، ثم يحدث الناس بذلك فيقوى شبههم ، وكانوا يقولون : ان المتقدمين منهم، يستخلفون عند الموت، وكلهم خلفاء محمد بن اسماعيل ابن جعفر الطالبي وان من الدعاة الى الامام معد بن تميم وابنه اسماعيل ، وهم المتغلبون على بلاد المغرب ، ومن استجاب لهم عرفوه آنهان عمل ما يرضيهم صار اماما ونبيا ، وأنه يرتقي المبتدي منهم الى الدعوة ، ثم الى أن يكون حجة ، ثم الى الامامة[1] ، ثم يلحق مرتبة الرسل ، ثم يتحد بالرب فيصير ربا ، ولا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن اخوانه .



(٣) نجد مصداق هذافيسيرة حمزة بن على هادي المستجيبين وقيام الدعوة الدرزية.

كتـــاب

اخبـــار الـــدول المنقطعـــة

الدولـة العلويـة بافريقية ومصر والشام

قال الفقيه جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر جامع أخبارها ، وعليه عهدة ما نقلـه : ...

المعز لدين الله أبو تميم معـد

وبعث جوهر بجعفر بن فلاح الى الشام بجيش كثيف ، فلقي الحسن بن عبيدالله ابن طغج ، وهو يومئذ صاحب الشام ، بالرملة ، فهزمه ، وأسره ، وبعث به الى مصر ، وسار الى دمشق فملكها بعد حرب شديد من أهلها ، وفتن عظيمة ، وملك الساحل أجمعه ، وأقام بدمشق الى أن سار الحسن الاعصم القرمطي ، من هجر والاحساء بأمر الامام المطيع لله[1] ، له بذلك ، فوصل الى الرحبة[2] ، واجتمع عليها بالامير عدة الدولة أبي تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان[3] ، ثم سافر الى دمشق ، فلقيه جعفر بن فلاح دونها ، فلم يكن الا كرجع الطرف أو دونه ، حتى انهزمت المغاربة وقتل جعفر .

وملك القرمطي الشام أجمعه ، وسار الى مصر ، فلم يكن لجوهر طاقة بـه ، فقاتله من وراء خندق القاهرة ، حتى كاد القرمطي أن يأخذه ، ثم رجع القرمطي عنـه بغير سبب يعرف ، وقيل انه كان معه خمسة عشر ألف جمـل وبغل تحمل صناديق الاموال ، وأواني الذهب ، والفضة ، والسلاح سوى ما يحمل المضارب والخيـم والبتود ، وغير ذلك من الاثقال .

---

(1) ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م — ٣٦٣ هـ/٩٧٤ م .
(2) في أحواز الميادين الحالية على الفرات في سورية على مقربة من الحدود السورية العراقيـة .
(3) ٣٥٨ هـ/٩٦٨ م — ٣٦٩ هـ/٩٧٩ م ، في الموصل .

وكتب عند ذلك جوهر الى سيده يستنهضه للمسير الى مصر ، ويخبره أنه أكله القرامطة ، فسار المعز من المهدية ، ووصل الى قصره بالقاهرة يوم الثلاثاء لخمس ليال خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وقيل لسبع .

وكتب الى القرمطي كتابا كبيرا يهدده فيه ، لا يكتبه الا مارق عن الاسلام ، من بعض فصوله : « أما علمت بأني نار الله الموصدة التي تطلع على الافئدة ، أعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » وهو كتاب كبير محشو بأنواع الكفر ، والمعاتبة للقرمطي ، يحضه فيه على اقتفاء آبائه وعمومته في موالاته وموالاة بنيه ، ويقول فيه: ان آباءك كانوا أتباع آبائي لا يخرجون عن مراسمهم في جميع تصرفاتهم »[1]،... ولم ينفع هذا الكتاب بل كان نص جواب القرمطي له : « وصل كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، والجواب : ما تراه دون ما تسمعه »

وسار عقب ذلك الى مصر ، وملك الصعيد ، وأسفل الارض ، ثم عاد على نية العود ، فبادر المعز برسله اليه ، وقرر معه حمل المال الذي كان كافور الاخشيدي يحمله الى آبائه وعمومته في كل سنة،فأجاب القرمطي الى ذلك،وخرج لهم عن الشام.



(١) انظر نص الكتاب في المقتبس من اتعاظ الحنفا فيما يلي .

الامير يوسف بن أبي الساج

وتولى يوسف بن ديواداذ بلاد أذربيجان ، وارتفع شأنه فيها ارتفاعا عظيما ، وملك ملكا كبيرا ، وأقام واليا سنة خمس وثلاثمائة ... وأقام يوسف رضي البال الى أن أتته قاصمة الظهر ، وغاية العمر في سنة خمس عشرة ، وذلك أن أبا طاهر سليمان بن الحسن الجنابي القرمطي صاحب هجر والاحساء ، لما طغى على البصرة وأخربها ، وهزم جيوش الخليفة وكسرها استدعى الخليفة يوسف من أذربيجان ، ورسم له بمحاربته ، فسار يوسف الى نواحي الكوفة ، وبلغ الجنابي خبره ، فسار اليه فالتقوا على مكان يعرف بالخندق بين الحيرة والنيل في يوم السبت لعشر خلون من شوال سنة خمس عشرة ، وكان يوسف في نحو أربعين ألف فارس وراجل ، والجنابي في نحو أربعة آلاف ، وبات الناس ليلة الاحد ، فهرب أكثر من مع يوسف ، وباكر العسكران القتال ، فرأى القرامطة من قتال أصحاب يوسف وغلمانه ما لم ير مثله حتى هموا بالفشل ، ثم انهزم أكثر من معه ، وبقي هو في نحو خمسمائة مملوك ، فحار في أمره وقال : أروني صاحب أمرهم لعلي أحمل عليه فأموت به ، فقيل له : هو من جملة أصحاب الخيل الذين شعارهم البياض ، وكان ذلك زي سليمان وأخوته لا يعرف بعضهم في الحرب من بعض ، فحمل عليهم ، وهزم القرامطة حتى انتهى اليهم ، فضرب أحدهم فصرعه عن دابته ، ثم رجع ، وجعل يحمل عليهم وغلمانه ينقصون ، وشملهم القتل والاسر والانهزام ، حتى حمل فلم يرجع ، وأسر وقتل بعد ذلك بأربعة أيام ... وكان عمره خمسا وستين سنة ، وكان شجاعا صارما، لا يملأ قلبه شيء ، مع لين في كلامه ، وفتور في ألفاظه ، وكان كثير اللجاج ، ومن لجاجته وقعته مع القرمطي ...

* * *

كتـــاب

بغيـــة الطلب في تاريـــخ حلب

القرمطي صاحب الخال

أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب • صاحب الخال • نسب نفسه هكذا • وقيل أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل (١٢٩ ــ ظ) وقيل ان اسمه الحسين بن زكرويه بن مهرويه • وقيل ابن مهري الصواني • من أهل صوان من سواد الكوفة • وهو المعروف بصاحب الخال • أخو علي بن عبد الله القرمطي ، نسب نفسه الى محمد ابن اسماعيل بن جعفر • وتسمى بالمهدي ، وبايعته القرامطة بعد قتل أخيه بنواحي دمشق • وصار الى السخنة[١] والاركة ، والزيتونة وخناصره من الاحص من أعمال حلب ، ودخل هذه المواضع عنوة ، ونهب ما فيها مــن الاموال والسلاح ، وأفسد بالشام وعاث في بلادها • وغلب على أطراف حمص ، وخطب له على منابرها وفتحوا له بابها ، وسار الى حمــاة ومعرة النعمان وغيرهما مــن البلاد فقتل أهلها والنساء والاطفال • ثم جاء الى سلمية فمنعوه ، ثم أعطاهم الامان ففتحوا له بابها فدخل وقتل الهاشميين أجمعين بها ، ثم قتل الرجال ، ثم البهائم ، ثم الصبيان ، ثم خرج منها وليس بها عين تطرف •

وجهز جيشا كثيفا بخيل ورجالة مع بعض دعاته ويعرف بعميطر المطوق الــى ناحية حلب ، فأوقعوا بأبي الاغر خليفة بن المبارك[٢] بوادي بطنان[٣] ، وقتلوا خلقا عظيما وانتهبوا عسكره وأفلت أبو الاغر في ألف رجل لا غير ، فدخل الى حلب ، ووصلوا خلفه الى حلب ، فأقاموا عليها على سبيل المحاصرة • وتسرع أهل حلب في يوم الجمعة سلخ شهر رمضان من سنة تسعين ومائتين وطلبوا الخروج لقتالهم ،

---

(١) في بادية الشام ما تزال تعرف بنفس الاسماء .

(٢) قال الطبري في حوادث سنة ٢٩٠هـ، ص٢٢٢٢ من ط. ليدن، ولثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر خلع على ابي الاغر ووجه به لحرب القرمطي بناحية الشام فمضى الى حلب في عشرة آلاف رجل .

(٣) بطنان حبيب واد ما بين حلب ومنبج ــ معجم البلدان .

فمنعوا من ذلك ، فكسروا قفل باب المدينة، وخرجوا الى القرامطة ، فتحاربوا،ونصر الله الرعية من أهل حلب عليهم ، وقتل من القرامطة جماعة كثيرة ، وخرجوا يـوم السبت يوم عيد الفطر مع أبي الاغر الى مصلى العيد ، وعيد المسلمون ، وخطب الخطيب على العادة ، ودخل الرعية الى مدينة حلب في أمن وسلامة وأشرف أبو الاغر على عسكر القرامطة فلم يخرج اليه أحد منهم .

فلما يئسوا من فرصة ينتهزونها من حلب ساروا ومضوا الى صاحب الخال ، ولما انتهى الى المكتفي بالله هذه الامور خرج نحوه وجهز اليه عسكرا قويا في المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين . فقتل من أصحاب القرمطي خلق كثير ، وانهزم نحو الكوفة فقبض بالدالية من سقي الفرات وحمل الي الرقة الى المكتفي بالله ، فحمل الى بغداد وشهر وطيف به على جمل ، وقيل على فيل . ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو وأصحابه في شهر ربيع الاول سنة احدى وتسعين ومائتين .

وكان لعنه الله أديبا شاعرا ، وكثيرا ما يقـع الاختلاف في اسمه ونسبه واسم أخيه الذي قتله قبله علي بن عبد الله،وبعضهم يسمي أخاه محمد بن عبد الله بن يحيى. والصحيح أن الذي ثبت عليه في اسمه ونسبه أبو العباس أحمد بن عبد الله،وهو دعي.

وانما سموا القرامطة : زعموا أنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن علي ، ونسبوا الى قرمط . وهو حمدان بن الاشعث . كان بسواد الكوفة . وانما سمي قرمطا لأنه كان رجلا قصيرا ، وكان رجلاه قصيرتين ، وكان خطوه متقاربا ، فسمي بهذا السبب قرمطا . وكان قرمط قد أظهر الزهد والورع وتسوق به علـى الناس مكيدة وخبثا .

وكانت أول سنة ظهر فيها أمر القرامطة سنة أربع وستين ومائتين وذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة انما هو نسبة الى مذهب يقال له : القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام ، فيكون على هذه المقالة عزوه الى مذهب باطل لا الى رجل ، وانما قيل لهذا القرمطي صاحب الخال لأنه كان على خده الايمن خال ، ويعرف بابن المهزول زكرويه ابن مهري الصواني من أهل صوان من سواد الكوفة . وقيل هو وأخوه من قيس من بني عبادة بن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن

كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكـر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان • فادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر ، فعلى هذا يكون منسوبا الى جدهم قرمطي ، ولا يبعد أن يكون الامران جميعـا والله أعلـم •

وقرأت في رسالة أبي عبد الله محمد بن يوسف الانباري الكاتب الى أخيه أبي علي في ذكر أخبار هذا القرمطي أنه ادعى أنه أحمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد ، وأنه المهدي • وأنه نظر محمد بن اسماعيل في النسب فلما وقف على بعد هذا النسب ادعى « بعد وقعة السطح في الكسوة[1] » أنه محمد بن عبد الله بن جعفر ، وكتب بذلك كتابا بخطه الى المعروف بابن حوي السكسكي ممن يسكن في بيت لهيا • فصار ابن حوي بالكتاب الى أبي نصر حمد بن محمد كاتب طغج •

ثم نزع عن هذا النسب الى عبد الله بن ادريس الحسني القادم من الحجاز الى مدينة أذرعات من جهة دمشق •

وقيل ان القرمطي من يهود نجران وأنه دعي •

وذكر أبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القطربلي ، ومحمد بن أبي الازهر في التاريخ الذي اجتمعا على تأليفه في حوادث سنة تسع وثمانين قالا : وفي آخر هذه السنة ظهر رجل يقال له : محمد بن عبد الله بن يحيى ولد اسماعيل بن جعفر العلوي بنواحي دمشق يدعو الى نفسه • واجتمع اليه خلق كثير من الاعراب وأتباع الفتن ، فسار بهم الى دمشق وكان بها طغج بن جف مولى أمير المؤمنين من قبل هارون بن خمارويه عامل أمير المؤمنين على مصر والشام ، فلما بلغه خبره استعد لحربه وتحصن طغج بدمشق ، فحصره هذا العلوي بها ، وكانت بينهما وقعات وانقضت •

قالا : وفي هذه السنة ـ يعني سنة تسعين ومائتين ـ : جرت بين طغج بن جف وبين القرمطي حروب كثيرة كلها على طغج ، فكتب الـى هارون (١٣١ ظ) يستنجده، فوجه الى مصر جيشا بعد جيش ، كل ذلك يهزمهم القرمطي ، ثم وجـه هارون بن خمارويه ببدر الحمامي ، وكتب الى طغج في معاضدته وضم اليه وجوه

---

(١) إنظر ما سيأتي ، خاصة رواية ابن المهذب بعد عدة صفحات ، والسطح قرية من قرى الكسوة على مقربة من دمشق ذكرها ياقوت في معجمه .

القواد بمصر والشام ، فخرج الى القرمطي فكانت بينهم حروب كثيرة أتت على أصحاب بدر الحمامي ، وكان هذا القرمطي قد جعل علامته ركوب جمل من جماله ، وترك ركوب الدواب ولبس ثيابا واسعة وتعمم عمة أعرابية ، وأمر أصحابه أن لا يحاربوا أحدا ، وان أتي عليهم حتى ينبعث الجمل من قبل نفسه من غير أن يثيره أحد ، فكانوا اذا فعلوا ذلك لم يهزموا ، وكان اذا أشار بيده الى ناحية من النواحي انهزم من يحاربه ، واستغوى بذلك الاعراب •

فخرج اليه بدر يوما لمحاربته ، فقصد القرمطي رجل من أصحاب بدر يقال له زهير بزانة ، فرماه بها فقتله ، ولم يظهر على ذلك أصحاب بدر الا بعد مدة ، فطلب في القتلى فلم يوجد ، وكان يكنى أبا القاسم •

قال ابن أبي الأزهر : وحدثني كاتبه المعروف باسماعيل بن النعمان ، ويكنى بأبي المحمدين ، وسبب هذه الكنية أنه وافى مع جماعة من القرامطة بعد الصلح وقبولهم الامان من القاسم بن سيماء — وكان على طريق الفرات — ومن عبد الله بن الحسين بن سعود — وكان على القابون — فكان القاسم بن سيماء ، يكنى أبا محمد، وعبد الله بن الحسين يكنى أبا محمد ، وصاحب البريد المعروف بابن المهلبي يكنى أبا محمد ، وصاحب الخرائط قرابة أبي مروان يكنى أبا محمد ، فكنى اسماعيل هذا أبا المحمدين ، فبقي معروفا بذلك ، فحدثني اسماعيل عن هذه الوقعة ، قال : فصرت اليه مرة وهو راكب على نجيبه وعليه دراعة ملحم ، فقلت له : قد اشتد الامر على أصحابنا ، وقد قربوا منك ، فتنح عن هذا الموضع الى غيره ، فلم يرد علي جوابا ، ولم يثر نجيبه ، فعدلت اليه ثانية فقلت له : قم ، فانتهرني • ولم يرم الى أن وافته زانة ، أو قال حربة ، فسقط عن البعير ، وكاثرنا من يريد أخذه فمنعنا منه ، وقتل زهاء مائة انسان في ذلك الموضع ، ثم أخذناه وتنحينا بأجمعنا •

فقلت : الذي أقمتموه مقامه أهو أخوه ؟ فقال : لا ، والله ما نعلم ذاك ، غير أنه وافانا قبل هذه الحادثة بيومين ، فسألناه من أنت من الامام ؟ فقال : أنا أخوه، ولم نسمع من الشيخ شيئا في أمره ، يعني المكتنى أبا القاسم • وكان هذا المدعي أخاه يكنى أبا العباس ، واسمه أحمد بن عبد الله •فعقد لنفسه البيعة على القرامطة ودعاهم الى مثل ما كان أخوه يدعوهم اليه ، فاشتدت شوكته • ورغبت البوادي في النهب ، وانثالت عليه انثيالا ، وذلك في آخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة •

ثم صار الى دمشق فصالحه أهلها على خراج دفعوه اليه فانصرف عنهم ، ثـم سار الى أطراف دمشق ، وحمص ، فتغلب عليها ، وخطب له على منابرها ، وتسمى بالمهدي ، ثم صار الى مدينة حمص فأطاعه (١٣٢ ظ) أهلها ، وفتحوا له بابها فدخلها، ثم صار الى : حماة ، وسلمية وبعلبك ، فاستباح أهلها ، وقتل الذراري ، ولم يبق شريفا لشرفه ، ولا صغيرا لصغره ولا امرأة لمحرمها ، وقتل أهل الذمة ، وفجروا بالنساء •

حدثني من كان معهم قال : رأيت عصاما سيافه ، وقد أخذ من بعلبك امـرأة جميلة جدا ، ومعها طفل لها رضيع ، فرأيته والله وقد فجر بها، ثم أخذ الطفل بعد ذلك فرمى به نحو السماء ، ثم تلقاه بسيفه ، فرمى به قطعتين ، ثم عدل الى أمه بذلـك السيف بعينه ، فضربها به فبترها •

فلما اتصل عظيم خبرهم واقدامهم على انتهاك المحارم ودام، خرج أمير المؤمنين المكتفي بالله متوجها نحوه يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر رمضان في قواده ومواليه وغلمانه وجيوشه ، وأخذ على طريق الموصل ثم صار الى الرقة وأقام بها وأنفـذ الجيوش نحو القرامطة،وقلد القاسم بن عبيد اللهبن سليمان تدبير أمر هذه الجيوش•

فوجه القاسم محمد بن سليمان الكاتب ، صاحب الجيش خليفة له على جميع القواد ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، فنفذ عن الرقة في جيش ضخم وآلة جميلة وسلاح شاك ، وكتب الى جميع القواد والامراء في النواحي بالسمع له والطاعة لامره ، وضم محمد بن سليمان القواد بعضهم الى بعض وصمد نحو القرمطي ، فلم يزل يعمـل التدبير ويذكي العيون (١٣٣ و) ويشاور ذوي الرأي ويتعرف الطرقات الى أن دخلت سنة احدى وتسعين •

قال : وفي أول هذه السنة : كتب أمير المؤمنين الى محمد بن سليمان والـى سائر القواد في مناهضة القرمطي ، فساروا اليه فالتقوا على اثني عشر ميلا من حماة في موضع بينه وبين سلمية[1] ، فاشتدت الحرب بينهم ، وصدقوهم القتال ، فتجمع

---

(١) ذكر الطبري ٢٢٣٩ أن اسم المكان (تمنع) ولعله مكان قرية التمانعة الحاليـة والتابعة اداريا لخان شيخون، في منطقة معرة النعمان. انظر التقسيمات الادارية في الجمهورية العربية السورية ـ ط. دمشق ص ٢٨ .

القرامطة وحملوا على الميمنة حملة رجل واحد، فثبت الاولياء فمروا صادفين وجعلوها هزيمة ، ومنح الله من أكتافهم ، وقتل منهم وأسر أكثر من عشرة آلاف رجل ، وشرد الباقون في البوادي ، واستمرت بهم الهزيمة ، وطلبهم الاولياء الى وقت صلاة عشاء الآخرة من ليلة الاربعاء لسبع خلون من المحرم ، ولما رأى القرمطي ذلك ، ورأى من بقي من القرامطة ، قد كاعوا عنه ، حمل أخا له يكنى أبا الفضل مالا ، وتقدم اليه الى أن يطهر في موضع آخر فيصير اليه .

وتجمع رؤساء القرامطة ، وهم الذين كانوا صاروا الى رحبة مالك ابن طوق[١] فطلبوا الامان ، وهم : أبو المحمدين ، والنعمان بن أحمد ، وأحمد بن النعمان أخو أبي المحمدين ، ووشاح ، وعطير ، وشديد بن ربعي وكليب من رهط النحاس ، وعصمة السياف[٢] وسجيفة رفيقه ، ومسرور وغشام . فقالوا للقرمطي ، وهو صاحب الخال : قد وجب حقك علينا ، وقد رأيت ما كان من جدنا واجتهادنا ، (١٣٣ ظ) ومن حقك علينا أن ندعك ، وانما يطلبنا السلطان بسببك . فانج بنفسك . فأخذ ألف دينار فشدها في وسطه في هميان[٣] ، وأخذ معه غلاما روميا يقال له لؤلؤ، كان يهواه ويحل منه محل بدر من المعتضد بالله ، وركب معه المدثر ، وكان يزعم أنه ابن عمه ، والمطوق غلامه ، ومع كل واحد منهم هميان في وسطه .

فأما المطوق ــ وهو اتخذ له سخاب وقت دخوله الى مدينة السلام[٤] ــ فاني سألت عنه أبا المحمدين ، فذكر أنه رجل من أهل الموصل ، وأنه صار الى الامام بزعمه ، فجعل يورق له ويسامره . ولم يعرف قبل ذلك الوقت .

وأخذوا دليلا ، وسار يريد الكوفة عرضا في البرية ، فغلط بهم الدليل الطريق، وأخرجهم بموضع بين الدالية والرحبة يقال له بنو محرز فلما صاروا الى بني محرز،

---

(١) قرب مدينة الميادين الحالية على الفرات في سورية .

(٢) ذكر في ص ٧٥ أن اسمه (عصاما) .

(٣) الهميان ــ فارسية معربة ــ شداد السراويل أو تكته وما يجعل فيه الدراهم ويشد على الحقو ، وشهر باتخاذ الهميان وما زال صائبة العراق .

(٤) في اللسان وتاج العروس ــ السخاب . قلادة ــ وجاء في الطبري ــ ٢٢٤٣ ــ ٢٢٤٤ أنه لما دخل الرقة كان يشتم الناس اذا دعوا عليه ويبزق عليهم فاتخذ له مايشبه اللجام لئلا يفعل ذلك .

نزلوا خارج القرية ، في بيدر عامر ، فأخرجوا دقيقا كان معهم في مزود ، واقتدحوا نارا واحتطبوا ليخبزوا هناك ، وكان وقت مغيب الشمس ، فعلا الدخان وارتاب الموكلون ببني محرز، من أصحاب المسالح، بما رأوه ، فأموا الموضع ، فالقوا الدليل، فعرفه بعضهم ، فقال : ما وراءك ؟ قال : هذا القرمطي وراء الدالية . فشدوا عليهم فأخذوهم ، وكتبوا الى أبي خبزة وهو في الدالية يعلمونه بهذا، فأتاهم ليلا ، فأخذهم وصار بهم الى الدالية ، وأخذ من وسط غلام له هميانا فيه ألفا دينارا (١٣٤ و) ومن وسط المدثر مثل ذلك وأخذ الهميان الذي كان مع القرمطي ، ووكل بهم في دار بالدالية ، وكتب الى أحمد بن محمد بن كشمرد وهو بالرحبة يخبره ، فأسرع السير اليهم[1] ، فلما وافى احتبس القرمطي في بيت لطيف في مجتب الحيري .

فحدثني بعض أهل الدالية ، قال : لما وافى ابن كشمرد ، سأل القرمطي : ماأخذ منك ؟ قال : ما أخذ مني شيء ، فقال له المطوق : أتبغي من الامام ما لا يحسن منه الاقرار به ، ودعا بالبزاز ، فأخذ ثيابا ، ثم دعا بالخياط ليقطع للقرمطي تلك الثياب ، فقال الخياط للقرمطي : قم حتى أقدر الثوب عليك ، فقال المطوق للخياط : أتقول يابن اللخناء للامام : قم ! اقطع ثكلتك أمك على سبعة أشبار ، وصار ابن كشمرد وأبو خبزة بالقرمطي الى الرقة ، ورجعت جيوش أمير المؤمنين ، بعد أن تلقطوا كل من قدروا عليه من أصحاب القرمطي ، في أعمال حمص ونواحيها .

وورد كتاب القاسم بن عبيد الله ، بأن القرمطي أدخل الرقة ظاهرا للناس على جمل فالج ، وعليه برنس حرير ، ودراعة ديباج ، وبين يديه المدثر والمطوق ، على جملين ، في يوم الاثنين ، لأربع ليال بقين من المحرم ، سنة احدى وتسعين ومائتين، حتى صير بهم الى دار أمير المؤمنين بالرقة ، فأوقفوا بين يديه ، ثم أمر بهم فحبسوا ، واستبشر الناس والاولياء بما هناه الله في أمر هذا القرمطي . وقرظ أمير المؤمنين القاسم بن عبيد الله في (١٣٤ ظ) هذا الوقت ، وأحمده فيما كان من تدبيره ، في أمر هذا الفتح ، وخلع عليه خلعا شرفه بها ، وقلده سيفا ولقبه بولي الدولة ، وانصرف الى منزله بالرقة . وخلف أمير المؤمنين عساكره مع محمد بن سليمان ، وشخص من الرقة في غلمانه ووجوه أصحابه وحرمه ، وشخص معه أبو الحسين القاسم بن عبيدالله

---

(١) انظر الطبري : ٢٢٣٨ .

الى بغداد ، وحمل معه القرمطي والمدثر والمطوق وجماعة ممن أسر في الوقعة مستهل صفر ، وقعد في الحراقات في الفرات ، ولم يزل متلوما في الطريق حتى وصل الى البستان المعروف بالبشري لبلة السبت لليلتين بقيتا من صفر ، فأقام به ثم عبر من هنا الى الجانب الشرقي ، فعبأ الجيوش بباب الشماسية . وكان أمير المؤمنين قد عزم على أن يدخل القرمطي بغداد مصلوبا على دقل[1] . والدقل على ظهر فيل ، وأمر بهدم الطاقات التي يجتاز بها الفيل ، اذ كانت أقصر من الدقل . ثم استسمج ذلك ، فعمل له دميانة غلام يازمار[2] كرسيا ، ارتفاعه ذراعان ونصف ، وأجلسه عليه ، وركب الكرسي على ظهر الفيل . فدخل أمير المؤمنين مدينة السلام صبيحة يوم الاثنين مستهل ربيع الاول في زي حسن وتعبئة وجيش كثيف ، وآلة تامة وسلاح شاك ، وقدم الاسرى على جمال مقيدين عليهم دراريع حرير . وبرانس حرير ، ثم قدم المدثر بين يدي القرمطي على جمل فالج وعليه دراعة حرير (١٣٥ ــ و) وبرنس ، ثم القرمطي على الكرسي على ظهر الفيل ، وعليه دراعة ديباج وبرنس حرير ، ثم دخل أمير المؤمنين خلفه حتى اشتق مدينة السلام الى قصره المعروف بالحسني ، والقاسم بن عبيد الله خلفه . وأمر بالقرمطي والمدثر فأدخلا الحبس بالحسني ، ووجه بالاسرى الى الحبس الجديد بالجانب الغربي . ومضى المكتفي من ساعته من الحسني الى الثريا ، بعد أن خلع على أبي الحسين القاسم بن عبيد الله ، وانصرف الى منزله .

ووافى محمد بن سليمان بعد اصلاحه الامور ، وتلقطه جماعة من قواد القرمطي وقضاته وأصحاب شرطه فأخذهم وقيدهم وانحدر والقواد الذين تخلفوا معه الى مدينة السلام ، فوافى بغداد الى الباب المعروف بباب الانبار ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول ، وكان قد أمر القواد جميعا بتلقي محمد بن سليمان ، والدخول معه الى بغداد ، ففعلوا ذلك ، ورحل محمد بن سليمان صبيحة يوم الخميس وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، غير من أسميناه ، والقواد معه حتى صاروا الى دار أمير المؤمنين بالثريا ، فدخلوا عليه . وأمر أن يخلع على محمد بن

(١) هو خشبة يمد عليها شراع السفينة ، وتسميتها البحرية : الصاري ــ النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير .
(٢) في الطبري : ٢٢٤٣ ، غلام يازمان .

سليمان ويطوق بطوق ذهب ، ويسور بسوارين ، وخلع على جميع القواد القادمين معه، وطوقوا وسوروا، وانصرفوا الى منازلهم • وأدخل الاسرى الى الحبس الجديد بمدينة السلام في الجانب الغربي منها •

فلما كان في يوم السبت (١٣٥ ـ ظ) لعشر بقين من شهر ربيع الاول بنيت دكة في المصلى العتيق ، من الجانب الشرقي ، الذي تخرج اليه الثلاث الابواب ، ومن باب خراسان ، تكسير ذرعها عشرون ذراعا في عشرين ذراعا ، وجعل لها أربع درج يصعد منها اليها ، وأمر القواد جميعا بحضور هذه الدكة ، ونودي كذلك في الناس أن يحضروا عذاب القرامطة ، ففعلوا ، وكثر الناس في هذا الموضع وحضر القواد ، والواثقي المتقلد للشرطة[١] بمدينة السلام ، وحضر محمد بن سليمان ، فقعدوا جميعا عليها ، وأحضروها ثلاثمائة ونيفا وعشرين انسانا ممن كان أسر قديما ، ومن جاء به محمد بن سليمان ، وأحضر القرمطي والمدثر فأقعدا ، وقدم نيف وثلاثون انسانا من هؤلاء الاسارى من وجوههم ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم • ثم قدم القرمطي فضرب مائتي سوط ، ورش على الضرب الزيت المغلي وكوي بالجمر، ثم قطعت يداه ، ورجلاه وضربت عنقه • فلما قتل انصرف القواد وأكثر الناس ممن حضر للنظر الى عذاب القرمطي ، وأقام الواثقي الى وقت العشاء الآخرة في جماعة من أصحابه ، حتى ضرب أعناق باقي الاسارى ، ثم انصرف •

فلما كان يوم الاربعاء لست بقين من هذا الشهر ، صير ببدن القرمطي الى باب الجسر الاعلى من الجانب الشرقي فصلب هناك ، وحفر لأجساد القتلى آبار الى (١٣٦ ـ و) جانب الدكة ، فطرحوا فيها وطمت ، فلما كان بعد ، أمر بهدم الدكة ، وتعفية أثرها ففعل ذلك •

قال ابن أبي الازهر في التاريخ في حوادث سنة ثلاث وتسعين ومائتين : وفيها ورد الخبر بأن أخا الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدالية من طريق الفرات ، في نفر ، واجتمع اليه جماعة من الاعراب ، وسار بهم الى نحو دمشق، فعاث في نواحيها ، فندب للخروج اليه حسين بن حمدان ، فخرج في جماعة ، وورد الخبر برجوعه الى الدالية • فحدث محمد بن داود بن الجراح أن زكرويه بعد قتل

---

(١) هو احمد بن محمد الواثقي كما ذكره الطبري : ٢٢٤٥ •

صاحب الشامة ، أنفذ رجلا كان معلما للصبيان يقال له عبد الله بن سعيد ، فتسمى نصرا — ليخفي أمره — فدار في أحياء كلب يدعوهم الى رأيه ، فاستجاب له جماعة من صعاليكهم وسقاطهم العليصيين ، فسار فيهم الى بصرى وأذرعات من كورتي حوران والبثنية ، فقتل وسبى وأخذ الأموال •

وقال : وأنفذ زكرويه رجلا يقال له القاسم بن أحمد داعية ، فصار الى نحو رستاق نهر ملحانا[1] • قال : فالتفت به طائفة ، فساروا الى الكوفة حتى صبحوها غداة يوم النحر وهم غارون ، فوافوا باب الكوفة عند انصراف الناس من المصلى ، فأوقعوا بمن قدروا عليه وسلبوا وقتلوا نحوا من عشرين رجلا ، وكان رئيسهم هذا قد حملوه في قبة يقولون : هذا ابن رسول الله ، وهو (١٣٦ — ظ) القاسم بن أحمد داعية زكرويه ، وينادون، ياثارات الحسين — يعنون الحسين صاحب الشامة — وشعارهم يا محمد يا أحمد — يعنون ابني زكرويه ، ويموهون بهذا القول على أهل الكوفة — ونذر بهم الناس ، فرموهم بالحجارة من المنازل •

وانما ذكرت هذا الفصل من قول ابن أبي الازهر لأن فيه ما يدل على أن صاحب الخال ، كان يسمى الحسين بن زكرويه ، وأنه يسمى أيضا أحمد بن زكرويه• وعاش زكرويه بعد ولديه القرمطين في زعمه •

أنبأنا تاج الامناء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ، قال : أخبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن الحافظ قال : أخبرنا أبو غالب بن البناء قال : أخبرنا أبو الحسين بن الابنوسي قال : أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق قال : أخبرنا أبو محمد اسماعيل بن علي بن اسماعيل الحطمي قال : قام مقامه — يعني مقام صاحب الجمل — أخ له في وجهه خال يعرف به ، يقال له صاحب الخال • فأسرف في سوء الفعل وقبح السيرة ، وكثرة القتل حتى تجاوز ما فعله أخوه، وتضاعف قبيح فعله ، وقتل الاطفال ونابذ الاسلام وأهله ، ولم يتعلق منه بشيء ، فخرج المكتفي الى الرقة ، وسير اليه الجيوش ، فكانت له وقائع ، وزادت أيامه على أيام أخيه في المدة والبلاء حتى هزم ، وهرب فظفر به في موضع يقال له الدالية

---

(١) في الطبري : ٢٢٦٠ ، نهر تلحانا .

(١٣٧ ــ و) بناحية الرحبة ، فأخذ أسيرا ، وأخذ معه ابن عم يقال له المدثر ، كان قد رشحه للامر بعده ، وذلك في المحرم سنة احدى وتسعين ، وانصرف المكتفي بالله الى بغداد وهو معــه •

فركب المكتفي ركوبا ظاهرا في الجيش والتعبئة وهو بين يديه على الفيــل ، وجماعة من أصحابه على الجمال مشهرين بالبرانس ، وذلك يوم الاثنين غرة ربيع الاول من سنة احدى وتسعين ، ثم بنيت له دكة في المصلى وحمل اليها هو وجماعة أصحابه ، فقتلوا عليها جميعا في ربيع الآخر ، بعد أن ضرب بالسياط وكوي جميعه بالنار ، وقطعت منه أربعته ، ثم قتل ، ونودي في الناس فخرجوا مخرجا عظيما للنظر اليه ، وصلب بعد ذلك في رحبة الجسر •

وقيل أنه وأخوه من قرية من قرى الكوفة يقال لها الصوان ، وهما فيما ذكر : ابنا زكرويه بن مهرويه القرمطي،الذي خرج في طريق مكة في آخر سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وتلقى الحاج في المحرم من سنة أربع وتسعين ، فقتلهم قتلا ذريعا لم يسمع قط بمثله ، واستباح القوافل وأخذ شمسة البيت الحرام ، وقبل ذلك ــ ما ــ دخل الكوفة يوم الاضحى بغتة وأخرج منها ، ثم لقيه جيش السلطان بظاهر الكوفة بعد دخوله اياها وخروجه عنها ، فهزمهم وأخذ ما كان معهم من السلاح والعدة فتقوى بها ، وعظم أمره في النفوس (١٣٧ ــ ظ) وهال السلطان، وأجلبت معه كلب وأسد، وكان يدعى السيد •

ثم سير اليه السلطان جيشا عظيما ، فلقبوه بذي قار ، بين البصرة والكوفــة في الفراض[١] فهزم وأسر جريحا ، ثم مات ، وكان أخذه أسيرا يوم الاحد لثمــان بقين من ربيع الاول ، وشهرت الشمسة بين يديه ، ليعلم الناس أنها قد استرجعت ، فطيف به ببغداد • وقيل أنه خرج يطلب ثأر ابنه المقتول على الدكة •

ذكر ابن أبي الازهر في تاريخه أنه لما خرج على قافلة الحاج أن أصحابه أكبوا على الحاج فقتلوهم كيف شاؤوا واحتووا على جميع ما كان في القافلة وسبوا النساء الحرائر ، وجمع القرمطي لعنه الله أجساد القتلى فعمل منها دكة تشبيها بالدكة التي قتل عليها أصحابــه •

---

(١) قال ياقوت : الفراض جمع الفرضة وهي المشرعة . والاصل في الفرضة الثلمة في النهر . والفراض موضع بين البصرة واليمامة قرب فليج .

وسير الى بعض الشراف الهاشميين بحلب تاريخا جمعه أبو غالب همام بن الفضل[1] بن جعفر بن علي بن المهذب ذكر أنه تذكرة كتبها مما وجده في التواريخ المتقدمة ومما وجده بخط جد أبيه الشيخ أبي الحسين علي بن المهذب بن أبي حامد محمد بن همام بن أبي شهاب وغيره ، قال فيه :

سنة تسعين ومائتين :

فيها : نجم بالشام قرمطي بأرض دمشق انتسب الى العلوية .

قال : وذكر الشيخ أبو الحسين علي بن المهذب أن أباه المهذب أخبره أن (١٣٨ ــ و) هذا القرمطي أول من وقع عليه هذا اللقب ، وكان خرج في بطن من بني عدي من كلب ، يقال لهم بنو العليص ، فخرج اليه طغج بن جف ، والي دمشق من قبل الطولونية ، محتقرا له في غير عدة ولا عدة . وكان هذا القرمطي في بادية كلب ، فأوقع بطغج ، ودخل الى دمشق مهزوما ، ثم رجع فجمع عسكره ، وحشد وخرج اليه فكان الظفر للقرمطي أيضا ، وقتل خلقا كثيرا من أصحاب طغج، ونهبوا عسكره . وعاد طغج الى دمشق فقوي القرمطي . وكتب طغج الى مصر فوجه اليه جماعة من الفرسان والرجالة ، وأمدهم من في الشام . فصار جيشا عظيما فخرج ، وهو غير شاك في الظفر به ، فأوقع القرمطي بــه وكانت الوقعة في موضع يعرف بالكسوة[2] ، وسار القرمطي الى بعلبك ففتحها وقتل أهلها ونهب وأحرق ، وسار منها الى حمص فدعا لنفسه بها وبث ولاته في أعمالها ، وضرب الدنانير والدراهم وكتب عليها : « المهدي المنصور ــ أمير المؤمنين » . وكذلك كان يدعى له على

---

(١) من مؤرخي المعرة في القرن الخامس للهجرة ، وقد ورد ذكره بين تلامذه ابي العلاء المعري ، ولم يصلنا تاريخه بل وصلنا نقول كثيرة منه بثها ابن العديم في ثنايا كتابه بغية الطلب . هذا وقد اشار حاجي خليفة لهذا الكتاب ، ولا ندري ارآه او قرأ عنه فتحدث عنه في كشفه ، ويتبين من بغية الطلب أن ابن المهذب قد أكمل أو ذيل على كتاب في التاريخ كتبه جده ثم ان أسامة بن منقذ مع واحد من اخوانه قاما فيما بعد أيضا بالتذبيل على كتاب ابن المهذب ، وان الكتاب في هذه المرحلة بات يعرف باسم « البداية والنهاية » .

(٢) تتمة الحديث تتعلق بصاحب الخال لا بصاحب الجمل ، ويبدو أن مرد هذا الى سقط لحق بأصل ابن المهذب وأن ابن العديم تابع نسخ الخبر دون أن يلاحظ ذلك .

المنابر ، وأنفذ سرية الى حلب فأوقع بأبي الاغر خليفة بن المبارك السلمي ، وعادت السرية وجبى الخراج ، وحمل اليه مال جند حمص • فأنفذ الامير أبو الحجر المؤمل ابن مصيبح — أمير برزويه والبارة والروق[1] وأفامية وأعمال ذلك ، وبقي والي هذه المواضيع من قبل الخلفاء ببغداد أربعين سنة،فيها — رجلين من أهل معرة النعمان اسم أحدهما (١٣٨ — ظ) أحمد بن محمد بن تمام ، والاخر ابن عاص القسري ، وجاءا الى القرمطي يرفعان على أهل معرة فمضيا اليه وقالا له: ان أهل معرة النعمان، قد شقوا العصا ، وبطلوا الدعوة ، وغيروا الأذان ، ومنعوا الخراج • وكان أهل معرة النعمان قد أرسلوا معهما الخراج « فأخذ منهما في الطريق » فلما قالا له ذلك ، التفت الى كاتبه ، وقال له : اكتب « وشهد شاهدان من أهلها » فسار اليها ، وقال لأصحابه : ان أغلقوا الباب فاجعلوا غارة على الدارس[2] فخرج أهل معرة النعمان ولا علم لهم بما قد جرى ، وأصحاب القرمطي يقولون لهم القوا مولانا السيد ، فبلغ كثير من الناس الى قرب حناك[3] ، وأخذ الابواب أصحاب القرمطي على الناس ، وقتل خلق كثير ، ودخلها يوم الاربعاء النصف من ذي الحجة ، فأقام يقتل المشايخ والنساء والرجال والاطفال ، ويحرق وينهب خمسة عشر يوما ، فذكر أن القتلى كانوا بضعة عشر ألفا •

وخرج المكتفي الى الرقة ، وأنفذ عساكره مع محمد بن سليمان الكاتب الأنباري وكان شهما شجاعا مدبرا ، فحصل في حلب في جيش فيه ثلاثون ألفا مرتزقة، فيما ذكر غير واحد ، وكان جهير بن محمد ، يقول له : تخرج اليه فقد أهلكوا عشيرتي • فيقول له ابن الأنباري الكاتب : لو أخذوا بلحيتي ما خرجت اليهم حتى يهل هلال المحرم — يريد سنة احدى وتسعين •

قال أبو غالب (١٣٩ — و) بن المهذب :

سنة احدى وتسعين :

فيها : سار محمد بن سليمان الكاتب الأنباري الى القرامطة ، فأوقع بهم في قرية تعرف بالحسنية فقتلهم وبدد شملهم •

---

(١) كتب ابن العديم في حاشية الاصل : الروق هو الذي يقال له الروج كورة معروفة وهذه المناطق واقعة في منطقة حلب معروفة .

(٢) كذا في متن الاصل وكتب ابن العديم الحاشية : لعله الدراري .

(٣) حصنا كان في مشارف المعرة — معجم البلدان .

ولما تصور القرمطي ، ورأى أنه لا طاقة له بعساكر الخلافة ، هرب قبل الوقعة بأصحابه فحصل في قرية شرقي الرحبة ، تعرف بالدالية في نفر يسير من خواص أصحابه ، فتستروا وبعث بعض أصحابه متنكرا ، ليمتار لهم ما يحتاجون اليه ، فأخذ وأنكر وأتي به الى رجل كان يتولى معونة الدالية ، يعرف بأبي خبزة ، لأحمد بن محمد بن كشمرد ، وكان ابن كشمرد والي الرقة، وكان صغير الشأن حقيرا في الجند، فسأله أبو خبزة عن خبره وقصته ، فتبين منه قولا مختلفا فألح عليه أبو خبزة ، فأقر ذلك الرجل بأنه من رجال القرمطي ، ودل عليهم في أي موضع هم ، فخرج أبو خبزة فيمن جمعه من الاجناد والرجال الى الموضع الذي فيه القرمطي وأصحابه ، فظفر بهم وبالقرمطي ، وكان معهم حملان من المال ، فأخذهم والمال معهم وحملهم الى ابن كشمرد والي الرقة ، فأخذهم وكتب بخبرهم الى المكتفي ، فبعث اليه من تسلمه منه، وأوردهم الرقة ، وانحدر المكتفي الى مدينة السلام بغداد ، وهم معه ، فبنى له دكة عظيمة بظاهر القصر المعتضدي وعذبوا عليها بأنواع العذاب •

أخبرنا أبو البركات بن محمد بن الحسن ــ كتابة (٣٩ ــ ظ) قال : أخبرنا أبو علي بن أبي محمد الدمشقي ، قال : قرأت على منصور بن خيرون عن أبي محمد الجوهري ، وأبي جعفر بن المسلمة ، عن أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال : أحمد بن عبد الله الخارج بالشام في أيام المكتفي بالله ، وكان ينتمي الى الطالبيين ، وهو المعروف بصاحب الخال ، وقتل بالدكة في سنة احدى وتسعين ومائتين ، يروى له ولأخيه علي بن عبد الله شعر يشك في صحته ، فمما يروى لأحمد:

متى أرى الدنيا بلا كاذب ولا حروري ولا ناصبي
متى أرى السيف على كل من عادى علي بن أبي طالب
متى يقول الحق أهل النهى وينصف المغلوب من غالب
هل لبغاة الخير من ناصر هل لكؤوس العدل من شارب

قال : ويروى له :

نفيت من الحسين ومن علي وجعفر الغطارف من جدودي
وخيب سائلي وجفوت ضيفي وبت فقيد مكرمة وجود
وأعطيت القياد الدهر مني يمين فتى وفي بالعهود

لئن لـم أعط مـا ملكت يمينـي لحـرب من طريف أو تليـد
وافتتحنهـا حربـا عـوانـا تقحـم بالبنود علـى البنود
فامـا أن أروح بروح عـز وجـد آخـذ ثـأر الجدود
وامـا أن يقـال فتى أبيٌ تخرم في ذرى مجـد مشيد
تهـددنا زعمت شبوب حرب تقحـم بالبنود علـى البنود

بقصيدة منهـا :

فكان السيف أدنى عنـد ورد الى ودجيك مـن حبـل الوريـد

قرأت بخط أبي بكر محمدبنيحيى الصولي،وأخبرنا به أبو القاسم عبدالصمد ابن (١٤٠ ـ و) محمد بن أبي الفضل ، فيما أذن لنا بروية عنه ، قال : كتب الينا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي ، أن أبا القاسم البذار أنبأهم ، عن أبي أحمد بن أبي مسلم ، عن أبي بكر الصولي قال : وأجلس القرامطة مكان علي بن عبد الله أخا له يقال له أحمد بن عبد الله وزعموا أنه عهد اليه، وصار أحمد بن عبد الله الى حمص، ودعي له بها وبكورها ، وأمرهم أن يصلوا الجمعة أربع ركعات ، وأن يخطبوا بعد الظهر ، ويكون أذانهم : أشهد أن محمد رسول الله . أشهد أن عليا ولي المؤمنين . حي على خير العمل . وضرب الدراهم والدنانير وكتب عليها « الهادي المهدي » لا إله إلا الله محمد رسولالله «وقل جاء الحق وزهق الباطلان الباطل كان زهوقا»[١] وعلى الجانب الآخر « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى »[٢] .

ووجه أحمد بن عبد الله هذا برجل يعرف بالمطوق أمرد ـ فرأيته بعد ذلك ـ فكبس أبا الأغر ، ثم خرج المكتفي بالله اليه ، وأقام بالرقة وأنفذ الجيوش اليه مـع محمد بن سليمان ، وأنفذ غلامه سوسنا معه في جيش عظيم ، فورد الخبر بأنه قتل، ذكر ذلك الصولي في سنة احدى وتسعين ومائتين .

قال : ثم أتى الخبر للنصف من المحرم من الدالية بأن فارسين من الكلبـين أحدهما من بني الاصبغ والآخر من بني ليلى نزلا بالسقافية (١٤٠ ـ ظ) فأخذا ، فأقرا أنهما من القرامطة ، وأن القرمطي بالقرب ، فركب محمد بن علي أبـو خبزة

(١) سورة الاسراء : ٨١ .
(٢) سورة الشورى : ٢٣ .

وأحمد بن محمد بن كشمرد من الرحبة فظفرا بالقرمطي ، وأخذ معه رجل يقال له المدثر، وكاتبه، وغلام أمرد حدث يقال له المطوق، وحمل الى الرقة،وقد ذكرنا خبره.

قال الصولي ومما يروى من شعر أحمد بن عبد الله :

متـــى أرى الدنيا بلا كاذب ... ...

وذكر الأبيات الأربعة وقال : ومنـــه :

ثأرت بجدي خير من وطئ الحصا   وأنصاره بالطف قتلـى بني هنـد

فأفنيت مـن بالشام منهـم لأنهـم   بقصدهم جاروا عـن المنهج القصد

على أنهم جاشوا لنــا وتجمعوا   وكادوا وكــان الله أعلـم بالقصد

فجاهدتهم بالله منتصرا بـــه   فأفنيتهم بالبيض والسمر والجــرد

قال الصولي : ولعلي بن عبد الله وأخيه أحمد بن عبد الله شعر ، أظن بعض من بميل اليهم ، ويكره السلطان ، عمله ، أو أكثره ، وحمله عليهما .

أنبأنا أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسين الدمشقي ، قال : أخبرنا عمـي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله قال : أحمد بن عبد الله ، ويقال عبدالله ابن أحمد بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما زعم . وهو صاحب الخال أخو علي بن عبد الله القرمطي . بايعته القرامطة بعد قتل أخيه بنواحي دمشق وتسمى (١٤١ ـ و) بالمهدي ، وأفسد بالشام ، فبعث اليه المكتفي عسكرا في المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين ، فقتل من أصحابه خلق كثير ، ومضى هو في نفر من أصحابه يريد الكوفة ، فأخذ بقرية تعرف بالدالية من سقي الفرات ، وحمل الـى بغداد وأشهر وطيف به على بعير ، ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو وأصحابه الذين أخذوا معه يوم الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الاول من سنة احدى وتسعـين ومائتين ، وكان شاعرا وله في الفخار أشعار من جملتها :

سبقت يـــدي يـــده لضربـــة هاشمي المحتد

وأنــا ابن أحمــد لــم أقــل كـــذبا ولــم أتزيــد

من خــوف بأسي قـــال بــد ر : ليتنـــي لــم أولــد

يعني بدر الحمامي الطولوني ، أمير دمشق . هكذا قال الحافظ أبو القاسم . ولا أعلم أحدا قال في صاحب الخال عبد الله بن أحمد غيره . والمعروف بهذا الاسم

ابن عمه المعروف بالمدثر ، وكان سار الى الشام فلقيه شبل الديلمي ، مولى المعتضد بالرصافة في سنة أربع وثمانين ومائتين فقتله القرامطة ، وقتلوا أصحابه . ودخلوا الرصافة فأحرقوها وجاؤوا مسجدها ونهبوها ، وساروا نحو الشام . فالظاهر أنه اشتبه عليه بصاحب الخال وأكد عنده ذلك هذه الابيات الثلاثة التي عزاها (١٤١ — ظ) اليه ، وقوله فيها :

وأنا ابن أحمد لم أقل كذبا ولم أتزيد

على أن هذه الابيات ليس مراد صاحب الخال منها أن أحمد أبوه ، بل أراد بقوله : « وأنا ابن أحمد » ، أنه من نسل أحمد النبي ﷺ ...... (١٤٢ — و) .

خليفة بن المبارك :

أبو الأغر السلمي قائد مذكور مشهور،ولي حلب في سنة تسع وثمانين ومائتين، ولاه اياها المكتفي حين تولى الخلافة ، وتوجه اليها لمحاربة القرمطي صاحب الخال ، وقدمها في عشرة آلاف فارس ، فأنفذ القرمطي سرية اليه الى حلب في سنة تسعين ومائتين ، فخرج أبو الأغر فنزل وادي بطنان فلما استقر وافاهم جيش القرمطي يقدمه المطوق غلامه فكبسهم ، وقتل منهم خلقا عظيما ، فانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغر ، فدخل حلب ومعه ألف رجل لا غير ، وصار القرمطي الى باب حلب فحاربهم أبو الأغر فيمن بقي معه من أصحابه ، وأهل البلد ، فذهبوا وانصرفوا عنه ، ثم عزل عن ولاية حلب بعد ذلك .

ذكر أبو عبد الله محمد بن يوسف في رسالته الى أخيه بخبر القرمطي ، أن القرمطي وجه بخيل كثيرة ورجاله : كثيفة مع المعروف بعميطر،وهو أحد دعاته وثقاته الى ناحية حلب ، فلما كان يوم الاربعاء لعشر ليال بقين من رمضان — يعني سنة تسعين — وقعوا بخليفة بن المبارك المعروف بأبي الأغر وهو على غاية الطمأنينة ، وما يقدر أن خيل المارقة تبلغ اليه لأنه لم يكن وصل الى حلب ، وكان ابنه بها فقتل القرامطة عامة من كان في عسكره من الاولياء والبياع والتجار ، فأبيد خلق من الناس، وسلم أبو الأغر ، فصار الى قرية من قرى حلب ، وخرج اليه ابنه من المدينة في جماعة من الاولياء والرجالة،فأقاموا على مدينة حلب على سبيل المحاصرة لأهلها،فلما كان يوم الجمعة سلخ شهر رمضان، تسرع أهل مدينة حلب الى الخروج للقاء عدوهم، فمنعوا

من ذلك فكسروا قفل الباب وخرجوا الى الفسقة ، فدامت الحرب بين الفريقين ، ورزق الله الرعية النصر عليهم ، وخرج السلطان فأعانهم ، فقتل من القرامطة جماعة كثيرة ، ولما كان يوم السبت يوم العيد خرج أبو الأغر خليفة بن المبارك الى المصلى، وعيد المسلمون ، وخطب الخاطب ، ثم عادت الرعية على حال سلامة . وانصرف عنهم، فلما أيسوا رحلوا في النصف من ليلة الاحد عن معسكرهم ، وصاروا الى صاحبهم الخائـــن .

أنبأنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي . قال : كتب الينا أبو عبد الله بن علي العظيمي ، قال : سنة تسعين ومائتين خلـــع على أبي الاغر ، ووجه لحرب القرمطي بناحية الشام ، فمضى الى حلب في عشرة آلاف .

قال: وللنصف من شهر (٢٣٢ ــ و) رمضان مضى أبو الاغر الى حلب، ونزل وادي بطنان ، قريبا من حلب ، ونزل معه جميع أصحابه فنزع ــ فيما ذكر ــ جماعة من أصحابه ثيابهم ودخلوا يتبردون بمائة ، وكان يوما شديد الحر ، فبينا هم كذلك ، اذ وافاهم جيش القرمطي المعروف بصاحب الشامة، مقدمهم المعروف بالمطوق . فكبسهم على تلك الحال ، فقتل منهم خلقا كثيرا ، وانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغر وجماعة من أصحابه ، فدخل حلب وأفلت معه مقدار ألف رجل ، وكان في عشرة آلاف رجل ما بين فارس وراجل ، وقد كان ضم اليه جماعة ممن كان على باب السلطان ، من قواد الفراغنة ورجالهم ، فلم يفلت منهم الا اليسير ، ثم صار أصحاب القرمطي الى باب حلب فحاربهم أبو الأغر ، ومن بقي معه من أصحابه، وأهل البلاد فانصرفوا عنه .

قرأت في حوادث سنة سبع وتسعين ومائتين من تاريخ ثابت بن سنان بن قرة ، قال : في أيام المقتدر ، وفيها قدم أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي من الرقة بغير اذن ، فقبض عليه ، وعلى جماعة من أهله ، وكسر سيفه وخرق سواده ، وحبس .

وقال في حوادث سنة اثنتين وثلاثمائة : وفي يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من رجب، أطلق أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي من الاعتقال في دار السلطان ، وخلع عليه خلع الرضا في يوم الخميس مستهل شعبان .

أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي ، أذنا ، قال : أخبرنا (٢٣٢ ــ ظ) الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي قال : خليفة بن المبارك ،

أبو الأغر ، ولاه المعتضد قتال الاعراب بطريق مكة ، فقتل منهم جماعة وأسر رأسهم صالح بن مدرك بالحيلة ، وقدم بغداد في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين ، فخلع عليه وطوق بطوق ذهب ، ثم ولي حلب ، وقدم دمشق مع محمد بن سليمان ، وغيره من الامراء الذين وجههم المكتفي لحرب الطولونية بمصر، وغزا بلاد الروم مع مؤنس الخادم في ذي القعدة سنة ست وتسعين ومائتين ، ثم خالف على السلطان ، فأخذ وأدخل بغداد هو وأولاده ، فقيدوا يوم الاثنين لأربع بقين من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، ثم أطلق في يوم الخميس ، وخلع عليه يوم الخميس مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة • فمات فجأة يوم الاربعاء لثمان خلون من ذي الحجة من سنة ثلاث وثلاثمائة •

قرأت بخط ثابت بن سنان الصابي في كتاب وقع الي يتضمن وفاآت من توفي في كل سنة من سنة ثلاثمائة الى السنة التي مات فيها قال : سنة اثنتين وثلاثمائة ، أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي مات لسبع خلون من ذي الحجة فجأة . . ..
(٢٣٣ ـ و) •

* * *

كتـــاب

نهايـــة الأرب في فنون الأدب

ذكر اخبار القرامطة وابتداء امرهم وما كان من اخبارهم وما استولوا عليه من البلاد وغير ذلك من أخبارهم •

والقرامطة منسوبون الى قرمط ، وقد اختلف فيه : فمن الناس من يقول انه حمدان بن الاشعث ، وأنه انما سمى قرمطا لأنه كان رجلا قصيرا ، قصير الرجلين ، متقارب الخطو ، فسمي بذلك ، وقيل قرمط : ثور كان لحمدان بن الاشعث هذا ، وأنه كان يحمل غلات السواد على أثوار له بسواد الكوفة ، والله تعالى أعلم •

قال ابن الاثير في تاريخه[1] الكامل في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين :

وفيها تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة ، وكان ابتداء أمرهم : أن رجلا يقال له حمدان يظهر الدين والزهد والتقشف ، ويأكل من كسبه ، وأقام على ذلك مدة ، فكان اذا جالسه رجل ذاكره الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم[2] ، حتى فشا ذلك بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو الى امام من أهل بيت رسول الله ﷺ ، فاستجاب له جمع كثير وكان يقعد الى بقال هناك ، فجاء رجل الى البقال يطلب منه من يحفظ له ما صرم من نخله، فدله عليه وقال لعله يجيب ، فكلموه في ذلك فاتفق معهم على أجرة معلومة ، فكان يحفظ لهم ويصلي أكثر نهاره ، ويصوم ويأخذ عند افطاره من البقال رطل تمر ، يفطر عليه ويجمع نواه ويعطيه للبقال،فلما حمل التجار تمرهم جلسوا عند البقال وحاسبوه وأعطوه أجرته ، وحاسب هو البقال على ما أخذ من التمر وحط ثمن النوى فضربوه، وقالوا ألم يكفك أن تأكل تمرنا حتى تبيع نواه ؟! فأوقفهم البقال على الخبر فاعتذروا واستحلوا منه ، وازداد بذلك عند أهل القرية ، ودعا أهل تلك الناحية الى مذهبه فأجابوه ، وكان يأخذ من الرجل اذا أجابه دينارا واحدا ، ويزعم أنه للامام ، واتخذ منهم اثني عشر نقيبا أمرهم أن يدعو الناس الى مذهبه وقال : أنتم كحواري عيسى

---

(١) الكامل — ط. المنيرية القاهرة ١٣٥٣ : ٦٩/٦ ، ومصدر ابن الاثير الاساسي هو تاريخ الطبري . ونقل النويري هنا عن ابن الاثير باختزال .

(٢) في ابن الاثير : ٦٩/٦ « كل يوم وليلة » .

ابن مريم ، فاشتغل أهل تلك الناحية عن أعمالهم[1] ، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فرأى تقصير الاكارة في عمارتها ، فسأل عن ذلك فقيل له خبر الرجل فحبسه، وحلف ليقتلنه لما اطلع على مذهبه ، وأغلق عليه الباب ليقتله في غد ، وجعل المفتاح تحت رأسه ، فسمع بعض جواريه خبره فرقت له ، فسرقت المفتاح وأخرجته وأعادت المفتاح الى موضعه ، فلما أصبح الهيصم فتح الباب ليقتله فلم يجده[2] ، فشاع ذلك في الناس فافتتنوا به وقالوا رفع ، ثم ظهر في ناحية أخرى ، ولقي جماعة من أصحابه فسألوه عن قصته فقال : لا يمكن أن ينالني أحد بسوء ، فعظم في أعينهم ثم خاف على نفسه فخرج الى ناحية الشام ، فلم يوقف له على خبر ، هذا ما حكاه عز الدين ابن الاثير الجزري في تاريخه الكامل .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ــ وهو المعروف بأخي محسن ــ في كتاب[1] ألفه ذكر فيه عبيد الله الملقب بالمهدي[2] ، الذي استولى على بلاد المغرب واستولى بنوه من بعده على الديار المصرية والشام وغير ذلك ، وذكر الشريف أصل عبيد الله هذا ونفاه عن النسب الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه،واستدل على ذلك بأدلة يطول شرحها أجاد في تبيانها، وقال في أثناء ما حكاه أنه لما صار الامر الى أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان بعد أبيه ــ وأحمد هذا هو جد عبيد الله الملقب بالمهدي ــ بعث ــ وهو بسلمية ــ الحسين الأهوازي داعية العراق ، فلقي حمدان بن الاشعث قرمطا بسواد الكوفة

---

(١) زاد ابن الاثير : ٦٩/٦ « بما رسم لهم من الصلوات » .

(٢) أن يكون الصدام الاول في تاريخ القرامطة مع واحد من الملاكين الكبار ، أمر له دلالات عظيمة .

(٣) كان من أشراف دمشق وقادتها ، يبدو انه اعتزل في بيته وتزهد بعد ما صارت دمشق تحت السلطان الفاطمي ، ترجم له ابن عساكر ، وقال : « وله تصانيف » وأوضح أن وفاته كانت « في يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة » تاريخ دمشق ــ الظاهرية (٣٣٧٨) : ٣٦١/١٥ . وانظر أيضا أصول الاسماعيلية : ٥٧ .

(٤) سبق أن أوضحت أن اسمه عبد الله .

ومعه ثور ينقل عليه ، فقال له الحسين الاهوازي : كيف الطريق الى قس بهرام[١] ؟ فعرفه حمدان أنه قاصدا اليه ، وسأله الاهوازي عن قرية تعرف ببانبوا[٢] من قرى السواد ، فذكر أنها قريبة من قريته وكان حمدان هذا من قرية تعرف بالدور على نهر هد من رستاق مهرود من طسوج فرات بادولي[٣] ، قال : فتماشيا ساعة فقال له حمدان : اني أراك جئت من سفر بعيد ، وأنت معي فاركب ثوري هذا ، فقال له الحسين : لم أومر بذلك ، فقال له حمدان : كأنك تعمل بأمر أمر لك ؟ قال نعم ، قال : ومن يأمرك وينهاك ؟ قال : مالكي ومالكك ومن له الدنيا والآخرة ، قال : فبهت حمدان قرمط مفكرا ، وأقبل ينظر اليه ثم قال له : يا هذا ما يملك ما ذكرته الا لله تعالى ! قال : صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء ، قال له حمدان . فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال : دفع الى جراب فيه علم ، سر من أسرار الله تعالى ، وأمرت،أن أشفي هذه القرية وأغني أهلها وأستنفذهم وأملكهم أملاك أصحابهم[٤] .

وابتدأ يدعوه فقال له حمدان : يا هذا نشدتك الله الا دفعت الي من هذا العلم الذي معك وأنقذتني ينقذك الله !! قال له : لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله تعالى على النبيين والمرسلين وألقي عليك ما ينفعك ، قال : فما زال حمدان يضرع اليه حتى جلسا في بعض الطريق وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟ قال : قرمط ، ثم قال له قرمط : قم معي الى منزلي حتى تجلس فيه ، فان لي اخوانا أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي ، فصار معه الى منزله ، فأخذ على الناس العهد هناك ، وأقام في منزل حمدان وأعجبه أمره وعظمه وكرمه ، وكان على غاية ما يكون من الخشوع ، صائما نهاره قائما ليله ، وكان المغبوط من أخذه الى منزله ليلة ، وكان ربما خاط لهم الثياب وتكسب بذلك ، وكانوا يتبركون به وبخياطته . قال : وأدرك التمر فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي الى عمل تمره ، وكان من وجوه أهل الكوفة ومن أهل العلم والفضل والتوحيد ، فوصف له

---

(١) في مصادر أخرى « ساباط نوح » ولم أقف لهما على تعريف في مصادر المكتبة الجغرافية العربية ، ويرجح أنها قريبة من الكوفة .

(٢) في ناحية الحيرة من أرض العراق — معجم البلدان .

(٣) الطسوج : النواحي ، وجميع هذه المواضع هي من سواد بغداد . انظر مواد مهزود ، بادولي ، الدور ، في معجم البلدان .

(٤) هذه من الاشارات الهامة الى أهداف القرامطة الاقتصادية .

هذا الرجل فنصبه لحفظ تمره[1] والقيام في حظيرته ، فأحسن حفظها واحتاط في أداء الامانة ، وظهر منه من التشديد في ذلك ما خرج به عن أحوال الناس في تساهلهم في كثير من الامور ، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين ، فاستحكمت ثقة الناس به ، وثقته بحمدان قرمط وسكونه اليه ، فأظهر له أمره وكشف له الغطاء .

قال : وكل ماكانهذا الداعية يفعله من الثقة والامانة واظهار الخشوع والنسك انما كان حيلة ومكرا وخديعة وغشا ، قال : فلما حضرت هذا الطاغية الوفاة جعل مقامه حمدان بن الاشعث قرمطا ، فأخذ على أكثر أهل السواد وكان ذكيا خبيثا ، قال : وكان ممن أجابه من أصحابه الذين صار لهم ذكر زكرويه بن مهرويه السلماني وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، واسحاق النوراني ، وعطيف النيلي وغيرهم ، وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس ، وكان أكبر دعاته عبدان متزوجا أخت قرمط أو قرمط متزوجا أخته ، وكان عبدان رجلا ذكيا خفيفا فطنا خبيثا ، خارجا عن طبقة نظرائه من أهل السواد ذا فهم وحذق ، فكان يعمل عند نفسه على حد قد نصب له ، ولا يرى أنه يجاوزه الى غيره من خلع الاسلام ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ويدعو الى الامام من آل رسول الله ﷺ ، محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه ، وكان زكرويه شابا فيه ذكاء وفطنة ، وكان من قرية بسواد الكوفة يقال لها المسانية[2] تلاصق قرية الصوان ، وهاتان القريتان على نهر هد ، نصبه عبدان على اقليم نهر هد وطسوج السالحين واقليم نهر يوسف داعية، ومن قبله جماعة دعاة متفرقون في عمله ، يدور كل واحد منهم في عمله في كل شهر مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة ، ودخل في دعوته من العرب من بني ضبيعة بن عجل — وهم من ربيعة — رجلان ، أحدهما يعرف برباح والآخر بعلي بن يعقوب القمر ، فأنفذهما دعاة الى العرب في أعمال الكوفة وسورا وبربسما وبابل ، ودخل في دعوته من العرب أيضا رفاعة ومن بني يشكر ، ثم من بكر بن وائل رجل يعرف بسند وآخر يعرف بهارون، فجعلهما دعاة نخيلة[3] وما والاها في العرب خاصة الى حدود واسط،

(١) يلاحظ وجود تطابق بين مواد النويري وما رواه المقريزي ويتميز النويري بذكر مصادره ، بينما يغفل المقريزي ذلك .

(٢) لعله نسبة الى ميسان وهو اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط — معجم البلدان .

(٣) موضع قرب الكوفة على سمت الشام — معجم البلدان .

فمال اليه هذان البطنان ودخلا في دعوته فلم يكد يتخلف رفاعي ولا ضبعي ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن الا دخل في الدعوة منه ناس كثير أو قليل ، من بني عابس وذهل وغيره وبني عنزة وتيم الله وتعل وغيرهم ، وفيهم نفر يسير من بني شيبان ، فقوي قرمط بهم وزاد طمعه فأخذ في جمع أموالهم •

ذكر ما فرضه قرمط

على من دخل في دعوته واستجاب له وكيف نقلهم في استئصال اموالهم من اليسير الى الكثير حتى استقام له امرهم •

كان أول ما ابتدأ به أن فرض عليهم وامتحنهم بتأدية درهم واحد ، وسمى ذلك « الفطرة » من كل رأس من الرجال والنساء والصبيان ، فسارعوا الى ذلك ، فتركهم مديدة ثم فرض عليهم « الهجرة » ، وهو دينار على كل رأس أدرك الحنث ، وتلا عليهم قوله تعالى(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم)[1] ، وقال : هذا تأويل هذا ، فدفعوا ذلك مبادرين به اليه ، وتعاونوا عليه فمن كان فقيرا أسعفوه، فتركهم مديدة ثم فرض عليهم «البلغة»، وهي سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو البرهان بقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)[2] • وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الايمان والدخول في السابقين السابقين ـــ « أولئك المقربون »[3] ، وصنع لهم طعاما طيبا حلوا لذيذا وجعله على قدر البنادق ، يطعم كل من أدى اليه سبعة دنانير واحدة منها ، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل الى الإمام ، واتخذ ذلك كالخواتيم ينقل الى الداعي منها مائة بلغة ويطالبه بسبعمائة دينار ، فلما توطأ له هذا الأمر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ، وتلا عليهم قوله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ٠٠٠الآية[4]) فقوموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدوا خمسه اليه،حتى كانت المرأة تخرج خمس ما تغزل ، والرجل خمس ما يكسب ، فلما تم ذلك له

---

(١) سورة التوبة : ١٠٤ .
(٢) سورة البقرة : ١١١ .
(٣) سورة الواقعة : ١٠ .
(٤) سورة الانفال : ٤١ .

واستقر فرض عليهم «الألفة»،وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد وأن يكونوا في ذلك أسوة واحدة ، لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه ، وتلا عليهم قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعـداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا)[1] ، وتلا عليهم قوله تعالى (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم)[2] ، وعرفهم أنه لا حاجة بهم الى أموال تكون معهم ، لأن الارض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال لهم ، هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون ، وطالبهم بشراء السلاح واعداده ، وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام الدعاة في كل قرية رجلا مختارا من ثقاتها ، يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم وحلي ومتاع وغيره ، فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم ، ولا يبقي فقيرا بينهم ولا محتاجا ضعيفا ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والتكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته ، وكانت المرأة يجمع اليه كسبها من مغزلها ، والصبي أجر نطارته الطير ، فلم يملك أحد منهم الا سيفه وسلاحه ، فلما استقام له ذلك كله وصبوا اليه وعملوا به ، أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ويختلطن بالرجال ، وقال : إن ذلك من صحة الود والالفة بينهم فربما بذل الرجل لأخيه امرأته متى أحب ، فلما تمكن من أمورهم ووثق بطاعتهم وتبين مقدار عقولهم أخذ في تدريجهم الى الضلالة ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية فسلكوا معه في ذلك ، حتى خلعهم من الشريعة ونقض عليهم ما كان يأمرهم به في مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقى ، وأباح لهم الاموال والفروج والغنى عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأن ذلك كله موضوع عنهم وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق الذي يدعو اليه يغني عن كل شيء ، ولا يخاف معه اثم ولا عـذاب .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٢) سورة الانفال : ٦٣ .

ذكر دعوة القرامطة وعهدهم الذين كانوا يأخذونه على من يغرونه ، ويستميلونه الى مذهبهم ، وكيف ينقلونه من مرتبة الى اخرى ، حتى ينسلخ من الدين ويخلع ربقة الاسلام من عنقه .

قال الشريف أبو الحسن محمد بن علي : أول الدعوة بعد عمل الداعي بالرزق وقوة اجابة المدعو من سائر الامم أن يسلك به في السؤال عن المشكلات ، مسلك الملحدين والشكاك ، ويكثر السؤال عن تأويل الآيات ومعاني الامور الشرعيات ، وشيء من الطبائع ووجوه القول في الامور التي تكثر فيها الشبه ، ولا يصل اليها الا العالم المبرز ومن جرى مجراه ، فان اتفق له مجيب عارف ممارس جدل سلم اليه الداعي وعظمه وكرمه وحشمه وصوب قوله ، وداخله بما يحب من علم شريعته التي يومي اليها ، وكل ذلك ليقطع كلامه لئلا يتبين ما هو عليه من الحيلة والمكر ، وما يدخل به على الناس من أمر الدعوة ، وان اتفق مغرور مغفل غليظ الحواس ألقي اليه ما يشغل به قلبه ، مثل قوله : ان الدين لمكتوم وان الاكثر له لمنكرون وبه جاهلون ، ولو علمت هذه الامة ما خص الله به الائمة من العلم لم تختلف ، ويوهم من سمع كلامه أن عنده علوما خفية لم تصل اليهم،فتتطلع نفس المستمع الى معرفة بيان ماقال، وربما وصل أمره مع من يجالسه ــ واحدا كان أو جماعة ــ بشيء من معاني القرآن، وذكر شرائع الدين وتأويل الآيات وتنزيلها وكلام لا يشك المسلم العارف في حقيقته، ويوهم المستمعين منه أنه قد ظفر بعلم ، لو صادف له مستمعا لكان ناجيا منتفعا ، وقرر عندهم أن الآفة التي نزلت بالامة وحيرت في الديانة وشتتت الكلمة وأورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقائقها ، ويحفظون عليهم معانيها وبواطنها ، وأنهم لما عدلوا عنهم ونظروا من تلقاء عقولهم ، واتباعهم لما حسن في رأيهم وسمعوه من أسلافهم وعلاتهم ــ اتباع الملوك في طلب الدنيا ــ وحاملي الغنى ومسمعي الإثم ، وأجناد الظلمة ، وأعوان الفسقة الطالبين العاجلة ، والمجتهدين في الرئاسة على الضعفاء ، ومن يكايد رسول الله ﷺ في أمته ، وغير كتابه ، وبدل سنته ، وقتل عترته وخالف دعوته وأفسد شريعته وسلك بالناس غير طريقته ، وعاند الخلفاء من بعده ، وخلط بين حقه وباطل غيره فتحير وحير من قبل منه ، وصار الناس الى أنواع الضلالات به وبأتباعه ، وقالوا لهم

حينئذ ـ كالنصحاء الحكماء ـ : ان دين محمد لم يـأت بالتحلي ولا بالتمري ، ولا بأماني الرجال ولا شهوات الخلق ، ولا بما خف على الالسنة وعرفته دهمـاء العامة ، وانما الدين صعب مستصعب ، أمر مستثقل وعلم خفي غامض ، سيره الله في حجبه وعظم شأنه عن ابتذال الاشرار له ، فهو سر الله عز وجل المكتوم وأمـره المستور ، الذي لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، في أمثال هذا الكلام ، ويموه على من لا يعلم بأنهم لو أظهروا ما عندهم من العلم لأنكره من يسمعه ، وتعجب منه وكفر أهلـه ، وهذه مقدمة يجعلونها في نفوس المخدوعين ، ليواطئوهم على ألا ينكروا ما يسمعونه منهم ولا يدفعوه ، فيجعلوا ذلك تأنيسا وتأسيسا لينخلع من الشرائع وترتيب أصولها والحرص على طلبها ، وربما قالوا لهم شيئا يموهون به أن له تفسيرا ، وانما هو تقليد في الديانة .

فمن مسائلهم : ما معنى رمي الجمار ؟ والعدو بين الصفا والمروة ؟ ولم قضت الحائض الصيام ولم تقض الصلاة ؟ وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق لشيء طاهر منه البشر . ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر ، وما بال الله تعالـى خلق الدنيا في سبعة أيام[1]؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟ وما معنى الصراط المضروب في القرآن مثلا ؟ والكاتبين[2] الحافظين ؟ وما لنا لا نراهما ؟ أيخاف ربنا أن يكابره ونجاحده فأذكى[3] العيون وأقام علينا الشهود ؟ وقيد ذلك بالقرطاس والكتابة ؟! وما تبديل الارض[4] غير الارض ؟ وما عذاب جهنم ؟ وكيف يصح تبديل جلـد[5] مذنب بجلد لم يذنب يعـذب ؟! وما معنى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئـذ

---

(١) كذا في الاصل ، ومرده الى كون القرامطة كانوا سبعية ، علما ان الله تعالى ذكر في القرآن الكريم « ستة أيام » .

(٢) سورة المطففين : ١٠ ـ ١١ : (وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين) .

(٣) اذكى عليه العيون : ارسل عليه من يستطلع خبره .

(٤) سورة ابراهيم : ٤٨ (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهـار) .

(٥) سورة النساء : ٥٦ (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلمـا نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما) .

ثمانية »[1] ؟ وما ابليس ؟ وما ذكرته الشياطين ؟ وما وصفوا به : ومقدار قدرهم ؟ وما يأجوج ومأجوج ؟ وهاروت وماروت ؟ وما سبعة أبواب النار ؟ وما ثمانية أبواب الجنة ؟ وما شجرة الزقوم النابتة في الجحيم ؟ وما دابة الارض ؟ ورؤوس الشياطين ؟ والشجرة الملعونة في القرآن ؟ والتين والزيتون ؟ وما الخنس؟ وما الكنس؟ وما معنى ألم ، وألمص ؟ وما معنى كهيعص ؟ وما معنى حم عسق ؟ وأمثال هذا من الكلام ، ولم جعلت السماوات سبعا والارضون سبعا ؟ والمثاني من القرآن سبع آيات ؟ ولم فجرت العيون اثنتي عشرة عينا ؟ ولم جعلت الشهور اثني عشر شهرا ؟ وأمثال هذا من الكلام والامور ، مما يوهمون أن فيه معاني غامضة وعلوما جليلة .

وقالوا للمغرورين : ما يعمل محكم الكتاب والسنة ومعاني الفرائض اللازمة ؟ وأين أرواحكم ؟ وكيف صورها ؟ وأين مستقرها؟ وما أول أمرها ؟ والانسان ما هو؟ وما حقيقته ؟ وما فرق بين حياته وحياة البهائم ؟ وفرق ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات ؟ وما بانت به حياة الحشرات من حياة النبات؟ وما معنى قول رسول الله ﷺ « خلقت حواء من ضلع آدم »؟ وما معنى قول الفلاسفة : الانسان هو العالم الصغير؟ ولم جعلت قامة الانسان منتصبة دون الحيوان ؟ ولم جعل في أربع أصابع من يديه ثلاثة شقوق وفي الابهام شقان ؟ ولم جعل في وجهه سبعة ثقب وفي سائر بدنه ثقبان ؟ ولم جعل في ظهره اثنتا عشرة عقدة وفي عنقه سبع ؟ ولم جعل رأسه في صورة ميم ويداه حاء وبطنه ميما ورجلاه دالا حتى صار لذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد ؟ ولم جعلت أعداد عظامكم كذا وأعداد أسنانكم كذا ؟ ولم صارت الرؤساء من أعضائكم بكذا وكذا ، وسألوا عن التشريح والقول في العروق وفي الاعضاء ووجوه منافع الاعضاء ، ويقولون لهم : ألا تفكرون في حالكم وتعتبرون ؟ وتعلمون أن الذي خلقكم حكيم غير مجازف ، وأنه فعل جميع ذلك بحكمة ، وله في ذلك أغراض باطنة خفية ، حتى جمع ما جمعه وفرق ما فرقه ، وكيف الاعراض عن هذه الامور ، وأنتم تسمعون قول الله عز وجل : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[2] وقوله : (وفي الارض

---

(١) سورة الحاقة :١٧ (والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) .
(٢) سورة الذاريات : ٢ .

آيات للموقنين)[١] ويقول :(ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون)[٢] ويقول (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[٣] فأي شيء رآه الكفار في أنفسهم وفي الآفاق فعرفوا أنه الحق ؟ وأي حق عرفه من جحد الديانة ؟ أو لا يدلكم هذا على أن الله عز وجل أراد أن يدلكم على بواطن الامور الخفية وأمور وأمور في باطنه ، ولو عرفتموه لزالت عنكم كل حيرة وشبهة ، ووقعت لكم المعارف السنية ، أولا ترون أنكم جهلتم أنفسكم ؟ التي من جهلها كان حريا بأن لا يعلم غيرها ، أو ليس الله تعالى يقول (ومن كان في هذه أعمى فهو في الاخرة أعمى وأضل سبيلا)[٤] ، وأمثال الامور يسألون عنه ويعرضون به من تأويل القرآن وتفسير ألفاظ كثيرة من ألفاظ السنن والاحكام ، والجواب معان يفسر بها وضع الشرائع السمعيات فيما رفع منها وما[٥] نصب ، وكثير من أبواب التعليل والتحوير مما يأتي في المقالة الثانية ان شاء الله تعالى ، فان أوجب ذلك للمسؤول عنه شكا وحيرة واضطرابا وتعلقت نفسه بالجواب عنه ، وتشوق الى معرفته فسألهم عنه عاملوه بمثل ما يفعل به صاحب الفأل والزراق والقصاص على العوام عند امتلاء صدورهم بما يفخرون به أولا عندهم من أحوال قد عرفوها من أحوالهم ، فهم الى معرفتها أكثر الحاحا وعلقوا بمعرفتها أنفسهم ، وعند بلوغ القصاص الى ما يبلغون اليه يقطعون الحديث ، لتعلق قلوب المستمعين بما يكون بعده، وهذه صفة الدعاة وحالهم،يقدمون على الكلام والمسائل ثم يقطعون فتتعلق أنفس المغرورين ، بما قد تأخر من القول الذي قدموا له مقدمة ، فاذا خاطبهم على علم معرفته تأويل البيان قالوا له : لا تعجل، فان دين الله أجل وأكبر من أن يبذل لغير أهله ، ويجعل عرضا للعب وما جانسه ، ويقولون : قد جرت سنة الله جل وعز في عباده عند شرع من نصبه من النبيين آخذ

---

(١) سورة الذاريات : ٢٠

(٢) سورة ابراهيم : ٢٥ .

(٣) سورة فصلت : ٥٣

(٤) سورة الاسراء : ٧٢ .

(٥) في كنز الدرر للدواداري ص ١٠٢ : والجواب عن نصف معاني تفسيرها واضع الشرائع السمعيات فيما وقع منها وما نصب .

الميثاق ، كما قال تعالى : (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)[1] وقال تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)[2] ، وقال جل ذكره : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)[3] وقال : (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا)[4] وقال تعالى : (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل ...)[5] ، في أمثال هذا خبر الله عز وجل فيه أنه لم يملك حقه الا لمن أخذ عهده ، فأعطنا صفقة يمينك بالتوكيد من أيمانك وعقودك ، ألا تفشى لنا سرا ، ولا تظاهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ، ولا تكلمنا الا نصحا ولا توال علينا عدوا ، في أمثال لهذا ، وانما غرضهم في ذلك كله أمور : منها أن يستدلوا بها بظاهر ما يعطيهم المخدوع من انقياده وطاعته ، على باطن أمره من شكه واضطرابه ، وكيف موقع ذلك منه ، ومنها التوثق بالامن من كشف أحوالهم وانتشار أمورهم ، الا بعد توطئه ما يريدونه حالا فحالا ، ومنها أن يرسموه بالذل والطاعة لهم والرضى منه بأن يكون منقادا ، تابعا لهم ومكبرا ، والا فال نكث الايمان وقلة الاكتراث بها والفكر فيها والاعتداد بها ، هو دينهم عند البلوغ الى غايتهم التي يجرون اليها ، وانما يجعلون ذلك مانعا لأهل هذه الطبقات ، ما داموا مستشعرين للعمل بالديانات ، فان سمح المدعو باعطاء عهده وتصاغر لهم بقوة اضطراب قلبه وشكه ، قالوا له حينئذ : أعطنا جعلا من مالك ، وغرما نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الامور وتعريفك اياها ، وكان ذلك مما يستظهرون به عليه بالاستدلال به أيضا على قوة شكه وتعلق نفسه ، وظهريا لهم على الاستعانة على أمرهم وتمكينهم لدعوتهم ، ثم رسموا في مبلغ ذلك رسما بحسب ما يراه الداعي في أمره صلاحا ، وان امتنع عليهم المخدوع في رتبة العهد واعطائه الداعي ، أو في رتبة العزم وعطيته أمسكوا عنه وزادوه أبدا في شكه وحيرته .

فهذا حال الدعوة الاولى ووصفها وما تدرج به الدعاة المخدوعين .

---

(١) سورة الاحزاب : ٧ .
(٢) سورة الاحزاب : ٢٣
(٣) سورة المائدة : ١
(٤) سورة النحل : ٩١ — ٩٢ .
(٥) سورة المائدة : ١٠ .

ذكر صفة الدعوة الثانية

قال الشريف رحمه الله : فاذا قبل المخدوع الرتبة الاولى وحصل عليها اعتقد تهمة الامة ، فيما نقلته عمن كان قبلها من علماء المسلمين ، وقوي شكه في ذلك ثم تقرر في نفسه أن الله تعالى لم يرض في اقامة حقه وما شرعه لعباده الا بأخذ ذلك عن أئمة نصبهم لهم وأقامهم لحفظ شرائعه على مراده ، وسلكوا به في تقرير هذه الامور عنده والدلالة على صواب قولهم ، وجعلوا على قولهم وبرهانهم طريقا يسلكون به مسلك أصحاب الامامة ، في تعاطي اتيانها من جهة السمع والعقل حتى يتأثر، ذلك عند من يأخذون عليه،ويقرره في نفسه فيكون ذلك منزلة ثانية ، ودعوة مرتبة بعد الدعوة الاولى التي قدمنا ذكرها •

ثم ينقلوه الى الدعوة الثالثة •

ذكر صفة الدعوة الثالثة

قال : وأما الدعوة الثالثة فهي أن يقرر الداعي عند المخدوع أن الذي ينبغي أن يعتقده في عدد الائمة أنهم سبعة ، عظموا في أنفسهم وأعدادهم ، ورتبوا سبعة كما رتبت جلائل الامور ، وأصول الترتيب كالنجوم السيارة والسماوات والارضين ، ثم يعدد له مافي ذلك جار علىهذا العدد، مما سنذكره في المقامة الرابعة ونبينه ونذكر مذهبهم فيه ان شاء الله تعالى •

قال : ثم يقرر عند المخدوعين أمر الائمة وعددهم ، فيقول : أول هؤلاء الائمة علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ابناه ، ثم علي بن الحسين زين العابدين ، ثم محمد[1] بن علي الجليل الرضي ، ثم أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، ثم السابع وهو عندهم القائم وصاحب الزمان الآخر • وقد كان منهم من يجعل القائم محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ولا يبتدىء باسماعيل بن جعفر قبله ، ومنهم من يجعل اسماعيل ثم القائم محمد بن اسماعيل ، فمن فعل هذا خرج من أعداد السبعة ، فاذا قرر الداعي عند المخدوع : أن الائمة سبعة ، أسقط ستة لم يجعل لهم امامة وهم : موسى بن

---

(١) هو الباقر .

جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن أحمد والحسن بن علي[1] ، ومحمد المنتظر ، فاذا قبل منه المغرور ما يلقى اليه من هذا القول استقر عقله ، وأخذ في صرفه عن طريق الامامة ، ويقع في أبي الحسن[2] موسى بن جعفر ويثلبه بما ليس فيه ، ثم يقول له : ان امامية الذين يقولون باثني عشر اماما ليس لهم حقيقة بما يعتقدونه ، يريد بهذا أن يسهل عليه طريق المخالفة لأهل الامامة ، كما سهل عليه التهمة لما عليه سائر الامة من الاعتقاد ـ كما تقدم في الدعوة الاولى ، يصدون عن طريق الإمامة في أبي الحسن ، ويقال ان موسى بن جعفر يكنى أبا ابراهيم ، يقولون: انا وجدنا صاحبنا محمد بن اسماعيل بن جعفر عنده علوم المستورات وبواطن المعلومات ، وفقدنا ذلك عند كل أحد سواه ، وربما أتوا بروايات في الطعن على أبي الحسن موسى بن جعفر ورموه بالعظائم ، ويقولون : ليس له امامة ، وقد أجمعت الشيعة ـ التي اجماعها أولى بالاتباع والحجة ـ أنه لا يستحق الامامة بعد مضي الحسين بن علي الا في ولد الامام ، وقد اتفقنا وهم على صحتها وترتيبها الى جعفر بن محمد ، ثم اختلفنا في أي أولاده أحق بها ، فوجدنا عن صاحبنا علم التأويل وتفسير ظاهر الأمور ، وسر الله جل وعز في وجه تدبيره المكتوم ، واتفاق دلالته في كل أمر يسأل عنه ، في جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات ، فنحن الوارثون لذلك من بين طبقات الشيعة المعبرين عنه أخذناه من جهته ورويناه ممن لا نجد من خالفنا ، يمكنه أن يساوينا فيه ، ولا يتحقق به ويدعيه ، فصح بذلك أن صاحبنا أولى بالامامة من جميع ولد جعفر بن محمد ،وربما قالوا : وجدنا فلانا من ولد جعفر بن محمد من شأنه كذا ، وفلانا من قصته كذا، في فروق لهم كاذبة بأقاويل لا تليق بهم ، ثم يقولون : فلم يبق من سلم من الطعون المعروفة الا صاحبنا ، فوجب أن يكون هو صاحب الامر دون كل أحد، وليس غرض هؤلاء ـ أصحاب هذه الدعوة الخبيثة ـ أن يؤخروا موسى بن جعفر ، ولا يقدموا

---

(1) هو الامام العسكري الحادي عشر لدى الشيعة الاثني عشرية .

(2) سبب ذلك أن الانشطار بين الاسماعيلية واثني عشرية حدث عند توليه الامامة بعد أبيه الصادق .

اسماعيل بن جعفر ولا ابنه محمد ، وانما جعلوا هذا كأداة الصانع التي لا يتم الصنعة الا بها ، ناذا انقاد لهم المغرور وسمع قولهم تيقنوا أنهم قد تمكنوا من عقله، وسلكوا به أي مسلك أرادوه • فهذه الدعوة الثالثة •

ذكـر صفـة الدعوة الرابعـة

قال الشريف : اعلم أن الدعوة الرابعة أن تقرر عند المدعو بأن عـدد الانبياء الناسخين للشرائع المبدلين لها أصحاب الادوار وتقليب الاحوال الناطقين على الامور سبعة بعدد الائمة سواء ، كل واحد منهم له صاحب يأخذ عنه دعوته ، ويحفظها على أمته ، ويكون معه ظهريا في حياته وخليفة له من بعد وفاته ، الى أن يؤديها الى آخر، يكون سبيله معه سبيله هو مع متبعه الذي هو تابعه ، ثـم كذلك لكل مستخلف خليفة ، الى أن يمضي منهم علـى تلك الشريعة سبعة ، ويسمون هؤلاء السبعـة الصامتين ، لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو أولهم ، ويسمون صاحب الاول سوسه ، وربما عبروا عنه بغير ذلك ، ثم يزعمون أنه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة واستنفاد دورهم بشرعهم من استفتاح دور ثان ، ينسخ به شرع من قبله ، ويكون خلفاؤه بعده يجري أمرهم كأمر من كان قبلهم ، ثم يأتي بعدهم ناسخ ، ثم اتباع سبعة صمت أبدا الى أن يأتي السابع ، فينسخ لجميع ما قبله ، ويكون صاحب الزمان الاخير الناطق •

ثم يرتبون هؤلاء بالتسمية لهم والاوصاف ، فيقولون : أول هؤلاء النطقاء آدم ، وصاحبه وسوسه شيث ، ويقال بابه في موضع سوسه ويسمون بعده تمـام سبعة صمتوا على شريعة آدم ، ثم نوح فانه ناطق ناسخ وسام سوسه ، ثم تمـام السبعة ، ثم الثالث ابراهيم وسوسه اسماعيل ، ثم تمام السبعة ، ثم الرابع موسى وسوسه هارون ، ثم مات هارون في حياته فصار سوسه يوشع بن نون ، ثم تمام السبعة بعده ، ثم الخامس المسيح عيسى بن مريم أخذها عن يحيى ، وهو أحـد السبعة بعده ، ثم السادس محمد بن عبد الله ﷺ، وسوسه علي بن أبي طالب رضي‌الله عنه ثم ستة ثم السابع قائم الزمان محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو المنتهى اليه علوم من قبله ، والقائم بعلم بواطن الامور وكشفها ، واليه تفسيرها ، والى أمـره أجري ترتيب سائر من قبله ، في أمور سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى •

فهذه درجة أخرى قررها الداعي عند المدعو ، نبوة نبي بعد محمد ﷺ ، وسهل بها النقل عن شريعته ، وأخرج بها المدعو اليهما عما هو معلوم عند كل سامع لدعوة رسول الله ﷺ من أن من دينه وما علم من مذهبه ونحلته أنه خاتم الرسل وأنه لا نبي بعده ، وأن دولته مبقاة وشريعته مفترضة أبدا ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها . فالعلم بذلك من دياناته وما عرف من مذهبه ، وأن أمته بلغت عنه ذلك وفهمته ، وأن من مفهوم شريعته أنه لم يكن يجوز لأحد نبوة غيره ، في وقته ولا فيما بعده ، فكانت هذه الدعوة أول ما أخرج الداعي بها المدعو عن شريعة رسول الله ﷺ وأدخله في جملة الكفار المرتدين عن شريعته ، وهو مع هذا لا يعلم ما خرج منه ولا دخل فيه .

ذكر صفة الدعوة الخامسة

قال : اعلم أنه من يحصل على ما قدمنا ذكره يحصل عليه ، وقد مهد له بطريق تعظيم الاعداد ، ووكد بذكر الطبائع في أبنية العالم ، وأمور كثيرة سيأتي ذكرها في المقالة الثامنة ، كلها مبنية ، على مذاهب مدخولة ، وأمور فاسدة فرذولة ، مذاهب كثير من الملحدين المتفلسفة ، مع اطراح ما نقلت الامة ، والاستخفاف بحال الشريعة، والاعتقاد لتعظيم الشيعة ، والانتظار لفسخ ما ورث عن النبوة ، وتوقع أمور باطنة بخلاف ما ألف من علم الظاهر ، وقلة احتفال بدلالة ظاهر القرآن وغيره من الكلام ، على الامور بحقائق اللغة العربية واقتفاء أثر العرب في أوضاع كلامهم ، مع تمقيت العرب ، ومع تحبيب دناءة العجم ، ويوهم أن العرب للعجم أعداء وظالمون وأنهم لملكهم مغتصبون ، هذايقال للمدعو اذا كان أعجميا ، فان كان أعرابيا خوطب في حال دعوته : بأن العجم غلبوا على دعوته وفازوا بمملكته ، وأن له الاسم ولهم الدنيا ، وأنه أحق بذلك منهم وأولى ، في أمور من هـذا يطول وصفها بحسب ما يتخرج للداعي فيها .

ثم يمكن عنده طرفا من الهندسة في الاشكال ، ويعرف أن طبائع الاعداد في النظام ، لأمر يستخرج منه علوم الائمة ، والطريق الى علم الإله والنبوة ، ويقـرر عنده أن مع كل امام حججا متفرقين في الارض وأن عددهم في كل زمان اثنا عشر رجلا ، كما أن عدد الائمة سبعة ، وأن دلالة ذلك ظاهرة وحجته قاهرة ، بأن تعلم

بأن الله جل وعز لا يخلق الامور مجازفة على غير معان توجبها الحكمة ، والا فلم خاق النجوم ، التي فيها قوام العالم سبعة ؟ وجعل السماوات والارضين سبعة ؟ وأمثال هذا وبالغوا ، وكذلك الاثنا عشر حجة ،عدد البروج المعظمة ، وعدد الشهور المعروفة ، وعدد النقباء من بني اسرائيل ، ونقباء النبي ﷺ من الانصار ، وفي كف الانسان أربعة أصابع في كل اصبع ثلاثة شقوق تكون اثني عشر شقا ، وفي كل يد ابهام فيها شقان بها قوام جميع كفه ، وسداد أصابعه ومفاصله ، فالبدن كالارض ، والاصابع كالجزائر الاربع ، والشقوق كالحجج فيها ، والابهام كالذي يقوم الارض بعد ما فيها ، والشقان فيها الامام وسوسه لا يفترقان ، ولذلك صار في ظهر الانسان اثنتا عشر خرزة كالحجج ، وفي عنقه سبعة عالية كالانبياء والائمة ، وكذلك حال السبعة الانقاب في وجه الانسان العالية على بدنه، في أمثال لهذا كثيرة ، يحصلون بها المدعو على الانس بتمهيد طريق للخروج عن أحوال الانبياء وشرائعهم والعدول عن ذلك الى أمور الفلاسفة في ترتيب شبههم أبدا ، ما رأوا أن هناك بقية من دين .

ذكر صفة الدعوة السادسة

قال الشريف رحمه الله : اعلم أنهم اذا مكنوا ما وصفنا وأحكموه ووثقوه لمساكنة المدعو أخذوا في تفسير معاني الشرائع بغير ما يدين به أهلها وسهلوا عليه العدول عنها ، فرتبوا له معاني الصلاة والزكاة والحج والاحرام والطهارة وسائر الفرائض ، على أمور سيأتي وصفها في المقالة الثامنة ، على أن ذلك يكون تفسيره على احكام وتمهيد بغير مجازفة ولا استعجال ، فيحصل أولا على معنى : أن ذلك وضع دلالة على أمور نذكرها ونتبه عليها ، فاذا قوي الانسلاخ من جملة الامة في نفسه ، وسهل عليه طريق العدول عما هي عليه ، لم يحتشم حينئذ أن يجعل ذلك موضوعا على جهة الرموز ، الى فلسفة من الانبياء والائمة ، وسياسة للعامة للجياشة الى منافعهم في ذلك، وفي شغل بعضهم عن البغي على بعض أو عن الفساد في الارض، مع اظهار تعظيم الناصبين لذلك ، وأنهم أهل الحكمة فيما رتبوه منه ، واذا تمكن أيضا في نفسه ما بدأنا بذكره ــ نقلوه الى التمييز بين الانبياء وبين أفلاطن وأرسطوطاليس وغيرهما ، وحسنوا عنده أشياء من حكمهم ، وعادوا على ناصب هذه الشرائع بالاستخفاف والمذمة والاستحقار والطعن واللائمة ، فيأتي ذلك على قلوب قد فرغت له ، وسهل عليها فلم تنكره ، ورأته مما بدأت به في تأنيسها .

ذكـر صفـة الدعوة السابعـة

قال رحمه الله : اعلم أنه متى أنس المدعو ، بما ذكرناه كله أو بكثير منه، وقوي في نفس الداعي أنه يصلح لما بعد هذا ، ان كان الداعي بالغا ، وبأغراض الدعوة عالما، والى التبليغ بمن يدعوه الى هذه الامور قاصدا — أتى بما نذكر ، وأما ان كـان الداعي مخدوعا ومتخذا كالآلة ليتوصل به الى التكسب ، ويمهد به الطريق ويرتب، وهو غير بالغ الى أعلى الرتبة في دعوة دون ذلك ، فانه غافل لا يدري كيف قصته ، ولا يظن أن الامر الذي يراد به الا ما عرفه وبلغه ، أو ما يجانسه ويقاربه ، فاذا أراد الداعي أن يسلك بالمدعو فوق ما وصفنا قال له : قد صح لك أن صاحب الدلالـة الناصب للشريعة لا يستثني بنفسه ، ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ، ليكونا اثنين أحدهما هو الاصل والآخر عنه كان .

واعلم أن ذلك لم يحصل في العالم السفلي الا وقد يحصل مثاه في العالـم العلوي ، فمذ بدء العالم اثنان هما أصل الترتيب وقوام النظام ، أحدهما هو الاعلى والمفيد ، والآخر هو الآخذ عنه المستفيد ، وربما أنسوه في ذلك بأن يقولوا له : هذا هو الذي أراده الله بقوله (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[1] ، و « كن » هو الاكبر في الرتبة ، وأما الثاني فهو « القدر » الذي قال الله فيـه : (انا كل شيء خلقناه بقدر)[2] ، وربما قالوا : هذا معنى ما تسمعه مما جاءت به الملة، من أن أول ما خلق الله اللوح والقلم ، وقال للقلم اكتب ما هو كائن ، واللوح والقلم هما ما ذكرنا ، وربما قالوا : هذا معنى قول الله تعالى (وهو الذي في السماء إلـه وفي الارض إلـه)[3] ، فسلك به في هذا الطريق العدول عن التوحيد ، وأن الصانع اثنان ، وان كان عندهم صنع الاجسام على جهة المثل والنظام، لا على معنى الاختراع والاحداث ، وسيأتي ذلك وبيانه ، وانما قدم هذا تمهيدا له .

---

(١) سورة يس : ٨٢ .
(٢) سورة القمر : ٤٩ .
(٣) سورة الزخرف : ٨٤ .

ذكر صفة الدعوة الثامنة

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : اعلم أنهم اذا رتبوا ما ذكرنا قرروا عند المدعو أن أحد المدبرين أسبق من الآخر في الوجود وأعلى منه في الرتبة ، وأن الآخر مخلوق منه وكائن به ، ولولاه لم يكن وأنه كونه من نفسه ، وأن السابق أنشأ الأعيان ، والثاني صورها وركبها ، ثم ذكروا له منزلة السابق ، وأن السابق كان عمن كان منه ، كما كان الثاني عن السابق ، الا أن الذي كان عنه السابق لا اسم له ولا صفة ولا ينبغي لأحد أن يعبر عنه ولا أن يعبده ، فاذا بلغ هذه الرتبة سألوا : إلا أن في الاسباب التي كان لها عندهم السابق عمن كان منه ممن لا اسم له ولا صفة ، ما هو ؟ وهل هو باختيار أم بغير اختيار ؟ وكذلك الحال التي كان لها الثاني عن السابق اختلافا ، فذهب بعضهم الى أن ذلك كان لفكرة عرضت لمن كان عنه السابق، فجاء منها السابق ، ثم عرضت فكرة للسابق فجاء منها الثاني ، على نحو ما يقوله بعض المجوس في توليد ، أهورا وأهرمن[1] الذي هو الشيطان ـ عن القديم ، وأن ذلك بفكرة وقعت ردية ولدته، وربما قال بعضهم ان تلك الفكرة ، لأن الذي لا صفة له فكر : أقدر أخلق مثلي أم لا ؟ وكان من ذلك أن تصور التالي ، ثم فكر التالي في ذلك فلم يأت بمثله ، في أنحاء من هذه الامور التي سيأتي وصفها ، مما يخرج به قائلوه عن كل ديانة دان بها أحد من أهل الشرائع ، التي يتعقد معها نبوة وشريعة ولا يكون الا مع دهرية أو ثنوية .

ثم رتب هؤلاء أن التالي يدأب في أعمال منه ، حتى يلحق بمنزلة السابق ، وأن الناطق في الارض يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة التالي ، فيقوم مقامه فيكون بمنزلته سواء ، وأن السوس يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء ، وأن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء ، وأن هكذا تجري أمور العالمين في أدواره وأكواره ، في أمثال لهذا .

---

(١) اهورا هو إلـه النور ، واهر من إله الظلام، قال الشهرستاني عن المجوس في الملل والنحل (هامش الفصل جـ٢ ص ٣) : (وقالوا ان يزدان فكر في نفسه أنه لو كان له منازع كيف يكون . وهذه الفكرة رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمى هرمن ...) .

ثم قرر عنده أن القول في معنى النبي الصادق الناطق ليس يجري على ما يقوله أهل الشرائع ، من أنه جاء بمعجزات ودلالات خارجة عن أحوال العادات ، وأن معنى ذلك انما هو يأتي بأمور تنتظم بها السياسة ووجوه الحكمة ، وترتب بها الفلسفة ، ومعان تنبيء عن حقائق ابتداء السماوات والارض ، وبدأتها على حقائق الامور اما برموز واما بافصاح ، وتنظيم ذلك شريعة يقتفى عليها الناس •

ورتب له أمر القرآن ،وما معنى كلام الله ، بخلاف ما يدين به أهل الكتب ، ورتب له أمر القيامة وتقضي أمر الدنيا ، وحصول الجزاء من الثواب والعقاب ، على أمور ليست مما يعتقده الموحدون في شيء ، بل ذلك على معان أخـر ، من تقلب الامور وحدوث الادوار عند انقضاء الكواكب وعوالم جماعتها ، والقول في الكون والفساد على ترتيب الطبائع ، على أمور كلها سيأتي شرحها أن شاء الله تعالى •

ذكـر صفـة الدعوة التاسعـة

قال : اعلم أنه اذا حصل المدعو على ما ذكرنا أحيل حينئذ على طلب الامور وتحقيقها وحدودها والاستدلال عليها من طرق المتفلسفة وادراكها من كتبهم،وجعلوا ما قدموه سابقا له على طرائقهم ، واستنباط ما خفي عنهم وبنوه على علم الاربـع طبائع ، التي هي استقصات وأصول الجواهر عندهم ، وعلى ترتيب القول في الفلك والنجوم والنفس والعقل وأمثال ذلك فيما هو معروف ، فيحصل الآن البالغون الى هذه الرتب على أحد هذه الوجوه ، التي يعتقدها بعض أهل الالحاد ممن يدين بقدم أعيان الجواهر ، ويصير ما قدم من ذكر الحدث والاصول رموزا الى معاني المبادىء، وتقلب الجواهر وحدوث الامور التي يكون لها على أحوال وأحكام ، وعلى نحو تنزيل كثير منهم لحال العقل من حال النفس ، وحال الفلك من حال العقل ، وحـال الطبائع والاعراض من حال النفس والعقل ، وحال المنقلب بالكون والفساد ومايكون من حال الهيولي بتقلب الاعراض المختلفة وترتيب العناصر ، والقول في العلة : هـل تفارق المعلول أم لا ؟ واقرار بعضهم بصانع لم تزل معه العناصر والمبادىء أولا ، وما هي تلك الامور وكيف حدودها ، وما يصح من صفاتها والاسباب التي تعلم بها، فربما صار البالغ في النظر في هذا الى اعتقاد مذهب ماني وابن ديصان ، وربما صار

إلى مذهب المجوس ، وربما دان بما يحكي عن أرسطاطاليس ، وربما صار الى أمور تحكي عن أفلاطن ، وربما اختار من تلك معاني مركبة من هذه الامور ، كما يجري كثير من هؤلاء المتحيرين .

قال : وجميع ما وصفنا من التدريج بالمقدمات انما يحصل الانسلاخ من شرائع أهل الكتب والنبوة فقط ، وجميعها يصلح أن تجعل تمهيدا ورموزا الى جميع هذه المذاهب التي ذكرناها ، وتجتذب بألفاظها اليها بالتأويل بحسب ما يريد المعتقد ، لما شاء منها مما سنبين ذلك أن شاء الله تعالى .

قال : وأما سلخه من جميع ما قدم[1] عليه من آمر الامامة والنبوة فانه أولا يجعل عنده منازل ، جميعهم منقوصة غير منزلة محمد بن اسماعيل صاحب الدور الآخر ، ويرتب له أن جميعهم لا يأتي بوحي من الله عز وجل ، ولا معجزة كما يقول الظاهرية ، وانما يختص بالصفا فيلقى في فهمه ما يريد الله ، فيكون ذلك كلاما ، ثم يجسده النبي ويظهره للخلق ، وينظم الشرائع بحسب المصالح في سياسات الناس ثم يؤمر بالعمل بذلك مدة ، ثم يترك الى أن يؤمر بذلك،يستدعي بها الناس ، لا لأنها تجب على أهل المعرفة بأعراضها وأسبابها ، ثم يقال له بعد ذلك انما هي آصار وأثقال حملها الكفار ، وكذلك سائـر المحرمات ، ثم يلقن أن ابراهيم وموسى وعيسى ، وهؤلاء أنبياء سياسات وشرائع ، فأما أنبياء الحكمة فان هؤلاء أخذوا عنهم كأفلاطن وأمثاله من الفلاسفة ، فبنوا شرائعهم ليوصلوا بها العامة الى علومهم ، ثم يقال له : انظر أيهما أحكم، فلان النبي أو فلان؟ثم يلقن أن في بعض أحكامهم اختلالا وفسادا، ثم يلقن البراءة منهم وسوء سيرتهم ، وأنهم قتلوا النفوس ، وأمثال هذا . ويلقن في محمد بن اسماعيل بن جعفر أنه سيظهر ، ثم يقال له بعد ذلك : انما يظهر في العالم الروحاني اذا صرنا اليه ، أما الآن فانما يظهر أمره على ألسن أوليائه ، ثم يلقن أن الله أبغض العرب لما قتلت الحسين بن علي ، فنقل خلافة الائمة عنهم كما نقل النبوة عن بني اسرائيل لما قتلوا الانبياء ، ولا يقوم بخلافة الائمة الا أولاد كسرى ، فيكون ذلك غاية ما يقدموه في هذا الباب كله متى استوى لهم ، فان لم يتم له ذلك مع الدعوة تركه في أي منزلة نزلها ، مستعبدا بهذه الوجوه .

---

(١) اي ما اعتاده قديما .

قال : ثم اعلم ــ رحمك الله ــ أن هذا الترتيب والتخريج والتنزيل انما كانت الدعاة عليه عند اجتماعها على مبتداء الدعوة ، والانعقاد على طلب الغوائل للمسلمين، فيها اتفقوا على جملة منها وأصولها ، وفتحوا بالفكر طريقها ، ومهدوه على معنى ما ذكرناه ، وتفرقوا في البلدان ، وتمهيدهم بحسب أفكارهم واجتهادهم في الحيلة على المستمع ، وتميزوا في ذلك وتمكنوا منه في طول الايام ، سيما مذ قويت أحوال الجنابي على ما نذكر ذلك ان شاء الله تعالى في أخباره ٠

قال : فقد بينا خبر هذه الدعوة وكيف جرى أمرها ، وكيف يسلك بالمخدوع كل مسلك ، حتى يصير الى التعطيل والاباحة ، فهذا أصل هذه الدعوة الملعونة وما أسست عليه قديما ، ثم تغيرت وتفرعت منذ انتشرت ببلاد المغرب ومصر والشام، وجعلوا منها طرقا وأبوابا ، فمنها علم القوت وعلم الكفاف وبلاغات مفصلة ، وبطل الترتيب الاول الذي وصفنا : من أن الدعوة كانت الى محمد بن اسماعيل بن جعفر، فصار موضعه من يكون من ولد عبيد الله بن ميمون القداح ، الذين ملكوا المغرب ومصر والشام ، على ما نذكر ذلك ان شاء الله تعالى في أخبارهم ، ولنصل هذا الفصل بذكر العهد الذي يحلفون به ٠

ذكر العهد الذي يؤخذ على المخدوعين في مبدأ الدعوة الخبيثة

قال الشريف ٠ يقول الداعي لمن يأخذ عليه العهد : جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته، وذمة رسول الله ﷺ وأنبيائه وملائكته ورسله، وما أخذه على النبيين من عهد وعقد وميثاق أنك تستر جميع ما تسمعه وسمعته ، وعلمته ، وتعلمته ، وعرفته وتعرفه من أمري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام ، الذي عرفت اقراري له : ونصحي لمن عقد ذمته ، وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له ، من الذكور والاناث والصغار والكبار ، فلا يظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا ولا بشيء يدل عليه ، الا ما أطلقت لك أنك تتكلم به ، أو أطلقه صاحب الامر المقيم بهذا البلد ، فتعمل في ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه ، وليكن ما تعمل عليه قبل العهد بقولك وفعلك : أن تشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له ، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق ، وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة حق آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وتقيم الصلاة لوقتها ، وتؤتي الزكاة بحقها ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج البيت الحرام ، وتجاهد في سبيل الله حق جهاده ، على ما أمر الله به رسوله ﷺ ، وتوالى أولياء الله وتعادي أعداء الله ، وتقول بفرائض الله وسننه وسنن نبيه ﷺ وعلى آله الطاهرين ، ظاهرا وباطنا وعلانية وسرا وجهرا ، فان ذلك يؤكــد هذا العهد ولا يهدمه ، ويثبته ولا يزيله ، ويقربه ولا يباعده ، ويشده ولا يضعفه ، ويوجب ذلك ولا يبطله ، ويوضحه ولا يعميه ، كذلك هو في الظاهر والباطن ، وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين ، علــى الشرائط المبينة في هــذا العهــد .

وجعلت على نفسك الوفاء بذلك ــ قل نعم ، فيقول المغرور : نعم ، ثم يقول له : والصيانة له بذلك وأداء الامانة له على ألا تظهر شيئا أخذ عليك في هذا العهد ــ في حياتنا ولا بعد وفاتنا ، ولا على غضب ولا على حال رضى ، ولا على حال رغبة ولا رهبة ، ولا على حال شدة ولا على حال رخاء ولا على طمع ، ولا على حــال حرمان ، تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له ، على الشرائط المبينة في هذا العهد .

وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ﷺ وعلى آلــه أن تمنعني وجميع من أسميه معي لك وأثبته عندك ، مما تمنع منه نفسك ، وتنصح لنا ولوليك ــ ولي الله ــ نصحا ظاهرا وباطنا ، فلا تخن الله ووليه ، ولا تخنا ولا أحدا من اخواننا وأوليائنا ، ومن تعلم أنه منا بسبب ، في أهل ولا مال ولا رأي ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما تبطله .

فان فعلت شيئا من ذلك ــ وأنت تعلم أنك قد خالفته ، وأنت على ذكر منه ــ فأنت بريء من الله خالق السموات والارض ، الذي سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك ودنياك وآخرتك، وتبرأ من رسله الاولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبين والروحانيين، والكلمات التامات ، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ، ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ، ومن كل عبد رضي الله عنه ، وأنت خارج من حزب الله وحزب

أوليائه ، وخذلك الله خذلانا بينا ، فعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم ، التي ليس فيها رحمة وأنت بریء من حول الله وقوته ، ملتجأ الى حول نفسك وقوتها ، وعليك لعنة الله التي لعن بها ابليس ، فحرم عليه بها الجنة وخلده النار •

ان خالفت شيئا من ذلك لقيت يوم تلقاه وهو عليك غضبان ، ولله عليك آن تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة نذرا واجبا ، ماشيا حافيا ، لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك ، وان خالفت ذلك فكل ما تملكه في الوقت الذي تخالف فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين ، الذين لا رحم بينك وبينهم ، لا يأجرك الله عليه ، ولا يدخل عليك بذلك منفعة ، وكل مملوك لك — من ذكر أو أنثى — في ملكك وتستعبده الى وقت وفاتك ، ان خالفت شيئا من ذلك ، فهم أحرار لوجه الله عز وجل ، وكل امرأة لك وتتزوجها الى وقت وفاتك — ان خالفت شيئا من ذلك — فهن طوالق ثلاثا بته ، طلاق الحرج والسنة لا مثنوية لك فيها ولا اختيار ولا رجعة ولا مشيئة ، وكل ماكان لك من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام ، وكل ظهار فهو لازم لك •

وأنا المستخلف لك لامامك وحجتك ، وأنت الحالف لهما وان نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به ، فهذه اليمين من أولها الى آخرهـا محددة عليك لازمة لك ، لا يقبل الله منك الا الوفاء بها ، والقيام على ما عاهدت بيني وبينك ، قل نعم ، فيقول المخدوع : نعم •

فهذه اليمين التي يؤنس بها المخدوع من ذكر الصلاة والصيام والزكاة والحج وشرائع الاسلام ، فما ينكر شيئا مما يسمعه ، وكل ذلك تأنيس أن يتوصل به الى هذه الامور ، التي تقدم ذكرها على التدريج •

قال الشريف رحمه الله تعالى : ووجدت في كتاب من كتبهم يعـرف بكتاب السياسة ما يشرح به ذكر ما تقدم من أمر الدعوة ، فيه وصايا الدعاة ، وهذا مختصر منه يقول فيــه :

من وجدته شيعيا فاجعل التشيع عنده دينك ، واجعل المدخل عليه من جهة ظلم الامة لعلي وولده ، وقتلهم الحسين وسبيهم البنات ، والتبري من تيم وعدي ومن بني أمية وبني العباس ، وما شاكل ذلك من الاعاجيب التي تسلك عقولهم ، فمن كان بهذه الصورة أسرع الى اجابتك بهذا الناموس ، حتى يتمكن مما يحتاج اليه ،

من وجدته صابئا فداخله بالاسابيع يقرب عليك جدا ، ومن وجدته مجوسيا فقد اتفقت سعه في الاصل من الدرجة الرابعة ، من تعظيم النار والنور والشمس ، واتل عليهم أمر السابق فانه لهرمس الذي يعرفونه بالنور المكنون من ظنه الجيد والظلمة المكنونة من وهمه الرديء ، فانهم مع الصائبين أقرب الامم الينا وأولاهم بنا ، لولا يسير صحفوه بجهلهم به ، وان ظفرت بيهودي فادخل عليه من جهة المسيح ، يعني مسيح اليهود الدجال وأنه المهدي ، وأن عند معرفته تكون الراحة من الاعمال وترك التكليفات ، كما أمر بالراحة في يوم السبت، وتقرب من قلوبهم بالطعن على النصارى والمسلمين الجهال،وزعمهم أن عيسى لم يولد ولاأب له ، وقر في نفوسهم أن يوسف النجار أبوه ، وأن مريم أمه ، وأن يوسف كان ينال منها ما ينال الرجال من نسائهم وما يشاكل ذلك ، فانهم لا يلبثون أن يتبعوك ، وادخل على النصارى بالطعن على اليهود والمسلمين جميعا ، وبصحة عقدهم الصليب عندهم وعرفهم تأويله ، وأفسد عليهم ما قام لهم من جحد الفار قليط ، وقرر عندهم أنه جاء وأنك اليه تدعوهم ، ومن وقع اليك من المنانية فانه يحرك الذي منه تغترف ، فداخلهم بالممازجة من الباب السادس ، وأظهر من الدرجة السادسة من حدود البلاغ ، وامتزاج الظلمة بالنور الى آخر ما في الباب من ذلك ، فانك تملكهم به وتحليهم ، فان أنست من بعضهم رشدا كشفت له الغطاء ، ومن وقع اليك من الفلاسفة فقد علمت أن على الفلاسفة العهدة ، وانا قد اجتمعنا وهم على نواميس الانبياء وعلى القول بقدم العالم ، لولا ما يخالفنا بعضهم فيه من أن للعالم مدبرا لا يعرفونه ، فانه وقع الاتفاق على أنه لا مدبر للعالم فقد زالت الشبهة فيما بيننا وبينهم ، وان لك ثنوي فبخ بخ قد ظفرت، فالمدخل عليه بابطال التوحيد ، والقول بالسابق والتالي ووراثة أحدهما ، على ما هو مرسوم في أول درجة البلاغ وثالثه ، وان وقع لك سني فعظم عنده أبا بكر وعمر واذكر فيهما فضائل ، واثلب عليا وولده واذكر لهم مساوىء ، ولوح له أن أبا بكر وعمر قد كان لهما في هذا الامر — الذي تلقيه اليه — نسب ، فاذا دخلت عليه بهذا المدخل درجته الى ما تريد وملكته ، واتخذ غليظ العهود ووكيد الايمان وشديد المواثيق جنة لك وحصنا ، ولا تهجم على مستجيبيك بالاشياء التي تبهر عقولهم ، حتى ترتيهم الى المراتب حالا فحالا ، ودرجهم درجة درجة ، فواحد لا تزيده على التشيع والايمان لمحمد بن اسماعيل شيئا ، وأنه حي لا تجاوز به هذا الحد ، وأظهر

لهم العفاف عن الدرهم والدينار وخفف عليهم وطأتك ، ومره بالصلاة السبعين ، وحذره الكذب والزنا واللواط وشرب الخمـر ، وعليك في أمره بالرفق والتؤدة والمداراة يكن لك عونا على دهرك وعلى من يعاديك أو يتغير عليك من أصحابـك وينافسك ، فلا تخرجه عن عبادة الهه ، والتدبر بشريعته ، والقول بامامة علي وبنيه الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وأقم له دلائل الاسابيع فقط ، ودقه بالصلاة دقا ، فانك ان أومأت الى كرائمه يوما ــ فضلا عن ماله ــ لم يمنعك ، فان أدركته الوفاة وصى اليك بما خلف وورثك اياه ، ولم ير أن في العالم أوثق منك ، وأخر ترقيه من ذلك الى نسخ شريعة محمد ، وأن السابع هو الخاتم للرسل ، وأنه ينطق كما نطقوا ويأتي بأمر جديد ، وأن محمدا صاحب الدور السادس ، وأن عليا لم يكن اماما ، وحسن القول فان هذا باب كبير وعلم عظيم ، مرجى الارتقاء الى ما هو أكبر منه ، ويعينك على زوال ما جاء من قبله من وجود النبوات ، على المنهاج الذي هو عليه ، قليل من ترقيه من هذا الباب الى معرفة أم القرآن ومؤلفه وسننه .

واياك أن تغتر بكثير ممن لم يبلغ معك الى هذه المنزلة فترقيه الى غيرها ، الا من بعد طول المؤانسة والمداوسة واستحكام الثقة ، ان ذلك يكون عونا لك عنـد بلاغه على تعطيل الكتب ، التي يزعمون أنها منزلة من عند الله ، فيكون هذا نعم المقدمة ، وآخر ترقيه من هذا الى ما هو أعلى منه ، فان القائم قد مات ، وأنه يقوم روحانيا ، وأن الخلق يرجعون اليه بصور روحانية ، وأنه يفصل بين العباد بأمر الله عز وجل ، يشتفى من الكافرين للمؤمنين بالصور الروحانية ، فان ذلك يكون عونا لك عند بلاغه على ابطال المعاد ، الذي يزعمونه والنشور من القبور ، وآخر ترقيه من هذا الى ابطال الملائكة في السماء والجن في الارض ، فانه قبل آدم بشر كثير ، وتقيم على ذلك الدلائل المرسومة من كتب شيوخنا المتقدمين ، فان ذلك مما يعنيك في وقت بلاغه ، على تسهيل التعطيل لله ، والارسال بالملائكة الى الانبياء ، والرجوع به الى الحق ، والقول بقدم العالم ، وآخر ترقيه الى أوائل درج التوحيد ، وتدخل عليه بما تضمنه كتاب الدرس الشافي للنفس من أن لا إله ، لا صفة ولا موصوف ، فان ذلك مما يعينك على القول بالإلهية ، تستحقها عند البلاغ الى ذلك ، ومن رقيته الى هذه المنزلـة فعرفه حسب ما عرفناك حقيقة من أمر الامام ، وأن اسماعيـل ومحمدا ابنه من أبوابه ، وفي ذلك عون لك على ابطال امامة ولد علي بن أبي طالب،

عند البلوغ والرجوع الى القول بالحق لأهله ثم لا تزال شيئا فشيئا في أبواب البلاغ السبعة ، حتى تبلغ الغاية القصوى على تدريج ، وكل باب يأتي يشهد للمتقدم قبله ، والمتقدم يشهد للمتأخر .

واستعمل في أمرك الكتمان كما يوصي بنى القوم خاصته ، فقال : استعينوا على أموركم بالكتمان ، ولا تظهر أحدا على شيء مما تظهر عليه من هو فوقه بوجه ولا سبب ، وعليك باظهار التقشف للعامة والوقار عندهم ، وتجنب ما هو منكر عندهم ، ولا تنبسط كل الانبساط لإخوانك البالغين كما فعل من كان قبلك فانه أتى بالتشديد ثم حل الامور ، فاذا تدبرت بهذا التدبير وسلكت طريقته فقد سلكت طريق الانبياء وأخذت حدودهم ، وعليك بعد ذلك بالاجتهاد في معالجة خفة اليد ، والاخذ بالاعين والحذق بالشعبذة،فلن يخلو من الحاجة الى ذلك عند قوم ينسبونك بعمله الى اقامة المعجزات ، كما نسبوا قوما تقدموا ، وعليك بمعرفة أحاديث الاولين وقصصهم وطرائقهم ومذاهبهم ، لتكون بينة امرك في الاقاويل على قدر ما يصلح لأهل زمانك ، ترشد وتوفق ويقدم على الايام أمرك ، ويعلو ذكرك ، ويكون الداخل في أمرك بعد وفاتك أكثر من الداخل معك في حياتك ، فينفع لك ولمخلفيك من بعدك بك ، وعلى يديك ويدي أمثالك من أهل النجابة والعقل دعوة الحق ، وتملك لك ولعقبك وذريتك ملكا لا ينبغي لغيرك مثله .

فهذه وصيتي لك مشتملة على جمل من النواميس الطارقة للانبياء على قدر عقولهم .

قال الشريف رحمه الله تعالى:ووجدت في هذا الكتاب المعروف بكتاب السياسة أيضا فصلا فيه (ولشيخنا الجليل المقدس) ، وهذا مختصر منه يوصي دعاته في أهل الاديان ــ وذلك لأمة محمد خاصة : ــ

فابذل الآن سيفك فيهم اذا تمكنت منهم وصار لك حزب ، وظهرت بهذه الحيل التي قد وقفتك عليها ، واستملت الناس بها فانهم أعداؤنا ، وصف أموالهم واستفره بناتهم وأولادهم ، ولا تحابي لهم ذمة ولا تحفظ لهم قربة ، ولا ترحم علويا ، فلو تمكن علوي كتمكن غيره من الانبياء للقينا منه جهدا ، وعبر بما يدعيه من حقوق جده على هؤلاء الحمير ما هو أكثر مما عبره جده ، واياك والاغضاء عمن تجده من ولد علي ، يعني اقتله اذا تمكنت منه ، واياك والرخصة لأحد من آسنانك في الثقة

بواحد منهم ، تهتدي وتوفق لا زلت بالعلم سعيدا ، والى الخير هاديا ومهديا ، وعلى جميع الاحوال الحمد لإلهنا على ما منحنا ، وصلواته على عباده المصطفين ، يعني إلهه الذي أباحه اللذات وأعماه عن الهدى ، وفتح له طرق الضلالة ، وعباده الذين اصطفى دعاته الذين بهم يضلون الناس .

هذا ما حكاه الشريف أبو الحسين من دعواتهم التسع،وعهدهم الذي يأخذونه ووصاياهـــم .

وحكى عز الدين بن الاثير الجزري رحمه الله تعالى في تاريخه الكامل ــ عند ذكره لأخبار القرامطة قال[١] :

وكان فيما يحكي عن مذهبهم أنهم جاءوا بكتاب فيه ــ يقول الفرج بن عثمان ــ وهو من قرية يقال لها نصرانة ، وهو داعية المسيح وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصور له في جسم انسان وقال : انك الداعية ، وانك الحجة ، وانك الناقة ، وانك الدابة ، وانك يحيى بن زكريا ، وانك روح القدس، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ــ ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول :

الله أكبر ، أربع مرات .

أشهد أن لا إلـــه إلا الله مرتين .

أشهد أن آدم رسول الله .

أشهد أن نوحا رسول الله .

أشهد أن ابراهيم رسول الله .

أشهد أن موسى رسول الله .

أشهد أن عيسى رسول الله .

أشهد أن محمدا رسول الله .

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله .

---

(١) الكامل : ٦/٧٠ ــ ٧١ .

(٢) في الكامل : ٦/٧٠ « بعد غروبها » .

وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ، وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة الى بيت المقدس ، والجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، والسورة التي يقرأها :

الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه ، المنجد لأوليائه بأوليائه ، قل ان الأهلة[1] مواقيت للناس ظاهرها ، ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام ، وباطنها ، أوليائي الذين عرفوا عبادي ، سبيلي : اتقوني يا أولي الالباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري أدخلته في جنتي وأخلدته في نعيمي ، ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلدته مهانا في عذابي ، وأتممت أجلي وأظهرت أمري على ألسنة رسلي ، وأنا الذي لم يعل علي جبار الا وضعته ، ولا عزيز الا أذللته ، وليس الذي أصر على أمره ودام على جهالته ، وقال : لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي ورب العزة ، وتعالى عما يقول الظالمون يقولها مرتين ، فاذا سجد قال : الله أعلى مرتين ، الله أعظم مرتين[2] .

ومن شرائعه أن يصوم يومين في السنة،وهما المهرجان والنيروز[3]، وأن النبيذ حرام ، والخمر حلال ، ولا غسل من جنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن من حاربه واجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذ منه الجزية ، ولا يؤكل كل ذي ناب ولا ذي مخلب .

وقد أخذ هذا الفصل حقه من الاطالة والاسهاب ، فلنذكر مبدأ هذه الدعوة .

---

(۱) انظر سورة البقرة ـ الاية ۱۸۹ ، فقد تم التصرف بها وبعدد آخر من آيات القرآن الكريم .

(۲) ورد هذا النص اكثر من مرة في كتابنا هذا ، ومن المفيد المقارنة بينها لا سيما ما كان مرويا عن مصدر واحد ، كما ورد هنا ولدى المقريزي .

(۳) كان المهرجان من اعياد الفرس قديما ويوافق موسم جمع الغلات ، ووافق يوم النيروز يوم الاعتدال الربيعي ، وكان الفرس يتخذونه عيدا أيضا .

ذكر ابتداء دعوة القرامطة

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : كان مبدأ هذه الدعوة الخبيثة الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وزعموا أنه الامام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق وأن البيعة له ، وأن الداعي انما يأخذها على الناس له ، وأن ما يجمع من الاموال مخزون له الى أن يظهر ، ولم تزل هذه الدعوة الى محمد بن اسماعيل الى أن هرب سعيد المسمى بعبيد الله من سلمية الى المغرب ، وتلقب بالمهدي فصار هو الامام ، وانتسب الى أنه من ولد اسماعيل بن جعفر ، فنقلوا الدعوة اليه ، وكان القول في المبدأ : أن محمد بن اسماعيل حي لم يمت ، وأنه يظهر في آخر الزمان وأنه مهدي الامة .

قال : ولم يكن غرض هذا المحتال أن يرفع محمد بن اسماعيل ، ولا يأخذ له بيعة ، انما جعله بابا يستغل به عقل من يدخل فيه ويتبين له أنه قد تمكن من خديعته وبلغ المراد منه ، شيعيا كان أو سنيا . قال : ولما أظهر اللعين ما أظهر من هذه الاقوال كلها ، بعد تعلقه بذكر الائمة والرسل والحجة والامام ، وأنه المعول والقصد والمراد، وبه اتسقت هذه الامور ولولا هو لهلك الحق وعدم الهدى والعلم ، وظهر في كثير منهم الفجور، وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء، وقتل جماعة ممن أظهر خلافا لهم، فخافهم الناس جدا واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم ، مقاربة لهم وجزعا منهم .

ثم ان الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا ، يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون اليها ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة في طسوج الفرات ـ من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات ، قرية تعرف بمهتماأباذ ، فنقلوا اليها صخرا عظيما ، وبنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانية أذرع ، وجعلوا من ورائه خندقا عظيما ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت ، وبنوا فيها البنيان العظيم ، وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت دار الهجرة وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين[1] .

---

(١) في كنز الدرر للدواداري ص ٥٣ (القاهرة ١٩٦١) تسع وتسعين ، وفي اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١١٣ : سبع وتسعين .

فلم يبق بعد هذا أحد الا خافهم ، ولا بقي أحد يخافونه لقوتهم وتمكنهم في البلاد ، وكان الذي أعانهم على ذلك تشاغل السلطان ببقية الخوارج وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان وخراب العراق وركوب الاعراب واللصوص وتلف الرجال وفساد البلدان وقلة رغبة من يلي الاعمال من ذوي الاصلاح والامانة من العمال وأصحاب الحروب ، فتمكن هؤلاء الدعاة ومن تبعهم بهذا السبب ، وبسطوا أيديهم في البلاد وعلت كلمتهم ، فغلبوا على ذلك سنين .

ذكر انتقاض الدعوة عن حالتها الأولى ومقتل عبدان وما كان من امر زكرويه بعده

قال الشريف : وكان قرمط يكاتب من بسلمية من الطواغيت فلما توفي من كان في وقته وجلس ابنه من بعده كتب الى حمدان قرمط كتابا ، فلما ورد عليه الكتاب وقرأه أنكر ما فيه ، وتبين فيه ومنه ألفاظا قد تغيرت ، وشيئا ليس هو على النظام الاول ، فاستراب به وفطن أن حادثة حدثت ، فأمر قرمط بن مليح — وكان داعيا من دعاته — أن يخرج فيتعرف الخبر ، فامتنع عليه واعتذر ، فأنفذ من أحضر عبدان الداعية من عمله ، فلما حضر أنفذه ليتعرف ما حدث من هذا الامر ، ويكشف عن سبب تغيره ، فسار عبدان لذلك ، فلما وصل عرف بموت الطاغية الذي كانوا يكاتبونه ، فاجتمع بابنه وسأله عن الحجة ومن الامام بعده ، الذي يدعو اليه، فقال الابن : ومن الامام ؟ قال عبدان : محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذي كان أبوك يدعو اليه ، وكان حجته ، فأنكر ذلك عليه وقال : محمد بن اسماعيل لا أصل له ، ولم يكن الامام غير أبي وهو من ولد ميمون بن ديصان ، وأنا أقوم مقامه ، فعرف عبدان القصة واستقصى الخبر وعلم أن محمد بن اسماعيل ليس له في هذا الامر حقيقة ، وانما هو شيء يحتالون به على الناس ، وأنه ليس من ولد عقيل بن أبي طالب ، فرجع عبدان الى قرمط فعرفه الخبر ، فأمره قرمط أن يجمع الدعاة ويعرفهم صورة الامر وما تبين منه ، ويقطع الدعوة، ففعل عبدان ذلك وقطعت الدعوة من ديارهم ، ولم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها كانت قد امتدت في سائر الاقطار وامتد شرها ، وقطعت الدعاة مكاتبة أصحابهم الذين بسلمية .

وكان رجل من أولاد القداح قد نفذ الى الطالقان يبث الدعاة ، ونزل بقرمط وهو بسواد الكوفة عند عبوره الى الطالقان ، وكانت الدعاة يكاتبونه ، فلما انقطعت المكاتبة عن جميع أولاد القداح قطعت عن هذا الذي بالطالقان ، فطال انتظاره ، فشخص عن الطالقان ليقصد قرمط ، وكان قرمط قد سار الى كلواذي ، فلما وصل الى كلواذي سأل عن قرمط ، فعرف أنه انتقل فلا يدرى أين مضى وما عرف لقرمط بعد ذلك خبر ، ولا علمت وفاته ولا ما اتفق له ، فقصد ابن القداح سواد الكوفة ، فنزل على عبدان ، فعتب عليه وعلى جميع الدعاة في انقطاع كتبهم عنه ، فعرفه عبدان أنهم قطعوا الدعوة وأنهم لا يعودون فيها ، وأن أباه كان قد غرهم وادعى نسبه من عقيل بن أبي طالب كذبا ، ودعا الى المهدي ، فكنا نعمل على ذلك ، فلما تبينا أنــه لا أصل لذلك ، وعرفنا أن أباك من ولد ميمون بن ديصان وأنه صاحب الامر تبنا الى الله تعالى مما تحملناه ، وحسبنا ما كفرنا أبوك فتريد أن تردنا كفارا ؟! انصرف عنا الى موضعك •

قال : وكان عبدان قد تاب من هذه الدعوة حقيقة ، فلما أيس منه صار الى زكرويه بن مهرويه ، فعرفه خبر عبدان وما رد عليه ، فلقيه زكرويه بكل ما يحب ، وقدر أنه ينصبه داعيا مقام أبيه ، فيستقيم له أخذ الاموال وجمع الرجال ، وواطأه على ذلك ، وقال له : إن هذا الامر لا يتم مع عبدان ، لأنه داعي البلد كله ، والدعاة من قبله والناس من تحت يده ، وأنه لا يجيبه الا أهل دعوتــه خاصة • وشرعا في اعمال الحيلة على قتل عبدان ، واتفقا على ذلك ، ثم وجه زكرويه الى رجل من بني تميم بن كليب وأخ له كانا من أهل دعوته ، وأحضر جماعة من قراباته وثقاته فأظهرهم على ابن اللعين ، وعرفهم أنه ابن الحجة ، وأن الحجة توفي وأن ابنه هذا يقوم مقامه ، فأجلوه وأعظموه وقالوا له : مرنا بأمرك ، فأمرهم بقتل عبدان ، وعرفهم أنه نافق وعصى وخرج عن الملة ، فساروا اليه من ليلتهم وبيتوه فقتلوه ، وكان زكرويه هذا من تحت يد عبدان ، وعبدان هو الذي أقامه داعية فلما شاع في الناس أن زكرويه قتل عبدان طلبه الدعاة والقرامطة ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم بأسرهم الا أهل دعوته ، وخاف على نفسه ، ولم يتم له أمره الذي دبره ، فقال لابن اللعين : قد ترى ما حدث ، ولا آمن عليك وعلى نفسي ، فارجع الى بلدك ودعني ، فاني أرجو أن يتغير الامر ، فأتمكن من الناس وأدعوهم اليك ، فاذا تمكنت من ذلك أرسلت اليك

لتصير الي ، فانصرف الى الطالقان واستتر زكرويه وتنقل في القرى ، وذلك في سنة ست وثمانين ومائتين ، والقرامطة تطلبه وأصحاب عبدان يرصدونه ، وكان قد اتخذ مطمورة تحت الارض على بابها صخرة ، فاذا دخل قوم الى القرية في طلبه قامت امرأة في الدار التي هو فيها الى تنور ينقل ، فوضعته بقرب الصخرة ثم أشعلت النار، وأرت أنها تريد أن تخبز ، فيخفى أمره على من يطلبه ، فمكث كذلك سنة ست وسنة سبع وثمانين ومائتين[1] . فلما رأى انحراف أهل السواد عنه الا أهل دعوته وطال أمره ، أنفذ ابنه الحسن في سنة ثمان وثمانين ومائتين الى الشام ، وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى بعد ذكرنا لأخبار أبي سعيد الجنابي .

ذكر أخبار ابي سعيد الجنابي وظهوره بالبحرين

هو أبو سعيد بن بهرام من أهل جنابة ، وأصله من الفرس وكان يعمل الفراء وسبب دخوله في هذه الدعوة وظهوره ، أنه سافر الى سواد الكوفة ، فذكر أنه تزوج بقرية من سواد الكوفة ، الى قوم يقال لهم بنو القصار، وكانوا أصولا في هذه الدعوة الخبيثة فأخذها عنهم ، وقيل بل أخذ الدعوة عن نفسه ، وقد قيل انه تلقاها عن حمدان قرمط ، وسار داعية من قبله فنزل القطيف ، وهي حينئذ مدينة عظيمة ، فجلس بها يبيع الدقيق ولزم الوفاء والصدق ، ودعا الناس ، فكان أول من أجابه الحسين وعلي وحمدان بنو سنبر،وقوم ضعفاء مابين قصاب[2] وحمال وأمثال هؤلاء .

قال الشريف أبو الحسين : فلما دعا بتلك الناحية وقويت يده واستجاب له الناس وجد بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا الطمامي[3] كان عبدان الداعي أنفذه قبل أبي سعيد الى القطيف وما والاه ، فلما تبين أمره أبو سعيد الجنابي عظم عليه أن

---

(١) يلاحظ ان الروايات الاخرى اوردت ان الاختفاء بعد اخفاق قرامطة الشام وفرارا من السلطات .

(٢) سنلاحظ ان عددا كبيرا من زعماء القرامطة كانوا حرفيين مما دفع الى الافتراض ان القرامطة قاموا ليس فقط بالانتشار بين الصناع والحرفيين بل اسسوا نظام النقابات والاصناف .

(٣) لعله من اصل يماني من طمام ، وكان سوقا شهيرا في منطقة لاعة ، صفة الجزيرة: ١١١ ، ٢٤٨ .

يكون داع غيره ، فقبض عليه وحبسه في بيت حتى مات هزلا ، قال : وقد ذكر أن هذا الداعي أخذ على بني سنبر قبل أبي سعيد ، وكان في أنفسهم حقد عليه لقتله أبا زكريا .

وحكى ابن الاثير الجزري في تاريخه الكامل ابتداء أمر القرامطة بناحية البحرين[٣] .

أن رجلا يعرف بيحيى بن المهدي قصد القطيف، ونزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان ، وكان متغاليا في التشيع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي، وذلك في سنة احدى وثمانين ومائتين ، وذكر أنه خرج الى شيعته يدعوهم لأمره ، وأن خروجه قد قرب ، فجمع علي بن المعلى الشيعة من أهل القطيف ، وأوقفهم على الكتاب الذي أحضره يحيى بن المهدي من المهدي اليهم ، فأجابوه : انهم خارجون معه اذا ظهر أمره ، وأجابه سائر قرى البحرين بمثل ذلك ، فكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي ، ثم غاب يحيى بن المهدي مدة ، ورجع بكتاب يزعم أنه من المهدي الى شيعته ، فيه : قد عرفني رسولي يحيى بن المهدي مسارعتكم الى أمري ، فليدفع اليه كل رجل منكم ستة دنانير وثلثي دينار ، ففعلوا ذلك ثم غاب وعاد بكتاب ، فيه ادفعوا الى يحيى خمس أموالكم ، فدفعوا اليه الخمس .

قال : وحكى أن يحيى بن المهدي جاء الى منزل أبي سعيد الجنابي فأكل طعاما ، وخرج أبو سعيد من البيت وأمر امرأته أن تدخل الى يحيى ، وأن لا تمنعه اذا أرادها ، فانتهى الخبر الى الوالي فضرب يحيى وحلق رأسه ولحيته ، وهرب أبو سعيد الى جنابة ، وصار يحيى الى بني كلاب وعقيل والحريش ، فاجتمعوا معه ومع أبي سعيد فعظم أمر أبي سعيد ، واشتدت وطأته وظهر أمره ، قال : وكان ظهوره بالبحرين في سنة ست وثمانين ومائتين .

ذكر استيلاء ابي سعيد الجنابي على هجر وما كان من خلال ذلك من حروبه ووقائعه

قال الشريف أبو الحسين : كان من الاتفاق لأبي سعيد أن البلد الذي قصده بلد واسع كثير الناس ، ولهم عادة بالحروب ، ورجال شداد جهال غفل القلوب ،

---

(١) الكامل : ٦/٩٢ — ٩٣ .

بعيدون من علم شريعة الاسلام ومعرفة نبوة أو حلال أو حرام،فظفر بدعوته في تلك الناحية ، ولم يناوئه مناوىء ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه حتى اشتدت شوكته جدا، وكان لا يظفر بقرية الا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس وأجابه كثير منهم طلبا للسلم، ورحل من البلد خلق كثير الى نواحي مختلفة وبلدان شتى ، خوفا من شره ، ولم يمتنع عليه الا هجر ، وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها والتجار والوجوه ، فنازلها شهورا يقاتل أهلها ، فلما طال عليه أمرها وكل بها جل أصحابه من أهل النجدة ، ثم ارتفع فنزل الاحساء وبينها وبين هجر ميلان ، فابتنى بها دارا وجعلها منزلا ، وتقدم في زراعة الارض وعمارتها ، وكان يركب في الايام الى هجر هو ومن يحاصرها ، ويعقب من أصحابه في كل أيام قوما ، ثم دعا العرب فأجابه أول الناس ، بنو الاضبط من كلاب ، لان عشيرتهم كانوا أصابوا فيهم دما ، فساروا اليه بحرمهم وأموالهم فنزلوا الاحساء ، وأطمعوه في بني كلاب وسائر من يقرب منه من العرب، وطلبوا منه أن يضم اليهم رجالا ففعل ذلك ، فلقوا بهم عشيرتهم فاقتتلوا فهزمتهم القرامطة فأكثروا فيهم القتل ، وأقبلوا بالحريم والاموال والامتعة نحو الاحساء ، فاضطر المغلوبين الى أن دخلوا في طاعته وصاروا تحت أمره ، ثم وجه أبو سعيد بجيش آخر الى بني عقيل فظفر بهم ، فقصدوه ودخلوا في طاعته ، فملك تلك الفلاة ، وتجنب قتاله كل أحد الا بني ضبة ، فانها ناصبته الحرب ، فلما اجتمع اليه من اجتمع من العرب وغيرهم خوفهم ومناهم ملك الارض كلها ، فاستجاب بعضهم الى دعوته فرد اليهم ما أخذ منهم من أهل وولد ، وأجاب آخرون رغبة في دعوته ، ولم يرد على أحد ابلا ولا عبدا ولا أمة وأنزل الجميع معه الاحساء ، وأبى قوم دعوته فرد عليهم حرمهم ومن لم يبلغ من أولادهم أربع سنين وشيئا من الابل يحملون عليه ، وحبس ما سوى ذلك كله ، وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قواما ، وأجرى عليهم ما يحتاجون اليه ، ووسم جميعهم على الخدود لئلا يختلطوا بغيرهم ، وعرف عليهم عرفاء ، وعلم من صلح لركوب الخيل والطعان فنشأوا لا يعرفون غيره ، وصارت دعوته طبعا لهم، وقبض كل مال في البلد والثمار والحنطة والشعير ، وأنفذ الرعاة في الابل والغنم ، وقوما للنزول معها لحفظها والتنقل معها على نوب معروفة ، وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل أحد الى غير ما يطعمه ، وهو لا يغفل مع ذلك عن هجر ، فلما

أضجروه وطال أمرهم وقد كان بلغ منهم الحصار كل غاية،وأكلوا السنانير والكلاب وكان حصارهم يزيد على عشرين شهرا، ثم جمع أصحابه وحشد لهم وعمل الدبابات، ومشى بها الرجال الى السور ، فاقتتلوا أشد قتال لم يقتتلوا مثاه قبل ذلك ، ودام القتال عامة النهار ، وكل منتصف من الآخر ، وكثرت بينهم القتلى ، ثم رجع الى الاحساء . ثم باكرهم فناوشوه فانصرف ، فلما قرب من الاحساء أمر الرجالة ومن جرح أن ينصرف ، وعاود في خيل فدار حول هجر ، وفكر فيما يكيدهم به ، واذا لهجر عين يجتمع ماؤها في نهر ويستقيم حتى يمر بجانب هجر ملاصقا ، ثم ينزل الى النخيل فيسقيها ، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم ، فلما تبين له أمر العين انصرف الى الاحساء ، ثم غدا فأوقف على باب المدينة عسكرا ، ثم رجع الى الاحساء وجمع الناس كلهم وسار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف ، وأمر قوما بجمع الحجارة وآخرين ينفذون بها الى العين ، وأعد الرمل والحصى والتراب ، فلما اجتمع أمر أن يطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين ، وأن يطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة ففعل، فقذفته العين ولم يغن ما فعلوه شيئا ، فانصرف الى الاحساء هو ومن معه ، وغدا في خيل فضرب في البر ، وسأل عن منتهى العين فقيل له انها تتصل بساحل البحر ، وأنها تنخفض كلما نزلت ، فرد جميع من كان معه وانحدر على النهر نحوا من ميلين ثم أمر بحفر نهر هناك ، ثم أقبل هو وجمعه يأتون في كل يوم ، والعمال يعملون حتى حفرة الى السباخ ، ومضى الماء كله عنهم فصب في البحر ، فلما تم له ذلك نزل على هجر وقد انقطع الماء عمن بها ، فأيقنوا بالهلاك فهرب بعضهم نحو البحر ، فركبوه الى جزيرة أوالي وسيراف وغيرهما ، ودخل قوم منهم في دعوته ، وخرجوا اليه فنقلهم الى الاحساء ، وبقيت طائفة لم يقدروا على الهرب ولم يدخلوا في دعوته ، فقتلهم وأخذ ما في المدينة ثم أخربها ، وصارت الاحساء مدينة البحرين .

ذكر الحرب بين القرامطة اصحاب ابي سعيد واهل عمان

قال : ولما استولى على هجر وخربها أنفذ سرية من أصحابه ستمائة فارس الى عمان ، فوردت على غفلة فقتلوا ونهبوا وأسروا في عمل عمان وأنفذ أهل عمان سرية اليهم في ستمائة رجل من أهل النجدة فأدركوهم فجعلت القرامطة ما غنموه وراء

ظهورهم ، وأقبلوا نحو أهل عمان فاقتتلوا ، حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف وتعانقوا ، وتكادموا وتراضخوا بالحجارة ، فلم تغرب الشمس حتى تفانوا ، فبقي من أهل عمان خمسة نفر لا حراك بهم ، ومن القرامطة ستة نفر مجرحين الا أنهم أحسن حالا من العمانية،فركب القرامطة ست رواحل وعادوا الى أبي سعيد الجنابي، فأخبروه الخبر واعتذروا اليه ، فلم يقبل عذرهم وأمر بهم فقتلوا ، وقال : هؤلاء خاسوا بعهدي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا ، فأنزلت بهم ما كانوا له أهلا ، وتطير بهلاك السرية وأمسك عن أهل عمان[1] .

ذكر الحرب بين القرامطة وعسكر المعتضد بالله
وانتصار القرامطة

قال : ولما كان من أمر أبي سعيد الجنابي ما كان، اتصلت أخباره بالمعتضد بالله، وكتب اليه أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي — وهو اذ ذاك يتولى البصرة — يعلمه خبر أبي سعيد ، وأنه اتصل به أنه يريد الهجوم على البصرة ، فأمره المعتضد بالله آن يعمل على البصرة سورا فعمله ، فكان مبلغ ما صرف عليه أربعة عشر ألف دينار ، ثم كتب الواثقي الى المعتضد يسأله المدد ، فسير اليه ثلاثمائة رجل في سماريات ، وأنفذ المعتضد بالله العباس بن عمرو الغنوي في آلفي رجل ، وأقطعه اليمامة والبحرين وأمره بمحاربة القرامطة — وكان يتولى بلاد فارس — فسار الى البصرة فوردها وذلك في سنة سبع[2] وثمانين ومائتين ، وخرج منها نحو هجر ، وبينهما بضع عشرة ليلة في فلاة مقفرة ، وتبعه من مطوعة البصرة نحو من ثلاثمائة رجل من بني ضبة وغيرهم ، وعرف أبو سعيد خبرهم فسار نحوهم وقدم أمامه مقدمة ، فلما عاينهم العباس بن

---

(١) أورد الاصطخري ص ٩٠ (ط. ١٩٦١ القاهرة) ... ومنهم الحسن الجنابي ويكنى بأبي سعيد من أهل جنابه ، كان دقاقا أظهر مذهب القرامطة فنفى عن جنابه ، فخرج منها الى البحرين فأقام بها تاجرا ، يستميل العرب بها ويدعوهم الى نحلته حتى استجابوا له ، وملك البحرين وما والاها ، فكان من كسره عساكر السلطان وعينه وعدوانه على اهل عمان وسائر ما يصاب من بلدان العرب ما قد انتشر ذكره ، حتى قتل وكفى الله امره .

(٢) في كنز الدر للدواداري ص ٥٧ : تسع .

عمرو خلف سواده وسار اليهم فيمن خف من أهل العسكر وأدرك أبو سعيد مقدمته في باقي أصحابه ، فتناوشوا القتال فكانت بينهم حملات ، ثم حجز الليل بينهم فانصرفوا على السواء فلما جاء الليل انصرفت مطوعة البصرة ومن معهم من بني ضبة ، فكسر ذلك الجيش وفت في أعضادهم ، وأصبح العباس بن عمرو فعبأ أصحابه للقتال والتقوا ، فجعل بدرا غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ في نحو مائة من أصحابه على ميمنة أبي سعيد فأوغل فيهم فلم يرجع منهم أحد ، وحمل أبو سعيد على العباس وأصحابه فانهزموا ، وأسر العباس بن عمرو ومعه نحو من سبعمائة رجل من أصحابه، واحتوى القرامطة على عسكره ، وقتل أبو سعيد من غد يومه جميع الاسرى ثم أحرقهم ، وترك العباس بن عمرو ومضى المنهزمون فتاه كثير منهم في البر وتلف كثير منهم عطشا ، وورد قوم منهم البصرة فارتاع الناس لهم ، حتى أخذوا في الانتقال عن البصرة فمنعهم الواثقي •

قال : ولما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد الجنابي العباس بن عمرو ، وقال له : أتحب أن أطلقك ؟ قال : نعم قال : على أن تبلغ عني صاحبك ما أقول ، قال : أفعل ، قال : تقول الذي أنزل بجيتك ما أنزل بغيك ، هذا بلد كان خارجا عن يدك غلبت عليه وأقمت به وكان فيّ من الفضل ما آخذ غيره ، فما عرضت لما كان في يدك ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلا،ولا نلت أحدا من رعيتك بسوء،فتوجيهك الي الجيوش لأي سبب ؟! اعلم اني لا أبرح عن هذا البلد ولا يوصل اليه وفيّ ، وفي هذه العصابة التي معي روح ، فاكنفني نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة، ولا تصل الى مرادك منه الا ببلوغ القلوب الحناجر ، وأطلقه وأرسل معه من يرده الى مأمنه ، فأوردوه بعض السواحل فصادف مركبا فركب فيه الى الابلة ، ووصل الى بغداد في شهر رمضان من السنة •

قال : وقد كان الناس يعظمون أمر العباس ويكثرون ذكره ويسمونه قائد الشهداء ، فلما وصل الى المعتضد بالله عاتبه على تركه الاستظهار والتحرز وأنبه ، فاعتذر بهرب بني ضبة ومن كان معهم من المطوعة وهرب أصحابه عنه ، وأنه لو أراد الهرب لأمكنه ، فلم يبرح حتى رضي عنه وزال همه ، ثم سأله عن خبره فعرفه جميعه ، ووصف له أحوال القرامطة وما قاله أبو سعيد بعد أن استأذنه في ذلك فأذن له ، فقال : صدق ما أخذ شيئا كان في أيدينا ، وأطرق مفكرا ثم رفع رأسه ، فقال :

كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بي عمر لأشخصن بنفسي الى البصرة وجميع غلماني ،ولأوجهن اليه جيشا كثيفا فان هزمه وجهت جيشا ، فان هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي إليه ، حتى يحكم الله بيني وبينه ، وشغله بعد ذلك أمر وصيف غلام ابن آبي الساج وأحفزه[1] ، فخرج في طلبه وهو عليل ، وذلك في شوال من هذه السنة ، فأخذه وعاد الى بغداد فدامت علته واستمر وجعه ومات •

قال القاسم بن عبيد الله : ما زال أمير المؤمنين المعتضد بالله يذكر أمر أبي سعيد في مرضه ويتلهف ، فقلت : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت في نفسي أن أركب ، ثم أخرج الى باب البصرة متوجها نحو البحرين ، ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفي الا ضربت عنقه ، واني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة •

قال : وأقبل أبو سعيد بعد اطلاق العباس على جمع الخيل واعداد السلاح واتخاذ الابل واصلاح الرجال ونسج الدروع والمغافر ونظم الجواشن وضرب السيوف والاسنة ، واتخاذ الروايا والمزاود والقرب وتعليم الصبيان الفروسية، وطرد الاعراب عن قربه ، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال ، واصلاح مثل هذه الامور وتفقدها ، ونصب الامناء على ذلك ، واقامة العرفاء على الرجال ، والاحتياط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقده واحتياطه أن الشاة كانت تذبح فيسلم اللحم الى العرفاء ، ليفرقوه على من يرسم لهم ، ويدفع الرأس والاكارع والبطن الى العبيد والاماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله ثم يدفع الى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد الى الدباغ ، فاذا خرج من الدباغ سلم الى خرازي القرب والروايا والمزاود ، وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفافا عمل منه ، ثم يجمع ذلك كله الى خزائن ، فكان ذلك دأبه لا ينفك عنه ، ويوجه في كل مديدة بخيل الى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت فتصير بهم اليه فيستعبدهم ، فزادت بلاده وعظمت هيبته في صدور الناس •

---

(١) انظر خبر ذلك في الكامل لابن الاثير : ٦/٩٤ .

قال الشريف أبو الحسين : وقد كان واقع بني ضبة عند طرده لهم عن قرب بلده ، فأصاب منهم وأصابوا منه ، ولم يتباعدوا عنه بعيدا ، فلما شخص مع العباس ابن عمرو منهم من شخص ــ في وقت مسيره لقتاله ــ ازداد بذلك حنقا عليهم ، فواقعهم وقائع مشهورة بالشدة والعظم ، ثم ظفر بهم فأخذ منهم خلقا ، وبنى لهم حبسا عظيما وجمعهم فيه وسده عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب فصاحوا وضجوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهرا ثم فتح عليهم ، فوجد الاكثر منهم موتى ، ووجد نفرا يسيرا قد بقوا على حال الموتى ، وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فخصاهم وخلاهم فمات أكثرهم •

ذكر مقتل ابي سعيد الجنابي

كان مقتله في سنة احدى وثلاثمائة بعد أن استولى على سائر بلاد البحرين ، وكان سبب مقتله أنه لما هزم جيش العباس بن عمرو كما تقدم، واستولى على عسكره، أخذ من عسكره خادما له صقلبيا[1] ، فاستخدمه وجعله على طعامه وشرابه ، فمكث كذلك مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا لله عز وجل صلاة واحدة ، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره يوما واحدا ، فأضمر الخادم لذلك قتله ، فدخل معه الحمام يوما ــ وكان الحمام في داره ، فأخذ الخادم معه خنجرا ماضيا ــ ولم يكن معه في الحمام غيره ، فلما تمكن منه أضجعه فذبحه ، ثم خرج فقال : السيد يستدعي فلانا لبعض بني سنبر فأحضر فقال : ادخل فدخل ، فبادره فقبض عليه وذبحه ، ولم يزل يستدعي من رؤساء القرامطة واحدا واحدا حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ، الى أن استدعى بعضهم فنظر عند دخوله الى باب البيت الاول دما جاريا فاستراب بذلك وخرج مبادرا فلم يدركه الخادم وأعلم الناس ، وعمد الخادم الى الباب فأغلقه وكان وثيقا ، فاجتمع الناس ونقبوا نقوبا الى أن وصلوا اليه ، فأخذه ابنه سعيد فأمر بشده بالحبال ، ثم قرض لحمه بالمقاريض حتى مات رحمه الله تعالى •

---

(١) المثير للانتباه ان الغلمان الصقالبة كانوا غير منتشرين في المشرق ، بل في المغرب والاندلس ، والرقيق الابيض في المشرق كان جله من أصل تركي ، فهل يعني هذا ارسال هذا الغلام من الشمال الافريقي بطريقة ما ، وذلك من قبل الخلافة الناشئة هناك ؟

وخلف أبو سعيد من الاولاد : أبا القاسم سعيدا ، وأبا طاهر سليمان ، وأبا منصور أحمد ، وأبا العباس[1] ابراهيم ، والعباس محمد ، وأبا يعقوب يوسف ، وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته وبني[2] زرقان ، وكان أحدهم زوج ابنته ، وبني سنبر ، وكان متزوجا اليهم ، وهم أخوال أولاده وبهم قامت دولته وقوي أمره، فأوصى اليهم ان حدث به موت أن يكون القيم بأمرهم ابنه سعيدا الى أن يكبر أبو طاهر ، وكان سعيد أكبر من أبي طاهر سنا ، فاذا كبر أبو طاهر كان المدبر لهم ، فلما قتل جرى الامر على ما وصاهم به ، وكان قد أخبرهم أن الفتوح تكون لأبي طاهر ، فجلس سعيد يدبر الامر بعد مقتل أبيه الى سنة خمس وثلاثمائة ، ثم سلم الامر لأخيه أبي طاهر فدبره وعمل أشياء موه بها على عقول أصحابه فقبلوها وعظموا أمره ، وكان من أخباره ما نذكره ان شاء الله تعالى ، وكانت مدة تغلب أبي سعيد على البحرين وما والاها نحوا من ستة عشر سنة .

ذكر اخبار ابي القاسم الصناديقي ببلاد اليمن

وفي سنة ست وثمانين ومائتين استولى أبو القاسم النجار المعروف بالصناديقي على اليمين ، وكان ابن أبي الفوارس داعي عبدان قد أنفذه داعيا الى اليمن ، وكان هذا الصناديقي من موضع يعرف بالنرس ، وكان يعمل فيه الثياب النرسية ، وقيل انه كان يعمل في الكتان ، فلما صار الى اليمن أجابه رجل من الجند يعرف بابن الفضل ، فقوي أمره على اقامة الدعوة الخبيثة ، فدخل فيها خلق كثير ، فخلعهم من الاسلام ، وأظهر العظائم ، وقتل الاطفال وسبى النساء، وتسمى برب العزة وكان يكاتب بذلك، وأظهر شتم النبي ﷺ وسائر الانبياء ، واتخذ دارا سماها دار الصفوة ، وكان يأمر الناس بجمع نسائهم من أزواجهم وبناتهم واخوانهم ، ويأمرهم بالاختلاط بهن ليلا ووطئهن ، ويحتفظ بمن تحبل منهن في تلك الليلة وبمن تلد من بعد ذلك ، ويتخذهم لنفسه خولا ويسميهم أولاد الصفوة . وعظمت فتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهله عنه وأجلى السلطان ، وقاتل أبا القاسم محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم

---

(١) في اتعاظ الحنفا ص ٢٢١ ، وكنز الدرر ص ٦٢ : أبا اسحاق ابراهيم .
(٢) في كنز الدرر للدواداري ص ٦٢ : بني زبرقان .

الحسني الهادي[1] وقلعه عن عمله بصعدة ، وألجأه الى أن هرّب عياله الى الرس حذرا منه لقوته عليه ، ثم ان الله عز وجل رزقه الظفر به فهزمه ، وكان ذلك بلطف من ألطاف الله تبارك وتعالى ، وهو أن ألقى على عسكره وقد بايته بردا وثلجا ، قتل به أكثر أصحابه في ليلة واحدة ، وقل ما يعرف مثل هذا من البرد والثلج في ذلك البلد ، ولما طغى وبغى قتله الله بالاكلة وأنزل بالبلدان التي غلب عليها بثرا قاتلا ، كان يخرج على كتف الرجل منهم بثرة فيموت في سرعة ، فسمى ذلك البثر حبة القرمطي ، وأخرب الله تعالى أكثر تلك البلاد التي ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع، واعتصم ابنه بعده بالجبال والقلاع،ولم يزل بها مقيما يكاتب أهل ملته ، ويعَنْوِن كتبه : من ابن رب العزة ، ثم أهلكه الله عز وجل وبقيت منهم بقية ، فاستأمنوا الى أبي القاسم محمد بن الهادي ، ولم يبق للنجار بقية ولا لمن كان على مذهبه •

ولنرجع الى أخبار زكرويه بن مهرويه وخبر من أرسله الى الشام •

ذكــر ظهور القرامطــة بالشام
وما كان من امرهــم وحروبهم

قد قدمنا من أخبار زكرويه بن مهرويه واختفائه وحرص أصحاب عبدان على قتله، وأنه لما طال عليه الامر أرسل ابنه الحسن الى الشام وذلك في سنة ثمان وثمانين ومائتــين •

قال الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسيني رحمه الله: ولما أرسل زكرويه ابن مهرويه ابنه الى الشام أرسل معه رجلا من القرامطة من أهل نهر ملحانا ، يقال له الحسن بن أحمد ويكنى بأبي الحسين ، وأمره أن يقصد بني كلب ، وينتسب لهم الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ويدعوهم الى الامام من ولده ، فاستجاب له فخذ من بني العليص بن ضمضم بن عدي بن جناب بن كلب بن وبرة ومواليهم وانضاف

---

(1) في الاصل : « وقاتل القاسم بن احمد بن يحيى » وهو تصحيف صوابه ما اثبتناه انظر ص ٢٦٦ ـ ٢٧٣ من كتابنا هذا .

اليه طائفة من بني الاصبغ من كلب ، ويسمى هؤلاء بالفاطميين وبايعوه ، وكان الخبيث لما رجع الى الطالقان يكتب الى زكرويه يستأذنه في القدوم عليه ، فيجيب بالتوقف ، فخرج نحو العراق ، فلما وصل الى السواد وجد زكرويه مختفيا ، فلم يزل حتى توصل الى المكان الذي هو فيه ، فلم يظهر له لوما على قدومه وبعث اليه بخبر من استجاب له بالشام ، فقال : أنا أخرج حتى أظهر فيهم هناك ، فوجه اليه : نعم ما رأيت ، فضم اليه ابن أخيه عيسى بن مهرويه ، ويسمى بالمدثر لقبا وبعبد الله اسما ، وغلاما من بني مهرويه فتلقب بالمطوق وكان سيافا[1] ، وأنفذهم الى الشام ، الى ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره له بالسمع والطاعة ، فسار حتى نزل في بني كلب ، فلقيه الحسن بن زكرويه وسر به ، وجمع له الجمع وقال : هذا صاحب الامام فامتثلوا أمره ، وسروا به وقالوا له : مرنا بأمرك وبما أحببت ، فقال لهم استعدوا للحرب فقد أظلكم النصر ، ففعلوا ذلك ، واتصلت أخبارهم بشبل الديلمي مولى المعتضد ، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين فقصدهم فقتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه ، وكانت الوقعة بالرصافة من غربي الفرات ، ودخلوا الرصافة وأحرقوا مسجدها ونهبوها ، وأصعدوا نحو الشام ، واعترضوا الناس بالقتل والتحريق ونهب القرى، الى أن وردوا أطراف دمشق، وكان هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون رد أمر دمشق الى طغج بن جف الفرغاني ، فلقيتهم عساكره فانهزمت ، ولم تثبت ، وقتل كثير منهم وأخذوا منهم ما قدروا عليه .

قال : ولما هزم طغج نزل على دمشق وقاتل أهل البلد ، وكان يحضر الحرب على ناقة ويقول لأصحابه : لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فاذا سارت فاحملوا فانه لا ترد لكم راية اذ كانت مأمورة ، فسمي بذلك صاحب الناقة ، وحصر طغج بدمشق سبعة أشهر ، فكتب طغج الى مصر بخبر من قتل من أصحابه ، وأنه محصور وقد فني أكثر الناس وخرب البلد ، فأنفذوا اليه بدراً الكبير غلام ابن طولون ــ وهو المعروف بالحمامي ــ فسار حتى قرب من دمشق وخرج اليه طغج واجتمعوا على محاربة القرامطة، والتقوا واقتتلوا بقرب دمشق، فأصاب رئيس القرامطة ــ ابن القداح ــ

---

(١) مشير للانتباه أن زعيم قرامطة اليمن كان له مطوقه أيضا .

سهم فقتله، ويقال أصابه الزراقون بمزراق فيه نفط فاحترق، وحمي أصحابه فقاتلوا عسكر بدر الحمامي وطغج حتى انحازوا عنهم وانصرفت القرامطة وكان صاحب الناقة هذا المقتول قد ضرب دنانير ودراهم ، وكتب على السكة على أحد الوجهين : « قل جاء الحق وزهق الباطل[1] »، وعلى الوجه الآخر : لا إله إلا الله ، « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى[2] » . قال : فلما انصرفت القرامطة عن دمشق بعد قتل الطاغية بايعوا :

الحسن[3] بن زكرويه بن مهرويه

فسمى نفسه أحمد وتكنى بأبي العباس وهو صاحب الشامة .

قال ابن الاثير : ولما بايعه القرامطة دعا الناس فأجابه كثير من أهل البوادي وغيرهم ؛ فاشتدت شوكته وأظهر شامة في وجهه ، وزعم أنها آتية[4] .

قال الشريف أبو الحسين وسياقه أتم : ولما بايعوه ثار حتى افتتح عدة مدن من الشام ، وظهر على جند حمص ، وقتل خلقا كثيرا من جند المصريين ، وتسمى بأمير المؤمنين على المنابر وفي كتبه ، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين وبعض سنة تسعين ومائتين ، ثم سار بمن معه الى نحو الرقة ، فخرج اليهم مولى الخليفة المكتفي بالله وكان عليها ، فواقعهم فهزموه ، وقتلوه واستباحوا عسكره ورجعوا يريدون دمشق، وجعلوا ينهبون جميع ما يمرون به من القرى ، ويقتلون ويسبون ويخربون ، فلما قربوا من دمشق أخرج اليهم طغج جيشا كثيفا أمر عليه غلامه بشيرا ، فهزم القرامطة الجيش وقتل بشير في خلق من أصحابه ، فلما اتصل بالمكتفي قتل غلامه الذي كان على الرقة وخبر قتل بشير ندب أبا الأغرّ السلمي، وضم اليه عشرة آلاف من الجند والموالي والاعراب ، وخلع عليه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين وأنفذه ، فسار حتى نزل حلب ثم خرج فنزل وادي بطنان ، فتفرق الناس ودخل قوم منهم الماء يتبردون فيه وذلك في القيظ ، ووافاهم القرامطة يقدمهم

---

(١) سورة الاسراء : ٨١ .

(٢) سورة الشورى : ٢٣ .

(٣) ورد اسمه في مصادر اخرى كالطبري : الحسين .

(٤) الكامل لابن الاثير : ١٠٤/٦ — ١٠٦ .

المطوق ، فكان كل انسان يحذر على نفسه وينجو بها ، وركب أبو الأغـر المرسة وصاح بالناس ، فسار اليه جماعة لقي بها أوائل القوم ، فلم يلبث الا اليسير حتـى انهزم ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون وينهبون حتى حجز الليل بينهم ، وقد أتو على عامة العسكر وسلم منهم قليل ، ولحق أبو الأغر في جُميعيَّة معه بحلب ، ثم تلاحق به قوم حتى حصل في نحو ألف رجل ، ووافت القرامطة فنازلوا أهل حلب فحاربهم أبو الأغر ، فلم يقدروا منه على شيء فانصرفوا ، وجمع الحسن بن زكرويه أصحابه ، وكان قد اتصل به خلق كثير من اللصوص ومن بني كلب ، فسار حتى نزل أطراف حمص فخطب له على منابرها ، ثم نهض اليها فأعطاه أهلها الطاعة ، وفتحوا له البلـد فدخلها ، ثم سار الى حمـاة ومعرة النعمان وغيرهما فقتل الرجال والنساء والاطفال ، ثم رجع الى بعلبك فقتل عامة أهلها ، ثم صار الى سلمية فحاربه أهلهـا وامتنعوا منه ، فأعطاهم الامان ففتحوا له ، فبدأ بمن كان فيها من بني هاشم ، وكان بها جماعة كثيرة ، فقتلهم أجمعين ، ثم كر على أهلها فأفناهم أجمعين وخربها ، وخرج عنها وما بها عين تطرف ، وكان مع ذلك لا يمر بقرية فيدع فيها أحد ، حتى أخرب البلاد وسبى الذراري وقتل الانفس من المسلمين وغيرهم ، ولم يقم له أحد .

قال الشريف : ووردت كتب التجار وسائر الناس من دمشق وغيرها بصورة الامر وغلظه ، وأن طغج قد فنيت رجاله وبقي في عدة يسيرة ، وأن القرامطة تقصد دمشق في أوقات فلا تقاتلهم الا العامة وقد أشرف الناس على الهلكة وكثر الضجيج بمدينة السلام ، واجتمعت العامة الى يوسف بن يعقوب القاضي وسألوه انهاء أخبار الناس الى الخليفة ، فوعدهم بذلك، ووردت كتب المصريين على المكتفي بالله يعرفونه ما قتل من عسكرهم الذي خرج الى الشام،فأمر المكتفي الجيش بالاستعداد واخراج المضارب الى باب الشماسية ، وخرج الى مضربه في القواد والجند ، ورحل لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة تسعين ومائتين ، وسلك طريق الموصل ومضى نحو الرقة بالجيوش حتى نزلها وانبث جيوشه من حلب وحمص ، وقلد محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشا كثيفا ، وكان محمد بن سليمان صاحب ديوان العطاء وعارض الجيش ، فسار نحو القرامطة بجيشه .

ذكر الحرب بين محمد بن سليمان وبين القرامطة وانهزام القرامطة والظفر بالحسن بن زكرويه صاحب الشامة واصحابه وقتلهم

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : ولما دخلت سنة احدى وتسعين ومائتين كتب القاسم بن عبيد الله وهو وزير المكتفي بالله الى محمد بن سليمان الكاتب يأمره بمناهضة القرامطة ، فسار اليهم والتقى الجمعان يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم من هذه السنة ، بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجالهم ، وورد كتاب محمد بن سليمان الكاتب الى القاسم بن عبيد الله الوزير ، يخبره بكيفية المصاف والقتال ومن كان في الميمنة والميسرة والقلب والجناحين من قواد عسكره ، وأن القرامطة اجتمعوا ستة كراديس ، وأن ميسرتهم كان فيها ألف وخمسمائة فارس ، وكمنوا خلفها أربعمائة فارس ، وفي القلب ألف فارس وأربعمائة فارس ، وفي ميمنتهم ألف فارس وأربعمائة فارس ، وكمنوا خلفها مائتي فارس ، وذكر كيف كانت حملاتهم وقتالهم، وكيف كانت هزيمتهم ، في كلام مطول تركناه اختصارا لطوله ، الا أن ملخصه أن القرامطة قتلوا قتلا ذريعا ، وذكر أن الكردوس الذي كان في ميسرة القرامطة قصده الحسين بن حمدان ، وكان في جناح ميمنة عسكر الخليفة ، واقتتلوا أشد قتال حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف فصرع من القرامطة ستمائة في أول دفعة ، وأخذ أصحاب الحسين منهم خمسمائة فرس وأربعمائة طوق فضة ، وأن القرامطة ولوا مدبرين فاتبعهم الحسين بن حمدان ، فرجعوا عليه فلم يزل يحمل حملة بعد حملة — وهم في خلال ذلك يصرعون منهم الجماعة بعد الجماعة — حتى أفناهم الله تعالى ، فلم يفلت منهم الا أقل من مائتي رجل ، قال : وحمل الكردوس الذي كان في ميمنتهم على القاسم بن سهل ويُمْن الخادم ،فاستقبلوهم بالرماح فكسروها في صدورهم وعانق بعضهم بعضا ، فقتلوا من الكفرة جماعة كبيرة قال : وأخذ بنو شيبان منهم ثلاثمائة فرس ومائة طوق فضة ، وأخذ أصحاب خليفة بن المبارك منهم مثل ذلك ، وذكر في كتابه أنه حمل هو عليهم في القلب ، فما زال أصحابه يقتلون القرامطة — فرسانهم ورجالتهم — أكثر من خمسة أميال ، وذكر في كتابه أن الحسن بن زكرويه لم يشهد هذا المصاف وأنه يشخص اليه الى سلمية .

قال الشريف رحمه الله: وكان الحسن بن زكرويه – لما أحس بقرب الجيوش – عرض أصحابه ، وأخرج الاقوياء منهم عن الضعفة والسواد ، وأنفذ الجيش وتخلف هو في السواد والضعفة ، فلما انهزم أصحابه ارتاع لذلك ورحل لوقته وسار خوفا من الطلب ، وتلاحق به من أفلت من أصحابه ، فخاطبهم بأنهم أتوا من قبل أنفسهم وذنوبهم وأنهم لم يصدقوا الله ، وحرضهم على المعاودة الى الحرب فلم يجبه منهم أحد الى ذلك ، واعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فلما أيس منهم قال لهم : قد كاتبني خلق من أهل بغداد بالبيعة لي ، ودعاتي بها ينتظرون أمري ، وقد خلت من السلطان الآن ، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم ابن أحمد صاحبي ، وكتبي ترد عليه بما يعمل به فاسمعوا له وأطيعوا أمره فضمنوا له ذلك ، وشخص معه قريبه عيسى ابن أخت مهرويه[1] المسمى بالمدثر وصاحبه المطوق وغلام له رومي ، وأخذ دليلا يرشدهم الى الطريق وساروا يريدون سواد الكوفة، وسلك البر وتجنب المدن والقرى ، حتى اذا صار قريبا من الدالية نفذ زاده ، فأمر الدليل فمال بهم اليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجه بعض من كان معه لابتياع ما يصلحه ، فلما دخلها أنكر زيه بعض أهلها وسأله عن أمره فورى وتلجلج. فاستراب به وقبض عليه وأتى به واليها، وكان يعرف بأبي خبزة يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات ، قال : والدالية قرية من عمل الفرات ، قال : فسأله أبو خبزة عن خبره ورهب عليه، فعرفه أن القرمطي، الذي خرج أمير المؤمنين المكتفي بالله في طلبه ، خلف رابية أشار اليها ، فسار أبو خبزة الى ذلك الموضع ومعه جماعة بالسلاح حتى أشرف عليهم ، فأخذهم وشدهم وثاقا وتوجه بهم الى صاحبه ابن كشمرد ، فسار بهم الى المكتفي وهو يومئذ بالرقة ، فأمر أن يشهروا بها ففعل بهم ذلك ، وألبس الحسن بن زكرويه دراعة ديباج وبرنس من حرير وهو على بختي ، والمدثر والمطوق على جملين عليهما دراعتا ديباج وبرانس حرير ، وهم بين يديه ، وذلك في يوم الاربعاء لأربع بقين من المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين .

قال : وقدم محمد بن سليمان الكاتب الرقة والجيوش معه ، بعد أن تتبعوا ما بقي من القرامطة فأسروا وقتلوا، فخلف المكتفي بالله عساكره مع محمد بن سليمان

---

(١) سبق له في ص ٥٤٩ أن أورد اسمه « عيسى بن مهرويه » .

بالرقة ، وشخص في خاصته وغلمانه وتبعه وزيره القاسم بن عبيد الله الى بغداد ، وحمل القرمطي وأصحابه معه ومن أسر في الوقعة ، وذلك في أول يوم من صفر سنة احدى وتسعين ومائتين ، فلما صار الى بغداد عمل له دميانة غلام يا زمار كرسيا سمكه ذراعان ونصف ، وركبه على فيل وأركبه عليه ودخل المكتفي بالله وهو بين يديه مع أصحابه الاسرى ، عليهم دراريع الديباج والبرانس والمطوق في وسط الاسرى على جمل ، وهو غلام حدث قد جعل في فيه خشبة مخروطة قد شدت الى قفاه كاللجام ، وذلك أنهم في وقت دخولهم الرقة أكثر الناس الدعاء عليهم ، فكان هو يشتم الناس الذين يدعون عليهم ويبصق عليهم ، وكان دخولهم كذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول من هذه السنة .

قال : فلما وصل المكتفي الى داره حبسهم ووكل بهم ، ووصل محمد بن سليمان بعد ذلك على طريق الفرات في الجيش ، وقد تلقط بقايا القرامطة من كل وجه ، فنزل بباب الانبار في ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول من السنة ، فأمر المكتفي القواد وأصحاب الشرط بتلقيه والدخول معه ، فدخل محمد بن سليمان في زي حسن ومعه بين يديه نيف وسبعون أسيرا ، وخلع الخليفة على محمد بن سليمان وطوقه بطوق من ذهب ، وسوره بسوار من ذهب ، وخلع على جميع القواد وطوقوا وسوروا ، وحبس الاسرى وكان المكتفي بالله وقت دخوله أمر أن تبنى له دكة في المصلى العتيق من الجانب الشرقي ، مربعة ذرعها عشرون ذراعا في مثلها وارتفاعها عشرة أذرع يصعد اليها بدرج ، فلما كان يوم الاثنين لأربع بقين من شهر ربيع الاول أمر المكتفي القواد وجميع الغلمان وصاحب جيشه محمد بن سليمان وصاحب شرطته أن يحضروا هذه الدكة ، فحضروها وصعد الوجوه ووقف الباقون على دوابهم ، وخرج التجار والعامة للنظر وحملوا الاسرى كلهم مع خلق كثير منهم كانوا بالكوفة وحملوا الى بغداد وغيرهم ممن حمل ممن كان على مذهبهم ، فأحضر جميعهم على الجمال وقتلوا جميعا وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل ثلاثمائة ونيف وعشرون ؛ وقدم الحسن بن زكرويه وعيسى ابن أخت مهرويه ، وهما زميلان ، على بغل في عمارية ، قد أرسل عليهما أغشية ، فأصعدا الى الدكة وأقعدا ، وقدم أربعة وثلاثون انسانا من الاسرى من وجوه القرامطة ، ممن عرف بالنكاية والعداوة

للاسلام والكلب على سفك الدماء واستباحة النساء وقتل الاطفال ، وكان كل واحد منهم يبطح على وجهه فتقطع يده اليمنى ويرمى بها الى أسفل ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم يده اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويرمى بها الى أسفل ثم تضرب عنقه ويرمى به الى أسفل ، فلما فرغ منهم قدم المدثر ففعل به مثل ذلك ثم كوي ليعذب ثم ضربت عنقه ، ثم قدم الحسن بن زكرويه فضرب مائتي سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وكوي وضربت عنقه، ورفع رأسه على خشبة ، وحملت الرؤوس فصلبت على الجسر ، وصلب بدن الحسن فمكث مصلوبا نحوا من سنة ، ثم سقط عليه حائط ودفنت أجساد الاسرى عند الدكة ، وهدمت بعد أيام .

قال الشريف : ومن كتب اللعين الحسن بن زكرويه الى بعض عماله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المهدي المنصور الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الداعي الى كتاب الله ، الذاب عن حريم الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين وامام المسلمين ، ومذل المنافقين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المتنصرين ، ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة المرسلين ، وولد خير الوصيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وسلم — كتاب الى جعفر بن حميد الكردي ، سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد جدي رسول الله ، أما بعد : فقد أنهي الينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعبث والفساد في الارض فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن تنفذ الى هناك من جيوشنا من ينتقم الله به ، من أعدائنا الظالمين الذين يسعون في الارض فسادا فأنفذنا جماعة من المؤمنين الى مدينة حمص ونحن في أثرهم ، وقد أوعزنا اليهم في المصير الى ناحيتك ، لطلب أعداء الله حيث كانوا ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم ، فينبغي أن تقوي[1] قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودنا في كل من مرق من الطاعة وانحرف عن الايمان ، وتبادر الينا بأخبار الناحية وما يحدث فيها ، ولا تخف عنا شيئا من أمرها .

---

(١) في كنز الدرر ص ٧٨ واتعاظ الحنفا ص ٢٣١ : بأن تشد قلبك .

« سبحانك اللهـم وتحيتهم فيها سلام وآخـر دعواهم أن الحمـد لله رب العالمين »[1] ، وصلى الله على جدي رسوله وعلى أهل بيته وسلم كثيرا . وكـان عماله يكاتبونه بمثل هـذا الصدر .

قال ابن الاثير[2] : وكان قد نجا من أعيان القرامطة رجـل من بني العليص يسمى اسماعيل بن النعمان في جماعة معه ، فكاتبه المكتفي بالله وبذل له الامان ، فحضر في نيف وستين نفسا ، فأحسن الخليفة اليهم وسيرهم الى رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيماء ، فأقاموا معه مدة وعزموا على انشاء فتنة بالرحبة ، وكان قـد انضم اليهم جماعة كثيرة ، فشعر بهم القاسم فقتلهم ، فارتدع من كان قد بقي مـن موالي بني العليص ، وذلوا ولزموا السماوة حتى جاءهم كتاب من زكرويه بـن مهرويه ، يذكر لهم أن مما أوحي اليه أن صاحب الشامة وأخاه يقتلان ، وأن امامه ، الذي هو حي ، يظهر بعدهما ويظفر .

ذكر خبر ارسال زكرويه بن مهرويه محمد بن عبد الله الى الشام وما كان من امـره الى ان قتـل

كان الحسن بن زكرويه قد خلف القاسم بن أحمد المكنى بأبي الحسين خليفة على من بسلمية من أصحابه كما قدمنا ، فقدم سواد الكوفة الى زكرويه فأخبره بخبر القوم ، الذين استخلفه عليهم ابنه الحسن أنهم اضطربوا عليه ، وأنه خافهم وتركهم وانصرف ، فلامه زكرويه على قدومه لوما كثيرا ، وقال له : ألا كاتبتني قبل انصرافك الي ، ووجده على ما بـه تحت خوف شديد من طلب السلطان من وجـه ، وطلب أصحاب عبدان الذي كان قد تسبب في قتله من وجه آخر ،ثم ان زكرويه أعرض عن القاسم وأنفذ رجلا من أصحابه ، كان يعلم الصبيان بالزابوقة يقال له محمد بـن عبد الله بن سعيد المكنى أبا غانم في سنة ثلاث وتسعين ومائتين فتسمى نصرا ، وأمره أن يتوجه الى أحياء كلب ويدعوهم ، فدار أحياء كلب ودعاهم فلـم يقبله الا رجل من بني زياد يعرف بمقدام بن الكيال ، ثم استجاب له طوائف من الاصبعيين الذين

---

(1) سورة يونس : ١٠

(2) الكامل : ١٠٩/٦ .

يعرفون بالفواطم ، وقوم من بني العليص وصعاليك من بني كلب ، فسار بهم نحو الشام ، وعامل المكتفي بالله يومئذ على دمشق والاردن أحمد بن كيغلغ ، وهم بنواحي مصر على حرب ابراهيم الخليجي ، وكان قد خالف كما قدمنا ذكر ذلك ، فاغتنم محمد بن عبد الله بن سعيد غيبته فصار الى مدينتي بصرى وأذرعات فحارب أهلها ثم أمنهم فلما استسلموا قتل مقاتليهم وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ، وسار نحو دمشق فخرج اليه صالح بن الفضل خليفة ابن كيغلغ فيمن معه ، فأثخنوا فيهم وظفروا عليهم ثم غروهم ببذل الامان ، فقتلوا صالحا وعسكره وقصدوا دخول دمشق فدفعهم عنها أهلها فانصرفوا الى طبرية ، ولحق بهم جماعة من الجند ممن سلم بدمشق ، فواقعهم يوسف بن ابراهيم ، عامل ابن كيغلغ على الاردن ، فهزموه ، وبذلوا له الامان ثم غدروا به فقتلوه ونهبوا طبرية وقتلوا وسبوا النساء ، فأنفذ المكتفي الحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد ، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فلما علموا بذلك عطفوا نحو السماوة ، وأتبعهم الحسين بن حمدان في البرية ، فأقبلوا ينتقلون من ماء الى ماء يغورون ما يرتحلون عنه من الماء ، فلم يزالوا على ذلك حتى وردوا المائين المعروفين بالدمعانة والحالة ، فانقطع عنهم لعدم الماء فمال نحو رحبة مالك بن طوق ، وأسرى عدو الله حتى وافى هيت وهم غازون وذلك لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، طلوع الشمس ، فنهب ربض هيت والسفن التي في الفرات ، وقتل نحو مائتي انسان ، وأقام هناك يومين والقوم متحصنون ، ثم رحل بما أخذه وبمائتي كر حنطة الى نحو المائتين وبقية أصحابه هناك ، فلما اتصل الخبر بالمكتفي أرسل الى هيت محمد بن اسحاق بن كنداجيق ومعه جماعة من القواد في جيش كثيف ، ثم أتبعه بمؤنس الخادم ، فنهض محمد بن اسحاق نحوهم فوجدهم قد غوروا المياه ، فأنفذ اليه من بغداد بالروايا والقرب والمزاد ، وكتب الى الحسين بن حمدان بالنفوذ اليهم من الرحبة ، فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم نصر ، فوثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله، وشخص الى بغداد متقربا بذلك ومستأمنا ، فأسنيت له الجائزة وكف عن قومه بقتل محمد هذا ، فمكث أياما ببغداد وهرب ، ثم ان طلائع محمد بن كنداجيق ظفرت برأس محمد المقتول هذا ، فحمل الى بغداد .

قال : ثم ان قوما من بني كلاب أنكروا ما فعله الذئب من قتل محمد ، ورضيه آخرون فتحزبوا أحزابا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم ثم افترقوا ، فصارت الفرقة التي رضيت قتله الى ناحية عين التمر ، وتخلف من كره قتله على الماء الذي كانوا ينزلون عليه ، واتصل الخبر بزكرويه بن مهرويه فرد القاسم اليهم •

ذكر ارسال زكرويه بن مهرويه القاسم بن احمد ودخوله الكوفة وما كان من امره

قال : ولما اتصل الخبر بزكرويه كان القاسم بن أحمد عنده ، فرده اليهم لمعرفتهم به ، فلما ورد عليهم جمعهم ووعظهم ، وقال : أنا رسول وليكم وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم ، وأنكم قد ارتددتم عن الدين ، فاعتذروا وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم ، وذكروا ما جرى بينهم وبين أهلهم من الخلف والقتل والبعد بهذا السبب ، فقال لهم : قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، وليكم يقول لكم : قد حضر أمركم وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم الذي ذكره الله ، يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى[1]،فأجمعوا أمركم وسيرو الى الكوفة،فانه لا دافع لكم عنها ، ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي •

فسروا بذلك سرورا كثيرا وارتحلوا نحو الكوفة ، فلما وردوا الى القطقطانة، وهي قرية خراب في البر ، بينها وبين الكوفة ستة وثلاثون ميلا ، وذلك يوم الاربعاء قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، خلفوا بها الخدم والاموال ثم أمرهم أن يلحقوا به في عين الرحبة على ستة أميال منا لقادسية •

ثم شاور الوجوه من أصحابه في أي وقت يأتي الكوفة ؟ فقال قائل ليلا فلا يتحرك أحد الا قتلناه ، ويخرج الينا واليها في قلة فنأخذه ونقتله ، وقال آخر : نمهل الى أن ندخلها عشاء في يوم العيد ، والجند سكارى والبلد خال ، فنقصد باب اسحاق وهو غافل فنأخذه ونقف على بابه ، فلا يأتينا أحد الا قتلناه ، فانهم لا يأتونا الا نفر بعد نفر ، وكانت شحنة الكوفة يومئذ سبعة آلاف رجل ، الا أن المقيم

---

(1) سورة طه : ٥٩ .

بالكوفة يومئذ أربعة آلاف من الدمانية والمصريين وغيرهم ، والناس فيها أحيـاء ، والبلد على غاية الاجتماع والحسن وكثرة الناس ، وقال آخرون : نسير ليلتنا ثم تكمن في النجف في شعابه فنريح الخيل والابل وننام ، ونركب عمود الصبح فنشنها غارة على أهل المصلى ، وقد نزل الجند للصلاة وركب غلمانهم الدواب ، ونضـع السيف وجل أهل البلد هناك ، فقال اللعين : هذا هو الرأي ، فركبوا وساروا حتى حصلوا في بعض المواضع فناموا ، فلم يوقظهم الا مس الشمس يوم العيد ، لطفا من الله تعالى بالناس ، قال : وقد كان أحد ما شغلهم أنهم اجتازوا بقوم من اليهود يدفنون ميتا لهم بالنخيلة ، فشغلهم قتلهم فلم يصلوا الى الكوفة الا وقد صلـى اسحاق بن عمران بالناس العيد ، وانصرف والناس متبددون في ظاهر الكوفة ومنهم من قد انصرف ، ولاسحاق بن عمران طلائع تتفقد ، وكان ذلك لأمور قد أرجف الناس بها في البلد ، من فتن تحدث من غير جهة القرامطة ، وقيل كانت عدتهـم ثمانمائة فارس ، وأربعمائة راجل : وهم يقاتلون على طمع وشبهة ، فأقبلوا يقدمهم هذا المكنى بأبي الحسين •

قال : وكان أحد الالطاف أن اسحاق بن عمران قد أحدث مصلى بالقرب من طرف البلد فصلى فيه ، وكان الرجوع منه الى البلد سهلا ، فقصدت القرامطة المصلى العتيق ، على ما كانوا يقدرون من اجتماع الناس فيه ، فلم يصادفوا فيه أحـدا ، فأقبلت خيل منهم من تلك الجهة ، فدخلوا الكوفة من يمينها ، فوضعوا السيف حتى وصلوا الى حبسها ففتحوه ، وقتلوا كثيرا من الناس وأخرجوا خلقا، فارتجت الكوفة وخرج الناس بالسلاح ، وتكاثر الناس على من دخل الكوفة من القرامطة ، فقذفوهم بالحجارة فقتل منهم جماعة ، وأقبل جل القوم نحو الخندق فقتلوا ناسا ، وناوشهم طوائف من الجند تخلفوا بالصحراء وبعض ما كان أنفذ اسحاق بن عمران طليعة ، فقتلوا بعضهم وأفلت بعضهم الى البلد ، وكان اسحاق بن عمران قـد انصرف في أحسن زي وأجمله ، فلما صار قرب داره تفرق الجيش عنه الا خواصا ، كان قد عمل لهم سماطا في داره ، فلما سار في بعض الطريق لحقه فارس من بني أسد على فرس له بلقاء ،قد طعنت في عنقها ودمها سائل على كتفها الى الحافر ، فشق الجند وزاحم غلمانه وجاوز اسحاق بن عمران ، ثم قلب رأس فرسه اليه فوقف له ، فقال : جاءتنا أيها الامير خيل من الاعراب ، فقتلت وسلبت وخرجت الى الصحراء ، فلمـا

رددناهم طعنت فرسي ، فقلب اسحاق بن عمران فرسه راجعا ، وأمر باخراج الجند نحو الخندق ، وبين يدي اسحاق بن عمران نحو من ستين راجلا ، ومعه غلمانه ونفر يسير من الجند ، حتى اذا صار قصر عيسى بن موسى ومعه أبو عيسى صالح بن علي بن يحيى الهاشمي يسايره فالتفت اليه ، وقال : خذ هؤلاء الرجالة وامض الى قنطرة بني عبد الوهاب ــ وهي احدى قناطر الخندق ــ فاكشفها ، فأخذهم ومضى، وتقدم الى عبد الله الحسين بن عمر العلوي أن يدور في البلد ويسكن الناس ، فدار وعليه السواد فسكن الناس ، وخرج كثير من الناس بالسلاح ، وتفرق من دخل الكوفة من القرامطة لما رماهم أهلها ، وقتل بعض القصابين رجلا منهم بساطور ، وكان فيمن تفرق منهم رجل من كلب يعرف بالمقلقل ، وهو أحد رجالهم وشجعانهم في جمع معه ، فأفضى به الطريق الى دار عيسى بن علي ، فلقيهم أحد الفرسان من الجند يعرف بالورداني ، قد ركب لما سمع الصيحة ، فلم يشك أنهم من الجند لما رأى من كثرة الجواشن عليهم والدروع ، فقال لهم : سيروا يا أصحابنا ، فأمسكوا عنه حتى توسطهم ثم عطفوا عليه بالسيوف فقتلوه ، وأخذوا دابته وساروا نحو الخندق للقاء أصحابهم ، فلما صاروا بالصحراء من الكوفة نظر اليهم أبو عيسى ، فلم يشك أنهم من أصحاب السلطان ، ثم نظر اليهم وقد لقوا جماعة من العامة ، فأقبلوا يسلبونهم،فتبين أمرهم فحمل عليهم فعدلوا عن سلب أولئك، وحمل فارسهم المقلقل ــ وكان رجلا عظيما جسيما ــ وفي يده سيف عريض ، فالتقى هو وأبوعيسى فطعنه أبو عيسى تحت ثندوته[1] فصرعه ، فحذفه المقلقل بالسيف فأصاب جحفلة[2] فرسه فعقره ، وأمر أبو عيسى بعض الرجالة فاحتز رأسه ووجه به الى اسحاق بن عمران ، وقد رفع رأسه ، فكان ذلك أحد ما كسرهم .

قال:واجتمعت الخيل والرجالة فقاتلهم اسحاق بمن معه ــ وليسوا بالكثيرين ــ قتالا شديدا ، في يوم صائف شديد الحر طويل الى الزوال ، وخرج الناس من العامة فانصرف القرامطة مكدودين فنزلوا الغدير على ميلين من الكوفة وارتحلوا عشيا نحو

---

(١) في لسان العرب قال ثعلب : الثندوة بفتح اوله غير مهموز مثال الترقوة والعرقوة على فعلوة وهي مغرز الثدي .

(٢) الجحفلة بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير (القاموس المحيط) .

سوادهم ، واجتازوا بالقادسية ، وقد وصل اليهم رسول اسحاق بن عمران، فحذرهم أمرهم ، يعني حذر أهل القادسية ، وعرف يومئـــذ صبر اسحاق بن عمران علـــى حملاتهم وتشجيعه لأصحابه •

قال : وأخرج اسحاق بن عمران مضاربه بظاهر الكوفة ، وخرج اليه أصحابه فعسكر ، وبات الناس بالكوفة على غاية الجزع والتحارس ونصب الحجارة علـــى الأسطحة ، قال : ولما وصلت القرامطة الى عين الرحبة ، وكانوا قد خلفوا سوادهم هناك ، فرحلوا وساروا بهم فنزلوا عينا بسرة العذيب تعرف بعين عبد الله ، ثم رحلوا فنزلوا قرية تعرف بالصوان على نهر هد من سواد الكوفة ، ثم مضى أبو الحسين الى قرية تعرف بالدرنه[1] على نهر زياد من سواد الكوفة ، فخرج اليه بها زكرويه وكان من أمره ما نذكره •

ذكـــر ظهور زكرويـــه بن مهرويـــه وقتالـــه عساكر الخليفـــة واخـــذه الحـــاج وما كان مـــن امره الى ان قتـــل

كان ظهور زكرويه بن مهرويه في سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وذلك أنه لمـــا وصل القاسم بن أحمد الى الدرنة خرج زكرويه اليه منها ، وكان بها مستترا كمـــا ذكرنا فيما تقدم ، فقال القاسم للعسكر : هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الـــذي تنتظرونه ، فترجلوا بأجمعهم وألصقوا خدودهم بالارض ، وضرب لزكرويه مضرب عظيم وطافوا به وسروا سرورا عظيما ، واجتمع اليه أهل دعوته من أهـــل السواد فعظم جيشه جدا •

وكان اسحاق بن عمران قد كتب الى العباس بن الحسن ـــ وزير المكتفي ـــ يخبره خبر القرامطة ومهاجمتهم على الكوفة وما كان من خبرهم ، وأثنى على من عنده من الجند وذكر حسن بلائهم ، فلما وصل اليه الكتاب قلق له ، وشاور بعض أصحابه في لقاء الخليفة المكتفي بالله بذلك ، فأشار عليه بتعجيله بذلك ، فقال الوزير: كيف ألقاه بهذا مع ما يحتاج اليه من الاموال ولعهدي به ، وقد ناظرني منذ يومين في دينار واحد ، ذكر أنه فضل بقية نفقة رفعت اليه فقال له صاحبه : أيها الوزيـــر

---

(١) درنه : قيل كانت بابا من أبواب فارس دون الحيرة بمراحل . معجم البلدان .

ان أسعفك والا ففي أموال خدمك وأسبابك فضل فوظفها علينا ، وتنفق فيها، فقال: فرّجت ، والله — عني ، ثم لبس ثيابه وأتى الى المكتفي بالله فدخل عليه في غير وقت الدخول فعرفه الخبر ، فقال له المكتفي : كأنك يا عباس قد قلت : كيف أخبر أمير المؤمنين بمثل هذا وقد ناظرني في دينار فضل نفقة ! فقال : قد كان ذاك يا أمير المؤمنين ، قال : انما جرى ذلك لمثل هذا، فلا تبخل بمال في مثل هذا، وأباحه الاموال والانفاق في الرجال ليلا ونهارا ، فأنفذ الوزير جني الصفواني ومباركا القمي ونحرير العمري ورائقا وطائفة من الغلمان الحجرية وجماعة من القواد في جيش عظيم، فوصل أوائلهم في اليوم السادس من يوم النحر ، فركب اليهم اسحاق بن عمران وذكر لهم قوة من لقي من القرامطة ، وأنه قد مارسهم ، وحذرهم أن يغتروا بهم ، وقال لهم : سيروا الى القادسية فان بينكم وبينها مرحلة ، واذا صرتم بها فأريحوا واستريحوا وتجمعوا ، ثم سيروا اليهم وطاولوهم ونازلوهم فان الظفر يرجى بذلك فيهم عندي، ولا ترموا بأنفسكم عليهم فانهم صبر غير أنكال ، فقال له بشر الافشيني : ان رأيناهم كفيناك القول يا أبا يعقوب ، انما نخشى أن يهربوا ، فدعا لهم بالنصر ورحلوا نحو القادسية ، فباتوا بها ليلة في آخرها الى الصوان ، وبين الموضعين نحو العشرة أميال، ورحلوا بالاثقال والفهود والبزاة ، وهم على غير تعبئة مستخفين بهم ، فأسرعوا ووصلوا وقد تعب ظهرهم وفل نشاطهم وقد عمد القرامطة فضربوا بيوتهم الى جانب جرف عظيم لنهر هناك وأثقالهم مما يلي البيوت ، والرجالة في أيديهم السيوف ، وقتالهم من وجه واحد صفا واحدا قدام البيوت بقدر نصف غلوة، والفرسان جلوس خلف الرجالة ، فلما تراءى الفريقان ركب الفرسان وافترقوا فصاروا جناحين للرجالة، وحملوا على الناس فصدقوهم الحملة فانكفأوا راجعين، وتلاقى الرجالة من الفريقين، فأتت رجالة العسكر على رجالة القرامطة وألجأوهم الى البيوت ، وأقبلت الفرسان فنظروا الى الرجالة ينهبون بيوتهم ، فترحلوا وحملوا خيلهم الامتعة ، وكانت القرامطة في مجنبات الناس لما رأوا من صدق القتال ، فلما رأوا الناس قد حملوا الدواب والجمازات وتشاغلوا حملوا على الجمازات والبغال بالرماح، فأقبلت لا يردها شيء عن الناس تخبطهم ، فانهزم الناس ووضع السيف فيهم ، وقتل الاكثر وتبع الاقل نحو القادسية وفيهم مبارك القمي ، فأقاموا ثلاثا يجمعون السلاب والاسرى ،

وجمع زكرويه الآلــة والمتاع والاثاث والجمازات ، فقيل انه أخذ ثلاثمائة جمــل وخمسمائة بغل مما كان للسلطان سوى ما أخذ للقواد ، وقيل انه قتل ألفا وخمسمائة رجل ، فقوي أصحابه جدا ، ودخل الكوفة فلول الجيش عراة •

ورحل زكرويه يريد الحاج وبعث دعاته الى السواد ، فلم يلحق به فيما قيل الا النساء والصبيان ، قال : ولما وقف الخليفة على صورة الامر عظم عليه وعلى الناس ، وخافوا على الحجاج ، فأنفذ المكتفي بالله محمد بن اسحاق بن كنداج لحفظ الحاج وطلب زكرويه ، وضم اليه خلقا عظيما وجماعة من القواد ونحو ألفي رجل من بني شيبان واليمن وغيرهم ، وكان زكرويه قد نزل على عين[1] الهبير ، ثم نزل على أربعة أميال من واقصة ، فوافت القافلة لست أوسبع خلت من المحرم من سنة أربع وتسعين ومائتين ، فأنذرهم أهل المنزل بالقرامطة فلم ينزلوا وطووا ، فنجاهم الله عز وجل ، وكان معهم من أصحاب السلطان الحسن بن موسى وسيماء الابراهيمي ، فلما وافى زكرويه واقصة تعرف الخبر فعرف أنهم قد حذروهم ، فقتل جماعة من أهل المنزل ونهب وأحرق الحشيش وتحصن الباقون منه ، ورحل فلقيته الخراسانية من الحجاج على الارض البسيطة التي تخرج منها حجارة النار ، يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم ، وليس معهم أحد من أصحاب السلطان ، فرشقوا القرامطة بالنشاب وقد أحاطوا بهم فانحازوا عنهم ، ثم تقدم الى الحاج جماعة منهم فسألوهم : هــل فيكم سلطان ، فانا لا نريدكم ؟ فقالوا لهم : لا ، انما نحن قوم حجاج ، فقال لهــم زكرويه : امضوا فرحلوا وأمهلهم حتى ساروا ثم قصدهم ، يبعج الجمال بالرماح حتى كسر بعضها بعضا واختلطت، ووضع السيف فقتل خلقا عظيما واستولى على الاموال•

وقدم محمد بن اسحاق بن كنداج الكوفة ثم رحل الى القادسية فلما وقف على خبر مسيرهم نحو واقصة أنفذ علان بن كشمرد في خيل جريدة ، حتى لقي فل الخراسانية فأشاروا عليه أن يلحق الحاج فان القافلة الثانية تنزل العقبة الليلة أو من غد ، فحث حتى تسبق اليها فتجتمع أنت ومن فيها على قتال الكفرة ، الله الله في الناس أدركهم ، فرحل راجعا نحو القادسية وقال : لا أغرر برجال السلطان للقتل ، فلقي

---

(١) من منازل طريق الحاج بين العراق والحجاز . معجم البلدان .

بعد ذلك من المكتفي شرا ، وورد زكرويه العقبة[1] يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم وفي القافلة مبارك القمي وأحمد بن نصر الديلمي وأحمد بن علي الهمذاني ، وقد كانت كتب المكتفي اتصلت الى أمراء القافلة الثانية مع رسله ،يأمرهم أن يتجنبوا الطريق ويرجعوا الى المدينة ، ويأخذوا على طريق البصرة أو غيرها فلم يفعلوا ذلك ، ولما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا فكانت الغلبة لأصحاب السلطان حتى لم يشكوا في ذلك ، ثم خرج اللعين زكرويه الى آخر القافلة وقد رأى خللا هناك ، فعمل في الجمال كما عمل في جمال الخراسانية ، وقتل سائر الناس الا يسيرا استعبدهم أو شريدا ، ثم أنفذ خيلا فاحقت من أفلت من أوائل القوم حتى ردوهم اليه ، فقتلهم وأخذ النساء وجميع ما في القافلة، وقتل مباركا القمي ومظفرا ابنه وأسر أبا العشائر[2] ، فقطع يديه ورجليه وضرب عنقه ، وأطلق من النساء ما لا حاجة له فيها ، ووقع بعض الجرحى بين القتلى حتى تخلصوا ليلا ، ومات كثير من الناس جوعا وعطشا ، وورد من قدم من الناس يخبرون أن نساء القرامطة كن يطفن بين القتلى فيقلن : عزيز علينا، من يرد ماء نسقيه، فان كلمهن جريح مطروح أجهزن عليه •

قال : ويقال أن جميع القتلى كانوا نحوا من عشرين ألفا ، وأخذ من الاموال ما لا يحصى كثرة •

قال : ولما اتصل خبر القافلتين بمدينة السلام جاء الناس من ذلك ما شغلهم ، وتقدم السلطان باخراج المال وإزاحة العلل ، وأخرج العباس بن الحسن ومحمد بن داود الجراح الكاتب المتولي دواوين الخراج والضياع بالمسير الى الكوفة لانقاذ الجيش منها ، وحمل معه أموالا عظيمة ، وقال : كلما قرب نفاذ ما معك كاتبني لأمدك بالاموال ، وخرج اليها يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم، وقدم خزانة سلاح جعلها بالكوفة فما زالت بقاياها هناك الى أن أخذها الهجري •

قال : ثم رحل زكرويه يريد القافلة الثالثة فلم يدع ماء في طريقه الا طرح فيه جيف الموتى ، ونزل زبالة فقتل من بها من التجار ، ونهب الحصن وبث الطلائع من لحوق عسكر السلطان به ، فلما أبطأت القافلة عليه فنزل الشقوق ثم نزل في رمل

---

(١) عقبة فيد على منتصف طريق الحاج من الكوفة الى مكة . معجم البلدان .
(٢) الحمداني .

يقال له الهبير والطليح ، وأقام ينتظر القافلة وفيها من القواد نفيس المولدي ، وعلى ماقتها صالح الاسود ومعه الشمسة[1] ، وكان المعتضد جعل فيها جوهرا نفيسا ومعه الخزانة ، وكان في القافلة من الوجوه ابراهيم بن أبي الاشعث ، ومعه كاتبه المنذر بن ابراهيم وميمون بن ابراهيم الكاتب وكان إليه ديوان الخراج ، والفرات بن أحمد بن محمد بن الفرات ، والحسن بن اسماعيل قرابة العباس بن الحسن ، وعلي بن العباس النهيكي وغيرهم من الرؤساء ، وخلق من مياسير التجار وفيها من المتاجر والرقيق ما يخرج عن الوصف ، وفيها جماعة من الاشراف منهم أبو عبد الله أحمد بن موسى ابن جعفر وجماعة من أهله ، فأصاب بعضهم جراحات وأسر بقيتهم ، فعرفهم بعض المولدين من وجوه عسكره فأخبره بهم ، فخلى لأبي عبد الله أحمد بن موسى وأهله الطريق ، ومكنهم من جمال تحملوا عليها، وكان أحمد بن موسى أحد من دخل بغداد وخبر السلطان بأمرهم وجلالة حالهم .

وأقاموا بفيد وقد اتصل بهم أنهم ينتظرون مددا من السلطان ففعل ابن كشمرد ما فعل من رجوعه الى القادسية ولم ينجدهم ، فلما طال مقامهم نفذ ما في المنزل وغلا السعر جدا ، وجلوا عن الاجفر والخزيمة ثم الثعلبية ثم الهبير ، فلم يستتم نزولهم حتى ناهضهم زكرويه فقاتلهم يومهم كله ، ثم باتوا على السواء ، ثم باكرهم فقاتلهم فبينما هم كذلك اذ أقبلت قافلة العمرة ، وكان المعتمرون يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج اذا دخل المحرم ، وينفردون قافلة واحدة وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس وقاتلوهم يومهم ، ونفذ الماء وعطشوا ولا ماء لهم هناك ، وباتوا وزكرويه مستظهر عليهم ، ثم عاودوهم القتال حتى ملك القافلة ، فقتل الناس وأخذ ما فيها من حريم ومال وغير ذلك ، وأفلت ناس قليل قتل أكثرهم العطش ، ثم سار مصعدا نحو فيد فتحصن منه أهلها ، فطاولهم فصبروا عليه ونزل منهم ثمانية عشر رجلا بالحبال من رأس الحصن، فقاتلوا رجالتهم قتالا شديدا وقد أسندوا ظهورهم بسور الحصن، ورمى أهل الحصن بالحجارة .

قال : سمعت داود بن عتاب الفيدي ــ وكان نبيلا صدوقا ــ قال : نزلنا اليهم نحو أربعين رجلا متزرين بالسراويلات ، وقد كان لحقهم ــ لا أدري ــ عطش قال

(١) كانت توضع فوق الحجر الاسود فوق باب الكعبة .

أو جوع ، قال : فطردناهم فمالوا الى حصن يقرب منا، قد كان بيننا وبين أهله عداوة قديمة ، فأخذوا منهم الامان ونزلوا ليفتحوا لهم ، فقال بعضنا لبعض : ان ظفروا به أخذوا منه ما يحتاجون اليه ، وعادوا اليكم ، قال : فطرحنا أنفسنا عليهم وأحس بذلك أهل الحصن فقويت قلوبهم ، وخرجوا فكشفناهم ، وتبعهم جماعة منا فسلبوا منهم جمالا ، وكان ذلك سبب صلاحنا مع أصحاب الحصن •

قال الشريف : ولم يبق دار بالكوفة وبغداد والعراق الا وفيها مصيبة وعبرة سائلة وضجيج وعويل ، حتى قيل ان المكتفي اعتزل النساء هما وغما •

قال : وخفي أمر زكرويه ، لا يعلم أين توجه ، وقد كان أخذ ناحية مطلع الشمس ، فتقدم المكتفي يتتبع أحواله وإشحان البلدان ـ التي يخاف مصيره اليها ـ بالرجال ، وأنفذ وصيف بن صوار تكين ولجيم بن الهيصم والقاسم بن سيماء في جيش عظيم بالميرة والزاد والمال والجمال ، لاستقبال الناس وازاحة عللهم ، وتقدم بطلب زكرويه حيث كان، الى أن وردت كتب أهل فيد بخبره، فكوتب عند ذلك [محمد بن] اسحاق بن كنداج بأن يلزم القادسية ونواحي الكوفة بجيشه ، وكوتب لجيم بالمسير الى خَفَّان ومعارضة زكرويه حيث كان،وأن ينفذ الطلائع والاعراب ويرغبوا في تتبع حاله حتى يعرف ، فجاءت الاخبار بما غلب على ظنهم ، أنه لم يخط ناحية البصرة وأنه يقصد الاجتماع مع أبي سعيد الجنابي وهو المقدم ذكره ، فاجتمع القواد وتشاوروا واستقبلوا طريقا يقال له الطريق الشامي ، ويقال له طريق الطف وهو بين الكوفة والبصرة ، وعملوا على المقام هناك ليكونوا بين الكوفة وواسط والبصرة ، فساروا مستدبري القبلة مستقبلي البصرة يرتحلون من ماء الى آخر ، حتى نزلوا يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة أربع وتسعين ومائتين ركيا فيه ماء بقرية خراب يقال لها صماخ ، كان يسكنها على قديم الدهر قوم من ربيعة يقال لهم بنو عنزة ، وبين هـذا الموضع وبين البصرة ثلاثة أيام ، فلقيهم قوم مـن الاعراب فخبروهم أن القرامطة بالثني ، وهو موضع من ذي قار الذي كانت فيه وقعة العرب مع العجم في أيام كسرى ، وهو واد كثير الماء العذب وبينه وبين صماخ عشرة أميال ، فبات الجيش بصماخ وتراءت الطلائع في عشي يومئذ ، ورحل زكرويه من غد وهو طامع بالظفر ، فالتقوا بقرية خراب يقال لها ارم ، بينها وبين الثني ثلاثة أميال ، وذلك

يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الاول ، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان جميعا ، ثم انهزم زكرويه فقتل الجيش أكثر من معه ، وأسر خلق كثير منهم وأفلت صعاليك من العرب على الخيل مجردين ، ووصل الى زكرويه ـــ وهو في القبة ـــ في أوائل السواد ، فظنوا أنه في الخيل التي انهزمت ، فقذف رجل بنار فوقعت في قبته فخرج من ظهرها فألقى نفسه من مؤخرها ولحقه بعض الرجالة ـــ وهو لايعرفه ـــ فضربه على رأسه ضربة أثخنته ، فسقط الى الارض فأدركه صاحب للجيم كان يعرفه فأخذه وصار به اليه ، فأخذه لجيم وأركب الذي جاءه به نجيبا فارها ، وقال له : طر ـــ أن أمكنك ـــ حتى تأتي بغداد ، وعرف العباس بن الحسن الوزير أنك رسولي اليه ، واشرح له ماشاهدت وسلم اليه الخاتم، فسار حتى دخل بغداد وأعلمه بالخبر .

قال : ومضى لجيم الـــى وصيف والقاسم بن سيماء فعرفهما خبر زكرويـــه ، واجتمعوا جميعا وكتبوا كتاب الفتح ، ونهب الجيش عسكر القرامطة وأخذت زوج زكرويه واسمها مؤمنة وأخذ خليفته وجماعة من خاصته وأقربائه وكاتبه ، وانصرف العسكر نحو الكوفة فمات زكرويه بخفان من جراحات أصابته ، فصبر وكفن وحمل على جمل الى بغداد ، وأدخلت جثته وزوجته وحرم أصحابه وأولادهم والاسرى ورؤوس من قتل بين يديه وخلفه ونساؤه في الجوالقات[1] .

قال ابن الاثير[2] : وانهزم جماعة من أصحابه الى الشام ، فأوقع بهم أصحاب الحسين بن حمدان فقتلوا عن آخرهم ، وأخذ الاعراب رجلين من أصحاب زكرويه يعرف أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم وهو أخو امرأة زكرويه ، كانا قد توجها اليهم يدعوانهم الى الخروج الى صاحبهم ، فسيروهما الى بغداد ، وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق فقتل بعضهم وحبس بعضهم ، وبادت هذه الطائفة منهم بالعراق مدة .

ذكـــر اخبار من ظهر من القرامطة بعد مقتل زكرويه بن مهرويـــه

قال الشريف أبو الحسين : ولما قتل زكرويه سكن أمـــر القرامطة وانقطعت حركاتهم وذكر دعوتهم ، فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل مـــن

---

(١) أي الاوعية ـــ القاموس .

(٢) الكامل : ٦/١١٣ .

السواد من الزط يعرف بأبي حاتم ، فقصد أصحاب البوراني خاصة ، وكان هـذا البوراني داعياً وأصحابه يعرفون بالبورانية ، فلما ظهر أبو حاتم حـرم عليهم الثوم والكراث والفجل ، وحرم عليهم اراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم بأشياء لا يقبلها الا الاحمق السخيف من ترك الشرائع ، وهذه الطائفة من القرامطة تعرف بالبقليـة •

وأقام أبو حاتم هذا نحو سنة ثم زال ، ثم اختلفوا بعده وكانوا أهل قرى بسواد الكوفة ، فقالت طائفة منهم زكرويه بن مهرويه حي ، وانما شبه على الناس به، وقالت فرقة منهم الحجة لله محمد بن اسماعيل •

ثم خرج رجل من بني عجل قرمطي يقال له :

محمـد بن قطبـة

فاجتمع له نحو من مائة رجل ، فمضى بهم الى نحو الجامدة من واسط ، فنهب وأفسد فخرج اليهم أمير الناحية فقتلهم وأسرهم •

ذكـر اخبـار
ابي طاهر سليمان بن ابي سعيد الحسن بن بهـرام الجنابـي

قد قدمنا أخبار أبيه أبي سعيد وحروبه وما استولى عليه ، وذكرنا خبر مقتله وولاية ابنه سعيد ، وأنه سلم الامر الى أخيه أبي طاهر سليمان ، هذا في سنة خمس وثلاثمائة ، وقد قيل بل عجز سعيد عن الامر فغلبه عليه أخوه أبو طاهر سليمان • قال : وكان شهما شجاعا ، وكان الخليفة المقتدر بالله قد كتب الى أبي سعيد كتابا لينا في معنى من عنده من أسرى المسلمين ، وناظره وأقام الدليل على فساد مذهبه ، فلما وصلت الرسل الى البصرة بلغهم موته ، فكتبوا بذلك الى الخليفة فأمرهم بالمسير الى ابنه ، فأتوا أبا طاهر بالكتاب فأكرم الرسل وأطلق الاسرى وأجاب عن الكتاب، ثم تحرك أبو طاهر بعد ذلك في سنة عشر وثلاثمائة ، وعمل على أخذ البصرة فعمل

---

(١) الزرفين حلقة الباب ، وفي الحديث : كانت درع رسول الله ﷺ ذات زرافين ، اذا علقت بزرافينها سترت . اللسان .

سلاليم عراضا ، يصعد على كل مرقاة اثنان بزارفين ــ اذا احتيج الى نصبها وتخلع اذا أريد حملها ، ورحل بهذه السلالم المزرئنة يريد البصرة • فلما قرب منها أمهل الى أن جن الليل ، وأمر باخراج الاسنة وقد كانت وضعت في رمل كيلا تصدأ فركبت على الرماح ، وفرق الجنن[1] على أصحابه ، وحشيت الغرائر بالرمل وحملت على الجمال وحملت أشياء من حديد قد أعدت لما يحتاج اليه، ثم سار بأصحابه الى السور قبل الفجر ، فوضعوا السلالم وصعد عليها قوم من جلداء أصحابه ، وتقدم اليهم بقتل من يتكلم من الموكلين بالابواب ، ودفع للآخرين ما أعده لكسر الاقفال ، وقد كان التواني وقع في أرزاق الموكلين على الابواب ، فتفرقوا للمعاش الا بقية من المشايخ القدماء فان أرزاقهم كانت جارية عليهم ، فصادفوا بعضهم هناك تلك الليلة فتسوروا ونزلوا ووضعوا السيف عليهم ، وجاء الآخرون فكسروا الاقفال ودخل القرامطة ، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول معهم في الابواب نحو ذراع ، ليمنعوا غلقها الا بتعب ، وساروا ونذر بهم قوم فبادروا سبكا المفلحي وهو يومئذ الامير فأعلموه ، فركب وقد طلع الفجر ومعه بعض غلمانه فتلقوه وقتلوه ، وفزع الناس وركبت الخيل فقتل من تسرع منهم، وكانت العامة قد منعها السلطان أن تحمل سلاحا ، فاجتمعوا بغير سلاح ومعهم الآجر ، وحضر سبك واجتمعت الجند ووقعت الحرب ، فأصابت القرامطة جراحات والقتل في العامة كثير ، واستمر ذلك الى آخر النهار واختلاط الظلام ، ثم خرج القرامطة وقد قتلوا من الناس مقتلة عظيمة الى خارج البلد فباتوا خارج الدرب ، وخرج الناس بعيالاتهم فركبوا السفن ، وباكر أبو طاهر البلد فنزل دار عبد السلام الهاشمي ، وتفرق أصحابه في البلد يقتلون من وجدوا وينهبون ما يجدون في المنازل ، ويحمل ذلك الى موضع قد أمر بجمعه فيه •

وحكى ابن الاثير في تاريخه الكامل[2] : أن دخولهم البصرة كان في شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وأنه وصل اليها في ألف وسبعمائة رجل ، وأقام بها سبعة عشر يوما يحمل منها ما يقدر عليه من الاموال والامتعة والنساء والصبيان ، وعاد الى بلــده •

---

(١) الجنان والجنانة بالضم : الترس (اقرب الموارد) .

(٢) الكامل : ١٧٥/٦ .

قال الشريف : وتراجع الناس فاشتغلوا بدفن من قتل ، ولم يرد كثير منهم حريمه خوفا من عود القرامطة ، قال : ولما اتصل خبر هذه الحادثة بالسلطان أنفذ ابن نفيس[1] في عدة وعدة فسكن الناس ، وولى البلد فشحن السور بالرجالة ، وتحرز الناس وأعدوا السلاح .

قال : وكان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان قد قلد أعمال الكوفة وقصر ابن هبيرة والسواد وطريق مكة ، فجرى بينه وبين البوراني وقائع عظيمة حتى ردهم عن عمله بشجاعته واقدامه ، فعمرت البلاد وأمن الناس وصلحت الطرق واستقام عز السلطان ، فوقف القرمطي من ذلك على ما هاله ، وكانت جواسيس أبي طاهر لا تنقطع عن العراق في صور مختلفة ، واتصل به أن أبا الهيجاء يهون أمره ويتمنى أن ينتدب لحربه ، فخاف ذلك ولم يأمنه .

ذكر اخذ ابي طاهر الحاج
وأسره ابن حمدان وما كان من امره في اطلاقه

كانت هذه الحادثة في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة ، وذلك أن أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي القرمطي أنفذ رجلا من جواسيسه الى مكة في سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وقد خرجت قوافل الحاج مع أبي الهيجاء بن حمدان في تلك السنة ، فكان الجاسوس يقوم على المحجة فيقول : يا معشر الناس ادعوا على القرمطي عدو الله وعدو الاسلام ، ويسأل عن أمير الحاج وفي كم هو وكم أرزاقهم ، ويسأل عمن خرج من التجار وما معهم من الاموال ، فكان ذلك دأبه حتى قضى الحج ، ثم خرج في أول النفر فأسرع الى سواد باهلة ، ثم الى اليمامة وصار الى الاحساء في أيام يسيرة ، فأخبر سليمان القرمطي بصورة الامر ، فوجه سليمان من يثل[2] الآبار بينه وبين لُبْنَه[3] وبعض آبار لبنه ويسوي حياضها ، وورد بعض الاعراب الى أبي الهيجاء — وهو بعيد ينتظر رجوع الحاج وذلك في آخر ذي الحجة من السنة — فأخبره أن آبار لبنه

---

(١) هو بني بن نفيس .

(٢) ثل البئر : اخرج ترابها (اقرب الموارد) .

(٣) واد لعمر بن كلاب كثير النخل وليس لبني كلاب بشيء من بلادها نخل غيره . معجم البلدان .

قد ثلث فاستراب بذلك ، وجاء بعض الاعراب بجِلَّة[1] فيها قطعة من تمر هجر فتيقن أمر القرامطة ، فشغل ذلك قلبه ، وجاءه ما لم يقدره ولا ظنه ، فاضطرب من ذلك اضطرابا شديدا ، وورد حاتم الخراساني بقافلة الحاج من مكة ثاني ذلك اليوم ، ومعه قافلة عظيمة ، فزاد ذلك في شغل قلب أبي الهيجاء لخوفه عليه ، ولم يظهر ذلك لحاتم ولا لغيره ثم ارتحل فلم يعترض عليه ، فلما صار حاتم بالثعلبية أنهى اليه شيء من أخبار القرامطة وأنهم بلبنه •

وكان القرمطي رحل من بلده في ستمائة فارس وألف راجل، وسار حاتم فاجتاز بالهبير ليلا فلم ينزله ، وسار حتى نزل الشقوق ، وأغذ السير وسلمه الله ومن معه ، ونزلت بفيد قافلة أخرى من غد رحيل حاتم من الخراسانية ، ثم ساروا عنها حتى اذا كانوا بالهبير ظهر لهم أبو طاهر سليمان القرمطي ، فقتل بعضهم وأفلت البعض حتى وردوا الكوفة ، فاشتد خوف الناس بالكوفة على الحاج واضطربوا ، الا أن نفوسهم قوية بمقام أبي الهيجاء بفيد ، وكان أبو الهيجاء قد أنفذ رجلا طائيا يعرف له أخبار القرامطة ، يقال له مسبع بن العيدروس من بني سِنْبس ــ وكان خبيراً بالبر ،وتقدم اليه أن يسرع اليه بالخبر ويعدل عن الطريق ، ومعه جماعة قد أزاح عللهم في الرزق والمحمل ، فساروا حتى قربوا من لبنه فنزل اليهم فارسان ، فركبوا خيولهم وتلقوهما فتطاردوا ، وقصرا في الركض وهبطا واديا خلفهما وخرجا منه ، ولحقتهم الخيـــل فساروا على أرض جدب ، فدفع عليهم نحو من سبعين فارسا ، فلم ينته حتى طعنت فيهم وضربت ، فرجع القوم على خيل مطرودة وخيول القرامطة مستريحة ، فبالغوا في دفعهم بكل جهد فلم تك الا ساعة حتى قتلوا جميعا ، وأسروا مسبعا دليل القوم فحملوه الى لبنه، فسأله القرمطي وقال : ان صدقتني أطلقتك، فلما أخبره أمر بحفظه، قال : ولم يمض لأبي الهيجاء يومان بعد ارسال الطليعة حتى وردت قوافل الحاج وأصحاب السلطان معها ، وفيها من الوجوه أحمد بن بدر ، عم السيدة أم المقتدر بالله ، وشفيع الخادم ، وفلفل الاسود صاحب خزانة السلطان ، واسحاق بن عبدالملك الهاشمي صاحب الموسم وغيرهم ، فأعلمهم أبو الهيجاء الخبر فأجالوا الرأي ، فقال لهم : قد أنفذت رجالا أثق بهم طليعة ، وأخذت عليهم ألا يرجعوا حتى يشربوا من

(١) الجلة بالضم قفة كبيرة للتمر (اقرب الموارد) .

لينه والصواب التوقف عن الرحيل لننظر ما يأتون به ، فعملوا على ذلك وأقاموا بفيد ستة أيام ، ونزلت القافلة الوسطى فيد وكثر الناس وغلت الاسعار ، ولم يقدروا على حشيش للعلف ولا خبز ، فضج الناس وأجمعوا على الرحيل فرحلوا عن فيد يوم الاحد ، وخلف أبو الهيجاء ابن أخيه علي بن الحسين بن حمدان بفيد ، في خيل ينتظرون الحاج الذي مع قافلة الشمسة ، قال : وكان الحاج قبل ذلك يسيرون قافلة بعد قافلة لكثرتهم ، ومن أراد أن يسير بعد الحاج سار ، ومن أراد أن يتخلف ليعتمر في الحرم تخلف،وكان الامر يحملهم على ذلك فيسيرون قافلة بعد قافلة،قال: ثم وردت قافلة الشمسة فيد، فجاءهم بعض التجار بخبر ما اتصل بأبي الهيجاء، وكان في القافلة أبو عيسى صالح بن علي الهاشمي ، وجماعة من العباسيين ، وأبو محمد بن الحسن ابن الحسين العلوي وعمر بن يحيى العلوي وغيرهما من الطالبيين وتجار الكوفة ، فتجلت حقيقة الاخبار من أمر القرامطة ، فاجتمعوا في مضرب أبو عيسى وتشاوروا ، فاجتمع رأيهم على المقام بفيد الى أن ترتحل القافلة ، ثم ينظروا لانفسهم في عرب يخرجون معهم الى الكوفة ، فأقام الناس بفيد يومهم ثم رحلوا بكرة ، فلما جاوزوا المنزل افتقد علي بن الحسين بن حمدان من تخلف من القافلة ، فسأل عنهم فأخبر بتخلفهم فرجع الى فيد ومعه بعض أصحابه فاجتمع بهم ، وسألهم عن تخلفهم فقالوا بأجمعهم لا نحب سلوك هذه الطرق ، ودافعوا عن الاخبار بسبب تخلفهم ، وقالوا له : أنت وعمك بريان منا ، قال : اكتبوا إليّ خطوطكم بذلك ، ففعلوا ، وانصرف فسار بالناس فلما وصل الى عمه أبي الهيجاء عرفه ذلك ، فلامه عليه وقال : وددت أن جميع من ترى كان معهم ، قال : ولما سارت القافلة مع علي بن الحسين بن حمدان أحضر هؤلاء الذين تخلفوا بفيد ابن نزار وابن توبة تاجرين من أهلها ، فعرفوهم حاجتهم الى من يسلك بهم الى الكوفة على غير طريق الحاج ، فجمعوا لهم جماعة من سنبس وتوصلوا بهم الى بني زبيد من الطائيين ، ثم أخذوا ينزلون على العرب يقاتلون من قاتلهم ، ويصلون من استرفدهم ويبرون ويخلعون ، فسلمهم الله حتى وردوا الكوفة ، وذلك بعد شدائد عظيمة وقتال في مواضع ، ولم يسلم من الحاج غيرهم والقافلة الاولى التي كانت مع حاتم •

قال : ولما وصل علي بن الحسين بن حمدان الى عمه أبي الهيجاء اجتمعت القوافل ، وكثر الناس ، وتجلى لهم خبر القرامطة وصح ، فسار أبو الهيجاء بالناس

الى الخزيمية ثم الى الثعلبية ، ثم ساروا يريدون البطان[1] ، واجتمع الناس من أصحاب السلطان والرؤساء فتشاوروا، فلم يدع الامير أبو الهيجاء الاستغاثة بالقوم يقول : ارجعوا ودعوني ألقى القرامطة في أصحابي ، فان أصبت فمعكم من تسيرون معه ، والا فامضوا الى وادي القرى والمدينة أو غير ذلك ، وان ظفرت وجهت اليكم فعدتم وقد زال المحذور ، ولم يزل يردد عليهم هذا القول من الاجفر الى الثعلبية ، فمنهم من أجاب ومنهم من أبى ذلك وقال : لا نفترق ، وكان أحمد بن بدر عم السيدة أبى ذلك وصمم على الملازمة،فعمل ابن حمدان بما أرادوه دون رأيه، وبات الناس على أميال بقيت من البطان والاحمال على ظهور الجمال ، وذلك ليلة الاحد لايام خلت من صفر ، فلما أضاء لهم الفجر ارتحلوا ، وقدم أبو الهيجاء ستمائة راجل من الاولياء ، كان السلطان أبعدهم لكثرة شغبهم ببغداد فكانوا بين يدي القوافل ، وقارب بين القطر ودخل بعض الناس في بعض ، وتقدم نزار بن محمد الضبي فكان في أول القافلة في أصحابه خلف الرجالة ، وسار أبو الهيجاء في التغالبة والعجم في ميمنة القافلة ، وألزم الساقة وميسرة القافلة جماعة من الاولياء مع بعض الامراء ، واحتاط بكل ما أمكن .

سار فلما أضحى النهار أقبلت عليهم خيل القرامطة ، والقافلة في نهاية العظم جدا ، فكان أول من لقيهم رجالة أبي الهيجاء ، فحملت القرامطة عليهم فخالطوهم فقتلوا جميعا الا نحوا من عشرين رجلا ، وحمل نزار في جيشه فضارب بعض خيل القرامطة بالسيوف ساعة ، فلحقته ضربة فهوى الى الارض واعتنق فرسه ، ومضى نحو المشرق وتبعه بقية أصحابه ، فاستقاموا حتى وصلوا الى زبالة وساروا الى الكوفة ، فلما سمع الامير أبو الهيجاء الصوت وعرف الخبر وكان في آخر القافلة أسرع في خيله نحو أول القافلة ، فوجد الامر قد فاته بقتل من كان أمامها ، وقويت القرامطة على حربه ووجد الحاج قد أخذوا يمنة ويسرة ، فحمل على القرامطة فاستقبلوه فقتل جماعة من أهل بيته صبروا معه ، وانهزم وضرب على رأسه ضربة لم تضره الا أنه قد نزف منها ، وأخذ أسيرا ونزل أبو طاهر القرمطي على غلوتين من القافلة ، ورجالته نحو من ستمائة على المطي فأنفذهم وفرسانا من فرسانه فأحاطوا

---

(1) منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة دون الثعلبية ـ معجم البلدان .

بالقافلة ، ومنعوا الناس من الهرب ، وكان قد هرب خلق منهم في وقت القتال ، فتلف كثير منهم في الطريق عطشا وأخذ بعضهم الاعراب فسلبوهم ، وسلم قوم منهم الى زبالة وساروا الى الكوفة ، وأتي بأبي الهيجاء الى سليمان فلما نظر اليه تضاحك ، وقال : قد جئناك جبد الله ولم نكلفك قصدنا ، فتلطف له أبو الهيجاء بفضل عقله ودهائه وسعة حيلته وقوة نفسه ، وألان له القول حتى أنس به ، فاستأمنه على نفسه فأمنه فخلص بذلك ناسا كثيرا ، وعمل في سلامة كثير من الحاج عملا كثيرا •

ثم أمر القرمطي بتمييز الحاج واخراجهم من القوافل ، وعزل الجمالين والصناع ناحية فظنوا أنه انما أخرجهم للقتل فارتاعوا لذلك ، وكانوا قد عطشوا عطشا شديدا، فلما جنهم الليل ضجر الموكلون منهم ، فأخذوا ما معهم وخلوهم ، فورد من ورد منهم الكوفة بشر حال متورمي الاقدام في صور الموتى ، ورحل أبو طاهر من الغد بعد أن أخذ من أبي الهيجاء وحده نحوا من عشرين ألف دينار من الاموال التي لا تحصى كثرة ، وقدم كثير من الناس بخبر أبي الهيجاء ، وأنه راكب مع القرامطة يدور معهم ويسأل في خلاص أسرى كانوا معه ، منهم أحمد بن بدر عم السيدة وقلفل الاسود وأحمد بن كشمرد ونحرير الخادم صاحب الشمسة وبدر الطائي وأخوه وغيرهم •

قال : وزادت غلبة أبي طاهر لاصحابه فتنة ، وعظموا أمره وسلب عقولهم حتى قالوا فيه أقوالا مختلفة بحسب جهلهم •

قال : ولما مضى لأبي الهيجاء شهور وهو عندهم أخذ يحتال في الخلاص ، فمرة يعرض به ومرة يفصح به حتى أنس القرمطي بذلك وأجابه اليه، فسأله في ابن كشمرد وقال : هو ضعيف لكبره وعلته ، وهذا الخادم الاسود ممن لا يضر السلطان فقده ولا ينفعه اطلاقه ، وكلمه في أحمد بن بدر فامتنع عليه ، فضمن له عشرين ألف دينار وبزاة وفهودا وعبدانا وثيابا ، فاستحلفه وضمنه ، وتخلص منه ناس كثير من الحاج ، وأطلقه ، وصار الى بغداد فتباشر الناس بذلك وابتهجوا به •

ذكر دخول ابي طاهر القرمطي الكوفة ورجوعه

كان أبو طاهر قد كتب الى الخليفة المقتدر بالله ــ بعد اطلاق أبي الهيجاء بن حمدان ــ يطلب منه البصرة والاهواز ، فلم يجبه الى ذلك ، فسار من هجر في سنة

اثنتي عشرة وثلاثمائة يريد الحاج عند توجههم الى الحجاز ، وكان جعفر بن ورقاء الشيباني يتقلد أعمال الكوفة وطريق مكة،فسار مع الحاج خوفا عليهم من أبي طاهر، ومعه ألف رجل من بني شيبان ، وسار مع الحجاج من أصحاب السلطان ثمل صاحب البحر وغيره في ستة آلاف رجل ، فلقي أبو طاهر الجيش فانهزموا منـــه ، وردّت القافلة الاولى هم وعسكر الخليفة بعد أن انحدروا من العقبة ، وتبعهم أبو طاهـــر الى باب الكوفة وبها يومئذ جنى الصفواني ، كان الخليفة قد أنفذه في جيش عظيم الى الكوفة ، وبها أيضا ثمل في جيش عظيم •

وأقبل أبو طاهر حتى نزل بظاهر الكوفة في يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة ، وأقبل جني الى خندق الكوفة في عشية هذا اليوم ، وأهل البلد والعامة منتشرون على الخندق ، وجعفر بن ورقاء في بني شيبان نازل على القنطرة التي على الخندق مما يلي دور بني العباس ، وثمل على القنطرة التي تليها ، وجني مما يلي ذلك من ناحية يمنة الكوفة ، فناوشه الناس ، وخرج أبو محمد الحسن بن يحيى بن عمر العلوي فطارد بعض فرسانه ، وانكفأ أبو طاهر راجعا ، وبات الناس على تلك الحال وقد قوي الطمع فيه ، فلما كان الليل ورد كتاب السلطان يخاطب أبا محمد بن ورقاء في تدبير الجيش ، فعمل على لقاء جني الخادم ليعرفه ذلك ، فأشير عليه ألا يفعل فأبى ذلك ، ثم ركب يعرف جنيا ما كتب به اليه ، فأنف جني أن يكون تابعا وأسر ذلك في نفسه ، وباكرهم القرمطي بالقتال بعد أن أضحى النهار، فدخلت الرجالة وراء الفرسان بجيش خرس عن الكلام صمت وحركات خفيـــة ، والبارقة فيهم ظاهرة في ضوء الشمس ، وهم يزفون عسكرهم زفا ، حتى اذا وصلوا الى عسكر السلطان مالوا على جيش ابن ورقاء وهو في مسيرة الناس ، فما تمهل بنو شيبان حتى انهزموا راجعين ، فعبروا القنطرة التي على الخندق الى جانب الكوفة وتبعوهم ، فصاروا من وراء جني وثمل فوضعوا السيف في الناس ، وجني جالس قبل ذلك على كرسي حديد يبين أنه لا يقاتل وكأنه يريد قتاله بعد الناس فأسروه ، وقاتله ثمل وقاومه وهو منهزم على محامله ومدافعة ، الى أن تخلص وسلم جعفر بن ورقاء وكثير من أصحابه، وقتل كثير من العامة وغيرهم في الطرقات، ووصل أبوطاهر الى البلد فرفع السيف ونهب منازل الناس ، وأقام بالكوفة ستة أيام بظاهرها يدخل

البلد نهارا ويقيم بجامعها الى الليل ، ثم يخرج فيبيت بعسكره ، وحمل منها ما قدر على حمله ، ودخل المنهزمون بغداد ولم يحجوا في هذه السنة ، وخاف أهل بغداد وانتقل الناس الى الجانب الشرقي •

قال : ورحل أبو طاهر عن الكوفة في يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة ، وقتل يوم دخوله أبو موسى العباسي صاحب صلاة الكوفة ورحل مؤنس المظفر من بغداد بجيش السلطان عند اتصال الاخبار ببغداد ، فسار منها حتى دخل الكوفة ، فكان وصوله اليها بعد رحيل القرامطة عنها ، فأقام بها ثلاثة أيام ثم رحل عنها ، ثم عاد القرمطي في سنة خمس عشرة •

ذكر دخول ابي طاهر القرمطي الى العراق وقتل يوسف بن ابي الساج

قال : وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة سار أبو طاهر من هجر الى الكوفة ، وكان المقتدر بالله قد استعمل يوسف بن أبي الساج على حرب القرامطة ، فاستصعب ابن أبي الساج المسير الى بلد القرامطة ، وثقل مسيره في أرض قفر لكثرة من معه من العساكر ، فاحتال على أبي طاهر وكتب اليه واطمعه في بغداد ، وأظهر له المواطأة والتزم بمعاضدته فغره بذلك ، حتى رحل بعيال وحشم واتباع وصبية ، وجيشه على أقوى عدة تمكنه ، وأقبل يريد الكوفة وعميت أخباره عن أهلها ، انما هي أراجيف ، ورحل يوسف بن أبي الساج بجيشه من واسط يريد الكوفة ، فسبقه أبو طاهر اليها ودخلها في يوم الخميس لسبع خلون من شوال من هذه السنة ، وأخذ ما يحتاج اليه ونزل عسكره خارج الكوفة ما بين الحيرة الى ناحية الخورنق، وأقبلت جيوش ابن أبي الساج تسيل من كل وجه على غير تعبئة ، وأقبل هو في جيشه ورجاله حتى نزل في غربي الفرات ، وعقد عليه جسرا محاذيا لأبي طاهر ، وعبر اليه مستهينا بأمره مستحقرا له لا يرى أنه يقوم به ، وذلك في يوم الجمعة ، فأرسل الى أبي طاهر يدعوه الى طاعة الخليفة المقتدر بالله أو الحرب في يوم الاحد ، فقال : لا طاعة الا لله والحرب غدا ، فلما كان يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة خمس عشرة التقوا واقتتلوا قتالا شديدا عامة النهار ، وكثير من عسكر ابن أبي الساج لم يستتم نزوله، وهو جيش يضيق عنه موضعه ولا يملك تدبيره ،وقد تفرق عنه عسكره تفرقاً منتشراً

في فراسخ كثيرة ، وركبوا من نهب القرى وأذى الناس واظهار الفجور ما تمنى كثير من الناس هلاكهم •

قال الشريف أبو الحسين : ولما لقيه بظهر الكوفة ما بين الحيرة والخورنق والنهرين من الفرات اتفق له تلول وأنهار وموضع يضيق عن جيشه ولا يتمكن معه الاشراف عليه ، فقدم بين يديه رجالة بالرماح والتراس مع قائد يعرف بابن الزرنجي، فأقبل القرمطي نحوه في أربعة آلاف فقاومته الرجالة طويلا ، ثم دخلتها الخيل وتعطفت عليها واضطرب الناس ، فوضع فيهم السيف •

قال الشريف : وأخبرني بعض الجند قال : كنت والله قبل الهزيمة أريد أن أضرب دابتي بالسوط فلا يمكنني ذلك لضيق الموضع ، ووصل كثير من عسكر القرمطي الى ابن أبي الساج في مصافه على أتم عدة ، فلما التقوا اقتتلوا كأعظم قتال شوهد ، وكثرت القتلى والجراح في القرامطة جدا ، وقتل رجالة ابن أبي الساج ، وخلص اليه فانهزم الناس وقتلوا قتلا ذريعاً ، حتى صاروا في بساط واحد نحو فرسخين أو أرجح ، فلما كان عند غروب الشمس انهزم أصحاب ابن الساج بعد صبر عظيم ، وأسر هو وجماعة كثيرة من أصحابه ، وذلك في وقت المغرب من يوم السبت، فوكل به أبو طاهر طبيبا يعالج جراحه،واحتوى القرامطة على عسكر ابن أبي الساج، ولم تكن فيهم قوة على جمع ما فيه لضعفهم وقتل من قتل منهم ، فمكث أهل السواد من الاكرة وغيرهم ينهبون القتلى نحو أربعين يوما ، ووصل المنهزمون الى بغداد بأسوأ حال ، فخاف الخاص والعام ببغداد من القرامطة •

وكان أبو طاهر القرمطي يظن أن مؤنسا المظفر لا يتأخر عن حربه ، وكان على وجل منه ، فلما لم يخرج اليه اشتد طمعه وظن أنه لا يلقاه أحد ولا يقاومه ، وأن ما كان قد خدع به — من أن ببغداد من يظاهره على أمره ، وينتظر وصوله اليه من الرؤساء — حق ، فخرج يريد بغداد ،فلما قرب من نواحي الانبار وقصر ابن هبيرة ونزل بسواده وكل بهم جندا ليست بالكثير ، وركب في جيشه فوافى الانبار واحتال الى أن عبر الفرات وصار من الجانب الغربي ، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد مدينة السلام ، وعرف الناس ذلك فكثر اضطرابهم وجزعهم ، فبرز مؤنس المظفر الخادم من بغداد للمسير الى الكوفة ، فبلغه أن القرامطة قد ساروا الى عين التمر ، فأرسل

من بغداد خمسمائة سمارية فيها المقاتلة لتمنع من عبور الفرات ، وسير جماعة من الجيش لحفظ الانبار ، وقصد القرامطة الانبار فقطع أهلها الجسور ، فنزلوا غرب الفرات وأنفذ أبو طاهر أصحابه الى الحديثة ، فأتوه بسفن فعبر فيهـا ثلاثمائة من القرامطة ، فقاتلوا عسكر الخليفة وقتلوا منهم جماعة واستولوا على الانبار •

قال : ولما ورد الخبر بذلك الى بغداد خرج نصر الحاجب في عسكر جرار ، ولحق بمؤنس المظفر فاجتمعا في نيف وأربعين ألفا سوى الغلمان ومن يريد النهب ، وكان في العسكر أبو الهيجاء بن حمدان واخوته وأصحابهم ، فلما أشرف القرامطة على عسكر الخليفة هرب منه خلق كثير الى بغداد من غير قتال •

قال ابن الاثير[1] : كان عسكر القرامطة ألف رجل وخمسمائة رجل ، منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل ، قال : وقيل كانوا ألفين وسبعمائة فارس •

قال الشريف : وسار مؤنس المظفر حتى نازل القرامطة على قنطرة نهر زبارا ، على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وشحن الموضع بالجيش ، وأشار أبو الهيجاء بن حمدان بقطع القنطرة خوفا من عبور القرمطي ، وان اتفق أدنى جولـة مـع امتلاء صدور الجيش من القرامطة فلا يملك البلد لشدة اضطرابه وكثرة أهله، ففعل مؤنس ذلك وقطعها وقاتل عليها نفر من القرامطة قتالا شديدا ، لا يمنعهم كثرة النشاب ولا غيره ، وشحن مؤنس الفرات ما بـين بغداد الى الانبار بسماريات ، فيها رماة ناشبة تمنع أحدا من القرامطة من شرب الماء إلا بجهد ، فضلا عن تمكن من العبور ، وكان أحد من نصب لذلك اسحاق بن ابراهيم بن ورقاء ، وكان شيخا ذا دين وبصيرة ونية في الخير ، فأقام على حصاره لأبي طاهر وكان لا يقدر على مذهب لا الى وجهه ولا الى جوانبه ، ومتى دنا من الماء أخذته السهام •

قال الشريف : فحدثني من حضر يومئذ وقد ورد كتاب المقتدر بالله ، يأمـر مؤنسا بمعاجلته القتال ويذكر ما لزم من الاموال الى وقت وصوله ، فكتب مؤنس كتابا ظاهرا ــ جواب كتاب الخليفة ــ يمليه على كاتبه والناس يسمعون ، يقول :

---

(١) في الاصل « الف فارس وسبعمائة فارس وثمانمائة راجل » وهو وهم بالنقـل صوابه ما اثبتناه عن المصدر نفسه ــ الكامل : ١٨٨/٦ .

ان في مقامنا ، أطال الله بقاء مولانا نفقة المال ، وفي لقائنا نفقة الرجال ، ونحن اخترنا نفقة المال على نفقة الرجال .

قال : ثم أنفذ المظفر مؤنس رسولا الى القرمطي يقول : ويلك ! تظن أنني كمن لقيك، أبرز لك رجالي والله مايسرني أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابي، ولكنني أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذا بيدي ان شاء الله .

قال : وأنفذ المظفر حاجبه يلبق في ستة آلاف مقاتل الى القرامطة ، الذين بقصر ابن هبيرة مع سواده ، ليوقعوا بهم ويخلصوا يوسف بن أبي الساج ، فعلم أبو طاهر بذلك فاضطرب واجتهد في عبور الفرات فعجز . ثم انفق له طوق حطب فعبر عليه في نفر يسير ، وصار الى سواده الذي خلفه ، وجاءه يلبق فواقعه أبو طاهر في نفر يسير ، فكر يلبق راجعا منهزما وسلّم السواد وذلك بعد قتال شديد .

ونظر أبو طاهر الى ابن أبي الساج — وقد خرج من الخيمة ، ينظر ويرجو الخلاص ، وقد ناداه أصحابه : أبشر بالفرج ، فلما تمت الهزيمة أحضره أبو طاهر وقتله وقتل من معه من الاسرى .

وقصد القرامطة مدينة هيت وكان المقتدر قد سير اليها سعيد بن حمدان وهارون بن غريب ، فسبقوا القرامطة اليها وقاتلوهم عند السور ، فقتل من القرامطة جماعة فعادوا عنها ، فرجع مؤنس الى بغداد وسار أبو طاهر الى الدالية من طريق الفرات ، فقتل من أهلها جماعة ، ثم سار الى الرحبة فدخلها في ثامن عشر المحرم سنة ست عشرة وثلاثمائة ، بعد أن حاربه أهلها فظفر بهم ووضع السيف فيهم ، فراسله أهل قرقيسيا يطلبون الامان فأمنهم على ألا يظهر أحد منهم بالنهار ، فأجابوا الى ذلك ، وخافه الاعراب وهربوا من بين يديه ، فقرر عليهم أتاوة عن كل رأس دينار يحملونه الى هجر ، ثم صعد من الرحبة الى الرقة فدخل أصحابه الى نصيبين، وقتلوا بها ثلاثين رجلا وقتل من القرامطة جماعة ، وقاتلوا ثلاثة أيام ثم انصرفوا في آخر ربيع الاول ، وساروا الى سنجار ونهبوا فطلب أهل سنجار الامان فأمنهم ، ثم عاد الى الرحبة ، ووصل مؤنس الى الرقة بعد انصراف القرامطة عنها ، فاحتال مؤنس في ارسال زواريق فيها فاكهة قد جعل فيها سموما قاتلة ، فكانت القرامطة يلقونها فيأخذونها ، فمات كثير منهم وضعفت أبدان بعضهم ، وجهدوا وكثر فيهم الذرب

فكروا راجعين وهم قليلو الظهر مرضى، فلما بلغوا هيت قاتلهم أهلها من وراء السور فقتلوا منهم رئيسا كبيرا وانصرفوا عنهم مفلولين .

ثم رحل أبو طاهر فدخل قصر ابن هبيرة فنهب وقتل ، ثم دخل الكوفة على حال ضعف وعلل وجراحات ، وأصحابه على ظهور حُمُر أهل السواد ، وكان دخوله إليها يوم الجمعة لثلاث ليال خلت من شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ، فأقام بها الى مستهل ذي الحجة من السنة ، ولم يقتل في البلد ولا نهب ، وساس أهل الكوفة أمرهم مع القرامطة ، ورحل أبو طاهر عن الكوفة في ذي الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة .

ذكر اخبار من ظهر من القرامطة
بسواد العراق في اثناء وقائع أبي طاهر الجنابي

قال ابن الاثير[1] والشريف أبو الحسين ــ وقد لخصت من روايتيهما ما أورده، ودخل خبر بعضهم في خبر بعض ــ ولما كان من أمر أبي طاهر في سنة ست عشرة وثلاثمائة ما قدمناه ، اجتمع بالسواد ممن يعتقد مذهب القرامطة وكان يكتمه خوفا فظهروا واجتمع منهم بسواد واسط أكثر من عشرة آلاف ، وولوا عليهم رجلا يسمى حريث بن مسعود ، فخرج اليه الامير بواسط فنام عسكره في بعض المواضع، فكبسه القرامطة فقتلوا منهم خلقا ، واستولوا على سائر ما حواه العسكر من السلاح وغيره فقوي أمرهم .

واجتمعت طائفة أخرى بعين التمر في جمع كثير،فولوا عليهم رجلا يسمى عيسى ابن موسى[2] ، وكانوا يدعون الى المهدي، فسار عيسى بن موسى الى الكوفة ونزل بظاهرها ، وجبى الخراج وصرف العمال عن السواد وكان والي الكوفة قد هرب منها قبل دخولهم ، ووجهوا الى جميع السواد من يطالبهم بالرحيل اليهم ، فخرج اليهم من بين راغب وراهب ، ففرقوا العمال في الطساسيج ، وولوا المعاون لقوم من

---

(١) الكامل : ٦/١٩١ ــ ١٩٢ .

(٢) في صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد ص ١٣٧ (ط. اوروبا) انه : ابن أخت عبدان القرمطي .

وجوه عشائرهم ، وولوا ابن أبي البوادي الكوفي خراج الكوفة ، ونصبوا بعض بني ربيعة واليا لحربها ، وأقاموا في البلد أياما وراحوا الى الجمعة بأجمعهم، وأقاموا أبا الغيث بن عبدة خطيباً ، وأحدثوا في الأذان ما لم يكن فيه ، فركب اليهم أبو علي عمر بن يحيى العلوي وعيسى بن موسى نازل على شط الفرات في بعض الايام ، فأظهروا الاستطالة على أبي علي بن يحيى وأنقصوا رتبته ، وأقيم وحجب أوقاتاً طويلة ، فخرج أبو علي الى السلطان وذكر له صورة أمر القوم ، وقرر في نفسه أخذهم ، فأنفذ السلطان معه صافي النصري في جيش وضمن أبو علي معاونته ، وكان هؤلاء قد خرجوا من الكوفة وخلفوا واليهم عليها وصاحب خراجهم ، وقصدوا موضعا يعرف بالجامع وما يليه فنهبوا واستباحوا ، ووثب أهل الكوفة بعد خروجهم على من خلفوه عندهم ، فقتلوا منهم جماعة وأخرجوا من بقي ، واتصل الخبر بالقرامطة فانكفأوا راجعين يريدون الكوفة ليقاتلوا أهلها ، فاجتمع الناس وحملوا السلاح وحفظوا البلد وطافوا به ليلا ونهارا مدة أيام ، وجاءت القرامطة فنزلوا على الكوفة فلم يكن لهم فيها مطمع فساروا الى مسورا ، وقدم أبو علي العلوي وصافي النصري من بغداد ، فواقعهم على نهر بقرب اجهاباذ يعرف بنهر المجوس ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى هزمهم الله تعالى ، فقتل منهم ما لا يحصى وغرق منهم قوم وهرب الباقون ، وتفرقوا وأسر عيسى بن موسى وخلق كثير معه وأعمى كان من دعاتهم كان يقول الشعر يعرف بأبي الحسن الخصيبي ، ودار أبو علي في السواد فتلقط منهم قوما ، فسكن البلد وتفرق ذلك الجمع ولم يبق لهم بقية قائمة ، وحملت الاسرى والرؤوس الى بغداد فقتل الاسرى بباب الكناسة وصلبوا هناك ، وحبس عيسى بن موسى ثم تخلص بغفلة السلطان وحدوث ما حدث من اضطراب الجيش وكثرة الفتن في آخر أيام المقتدر ، وأقام ببغداد يدعو ويتوصل الى ناس استغرهم ، ويعمل كتبا يجمع فيها ما يأخذه من كتب يشتريها من الوراقين ، يمخرق فيها بذكر أمور ينسخها ويوهم أن له بذلك علما ، ورتب كتبا ينسبها الى عبدان الداعي، ليوهم أن عبدان كان أحد العلماء بكل فلسفة وغيرها ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، ومخرق بجهده على جهال فصاروا له أتباعا ، وأفسد فسادا عظيما ، قال الشريف : وادعى خلافته من مخرق بعده الى الآن .

وحكى ابن الاثير في تاريخه الكامل[1] : أن الخليفة المقتدر بالله أرسل الى حريث بن مسعود ، هارون بن غريب والى عيسى بن موسى صافي النصري ، فأوقعوا بهم وانهزمت القرامطة وقتل أكثرهم وأسروا وأخذت أعلامهم وكانت بيضاء وعليها مكتوب (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)[2] فدخلت بغداد منكوسة ، واضمحل أمر القرامطة بالسواد .

نعود الى أخبار أبي طاهر

ذكـر مسير ابي طاهر الى مكـة شرفهـا الله ونهبها واخـذ الحجر الاسود واعادتـه وما كان مـن اخبـاره في خـلال ذلـك

وفي سنـة سبع عشرة وثلاثمائة حـج بالناس منصور الديلمي ، وسلموا في مسيرهم حتى أتوا مكة ، فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية ، وهو يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة ، فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام والبيت ، وقلعوا الحجر الاسود وأنفذوه الى هجر ، وأخذوا كسوة الكعبة وباب البيت ، وطلع رجل منهم ليقلع الميزاب فسقط فمات ، وخرج أمير مكة ابن مجلب في جماعة من الاشراف الى أبي طاهر ، وسألوه في أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فقتلهم جميعا وطرح القتلى في بئر زمزم ، ودفن الناس في المسجد الحرام حيث قتلوا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة على أحد منهم ، ونهب دور أهل مكة .

قال الشريف أبو الحسين : ولما نهب القرامطة مكة ورجع أبو طاهر الى بلده لحقه كد شديد عند خروجه من مكة ، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة الى أن عدل به دليل من الطريق المعروف الى غيره ، فوصل الى بلده بعد ذلك في المحـرم سنة ثماني عشرة وثلاثمائة ، فأقام به ثم سار الى الكوفة فدخلها في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، فاشتروا منها أمتعة وأسروا خلقا من السواد ، وعاثوا ورجعوا بعد خمسين يوما الى بلدهم ، فأقاموا به .

---

(١) الكامل : ١٨٦/٦ — ١٩٢ .
(٢) سورة القصص : ٥ .

وأنفذ أبو طاهر سرية الى جنّابة وسينيز ومهرُوبان في البحر فيها وجوه أصحابه في نحو أربعين مركبا ، فوافت ساحل سينيز فصعدوا من المراكب ، فحملوا على أهلها حملة واحدة فانكشف الناس عنهم ، فوضعوا فيهم السيف فمالقوا أحدا الا قتلوه من رجل وامرأة ، فما نجا الا من لحق بالجبال وسبوا النساء ، فترك الناس الديار وخرجوا يريدون الهرب ، فنادى أبو بكر الطرازي في الناس : لا يهرب أحد، فانا نقاتل من ورد الينا ، وضرب بالبوق ووجه من حبس الناس عن سلوك الطرقات وردهم الى البلد ، وجمع الناس بالمسجد الجامع ورغبهم في الجهاد وأسعفهم بماله ، ورغبت المتطوعة في الاجتماع فقويت قلوب الناس ، وأنفذ أبو بكر سرية من وقته من خاصة غلمانه في نحو ثلاثمائة رجل في البحر ، ووجه سرية أخرى في البر ، وأنفذ الى مهروبان يخبر أنه على لقاء العدو ، وسألهم الإنجاد في المراكب لمعاونة أهل جنابه على قتال القرامطة ، فساروا والتقى الفريقان في البر والبحر من أهل جنابة وسينيز ، ووافت قوارب مهروبان فأشعلوا النيران في القوارب ، فأحرقوا بعضها وتخلص منهم نحو عشرين قاربا ، وانتشبت الحرب فقتل الله منهم خلقا كثيرا ، وأسر جماعة ولحق بعضهم بالجبال ، وورد على أبي بكر الطرازي من أخبره بذلك ، فجمع الناس وغدا نحو الجبال ، وأرسل فارسا الى من بسينيز من أصحابه أن يلحقوا به ، وأنفذ الى جنابة ألا يتخلف عنه من فيه حراك،لتكون الوقعة بهم من كل وجه ، فوافوا المنهزمين من القرامطة في بعض كهوف الجبال ، وذلك في يوم الاربعاء فلما رأوا الناس قد أقبلوا نحوهم كسروا جفون سيوفهم ، وحملوا عليهم فثبتوا لهم ، ولم تزل الحرب قائمة بينهم يوم الاربعاء والخميس الى نصف النهار ، ثم نادى أبو بكر الطرازي : من جاء برأس فله خمسون درهما ، فتنادى الناس بالشهادة وجدوا ونشطوا ، وقتلوا خلقا كثيرا وأخذوا جميع من بقي أسرى، وحملوا مشهّرين والناس يكثرون حمد الله عز وجل والثناء عليه ، ولم يفلت منهم أحد .

وكتب الناس محضرا أنفذوه الى بغداد ، وحملت الاسرى والرؤوس معه .

قال الشريف : ونسخة المحضر :

بسم الله الرحمن الرحيم — حضر من وقع بخطه وشهادته آخر هذا الكتاب المحضر ، وقد حضر عندهم ثلاثة من القرامطة — لعنهم الله — ذكر أحدهم أنه يقال له — سيار بن عمر بن سيار ، والاخر ذكر أنه يقال له — علي بن محمد بن عمر ،

والاخر ذكر أنه يعرف بأحمد بن غالب بن جعفر الاحساوي ، فذكروا أنهم متى نفذ رسولهم الى صاحبهم سليمان بن الحسن القرمطي رد الحجر والشمسة وكسوة البيت وأطلق الاسارى الذين في قبضته، وهادن السلطان وارتدع عن السعي بالفساد والقطع على الحاج ، ولم يحفزهم ولم يعترض عليهم ، ويقول هؤلاء النفر من جملة الاسرى الذين في يد محمد بن علي الطرازي ــ وهم الذين ظفر الله بهم ــ فمتى ما وفى سليمان بن الحسن القرمطي بما بذلوه عنه أفرج السلطان عنهم وردهم اليه ، وذلك في يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الاخرة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة، وأسفل ذلك خطوط أهل البلد بالشهادة .

وأحضر سيار بن عمر بن سيار وعلي بن محمد بن عمر المعروف بأبي الهذيل بن المهلب وأحمد العيار ، وهم من جملة الاسرى في الوقعتين بسينيز وجنابه ، فعرض عليهم رؤوس أصحابهم ممن قتل من القرامطة ، ليعرفوا بأسمائهم وأنسابهم فذكروا نحو المائة رأس ، ومن الاسرى نحوهم ، وحملوا الى بغداد فحبسوا وأجري عليهم، ويقال انه قد كان فيهم من اخوة سليمان بن الحسين من كتم أمره .

وحدثني ابن حمدان أنهم كانوا بعد خلاصهم ومصيرهم الى أبي طاهر يتحدثون: أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون اليهم ما يتقربون به الى قلوبهم ، وذكروا أنهم كانوا يكثرون الخشوع وذكر النبي ﷺ وتعظيمه واقامة الصلاة ، قال : ويضحكون من فعلهم هذا وخديعتهم الناس ، قال : ويضحك أبو طاهر واخوته مما يتحدثون به .

قال : وكان سبب تخلص هؤلاء الاسرى أن أبا بكر بن ياقوت كتب في المهادنة، وجرى بينهم خطوب في المراسلة الى أن وافقهم أن يردوا الحجر الاسود ويخلوا الاسرى ولا يعرضوا للحاج ، فجرى الامر على ذلك .

قال الشريف : وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة دخل القرمطي الكوفة ، واستقبل لؤلؤا الامير خارجا بالحاج في ذي القعدة ، فرجع بهم لؤلؤ الى الكوفة وتفرقوا فيها ، بعد أن واقعته الخراسانية فلم يقدر على مقاومتهم وامتنعوا منه ، الا أن الناس تسربوا وافترقوا ، فظفر بمن ظفر منهم فلم يكثر القتل وأخذ ما وجد ، وأشار بعض أهل الكوفة على بعض أصحابه في هذه السنة ــ عند نزولهم بالكوفة ــ

أن يسار في الحاج بغير ما يجري فيهم ، فقال الرجل : الذي من أصحاب القرمطي : والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر ، من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الارض وغربها ، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء، وما يفوز بأكثر أموالهم الا الاعراب والشراد من الناس ، قال الكوفي : فلو أنه حين يظفر بهم دعاهم أن يؤدي كل رجل دينارا وأطلقهم وأمنهم لم يكره أحد منهم ذلك وخف عليهم وسهل ، وحج الناس من كل بلد لأنهم ظماء الى ذلك جدا ، ولم يبق ملك الا كاتبه وهاداه واحتاج اليه في حفظ أهل بلده وخاصته ، فجبى في كل سنة مـــا لا يصير الى سلطان مثله من الخراج ، واستولى على الارض وانقاد له الناس ، وان منع من ذلك السلطان اكتسب المذمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج ، فاستصوب رأيه وفرج عنه ، لأن أصحاب أبي طاهر كان قد ظهر منهم اضطراب عليه وقلت طاعتهم له ، قال : حتى لقد سمعت بعضهم وقد لحقه فارس من العرفاء يركض ويدور في الكوفة ويقول : ارجع الـــى العسكر فان السيد يأمرك بذلك،فذكر أمه بقبيح من الشتيمة بعد أن كانوا يعبدونه .

قال : ولما سمع رئيس القرامطة كلام الكوفي وما أشار به من أمر الحـــاج وما جرى من الكلام في ذلك دخل الى أبي طاهر فعرفه ما جرى ، فبادر من وقته ونادى في الناس بالامان ، وأحضر الخراسانية وقرر معهم أنهم يحجون ويؤدون اليه المال في كل سنة ، ويكونون آمنين على أنفسهم وأموالهم فلم يأمنوا له ، فسلـــم سياسة أمرهم الى أبي علي عمر بن يحيى العلوي ، واستقر للقرامطة ضريبة ورسم على سفر الحاج .

قال الشريف: ولما كان في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة كبس أبو طاهر الكوفة عشية ، وفيها شفيع اللؤلؤي أمير ، فهرب من مجلسه والناس عنده ، ورمى بنفسه من سطحه واستتر عند امرأة ضعيفة ، وظهر الجند من الطرقات فقاوموا من لحقهم من جيشه،وامتنع أكثرهم منه وخرجوا سالمين الا نفرا منهم أصيبوا ، ووجه أبوطاهر الى شفيع اللؤلؤي فأمنه وأحضره ، فحضر اليه وقدم اليه طعاما يأكله ، وطلبت مائدة يأكل عليها ، فقيل ما يحضر الا مائدة نهبت من داره ، فقال أبو طاهر : قبيح أن يراها فافرشوها بالرقاق لكي لا يعرفها ، ففعلوا ذلك وقدمت اليه ، وكان يحمل الى أبي طاهر صفحة صفحة مما يقدم اليه ، فينظر اليها أولا وينفذها اليه وكان ذلك لدنائته ومهانته ، وتفرق أصحابه عنه وقلت طاعتهم له فاحتاج الى المداراة ، فوجـــه

الى شفيع من يخاطبه في أن يمضي الى السلطان ، ويعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال ، وأنه ان أعطاهم مالا لم يفسدوا عليه شيئا وخدموه فيما يلتمسه ، وان أبى ذلك لم يجدوا بدا من أن يأكلوا بأسيافهم وسيره أبو طاهر ووصله ، وخرج شفيع الى السلطان فقدم الى القرمطي أبو بكر بن مقاتل من قبل السلطان يناظره ، ففت في عضده وملأ صدره من السلطان وأتباعه،فزاده ذلك انكسارا وذلة وسار عن الكوفة.

وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة فسدت رجال القرامطة وقتل بعضهم بعضا ، وسبب ذلك أنه كان منهم رجل يقال له ابن سنبر،وهو من خواص أبي سعيد الجنابي المطلعين على سره ، وكان له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك ، فعمد ابن سنبر الى رجل من أصفهان ، وقال له : اذا ملكتك أمر القرامطة تقتل عدوي ، فأجابه الى ذلك وعاهده عليه،فأطلعه على أسرار أبي سعيد وعلامات كان يذكرها في صاحبهم الذي يدعو اليه ، فحضر اليه أولاد أبي سعيد فذكر لهم العلامات ، فقال أبو طاهر : هذا هو الذي ندعو اليه ، فأطاعوه ودانوا له حتى كان يأمر الرجل منهم بقتل أخيه فيقتله ، وكان اذا كره رجل منهم يقول انه مريض — يعني قد شك في دينه ويأمر بقتله ، وبلغ أبو طاهر أن الاصفهاني يريد قتله لينفرد بالامر ، فقال لاخوته : قد أخطأنا في هذا الرجل وسأكشف حاله ، فقال له : ان لنا مريضا فانظر اليه ليبرأ ، وأضجعوا والدتهم وغطوها بازار ، فلما رآها قال : ان هذا المريض لا يبرأ فاقتلوه ، فقالوا : كذبت ، هذه والدتنا ثم قتلوه ، وذلك بعد أن أفنى أكثر أكابرهم بالقتل .

ذكر وفاة ابي طاهر بن ابي سعيد الجنابي واخيه وقيام اخويهما بعده

قال : وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة هلك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد وأخوه أبو منصور بجدري أصابهما ، وملك التدبير بعده أخواه أبو القاسم وهو أكبرهم ، وأبو العباس ، وكانا يتفقان معه على تدبير الامر ، وكان لهم أخ آخر لا يختلط بهم لاشتغاله بالشرب واللهو ، قال : وشركهما في تدبير الامر ابن سنبر .

ذكر إعادة القرامطة الحجر الاسود الى الكعبة شرفها الله تعالى

قال : وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أراد القرامطة أن يستميلوا أهل الاسلام، فحملوا الحجر الاسود وأتوا به الكوفة ، فنصبوه في المسجد الجامع على الاسطوانة السابعة في القبلة مما يلي صحن المسجد حتى يراه الناس ، ثم حملوه الى مكة شرفها الله تعالى ، وقالوا : أخذناه بأمر ورددناه بأمر .

قال ابن الاثير وكان بجكم الرائقي قد بذل لهم فيه خمسين ألف دينار ، فلم يردوه وردوه الآن بغير شيء ، وذلك في ذي القعدة من السنة ، فكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة الا أياما .

وحكى ابن الاثير في سبب رده : أن عبد الله المنعوت بالمهدي القائم ببلاد المغرب والمستولي عليها كتب الى القرمطي ينكر فعله ويلومه ويلعنه ، ويقول أخفقت علينا سعينا وأشهرت دولتنا بالكفر والالحاد بما فعلت ، ومتى لم ترد على أهل مكة ما أخذته وتعيد الحجر الاسود الى مكانه وتعيد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة ، فلما وصل هذا الكتاب أعيد الحجر الى مكة شرفها الله تعالى[1] .

ذكر ملك القرامطة دمشق وسيرهم الى الديار المصرية ومحاصرة من بها ورجوعهم عنها

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : وفي سنة ستين وثلاثمائة سار الحسن بن أحمد بن سعيد الجنابي ، وهو الذي انتهى اليه أمر القرامطة ، من بلده الى الكوفة ، وعزم على قصد الشام وسبب ذلك أنه كان قد تقرر للقرامطة في الدولة الاخشيدية من مال دمشق في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، فلما ملك المعز لدين الله العبيدي الديار المصرية ، واستولى جعفر بن فلاح على الشام ، علموا أن ذلك يفوتهم ، فسار الحسن بن أحمد الى الكوفة ، وراسل بختيار الديلمي أحد ملوك الدولة البويهية ، في طلب السلاح والمساعدة ، فأنفذ اليه خزانة سلاح من بغداد وسبب له على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف درهم ، فرحل

---

(١) الكامل : ٦/٢٠٤ .

الحسن من الكوفة حتى أتى الرحبة وعليها أبو تغلب بن حمدان ، فحمل اليه المال المسبب له به عليه وحمل إليه العلوفة ، وأرسل اليه يقول : هذا شيء كنت أردت أن أسير أنا فيه بنفسي ، وأنت تقوم مقامي فيه ، وأنا مقيم في هذا الموضع الى أن يرد علي خبرك ، فان احتجت الي مسيري سرت اليك ، ونادى في عسكره: من أراد المسير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض عليه ، فقد أذنا له في المسير والعسكران واحد ، فخرج الى عسكر القرمطي جماعة من عسكر أبي تغلب ، وكان فيه كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين ، صاروا اليه لما انهزموا من المغاربة عند ملكهم الديار المصرية بعد الدولة الاخشيدية .

قال : وسبب مظاهرة ابن حمدان للقرمطي أنه كان قد وقع بينه وبين جعفر بن فلاح مراسلات ، أغلظ جعفر فيها على أبي تغلب وتهدده بالمسير اليه ، فلما أرسل أبو تغلب الى الحسن بن أحمد هذه الرسالة ومكن الجند من المسير معه سره ذلك وزاد قوة ، وسار عن الرحبة وقرب من أرض دمشق ووصل الى ضياع المرج ، فظفرت خيله برجل مغربي يقال له علي بن مولاه ، فقتلوه وقتلوا معه جماعة من المغاربة فوقعت الذلة على المغاربة ، وكان ظالم بن موهوب العقيلي على مقدمة القرامطة في جمع من بني عُقيل وبني كلب،فلقي المغاربة في صحراء المزة وأقبل شبل بن معروف العقيلي معينا لظالم ، ولم يزل القتال بينهم الى أن أقبل الحسن بن أحمد القرمطي فقوي العقيليون ، وتشمرت المغاربة ولم يزل القتال الى العصر ، ثم حمل ظالم ومن معه فانهزمت المغاربة وأخذهم السيف وتفرقوا ، وقتل جعفر بن فلاح ولم يعرف ، واشتغلت العرب بنهب العسكر ، وكانت هذه الوقعة في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

فلما كان بعد الوقعة عثر بجعفر بن فلاح من عرفه وهو مقتول مطروح على الطريق ، فاشتهر خبره في الناس ، ثم نزل الحسن بن أحمد بعد الوقعة على ظاهر المزة فجبى مالا من البلد وسار يريد الرملة ، وكان جوهر القائد قد أنفذ من مصر رجلا من المغاربة يقال له سعادة بن حيان ذكر أنه في أحد عشر ألفا ، فلما بلغ ابن حيان أن ابن فلاح قد قتل ، وجاءه بعد ذلك قوم من المنهزمين فأخبروه بخبر الواقعة، تحير وتقطعت به الاسباب ، فلم تكن له جهة غير الدخول الى يافا ، ولم يكن له بها عدة ولا دار ، فلما دخل اليها جاءه الحسن بن أحمد فنزل عليها ، واجتمعت اليه عرب

الشام فنازلها وناصبها بالقتال ، حتى اشتد الحصار وقلّ ما بها جدا ، وكان يدخل اليها شيء سرا فجعل عليها حرسا ، فمن وجد معه شيء من الطعام يريد الدخول بـه الى يافا ضربت عنقه .

فلما طال بهم الامر أكلوا دوابهم وجميع ما عندهم من الحيوان ، ثم هلـك أكثرهم من الجوع ، وكان الحسن بن أحمد قد سار عن يافا نحو مصر ، وخلف على حصارها أبا المُنجّا وظالما العقيلي ونزل على مصر يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الاول سنة احدى وستين وثلاثمائة ، فقاتل المغاربة على الخندق الذي لمدينتهم ، وقتل كثيرا منهم خارج الخندق وحاصرهم شهورا ، ثم رحل عنها الى الاحساء ولم يعلم الناس ما كان السبب في ذلك .

فلما تيقنت المغاربة أنه قد رحل الى بلده أنفذ جوهر القائد ابن أخته نحو يافا ، وبلغ من عليها يحاصرها أن الحسن بن أحمد رحل عن مصر ، وأن ابراهيم ابن أخت جوهر خارج يريد يافا ، فسار القوم عنها وتوجهوا نحو دمشق ، فنزلوا بعسكرهم على ظاهرها ، فجرى بين ظالم وأبي المنجا كلام وخلاف ذكر أنه بسبب أخذ الخراج ، وكان كل واحد منهما يريد أخذه للنفقة في رجالـه ، وكان أبو المنجا كبيرا عنـد القرمطي يستخلفه على تدبير أحواله .

قال : ولما رحل القوم عن يافا الى دمشق جاءها ابراهيم ابن أخت جوهر القائد ، فأخرج من كان بها وسار بهم الى مصر ، ورجع الحسن بن أحمد فنزل الرملة ، ولقيه أبو المنجا وظالم فذكر أبو المنجا للحسن بن أحمد ما جرى من ظالم وما تكلم به ، فقبض عليه ولم يزل محبوسا حتى ضمنه شبل بن معروف فخلى سبيله ، فهرب الى شط الفرات الى حصن كان له في منزل بني زياد .

ثم ان الحسن بن أحمد طرح مراكب في البحر وجعل فيها رجالا مقاتلة ، وجمع كل من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهب للمسير الى مصر ، وكان جوهر يكتب الى المعز لدين الله الى القيروان بما جرى على عسكره ، من القتل والحصار ، وأن الحسن بن أحمد يقاتلهم على خندق عسكرهم ، وقـد أشرف على أخذ مصر فقلق من ذلك قلقا شديدا ، وجمع من يقدر عليه وسار الى مصر ، وهو يظن أنها تؤخـذ قبل أن يصل اليها ، فدخلها في يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان سنـة

اثنتين وستين وثلاثمائة وكان شديد الخوف من الحسن بن أحمد ، فلما نزل مصر عزم على أن يكتب الى الحسن بن أحمد كتابا يعرفه فيه أن المذهب واحد ، وأنهم منهم استمدوا ، وأنهم ساداتهم في هذا الامر ، وبهم وصلوا الى هذه المرتبة وترهَّب عليه ، وكان غرض المعز لدين الله العبيدي في ذلك أن يعلم من جواب القرمطي ما في نفسه ، وهل خافه لما وافى مصر أم لا ؟ قال : والحسن بن أحمد يعرف أن المذهب واحد ، لأنه بعلم الظاهر من مذهبهم والباطن ، لأن الجميع اتفقوا على تعطيل الخالق واباحة الأنفس والأموال وبطلان النبوة ، فهم متفقون على المذهب ، وإذا تمكن بعضهم من بعض يرى قتله ولا يبقي عليه .

قال الشريف : وكان عنوان الكتاب :

من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن اسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ونجل علي أفضل الوصيين الى الحسن بن أحمد ، ونسخة الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم :

رسوم النطقاء ومذاهب الائمة والانبياء ومسالك الرسل والاوصياء ، السالف والآنف منا صلوات الله علينا وعلى آبائنا ، أولي الايدي والابصار في متقدم الدهور والاكوار وسالف الازمان والاعصار عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله ، بالابتداء بالاعذار والانتهاء بالانذار ، قبل انفاذ الاقدار في أهل الشقاق والاصرار، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من بان وغوى ، حسبما قال الله جل وعز (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[1](وان من أمة الا خلا فيها نذير)[2] وقوله سبحانه (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)[3] (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق)[4] .

(١) سورة الاسراء : ١٥ .
(٢) سورة فاطر : ٢٤ .
(٣) سورة يوسف : ١٠٨ .
(٤) سورة البقرة : ١٣٧ .

أما بعد أيها الناس : فانا نحمد الله بجميع محامده ونمجده بأحسن مماجدة ، حمدا دائما أبدا ، ومجدا عاليا سرمدا ، على سبوغ نعمائه وحسن بلائه ، ونبتغي اليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة ، على طاعته والتسديد في نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى، ونستزيد منه اتمام الصلوات وافاضة البركات وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين ، الذين قضوا « بالحق وكانوا به يعدلون »[1] .

أيها الناس (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها)[2] ليتذكر من تذكر وينذر من أبصر واعتبر ، أيها الناس : ان الله جل وعز اذا أراد أمرا قضاه ، واذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا ، وأبرز أرواحنا بالقدرة مالكين ، وبالقوة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضيء ، ولا قمر يسري ، ولا كوكب يجري ، ولا ليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق ولا جناح يخفق ، ولا ليل ، ولا نهار، ولا فلك دوار، ولا كوكب سيار ، فنحن أول الفكرة ، وآخر العمل بقدر ومقدور ، وأمر في القدم مبرور ، فعندما تكامل الامر وصح العزم ، أنشأ الله جل وعز المنشآت فأبدأ الامهات من هيولانا ، فطبعنا أنوارا وظلمة وحركة ، وسكونا ، فكان من حكمه السابق في عمله ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ، وما في الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات ، وما في الاقطار[3] من الآثار ، وما في النفوس من الاجناس والصور والانواع ، من كثيف ولطيف ، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ، ودان وشاسع ، وهابط وطالع كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا واشارة الينا ، يهدي الله من كان له لب سجيح ، ورأي صحيح ، قد سبقت له

---

(١) سورة الاعراف : ١٨١ .

(٢) سورة الانعام : ١٠٤ .

(٣) أصاب النص سقط ، وعلى العموم يلاحظ أن رواية المقريزي المقبلة لنص هذه الرسالة أكمل .

منا الحسنى[1] ، فدان بالمعنى ، ثم انه جل وعلا أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم آدم وحواء أبوين ذكرا وأنثى ، سببا لانشاء البشرية ، ودلالة لاظهار القدرة القوية الكونية ، وزوج بينهما فتوالد الاولاد ، وتكاثرت الاعداد ، ونحن ننتقل في الاصلاب الزكية والارحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلم وهلم جرا الى آخر الجد الاول والاب الافضل سيد المرسلين وامام النبيين أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه وبان غناؤه ، وأباد المشركين وقصم الظالمين ، وأظهر الحق واستعمل الصدق ، وبان بالاحدية ودان بالصمدية ، فعندها سقطت الاصنام وانعقد الاسلام ، وظهر الايمان وبطل السحر والقربان ، وارتفع الكفر والطغيان ، وخمدت بيوت النيران وهربت عبدة الاوثان ، وأتى بالقرآن شاهدا بالحق والبرهان فيه خبر ما كان وما يكون الى يوم الوقت المعلوم ، مبنيا عن كتب تقدمت في صحف قد نزلت ، تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة ونورا « وسراجا منيرا »[2] .

وكل ذلك دلالات لنا ومقدمات بين أيدينا ، وأسباب لاظهار آمرنا ، هدايات وآيات وشهادات ، وسعادات قدسيات الهيات أوليات كائنات ، منشآت مبديات معيدات ، وما من ناطق نطق ، ولا نبي بعث ، ولا وصي ظهر الا قد أشار الينا ، ولوح بنا ودل علينا في كتابه وخطابه ، ومنار أعلامه ومرموز كلامه ، ما هو موجود غير معدوم وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع النداء أو شاهد ورأى ، من الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو نسي أو ضل أو غوى فلينظر في الكتب الاولى والصحف المنزلة ، وليتأمل آي القرآن وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر ان كان لا يعلم ، فقد أمر الله عز وجل (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)[3] .

قال : وهذا الكتاب طويل جدا لا طائل فيه ، قطعناه ههنا وسنذكر جملة من هذا الكتاب في أخبار المعز لدين الله غير ما في هذا الموضع ، على ما نقف عليه ان شاء الله تعالى في موضعه .

---

(١) انظر الآية ١٠١ من سورة الانبياء .
(٢) سورة الاحزاب : ٤٦ .
(٣) سورة النحل : ٤٣ .

قال[1] : والجواب من الحسن بن أحمد القرمطي الاعصم :

وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ، ونحن سائرون على أثره والسلام •

وسار الحسن بن أحمد بعد ذلك الى مصر ، فنزل بعسكره عين شمس، وناشب المغاربة القتال ، وانبثت سراياه في أرض مصر وبعث عمالا الى الصعيد تجبي الاموال وضيق على المغاربة وداومهم القتال على خندق مدينتهم — يعني الشريف بمدينتهم — القاهرة المعزيـــة •

قال : فذكر أنه هزمهم حتى عبر الخندق فامتنعوا منه بالسور ، وعظم ذلك على المعز لدين الله وتحير في أمره ، ولم يجسر أن يخرج بعسكره خارج الخندق •

قال : وكان ابن الجراح الطائي في جمع عظيم مع الحسن بن أحمد القرمطي ، وكان قوة لعسكره ومنعة ومقدمة ، فنظر القوم فاذا ليس لهم بالحسن بن أحمـــد طاقة ، ففكروا في أمره فلم يجدوا لهم حيلة غير فلّ عسكره، وعلموا أنه لا يقدر على فله الا بابن الجراح ، وأن ذلك لا يتم الا ببذل ما يطلبه من المـــال ، فراسلوا ابن الجراح وبذلوا له مائة ألف دينار، على أن يفل لهم عسكر القرمطي فأجابهم الى ذلك، ثم انهم فكروا في أمر المال فاستعظموه ، فعملوا دنانير من النحاس وطلوها بالذهب وجعلوها في أكياس ، وجعلوا على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب تغطي ما تحتها وشدوها وحملت لابن الجراح بعد أن استوثقوا منه ، وعاهدوه ألا يغدر بهم اذا وصل اليه المال ، فلما وصل اليه المال عمل على فل عسكره ، وتقدم الى كبراء أصحابه بأن يتبعوه اذا تواقف العسكران ، وقامت الحرب ، فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزما ، واتبعه أصحابه في جمع كثير ، فلما نظر اليه القرمطي قد انهزم بعد الاستظهار تحير ولزمه أن يقاتل هو ومن معه ، فاجتهد في القتال حتى تخلص ، ولم تكن له بهم طاقة وكانوا قد بادروه من كل جانب ، فخشي علـــى نفسه وانهزم واتبعوه قومه ، ودخل المغاربة معسكره ، فظفروا باتباع وباعه[2] نحو مـــن ألف

---

(١) كتب الى جانبها بالاصل بحرف أصغر مغاير « الشريف » .

(٢) في كنز الدرر للدواداري ص ١٦٠ : وانهزم وتبّعوه قومه ، ودخل المغاربة عسكره فظفروا بتبع وباعة ...

وخمسمائة رجل ، فأخذوهم أسرى وانتهبوا العسكر وضربوا أعناقهم ، وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

ثم جردوا خلف الحسن بن أحمد ، أبا محمود ابراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل من المغاربة ، فسار خلفه وتباطأ في السير خوفا من أن يعطف عليه، وسار الحسن فنزل أذرعات وأنفذ أبا المنجا في طائفة كثيرة من الجند الى دمشق ، وكان ابنه قبل ذلك واليا عليها ، ثم سار القرمطي في البرية الى بلده وفي نيته العود .

وكانت المغاربة ، لما سمعوا بقصة ظالم ، وقبض القرمطي عليه لما جرى بينه وبين أبي المنجا ما ذكرناه ، وهربه الى حصنه ، راسلوه ليأتي القرمطي من خلفه ، فسار يريد بعلبك فلقيه الخبر بهزيمة القرمطي ونزول أبي المنجا على دمشق ، فسار ظالم نحو دمشق ونزل أبو محمود أذرعات ، وذكر أنه كان بينه وبين ظالم مراسلة واتفقا على أبي المنجا ، وبلغ أبي المنجا مسير ظالم اليه وكان في شرذمة يسيرة ، وأبو المنجا بدمشق في نحو ألفي رجل ، وكان قد ورد اليه الخبر في أن ظالما يصبح من غد في عقبة دُمَّر،وكان الجند قبل ذلك قد طلبوا منه الرزق، فقال : ما معي مال ، فلما ورد اليه خبرظالم أعطى الجند على السرج دينارين لكل رجل ، ثم ان ظالما أصبح من غد ذلك اليوم في عقبة دمر ، فخرج أبو المنجا وابنه بمن معهما الى الميدان للقتال ، فذكر أن ظالما أنفذ الى أبي المنجا رسولا يقول له : انما جئت مستأمنا اليكم ، وقد كان الجند حقدوا على أبي المنجا من جهة الرزق ، فلما صار ظالم في عقبة دمر مشرفا على دمشق ذهب قوم من الجند نحو العقبة ، فاستأمنوا الى ظالم وتبعهم قوم بعد قوم ، فقوي طمع ظالم بهم فانحدر من العقبة ، ثم سار بمن معه حتى قرب من أبي المنجا فأحاط به فلم يقدر على الهرب فأخذ هو وابنه من بعد أن وقعت فيه ضربة ، وانقلب عسكره الى ظالم ، وملك ظالم البلد ، وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

فلما تمكن ظالم ونزل البلد أوثق أبا المنجا وابنه ثم حبسهما ، وقبض علـى جماعة من أصحابه فأخذ أموالهم ، ثم قدم أبو محمود بعد ذلك دمشق في يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان ، فلقيه ظالم وتقرب اليه بأبي المنجا وابنه ، فعمل لكل

واحد منهما قفصا من خشب وحملهما الى مصر فحبسا ، وكان بعد ذلك بين ظالم وأبي محمود وأخبار دمشق ما ليس ذكره في هذا الموضع من غرضنا ، فلنرجع الى أخبار القرامطة .

ذكر عود القرامطة الى الشام ووفاة الحسن بن أحمد

قال : وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة كاتب ألبتكين التركي وهو بالشام القرامطة ، وقد جرى بينه وبين المغاربة حروب ووقائع واستنصر بهم ، فكاتبوه بأنهم سائرون الى الشام ، فوافوا دمشق في هذه السنة ، وكان الذي وافى منهم اسحاق وكسرى وجعفر ، فنزلوا ظاهر دمشق نحو الشماسية ، ووافى معهم كثير من العجم ممن كان من أصحاب ألبتكين ، فلقي ألبتكين القرامطة وحمل معهم الاموال وأكرمهم وفرح بهم وأمن ، فأقاموا على دمشق أياما ثم رحلوا متوجهين الى الرملة ، وكان بها أبو محمود ابراهيم بن جعفر فتحصن منهم بيافا ، ونزلت القرامطة الرملة ونصبوا القتال على يافا ، حتى كلّ الفريقان من القتال وصار بعضهم يحدث بعضا ، وأقامت القرامطة بالرملة يجبون المال ، فندب العزيز بالله بن المعز لدين الله ــ وكان قد ولى الامر بعد وفاة أبيه ــ جوهر القائد الى الخروج الى الشام في سنة خمس وستين ، وحمل اليه خزائن السلاح والاموال ، فسار يريد الشام في عساكر لم تخرج المغاربة من مصر بمثلها ، وتواترت الاخبار الى ألبتكين بمسيره ، وهو على عكا وكان قد ملك صيدا ، فنزل عكا وسار فنزل طبرية ، وفارق القرامطة الرملة ونزلها جوهر ، وسار اسحاق وكسرى القرمطيان الى الاحساء ، وبقي جعفر لم يسر معهم وانضم الى ألبتكين بطبرية ، وسار جوهر في طلبهما فسارا الى دمشق وتبعهم جوهر حتى نزل بالشماسية بظاهر دمشق ، والمناوشة تقع بينهم تارة والموادعة أخرى ، فلم يزل الامر كذلك الى جمادى الاولى سنة ست وستين وثلاثمائة ، فوردت الاخبار وقويت بقرب الحسن بن أحمد القرمطي من دمشق ، وجاء من بشر ابن عمه جعفر بذلك ، فسار اليه وصح ذلك عند جوهر ، فنزل دمشق وسار نحو طبرية وجد في السير ، وكان قد هلك من عسكره خلق كثير ، فخاف أن يدركه الحسن بن أحمد القرمطي

فأسرع المسير من طبرية ، وخرج الحسن بن أحمد من البرية يريد طبرية فوجده قد سار عنها ، فأنفذ خلفه سرية فلحقته فرجع عليها أصحاب جوهر ، فقتلوا جماعة من العرب وسار جوهر حتى نزل ظاهر الرملة ، وأتاه الخبر عن الحسن فدخل جوهر زيتون الرملة وتحصن به ، وسار ألبتكين من دمشق في أثر الحسن بن أحمد فلحقه ، وتوفي الحسن بن أحمد بالرملة ، وتولى أمر القرامطة بعده ابن عمه جعفر ، واجتمع هو وألبتكين على قتال جوهر الى بلده ، وكان بين ألبتكين وجوهر من الحصار ما نذكره ان شاء الله تعالى في أخبار ملوك مصر .

ذكر استيلاء القرامطة على الكوفة وخروجهم عنها

قال ابن الاثير[1] رحمه الله تعالى : وفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد اسحاق وجعفر الهجريان ــ وهما من القرامطة الذين تلقبوا بالسادة ــ فملكا الكوفة .

قال : وكان للقرامطة من الهيبة ما ان عضد الدولة وبختيار أقطعاهم الكثير من الاقطاعات ، وكان نائبهم ببغداد وهو أبو بكر بن شاهويه يحكم حكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة بن بويه ، فلما جاء القرامطة الى الكوفة كتب صمصام الدولة الى اسحاق وجعفر بالملاطفة ويسألهما عن سبب حركتهما ، فذكرا أن السبب في ذلك ما وقع منه من القبض على صاحبهما ، وبثا أصحابهما في جباية الاموال ، ووصل الحسن بن المنذر ــ وهو من أكابر القرامطة ــ الى الجامعين ، فأرسل صمصام الدولة العساكر والعرب فقاتلوه وأسروه وجماعة من القواد وانهزم من معه، ثم جهز القرامطة جيشا آخر في عدد كثير فهزمته عساكر صمصام الدولة ، وقتل مقدم القرامطة ، وكانت هذه الوقعة بالجامعين ، فلما بلغ المنهزمون الكوفة رحل القرامطة عنها، وتبعتهم العساكر الى القادسية وأخذ أمر القرامطة في الانتقاض ، ولم يكن لهم بعد ذلك بالعراق والشام وقعة بلغنا خبرها .

---

(١) الكامل : ١٢٦/٧ .

ذكــر ظفــر الاصفر بالقرامطـــة

قال[1] ابن الاثير : وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع انسان يعرف بالاصفر من بني المنتفق جمعا كثيرا ، وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة ، قتل فيها مقدم القرامطة وانهزم أصحابه وقتل منه ، فعدل الى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأثقالهم ومواشيهم ، وسار بذلك الى البصرة وانتقض أمر القرامطة وضعفوا ، وكان مدة ظهور مذهبهم الى هذا التاريخ مائة سنة ، ومنذ ظهر أمرهم واستولوا على البلاد ونجهزت العساكر لقتالهم خمساً وتسعين سنة ، وكانت فتنتهم قد عمت أكثر البلاد والعباد ، ولم أقف لهم بعد واقعة الاصفر على واقعة أخرى فأذكرها .



(٢) الكامل : ١٣٩/٧ .

ذكر اخبار الدولة العبيدية

التي اتسب ملوكها الى الشرف، وألحقوا نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما •

هذه الدولة من الدول التي امتدت أيامها ، واتسعت ممالكها ، واستولت ملوكها على كثير من الممالك المشهورة شرقا وغربا ، ببلاد المغرب والديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والثغور والعواصم وغير ذلك ، وكان ابتداء ظهور هذه الدولة ببلاد الغرب ، وانما أوردناها في أخبار ملوك الديار المصرية ، وألحقنا ملوكها بملوك هذا الوادي ، لان الديار المصرية قاعدة ملكهم ، وبها قام أكثر ملوكهم •

ولنبدأ بذكر أخبار ملوك هذه الدولة ، وابتداء أمرهم ، وما قيل في نسبهم والى من ينسبون ، وكيف تنقلت بهم الحال الى أن ملكوا البلاد واستولوا على الاقاليم • ولهذه الدولة أسباب ولوازم وشيعة هم الذين مهدوا لهم البلاد ، ووطئوا الممالك ، وهزموا الجيوش وفتحوا الاقاليم ، وأبادوا الابطال حتى استقر الملك لملوك هذه الدولة وتسلموه عفوا صفوا •

لا بد لنا أن نبتدىء بذكر أخبارهم ، وما فتحوه واستولوا عليه قبل ظهور المهدي الذي هو أول ملوك هذه الدولة ، ثم نذكر عاقبة أمر من قرر لهم الملك معهم، ونذكر من ملك من ملوك هذه الدولة ، واحدا بعد واحد الى أن انقرضت دولتهم ، وبادت أيامهم   فنقول وبالله التوفيق : أول من ملك منهم عبيد الله المنعوت بالمهدي، ونسب نفسه أنه عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1]،وأهل العلم بالانساب من المحققين ينكرون ذلك ، وينفوه عن الشرف ، ويقولون اسم عبيد الله سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح بن أبي شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، صاحب

---

(١) كذا ، وهو غير مسلم به ، وهناك خلاف كبير حول شجرة النسب ، خاصة في فترة الستر ، وقد سبق لنا ان نبهنا على ذلك .

كتاب الميدان في نصر الزندقة ، وهو من أهل رامهرمز ، كورة من كور الاهواز ، وكان من خرمية المجوس •

ومن المؤرخين من زعم أن الحسين بن أحمد زوج أم سعيد ، وأن أبا سعيد يهودي •

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب[1] في كتابه المسمى بكشف الاسرار وهتك الاستار : أن سعيد هذا كان قد رباه عمه محمد بن أحمد ، المكنى بأبي الشلعلع[2] [٢١] وكانوا دعاة لمحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، يأكلون البلاد باسمة ، ويدعون أنه حي يرزق الى زمانهم وفيه عمل ابن المنجم[3] قصيدته التي يقول فيها :

فانك في دعواك أنك منهم ... كمن يدعي أن النحاس من الذهب
متى كان مولى الباهليين ملحقا ... بآل رسول الله يوما اذا انتسب

ولما ملك بهاء الدولة[4] ، أبو نصر بن عضد الدولة فناخسرو بن بويه ، بعد أن جمع الطالبيين من آفاق العراق ، وسألهم عنهم فكلهم أنكرهم ، وتبرأ منهم ، فأخذ خطوطهم بذلك، وكان ممن شهد الشريفان الرضي والمرتضى، وأبو حامد الاسفرائيني وأبو الحسين القدوري وغيرهم ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة[5] بأمر القادر بالله العباسي •

---

(١) ابو بكر الباقلاني — ٣٣٨ هـ/٩٥٠ — ٤٠٣/١٠١٣ ، أعظم رجال علم الكلام في عصره ، انتهت اليه رئاسة مذهب الاشاعرة ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد حيث طارت شهرته ، له عدة كتب بعضها في حكم المفقود ، منها كشف أسرار الباطنية المشار اليه في المتن .

(٢) انظر عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب . ط. بيروت : ١٩١ .

(٣) لعله علي بن هارون « ٢٧٦ هـ/٨٨٩ — ٣٥٢ هغ/٩٦٣ م » كان راوية للشعر من ندماء الخلفاء ، ولد ومات في بغداد .

(٤) هو بهاء الدولة فيروز « ٣٧٨ هـ/٩٨٩ م — ٤٠٣ هـ/١٠١٢ م » .

(٥) كذا في الاصل ، والمشهور ان ذلك كان سنة ٤٠٢ هـ . انظر المنتظم : ٢٥٥/٧ — ٢٥٦ . أصول الاسماعيلية : ١٤٣ .

هذا مع ما ينسب الى بني بويه من التشيع[1] . فلنذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم .

ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم

قال أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن الامير تميم بن المعز بن باديس في كتابه المترجم بالجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان[2] : أول من قام منهم أبو شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، وكان ممن صحب أبا الخطاب محمد بن أبي زينب[3] مولى بني أسد ، فألقوا الى كل من اختصوا به أن لكل شيء من العبادات باطنا ، وان الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاة ولا زكاة ، ولا صوما ولا حجا ، ولا حرم عليهم شيئامن المحرمات ، وأباح لهم نكاح البنات والاخوات ، وانما هذه العبادات عذاب على الامة ، وأهل الظاهر ، وهي ساقطة عن الخاصة ، يقولون ذلك لمن يثقون بـه ويسكنون اليه ، ويقولون في آدم وجميع الانبياء كذابون محتالون طلاب للرئاسة .

فاشتدت شوكة هؤلاء في الدولة العباسية ، وتفرقوا في البلاد شرقا وغربا ، يظهرون التقشف والزهد والتصوف وكثرة الصلاة والصيام يعرفون الناس بذلك ، وهم على خلافه ، ويذكرون أبا الخطاب الى أن قامت البينة بالكوفة أن أبا الخطاب ، أسقط العبادات وأحل المحارم فأخذه عيسى بن موسى الهاشمي مع سبعين من أصحابه ، فضرب أعناقهم فتفرق بقية أصحابه في البلاد ، فصار قوم مما كان على مذهبه الى نواحي خراسان ، وقوم الى الهند

وصار أبو شاكر ميمون بن سعيد الى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه وأخذوا في تعلم الشعبذة والنارنجيات والحيل ، ومعرفة الرزق من صنعة النجوم والكيمياء ، ويحتالون على كل قوم بما يتفق عندهم ، وعلى العامة باظهار الزهد

---

(١) كانوا شيعة لكن حسب المذهب الزيدي .

(٢) عثر على قطعة منه وقد طبعت في الجزائر سنة ١٣٢٦ هـ ، لكن ليس فيها هذه النصوص .

(٣) يقال في اسمه غير هذا ، وربما قتل سنة ١٣٨ هـ/٧٥٥ م ، خير ما كتب عنه ما اورده برنارد لويس في اطروحته أصول الاسماعيلية : ٩٨ ـ ١٠٦ .

والورع،ونشأ لابن شاكر ابن يقال له عبدالله القداح ، علمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحلة ، فتحذق وتقدم ، وكانوا يظهرون التشيع ، والبكاء على أهل البيت ، ويزبدون أكاذيبا اخترعوها ، يخدعون بها ضعفاء العقول ، وكان من كبار الشيعة رجل يسمى محمد بن الحسين بن جهار بختيار ، الملقب دندان[1] ، وهو بنواحي الكرخ والاصفهان له حال واسعة ، وضياع عظيمة ، وهو المتولي على تلك المواضع، وكان يبغض العرب ويذمهم ، ويجمع معايبهم ، وكان كل من طمع في نواله تقرب اليه بذم العرب ، فسمع به عبد الله بن ميمون القداح ، وما ينتحله من بغض العرب، وصنعة النجوم ، فسار اليه وكان عبد الله يتعاطى الطب وعلاج العين ، ويقدح الماء النازل فيها ، ويظهر أنه انما يفعل ذلك حسبة وتقربا الى الله عز وجل ، فطار له بهذا الاسم بنواحي أصفهان والجيل ، فأحضره دندان ، وفاتحه الحديث ، فوجده كما يحب ويهوى ، وأظهر له عبد الله من مساوىء العرب والطعن عليهم أكثر مما عنده ، فاشتد إعجابه به،وقال له:مثلك لاينبغي أن يطب، وان قدرك يرتفع ويجل عن ذلك ، فقال : انما جعلت هذا ذريعة لما وراءه مما ألقيه الى الناس ، والى من أسكن اليه على رفق ومهل من الطعن على الاسلام ، وأنا أشير عليك أن لا تظهر ما في نفسك الى العرب ، ومن يتعصب لهذا الدين ، فان هذا الدين قد غلب على الاديان كلها فما يطيقه ملوك الروم ولا الترك والفرس ، والهند مع بأسهم ونجدتهم ، وقد علمت شدة بابك صاحب الخرمية وكثرة عساكره ، وأنه لما أظهر ما في نفسه من بغض الاسلام ، وترك السير بالتشيع والبكاء [٢٢] كما تقول أولا ، قلع أصله ، فالله الله أن تظهر ما في نفسك ، والزم التشيع والبكاء على أهل البيت ، فانك تجد من يساعدك على ذلك من المسلمين، ويقول : هذا هو الاسلام، وادع عليهما عداوة الرسول، وتغيير القرآن وتبديل الاحكام فانك اذا سببتهما سببت صاحبهما،فاذا استوى لك الطعن عليهما،فقد اشتفيت من محمد ، ثم تعمل الحيلة بعد ذلك في استئصال دينه ومن ساعدك على هذا فقد خرج من الاسلام من حيث لا يشعر ، ويتم لك كما تريد .

فقال دندان : هذا هو الرأي، ثم قال له عبد الله القداح: ان لي أصحاب وأتباع أبثهم في البلاد ، فيظهرون التقشف والتصوف ، والتشيع ويدعون الى ما نريده بعد

---

(١) الخلاف بين الروايات حوله شديد ، انظر ما كتبه لويس في أصول الاسماعيلية : ١٣٣ — ١٤١ .

احكام الامر ، فاستصوب دندان ذلك وسر به وبذل لعبد الله القداح ألفي ألف دينار، فقبل المال وفرقه في كور الاهواز والبصرة وسواد الكوفة ، وبطالقان خراسان ، وسلمية من أرض حمص ، ثم مات دندان فخرج عبد الله القداح الى البصرة ، وسواد الكوفة وبث الدعاة وتقوى بالمال ودبر الامر .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسين المعروف بأخي محسن[١] في كتابه : أن عبد الله بن ميمون هذا كان قد نزل عسكر مكرم[٢]،فسكن بساباط[٣] أبي نوح وكان يتستر بالتشيع والعلم ، فلما ظهر عنه ما كان يضمره ويسره من التعطيل والاباحة ، والمكر والخديعة ، ثار الناس عليه ، فأول من جاءه الشيعة ، ثم المعتزلة ، وسائر الناس ، وكبسوا داره فهرب الى البصرة ، ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الاهوازي ، فنزل بباهله على موال لآل عقيل بن أبي طالب ، وقال لهم أنا من ولد عقيل داع الى محمد بن اسماعيل بن جعفر فلما انتشر خبره ، طلبه العسكريون ، فهرب وأخذ طريق الشام ومعه الحسين الاهوازي . فلما توسطا الشام عدلا الى سلمية ليخفى أمرهما ، فأقام بها عبد الله وخفى أمره .

نرجع الى قول ابن شداد ، قال : ثم مات عبد الله ، وكان له جماعة من الولد ، فخلفه منهم ابنه أحمد ، فقام مقام أبيه ، وجرى على قاعدته ، وبث الدعاة واستدعى رجلا من أهل الكوفة يقال له أبو القاسم الحسن بن فرح[٤] بن حوشب بن زاذان النجار ، وكان هذا الرجل من الامامية الذين يقولون بامامة موسى[٥] بن جعفر ، فنقله الى القول بإمامة اسماعيل بن جعفر ، وكانوا يرصدون من يرد من المشاهد ، وينظرون اليهم ، فمن كان فيه مطمع وجهاله استدعوه ، ولا يستدعون الا الجهال

---

(١) سبق التعريف به وانه توفي سنة ٣٩٨ هـ .

(٢) بلد مشهور في نواحي خوزستان ــ معجم البلدان .

(٣) الساباط عند العرب سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ ، ولم يذكر ياقوت وغيره من الجغرافيين ساباط أبي نوح هذا، ويبدو انه كان قرية من قرى خوزستان .

(٤) في الاصل أبو الحسن رستم بن الكرخيين بن حوشب ، وهو خطأ صوابه ما أبتناه وقد مر ذكره فيما سلف من نصوص كما سيرد مجددا خاصة عند الخزرجي ، وهو الذي سيعرف باسم « منصور اليمن » انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٣٢ .

(٥) اي الكاظم الامام السابع عند الامامية الاثنا عشرية ، انظر الائمة الاثنا عشر لابن طولون . ط . بيروت : ٨٩ ــ ٩٣ .

ومن له بأس وجلد وعشيرة ومال وعز ، ويتجنبون الفقهاء والعلماء والادباء والعقلاء وكانوا يطلبون أطراف البلاد .

فقال لهم بعض من ورد عليهم : ان بجيشان والمذيخرة والجند من أرض اليمن رجلا جلد كثير المال والعشيرة يتشيع ، وبهذه الناحية شاعر يقال له ابن خيران يسب في شعره أبا بكر وعمر ، والمهاجرين ، والانصار على مثل سبيل الحميري الشاعر[1]، فورد ذلك الرجل المذكور وهو أبو الحي علي بن الفضل[2] من أهل جيشان من اليمن ، ودخل الى الحيرة فرأوه يبكي على الحسين بن علي ، فلما فرغ من زيارته أخذ الداعي يده وقال له : اني رأيت ما كان منك من البكاء والقلق على صاحب هذا القبر فلو أدركته ما كنت تصنع ؟ قال : كنت أجاهد بين يديه ، وأجعل خدي أرضا يطأ عليها ، وأبذل مالي ودمي دونه ، فقال له : أتظن أنه ما بقي لله حجة بعد صاحب هذا القبر ؟ قال : بلى ولكن لا أعرفه بعينه ، قال : فتريده ؟ قال : أي والله . فسكت عنه الداعي ، فقال له علي بن الفضل ما قلت لي هذا القول الا وأنت عارف به ، فسكت الداعي فقوي ظن ابن الفضل ان هذا الرجل يعرف الامام والحجة ، فألح عليه ، وقال : اللهالله في أمري اجمع بيني وبينه ، فاني خرجت الى الحج ، وجئت الى هذه الزيارة أريد الله تعالى ، فسكت الداعي وازدادت رغبة ابن الفضل ، فصار يتضرع اليه ويسأله ويقبل يده ، فقال له الداعي : اصبر ولا تعجل وأقم فهذا الامر لا يتم بسرعة ولا بد له من صبر ومهلة ، فقال ابن الفضل لاصحابه ، وكان معه من جيشان : انصرفوا فلي بالكوفة شغل ، فانصرفوا وأقام هو واجتمع بالداعي ، فقال له : ما عملت في حاجتي ؟ فقال انتظرني حتى أعود اليك ، فانصرف عنه ومضى الى أحمد بن القداح وعرفه حال ابن الفضل وحرصه على لقاء الحجة ، وامام الزمان ، وبقي الداعي يرمقه ويراه لا يكاد يبرح من المسجد ، من غير أن يعلم ابن الفضل به .

---

(١) ابن خيران لم اجده في المتوفر لدي من المصادر ، والحميري هو السيد الحميري « ١٠٥ — ١٧٣ هـ/٧٢٣ — ٧٨٩ م » اسمه اسماعيل بن محمد ، شاعر شيعي له شهرة كبيرة . الاعلام للزركلي .

(٢) في الاصل « محمد بن الفضل » وهو خطأ صوابه ما أثبتنا ، وقد سلف ذكره كما سيأتي خاصة عند الخزرجي .

فلما كان بعد أربعين يوما أتاه الى المسجد ، وهو جالس ، فقال له : أنت بعد ههنا ؟ فقال : نعم ولولا تجيء لأقمت في هذا المسجد الى أن أموت فعلم الداعي أنه قد قصده ، فأخذه وجمع بينه وبين أحمد بن عبد الله بن ميمون [٢٣] .

وحكي الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسيني في كتابه الذيصرح فيه نفي هؤلاء[١] عن النسب الى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، واستدل على ذلك بأدلة يطول شرحها . أن أحمد بن عبد الله بن ميمون لما قام الامر بعد أبيه عبد الله بعث الحسين الاهوازي من سلمية داعية الى العراق ، فلما انتهى الى سواد الكوفة لقي حمدان بن الاشعث ، وهو قرمط الذي اليه ينسب القرامطة فصحبه ، واتبعه قرمط ، وتابعه كثير من الناس ، فلما مات الاهوازي أسند الامر من بعده الى حمدان ابن الاشعث قرمط . وقد ذكرنا هذه القصة في أخبار[٢] القرامطة .

نرجع الى قول ابن شداد ، قال : وكان أحمد يقول للحسن بن حوشب الكوفي النجار : يا أبا القاسم هل لك في غربه في الله ؟ فيقول الامر اليك يامولاي، فلما اجتمع بابن الفضل ، قال له : قد جاء ما كنت تريد أبا القاسم ، هذا رجل من أهل اليمن ، وهو عظيم الشأن ، كثير المال ، ومن الشيعة قد أمكنك ما تريد . وثم خلق من

---

(١) ينقل صاحب عمدة الطالب : ١٩٠ ــ ١٩٣ نصوصا اعتبرها قاطعة في تصحيح نسب الفاطميين الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، ومما قاله في ذلك « قلت : وقد كثر الحديث في نسب الخلفاء الذين استولوا على المغرب ومصر ، ونفاهم العباسيون ، وكتبوا بذلك محضرا شهد فيه جل الاشراف ببغداد ، فانضم الى ذلك ما ينسب اليهم من الاحاديث ، وسوء الاعتقاد ، وقد تأملت بعض ما حكي من الطعن فيهم فوجدته لا يتمشى لكونه بناء على ان المهدي اولهم منسوب الى أبيه محمد بن اسماعيل بن الصادق لصلبه ، وزمانه لا يحتمل ذلك ، والشريف الرضي الموسوي مع جلالة قدره صحح في شعره نسبهم حيث يقول :

ما مقامي على الهوان وعندي	مقول صارم وانف حمي
احمل الضيم في بلاد الاعادي	وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومن جده جدي	اذا ضامني البعيد القصي

(٢) في جزء آخر من الكتاب ، هو الذي سبق هذا النص .
على مخطوطة باريس رقم « ١٥٧٦ » .

الشيعة ، فاخرج وعرفهم أنك رسول المهدي ، وأنه في هذا الزمان يظهر في اليمن ، واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وان ورد عليك شيء لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه ، وليس هذا وقت ذكره .

وجمع بينه وبين ابن الفضل ، وخرجا جميعا الى أرض اليمن، ونزل ابن حوشب بعدن ، وكان فيها قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى ، وخبرهم عند ابن ميمون ، فنزل ابن حوشب بالقرب منهم ، وأخذ في بيع ما معه من القماش ، ولزم الزهد والتقشف . فقصده بنو موسى ، وقالوا له : فيما جئت ؟ قال : للتجارة ، قالوا : لست بتاجر ، وانما أنت رسول المهدي ، وقد بلغنا خبرك ، وعرفوه بأنفسهم ، فأظهر أمره عليهم ، وسار الى عدن لاعة ، وسار ابن الفضل الى بلده .

ولما وصل ابن حوشب الى عدن لاعة قوى عزائمهم وقرب أمر المهدي عليهم ، وأنه من عندهم يخرج ، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح ، ولم يزل أمر ابن حوشب يقوى وأخباره ترد على من بالكوفة من الامامية، وطبقات الشيعة، فيبادرون اليه ، ويقول بعضهم لبعض : دار الهجرة ، فكبر عددهم واشتد بأسهم ، وأغار على من جاوره ، ونهب وسبى ، وجبى الاموال وأنفذ الى من بالكوفة من ولد عبد الله القداح أموالا عظيمة ، وهدايا وطرفا ، وكذلك لابن الفضل .

وكانوا أنفذوا الى المغرب رجلان أحدهما يعرف بالحلواني والآخر بأبي سفيان[1] ، وتقدموا اليهما بالوصول الى أقاصي المغرب ، والبعد عن المدن والمنابر ، وقالوا لهما : ينزل كل واحد منكما بعيداً من الآخر ، وقولا لكل شيء باطن ، ونحن فقد قيل لنا : اذهبا فالمغرب أرض بور فاحرثاها واكرباها حتى يأتي صاحب البذر[1]، فنزل أحدهما بأرض كتامة بمدينة مرمجنة[2] ، والآخر سوف جمار[3]، فمالت قلوب أهل تلك النواحي اليهما ، وصارا يحملان التحف التي تحمل اليهما الى ابن القداح ، ثم ماتا على قرب بينهما ، بعد أن أقاما سنين كثيرة فقال ابن حوشب لأبي عبد الله

---

(١) انظر رسالة افتتاح الدعوة ٥٤ — ٥٨ .
(٢) اي ابو عبد الله الداعي . انظر رسالة افتتاح الدعوة ٥٨ .
(٣) من مدن تونس ، على ثلاث مراحل من القيروان — معجم البلدان .
(٤) في الجزائر معروفة على مقربة من الحدود الجزائرية التونسية .

الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي ـ وكان قد هاجر اليه ـ : يا أبا عبد الله أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبي سفيان وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، وبادر اليها فانها موطأة ممهدة لك، فخرج أبو عبد الله وأخرج ابن حوشب معه عبد الله بن أبي الملاحف ، وأمده بمال ، وأوصاه بما يعمل وكيف يحتال ، وكان أبي عبد الله قد شاهد أفعال ابن حوشب ، وعرف تدبيره • فسار الى مكة وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى •

وأما أحمد بن عبد الله بن ميمون ، فانه لما قوي أمره ، وكثرت أمواله ادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب ، وهم مع هذا يسترون أمرهم ، ويخفون أشخاصهم، ويغيرون أسماءهم ، وأسماء دعامتهم ، ويتنقلون في الاماكن ، ثم مات أحمد فخلفه محمد ، وكان لمحمد ولدان : أحمد والحسين ، فمات أحمد ، وصار الحسين الى سلمية ، وله بها أموال من ودائع جده عبد الله القداح ، ووكلاء وأتباع وغلمان وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعلع ، وهو محمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان ، وهو مؤدب بآداب الملوك ، وكان الذي بسلمية يدعي أنه الوصي وصاحب الامر دون بني القداح ، ويكاتب الدعاة ويراسلونه من اليمن والمغرب والكوفة ، واتفق أنه جرى بحضرته بسلمية حديث النساء فوصفوا امرأة رجل يهودي حداد ، مات عنها زوجها ، وأنها في غاية الجمال ، فقال لبعض وكلائه : زوجني بها ، فقال انها فقيرة ، ولها ولد ، فقال : ما علينا من الفقر زوجني بها ورغبها ، وابذل لها ما شاءت، فتزوجها وأحبها وحسن موقعها عنده ، وكان ابنها يماثلها في الجمال ، فأحبه وأدبه [٢٤] وعلمه ، وأقام له الخدم والاصحاب ، فتعلم الغلام ، وصارت له نفس كبيرة وهمة عظيمة ، فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول ان الامام الذي كان بسلمية من ولد القداح مات ، ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد ، وهو عبيد الله الذي نعت بالمهدي ، وأنه عرفه أسرار الدعوة من قول وفعل ، وأعطاه الاموال وتقدم الى أصحابه ووكلائه بطاعته ، وخدمته ومعونته ، وعرفهم أنه الامام والوصي وزوجه ابنة عمه أبي الشلعلع ، هذا قول ابن القاسم الابيض العلوي •

وغيره من العلماء بهذه الدعوة ، وبعض الناس وهم قليل يقولون : ان عبيد الله هذا المنعوت بالمهدي من ولد القداح ، ومنهم من يقول فيه قول آخر نذكره ان شاء الله عز وجل ، فهذا ما حكي في ابتداء أمرهم فلنذكر أخبار الشيعي ببلاد المغرب ، والله أعلـم •••

ذكـر فتوح الشام [٤١]

قد ذكرنا أن القائد جوهر جهز جعفر بن فلاح الى الشام بالعساكر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فسار جعفر ولقي الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة ، وهـو يومئذ صاحب الشام ، فهزمه جعفر بن فلاح وأسره ، وبعث به الى مصر ، ثم سار الى دمشق فملكها في سنة تسع وخمسين بعد حرب شديد ، فكتب القائد جوهر بالفتح، واستأذنه في المسير الى غزو أنطاكية ، فأذن له القائد ، فسار نحوها في عشرين ألف فارس فأقام مدة وكثرت جموعه وعساكره، وانبسطت يده، ودانت له البلاد ،فحاصر أنطاكية مدة الى أن اتصل به مسير مدد الروم اليها ، فعاد عنها الى دمشق .

ذكر مقتل جعفر بن فلاح واستيلاء القرامطة على دمشق

وفي سنة ستين وثلاثمائة ، وصل الحسن الاعصم القرمطي الى دمشق وقيل انه انما قدم بأمر الخليفة المطيع ، فخرج اليه جعفر بن فلاح ، وقاتله وكان عليلا ، فقتل وانهزم أصحابه ، ونصب رأسه على [سور] دمشق ، وملك القرمطي دمشق والشام، وسار الى الرملة فانحاز عنه سعاده بن[١] حيان الى يافا ، وتحصن بها ، فسار اليه وحاربه ؛ ثم سار يريد مصر ، فتأهب القائد جوهر لذلك ، وحفر خندقا وبنى عليه بابا كبيرا ، وركب عليه الباب الحديد الذي كان على الميدان الاخشيدي ، وبنى عليه بابان آخران ، وبنى القنطرة على الخليج ، وجعل ممرا لمن يريد المقس[٢] ، وكاد القرمطي يأخذ القاهرة ، ثم رجع عنها بغير سبب علم ، وكبس الفرما ، ثم قاطع أهلها على مال فحملوه اليه ، وأخذ عاملها عبد الله بن يوسف ، وقيل انه كان معه خمسة عشر ألف بغل تحمل صناديق الاموال وأواني الذهب والفضة والسلاح سوى ماتحمل من المضارب والخيام والاثقال .

---

(١) من غلمان المعز ، أي من قادة الفاطميين العسكريين .

(٢) مقس النيل معروف في القاهرة .

وفي سنة ستين وثلاثمائة أيضا بنى جوهر سورا على القصور التي بناها في سنة ثمان وخمسين وجعلها بلدا وسماها المنصورية[1]،ولما استقر المعز بها سماها القاهرة.

وفي سنة احدى وستين وثلاثمائة، في المحرم ، كبس ياروق[2] ، الفرما ، وأخرج منها ابن العمر القرمطي ، وأرسل الى مصر رؤوسا وأعلاما ، وغير ذلك .

وفي هذا الشهر عصى أهل تنيس وغيروا الدعوة ، ودعوا للمطيع والقرامطة وحاربوا ياروق ، وفي صفر وصل ياروق منهزما من القرامطة وهم في أثره ، وأقبلت عساكر القرامطة حتى بلغوا عين شمس .

واستعد القائد للقائهم ، وأغلق الابواب التي بناها ، وفي مستهل ربيع الاول جاءت مقدمة القرامطة ، ووقعوا على الخندق ، فقاتلهم القائد واشتد القتال ، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، وأصبح الناس متكافئين للقتال ، وسار الاعصم القرمطي بجميع عسكره ، ووقع القتال على الخندق والباب مغلق ، وعمل القائد جوهر الحيلة فانهزم عن القرمطي ودام القتال الى الزوال ، ثم فتح القائد الباب وانتصب للقتال ، وخرجت العبيد والمغاربة الى القرامطة واشتد القتال واضطرب الناس في المدينة ، وكثرت القتلى من الفريقين ، وانهزم الاعصم القرمطي ، وأراد المغاربة أتباعه فمنعهم القائد جوهر لدخول الليل ، وخشية من مكيدة ، أو كمين ، ونهبت صناديق القرمطي، ودفاتـــره .

وفارق القرمطي من كان معه من الاخشيدية والعرب ، قيل : وهذه أول هزيمة كانت للقرامطة .

ثم وصل بعد الكسرة بيومين أبو محمد الحسن بن عمار بمدد معه من جهة المعز ، وهرب القرمطي ، الذي كان بتنيس ، وعادت الدعوة المعزية بها .

وفي شهر ربيع الاخر ، قبض على أربعمائـــة وأربعين رجلا من الاخشيديـــة والكافورية ، وقيدهم وحبسهم ، وفي شعبان منها ورد على القائد جوهر رسول ملك الروم برسالته وهديته .

---

(١) يلاحظ ان جوهر بعد فتحه لمصر لم يكن لديه مشروع بناء مدينة جديدة ، بل كل ما فعله بناء عدة قصور ، انما بعدما أجبر على احاطة هذه القصور بسور ظهر الى الوجود مشروع مدينة جديدة هي القاهرة .

(٢) من أمراء الجند الفاطمي .

وفي شهر رمضان لسبع خلون منه ، كمل بناء الجامع بالقاهرة ، وجمعت فيه الجمعة ، وفي شوال منها ابتدأ القائد جوهر بحفر الخندق الذي كان عبد الرحمن بن جحدم[1] خليفة عبد الله بن الزبير حفرة قبلي مصر ، ثم شق الخندق حتى بلغ قبر الامام الشافعي رحمه الله ، فعدل به عنه في شقه مشرقا الى الجبل ، على المقابر ، أراد بذلك أن يحفظ طريق الفج من ناحية القلزم •

وفي ذي القعدة منها خرج أبو محمد الحسن بن عمار الى تنيس ، فسار اليه اسطول القرامطة ، فواقعهم وأسر منهم سبع مراكب وسيرهم الى مصر ومعهم خمسمائة رجل منهم •

ذكر مكاتبة المعز لدين الله القرمطي وجواب القرمطي

قال بعض المؤرخين : لما استقر المعز بالقاهرة ، أهمه أمر الاعصم القرمطي ، فرأى أن يكتب اليه كتابا يعلمه فيه أن المذهب واحد ، وأن القرامطة استبدوا وهم سادتهم في هذا الامر ، وبهم وصلوا الى هذه الرتبة ، فكتب اليه المعز كتابا مشحونا بالمواعظ ، وضمنه من أنواع الكفر ما لا يصدر الا عن مارق من الدين[1] •

كان عنوان الكتاب :

من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن اسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين وسلالة خير النبيين ، ونجل أفضل الوصيين الى الحسن بن أحمد •

وأول الكتاب : رسوم النطقاء ومذاهب الائمة والاولياء ، ومسالك الرسل والانبياء السالف منهم والآنف ، صلى الله علينا وعلى آبائنا أولي الايدي والابصار في متقدم الدهور والاكوار ، وسالف الازمان والاحضار عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله •

---

(١) انظر كتاب الولاة والقضاة للكندي • ط• بيروت ١٩٠٨ ، ٤٠ — ٤١ .

(٢) انظر نصه الكامل فيما يلي في نص اتعاظ الحنفا للمقريزي ، مع التنبه الى ان النويري مصدر اساسي للمقريزي .

الابتداء بالاعذار ، والانتهاء الى الانذار • قبل انفاذ الاقدار ، في أهل الشقاق والاصرار لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسبما قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[1] » « وان من أمة الا خلا فيها نذير »[2]

وقد ذكرنا في أخبار القرامطة جملة من مواعظ هذا الكتاب على ما نقف عليه هناك ومن جملته ، ما لم نذكره هناك : أما علمت أني « نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة[3] » ، أعلم « خائنة الاعين وما تخفي الصدور[4] » ، وحشاه بأنواع من الكفر وحضه على اقتفاء آثار آبائه وعمومته في موالاتهم • فقال : « ان آباءك كانوا أتباع آبائي » ، ثم قال فيه بعد الاطالة : وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ووقت مذكور ، لا نرفع قدما ولا نضع قدما ، الا بعلم موضوع ، وحكم مجموع وأجل معلوم •

ثم قال فيه : وأما أنت أيها الغادر الناكث المباين عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، الموقد لنار الفتنة ، الخارج عن الجماعة والسنة ، لم أغفل أمرك ولا خفي علي خبرك ، وانك مني بمنظر وبمسمع ، قال الله تعالى : « انني معكما أسمع وأرى[5] » « ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا[6] » ، فعرفنا على أي أصل أصلت ، وأي طريق سلكت •

وقال في فصل منه : انا لسنا مهمليك ولا ممهليك الا ريثما يردنا كتابك والوقوف على مجرى جوابك ، فانظر لنفسك ما تبقي ليومك ومعادك ، قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ « لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا »[7] •

ثم ختمه بأن قال : فما أنت وقومك إلا كمناخ نعم ، أو مراح غنم ، « وإما نرينك بعض الذي نعدهم[8] » « فإنا عليهم مقتدرون[9] » • هكذا وأنت في القفص

(١) سورة الاسراء : ١٥ .
(٢) سورة فاطر : ٢٤ .
(٣) سورة الهمزة : ٦ ــ ٧ .
(٤) سورة غافر : ١٩ .
(٥) سورة طه : ٤٦ .
(٦) سورة مريم : ٥٨ .
(٧) سورة الانعام : ١٥٨ .
(٨) سورة يونس : ٤٦ .
(٩) سورة الزخرف : ٤٢ .

مصفوداً[1] » « أو نتوفينك فإلينا مرجعهم[2] » عندهـا تخسر الدنيـا والآخرة « ذلك هو الخسران المبين[3] » . « فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى . الذي كذب وتولى[4] » « كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون[5] » فليتدبر من كان ذا تدبر ، وليتفكر مـن كان ذا فكر وليحذر يوم القيامة يوم الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله[6] » « ويا حسرتنا على ما فرطنا[7] » و « ياليتنا نـرد فنعمل غير الذي كنا نعمل[7] » .

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى[وحسبنا الله وكفى[9]] وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال : فلما وقف الحسن بن أحمد القرمطي على هذا الكتاب المطول ، كتب جوابه بعد البسملة : وصل كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن سائرون على اثره ، والسلام .

وقيل انه كتب : الجواب ما تراه دون ما تسمعه . وقيل : [٤٤] انه كتب اليه:

ظنت رجال الغرب أن مهولتي بمحالها وأخو المحـال ذليل
ان لم أرو النيـل من دمهم فـلا نلت المراد ولا سقاني النيـل

وفي سنة ثلاث وثلاثمائة ، في شعبان بلغت مقدمة القرامطة الى أرباض مصر وأطراف المحلة ، فنهبوها وجبوا الخراج ، واستقر الاعصم القرمطي ببلبيس ، فتأهب المعز للقائه ، وعرض العساكر ، وفرق بينهم الاموال والسلاح ، وسير جيشا قدم عليه ولده عبد الله ، فالتقى مع الاعصم ، فانهزم القرمطي ، وأسر جماعة من رجاله ، وجهز جيشا آخر ، قدم عليه ريان الصقلبي في أربعة آلاف فارس ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها .

---

(١) في الاصـل « ... نعدهـم أو نتوفينك » « فانا عليهم مقتدرون » هكذا رأيت والتلاوة في سورة القصص . وهو تصحيف صوابه ما اثبتنا من رواية المقريزي في اتعاظ الحنفا التي تلي هذه الرواية في كتابنا هذا .
(٢) سورة يونس : ٤٦ . (٣) سورة الحـج : ١١ .
(٤) سورة الليل : ١٤ ــ ١٦ . (٥) سورة الاحقاف : ٣٥ .
(٦) سورة الزمر : ٥٦ . (٧) سورة الانعام : ٣١ .
(٨) سورة الانعام : ٢٧ . (٩) زيد من رواية المقريزي ، وبه يستقيم السياق .

كتـــاب

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفـــا

ذكر طرف من أخبار القرامطة

وذلك أن الحسين الاهوازي لما خرج داعية الى العراق لقي حمدان بن الاشعث قرمط بسواد الكوفة ، ومعه ثور ينقل عايه ، فتماشيا ساعة فقال حمدان للحسين : « اني أراك جئت من سفر بعيد وأنت معي فاركب ثوري هذا » فقال الحسين : « لم أومر بذلك » فقال له حمدان : « كأنك تعمل بأمر أمر لك ؟ » قال : « نعم » قال : « ومن يأمرك وينهاك ؟ » قال : « مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة » . فبهت حمدان قرمط يفكر ، ثم قال له : « يا هذا : ما يملك ما ذكرته الا الله » قال : « صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء » قال حمدان: « فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » وكان الحسين لما رأى قرمط في الطريق سأله : « وكيف الطريق الى قس بهرام[1] » . فعرفه قرمط أنه سائر اليه ، فسأله عن قرية تعرف « ببانبورا »[2] في السواد ، فذكر أنها قريبة من قريته ، وكان قرمط من قرية تعرف « بالدور » على نهر « هد » من رستاق « مهزود » من طسوج « فرات بادولي »[3] .

وانما قيل له قرمط لأنه كان قصيرا ورجلاه قصيرتين ، وخطوه متقاربا ، فسمي لذلك قرمطا .

فلما قال للحسين : « ما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » قال له : « رفع الى جراب فيه علم وسر من أسرار الله ، وأمرت أن أشفي هذه القرية وأغني أهلها وأستنقذهم ، وأملكهم أملاك أصحابهم » .

[٢٤ ـ و] وابتدأ يدعوه ، فقال له حمدان قرمط : « يا هذا : نشدتك الله ، ألا دفعت الي [شيئا] من هذا العلم الذي معك ، وأنقذتني ينقذك الله ؟ » .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي مصادر أخرى « ساباط نوح » ولم اقف لهما على ذكر في المصادر المتوفرة من المكتبة الجغرافية .

(٢) لها ذكر في فتوحات خالد بن الوليد ، قريبا من الحيرة ـ معجم البلدان .

(٣) الطسوج : النواحي وجميع المواقع التي اتى على ذكرها هي من سواد بغداد . انظر معجم البلدان ـ مواد : مهزود . بادولي ، الدور .

قال له : « لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله على النبيين والمرسلين ، وألقي اليك ما ينفعك » .

فما زال بضرع اليه حتى جلسا في بعض الطريق ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟

قال له : قرمط [ثم قال له] : « قم معي الى منزلي حتى تجلس فيه ، فان لي اخوانا أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي » .

فصار معه الي منزله ، وأخذ على الناس العهد ، وأقام بمنزل حمدان قرمط ، فأعجبه أمره ، وعظمه ، وكان الحسين على غاية ما يكون من الخشوع صائما نهاره ، قائما ليله ، فكان المغبوط من أخذه الى منزله ليلة وكان يخيط لهم الثياب ، ويكتسب بذلك ، فكانوا يتبركون به وبخياطته .

وأدرك التمر ، فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي ــ وكان أحد وجوه الكوفة ومن أهل العلم والفضل ــ الى عمل ثمره ، فوصف له الحسين الاهوازي ، فنصبه لحفظ ثمره ، والقيام في حظيرته ، فأحسن حفظها ، واحتاط في أداء الامانة ، وظهر منه من التشدد في ذلك ما خرج به عن أحوال الناس في تساهلهم في كثير من الامور ، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين .

واستحكمت ثقة الناس به ، وثقته هو بحمدان قرمط ، وسكونه اليه فأظهر له أمره ، وكان قد دعا اليه أنه جاء بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : يقول الفرج بن عثمان : انه داعية المسيح وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وأن المسيح تصور له في جسم انسان ، وقال : انك الداعية ، وانك الحجة ، وانك الناقة وانك الدابة ، وانك يحيى بن زكريا ، وانك روح القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الاذان في كل صلاة أن يقول المؤذن :

الله أكبر ثلاث مرات

أشهد ألا اله الا الله مرتين

أشهد أن آدم رسول الله

أشهد أن نوحا رسول الله

أشهد أن ابراهيم رسول الله

[أشهد أن موسى رسول الله][1] .

أشهد أن عيسى رسول الله

أشهد أن محمداً رسول الله

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية [رسول الله][1] .

والقراءة في الصلاة :

« الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المنجد لأوليائه بأوليائه ، « قل ان الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلموا عدد السنين والحساب والشهور[2] والأيام ، وباطنها لأوليائي الذين عرفوا عبادتي وسبيلي ، فاتقوني يا أولي الالباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري أدخلته في جنتي ، وأخلدته في نعيمي ، ومن زال عن أمري، وكذب رسلي أخلدته مهانا في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسنة رسلي وأنا الذي لم يعل جبار الا وضعته ، ولا عزيز الا أذللته ، وليس الذي أصر على أمره ، ودام على جهالته ، وقال : « لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون » . ثم يركع[3] .

ومن شرائعه : صيام يومين في السنة همـــا : المهرجان[4] ، والنوروز[5] وأن

---

(١) زيد ما بين الحاصرتين عن الكامل لابن الاثير : ١٧٩/٧ .

(٢) انظر سورة البقرة : ١٨٩ ، فقد تم التصرف بها،ونال هذا عددا آخر من الآيات.

(٣) في ابن الانير ــ الكامل : ١٧٨/٧ بعد هذا اللفظ جملة تكميلية هــذا نصهـــا : « ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولها مرتين . فاذا سجد قال : « الله أعلى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم » .

(٤) كان المهرجان من أعياد الفرس القديمة ، ويوافق موسم جمع المحاصيل والغلال.

(٥) النوروز ــ ويقال النيروز ــ لفظ فارسي معرب ، ومعناه اليوم الجديد : وكان الفرس يتخذونه عيدا ايضا ، وكان يوافق عندهم يوم الاعتدال الربيعي ــ انظر المعرب للجواليقي .

الخمر حلال ولا غسل من جنابة ، ولكن الوضوء كوضوء الصلاة وأن لا يؤكل ما له ناب ولا مخلب ولا يشرب النبيذ ، وأن القبلة الى بيت المقدس ، والحج اليه ، وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شغل •

ولما حضرته الوفاة جعل مكانه حمدان بن الاشعث قرمط ، وأخذ على أكثر أهل السواد ، وكان ذكيا داهية •

فكان ممن أجابه : مهرويه بن زكرويه السلماني ، وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، واسحاق البوراني ، وعطيف النيلي ، وغيرهم ، وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس •

وكان أكبر دعاته عبدان ، وكان فطنا خبيثا ، خارجا عن طبقة نظرائه من أهل السواد ، ذا فهم وحذق ، وكان يعمل عند نفسه على نصب له ، من غير أن يتجاوز به الى غيره ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ، ويدعو الى الامام من آل رسول الله ﷺ محمد بن اسماعيل بن جعفر •

فكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه ، وكان شابا ذكيا فطنا من قرية بسواد الكوفة على نهر هد ، فنصبه عبدان على اقليم نهر هد وما والاه ، ومن قبله دعاة جماعة متفرقون في عمله •

وكان [٢٤ ـ ظ] داعية عبدان على فرات بادولي : الحسن بن أيمن ، وداعيته على طسوج تستر : المعروف بالبوراني ـ واليه نسب البورانية ـ ، وداعيته على جهة أخرى المعروف بوليد ، وفي أخرى أبو الفوارس • وهؤلاء رؤساء دعاة عبدان ، ولهم دعاة تحت أيديهم ، فكان كل داع يدور في عمله ويتعاهده في كل شهر مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة •

ودخل في دعوته من العرب طائفة ، فنصب فيهم دعاة ، فلم يتخلف عنه رفاعي ولا ضبيعي ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن الا دخل في الدعوة منه ناس كثير أو قليل : من بني عابس ، وذهل وعنزة ، وتيم الله ، وبني ثعل ، وغيرهم من بني شيبان ، فقوي قرمط ، وزاد طمعه ، فأخذ في جمع الاموال من قومه •

فابتدأ يفرض عليهم أن يؤدوا درهما عن كل واحد ، وسمى ذلك : « الفطرة » ، على كل أحد من الرجال والنساء ، فسارعوا الى ذلك •

فتركهم مديدة ، ثم فرض « الهجرة » ، وهو دينار على كل رأس أدرك ، وتلا قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم »[1] وقال : « هذا تأويل هذا » فدفعوا ذلك اليه ، وتعاونوا عليه ، فمن كان فقيرا أسعفوه فتركهم مديدة ، ثم فرض عليهم « البلغة » وهي سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو « البرهان » الذي أراد الله بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »[2] وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الايمان،والدخول في السابقين المذكورين في قوله تعالى:« والسابقون السابقون أولئك المقربون »[3].

وصنع طعاما طيبا حلوا لذيذا ، وجعله على قدر البنادق ، يطعم كل من أدى اليه سبعة دنانير منها واحدة ، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل الى الامام ، فكان ينفذ الى كل داع منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، لكل واحدة منها سبعة دنانير.

فلما توطأ له الامر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ، وتلا عليهم: « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه[4] — الآية » — ، فقوموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدوا ذلك اليه ، فكانت المرأة تخرج خمس ما تغزل ، والرجل خمس ما يكسبه .

فلما تم ذلك فرض عليهم « الألفة » ، وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه ، وتلا عليهم : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا[5] » — الآية — ، وقوله تعالى : « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم[6] » .

وعرفهم أنه لا حاجة بهم الى أموال تكون معهم ، لأن الارض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال : « هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون » . وطالبهم بشراء السلاح واعداده .

---

(1) سورة التوبة : ١١٣ .
(2) سورة البقرة : ١١١ .
(3) سورة الواقعة : ١٠ .
(4) سورة الانفال : ٤١ .
(5) سورة آل عمران : ١٠٣ .
(6) سورة الانفال : ٦٣ .

وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين •

وأقام الدعاة في كل قرية : رجلا مختاراً من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم ، وحلي ، ومتاع وغيره ، وكان يكسو عاريهم وينفق على سائرهم ما يكفيهم ، ولا يدع فقيرا بينهم ولا محتاجا ولا ضعيفا ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته ، وجمعت المرأة كسبها من مغزلها ، والصبي أجرة نطارته للطير ، وأتوه به ، فلم يتملك أحد منهم الا سيفه وسلاحه •

فلما استقام له ذلك أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ، ويختلطن بالرجال ، ويتراكبن ولا يتنافرن ، فان ذلك من صحة الود والالفة بينهم •

فلما تمكن من أمورهم ، ووثق بطاعتهم ، وتبين مقدار عقولهم ، أخذ في تدريجهم ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية ، فسلكوا معه في ذلك حتى يقضي ماكان يأمرهم به في مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقوى ، وظهر منهم بعد تدين كثير إباحة الاموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأخبرهم أن ذلك كله موضوع عنهم ، وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق تغني [عن] كل شيء ، ولا يخاف معه اثم ولا عذاب — يعني إمامه الذي يدعو إليه ، وهو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق — وأنه الامام المهدي الذي [٢٥ — و] يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق ، وأن البيعة له ، وأن الداعي انما يأخذ على الناس له ، وأن ما يجمع من الاموال مخزون له الى أن يظهر ، وأنه حي لم يمت ، وأنه يظهر في آخر الزمان ، وأنه مهدي الامة •

فلما أظهر هذه الامور كلها بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسل والحجة والامام ، وأنه المعول والمقصد والمراد ، وبه اتسقت هذه الامور ، ولولا هذه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم ، ظهر في كثير منهم الفجور ، وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء ، وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم — جزعا منهم — •

ثم ان الدعاة اجتمعوا ، واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون اليها ، ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة — في طسّوج

الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات ـــ قرية تعرف « بمهتماباذ » ، فحاذوا صخرا عظيما ، ثم بنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت، وبنوا فيها البناء العظيم، وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت « دار الهجرة » ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، فلم يبق حينئذ أحد الا خافهم ، ولا بقي أحد يخافونه وتمكنهم في البلاد ٠

وكان الذي أعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الاعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر ، وتلاف الرجال ، وفساد البلدان ، فتمكن هؤلاء ، وبسطوا أيديهم في البلاد ، وعلت كلمتهم ٠

وكان منهم مهرويه أحد الدعاة في مبدأ أمره ينظر النخل ويأخذ أجرته تمرا فيفرغ منه النوى ويتصدق به ، ويبيع النوى ويتقوت به، فعظم في أعين الناس قدره، وصارت له مرتبة في التقية والدين[1] ، فصار الى صاحب الزنج لما ظهر على السلطان وقال له : « ورائي مائة ألف ضارب سيف أعينك بهم » ٠

فلم يلتفت الى قوله ، ولم يجد فيه مطمعاً ، فرجع وعظم بعد ذلك في السواد ، وانقاد اليه خلق كثير ، فادعى أنه من ولد عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ، فقيل له : « لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يقال له عبد الله[2] » ٠

فكف عن هذه الدعوى ، وصار بعد ذلك في قبة على جمل ، ودعي بالسيد ، وظهر بسواد الكوفة ، وسيأتي ذكر ابنه زكرويه ، وابن ابنه الحسين بن زكرويه ان شاء الله ٠

وكان رجل من أهل قرية جنابة[1] يعمل الفراء ، يقال له أبو سعيد الحسن بن

---

(١) هذه رواية ثانية عن أصل حركة القرامطة في العراق ، عرضها المقريزي دون ان ينبه على ذلك .

(٢) بانسياب سريع مزج المقريزي بين بداية حركة صاحب الجمل في الشام ومسألة نسبه ، وبين ما كان يجري في سواد العراق .

(٣) جنابة بلدة قائمة على ساحل فارس قبالة منطقة البصرة ـــ معجم البلدان .

بهرام الجنابي[1] ، أصله من الفرس ، سافر الى سواد الكوفة وتزوج من قوم يقال لهم : « بنو القصار » كانوا من أصول هذه الدعوة فأخذ عن عبدان ، وقيل بل أخذ عن حمدان قرمط ، وسار داعية ، فنزل القطيف — وهي حينئذ مدينة عظيمة — فجلس بها يبيع الرقيق ، فلزم الوفاء والصدق ، وكان أول من أجابه الحسين بن سنبر ، وعلي بن سنبر وحمدان بن سنبر ، في قوم ضعفاء ، ما بين قصاب وحمال وأمثال ذلك ، فبلغه أن بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا ، أنفذه عبدان قبل أبي سعيد وكان قد أخذ على بني سنبر من قبل ، فعظم أمره على أبي سعيد وقبض عليه وقتله ، فحقد عليه بنو سنبر قتله[2] .

واتفق أن البلد كان واسعا ، ولأهله عادة بالحروب ، وهم رجال شداد جهال ، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، حتى اشتدت شوكته .

وكان لا يظفر بقرية الا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس ، وأجابه كثير منهم ، وفر منه خلق كثير الى بلدان شتى خوفا من شره ، ولم يمتنع عليه الا هجر — وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها ، وبها التجار والوجوه — فنازلها شهورا يقاتل أهلها ، ثم وكل بها رجلا .

---

(1) في حاشية الاصل : « اختلف في أبي سعيد الجنابي ، فقال قوم : اسمه الحسن ابن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأنه ابن صاحب الزنج القائم بالبصرة بعد سنة خمسين ومائتين ، وأن علي بن محمد كان مقيما بهجر ، ويعرف أنه شريف ويكرم ويعطى ، ثم انه خرج وجمع ، فقاتله العريان بن ابراهيم بأرض البحرين ، فانصرف الى القطيف وبنى بأم أبي سعيد على سبيل الاستحلال ، وخرج من القطيف الى الاحساء ، وظهر الحمل بأم أبي سعيد ، فلما ولدته سمته الحسن ، وكنته بأبي سعيد ، وكتمته سنة خوفا عليه ، وتزوجت برجل من أهل جنابة ، فنسب ابو سعيد اليه ، ونشأ على أنه رجل من أهل جنابة ، ينتسب الى من هو ربيب له ، وقيل ما ذكر في الاصل » .

(2) في هذا اشارة الى قتل ابى سعيد — او أبي طاهر — للداعي ابي زكريا الصمامي أو الطمامي. انظر ما سبق قوله في نص القاضي عبد الجبار. أصول الاسماعيلية : ١٦٩ — ١٧١ القرامطة لدى غوية : ١٠٢ — ١٠٨ .

وارتفع فنزل الاحساء ــ وبينها وبين هجر ميلان ــ فابتنى بها داراً وجعلها منزلا، وتقدم في زراعة الارض وعمارتها [٢٥ ــ ظ] ، وكان يركب الى هجر ، ويحارب أهلها ، ويعقب قومه على حصارها .

ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب ، وساروا اليه بحرمهم وأموالهم ، فأنزلهم الاحساء ، وأطمعوه في بني كلاب ، وسائر من يقرب منــه من العرب فضم اليهم رجالا ، وساروا فأكثروا من القتلى ، وأقبلوا بالحريم والاموال والامتعة الى الاحساء ، فدخل الناس في طاعته ، فوجه جيشا الى بني عقيل فظفر بهم ، ودخلوا في طاعتــه[1] .

فلما اجتمع اليه العرب مناهم ملك الارض كلها ، ورد الى من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد ، ولم يرد عبدا ولا أمة ولا أيما ولا صبيا الا أن يكون دون الاربع سنين .

وجمع الصبيان في دور ، وأقام عليهم ما يحتاجون اليه ، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم ، ونصب لهم عرفاء ، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان فنشأوا لا يعرفون غير الحرب ، وقد صارت دعوته طبعا لهم .

وقبض كل مال في البلد ، والثمار ، والحنطة ، والشعير . وأقام رعاة للابل والغنم ومعهم قوم لحفظها ، والتنقل معها على نوب معروفة ، وأجرى على أصحابه جرايات ، فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه .

هذا وهو لا يغفل عن هجر ، وطال حصاره لهم على نيف وعشرين شهرا ، حتى أكلوا الكلاب ، فجمع أصحابه ، وعمل دبابات ، ومشى بها الرجــال الى السور ، فاقتتلوا يومهم ، وكثر بينهم القتلى ، ثم انصرف عنهم الى الاحساء ، وباكرهــم فناوشوه ، فانصرف الى قرب الاحساء ، ثم عاد في خيل ، فدار حول هجر يفكر فيما يكيدهم به فاذا لهجر عين عظيمة كثيرة الماء، تخرج من نشز من الارض غير بعيد منها، فيجتمع ماؤها في نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر ، ثم ينزل الى النخل فيسقيه ، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم .

---

(١) في هذا اشارة الى اثر القرامطة في دفع القبائل من عامــر بن صعصعة للهجرة شمالا . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٦٩ ــ ٣٧٢ .

فلما تبين له أمر العين ، انصرف الى الاحساء ، ثم غدا فأوقف على باب المدينة رجالا كثيرا ، ورجع الى الاحساء ، وجمع الناس كلهم ، وسار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف ، وأمر بجمع الحجارة ونقلها الى العين ، وأعد الرمل والحصى والتراب ، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين ، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة، فقذفته العين ، ولم يغن ما فعله شيئا ، فانصرف الى الاحساء بمن معه .

وغدا في خيل فضرب في البر حتى عرف أن منتهى العين بساحل البحر ، وأنها تنخفض كلما نزلت ، فرد جميع من كان معه ، وانحدر على النهر نحوا من ميلين ثم أمر بحفر نهر هناك ، وأقبل يركب هو وجمعه في كل يوم والعمال يعملون حتى حفره الى السباخ ، ومضى الماء كله فصب في البحر ثم سار فنزل على هجر وقد انقطع الماء عنهم ، ففر بعضهم فركب البحر ، ودخل بعضهم في دعوته ، وخرجوا اليه فنقلهم الى الاحساء ، وبقيت طائفة لم يفروا لعجزهم ، ولم يدخلوا في دعوته فقتلهم ، وأخذ ما في المدينة وأخربها فبقيت خرابا ، وصارت مدينة البحرين هي الاحساء .

ثم أنفذ سرية الى عمان في ستمائة ، وأردفهم بستمائة أخرى فقاتلهم أهل عمان حتى تفانوا ، وبقي من أهل عمان خمسة نفر ومن القرامطة ستة نفر ، فلحقوا بأبي سعيد ، فأمر بهم فقتلوا ، وقال: « هؤلاء خاسوا بعهدي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا » وتطير بهلاك السريتين ، وكف عن أهل عمان .

واتصل بالمعتضد بالله خبره ، فخاف منه على البصرة ، فأنفذ العباس بن عمرو الغنوي في ألفي رجل ، وولاه البحرين ، فخرج في سنة تسع ومائتين والتقى مع أبي سعيد فانهزم أصحابه وأسر العباس في نحو من سبعمائة رجل من أصحابه ، واحتووا على عسكره ، وقتل من غده جميع الاسرى ، ثم أحرقهم وترك العباس ، ومضى المنهزمون فتاه أكثرهم في البر ، وتلف كثير منهم عطشا وورد بعضهم الى البصرة فارتاع الناس وأخذوا في الرحيل عن البصرة .

ثم لما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد العباس بن عمرو ، وقال له : « أتحب أن أطلقك ؟ » قال : « نعم » قال : « على أن تبلغ عني ما أقول صاحبك »، [٢٦] قال : « أفعل » قال : « تقول له : الذي أنزل بجيشك ما أنزل ، بغيك ، هذا بلد خارج عن يدك ، غلبت عليه ، وقمت به ، وكان بي من الفضل ما آخذ به غيره ،

فما عرضت لما كان في يدك ، ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلا ولا نلت أحدا من رعيتك بسوء ، فتوجيهك الي الجيوش لأي سبب ؟ اعلم أني لا أخرج من هذا البلد ولا تصل اليه وفي هذه العصابة التي معي روح ، فاكفني نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيها فائدة ، ولا تصل الى مرادك [منه] الا ببلوغ القلوب الحناجر » .

وأطلقه ، وبعث معه من يرده الى مأمنه ، فوصل الى بغداد في شهر رمضان ، وقد كان الناس يعظمون أمره ويكثرون ذكره ، ويسمونه « قائد الشهداء » فلما وصل الى المعتضد عاتبه على تركه التحرز ، فاعتذر ولم يبرح حتى رضي عنه وسأله خبره ، فعرفه جميعه ، وبلغه ما قال القرمطي ، فقال : « صدق ما أخذ شيئا كان في أيدينا » وأطرق مفكرا ثم رفع رأسه وقال : « كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بي عمري لأشخصن بنفسي الي البصرة وجميع غلماني ، ولأوجهن اليه جيشا كثيفا ، فان هزمه وجهت [بعده] جيشا ، فان هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي اليه حتى يحكم الله بيني وبينه » .

فشغل المعتضد عن القرمطي بأمر وصيف غلام أبي الساج[1] .

ثم توفي في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وما يزال يذكر أبا سعيد الجنابي في مرضه ، ويتلهف ويقول : « حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفي الا ضربت عنقه، واني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة» .

وأقبل أبو سعيد — بعد اطلاق العباس — على جمع الخيل ، واعداد السلاح ونسج الدروع والمغافر ، واتخاذ الابل ، واصلاح الرجال، وضرب السيوف والأسنة، واتخاذ الروايا والمزاود والقرب ، وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الاعراب من قريته ، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال واصلاح أراضي المزارع وأصول النخل ، واصلاح مثل هذه الامور وتفقدها ، ونصب الامناء على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقده أن الشاة اذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم لهم ، ويدفع الرأس والاكارع والبطن الى العبيد والاماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على

(١) انظر خبر ذلك في الكامل لابن الاثير : ٦/٩٤ .

من يغزله ، ثم يدفعه الى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ، ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد الى الدباغ ، ثم الى خرازي القرب والروايا ، والمزاود ، وماكان من الجلود يصلح نعالا وخفا عمل منه ، ثم يجمع ذلك كله الى خزائن •

فكان ذلك دأبه لا يغفله ، ويوجه كل قليل خيلا الى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت ، وتصير بهم اليه ويستعبدهم ، فزادت بلاده ، وعظمت هيبته في صدور النـاس •

وواقع بني ضبة وقائع مشهورة ، فظفر بهم ، وأخذ منهم خلقا ، وبنى لهم حبساً عظيما جمعهم فيه ، وسده عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فصاحوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهرا ، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى ، ويسيراً بحال الموتى ، وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فخصاهم وخلاهم فمات أكثرهم •

وكان قد أخذ من عسكر العباس خادما له جعله على طعامه وشرابه ، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا صلاة واحدة ، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره ، فأضمر الخادم قتله ، حتى اذا دخل الحمام معه ـــ وكانت الحمام في داره ـــ فأعد الخادم خنجرا ماضيا ـــ والحمام خال ـــ فلما تمكن منه ذبحه ، ثم خرج فقال : « يدعى فلان » لبعض بني سنبر فأحضر ، فلما دخل قبضه وذبحه ، فلم يزل ذلك دأبه حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ، فدخل آخرهم فاذا في البيت الاول دم جار ، فارتاب وخرج مبادرا ، وأعلم الناس ، فحصروا الخـادم حتى دخلوه ، فوجدوا الجماعة صرعى [٢٦ ـــ ظ] وذلك في سنة احدى وثلاثمائة ، وقيل اثنتين وثلاثمائة ، وكان قتله بأحساء من البحرين • وكانت سنه يوم قتله نيفا وستين سنة •

وتـرك أبو سعيد من الاولاد : أبا القاسم سعيـدا ، وأبا طاهـر سليمان ، وأبا منصور أحمد ، وأبا اسحاق ابراهيم ، وأبا العباس محمدا، وأبا يعقوب يوسف•

وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته ، وأوصى ان حدث به موت يكون القيم بأمرهم سعيد ابنه الى أن يكبر أبو طاهر ، وكان أبو طاهر أصغر سنا من سعيد فاذا كبر أبو طاهر كان المدبر ، فلما قتل جرى الامر على ذلك •

وكان قد قال لهم : ستكون الفتوح له ، فجلس سعيد يدبر الامر بعد قتـل [أبيه] ، وأمر فشد الخادم بحبال ، وقرض لحمه بالمقاريض حتى مات •

فلما كان في سنة خمس وثلاثمائة سلم سعيد الى أخيه أبي طاهر سليمان الامر، فعظموا أمـره •

وكان ابتداء أمر أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي بالقطيف وما والاها في سنة ست وثمانين ومائتين ، فكانت مدته نحو خمس عشر سنة •

الصناديقي

وفيها : استولى النجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديقي على اليمن ، وكانت جيوشه بالمذيخرة وسهفنة[1] ، وكان ابن أبي الفوارس ـ أحد دعاة عبدان ـ أنفذه داعيا الى اليمن ، وكان من أهل النرس[2] ـ موضع يعمل فيه الثياب النرسية، وكان يعمل من الكتان ـ فصار الى اليمن ودخل في دعوته خلق كثير ، فأظهر العظائم وقتل الاطفال ، وسبى النساء ، وتسمى برب العزة ، وكان يكاتب بذلك ، وأعلن سب النبي ﷺ وسائر الانبياء ، واتخذ دارا خاصة سماها « دار الصفوة » يجتمع فيها النساء ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن ، من تحبل متهن في تلك الليلة ومن تلد من ذلك ، ويتخذ تلك الاولاد لنفسه خولا ، ويسميهم « أولاد الصفوة » •

قال بعضهم :

« دخلت اليها لأنظر فسمعت امرأة تقول : « يا بني » ، فقال : يا أمة نريد أن نمضي أمر ولي الله فينا » • وكان يقول : « اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ، ولا ولد من ولد ، فتكونوا كنفس واحدة » • فعظمت فتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهله عنه ، وأجلى السلطان ، وقاتل أبا القاسم محمدا بن يحيى بن الحسين بن القاسم ابن ابراهيم الحسني ، الهادي[3] ، وأزاله عن عمله من صعدة ففر منـه بعياله الى الرس ، ثم أظفره الله به فهزمه بأمر الهي ، وهو أن الله جلت قدرته ألقى على عسكره وقد بايته بردا وثلجا قتل به أكثر أصحابه في ليلة واحدة ، وقلما عرف مثل ذلك في تلك الناحية •

---

(١) قرية قبلي الجند على ثلاث مراحل منها لدى سفال ، واسمها الآن سفنة ، انظر طبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي بن سمرة الجعدي نشر فؤاد السيد : ٣١٨ .

(٢) نرس نهر يأخذ من الفرات عليه عـدة قرى ، واليه تنسب الثياب النرسيـة . معجم البلدان .

(٣) المقصود بالهادي يحيى بن الحسين .

وسلط الله عليه الأكلة ، وذلك أن أبا القاسم أنفذ اليه طبيبا بمبضع مسموم فصده به فقتله ؟ وأنزل الله بالبلدان التي غلب عليها بثرا يخرج في كتف الرجل منهم بثرة فيموت سريعا ، فسمى ذلك البثر ــ بتلك البلاد ــ « حبة القرمطي » مدة من الزمان .

وأخرب الله أكثر تلك البلاد التي ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع فاعتصم ابنه بجبال وأقام بها ، وكاتب أهل دعوتهم ، وعنون كتبه[1] :

« من ابن رب العزة » .

فأهلكه الله ، وبقي منهم بقية ، فاستأمنوا الى أبي القاسم بن يحيى الهادي ، ولم يبق للنجار ــ لعنه الله ــ ولا لمن كان على دعوته بقية .

وكان قرمط يكاتب من بسلمية ، فلما مات من كان في وقته[2] ، وخلفه ابنه من بعده كتب الى قرمط فأنكر منه أشياء ، فاستراب ، وبعث ابن مليح ــ أحد دعاته ــ ليعرف الخبر فامتنع ، فأنفذ عبدان ، وعرف موت الذي كانوا يكاتبونه ، فسأل ابنه عن الحجة ، ومن الامام الذي يدعو اليه ، فقال الابن : « ومن الامام ؟» . فقال عبدان : « محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان » . فأنكر ذلك وقال : « لم يكن امام غير أبي ، وأنا أقوم مقامه » .

فرجع عبدان الى قرمط ، وعرفه الخبر ، فجمع الدعاة وأمرهم بقطع الدعوة حنقاً من قول صاحب سلمية : « لا حق لمحمد بن اسماعيل في هذا الامر ولا إمامة » .

وكان قرمط انما يدعو الى إمامة محمد بن اسماعيل ، فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها امتدت في سائر الاقطار ، ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين كانوا بسلمية .

وكان رجل منهم قد نفذ الى الطالقان يبث الدعوة فلما انقطعت المكاتبة طال [٢٧ ــ و] انتظاره ، فشخص يسأل عن قرمط ، فنزل على عبدان بسواد الكوفة ،

---

(١) المشكلة الاساسية مع المقريزي ــ انه حاطب ليل ــ نادرا ما يذكر مصادره، وعلى هذا الاساس لا نستطيع تحديد مصادر الوهم الذي تسرب الى هذه الرواية . قارنها مع ما تقدم عند صاحب كشف اسرار الباطنية،وما سيأتي عند الخزرجي.

(٢) أي إماماً متولياً لشؤون الدعوة .

فعتبه وعتب الدعاة في انقطاع كتبهم ، فعرفه عبدان قطعهم الدعوة ، وأنهم لا يعودون فيها ، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقة ، فانصرف عنه الى زكرويه بن مهرويه ليدعو كما كان أبوه ، ويجمع الرجال ، فقال زكرويه : « ان هذا لا يتم مع عبدان لأنه داعي البلد كله والدعاة من قبله ، والوجه أن نحتال على عبدان حتى نقتله » وباطن على ذلك جماعة من قرابته وثقاته ، وقال لهم : « ان عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة » فبيتوه ليلاً وقتلوه ، فشاع ذلك ، وطلب الدعاة وأصحاب قرمط زكرويه بن مهرويه ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم كلهم الا أصل دعوته ، وتنقل في القرى ــ وذلك في سنة ست وثمانين ــ والقرامطة تطلبه الى سنة ثمان وثمانين ، فأنفذ ابنه الحسن الى الشام[1] ، ومعه من القرامطة رجل يقال له أبو الحسين القاسم بن أحمد، وأمره أن يقصد بني كلب ، وينتسب الى محمد بن اسماعيل ، ويدعوهم الى الامام من ولده ، فاستجاب له فخذ من بني العليص ومواليهم وبايعوه ، فبعث الى زكرويه يخبره بمن استجاب له بالشام ، فضم اليه ابن أخيه ــ فتسمى بالمدثر لقباً ،وبعبدالله اسماً، وتأول أنه المذكور في القرآن بالمدثر ويقال ان المدثر هذا اسمه عيسى بن مهدي، وأنه تسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وعهد اليه حاصب الخال من بعده ، وغلاما من بني مهرويه تلقب بالمطوق[2] ــ وكان سيافاً ــ .

وكتب الى ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره بالسمع والطاعة له ، وابن الحجة هذا ادعى أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وأنكر قوم هذا النسب ، وقالوا انما اسمه يحيى بن زكرويه بن مهرويه ، وكنيته أبو القاسم ، ويلقب بالشيخ ويعرف بصاحب الناقة ، وبصاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الخال ، القائم من بعده ، فسار حتى نزل في بني كلب ، فلقيه الحسن بن زكرويه ، وسر به ، وجمع له الجموع ، وقال : « هذا صاحب الامام » ، فامتثلوا أمره ، وسروا به ، فأمرهم بالاستعداد للحرب ، وقال : « قد أظلكم النصر » ففعلوا ذلك .

---

(١) شرع المقريزي هنا في تقديم رواية جديدة عن اصل صاحب الجمل زعيم قرامطة الشام الاول .

(٢) مما يثير الانتباه وجود مطوق مع زعيم قرامطة الشام ، ومثيله في اليمن ايضا .

واتصلت أخبارهم بشبل الديلمي ــ مولى المعتضد ــ في سنة تسع وثمانين فقصدهم ، فحاربوه وقتلوه في عدة من أصحابه بالرصافة من غربي الفرات ، ودخلوا فأحرقوا مسجدها ونهبوا .

وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها الى أن وردوا أطراف دمشق ، وكان عليها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ــ فبرز اليهم فهزموه وقتل كثير من أصحابه ، والتجأ الى دمشق فحصروه وقتلوه .

وكان القرمطي يحضر الحرب على ناقة ، ويقول لأصحابه : ولا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فاذا سارت فاحملوا ، فانه لا ترد لكم راية ، اذ كانت مأمورة[1] » . فسمي بذلك : « صاحب الناقة » .

فأقام طغج سبعة أشهر محصورا بدمشق ، فكتب الى مصر بأنه محصور وقد قتل أكثر أصحابه ، وضرب البلد ، فأنفذ اليه بدر الكبير ــ غلام ابن طولون المعروف بالحمامي ــ فسار حتى قرب من دمشق ، فاجتمع هو وطغج على محاربة القرمطي بقرب دمشق ، فقتل القرمطي واحتمى أصحابه وانحازوا ، فمضوا ، وكان [القرمطي] قد ضرب دارهم ودنانير وكتب عليها :

« قل جاء الحق وزهق الباطل »[2] .

وفي الوجه الآخر : « لا إله إلا الله » ، « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى »[3] .

فلما انصرف القرامطة عن دمشق وقد قتل محمد بن عبد الله « صاحب الناقة » بايعوا الحسن بن زكرويه ــ وهو الذي يقال له أحمد بن عبد الله ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ويعرف « بصاحب الخال » ــ ، فسار

---

(١) اهتم قرامطة الشام ــ أقصد الزعماء باظهار بأن لكل واحد منهما علامة تدل عليه، واستعبرت أفكار العلامات من السيرة النبوية ، فهذا صاحب الجمل استعار قصة ناقة الرسول ﷺ حين دخل المدينة مهاجراً اليها ، وصاحب الخال استعار فكرة خاتم النبوة فجعله على وجهه .

(٢) سورة الاسراء : ٨١ .

(٣) سورة الشورى : ٢٣ .

بهم ، وافتتح عدة مدن من الشام ، وظهر على حمص ، وقتل خلقاً ، وتسمى بأمـير المؤمنين المهدي على المنابر وفي كتبه،وذلك في سنة تسع وثمانين وبعض سنة تسعين •

ثم صاروا الى الرقة ، فخرج اليهم مولى المكتفي وواقعهـم فهزموه وقتلوه ، واستباحوا عسكره ، ورجعوا الى [٢٧ ــ ظ] دمشق وهم ينهبون جميع ما يمرون به من القرى، ويقتلون ويسبون، فخرج اليهم جيش كثيف عليه بشير ــ غلام طغج ــ وقاتلهم حتى قتل في خلق من أصحابه •

واتصل ذلك بالمكتفي بالله فندب أبا الاغر السلمي ــ في عشرة آلاف ــ وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسعين ، فسار حتى نزل حلب ، ثم خرج فوافاه جيش القرامطة غفلة يقدمهم المطوق ، فانهزم أبو الاغر ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون ويأسرون حتى حجز بينهم الليل وقد أتوا على عامة العسكر ، ولحق أبو الاغر بطائفة من أصحابه ، فالتجؤوا بحلب ، وصار في نحو الألف ،فنازله القرامطة ، فلم يقدروا منه على شيء فانصرفوا • وجمع الحسن بن زكرويه بن مهرويه أصحابه ، وسار بهم الى حمص ، فخطب له على منابرها ثم سار الى حماة والمعرة ، فقتل الرجال والنساء والاطفال ، ورجع الى بعلبك فقتل عامة أهلها ثم سار الى سلمية فحارب أهلها وامتنعوا منه فأمنهم ، ودخلها فبدأ بمن فيها من بني هاشم ، ــ وكانوا جماعة ــ فقتلهم ثم كر على أهلها فقتلهم أجمعين ، وخربها ، وخرج عنها وما بها عين تطرف ، فلم يمر بقرية الا أخربها ، ولم يدع فيها أحدا ، فخرب البلاد وقتل الناس، ولم يقاومه أحد ، وفنيت رجال طغج ، وبقي في عدة يسيرة ، فكانت القرامطة تقصد دمشق فلا يقاتلهم الا العامة وقد أشرفوا علـى الهلكة ، فكثر الضجيج ببغـداد واجتمعت العامة الى يوسف بن يعقوب القاضي ، وسألوه انهاء الخبر الى السلطان •

ووردت الكتب من مصر الى المكتفي بخبر قتل عسكرهم الذي خرج الى الشام بيد القرامطة ، وخراب الشام ، فأمر المكتفي الجيش بالاستعداد ، وخرج الى مضربه في القواد والجند لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان ، ومضى نحو الرقة بالجيوش حتى نزلها ، وانبثت الجيوش بين حلب وحمص وقلد محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشاً كثيفاً ــ وكان صاحب ديوان العطاء ــ

وعرض الجيش فسار اليهم والتقاهم لست خلون من المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجال القرامطة فولوا مدبرين •

وكان الحسن بن زكرويه لما أحس بالجيوش اصطفى مقاتلة ممن معه ، ورتب أحوالهم ، فلما انهزم أصحابه ، رحل من وقته ، وتلاحق به من أفلت ، فقال لهم : « أتيتم من قبل أنفسكم وذنوبكم وانكم لم تصدقوا الله » ، وحرضهم على المعاودة الى الحرب ، فاعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فقال لهم : « قد كاتبني خلق من أهل بغداد بالبيعة لي ودعاتي بها ينتظرون أمري ، وقد خلت من السلطان الآن ، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد — صاحبي — وكتبي ترد عليه بما يعمل ، فاسمعوا وأطيعوا » •

فضمنوا ذلك له، وشخص معه قريبه عيسى بن أخت مهرويه المسمى «بالمدثر»، وصاحبه المعروف « بالمطوق » ، وغلام له رومي ، وأخذ دليلا يرشدهم الى الطريق، فساروا يريدون سواد الكوفة ، وسلك في البرية وتجنب القرى والمدن حتى صار قريبا من الرحبة بموضع يقال له الدالية ، فأمر الدليل فسار بهم اليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجه بعض من معه لابتياع ما يصلحه ، فدخل القرية فأنكر بعض أهلها زيه ، وسأله عن أمره وتلجلج ، فارتاب به وقبض عليه ، وأتي به واليها — ويقال له أبو خبزة وكان يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات — فسأله أبو خبزة ورهب عليه ، فعرفه أن القرمطي الذي خرج الخليفة المكتفي في طلبه خلف رابية أشار اليها ، فسار الوالي مع جماعة بالسلاح فأخذوهم وشدوهم وثاقا ، وتوجه بهم الى ابن كشمرد ، فصار بهم الى المكتفي — وهو بالرقة — فشهرهم بالرقة ، وعلى الحسن بن زكرويه دراعة ديباج وبرنس حرير ، وعلى المدثر دراعة وبرنس حرير ، وذلك لأربع بقين من المحرم •

وقدم محمد بن سليمان بجيوشه الى الرقة — ومعه الأسرى — فخلف المكتفي عساكره مع محمد بن سليمان بالرقة ، وشخص في خاصته وغلمانه وتبعه وزيره [٣٨ — و] القاسم بن عبيد الله الى بغداد ، ومعه القرمطي وأصحابه •

فلما صار الى بغداد عمل له كرسي سمكه ذراعان ونصف ، وركب على فيل وأركب عليه ، ودخل المكتفي وهو بين يديه مع أصحابه الاسرى ، وذلك ثالث ربيع الاول ، ثم سجنوا •

فلما وصل محمد بن سليمان ببقية القرامطة لاثنتي عشرة خلت منه، أمر المكتفي القواد بتلقيه والدخول معه ، فدخل في زي حسن وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، فخلع عليه ، وطوق بطوق من ذهب ، وسور سوارين من ذهب ، وخلع على جميع من كان معه من القواد وطوقوا وسوروا •

وأمر [المكتفي] ببناء دكة في الجانب الشرقي مربعة ، ذرعها عشرون ذراعا في مثلها وارتفاعها عشرة أذرع ، يصعد اليها بدرج ، فلما كان لأربع بقين منه خرج القواد والعامة ، وحمل القرامطة على الجمال الى الدكة ، وقتلوا جميعا وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل دون ذلك •

وقدم الحسن بن زكرويه ، وعيسى بن أخت مهرويه الى أعلى الدكة ، ومعهما أربعة وثلاثون انسانا من وجوه القرامطة ممن عرف بالنكاية ، وكان الواحد منهم يبطح على وجهه ، وتقطع يده اليمنى ، فيرمى بها الى أسفل ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويرمى بهما ، ثم يضرب عنقه ويرمى بها •

ثم قدم المدثر ففعل به كذلك بعدما كوي ليعذب ، وضربت عنقه ثم قدم الحسن ابن زكرويه فضرب مائتي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه وكوي ، وضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة ، وكبر من على الدكة فكبر الناس وانصرفوا •

وحملت الرؤوس فصلبت على الجسر وصلب بدن القرمطي فمكث نحو سنة •

ومن كتب الحسن بن زكرويه الى عماله ما هذه نسخته بعد البسملة :

« من عبد الله المهدي المنصور بالله ، الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله [الحاكم بحكم الله] ، الداعي الى كتاب الله ، الذاب عن حرم الله المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وامام المسلمين، ومذل المنافقين ، وخليفة الله على العالمين، وحاصد الظالمين، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المستبصرين [وضياء المستضيئين] ، ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة [سيد] المرسلين، وولد خير الوصيين ــ صلى [الله] عليه وعلى آله الطيبين وسلم [كثيرا][1] •

---

(١) استعين بضبط هذه بالنصوص السالفة بمواد تاريخ الطبري .

كتاب الى فلان :

« سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد جدي رسول الله » .

أمـا بعـد :

فقد أنهي الينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعيث والفساد في الارض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ الى ما هنالك من جيوشنا من ينتقم الله به من أعدائه الظالمين الذين يسعون في الارض فسادا ، فأنفذنا عطيراً داعيتنا وجماعة من المؤمنين الى مدينة حمص [وأمددناهم بالعساكر]، ونحن في اثرهم ، وقد أوعزنا اليهم في المصير الى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا، ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم .

فيتبغي أن تشد قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودناه في كل من مرق عن الطاعة ، وانحرف عن الايمان ، وتبادر الينا بأخبار الناحية ، وما يتجدد فيها ، ولا تخف عنا شيئا من أمرها [ان شاء الله] .

« سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »[1]، وصلى الله على جدي [محمد] رسوله ، وعلى أهل بيته وسلم كثيرا » .

وكانت عماله تكاتبه بمثل هذا الصدد .

وسلم القاسم بن أحمد أبو الحسين — خليفة الحسن بن زكرويه — فقدم سواد الكوفة الى زكرويه بن مهرويه ، فأخبره بخبر القوم الذين استخلفهم ابنه عليهم ، وأنهم اضطربوا فخافهم وتركهم ، فلامه زكرويه على قدومه لوماً شديداً ، وقال له : « ألا كاتبتني قبل انصرافك إلي ؟ » . ووجده مع ذلك على خوف شديد من طلب السلطان ومن طلب أصحاب عبدان .

ثم انه أعرض عن أبي الحسين ، وأنفذ الى القوم — في سنة ثلاث وتسعين — رجلاً من أصحابه — كان معلماً — يقال له محمد بن عبدالله بن سعيد ويكنى بأبي غانم، فتسمى نصراً ليعمى أمره ، وأمره أن يدور أحياء كلب ويدعوهم ، فدار ودعاهم ،

(١) سورة يونس : ١٠ .

فاستجاب له طوائف من الاصبغين ، ومن بني [٢٨ ــ ظ] العليص ، فسار بهم نحو الشام ، وعامل المكتفي بالله يومئذ على دمشق والاردن أحمد بن كيغلغ ، وهو بمصر في حرب ابن الخليج[١] ، فاغتنم ذلك محمد بن عبد الله المعلم ، وسار الى بصرى وأذرعات فحارب أهلها ، وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ، وقتل مقاتلتهم، وسار يريد دمشق ، فخرج اليه جيش مع صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كيغلغ ، فظهروا عليه ، وقتلوا عسكره ، وأسروه فقتلوه وهموا بدخول دمشق فدافعهم أهلها، فمضوا الى طبرية ، فكانت لهم وقعة على الاردن غلبوا فيها ، ونهبوا طبرية ، وقتلوا وسبوا النساء .

فبعث المكتفي بالحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فساروا نحو السماوة ، وتبعهم ابن حمدان في البرية، فأخذوا يغورون ما يرتحلون عنه من الماء ، فانقطع [ابن حمدان] عنهم لعدم الماء ، ومال نحو رحبة مالك بن طوق ، فأسرى القرامطة الى هيت ، وأغاروا عليها لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ونهبوا الربض والسفن التي في الفرات ، وقتلوا نحو مائتي انسان .

ثم رحلوا بعد يومين بما غنموه ، فأنفذ المكتفي الى هيت محمد بن اسحاق بن كنداج في جماعة من القواد بجيش كثيف ، وأتبعه بمؤنس ، فاذا هم قد غوروا المياه، فأنفذ اليهم من بغداد بالروايا والزاد، وكتب الى ابن حمدان بالنفوذ اليهم من الرحبة .

فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم المعلم ، ووثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله ، وشخص الى بغداد متقرباً بذلك ، فأسنيت له الجائزة ، وكف عن طلب قومه ، وحمل رأس القائم المسمى بنصر المعلم الى بغداد .

ثم ان قوما من بني كلب أنكروا فعل الذئب وقتله المعلم ، ورضيه آخرون ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وافترقوا فرقتين ، فصارت الفرقة التي رضيت قتل المعلم الى عين التمر ، وتخلفت الأخرى ، وبلغ ذلك زكرويه ــ وأحمد بن القاسم عنده ــ فرده اليهم ، فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال : « وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم ، وانكم قد ارتددتم عن الدين » فاعتذروا ، وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم ، وأعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب ، فقال لهم : « قد جئتكم الآن

---

(١) انظر خبر ثورة ابن الخليج في ولاة الكندي : ٢٥٨ ــ ٢٦٣ .

بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، يقول لكم وليكم : قد حضر أمركم ، وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ، ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم [الذي]ذكره الله [في شأن موسى ﷺ وعدوه فرعون إذ يقول : « موعدكم »][1] يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى[2] » فأجمعوا أمركم ، وسيروا الى الكوفة ، فانه لا دافع لكم عنها ، ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي » .

فسروا بذلك ، وارتحلوا نحو الكوفة ، فنزلوا دونها بستة وثلاثين ميلا قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ، فخلفوا هناك الخدم والاموال ، وأمرهم أن يلحقوا به على ستة أميال من القادسية .

ثم شاور الوجوه من أصحابه في طروق الكوفة أي وقت ، فاتفقوا على أن يكمنوا في النجف ، فيريحوا الخيل والدواب ، ثم يركبوا عمود الصبح فيشنوها غارة والناس في صلاة العيد .

فركبوا وساروا ، ثم نزلوا فناموا ، فلم يوقظهم الا الشمس يوم العيد لطفاً من الله بالناس ، فلم يصلوا الى الكوفة الا وقد انقضت الصلاة ، وانصرف الناس وهم متبددون في ظاهر الكوفة ، ولأمير البلد طلائع تتفقد ، وكان قد أرجف في البلد بحدوث فتن فأقبلوا ودخلت خيل منهم الكوفة ، فوضعوا السيف وقتلوا كثيراً من الناس وأحرقوا ، فارتجت الكوفة ، وخرج الناس بالسلاح ، وتكاثروا عليهم يقذفونهم بالحجارة ، فقتلوا منهم عدة ، وأقبل بقيتهم فخرج اليهم اسحق بن عمران[3] في يسير من الجند ، وتلاحق به الناس ، فاقتتلوا قتالا شديدا في يوم صائف شديد الحر فانصرف القرامطة مكدودين ، فنزلوا على ميلين من الكوفة ، ثم ارتحلوا عشاء نحو سوادهم ، واجتازوا بالقادسية وقد تأهبوا لحربهم ، فانصرفوا عنها ، وبعث أمير الكوفة يخبر ذلك الى بغداد .

وسار القرامطة الى سواد الكوفة ، فاجتمع [٢٩ ــ و] أحمد بن القاسم بزكرويه بن مهرويه ــ وكان مستترا ــ فقال للعسكر : « هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذي تنتظرونه » فترجل الجميع وألصقوا خدودهم بالارض ، وضربوا

---

(١) اضيف ما بين الحاصرتين مما تقدم في نص ثابت بن سنان ، وبه يستقيم السياق.
(٢) سورة طه : ٥٩ . (٣) عامل الكوفة .

لزكرويه مضرباً عظيماً ، وطافوا به ، وسروا سرورا عظيما ، واجتمع اليهم أهل دعوته من السواد ، فعظم الجيش جدا •

وسير المكتفي جيشاً عظيماً ، فساروا بالاثقال والبنود والبزاة على غير تعبئة مستخفين بالقوم ، فوصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم، فلقيهم القرامطة وقاتلوهم وهزموهم ، ووضعوا فيهم السيوف،فقتل الأكثر ، ونجا الأقل الى القادسية، فأقاموا في جمع الغنائم ثلاثا ، فكان من قتل من الجيش نحو الالف وخمسمائة ، فقويت القرامطة بما غنموا ، وبلغ المكتفي فخاف على الحاج ، وبعث محمد بن اسحاق بن كنداج لحفظ الحاج ، وطلب القرامطة ، وضم اليه خلقا عظيما •

فسار القرامطة وأدركوا الحاج ، فأخذوا الخراسانية لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة أربع وتسعين ، ووضعوا فيهم السيف وقتلوا خلقاً عظيماً ، واستولى زكرويه على الأموال وقدم ابن كنداج فأقام بالقادسية ــ وقد أدركه من هرب من حاج خراسان ــ وقال : « لا أغرر بجيش السلطان » وقدمت قافلة الحاج الثانية والثالثة ؛ فقاتلوا القرامطة قتالا شديدا حتى غلبوا ، وقتل كثير من الحاج، واستولوا على جميع ما في القافلة ، وأخذوا النساء ، ولم يطلقوا منهم الا من لا حاجة لهم فيها، ومات كثير من الحاج عطشاً ، ويقال انه هلك نحو من عشرين ألفا ، فارتجت بغداد لذلك •

وأخرج المكتفي الأموال لإنفاذ الجيوش من الكوفة ــ لاحدى عشرة بقيت من المحرم وخزائن السلاح ورحل زكرويه فلم يدع ماء الا طرح فيه جيف القتلى ، وبث الطلائع فوافته القافلة التي فيها القواد والشمسة[1] ــ وكان المعتضد جعل فيها جوهرا نفيسا ــ ومعهم الخزانة ووجوه الناس والرؤساء ومياسير التجار ، وفيها من أنواع المال ما يخرج عن الوصف ، فناهضهم زكرويه بالهبير[2] ، وقاتلهم يومه ، فأدركتهم قافلة العمرة، وكان المعتمرون يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج ويخرجون اذا دخل المحرم ، وينفردون قافلة ، وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس

---

(١) العائدية للكعبة .

(٢) محطة من محطات طريق الحج بين العراق والحجاز ــ انظرها في معجم البلدان .

وقاتلوا يومهم وقد نفد الماء ، فملكَ القافلة ، وقتل الناس ، وأخذ ما فيها من حريم ومال وغيره ، وأفلت ناس فمات أكثرهم عطشاً ، وسار فأخذ أهل فيد[1] .

وأما بغداد فانه حصل بها وبالكوفة وجميع العراق مصاب بحيث لم يبق دار الا وفيها مصيبة ، وعبرة سائلة ، وضجيج وعويل ، واعتزل المكتفي النساء هماً وغماً ، وتقدم بالمسير خلف زكرويه ، وأنفذ الجيوش فالتقوا مع زكرويه لسبع بقين من ربيع الاول ، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان حتى انهزم زكرويه ومن معه ، وأسر منهم خلق كثير وطرحت النار في قبته ، فخرج من ظهرها ، وأدركه رجل فضربه حتى سقط الى الارض ، فأدركه رجل يعرفه ، فأركبه نجيباً فارهاً ، وسار به الى نحو بغداد ، فمات من جراحات كانت به ، وصبر وأدخل به الى بغداد كذلك ، ومعه حرمه وحرم أصحابه وأولادهم والاسرى ورؤوس من قتل بين يديه في الجوالقات[2] ، ومات خبر القرمطة بموت زكرويه ودعوتهم ذكرها شائع .

فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من السواد من الظط[3] يعرف بأبي حاتم الظطي فقصد أصحاب البوراني داعيا — وهم يعرفون بالبورانية — وحرم عليهم الثوم والبصل والكراث والفجل ، وحرم عليهم اراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم أن يتمسكوا بمذهب البوراني ، وأمرهم بما لا يقبله الا أحمق ، وأقام فيهم نحو سنة ، ثم زال ، فاختلفوا بعده ، فقالت طائفة : « زكرويه بن مهرويه حي ، وانما شبه على الناس به » . وقالت فرقة : « الحجة لله محمد بن اسماعيل » .

ثم خرج رجل من بني عجل قرمطي يقال له محمد بن قطبه ، فاجتمع عليه نحو مائة رجل ، فمضى بهم نحو واسط ، فنهب وأفسد فخرج اليه آمر الناحية ، فقتلهم وأسرهم .

---

(١) بلدة كانت قائمة على منتصف طريق حجاج العراق من الكوفة الى مكة — معجم البلدان .

(٢) أي الاوعية — القاموس .

(٣) الزنوج ذوي الاصل الهندي Jet : جلب المسلمون اعدادا كبيرة منهم أيام الفتوحات في العصر الاموي ، وأسكنوهم في السواد للعمل في المزارع ، وقد تحركوا في أكثر من ثورة في العصر العباسي .

ثم خمدت أحوال القرامطة الى أن تحرك أبو طاهر بن أبي سعيـد الجنابي ، وعمل على أخذ البصرة سنة عشر [٢٩ ـ ظ] وثلاثمائة ، فعمل سلالم عراضا يصعد كل مرقاة اثنان بزرافين[1] ، اذا اجتمع اليها نصبت ، وتخلع اذا حملت ، فرحل يريد البصرة ، فلما قاربها فرق السلاح ، وحشى الغرائر بالرمل ، وحملها على الجمال ، فسار الى السور قبل الفجر ، فوضع السلالم ، وصعد عليها قوم ، ونزلوا فوضعوا السيف وكسروا الاقفال ، فدخل الجيش ، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول في الابواب ليمنع من غلقها ، وبدر لهم الناس ومعهم الامير ، فأقاموا النهار يقتتلون حتى حجز بينهم الظلام ، فخرجوا وقد قتل من الناس مقتلة عظيمة ، فباتوا ثم باكروا البلد فقتلوا ونهبوا •

ثم رحلوا الى الاحساء ، فأنفذ السلطان عسكرا ـ وكان أبو الهيجاء عبد الله ابن حمدان قد قلد أعمال الكوفة والسواد وطرق مكة ـ فدخل في أثرهم وأسر منهم وعـاد •

فلما قدمت قوافل الحاج واعترضها أبو طاهر القرمطي فقتل منهم ، وأدركهم أبو الهيجاء بن حمدان بجيوش كثيرة ، فحملت القرامطة عليهم فهزموهم ، وأخـذ أبو الهيجاء أسيرا ، فلما رآه أبو طاهر تضاحك وقال له : « جئناك عبد الله ، ولـم نكلفك قصدنا » • فتلطف له أبو الهيجاء حتى استأمنه ، وأمر بتمييز الحاج ، وعزل الجمالين والصناع ناحية ، فأخذوا ما مع الحاج وخلوهم ، فردوا بشر حال في صورة الموتى ، ورحل من الغد من بعد أن أخذ من أبي الهيجاء وحده نحو عشرين ألف دينار مع أموال لا تحصى كثرة ، ثم أطلق أبا الهيجاء بعد أشهر ، فورد بغداد •

فلما كان في سنة اثنتي عشر وثلاثمائة خرج من بغداد جيش كثيف لحفظ الحاج ، فلقيهم لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة فناوشه الناس وانكفأ راجعاً ، ثم باكرهم بالقتال وخرجت اليه جيوش السلطان ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل قوادهم وكثيرا من العامة ، ونهب البلد الى العشرين منه ، فرحل من البلد •

---

(١) الزرفين حلقة الباب ، وفي الحديث : كانت درع رسول الله ﷺ ذات زرافين ، اذا علقت بزرافينها سترت ـ اللسان .

فلما كان في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج القرمطي من بلده لقتال ابن أبي الساج ، وقد كان السلطان أنزله في جيش كبير بواسط ليسير الى القرمطي ، فاستصعب مسيره لكثرة من معه ، وثقل عليه سيره في أرض قفر ، فاحتال على القرمطي ، وكاتبه باظهار المواطأة ، وأطمعه في أخذ بغداد ومعاضدته ، فاغتر بذلك ، ورحل بعيال وحشم وأتباع ، وجيشه على أقوى ما يمكنه ، وأقبل يريد الكوفة •

ورحل ابن أبي الساج بجيشه عن واسط الى الكوفة ، وقد سبقه القرمطي ، ودخلها لسبع خلون من شوال ، فاستولى عليها ، وأخذ منها الميرة ، وأعد ما يحتاج اليه ، وأقبل ابن أبي الساج على غير تعبئة ، وعبر مستهينا بأمر القرمطي مستحقراً له ، ثم واقعه وهو في جيش يضيق عنه موضعه ، ولا يملك تدبيره ، وقد تفرق عنه عسكره ، وركبوا ــ من نهب القرى وأذى الناس واظهار الفجور ــ شيئا كثيرا ، فأقبل اليه القرمطي وقاتله ، فانهزمت عساكر ابن أبي الساج بعدما كثرت بينهما القتلى والجراح ، فقتلوا الناس قتلا ذريعا حتى صاروا في بساط واحد نحو فرسخين أو أربع ، واحتوى على عسكره ، ونهب الأكرة من أهل السواد ما قدروا عليه ، وأقام أربعين يوما ، وخرج بعد أن يئس من مجيء عسكر اليه ، فقصد بغداد ، ونزل بسواد الانبار ، وعبر الفرات الى الجانب الغربي ، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد بغداد فجيش الجيش اليه ، وسار مؤنس حتى نازله على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وقاتل القرامطة قتالا شديدا ، وورد كتاب المقتدر يأمر مؤنسا بمعاجلته القتال ، وبذكر ما لزم من صرف الأموال الى وقت وصوله •

فكتب اليه : « إن في مقدمنا ــ أطال الله بقاء مولانا ــ نفقة المال ، وفي لقائنا نفقة الرجال ، ونحن أحرياء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال » •

ثم أنفذ الى القرمطي يقول له :

« ويلك ، ظننتني كمن لقيك أبرز لك رجالي ، والله ما يسرني أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابي ، ولكني أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذاً بيدي ان شاء الله » •

وأنفذ يلبق في جيش للايقاع بمن في قصر ابن هبيرة ، فعظم ذلك على القرمطي فاضطرب ، [٣٠ ــ و] وأخذ أصحابه يحتالون في الهرب ، وتركوا مضاربهم ،فنهب

مؤنس ما خلفوه ، وسار جيش القرمطي من غربي الفرات ، وسار مؤنس من شرقيه، الى أن وافى القرمطي الرحبة ، ومؤنس يحتال في ارسال زواريق فيها فاكهة مسمومة، فكان القرامطة يأخذونها ، فكثرت الميتة فيهم ، وكثر بهم الذرب ، وظهر جهدهم ، فكروا راجعين وقد قل الظهر معهم ، فقاتلوا أهل هيت وانصرفوا مفلولين ، فدخل الكوفة على حال ضعف وجراحات وعلل ـ لثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ـ فأقام بها الى مستهل ذي الحجة ، ولم يقتل ولا نهب ، ثم رحل •

فلما كان في سنة سبع عشرة رحل بجيشه ، فوافى مكة لثمان خلون من ذي الحجة ، فقتل الناس في المسجد قتلا ذريعا ، ونهب الكعبة ، وأخذ كسوتها وحليها ، ونزع الباب وستائره ، وأظهر الاستخفاف به ، وقلع الحجر الاسود وأخذه معه ـ وظن أنه مغناطيس القلوب ـ وأخذ الميزاب أيضا •

وعاد الى بلده في المحرم سنة ثماني عشرة وقد أصابه كد شديد ، وقد أخذ ستة وعشرين حمل جمل ، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار ، واستملك من النساء والغلمان والصبيان ما ضاق بهم الفضاء كثرة ، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة حتى عدل به دليل الى غير الطريق المعروف الى بلده •

فلما كان في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة سار الى الكوفة ، فعاث عسكره في السواد ، وأسروا خلقاً ، واشتروا أمتعة ، ورجعوا ـ بعد خمسين ليلة أقاموا بها ـ الى بلدهم •

وبعث أبو طاهر سرية في البحر نحو أربعين مركبا فوضعوا السيف في الساحل، ولم يلقوا أحدا الا قتلوه ـ من رجل وامرأة وصبي ـ فما نجا منهم الا من لحق بالجبال ، وسبوا النساء ، واجتمع الناس ، فقتلوا منهم ـ في الحرب معهم ـ خلقاً كثيراً ، وأسروا جماعة ، ثم تحاملوا عليهم ، وتباروا بالشهادة ، وجدوا ، فقتلوا أكثرهم ، وأخذوا جميع من بقي أسرا بحيث لم يفلت منهم أحد ، وحملت الاسرى الى بغداد مع الرؤوس ـ وهم نحو المائة رجل ومائة رأس ـ فحبسوا ببغداد •

ثم خلصوا وصاروا الى أبي طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون اليهم ، بما يتقربون به اليهم ، وكان سبب خلاصهم مكاتبة جرت بينهم بالمهادنة على أن يردوا الحجر الاسود ، ويطلقوا الاسرى ، ولا يعترضوا الحاج ، فجرى الامر على ذلك •

ودخل القرمطي — في سنة ثلاث وعشرين — الى الكوفة ، والحاج قد خرج في ذي القعدة ، وعاد الحاج الى الكوفة ، ولم يقدروا على مقاومته ، فظفر بمن ظفر منهم ، فلم يكثر القتل ، وأخذ ما وجد •

وبلغ القرمطي أن رجلا من أصحابه قال : « والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الارض وغربها ، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء ، وما يفوز بأكثر أموالهم الا الأعراب والشذاذ من الناس ، فلو أنه حين ظفر بهم دعاهم الى أن يؤدي كل رجل منهم دينار ويطلقهم ويؤمنهم ، لم يكره ذلك منهم أحد ، وخف عليهم وسهل ، وحج الناس من كل بلد ، لأنهم ظمأى الى ذلك جدا ، ولم يبق ملك الا كاتبه وهاداه واحتاج اليه في حفظ أهل بلده وخاصته ، وجاء في كل سنة من المال ما لا يصير لسلطان مثله على الخراج ، واستولى على الارض وانقاد له الناس ، وان منع من ذلك سلطان اكتسب المذمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحـــج •

فاستصوب القرمطي هذا الرأي ، ونادى من وقته في الناس بالامان وأحضر الخراسانية ، فوطأ أمرهم على أنهم يحجوا ويؤدوا اليه المال في كل سنة ، ويكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم ، وأخرج أهل مصر أيضا عن الحاج ضرائب من مال السلطان ، ثم ولى تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولا منقصة ، فصار لهم علـــى الحاج رسماً بالكوفة •

فلما كانت سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة ، وقبض على شفيـــع اللؤلؤي — أميرها — بأمان ، فبعثه الى السلطان [٣٠ — ظ] يعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال ، فان أعطاهم مالاً لم يفسدوا عليه ، وخدموه فيما يلتمسه، والا فلا يجدوا بداً من أن يأكلوا بأسيافهم ، وبر [أبو طاهر] شفيعاً ووصله ، فوصل شفيع الى السلطان وعرفه ، فبعث اليهم رجلاً فناظر القرمطي ، وملأ صدره مـــن السلطان وأتباعه ، فزاده انكساراً ، وسار عن البلد، فابتلاه الله بالجدري وقتله فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر •

فلما كان في سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس ، فحملوا الحجــر الاسود الى الكوفة ، ونصبوه فيها على الاسطوانة بالجامع •

وكان قد جاء عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ الملقب زين العابدين[1] ـ : « إن الحجر الأسود يعلق في مسجد بالجامع بالكوفة في آخر الزمان » .

ثم قدم به سنبر بن الحسين بن سنبر الى مكة ـ وأمير مكة معه ـ فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سقط كان به مصونا ، وعلى الحجر ضباب فضة قد عملت عليه ، تأخذه طولا وعرضا ، تضبط شقوقا حدثت فيه بعد انقلاعه ، وكان قد أحضر له صانع معه جص يشد به الحجر ، وحضر جماعة من حجبة البيت ، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده في موضعه ـ ومعه الحجبة ـ وشده الصانع بالجص ـ بعد وضعه ـ وقال لما رده : « أخذناه بقدرة الله ، ورددناه بمشيئته » ونظر الناس إليه وقبلوه ولمسوه ، وطاف سنبر بالبيت .

وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

وكان رده يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي الحجة ـ يوم النحر ـ سنة تسع وثلاثين .

فكانت مدة كينونته عند الجنابي وأصحابه اثنتين وعشرين سنة الا أربعة أيام.

وكان في سنة ست عشرة وثلاثمائة قد تحركت القرامطة بسواد الكوفة عند انصراف أبي طاهر القرمطي عن بغداد الى نحو الشام ، وتداعوا الى الاجتماع في دار هجرتهم فكثروا ، وكبسوا نواحي واسط وقتلوا خلقا كثيرا ، وملكوا ما حواه العسكر هناك من سلاح وغيره، فقوي أمرهم، وسار بهم عيسى بن موسى والحجازي ـ وهما داعيان ـ وكان الحجازي بالكوفة يبيع الخبز ، فصحب يزيد النقاش ، واجتمع عليهما غلمان، وساروا فنهبوا وأخافوا،والبلد ضعيف لاتصال الفتن وتخريب البوراني لسواده وضعف يد السلطان ، وطالبوا جميع أهل السواد بالرحيل اليهم ، فاجتمعوا نحو العشرة آلاف وفرقوا العمال ، ورحلوا الى الكوفة فدخلوها عنوة ، وهرب واليها ، وولوا على خرابها وعلى حربها ، وأحدثوا في الاذان ما لم يكن فيه ،

(١) كذا والمشهور بلقب زين العابدين هو علي بن الحسين ، لا محمد ابنه الذي شهر بلقب الباقر . انظر الائمة الاثنا عشر لابن طولون : ٧٥ ـ ٨١ .

فأنفذ السلطان اليهم جيشا فواقعهم فانهزموا ، وقتل منهم ما لا يحصى ، وغرق منهم وهرب الباقون ، وحملت الاسرى الى بغداد فقتلوا وصلبوا ، وحبس عيسى بن موسى مدة ثم تخلص بغفلة السلطان وحدوث الفتن آخر أيام المقتدر ، فأقام ببغداد يدعو الناس ووضع كتبا نسبها الى عبدان الداعي ، نسبه فيها الى الفلسفة ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، فصار له أتباع ، وأفسد فسادا عظيما ، وصار له خلفاء من بعده مدة .

وأما خراسان فقدم اليها بالدعوة أبو عبد الله الخادم، فأول ما ظهرت بنيسابور، فاستخلف عند موته أبا سعيد الشعراني ، وصار منهم خلق كثير هناك من الرؤساء وأصحاب السلاح .

وانتشرت في الري من رجل يعرف بخلف الحلاج ، وكان يحلج القطن فعرفت بها طائفته بالخلفية ، وهم خلق كثير ، ومال اليهم قوم من الديلم وغيرهم ، وكان منهم أسفاراً[1] فلما قتل مرداويج أسفاراً عظمت شوكة القرامطة في أيامه بالري وأخذوا يقتلون الناس غيلة حتى أفنوا خلقاً كثيراً .

ثم خرج مرداويج الى جرجان لقتال نصر بن أحمد الساماني ، فنصر عليهم وقتلهم مع صبيانهم ونسائهم حتى لم يبق منهم أحد ، وصار بعضهم الى مفلح ــ غلام ابن أبي الساج ــ فاستجاب له ، ودخل في دعوته .

فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، استعد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة لقتال من يرد عليه من قبل جوهر القائد ، فورد عليه الخبر بأن [٣١ ــ و] القرامطة تقصده ، ووافت الرملة فهزموا الحسن بن عبيد الله ، ثم جرى بينهم صلح ، وصاهر اليهم في ذي الحجة منها ، فأقام القرمطي بظاهر الرملة ثلاثين يوما ورحل .

وسار جعفر بن فلاح من مصر فهزم الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وقتل رجاله، وأخذه أسيرا ، فسار الى دمشق فنزل بظاهرها ، فمنعه أهل البلد وقاتلوه قتالا شديدا ، ثم انه دخلها بعد حروب ، وفر منه جماعة ــ منهم ظالم بن موهوب العقيلي، ومحمد بن عصودا ــ فلحقا بالاحساء الى القرامطة ، وحثوهم على المسير الى الشام،

---

(١) ابن شيرويه سبقت الاشارة اليه وانه مع مراداويج نرى في سيرتهما مقدمة قيام دولة آل بويه من الديلم . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣١٧ ــ ٣١٨ .

فوقع ذلك منهم بالموافقة،لأن الاخشيدية كانت تحمل اليهم في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار فلما صارت عساكر المعز الى مصر مع جوهر ، وزالت الدولة الاخشيدية انقطع المال عن القرامطة[1] بعد أن بعثوا عرفاءهم لجمع العرب،فنزلوا الكوفة وراسلوا السلطان ببغداد ، فأنفذ اليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ، ورحلوا الى الرحبة ـــ وعليها أبو تغلب ـــ فحمل اليهم العلوفة والمال الذي كتب به لهم .

وجمع جعفر بن فلاح أصحابه واستعد لحربهم،فتفرق الناس عنه الى مواضعهم، ولم يفكروا بالموكلين على الطرق ، وكان رئيس القرامطة الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ، فبعث اليه أبو تغلب يقول : « هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنا مقيم في هذا الموضع الى أن يرد علي خبرك ، فان احتجت الى مسيري سرت اليك » ونادى في عسكره : « من أراد المسير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه ، فقد أذنا له في المسير ، والعسكران واحد » فخرج الى عسكر القرمطي جماعة من عسكر أبي تغلب ، وفيهم كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر ، صاروا اليه ـــ لما دخل جوهر ـــ من مصر وفلسطين ، وكان سبب هذا الفعل من أبي تغلب أن جعفر بن فلاح كان قد أنفذ اليه من طبرية داعيا يقال له أبو طالب التنوخي ـــ من أهل الرملة ـــ يقول له : « اني سائر اليك فتقيم الدعوة » ، فقال له أبو تغلب ـــ وكان بالموصل ـــ : « هذا ما لا يتم لأنا في دهليز بغداد ، والعساكر قريبة منا ، ولكن اذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ما ذكرتم » فانصرف من عنده على غير شيء وبلغ ذلك القرمطي فسره وزاده قوة ، وسار عن الرحبة ، فأشار أصحاب جعفر ـــ لما قارب القرامطة دمشق ـــ أن يقاتلهم بطرف البرية ، فخرج اليهم وواقعهم ، فانهزم ، وقتل لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

ونزل القرمطي ظاهر المزة فجبى مالاً ، وسار يريد الرملة ـــ وعليها سعادة بن حيان ـــ فالتجأ الى يافا ، ونزل عليه القرمطي ، وقد اجتمعت اليه عرب الشام وأتباع من الجند ، فناصبها القتال حتى أكل أهلها الميتة ، وهلك أكثرهم جوعاً ثم سار عنها،

---

(١) كان مكان عبارة القرامطة بياض بالاصل ، وقد اضيفت اعتمادا على ما اورده المقريزي في ترجمة الاعصم التالية .

وترك على حصارها ظالم العقيلي وأبا المنجا بن منجا[1] ، وأقام القرامطة الدعوة للمطيع لله العباسي في كل بلد فتحوه، وسودوا أعلامهم، ورجعوا عما كانوا يمخرقون به ، وأظهروا أنهم كأمراء النواحي الذين من قبل الخليفة العباسي •

ونزل على مصر أول ربيع الأول سنة احدى وستين وثلاثمائة ، فقاتله جوهر على الخندق وهزمه ، فرحل الى الاحساء •

وأنفذ جوهر جيشاً نحو يافا فملكها ، ورحل المحاصرون لها الى دمشق ونزلوا بظاهرها ، فاختلف ظالم العقيلي وأبو المنجا بسبب الخراج ، فكان كل منهما يريد أخذه للنفقة في رجاله ، وكان أبو المنجا أثيراً عند القرمطي يوافي اليه أموره ، ويستخلفه على تدبيره •

ورجع الحسن بن أحمد القرمطي من الاحساء فنزل الرملة ولقيه أبو المنجا وظالم، وبلغه ماجرى بينهما من الاختلاف، فقبض على ظالم واعتقله مدة ثم خلى عنه •

وطرح القرمطي مراكب في البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، وسيرها الى تنيس وغيرها من سواحل مصر ، وجمع من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهب للمسير الى مصر ، هذا بعد أن كان القرامطة أولا يمخرقون بالمهدي ويوهمون أنه صاحب المغرب ، وأن دعوتهم اليه ، ويراسلون الامام المنصور [٣١ ــ ظ] اسماعيل بن محمد القائم بن عبد الله المهدي ، ويخرجون الى أكابر أصحابهم أنهم من أصحابه الى أن افتضح كذبهم بمحاربة القائد جوهر لهم ، وقتله كثيراً منهم ، وكسره القبة التي كانت لهم •

فلما نزل المعز لدين الله القاهرة عندما قدم من المغرب وقد تيقن أخبار القرامطة كتب الى الحسن بن أحمد القرمطي كتاباً عنوانه :

---

(١) جاء في حاشية الاصل طرة تعرف بابن منجا نصها ما يلي :
« أبو المنجا : هو عبد الله بن علي بن المنجا ، أحد أصحاب أبي علي الحسين بن أحمد بن الحسين بن بهرام القرمطي المنعوت بالاعصم ، وكان يرجع اليه لرأيه وسياسته ، واستخلفه على دمشق حين رحل الى الاحساء بعد انهزامه من أبي محمود ابراهيم بن جعفر الكتامي ، فقصده ظالم بن موهوب العقيلي من بعلبك بمراسلة ، فاستأمن الى ظالم عدة من أصحاب أبي المنجا لمنعه عنهم العطاء وقلة ماله ، فأسره ظالم يوم السبت لعشر خلون من رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وجهزه أبو محمود هو وابنه في قفصين الى مصر فحبسا بها » .

« من عبد الله ووليه ، وخيرته وصفيه ، معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل علي أفضل الوصيين الى الحسن بن أحمد » :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسوم النطقاء ، ومذاهب الائمة والانبياء، ومسالك الرسل والاوصياء السالف والآنف منا ، صلوات الله علينا وعلى آبائنا، أولي الايدي والابصار في متقدم الدهور والاكوار ، وسالف الازمان والاعصار ، عند قيامهم بأحكام الله، وانتصابهم لأمر الله.

الابتداء بالإعذار والانتهاء بالإنذار ، قبل انفاذ الاقدار ، في أهل الشقاق والآصار ، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسب ما قال الله جل وعز : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »(١) و « إن من أمة الا خلا فيها نذير »(٢) . وقوله سبحانه : « قل هذي سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين »(٣) .

« فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق »(٤).

أما بعد ، أيها الناس فانا نحمد الله بجميع محامده ، ونمجده بأحسن مما مجده، حمداً دائماً أبداً ، ومجداً عالياً سرمداً ، على سبوغ نعمائه ، وحسن بلائه ، ونبتغي اليه الوسيلة بالتوفيق ، والمعونة على طاعته ، والتسديد في نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد منه اتمام الصلوات ، وافاضات البركات ، وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتجبين الذين قضوا « بالحق وكانوا به يعدلون »(٥) .

أيها الناس : « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها(٦) » ليذكر من يذكر ، وينذر من أبصر واعتبر .

---

(١) سورة الاسراء : ١٥ .
(٢) سورة فاطر : ٢٤ .
(٣) سورة يوسف : ١٠٨ .
(٤) سورة البقرة : ١٣٧ .
(٥) سوره الاعراف : ١٨١ .
(٦) سورة الانعام : ١٠٤ .

أيها الناس : ان الله جل وعز اذا أراد أمرا قضاه ، واذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا، وأبرزنا أرواحا، بالقدرة مالكين، وبالقدرة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضيء ، ولا قمر يسري، ولا كوكب يجري ، ولا ليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق، ولا جناح يخفق، ولا ليل ولا نهار ولا فلك دوار ولا كوكب سيار .

فنحن أول الفكرة ، وآخر العمل ، بقدر مقدور ، وأمر في القدم مبرور، فعندما تكامل الامر وصح العزم ، أنشأ الله — جل وعز — المنشآت ، وأبدأ الامهات من الهيولات ، طبعنا أنوارا وظلما ، وحركة وسكونا .

وكان من حكمه السابق في علمه ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ، وما في الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات وما في الاقطار من الآثار ، وما في النفوس من الاجناس والصور والانواع من كثيف ولطيف، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ودان وشاسع ، وهابط وطالع .

كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا ، واشارة الينا ، يهدي به الله من كان [له] لب سجيح ، ورأي صحيح ، قد سبقت له منا الحسنى[1] فدان بالمعنى .

ثم انه — جل وعلا — أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم ، آدم وحوا أبوين ذكرا وأنثى ، سببا لإنشاء البشرية ، ودلالة لإظهار القدرة القوية ، وزاوج بينهما فتوالد الاولاد ، وتكاثرت الاعـداد ، ونحن ننتقل في الاصلاب الزكيـة ، والارحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلم ، وهلم جرا الى آخر الجد الاول ، والاب الافضل سيد المرسلين ، وامام النبيين ، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه ، وبان غناؤه ، وأباد المشركين ، وقصم الظالمين ، وأظهر الحق ، واستعمل الصدق ، وبان بالاحدية ، ودان بالصمدية ، فعندها سقطت الاصنام ، وانعقد الاسلام ، وانتشر الايمان ، وبطـل السحر والقربان ، وهدمت الاوثان ، وأتي [٣٢ — و] بالقرآن ، شاهدا بالحـق والبرهان ، فيه خبر ما كان وما يكون الى يوم الوقت المعلوم، منبئا عن كتب تقدمت، في صحف قد تنزلت ، تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة ونورا « وسراجا منيرا »[2].

---

(١) انظر الآية ١٠١ من سورة الانبياء .
(٢) سورة الاحزاب : ٤٦ .

وكل ذلك دلالات لنا ، ومقدمات بين أيدينا ، وأسباب لإظهار أمرنا هدايات وآيات وشهادات ، وسعادات قدسيات ، الهيات أزليات ، كائنات منشآت ، مبدئات معيدات ، فما من ناطق نطق ، ولا نبي بعث ، ولا وصي ظهر ، الا وقد أشار الينا ، ولوح بنا ، ودل علينا في كتابه وخطابه ومنار أعلامه ، ومرموز كلامه ، فيما هو موجود غير معدوم ، وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع النداء ، وشاهد ورأى ، من الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو نسي ، أو ضل أو غوى ، فلينظر في الكتب الاولى، والصحف المنزلة ، وليتأمل آي القرآن ، وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر ان كان لا يعلم ، فقد أمر الله عز وجل بالسؤال ، فقال : « فاسئلو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »[1] .

وقال سبحانه وتعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون »[2] .

ألا تسمعون قول الله حيث يقول : « وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون »[3] .

وقوله تقدست أسماؤه : « ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم »[4] .

وقوله له العزة : « شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه »[5] .

ومثل ذلك في كتاب الله تعالى جده كثير ، ولولا الإطالة لأتينا على كثير منه . ومما دل به علينا ، وأنبأنا به عنا ، قوله عز وجل :

«كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم»[6] .

---

(١) سورة النحل : ٤٣ .
(٢) سورة التوبة : ١٢٢ .
(٣) سورة الزخرف : ٢٨ .
(٤) سورة آل عمران : ٣٤ .
(٥) سورة الشورى : ١٣ .
(٦) سورة النور : ٣٥ .

وقوله في تفضيل الجد الفاضل والاب الكامل محمد ﷺ اعلاما بجليل قدورنا ، وعلو أمرنا : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم »[1] .

هذا مع ما أشار ولوح ، وأبان وأوضح ، في السر والاعلان ، من كل مثل مضروب ، وآية وخبر واشارة ودلالة ، حيث يقول : وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون »[2] . وقال سبحانه وتعالى :

« ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب »[3] .

وقوله جل وعز : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[4] .

فان اعتبر معتبر ، وقام وتدبر مافي الارض وما في الاقطار والاثار وما في النفس من الصور المختلفات ، والاعضاء المؤتلفات والآيات والعلامات ، والاتفاقات والاختراعات ، والاجناس والانواع ، وما في كون الابداع من الصور البشرية ، والآثار العلوية ، وما يشهد به حروف المعجم، والحساب المقوم، وما جمعته الفرائض والسنن ، وما جمعته السنون من فصل وشهر ويوم ، وتصنيف القرآن من تحزيبه وأسباعه ، ومعانيه وأرباعه وموضع الشرائع المتقدمة ، والسنن المحكمة ، وما جمعته كلمة الاخلاص في تقاطيعها وحروفها وفصولها ، وما في الارض من اقليم وجزيرة وبر وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض وفوق وتحت ، الى ما اتفق عليه في جميع الحروف من أسماء المدبرات السبعة النطقا ، والاوصيا والخلفا وما صدرت به الشرائع من فرض وسنة وحد وبينة وما في الحساب من أحاد وأفراد ، وأزواج وأعداد ، تثاليثه وترابيعه واثني عشريته وتسابيعه ، وأبواب العشرات والمئين والالوف ، وكيف تجتمع وتشتمل على ما اجتمع عليه ما تقدم من شاهد عدل وقول صدق ، وحكمة حكيم وترتيب عليم .

---

(١) سورة الحجر : ٨٧ .
(٢) سورة العنكبوت : ٤٣ .
(٣) سورة آل عمران : ١٩٠ .
(٤) سورة فصلت : ٥٣ .

فـ « لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى »[1] والامثال العلى « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »[2] . « وفوق كل ذي علم عليم »[3] « ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر[٣٢ ـ ط]يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله»[4].

وليعلم من « كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »[5] ، أنا كلمات الله الازليات ، وأسماؤه التامات ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ،ومصابيحه البينات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات ، وأقداره النافذات لا يخرج منا أمر ، ولا يخلو منا عصر .

وانا لكما قال الله سبحانه وتعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم »[6] .

فاستشعروا النظر فقد نقر في الناقور ، وفار التنور ، وأتى النذين بين يدي عذاب شديد ، فمن شاء فلينظر ، ومن شاء فليتدبر ، « وما على الرسول الا البلاغ المبين »[7] .

وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ، ووقت مذكور ، فلا نرفع قدما ولا نضع قدما الا بعلم موضوع ، وحكم مجموع وأجل معلوم ، وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق .

فلما دخلنا وقد قدر المرجفون من أهلها أن الرجفة تنالهم ، والصعقة تحل بهم ، تبادروا وتعادوا شاردين ، وجلوا عن الاهل والحريم والاولاد والرسوم ، وانا « نار الله الموقدة . التي تطلع على الأفئدة[8] » ، فلم أكشف لهم خبرا ، ولا قصصت لهم أثرا ، ولكني أمرت بالنداء وأذنت بالامان ، لكل باد وحاضر ، ومنافق ومشاقق ، وعاص ومارق ، ومعاند ومسابق ، ومن أظهر صفحته وأبدى لي سوءته ، فاجتمع

---

(١) سورة طـه : ٧ .
(٢) سورة ابراهيم : ٣٤ .
(٣) سورة يوسف : ٧٦ .
(٤) سورة لقمان : ٢٧ .
(٥) سورة ق : ٣٧ .
(٦) سورة المجادلة : ٧ .
(٧) سورة النور : ٥٤ .
(٨) سورة الهمزة : ٦ ـ ٧ .

الموافق والمخالف والمباين والمنافق ، فقابلت الولي بالاحسان ، والمسيء بالغفران ، حتى رجع الباد والشارد ، وتساوى الفريقان ، واتفق الجمعان ، وانبسط القطوب وزال الشحوب ، جريا على العادة بالاحسان ، والصفح والامتنان، والرأفة والغفران، فتكاثرت الخيرات ، وانتشرت البركات •

كل ذالك بقدرة ربانية ، وأمرة برهانية ، فأقمت الحدود ، بالبينة والشهود ، في العرب والعبيد ، الخاص والعام ، والبادي والحاضر بأحكام الله ــ عز وجل ــ وآدابه ، وحقه وصوابه ، فالولي آمن جذل ، والعدو خائف وجل •

فأما أنت أيها الغادر الخائن ، الناكث المباين عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة فلم أغفل أمرك ، ولا خفي عني خبرك ، ولا استتر دوني أثرك ، وانك مني لمنظر ومسمع، كما قال الله جل وعز :

« انني معكما أسمع وأرى »[1] ، « وما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا »[2] •

فعرفنا على أي رأي أصلت ، وأي طريق سلكت : أما كان لك بجدك أبي سعيد أسوة وبعمل أبي طاهر قدوة ؟ أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكنت غائبا عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم أنهم كانوا « عبادا لنا أولي بأس شديد »[3] ، وعزم سديد ، وأمر رشيد ، وفعل حميد ، تفيض اليهم موادنا ، تنشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الاعمال ، ودان لهم كل أمير ووال ولقبوا بالسادة فسادوا منحة منا واسما من أسمائنا ، فعلت أسماؤهم ، واستعلت هممهم واشتد عزمهم فسارت اليهم وفود الافاق ، وامتدت نحوهم الاحداق ، وخضعت لهيبتهم الاعناق ، وخيف منهم الفساد والعناد وأن يكونوا لبني العباس أضداد ، فعبئت الجيوش وسار اليهم كل خميس بالرجال المنتجبة ، والعدد المهذبة ، والعساكر الموكبة ، فلم يلقهم جيش الا كبسوه « ولا رئيس الا أسروه ولا عسكر الا كسروه ، وألحاظنا ترمقهم ونصرنا يلحقهم كما قال الله جل وعز :

---

(١) سورة طه : ٤٦ .
(٢) سورة مريم : ٢٨ .
(٣) سورة الاسراء : ٥ .

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا »[1] ، « وان جندنا لهم الغالبون »[2] ، وان حزبنا لهم المنصورون •

فلم يزل ذلك دأبهم ، وعين الله ترمقهم ، الى أن اختار لهم ما اختار من تقلهم من [٣٣ ــ و] دار الفناء ، الى دار البقاء ، ومن نعيم يزول الى نعيم لا يزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، الى روح وريحان وجنات النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب •

ومع هذا فما من جزيرة في الارض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ، ويدلون علينا ويأخذون بيعتنا ، ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا ، وينذرون بأسنا ، ويبشرون بأيامنا ، بتصاريف اللغات واختلاف الالسن، وفي كل جزيرة واقليم رجال منهم يفقهون ، وعنهم يأخذون ، وهو قول الله عز وجل: «وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم »[3] وأنت عارف بذلك فيا أيها الناكث الحانث ما الذي أرداك وصدك؟أشيءشككتفيه،أم أمر استربت به،أمكنت خليا من الحكمة،وخارجاً عن الكلمة ، فأزالك وصدك ، وعن السبيل ردك ؟ ان هي الا « فتنة لكم ومتاع الى حين »[4] •

وأيم لله لقد كان الاعلى لجدك ، والارفع لقدرك ، والافضل لمجدك والاوسع لوفدك ، والانضر لعودك ، والاحسن لعذرك ، الكشف عن أحوال سلفك وان خفيت عليك ، والقفوا لآثارهم وان عميت لديك لتجري على سننهم ، وتدخل في زمرهم ، وتسلك في مذهبهم ، أخذا بأمورهم في وقتهم ، وزيهم في عصرهم ، فتكون خلفا قفا سلفا بجد وعزم مؤتلف ، وأمر غير مختلف •

لكن غلب الران على قلبك ، والصدأ على لبك ، فأزالك عن الهدى وأزاغك عن البصيرة والضيا، وأمالك عن مناهج الاوليا،وكنت من بعدهم كما قال اللهعزوجل.

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيـاً »[5] •

---

(١) سورة غافر : ٤٠ .
(٢) سورة الصافات : ١٧٣ .
(٣) سورة ابراهيم : ٤ .
(٤) سورة الانبياء : ١١١ .
(٥) سورة مريم : ٥٩ .

ثم لم تقنع في انتكاسك ، وترديتك في ارتكاسك ، وارتباكك وانعكاسك من خلافك الآباء ومشيك القهقرى ، والنكوص على الاعقاب والتسمي بالالقاب « بئس الاسم الفسوق بعد الايمان »[1] ، وعصيانك مولاك ، وجحدك ولاءك ، حتى انقلبت على الادبار ، وتحملت عظيم الاوزار ، لتقيم[2] دعوة قد درست ، ودولة قد طمست، وانك لمن الغاوين ، وانك لفي ضلال مبين .

أم تريد أن ترد القرون السالفة ، والاشخاص الغابرة ؟ أما قرأت كتاب السفر ، وما فيه من نص وخبر ؟ فأين تذهبون ان هي الا حياتكم الدنيا ، تموتون وتظنون أنكم لستم بمبعوثين ، « قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير »[3] .

أما علمت أن المطيع آخر ولد العباس ، وآخر المترايس في الناس ؟ أما تراهم « كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية »[4] ؟ ختم — والله — الحساب ، وطوي الكتاب ، وعاد الامر الى أهله ، والزمان الى أوله ، « وأزفت الآزفة »[5] ، « ووقعت الواقعة »[6] وقرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من وطنها ، وجيء بالملائكة والنبيين ، وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق ، والملك لله الواحد القهار ، « لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء »[7] ، « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »[8] .

فقد ضل عملك ، وخاب سعيك ، وطلع نحسك ، وغاب سعدك ، حين آثرت الحياة الدنيا على الآخرة ، ومال بك الهوى ، فأزالك عن الهدى ، فـ « ان تكفروا أنتم ومن في الأرض[9] جميعاً » « وان الله لهو الغني الحميد »[10] .

---

(1) سورة الحجرات : ١١

(2) في حاشية الاصل : « يعني انه يريد اقامة دولة بني العباس بكونه اخذ منهم السلاح والمال من أبي تغلب بن حمدان ، وقدم يقاتل المعز نصرة لهم » .

(3) سورة التغابن : ٧

(4) سورة النجم : ٥٧ .

(5) سورة الروم : ٤ — ٥ .

(6) سورة ابراهيم : ٨ .

(7) سورة الحاقة : ٧ — ٨ .

(8) سورة الواقعة : ١ .

(9) سورة الحج : ٢

(10) سورة الحج : ٦٤ .

ثم لـم يكفك ذلـك ــ مع بلائك وطول شقائك ــ حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك ، وحشدت أوباشك وأفلاسك ، وسرت قاصدا الى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة[1] وزويلة،فقتلته وقتلتهم، ــ جرأة على الله وردا لأمره ــ واستبحت أموالهم ، وسبيت نساءهم ، وليس بينك وبينهم ترة ولا ثأر ، ولا حقـد ولا إضرار ، فعل بني الاصفر[2] والترك والخزر، ثم سرت أمامك ولم ترجع، وأقمت على كفرك ولم تقلع ، حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان في زمرة قليلة وفرقة [٣٣ ــ ظ] يسيرة ، فاعتزل عنك الى يافا ، مستكفيا شرك ، وتاركا حربك ، فلم تزل ماكثاً على نكثك باكراً وصابحاً ، وغاديا ورائحا تقعد لهم بكل مقعد ، وتأخذ عليهم بكل مرصد ، وتقصدهم بكل مقصد كأنهم ترك وروم وخزر ، لا ينهاك عن سفك الدماء دين ، ولا يردعك عهد ولا يقين ، قد استوعب من الردى حيزومك ، وانقسم على الشقاء خرطومك .

أما كان لك مذكر ، وفي بعض أفعالك مزدجر ، أو ما كان لك في كتاب الله عز وجل معتبر حيث يقول :

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما »[3] ؟

فحسبك بها فعلة تلقاك يوم ورودك وحشرك حين لا مناص ، ولا لك من الله خلاص ، ولم تستقيلها ، وكيف تستقيلها وأني لك مقيلها ؟

هيهات ، هيهات ، هلك الضالون ، وخسر المبطلون ، وقـل النصير ، وزال العشير ، ومن بعد ذلك تماديك في غيك ، ومقامك في بغيك ، عداوة لله ولأوليائه ، وكفرا لهم وطغيانا ، وعمى وبهتانا .

أتراك تحسب أنك مخلد أم لأمر الله راد ؟

---

(١) من قبائل البربر .

(٢) بنو الاصفر : الروم البيزنطيون .

(٣) سورة النساء ٨٣ .

أم « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و [يأبى] الله [الا أن] يتم نوره ولو كره الكافرون »[1] .

هيهات لا خلود لمذكور ، ولا مرد لمقدور ، ولا طافيء لنور ، ولا مقر لمولود ، ولا قرار لموعود ، لقد خاب منك الامل ، وحان لك الاجل ، فان شئت فاستعد للتوبة بابا ، وللنقلة جلبابا ، فقد بلغ الكتاب أجله ، والوالي أمله ، وقد رفع الله قبضته عن أفواه حكمته ، ونطق من كان بالامس صامتا ، ونهض من كان خائفا ، ونحن أشباح فوق الامر والنفس ، دون العقل وأرواح في القدس ، نسبة ذاتية ، وآيات لدنيـة نسمع ونرى ، ، « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا »[2] ، « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون »[3] .

ونحن معرضون عليك ثلاث خصال ــ والرابعة أردى لك ، وأشقى لبالك ، وما أحسبك تحصل الا عليها ــ فاختر :

اما قدت[4] نفسك لجعفر بن فلاح ، وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان ، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع الى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير ــ وهي أسهل ما يرد عليك ــ .

وإما أن تردهم أحياء في صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم ــ ولا سبيل لك الى ذلك ولا اقتدار ــ .

واما سرت ومن معك بغير زمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بمـا حكمت ، وأجريك على احدى ثلاث : إما قصاص ، « فإما منآ بعد واما[5] فداء » فعسى أن يكون تمحيصا لذنوبك ، واقالة لعثرتك .

وان أبيت إلا فعل اللعين[6] : « فاخرج منها فانك رجيم ، وان عليك اللعنـة الى يوم الدين »[7] .

أخرج منها فما يكون لك أن تمكث فيها ، وقيل اخسئوا فيها ولا تكلمون ، فما أنت الا « كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار »[8] ، فلا سماء

---

(1) سورة التوبـة : ٣٢ .
(2) سورة الشورى : ٥٢ .
(3) سورة الاعراف : ١٩٨ .
(4) أي جعلت من نفسك ديـة .
(5) سورة محمد : ٤ .
(6) اي ابليس .
(7) سورة الحجر : ٣٤ ــ ٣٥ .
(8) سورة ابراهيم : ٢٦ .

تظلك ولا أرض تقلك ، ولا ليل يجنك ، ولا نهار يكنك ، ولا [علم يسترك] ، ولا فئة تنصرك ، قد تقطعت بكم الاسباب ، وأعجزكم الذهاب ، فأنتم كما قال الله عز وجل : « مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء »(١) .

فلا ملجأ لكم من الله يومئذ ولا منجى منه ، وجنود الله في طلبك قافية ، لاتزال ذو أحقاد ، وثوار أهجاد ، ورجال أنجاد ، فلا تجد في السماء مصعدا، ولا في الارض مقعدا ، ولا في البر ولا في البحر منهجا ، ولا في الجبال مسلكا ، ولا الى الهواء سلما ، ولا الى مخلوق ملتجا .

حينئذ يفارقك أصحابك ، ويتخلى عنك أحبابك ، ويخذلك أترابك ، فتبقى وحيداً فريداً ، وخائفاً طريدا ، وهائماً شريداً ، قد ألجمك العرق وكظك القلق ، وأسلمتك ذنوبك ، وازدراك حزبك ، « كلا لا وزر . الى ربك يومئذ المستقر »(٢)، « هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون »(٣) ، « وجوه يومئذ عليها غبرة. ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة »(٤) .

واعلم أنا لسنا بممهليك ولا مهمليك الا ريثما يرد [١٣٤] كتابك ، ونقف على فحوى خطابك فانظر لنفسك ، ما تبقى ليومك ومعادك قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ لا ينفع نفساً ايمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً .

وان كنت على ثقة من أمرك . ومهل في أمر عصرك وعمرك ، فاستقر بمركزك، وأربع على ضلعك ، فلينالنك ما نال من كان قبلك من عـاد وثمود ، « وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد »(٥) ، فلنأتيكم بجنود لا قبل لكم بها ، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون ، بأولي بأس شديد ، وعزم سديد ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، بقلوب نقية ، وأرواح تقية ، ونفوس أبية ، يقدمهم النصر ، ويشملهم الظفر ، تمدهم « ملائكة غلاظ شداد لا يعصمون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »(٦) .

---

(١) سورة النساء : ١٤٣ .
(٢) سورة القيامـة : ١٠ ـ ١١ .
(٣) سورة المراسلات : ٣٥ ـ ٣٦ .
(٤) سورة عبس : ٤٠ ـ ٤٢ .
(٥) سورة ق : ١٤ .
(٦) سورة التحريم : ٦ .

فما أنت وقومك الا كمناخ نعم ، أو كمراح غنم ، « فاما نرينك بعض الذي نعدهم »[1] « فانا عليهم مقتدرون »[2] ، وأنت في القفص مصفودا ، « أو نتوفينك فإلينا مرجعهم »[3] ، فعندها تخسر الدنيا والآخرة ، « ذلك هو الخسران المبين »[4]، « فأنذرتكم نارا تلظى ٭ لا يصلاها الا الاشقى ٭ الذي كذب وتولى »[5] ، « كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون »[6] ٭

فليتدبر من كان ذا تدبير ، وليتفكر من كان ذا تفكر ، وليحذر يوم القيامة من الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله »[7] ، « ويا حسرتنا على ما فرطنا »[8] ، « ويا ليتنا[9] نرد » « فنعمل غير الذي كنا نعمل »[10] ، هيهات غلبت عليكم شقاوتكم « وكنتم قوما بورا »[11] ٭

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى ، واتتمى الى الملأ الأعلى ، وحسبنا الله وكفى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير ٭

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا النبي [الأمي] والطيبين من عترته ، وسلم تسليما ٭

فأجابه الحسن الاعصم بما نصه : « من الحسن بن أحمد القرمطي الاعصم » :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، ونحن سائرون على اثره، والسلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ٭

وسار الحسن بن أحمد القرمطي بعد ذلك الى مصر ، فنزل بعسكره بلبيس ، وبعث الى الصعيد بعبد الله بن عبيد الله أخي الشريف مسلم ، وانبثت سراياه في أرض

---

(1) سورة يونس : ٤٦ .
(2) سورة الزخرف : ٤٢ .
(3) سورة يونس : ٤٦ .
(4) سورة الحج : ١١ .
(5) سورة الليل : ١٤ — ١٦ .
(6) سورة الاحقاف : ٣٥ .
(7) سورة الزمر : ٥٦ .
(8) سورة الانعام : ٣١ .
(9) سورة الانعام : ٢٧ .
(10) سورة الاعراف : ٥٣ .
(11) سورة الفتح : ١٢ .

مصر ، فتأهب المعز وعرض عساكره في ثالث رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال ، ووسع عليهم في الارزاق،وسير معهم الاشراف والعرب.

وسير معهم المعز ابنه الامير عبد الله ، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الاموال والخلع ، وسير معه أولاده وجميع أهله ، وجمعا من جند المصريين خلا الشريف مسلم ، فانه أعفاه من ذلك .

وانبسطت سرية القرمطي في نواحي أسفل الارض[1] ، فأنفذ المعز عبده ريان الصقلبي في أربعة آلاف ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر .

ولثمان خلون منه قدمت سرية القرامطة الى الخندق ، فبرز اليها المغاربة فهزموهم ، ثم كروا على المغاربة فقتلوا منهم جماعة وأسروا ، وفر اليهم علي بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة .

وورد الخبر بأن عبد الله بن عبيد الله أخا مسلم أوغل في الصعيد ، وقتل ، واستخرج الاموال ، وأسرف في قتل المغاربة وأسرهم ، ثم كر راجعا الى خميم .

ولست عشرة خلت منه جمع المعز أولاد الاخشيدية وغيرهم من الجند واعتقلهم.

وفي سلخة طيف بتسعة من القرامطة على الابل بالبرانس ومعهم ثلاثة رؤوس ؟

وفيه سار عسكر المعز مع ابنه عبد الله فنزل جب عميرة ، ونزل عسكر القرمطي نصفين : نصف مع النعمان أخي الحسن بن أحمد الاعصم مواجهة لعبد الله بن المعز، ونصف مع الحسن بسطح الجب .

فبعث عبد الله العساكر، فأحاطت بالحسن بن أحمد، وعسكر زحف الى النعمان فقاتله فانهزم ، وقتل من أصحابه ، وواقع [٣٤ ــ ظ] الآخرون الحسن حتى كاد أن يؤخذ ، فانهم أحاطوا به ، وصار في وسطهم ، فاغتنم فرجه مضى منها على وجهه ،

---

(١) أي الوجه البحري .

ونهب سواده وأخذت قبته[1] ، وأسر رجاله ، وأخذ من عسكره وعسكر أخيه خلق كثير ، وأخذ جماعة ممن كان مع المصريين •

ووصل الكتاب مع الطائر الى عبد الله أخي مسلم بهزيمة القرامطة ـــ وهو بالصعيد ـــ، فعدى الى جانب الشرقي لينقلب الى الشام ، فبلغه مسير عساكر المعز فعاد الى الجانب الغربي •

وورد كتاب الطائر الى المعز من الامير عبد الله ابنه بأن عبد الله أخا مسلم قد أخذ ، فأرسل المعز الى أخيه أبي جعفر مسلم يخبره ، فخلع على البشير •

---

(١) ورد في ورقة منفصلة بين الصفحتين في الاصل شرح للقبة هذا نصه : « في ورقة ملصوقة بهذا المحل بخطه ما مقاله » :

« كان من مخاريق القرامطة القبة ، وهي ان أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي كانت عادته في الحرب أن يفرد طائفة من عسكره ـــ فرساناً ورجالة ـــ عن القتال ، يقفون معه لا يقاتل ولا يقاتلون ، فاذا كل المقاتلة عن القتال حمل هو بنفسه في الطائفة المستريحة التي لم تحضر القتال ، فقاتل وقد كلوا منهزمين عنه ، فلما مات ضعفت هيبة القرامطة بعده عن رجالهم وترتيب وقوفهم ـــ كما ذكرنا ـــ ، فرجعوا الى المخرقة ، واقاموا قبة كالعمارية على جمل وقالوا : « ان النصر ينزل من هذه القبة في وقت معلوم ، واخذوا من حب الكحل ومن اللؤلؤ الكبار وجعلوه في صرة مع فحمة ومدخنة بداخل القبة ، واذا أرادوا الحمل على عسكر من يحاربوه صعد رجل منهم الى القبة ، وقدح النار في المجمرة ، وأخذ حب الكحل، وأرى القواد والناس بياضه (كذا) من بعيد وهم لا يعرفونه ، ثم يطرحه على النار ، فيفرقع فرقعة شديدة ، ويبعد من غير دخان ، فيظن القوم ذلك شيئا ، ويحملون على أعدائهم ومعهم القبة ، ولا .. منها شيء ، ولا يوقد ذلك الا عندما يقول صاحب العسكر : « قد نزل النصر » وذلك انه يقف مع القبة قطعة من الجيش مستريحة لا تقاتل ، وهو مستخف معهم وأكثر القوم يقاتلون وهم بالقبة من وراء المقاتلة ، فمن انهزم من مقاتلتهم حل دمه وقتل ، فاذا أحس بأنهم قد كلوا أمر بعمل ما قلنا في القبة ، وحمل بها في الطائفة المستريحة فهزم من عساه يكون ، وما زالت مخرقتهم هذه يموهون بها الى ان كسرت هذه القبة في الرملة، ثم أخذها عبد الله بن المعز خارج القاهرة ، فقلت عند ذلك مهابة القرامطة بما ذهب من قيمتهم ، وبهذا قدروا على قتل جعفر بن فلاح ، وانهم كانوا لا يسيرون بالقبة الا كمن يسير الى أمر ممهد، فيقولون : نزل النصر، وتشد قلوبهم وتقوى، فما سارت القبة من غير معارضة حتى يكون الظفر لهم » .

وكان في البرية سرية للمعز قد أخذوا الطريق على عبد الله أخي مسلم ، فوقع في أيديهم في الليل رجل بدوي ، فقال : « أنا عبد الله أخو مسلم » فجاء الى الامير عبد الله ، فكتب الى الطائر بأخذ عبد الله ، فلما جيء بالبدوي من الغد الى الامير عبد الله وهو في معسكره — وكان في مجلسه عبد الله بن الشويخ — فقال للامير عبد الله : « ما هذا عمي عبد الله » • فبطل القول • وكان خبر هذا البدوي أنه كان مع عبد الله أخي مسلم بالصعيد ، وعبر معه يريد الشام ، فأراد أن يسقي دوابه ، فقال له البدوي : « ما تأمن أن يكون على الماء طالب ، فدعني أتقدمك ، فان لم أجد أحد جئتك ، وان أبطأت عليك فاعلم أني أخذت » فلما وافى البدوي البئر أخذ فقال لهم : « أنا عبد الله أخو مسلم ليشغلهم عن طلبه ، فلما أبطأ البدوي على عبدالله علم أن الطلب قد أخذوه ، فكر راجعا وعاد الى الجانب الغربي ، وركب البحر الى عينون[1] ، ومضى الى الحجاز •

وكان ياروق على عسكر للمعز ، فرأى أصحابه عبد الله ، فأفلت منهم على فرس دهماء عربية بعدما حط قبته وقطعها بسيفه ، فظفر ياروق بنوقه ، ووصل عبد الله الى المدينة النبوية ، وجلس يتحدث في المسجد ، فقيل له : « ان الكتب قد سبقتك ، وبذل فيك مال عظيم » فنهض لوقته ، وتوجه الى الاحساء ، فاستنهض القرامطة ، فلم يكن فيهم نهضة ، فوبخهم لما رأى من عجزهم ، وقال : « أروني ما عندكم من القوة التي تقاومون بها صاحب مصر » فأوقفوه على ما عندهم من المال والسلاح والكراع ، فاستقله وقال : « بهذا تقاومون صاحب مصر والشامات والمغرب ؟» •

وانصرف عنهم الى العراق ، فأتبعوه برجل يقال أنه من بني سنبر ، فسمه في لبن بموضع يقال له النصيرية — على ميلين من البصرة — فقام مائتي مجلس في ليلة ومات بموضعه ، فغسل وكفن وأدخل البصرة ، فصلي عليه ودفن بها الى أن جاء حسن بن طاهر بن أحمد فحمله الى المدينة •

وورد الخبر بذلك الى المعز ، فأخبر الناس بموته وموت المطيع ، فان ابنه سمه أيضا ، كما سمت القرامطة عبد الله أخا مسلم •

---

(١) قرية يطؤها طريق المصريين اذا حجوا — معجم البلدان .

وأما أخبار القرامطة ففي كتب المؤرخين من المشارقة المتعصبين على الدولة الفاطمية أن سبب انهزام الحسن بن أحمد القرمطي من عساكر المعز أن العرب لما أنكت بمسير سراياها بأرض مصر ، رأى المعز أن يفل عساكر القرامطة وجموعهم بمخادعة حسان[1] بن الجراح الطائي — أمير العرب ببلاد الشام —، وكان قدم مع القرمطي في جمع عظيم قوي به عسكر القرمطي ، فبعث المعز الى ابن الجراح ، وبذل له مائة ألف دينار على أن يفل عسكر القرمطي ، فأجابه الى ذلك ، وأن المعز استكثر المال ، فعمل دنانير من نحاس وطلاها بالذهب ، وجعلها في أكياس ، ووضع على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب ليغطي ما تحتها ، وشدت الاكياس وحملت الى ثقة من ثقات ابن الجراح بعدما كانوا استوثقوا منه وعاهدوه أنه لا يغدر بهم ، فلما وصل اليه المال تقدم الى كبراء أصحابه بأن يتبعوه اذا توقف العسكران وقامت الحرب ، فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزما واتبعه أصحابه — وكان في جمع كبير — .

فلما رآه القرمطي — وقد انهزم — تحير ، فكان جهده أن قاتل بمن معه حتى تخلص ، وكانوا قد أحاطوا به من كل جانب ، فخشي على نفسه وانهزم ، وتبعوه ودخلوا عسكره ، فظفروا منه بنحو من [٣٥ — و] ألف وخمسمائة رجل، فأخذوهم أسرى ، وانتهبوا العسكر .

ولما كان لخمس بقين من شعبان أنفذ المعز أبا محمود ابراهيم بن جعفر الى الشام خلف القرمطي في عسكر يقال مبلغه عشرون ألفا ، فظفر في طريقه بجماعة من أصحاب القرمطي ، فبعث بهم الى مصر .

---

(١) ورد في حاشية الاصل تعريف به ، نصه :
« حسان بن علي بن مفرج بن دغفل بن حرام بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن ..... بن ..... بن ..... بن علقي بن حوط بن عمرو بن خالد بن معدان بن ..... أفلت ابن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غانم بن ثور بن معن بن .. بن عنين بن سلامان بن .. بن عمرو بن الغوث بن طيء .

وسار الحسن بن أحمد القرمطي فنزل أذرعات[١] ، وأنفذ أبا المنجا في طائفة الى دمشق .

وبعث المعز الى ظالم بن موهوب العقيلي[٢] لما بلغه ما وقع بينه وبين القرمطي ونزول أبي المنجا دمشق ، فسار القرمطي ودخل البرية يريد بلدة وفي نيته العود .

وكان للحسن بن أحمد القرمطي هذا شعر ، فمنه في أصحاب المعز لدين الله :

زعمت رجـال الغرب أنـي هبتهـا ... فدمـي إذاً ما بينهـم مطلـول
يا مصر إن لـم أسق أرضك من دم ... يروي ثراك ، فـلا سقاك النيـل[٣]

ولما كان في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد اسحاق وجعفر الهجريان مـن القرامطة فملكا الكوفة ، وخطبا لشرف الدولة ، فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم ، وكان من الهيبة ما أن عضد الدولة بن بويه وبختيار أقطعاهم الكثير ، وكان لهم ببغداد نائب يعرف بأبي بكر بن ماهويه يتحكم تحكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة بن عضد الدولة ، فلما ورد القرامطة الكوفة كتب اليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما ، فذكر أن قبض نائبهم هـو السبب في قصدهم البلاد ، وبثا أصحابهما فجبوا المال ، فأرسل صمصام الدولـة العساكر ومعهم العرب ، فعبروا الفرات اليه وقاتلوه وأسروا ، فانجلت الوقائع بينهم وبين العساكر عن هزيمة القرامطة ، وقتل مقدمتهم في جماعة ، وأسر عـدة ، ونهب سوادهم ، فرحل من بقي منهم من الكوفة ، وتبعتهم العساكر الى القادسية فلـم يدركوهم ، وزال من حينئذ بأسهم .

---

(١) درعا الحالية في سورية .

(٢) جاء في حاشية الاصل طرة نصها :
« بخطه : فبعث عضد الدولة فناخسرو الديلمي من العراق عسكراً الى الاحساء، وبها يومئذ ابو يعقوب بن أبي سعيد الجنابي ، عم الحسن بن أحمد الاعصم ، ففر ابو يعقوب ، واخذ العسكر ما كان في الاحساء فقدم الاعصم منهزماً من الشام فيمن بقي معه ، فانضم اليه عمه ، وسار وأوقع بالعسكر ، واستباحه قتلا ونهبا، ففويت نفسه،وكاتب العرب فأتوه وبعث رسولا الى المعز يطلب الموادعة» .

(٣) روايات هذا الشعر متباينة بعض الشيء ، انظر الروايات السابقة .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع شخص يعرف بالأصفر من بني المنتفق جمعا كبيرا [وكان] بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة، وانهزم أصحابه وقد قتل منهم وأسر كثير ، فسار الاصفر الى الاحساء وقد تحصن منه القرامطة بها ، فعدى الى القطيف وأخذ ما كان فيها من مال وعبيد ومواشي ، وسار بها الى البصرة[1] ...

* * *

(١) يتلو هذا بياض في الاصل قدره حوالي نصف صفحة ، يبدو ان المصنف تركه ليضيف فيه معلومات اخرى .

كتـــاب

المقفّى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليهـــا

بـــدر الحمامـــي*

كان من غلمان أحمد بن طولون ، وكان روميا حسن الخلق ، من حسن خلقه أنه اذا قبل أحد من الرجالة بخده باس هو رأسه ، وما يزال يترقى الى أن صار أكبر قواد مصر ، وتعين هو وصافي بعد قتل خمارويه ، فلما صار الامر الى هرون بـــن خمارويه قبض كل من بدر وصافي على قطعة من الجيش حازها لنفسه ، وطالب عنها بأرزاقها ، وسأل أن يكون ما لهم محمولا اليه يتولى هو اعطاءهم في داره ، ففعل ذلك به ، وصارت عدة كل طائفة من الجند الى دار من صاروا في جملته يغدون اليه، ويروحون مـــن عنده ، ويطالبونه بأرزاقهم ويقبضونها مـــن يد كاتبه ، لا يخافون ولا يرجون سواه .

وخرج الى دمشق ومعه طغج والحسين بن أحمد الماذرائي في سنة ثلاث وثمانين ومائتين، فأصلح أمر الشام ، واستخلف على دمشق طغج بن جف الفرغاني، وعاد الى مصر فحج بزي حسن ، وآلة جميلة ، وأنفق نفقة كبيرة ، وبنى ميضأة بباب الجامع العتيق بمصر ، ووقف عليها قيسارية ملاصقة لها ، وجعل مع الميضأة ماء عزب في كيزان كبار ، فوضع في كل حلقة من حلق الجامع كوز ، وجعل أزيارا مملوءة ماء مطلقة لسائر الناس ، وكان على صدقاته الليث بن داود ، فتجيء المساكين زمرا زمرا الى بابه ، وهم ينادون في الطريق دار ليث ، فيأخذون الدراهـــم الصحاح والخبز واللحم المطبوخ قدورا مملوءة ، وتفرق فيهم في الشتاء الجباب الصوف ، وفي يوم الاكسية ، وما زال ذلك معروفا قائما أيام حياة بدر كلها .

فلما انهزم طغج بن جف بدمشق من الحسن بن زكرويه القرمطي ، الذي يعرف بالمطوق وبصاحب الجمل ، وسمي علي بن عبد الله ، في سنة تسع وثمانين ومائتين خرج بدر وفائق بعساكر مصر ، وقاتلا القرمطي الى أن قتل ، وقام من بعده أحمد بن

---

* من مجلدة يرتو باشا استانبول .

عبد الله بن أحمد صاحب الخال ، فقاتله بدر حتى هزمه ، وفيه يقول من أبيات :

سبقت يـدي يـده	هاشمـي المحتـد
وأنـا ابن أحمد لم أقل	كـذبا ولـم أتزيـد
مـن خوف بأسي قـال	بدر : ليتني لـم أولد

وأقاما بدمشق ، وحثا محمد بن سليمان الكاتب على أخذ مصر ، وسارا معه حتى أزال دولة بني طولون من مصر في ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ثم أخرج بدرا من مصر واليا على دمشق ، فخرج قواد بني طولون ومواليهم .

* * *

الحسن الاعصم القرمطي

الحسن بن أحمد الحسن بن بهرام ، أبو علي ، وقيل أبو محمد ، بن أبـي منصور بن أبي سعيد الجنابي[١] ، ويعرف بالاعصم[٢] القرمطي وقيل فيه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ، واسمه الحسن بن بهرام ، ويقال الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كوذركار،ولد بالاحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين.

وهذه الطائفة التي تعرف بالقرامطة قد عظم في العالم أمرها ، وشنع بين الخليقة ذكرها ، ودوخوا الممالك والاقطار وأذلوا أعزة أهل البدو وسكان الأمصار،وسأتلو من أنبائهم جملة توقفك على كنه أحوالهم فأقول : ان ابتداء أمر هذه الطائفة كان من رجل من الشيعة،يعرف بحسين الأهوازي،سكن عسكر مكرم[٣] ، وتحول الى البصرة ، ثم صار الى سلمية من أرض حمص فأقام بها مدة ، وخرج داعية الى العراق فصادف بطريقه في سواد الكوفة رجلا يعرف بحمدان بن الاشعث ، ويقال له قرمط، من أجل أنه كان قصير القامة ، قصير الرجلين ، متقارب الخطا ، وهو ماش ومعه ثور، فسأله الحسين عن الطريق الى قرية يقال لها قس بهرام، فقال له حمدان: أنا قاصدها، فتماشيا ساعة وعرض حمدان على الحسين أن يركب ثوره ، فأبى ذلك ، وقال : لم

(١) وقع بالهامش الايمن بنفس الخط : جنابي بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الالف ياء موحدة من أسفل ، وهي بلدة صغيرة من سواحل فارس بينها وبين سيراف أربعة وخمسون فرسخا .

(٢) وقع بالهامش الايسر بنفس الخط: الاعصم بهمزة وعين مهملة وصاد مهملة بعدها ميم . وجاء في الهامش الايمن بنفس الخط ايضا : الاعصم من الظباء الذي في ذراعه بياض ، وغراب اعصم في احد جناحيه ريشة بيضاء . وقيل هو الابيض والاعسم الذي يبس رسغه او يبس مرفقه ، يقال له رجل اعسم ــ وامــراة عسماء ــ اذا تعوج منه اليدان . كذا في الاصل والذي في اللسان مادة عسم : تعوج منه اليد والقدم ، وانظر ايضا ــ في نفس المصدر ــ مادة عصم .

(٣) قال عنه ياقوت : بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب ايام الحجاج بن يوسف الثقفي .

أومر بذلك فقال له حمدان : كأنك تعمل بأمر لك ؟ قال : نعم . قال : ومن يأمرك وينهاك ؟ قال : مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة ، فبهت حمدان أن يفكر ، ثم نظر اليه، وقال : يا هذا! ما يملك ما ذكرته الا الله . قال : صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء . قال حمدان : فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال : دفع الي جراب فيه علم وسر[1] من أسرار الله ، وأمرت أن أشفي هذه القرية ، وأغني أهلها ، وأستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابهم ، وشرع يدعوه فقال له حمدان : يا هذا نشدتك الله الا دفعت الي من هذا العلم الذي معك ، وأنقذتني ينقذك الله ، فقال : لا يجوز ذلك ، أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله على النبيين والمرسلين ، وألقي اليك ما ينفعك ، فما زال حمدان يضرع اليه ، حتى جلسا ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟ قال له : حمدان بن الاشعث قرمط ، وأسألك أن تسير معي الى منزلي حتى تجلس فيه فان لي إخواناً أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي ، فصار معه الى منزله، وجمع عليه حمدان الناس ، فأخذ عليهم العهد للمهدي ، واغتبط به حمدان لكثرة ما شاهده من خشوعه ، وصيام نهاره ، وقيام ليله ، وشهر أمره في أصحابه حتى كان أغبط الناس به ، من أخذه الى منزله وكان يخيط لهم الثياب فيتبركون بخياطته ، ويرتزق من أجرتها ، الى أن أدرك التمر، فوصف لأبي عبدالله محمد بن عمر بن شهاب العدوي ــ أحد وجوه الكوفة وعلمائها وفضلائها ــ أمر الحسين الأهوازي، فنصبه لحفظ ثمره ، فأحسن القيام في حفظها ، وبالغ في أداء الامانة ، وخرج عن الحد في كثرة[2] التشدد وذلك في سنة أربع وستين ومائتين ، فاستحكمت ثقة الناس بالحسين ، الى أن حضرته الوفاة ، فعهد لحمدان بن الاشعث قرمط ، وأقامه مقامه ، وقضى نحبه .

وكان قد استجاب له مهرويه بن زكرويه السلماني الصواني، وجلندي الرازي، وعكرمة البابلي ، واسحاق البوراني، وعطيف النيلي في آخرين وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس العهود ، وكان أكبر دعاته عبدان الاهوازي ختن قرمط ، فقام في الدعوة ، وبث الدعاة في أعمال السواد بالكوفة ، فدخل [٣٤٥ ظ] في دعوة قرمط

---

(١) في الاصل سر والزيادة من اتعاظ الحنفا . ط القاهرة ١٩٦٧ وجاء هناك : رفع الي كتاب ، وما أثبتناه هنا أقوم .

(٢) في الاصل : (كثر) . وما أثبتناه أقوم .

بنو ضبيعة بن عجل من ربيعة ، وبنو يشكر من بكر بن وائل ، حتى لم يتخلف عنه رفاعي ولا ضبعي الا ودخل في دعوته ، ودان بها ، ولم يبق من بطون العرب المتصلة بواسط بطن الا استجاب له ، فدخل في دعوته كثير من بني عابس ومن ذهل ، وعنزة، وتيم الله ، وبني ثعل ، وهم معظم سواد الكوفة .

فقوي قرمط ، وأخذ يجمع أموالهم ، فكان أول مافرض عليهم الفطرة وهي[1]: درهم يأخذ من كل واحد من الرجال والنساء والصبيان فسارعوا الى ذلك وحملوه اليه ، ثم فرض عليهم الهجرة ، وهي : دينار عن كل رأس أدرك الحنث ، وتلا قول الله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم »[2] ، وقال لهم : هذا تأويل هذا ، فدفعوا ذلك اليه ، وتعاونوا عليه ، حتى أن من كان منهم فقيرا أسعفوه ، ثم فرض عليهم البلغة ، وهي : سبعة دنانير ، وقال : هذا هو البرهان الذي أراده الله تعالى بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »[3] . وقال : هذا بلاغ من يريد الايمان والدخول في السابقين « أولئك المقربون »[4] ، فكان من أدى سبعة دنانير عن البلغة ، أطعمه شيئا حلوا لذيذا في قدر البندقة ، وقال له : هذا طعام أهل الجنة نزل الى الامام ، وصار يبعث الى كل داع منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، عن كل واحدة سبعة دنانير ثم فرض عليهم الخمس من كل ما يملكونه وما يكتسبونه ، وتلا عليهم قول الله تعالى : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه »[5] الآية ، فبادروا الى ذلك وقوموا سائر ما يملكونه من ثوب وغيره ، وأدوا منه الخمس ، حتى أن المرأة كانت تخرج من غزلها خمسه ، والرجل يخرج الخمس مما يكسبه ، ثم فرض عليهم الالفة ، وهي أنهم يجمعون أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه كلهم أسوة واحدة ، لا يفضل أحد من أصحابه على صاحبه ، ولا أخيه في ملك يملكه بشيء البتة ، وتلا عليهم قول الله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء

---

(١) في الاصل : (وهم) . وما أثبتناه اقوم .
(٢) سورة الانفال : ١٠٣ .
(٣) سورة البقرة : ١١١ .
(٤) سورة الواقعة : ١٠ .
(٥) سورة الانفال : ٤١ .

فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا »[1] الآية • وقوله تعالى : « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم »[2] ، وقال لهم لا حاجة بكم الى الاموال فان الارض بأسرها ستكون لكم دون غيركم ، وقال لهم : هذه محنتكم التي امتحنتم بها ، ليعلم كيف تعملون ، وألزمهم بشراء السلاح في سنة وسبعين ومائتين •

وأقام في كل قرية رجلا مختارا من الثقات ، فجمع عنده أموال قريته من : غنم وبقر ، وحلي ، ومتاع ، وغير ذلك ، فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم ، حتى لم يبق بينهم فقير ولا محتاج ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته : وجمعت اليه المرأة كسبها من مغزلها ، وأدى اليه الصبي أجرة نطارته وحراسته للطير ونحوه ، ولم يبق في ملك أحد منهم غير سيفه وسلاحه لا غير •

ثم لما استقام له ذلك كله ، أمر الدعاة أن تجمع النساء في ليلة عينها ويختلطن بالرجال ، حتى يتراكبن ، وقال : هذا من صحة الود والالف ففعلوا ذلك • ثم انه أفشى فيهم اباحة الاموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض، وقال : هذا كله موضوع عنكم ، ودماء المخالفين وأموالهم حلال لكم ، ومعرفة صاحب الحق تغنيكم عن كل شيء ، ولا تخافون معه اثما ولا عذابا ، وعنى بصاحب الحق الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقال : بهذا الامام اتسقت هذه الامور ولولاه لهلك الخلق ، وعدم الهدي والعلم ، فبسطوا أيديهم بسفك الدماء وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس ، ووافقهم كثير من مجاوريهم •

ثم ان الدعاة اتفقوا على بناء دار هجرة ، فأقاموا سورا في قرية يقال لها مهتماباذ ، من سواد الكوفة ، وجعلوا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه [٣٤٦ ـ و] خندق عظيم ، وبنوا من داخل السور المباني ، وتحول اليها الرجال والنساء ، وذلك في سبع وتسعين ومائتين ، كل ذلك والخليفة ببغداد مشغول بصاحب الزنج ، وكثرة الفتن ، فلم يبق أحد الا خافهم لقوتهم ، وتمكنهم في البلاد ، ومات عبدان •

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .
(٢) سورة الانفال : ٦٣ .

وكان منهم رجل يقال له مهرويه ، قد عرف بالثقة والدين[1] ، فانقاد اليه خلق كثير ، وقال : أنا من ولد عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق[2] . وصار يركب في قبة على جمل ، ويدعى بالسيد وكان له ابن يقال له زكرويه أحد الدعاة . ومن الناس من يسميه الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق .

فاتهم زكرويه بقتل عبدان ، فخاف ، ثم تحول من سواد الكوفة ، وأنفذ ابنه الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ونزل سلمية فوجد بها بني أبي الملاحف ، وهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد وأخواه[3] أبو العباس أحمد ، وحسن فاستمالوه الى القرامطة ، وحسنوا له أن يدعو الى أبيه محمد بن اسماعيل ، فأجابهم الى ذلك[4] . وكان معه من أولاده أربعة ، هم : أبو القاسم أحمد بن الحسين صاحب الجمل ، وأبو الحسن علي صاحب الخال وأبو محمد عبيد الله[5] الذي ملك افريقية، والقاسم الذي خرج مع أبيه الحسين بالهبير .

فخرج أبو القاسم أحمد في أول المحرم سنة تسعين ومائتين في ألف رجل ، وتوجه الى الرقة ، وقاتل عاملها شبل الديلمي وقتله وأخذ جميع ما في عسكره ،وسار الى دمشق فخرج اليه طغج بن جف ، عاملها من قبل أبي موسى بن أبـي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، فهزمه أقبح هزيمة ، وقتل أكثر من معه ، وأخـذ أموالهم ، ونجا طغج الى دمشق ، فنزل أبو القاسم على دمشق بين داريا الى المزة ، وحصرها سبعة أشهر حتى قدم بدر الحمامي بجيوش مصر ، فزحف اليهم وقد ركب جملا أحمر ، قدام عسكره ، وحوله مائة أسود بسيوف وحجف فكان اذا أشار

---

(١) في الاصل : (والديون) ، وهو تصحيف ظاهر .

(٢) زاد مؤلفنا المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء فقيل له : لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يقال له عبد الله ، فكف عن هذه الدعوى

(٣) في الاصل : واخويـه .

(٤) في هذا اضطراب ولعل الصواب : فاستمالهم الى القرمطة وحسن لهم أن يدعو الى ابيه محمد بن اسماعيل فأجابوه الى ذلك .

(٥) كذا في الاصل ، وسبق التنبيه الى أن الصحيح « عبد الله » ويلاحظ أن معلومات المقريزي فيها اضطراب شديد ، ومرد هذا الى أن المقريزي جمع مواد مسودة كتابه المقفى وتوفي قبل أن يكمله أو يعيد النظر فيه .

بكمه الى ناحية من عسكره ، حملوا على عساكر مصر وهزموهم ، الى أن انتدب له فارس من أهل مصر طعنه برمح أرداه به عن الجمل ، ومات ، فقتل الفارس .

وقام من بعد أبي القاسم أخوه أبو الحسن علي صاحب الخال ، فمضى بمن معه عن دمشق ، فبعث المكتفي بالله أبا الأغر السلمي فلقيه على حلب وهزمه ، فسير اليه محمد بن سليمان الكاتب فواقعه بناحية سلمية وقتل من أصحابه ستة آلاف رجل ، وفر فقبض عليه وحمل الى بغداد على فيل في ثاني ربيع الاول سنة احدى وتسعين ، فصار يقول : ألستم يا فسقة بقايا قتلة الحسين بن علي ، وضربت عنقه وعنق المدثر ، ابن أخيه ، واسمه عبد الله[1] بن الحسين بن محمد بن اسماعيل، وبقية أصحابه وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة ، وقيل انه قتل هو وأخوه من أهل الشام والبوادي وأصحاب السلطان وأهل المدن ومن جند مصر ومن جند العراق نحو ستمائة ألف انسان .

ولما قتل المكتفي من ذكرنا ، غضب لذلك الحسين بن محمد وجمع وسار الى الكوفة وقتل جماعة ونهب ثم سار وأخذ الحاج بأسرهم،فخرج اليهم جيش من بغداد وقاتلهم وقتلهم في ربيع الاول سنة خمس وتسعين وقتل الحسين بن محمد وابنه القاسم ، وقتل معه زكرويه وسائر دعاته . فهذه جملة أخبار القرامطة الخارجين ببلاد الشام .

وأما قرامطة البحرين ، فكان مبدأ أمرهم أن رجلا من أهل جنابة يعرف بأبي سعيد الجنابي ، واختلف في اسمه فقيل الحسن بن بهرام ، وأنه من الفرس ، وقيل الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه كان يعمل الفراء ، ويسافر من البحرين الى سواد الكوفة ، فنكح امرأة من قوم كانوا يدينون بالقرمطة وصحب عبدان ، وقيل بل صحب قرمط وأخذ عنه ، وعاد الى القطيف فدعا الناس ، وكان أول من استجاب له بنو سنبر ، وهم : الحسين وعلي وحمدان ، وما زالت دعوته تنتشر وأمره يقوى ، حتى جمع وقاتل من خالفه بمن أطاعه ، وهدم مدينة هجر [٣٤٦ — ظ] بعد محاربة أهلها عدة أشهر وبنى دار هجرة

---

(١) كذا وهو عنده قبل بضعة اسطر اسمه « علي » ، ومرد هذا كما سبقت الاشارة الى أن المقريزي جمع بسرعة دون تحري ومراجعة .

بمدينة الاحساء • وقاتل جيوش المعتضد في سنة سبع وثمانين ومائتين، وقتل أكثرهم وأسر معظمهم • ولم يزل أمره يشتد حتى قتله غلامه في الحمام بمدينة الاحساء في سنة اثنتين وثلاثمائة ، وكانت أيامه[1] نحو ست عشرة سنة :

وقام من بعده ابنه أبو طاهر سليمان ، فأكثر من الغزو ، وسار الى البصرة ، وأخذها في ربيع الاخر سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وقتل منها خلقا كثيرا ، ثم أوقع بالحاج في ذي الحجة منها وأخذ لهم من المال ما لا يقدر قدره ، وأخذ الكوفة في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة ، وقتل منها وأسر كثيرا ، ثم سار يريد بغداد في سنة خمس عشرة ، ونزل الكوفة في شوال منها ، وقاتل يوسف بن أبي الساج ، وأسره ودمر عساكره ، وسار الى الانبار فهم أهل بغداد بالهرب ، وكانت هناك معارك مع جيوش العراق ، وسار الى الرحبة ووضع السيف في أهلها ونهب الجزيرة ، وقاتل أهل الرقة ورأس العين وسنجار ، وفرض الأموال على الناس ، وعاد الى الأحساء ، ثم قدم مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وردم زمزم بالقتلى ، وانتهك حرمة الكعبة ، وأخذ كسوتها وأموالها ، وقلع الحجر الاسود من موضعه ، وعاد الى بلاده ، ثم سار الى الكوفة في سنة تسع عشرة ، فأفسد وعاد •

ثم خرج في سنة ثلاث وعشرين الى الكوفة ونادى بالامان ، وفرض على أهل خراسان وبغداد والشام ومصر الاموال العظيمة ، فكانت تحمل اليه في كل سنة اتقاء شره •

ثم سار أيضا الى الكوفة سنة خمس وعشرين ، وعاد فأهلكه الله بالجدري ، بعدما تقطع جسده ، وذلك في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة •

فقام من بعده أخواه : أبو قاسم سعيد ، وأبو العباس أحمد ، واستقر الرأي والتدبير منوط بستة نفر ، وردوا الحجر الاسود مع سنبر بن الحسين بن سنبر في سنة تسع وثلاثين ووضع في مكانه يوم النحر فكانت مدة غيبته اثنتين وعشرين سنة تنقص أيـام •

وغلب الحسن بن أحمد على الشام في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وولى على دمشق وشاحا السلمي ، ثم رجع الى الاحساء في صفر سنة ثمان وخمسين،

---

(١) في الاصل : يامه ، وهو تصحيف .

وفي سنة تسع وخمسين خطب لهم بمكة ، وساروا الى دمشق في سنة ستين وثلاثمائة، وقتلوا جعفر بن فلاح في ذي القعدة ، وكبيرهم يومئذ الحسن بن أحمد صاحب الترجمة ، وكان سبب حركته هذه أن ظالم بن مرهوب العقيلي، لما انهزم من جعفر بن فلاح عن بلاد حوران والبثنية ، لحق بالاحساء وحث القرامطة ، فإن المال الذي كان يحمل اليهم من مصر انقطع عند دخول القائد جوهر بعساكر المعز لدين الله الى مصر، فبعثوا العرفاء لجميع العرب ، وسار الحسن بن أحمد الى الكوفة فوافاه من استجاب له من العربان ، وأنفذ الى بغداد يطلب المال ، فجهز اليه خزانة سلاح ، وأربعمائة ألف درهم أحيل بها على أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة الحسن[1] بن حمدان وهو على الرحبة ، فسار الحسن الى الرحبة ، وحمل اليه أبو تغلب العلوفة والمال الموسوم به ، وتوجه الى دمشق ، وقد صحبه كثير من عسكر أبي تغلب ومن انهزم من الاخشيدية ، فخرج اليه أبو الفضل جعفر بن فلاح وقاتله ، فقتل جعفر ، ونزل الحسن يوم الخميس سادس ذي القعدة على المزة خارج دمشق ، وجبى من المدينة مالا كثيرا ، وسار الى الرملة من دمشق يوم الثلاثاء لاحدى عشرة [ليلة] خلت من ذي القعدة ، وقد استخلف عليها ظالم بن موهوب ، واجتمع عليه عرب الشام ، وكثير من الاتباع والاجناد ، ونازل يافا وبها سعادة بن حيان وقاتله ، ثم رحل عنها ، وترك على حصارها أبا المنجا عبد الله بن علي بن منجا القرمطي ، وظالم بن مرهوب العقيلي، ونزل خارج القاهرة بعين شمس لعشر بقين من صفر سنة احدى [٣٤٧ ــ ظ] وستين، ومعه خمسة عشر ألف جمل وبغل تحمل صناديق الاموال ، وأواني الذهب والفضة ، سوى التي تحمل الخيم والمضارب والبنود ، وغير ذلك من الاثقال ، وقد استعد جوهر القائد لحربه ، فالتحم القتال في يوم الجمعة أول ربيع الاول على باب القاهرة، وقتل من الفريقين وأسر جماعة ، وباتوا ليلة السبت وأصبحوا متكافين ، وغدوا يوم الاحد للقتال على باب الخندق فكانت وقائع شديدة قتل فيها من الفريقين عدد كبير، وانهزم الحسن ، ونهب سواده ببركة الحاج ، وأخذت صناديقه وكتبه ، ومضى في الليل على طريق القلزم ، ونهبت بنو عقيل وبنو طيء كثيرا من سواده ، وهو مشغول بالقتال ، فسار الى الاحساء ، ثم عاد من الاحساء ونزل الرملة في سابع رمضان ،

---

(١) في الاصل : الحسين ، وهو خطأ ظاهر .

وطرح مراكب في البحر ، وملأها بالمقاتلة ، وأكثر من جمع العربان معـه للسير الى القاهرة ، فقدم المعز لدين الله أبو تميم معد من بلاد ، ونزل بالقاهرة في رمضـان سنة اثنتين وستين ، فكتب الى الحسن بن أحمد كتابا عظيما ، فكتب جوابه • بعد البسملة : وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، ونحن سائرون على اثره ، والسلام •

فلما كان شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وستين ، كثر انتشار القرامطة في أعمال[1] الشام ، وكثر الإرجاف بهم في القاهرة ومصر ، وبلغت مقدمتهم أرياف مصر ،وأطراف المحلة لعشر بقين من جمادى الآخرة ، ووصلت منهم سرية الى أطراف الحوف أول يوم من رجب ، وبعث الحسن بن أحمد ، عبد الله بن عبيد الله أخا الشريف مسلم الى الصعيد ، فنزل في نواحي أسيوط وأخميم ، وجبى الاموال ، وحارب أصحاب المعز، ونزل الحسن بلبيس ، فتأهب المعز لقتاله ، وندب ابنه ولي العهد الامير عبـد الله بالعساكر ، وقد انتشر القرامطة في نواحي أسفل الارض ، يجبون الاموال ، وخرج ريان الصقلبي في أربعة آلاف الى المحلة ، فقتل وأسر كثيرا من القرامطة ، فاشتعلت أرض مصر أعلاها وأسفلها بنار الحرب من القرامطة ، ونزل الامير عبد الله بركـة الحاج ، في سلخ رجب، وقد نزل النعمان بن أحمد ، أخو الحسن بن أحمد تجاهه • ونزل الحسن بسطح البركة ووقع القتال بين الفريقين واشتد ، فولى حسان بن علي ابن الجراح الطائي منهزما عن الحسن بمن معه، وكانوا جمعا كبيرا فلم يثبت الحسن، ومضى على وجهه ونهب سواده ، وأخذت قبته ، وأسر من عساكره خلق كثير ، فنزل أذرعات ، وتوجه منها الى الاحساء وقد تمزقت عساكره ، فبلغ ذلك عضد الدولة فناخسره بن ركن الدولة علي بن بويه ، فطمع أن يظفر ببقية القرامطة في الاحساء ، وبها يومئذ أبو يعقوب عم الحسن بن أحمد ، فبعث اليه عسكرا كثيفا ، ففر عـن الاحساء ، فاحتوى العسكر على الاحساء وما فيها ، ووافى الحسن بن أحمد فيمن بقي معه فانضم اليه عمه ، وبقية أصحابه ، وحارب العسكر ، وكانت بينهم وقعـة عظيمة قتل فيها رجال العسكر ، وأخذت أموالهم ، فقويت نفس الحسن بن أحمد ، وعادت دولته ، وكتب يستدعي العرب فأجابوه ، ثم بعث رسوله الـى المعز بطلب

(1) في الاصل : واعماد ، وهو تصحيف .

موادعته ويوصيه بكاتبه أبي المنجا ، وقد قبض عليه وحمل الى القاهرة ليسجن بها ، فأفرج[1] عنه في خامس محرم سنة أربع وستين .

فلما قدم ألبتكين الشرابي الى دمشق وملكها ، وسار القائد جوهر من القاهرة الى دمشق وحصر البتكين ، وبعث الى الحسن بن أحمد يستدعيه، فسار من الاحساء يريد دمشق ، فسار جوهر بعد مصالحة ألبتكين الى طبرية ، وقد قرب منه الحسن بن أحمد ، فأسرع في الرحيل ، وخرج الحسن من البرية يريد طبرية ، ففاته جوهر ، فبعث سرية تلحقه ، فواقعهم أصحاب جوهر ، وجلوا الى الرملة . فلما [٣٤٧ ـ ظ] بلغ ذلك الحسن سار من طبرية وسار ألبتكين في اثره ، حتى نزلا الرملة ، فمات الحسن بها في يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رجب سنة ست وستين وثلاثمائة .

فقام من بعده ابن عمه جعفر بن أبي سعيد الجنابي، وقاتل جوهرا هو وألبتكين بقية السنة ، ثم فسد ما بينه وبين ألبتكين فسار الى الاحساء ، وحمل معه الحسن حتى دفنه هناك .

وكان الحسن بن أحمد قصيرا له كرسي من خشب يصعد عليه حتى يركب ، وكان لا يركب من الخيل الا أقواها ، وقال يرد على من عيره بالقصر :

زعموا أنني قصير لعمري ... ما تكال الرجال بالقفزان

انما المرء باللسان وبالقلـ ... ـب وهذا قلبي وهذا لساني

ووقع في[2] آخر يوم من أيام حياته توقيعا[3] بخطه لم يفهم من ضعف يده ، فاستثبت فيه ، فتنبه وقال :

رأوا خطي نحيلاً فاستدلوا ... به أني[4] على جسم نحيل

وقد قرئت سطورهم بحمدي ... ولكن ما اسحدم والذبول[5]

(١) في الاصل : فأخرج ، وهو تصحيف ظاهر .

(٢) في الاصل : لي .

(٣) في الاصل : مرقعا .

(٤) في الاصل : ينبي .

(٥) في الاصل : وقد قريت اسطر بحمدي : ولكن ما اسحدم والذبول . وفي حين كان بالامكان تقويم الشطر الاول من هذا البيت لم أستطع الاهتداء الى وجه او مصدر لتقويم الشطر الثاني .

فمات من يومه ومن شعر الحسن :

زعموا أنني ضئيل لعمري ... ما تكال الرجال بالقفزان
انما المرء باللسان والقلـ ... ـب وهذا قلبي وهذا لساني[1]

وقال يرثي[2] :

أعزز علي بقتله ... لشبابه وأبوته
قد كنت ذا خوف عليـ ... ـه لبطشه وجراءته
وجماله وكماله ... وحيائه ومروءته
وعطائه ووفائه ... وبهائه ورئاسته
وحبائه لعداته ... وجميل وصف سياسته
حاو خصال الخير لم ... يمتن قط ولم يته
فاق المغارب جوده ... فعلا تعالى همته
جاد الإله في عليه في ... الأخرى بسكنى جنته

والقرمطي نسبة[3] الى قرمط ، وهو حمدان بن الاشعث ، وانما سمي قرمطاً، لأنه كان قصير القامة قصير الرجلين ، وكان خطوه متقاربا فقيل له من ذلك قرمط . وقيل بل هو نسبة الى مذهب يقال له القرمطة خارج من مذاهب الاسلام . وقيل لأن صاحب الجمل وصاحب الخال القائمين ببلاد الشام كانا من قيس من بني عبادة ابن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي بن جعفر بن عثمان بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان[4] .

---

(١) انظر سر الفصاحة للامير ابيمحمد عبد الله بنمحمد بن سعيد بن سنان الخفاجي. ط القاهرة ١٩٣٢ . ص ٥٨ .

(٢) في الاصل : يرثي وهو تصحيف .

(٣) في الاصل : نسبك ، وهو تصحيف ظاهر .

(٤) واضح ان المقريزي ينقل هنا من كتاب بغية الطلب لابن العديم ، دون الاشاره اليه ، ذلك انه نادرا ما يشير الى مصادره ، وثبت لدي أن المقريزي قد تملك بعض مجلدات بغية الطلب ، واعتمده في مشروع كتابه المقفى .

ولما نزل الحسن بن أحمد الى الرملة أحضر اليه الفراشون في بعض الليالي الشموع ، فقال لأبي نصر بن كشاجم ـ وكان كاتبه ـ : يا أبا نصر ما يحضرك في صفة هذه الشموع ، فقال : انما نحن في مجلس السيد ، لنسمع من كلامه ، ونستفيد من أدبه ، فقال الحسن بن أحمد في الحال بديها :

ومجدولة مثل صدر القناة ... تعرت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها ... وتاج على هيئة البرنس
اذا غازلتها الصبا حركت ... لسانا من الذهب الأملس
وان رنقت لنعاس عرا ... رقطت من الرأس لم تنعس
ونتنج في وقت تلقيحها ... ضياء يجلي دجى الحندس
فنحن من[1] النور في أسعد ... وتلك من النار في أنحس

فقام أبو نصر ، وقبل الارض وسأله أن يأذن له في اجازة الابيات فأذن له فقال:

وليلتنا هذه ليلة ... تشاكل أشكال اقليدس [٣٤٨ و]
فيا ربة العود حثي الغنا ... ويا حامل الكاس لا تحبسي

فتقدم بأن يخلع عليه ، وحمل اليه صلة سنية والى كل واحد من الحاضرين .
وكتب الحسن بن أحمد الى جعفر بن فلاح :

الكتب معذرة والرسل مخبرة ... والحق متبع والخير موجود
والحرب ساكنة والخيل صافنة ... والسلم مبتذل والظل ممدود
فان أنبتم فمقبول إنابتكم ... وان أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المطايا أو يردن بنا ... دمشق والباب مهدوم ومردود
اني امرؤ ليس من شأني ولا أربي ... طبل يرن ولا ناي ولا عود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة ... وذات دل لها دل وتفنيد
ولا أبيت بطين البطن من شبع ... ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولا تسامت بي الدنيا الى طمع ... يوما ولا غرني فيها المواعيد

---

(١) في الاصل : « في » وهو تصحيف .

ومن مختار شعره :

وله مقلة صحت ولكن جفونها ... بها مرض يسبي القلوب ويتلف
وخد كورد الروض يجنى بأعين ... وقد عز حتى انه ليس يقطف
وعطفه صدغ لو يعلم عطفها ... لكان على عشاقه يتعطف

وقوله :

يا ساكن البلد المنيف تعززا ... بقلاعه وحصونه وكهوفه
لا عز إلا للعزيز بنفسه ... وبخيله وبرجله وسيوفه
وبقبة بيضاء قد ضربت على ... شرف الخيام لجاره وحليفه
قرم اذا اشتد الوغى أردى العدى ... وشفى النفوس بضربه ووقوفه

وقوله :

لم يرض بالشرف التليد لنفسه ... حتى أشاد تليده بطريف
اني وقومي في أحساب قومهم ... كمسجد الخيف في بحبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة ... الا وهمته أمضى من السيف

وكان الحسن بن أحمد يعشق أبا الدواد المفرج بن دغفل بن الجراح فدخل عليه يوما وفي وجهه أثر ، فسأله عنه فقال : قبلتني الحمى • فأنشد :

قبلته الحمى ولي أتمنى ... قبلة منه من زمان طويل
حاجة طالما ترددت فيها ... قضيت للغريب قبل الخليل

وفيه يقول :

هل لنا فرجة إليك ... أيا ابن[1] مفرج
لامني فيك[2] معشر ... هم الى اللوم أحوج
كيف لم يسبهم[3] ... عذارك [وهو][4] المدرج

(1) في الاصل : يا بن ، وهو تصحيف .
(2) في الاصل : منك ، وهو تصحيف .
(3) في الاصل : سهم ، وهو تصحيف .
(4) أضيف ما بين الحاصرتين لتقويم الوزن .

وفي شعر علتـــه :

ولو أني ملكت زمـــام أمري لمـــا قصرت عن طلب النجـــاح
ولكني ملكت فصار حالـــي كحـــال البدن في يـــوم الاضاحـــي
يقـــدن الى الـــردى فيمتن كرهـــا ولـــو يستطعن طرن مـــع الريـــاح

★ ★ ★

طغج ـ ومعناه عبد الرحمن ـ بن جف*

ابن بلتكين بن قوران بن قوردي بن خاقان ، صاحب سرير الذهب ، الامير أبو محمد الفرغاني ، كان أحد قواد الطولونية ، وولي لخمارويه بن أحمد بن طولون دمشق .

وفي امارته ظهر ببلاد الشام رجل زعم أنه علوي ، وأنه المهدي بالله عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وكثير من الناس ينكر هذا النسب ويقول انه ليس بعلوي ، وانه الحسن بن زكرويه بن مهرويه أحد دعاة قرمط ، وكان زكرويه من أهل سواد الكوفة وهو الذي قتل عبدان داعية قرمط ، فلما طلبه الدعاة ليقتلوه بعبدان استتر وتنقل في القرى بالسواد مدة سنة ست وسنة سبع وثمانين ومائتين .

ثم بعث ابنه الحسين في سنة ثمان وثمانين ومائتين الى الشام ومعه أبو الحسين الحسن بن أحمد من القرامطة ، فنزل في بني كلب ، وانتسب الى محمد بن اسماعيل ابن جعفر وادعى أنه الامام ، فاستجاب له فخذ من بني العـلَيص وطائفة من بني الاصبع من كلب ، وبايعوه ، فبعث اليه زكرويه رجلا تلقب بالمدثر ، وتسمى بعبد الله ، وتأول أنه المذكور في القرآن بقوله تعالى : « يا أيها المدثرقم فأنذر » ، ويقال ان هذا الرجل ابن أخت عيسى بن مهرويه ، وضم معه أيضا غلاما من بني مهرويه تلقب بالمطوق ، فكان سيافا ، وكتب معه الى ابنه الحسين بن زكرويه يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره بالسمع والطاعة له ، فتلقاه الحسن بن زكرويه وسر به ، وجمع له الجمع ، وقال : هذا صاحب الامامة فامتثلوا أمره وقالوا له : مرنا بما أحببت ، فقال استعدوا للحرب فقد أظلكم النصر ففعلوا ، وخرج اليهم سبك مولى المعتضد في سنة تسع وثمانين : فقاتلوه وقتلوه بالرصافة غربي الفرات ، وأخذوا الرصافة ونهبوها وتوجهوا

---

* من مجلدة باريس من المقفى .

نحو الشام ينهبون القرى ، فتهاون طغج بهم حتى قدموا أطراف دمشق فخرج اليهم بغير أهبة ولا عدة لاستخفافه بشأنهم ، فلقيوه وهزموه أقبح هزيمة ، وقتلوا كثيرا من رجاله ونزلوا على دمشق، فبعث الى مصر يطلب النجدة، فخرج اليه بدر الحمامي وفائق في جيش كبير ، وسار الى دمشق فخرج اليهم طغج بعدما أقام محصورا من القرامطة سبعة أشهر ، وفني أكثر الناس ، وخرب البلد ، وكان المطوق يحضر الحرب على ناقة ويقول لأصحابه لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فاذا سارت فاحملوا فانه لا ترد لكم راية ، اذ كانت مأمورة ، فسمي صاحب الناقة ، فلما وصلت جيوش مصر اجتمعوا مع طغج على محاربة صاحب الناقة ، وقاتلوه خارج دمشق فقتل بسهم ، ويقال محرقة ، فجالد أصحابه عسكر بدر وطغج حتى انحازوا عنهم ، وساروا عن دمشق فبايعوا الحسن بن زكرويه ، ويقال بل اسمه أحمد بن عبد الله ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فيما يزعم ، ويعرف بصاحب الخال من أجل خال كان في وجهه ، فسار بهم حتى افتتح عدة من مدائن الشام ، وظهر على جند حمص وقتل خلقا من قواد المصريين وأجنادهم وتسمى بأمير المؤمنين ، وزعم أنه المهدي ، وخطب له على المنابر ، وسار نحو الرقة في سنة تسعين ومائتين وقتل عاملها ، ثم عاد الى دمشق ، وجعل ينهب ما مر به من القرى ، ويسبي ويحرق ، فلما قارب دمشق أخرج اليه طغج جيشا كثيفا فهزمه القرمطي ، وقتل أكثر من خرج اليه .

فبلغ ذلك أمير المؤمنين المكتفي بالله ، فندب أبا الأغر السلمي وضم اليه عشرة آلاف من الجند والموالي والاعراب ، وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين ، فسار حتى نزل حلب فوافاهم جيش القرمطي فهزموهم ، وأتوا على عامتهم ، فلم يسلم منهم الا القليل ، ولحق أبو الأغر بحلب ومعه من أصحابه نحو الالف ، فتحصن بها ، فنازله القرامطة ثم رحلوا عنه ولم يظفروا به ، وساروا وقد عظم جمعهم الى حمص ، فخطب له بها وبحماة والمعرة وبعلبك وسلمية بعدما أثخن في القتل ، وأسرف في النهب والسبي والتحريق بعامة البلاد .

فضعف أمر طغج وقلت رجاله وتتابعت الكتب الى بغداد بأن دمشق قد أشفت على الاخذ ، وأشرف أهلها على الهلاك ، فكثر الضجيج ببغداد ومصر ، فأخرج

المكتفي المضارب ورحل من بغداد لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان سنة تسعين ومائتين ، وسار حتى نزل الرقة ، فانبثت جيوشه بين حلب وحمص •

وقلد محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ الطولوني حرب الحسن بن زكرويه ، وهو يومئذ صاحب ديوان العطاء وعارض الجيش بمدينة السلام ، واختار له جيشا كثيفا، فنفذ نحوه بمن معه، وسار اليهم ولقيهم في سادس المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين بالقرب من حماه ، فقتل عامتهم ، وانهزم الحسن بن زكرويه فقبض عليه كما ذكر في ترجمة محمد بن سليمان الكاتب •

ثم سار محمد بن سليمان الى العراق ، وأقام لؤلؤ بدمشق ومعه فائق، فكتبا الى محمد بن سليمان يحثاه على الشام ومصر ، ويعداه القيام معه ، فسار من بغداد في رجب منها حتى أخذ دمشق ، ومضى منها الى مصر ومعه طغج ، فبعثه واليا على قنسرين وضم اليه جمعا من جند بني طولون ، ثم صرف طغج عن قنسرين ومضى الى العراق ، فأقام بها حتى مات سنة عشر وثلاثمائة •

وترك من الاولاد : أبا بكر محمد بن طغج الاخشيد ، وولي مصر وغيرها ، وترك أبا القاسم علي بن طغج ، وأبا المظفر الحسين بن طغج ، وأبا الحسن عبيد الله ابن طغج ، وولي الشام ، وحمل الى المغرب مأسورا •



عبد الله بن علي بن المنجا أبو المنجا القرمطي*

قدم مع الحسن بن أحمد الاعصم القرمطي من الاحساء الى دمشق في ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة ، وتركه على حصار سعادة بن حيان بيافا ومعه ظالم بن مرهوب العقيلي ، وسار الى مصر ، فقابله جوهر القائد وهزمه ، فرحل أبو المنجا وظالم عن يافا ، ونزلا على دمشق ، فاختلف أبو المنجا مع ظالم بسبب أخذ الخراج ، وأراد كل منهما أخذه لينفقه في رجاله ، فقدم الحسن بن أحمد بعد هزيمته من ظاهر القاهرة الى بلده ، ونزل على الرملة ، فلقيه أبو المنجا وعرفه ما جرى بينه وبين ظالم من الاختلاف ، وكان أبو المنجا أثيرا عند الحسن بن أحمد القرمطي ، يولج اليه أموره ويستخلفه على تدبيره ، فقبض على ظالم وحبسه ، فلما انهزم الحسن بن المعز نزل أذرعات ، وأنفذ أبا المنجا في طائفة من الجند الى دمشق ، وكان ابنه واليا عليها ، فوصل دمشق ، واستولى عليها ، وكان ظالم قد تفلت ونزل بعلبك .

فلما رجع الحسن بن أحمد الى الاحساء اتفق ظالم مع أبي محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح على قتال أبي المنجا ، وسار ظالم من بعلبك حتى وافى عقبة دمر ، فخرج اليه أبو المنجا في ألفين من الجند ، فتركه كثير منهم ، ولحقوا بظالم ، فطرق ظالم أبا المنجا بالميدان ، وقبض عليه وعلى ولده بعد أن وقعت فيه ضربة ، وصار جميع من معه الى ظالم ، وملك دمشق في يوم السبت العاشر من شهر رمضان سنة ثلاث وستين ، وسجنه وابنه في عدة من أصحابه ، وأخذ أموالهم .

فنزل أبو محمود على دمشق يوم الثلاثاء ثاني عشر منه ، فسلم اليه ظالم أبا المنجا وابنه ، ومحمد بن أحمد بن سهل النابلسي ، فعمل لكل منهم قفصا من خشب ، وحملهم الى المعز لدين الله ، فقدموا القاهرة لأربع خلون من ذي القعدة ، فطيف بهم على الابل بالبرانس والقيود في نيف وعشرين رجلا من القرامطة خلفهم على الابل ، ثم سجن الجماعة وقتل ابن النابلسي ، فلم يزل أبو المنجا في الاعتقال الى أن أطلق لخمس بقين من المحرم سنة أربع وستين ، هو وابنه ، وخلع عليه وحمل ، وأطلق معه بضعة عشر من القرامطة .

---

* من مجلدة باريس من المقفى .

محمد بن احمد بن سهل بن نصر أبو بكر الرملي المعروف بابن النابلسي*

كان بمصر أيام كافور الاخشيدي ، فلما قدم جوهر خرج منها الى الرملة خوفاً على نفسه لما بدا منه في حق الشيعة من الانكار لمذهبهم .

قال ابن الطحان : حدثونا عنه ، حدث عن أبي جعفر محمد بن شيبان الرملي ، وسعيد بن هاشم بن مَرْثد الطبراني ، وعمر بن محمد بن سليمان العطار ، وعثمان ابن محمد بن علي بن جعفر ، وأبي سعيد بن الاعرابي .

روى عنه تمام الرازي ، وعبد الرحمن الميداني ، وقال : الرجل الصالح الثقة الصدوق ، وأبو الحسن الدارقطني .

وقال أبو ذر الهروي : أبو بكر النابلسي سجنه بنو عبيد وصلبوه على السنة، وسمعت الدار قطني يذكيه ويبكي ويقول : كان يقول وهو يسلخ : كان ذلك في الكتاب مسطورا .

وقال أبو محمد الاكفاني : وفيها — يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة — توفي العبد الصالح الزاهد أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن النابلسي ، وكان يرى قتال المغاربة وبغضهم واجبا ، وكان قد هرب من الرملة الى دمشق فقبض عليه الوالي بها أبو محمد الكتامي صاحب العزيز بدمشق،وأخذه وحبسه في شهر رمضان، وجعله في قفص خشب ، وحمله الى مصر ، فلما حصل بمصر قيل له : أنت الذي قلت : لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة في وجه المغاربة وواحدا في الروم ، فاعترف بذلك ، وقال : قد قلته ، فأمر أبو تميم — يعني المعز لدين الله — بسلخه ، فسلخ وحشي تبنا ، وصلب ، انتهى .

---

* من المقفى مجلدات ليدن ، وجمعت هذه الترجمة من بين أوراق الكتاب المبعثرة، حيث يبدو أن المقريزي كتبها في أكثر من مرحلة .

وكان من خبر أبي بكر النابلسي أن جوهر القائد لما قدم الى مصر وبنى القاهرة جهز القائد جعفر بن فلاح لأخذ الشام ، فقاتل الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة وأخذه ، وعاثت عساكره فيما هنالك ، وتوجه الى دمشق ، فقابله أهلها كما ذكر في خبره .

وقدم الحسن بن أحمد القرمطي باستدعاء أهل دمشق له ، وصاروا في جملته، فمضى الى مصر ، وكان من خبره ما ذكر في ترجمته ، فلما انهزم مضى القائد أبو محمود ابراهيم بن جعفر بن فلاح من قبل المعز لدين الله لأخذ دمشق وبها ظالم ابن مرهوب العقيلي ، وقد غلب أبا المنجا خليفة القرمطي وأخذ منه دمشق ، وسجنه هو وابنه وعدة من أصحابه القرامطة ، وصار النابلسي الى دمشق فراراً من القائد أبي محمود عندما استولى عليها ، وقد كان النابلسي قام بالرملة عند ورود القرمطي، ودعا الى قتال المعز .

فلما نزل أبو محمود على دمشق لثمان بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، قبض ظالم بن مرهوب على النابلسي ، وخرج به ومعه أبو المنجا نائب القرمطي على دمشق وولده الى أبي محمود ، فجعل كل واحد منهم في قفص من خشب وحملهم الى المعز .

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله ، أبي تميم معد : ولأربع خلون من ذي القعدة ــ يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ــ وصل ابن النابلسي وأبي المنجا وابنه ونيف وعشرين رجلا من القرامطة ، فطيف بهم على الابل ، بالبرانس والقيود، وكان ابن النابلسي ببرنس مقيد على جمل خلفه رجل يمسكه والناس يسبونه ويشتمونه ويجرون برجله من فوق الجمل ، واشتغلوا بسببه عن الذين كانوا معه ، فلما فرغ التطواف وردوا الى القصر عدل بأبي المنجا وابنه ومن معهما من القرامطة الى الاعتقال ، وعدل بابن النابلسي الى المنظر ليسلخ ، فلما علم بذلك رمى نفسه على حجارة ليموت ، فرد وحمل على الجمل ، فعاد ورمى نفسه فرد وشد ، وأسرع به الى المنظر فسلخ ، وحشي جلده تبنا ، ونصبت جثته وجلده على الخشب عند المنظر .

وروى الحافظ السلفي عن محمد بن علي الانطاكي قال : سمعت ابن الشعشاع المصري يقول : رأيت أبا بكر النابلسي بعد ما قتل في المنام وهو في أحسن هيئة،فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال :

حباني مالكي بدوام عز ... وواعدني بقرب الانتصار
وقربني وأدناني اليه ... وقال أنعم بعيش في جوار

وقال القراب عن الماليني : وكان — يعني النابلسي — نبيلا جليلا ، رئيس الرملة كثير الحديث ، هرب الى دمشق ، فأخذ وسلخ وصلب بمصر .

★ ★ ★

محمد بن سليمان الكاتب

أبو علي بن المُنْفِق ، كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون* .

ولما قام صاحب الجمل بدمشق ، وهو أحمد بن الحسين بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق ، وقيل اسمه غير ذلك ، وجمع الناس ، وحارب طغج بن جف أمير دمشق الى أن قتل ، وقام من بعد صاحب الخال ، وهو علي بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وقيل في اسمه ونسبه غير ذلك ، وبايعه القرامطة بعد قتل صاحب الجمل ، وأخذ عدة من مدائن الشام ، وتلقب بأمير المؤمنين المهدي ، وأخذ عامل الرقة ، ثم هزم أبا الأغر السلمي قائد عساكر المكتفي بالله، أبي محمد علي بن المعتضد بالله ، وأخذ حمص وأكثر من القتل ، وأسرف في النهب ، وكثر الضجيج ببغداد ، واجتمع الناس بسبب ذلك .

فأمر المكتفي بالاستعداد ، وأخرج القواد والجند ، ثم خرج وسار من بغداد لاثنتي عشرة خلت من رمضان سنة تسعين ومائتين ، حتى نزل الرقة ، وقلد محمد بن سليمان حرب القرمطي ، وهو يومئذ عارض الجيش ، وصاحب ديوان العطاء، واختار له جيشا كثيفا ضمه اليه ، فنفذ بالجيوش نحوه ، فلما دخلت سنة احدى وتسعين كتب الوزير أبو الحسن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الى محمد بن سليمان الكاتب بمناهضة القرامطة ، فسار اليهم ، والتقى الجمعان يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم على اثني عشر ميلا من حماه ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجالهم .

وبات محمد بن سليمان خارج العسكر متيقظا حتى أصبح خوفا من حيلة تقع، وكان القرمطي قد تخلف في السواد ، فلما انهزم أصحابه ارتاع لذلك ، ورحل من وقته خوفا من الطلب ، ولحق به من أفلت ، فاستخلف عليهم بعض ثقاته ، وأوهمهم أنه يسير الى بغداد ليأخذوها فانها خالية من العساكر ، وأهلها قد بعثوا اليهم كتبهم

* من المقفى مجلدات ليدن .

يطلبونه ، وسار عنهم في طائفة ، وسلك البر حتى نزل بالدالية ، وهي قرية من عمل الفرات ، فقبض عليه ، وحمل الى المكتفي بالرقة ، وقدم محمد بن سليمان بالجيوش الى الرقة بعد أن تتبع القرامطة ، وقتل وأسر منهم بشرا كثيرا ، فخلفه المكتفي على العساكر وعاد في خاصته وغلمانه من الرقة الى بغداد ، وتبعه وزيره القاسم بن عبيد الله ، وحمل القرمطي ومن أسر في الوقعة أول يوم من صفر ، فدخل بغداد وشهرهم .

ثم وصل محمد بن سليمان في الجيش ، وقد تلقط بقايا القرامطة من كل وجه ، فنزل خارج بغداد ليلة الخميس ثاني عشر ربيع الأول،وأمر المكتفي القواد وأصحاب الشرط بتلقيه والدخول معه ، فدخل في زي حسن ومعه وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، واتته الخلع فلبسها ، وطوق بطوق من ذهب ، وسور سوارين من ذهب ، وخلع على جميع من كان معه من القواد وطوقوا وسوروا ، فلما كان يوم الاثنين لأربع بقين من ربيع الاول المذكور أمر المكتفي القواد وجميع الغلمان ، وصاحب جيشه محمد بن سليمان ، وصاحب شرطته ، أن يحضروا قتل القرامطة فقتلوا ...



العسجد المسبوك

فيمن

ولي اليمن من الملوك

الفصـــل السادس (1)

فـــي

ذكر القرامطة باليمن وذكر علي بن الفضل وبدو أمره (2)

المقالة في اصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها

قال علماء السير والتواريخ : كان علي بن الفضل شيعيا ، على مذهب الاثني عشرية ، فاتفق أنه حج مكة في بعض السنين ، ثم خرج يريد العراق ، قاصدا زيارة قبر الحسين بن علي ، عليهما السلام ، فلما وصل الى العراق ، وزار قبر الحسين عليه السلام ، بكى بكاء شديدا عنده وترحم عليه ، واستغفر له ، وأظهر مـن التأسف والكآبة عليه ما أطمع ميمون القداح(3) في اصطياده ، وكان ميمون القداح يخدم

---

(1) من ص ٣٥ ــ ٤٣ من نسخة الجامع الكبير ومن ص ٣٦ ــ ٤٨ من نسخة مكتبة الحرم المكي .

(2) تحسن مقارنة رواية الخزرجي مع ما ذكره القاضي النعمان في رسالة افتتـاح الدعوة ٣٢ــ٥٤، والحمادي في كشف أسرار الباطنية ٣٥٩ ــ ٣٧٩ . ويلاحظ أن هناك فوارق بين روايـة الخزرجي من جهـة ورواية كل من القاضي النعمـان والحمادي من جهة ثانية، فرواية الخزرجي تمثل وجهةنظر يمانيةغير اسماعيلية، بينما رواية القاضي النعمان اسماعيلية فاطمية، ورواية الحمادي نهلت منمصادر اسماعيلية صليحية يمانية ، كما انه من الملاحظ أن القاضي النعمان مر بذكر علي ابن الفضل مرور الكرام ، على حين أولته الروايات اليمانية عظيم الاهتمام .

(3) هو الامام الاسماعيلي لوقته كما جاء في رسالة افتتاح الدعوة : ٣٣ ــ ٣٧ ، ولعله تظاهر باسم ميمون تمويها وتسترا ، مما جعل الامر يلتبس على الرواة وسواهم ، علما بأن بعض المصادر الاسماعيلية تجعل ميمون وأولاده مـن بعده حججـا او حجابا للأئمـة .

الضريح ، هو وولده عبيد الله ، ولا يكاد يفارقانه ليلا ولا نهارا ، وولده عبيد الله[1] هو جد العبيديين، الذين ملكوا مصر ــ وقد تقدم ذكرهم في القسم الاول في الكتاب في الباب الرابع منه ...

فلما رأى ميمون ما ظهر من علي بن الفضل من التأسف ، والبكاء ، طمع في اصطياده ، فخلا به وحادثه ، فوجده مائلا الى مذهبهم ، مع ما تبين له فيه من النجابة والشهامة ، وكان ميمون منجما له معرفة بعلوم الفلك ، فرأى أنه سيكون له أمر عظيم ، وكان قد شهر له علمه ، أنه سيكون لابنه عبيد الله شأن عظيم ، يفضي به الى الملك،وأن عقبة يتوارثون ملكه بعده ، دهراً طويلاً،وبعد عليه وجه اتصاله بالملك .

وكان على ما حكاه بعض العلماء يهوديا ، فركبه الاسلام ، فلم ير بدا من الدخول فيه ، فتظاهر بالاسلام ، فقدم مشهد الحسين ، وادعى أنه من ولده ، والعلماء من العلويين وغيرهم ينكر نسبه الى أهل البيت ، وقد تقدم في صدر كتابنا هذا ، في القسم الاول ، من الباب الرابع منه ، ذكره مستوفى ، واختلاف القائلين فيه ، والله أعلم .

---

(١) مؤسس الدولة الفاطمية ، كان اسمه بعد إعلانه أول خليفة فاطمي عبد الله، وقد لقب بالمهدي « والمهدي عند الاسماعيلية على عكس ما لدى العباسيين ، اسمه مثل اسم أبي النبي ﷺ » ومعروف أن اسم عبيد الله هو مصغر عبد الله ، ومن المعلوم ان في التصغير تحقير ، فالسلطات العباسية لم تكتف بالطعن في نسب المهدي بل سعت الى تحقيره بتصغير اسمه ومؤكد أن اسم المهدي في المصادر الاسماعيلية ، وفي الكتابات التاريخية المعاصرة له ثم على الصنوج والنقود هو عبد الله ، وقد رايت في القيروان دينارين ذهبيين من دنانير المهدي ، ضربا فيها الاول سنة ٣٠٢ هـ/والثاني سنة ٣٠٤ هـ/٩١٦ م ونقشهما :

الامام	عبد الله
لا إله إلا الله	محمد رسول الله
وحده لا شريك	
لـه	
المهدي بالله	أمير المؤمنين

وكان قد قدم عليه رجل من ولد عقيل بن أبي طالب ، يقال له « منصور بن حسن »[1] ، وكان اثني عشري المذهب أيضا ، وفيه من العقل ، والفطنة ، والذكاء ، والدهاء ما لا مزيد عليه ، فلما قدم علي بن الفضل ، ورأى فيه [ما رأى] من النجابة، جمعهما ميمون القداح ، وباح لهما ما عنده من المذهب ، وأخبرهما أن ابنه امـام الزمان ، وأنه لا بد له من دعاة ، وذلك بعد أن أخذ عليهما العهود والمواثيق •

فأجاباه الى ما يريد ، ثم قال لهما : اعلما أن الايمان يمان ، والحكمة يمانية[2]، وكل أمر يكون مبدأه من اليمن ــ أو من قبل اليمن ــ فهو ثابت لثبوت نجمه ، وكان منصور قد عرف من ميمون اجابات كثيرة، وأجابه الى ذلك ، ووافقهما علي بن الفضل ، فعاهد بينهما ، وأوصى كل واحد منهما بصاحبه ، ثم قال المنصور : الله ، الله في صاحبك ، احفظه وأحسن اليه ، وامره بحسن السيرة ، فانه شاب ، ولا آمن عليه، وقال لعلي بن الفضل : الله ، الله في صاحبك ، وقره ، واعرف حقه ، ولا تخرج عن أمره ، فانه أعرف منك بي ، فان عصيته لم ترشد •

فسارا الى اليمن ، وكان دخولهما اليمن عقيب قتل محمد بن يعفر[3]،واختلاف آل يعفر ، فافترقا من[4] غلافقه ، فقدم منصور لاعة[5] عدن ، وبذلك أمره ميمون

---

(١) هو عند القاضي النعمان : ٣٢ : « أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي ، وسمي بالمنصور باليمن ، لما اتيح له من النصر ، وكان اذا قيل له ذلك ، قال لهم : المنصور امام من ائمة آل محمد ﷺ » .

(٢) في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ــ ط. بيروت ١٩٦٧ : ١٠/٥٥ « بينما النبي ﷺ في المدينة اذ قال : الله اكبر اذا جاء نصر الله والفتح ، وجاء أهل اليمن ، قوم نقية قلوبهم ، حسنة طاعتهم ــ أو كلمة نحوها ــ الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » . هذا ويمكن ادراج هذا الحديث ضمن أحاديث فضائل البلدان ، وجلها موضوع .

(٣) عند القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « فدخلا اليمن أول سنة ثمان وستين ومائتين » انظر غاية الاماني في أخبار القطر اليماني ــ ط.القاهرة ١٩٦٨: ١٦٤/١ ــ ١٦٥ . الاعلام للزركلي .

(٤) بلد على ساحل اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد ، بينها وبين زبيد خمسة عشر ميلا ، كانت ترفأ اليها سفن البحر القاصدة لزبيـد ــ معجم البلـدان ــ وتعرف الآن بغليفقة .

(٥) هي اليوم أطلال وخرائب ، تقع في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ثلاثـة أيام منها . انظر تاريخ اليمن لعمارة بن علي ــ ط ثالثة ١٩٧٨ : ٦١ ــ ٦٢ .

القداح ، وقصد علي بن الفضل شرف يافع[1]، وأقام كل واحد منهما في ناحيته التي هو فيها ، يظهر الزهد ، والتقشف والورع ، والصلاح ، حتى صار كل واحد منهما مسموع القول في ناحيته لما ظهر من ظاهر أمره ، ثم أمر كل واحد منهما من حوله من أهل ناحيته بجمع زكواتهم ، فاجتمع من ذلك لكل واحد منهما مال عظيم ، فقال منصور بن حسن لمن حوله : أريد موضعا يكون بيت مال المسلمين ، فسارعوا الى قوله ، وبنوا له موضعا يسمى عثر محرم ، وهو حصن كان لقوم يقال لهم بنو العرجاء[2] ، تحت مسور[3] ، فلما حصنه ، نقل ما كان عنده من دراهم وطعام ، وجمع من رجال الحرب نحوا من خمسمائة رجل ، فعاهدهم على القيام بدعوة الامام المهدي ، الذي بشر به النبي ﷺ ، وانتقلوا اليه بأموالهم وأولادهم ، واستوطنوا الحصن .

وأنكر الناس ذلك ، فقال لهم : انما تحصنت من السلطان ، فلم يقبلوا قوله وقاتلوه ، فهزمهم هزيمة شديدة فعظم شأنه ، وشاع ذكره ، وعمل لنفسه طبولا ورايات ، وأظهر مذهبه ودعا الى المهدي وقال : ما أخذت هذا بحالي ولا برجالي ، وانما أنا داعي المهدي ، فانهمك اليه عامة الناس ، فدخلوا في مذهبه .

ثم سمت همته الى ارتكاب جبل مسور ، فأعد له الرجال والعدد ، ثم عامل عشرين رجلاً في المرتبين في حصن مسور[4] ، فجمع جموعه ، وطلع الجبل في وقت

(١) الشرف هو ما يشرف منه على غيره . انظر صفة الجزيرة : ١١٣ ــ ١١٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي : ٦٣ .

(٢) كان عند الحمادي : ٣٦٣ « عبر محرم ، وهو جبل تحت مسور ، وهو موضع بنى العرجاء قوم من سلاطين المغرب وهمدان » غاية الاماني : ١/٢٠٢ « عين ولم أجد أي منهما في المصادر ، فذهبت الى أنه تصحيف لعل صوابه ما أثبت . انظر صفة الجزيرة : ٢٤٨ . معجم البلدان ــ مادة عثر ــ تاريخ المستبصر لابن المجاور : ١٨٤ . سيرة الهادي الى الحق : ٣٩٤ ــ ٣٩٨ .

(٣) انظر صفة الجزيرة . ط. بيروت : ٢٤٩ ــ معجم البلدان . تاريخ اليمن لعمارة ابن علي ٢٣٤ ــ ٢٣٥ .

(٤) كان اسم حصن جبل مسور « فايز » وهو من امنع حصون اليمن ، كشف أسرار الباطنية ٣٦٣ . وقد ورد اسمه عند الهمداني في الاكليل ٢/٨٢ . صفة الجزيرة ٢٦٧ « فائس » بالسين المهملة، ولا فرق فمخرج السين والزاي فيه تقارب كبير .

معلوم ، ففتح له أولئك العشرون ، وقال : « ادخلوها بسلام آمنين » ، وكان طلوعه في ثلاثة آلاف رجل ، وكانت طبوله ثلاثين طبلا ، اذا ضربت سمعت من المواضع البعيدة ، وآمن مستحفظ الحصن ، ومن معه وكان معه مال عظيم للحواليين[1] ، فلم يعرض له ، وعمر بيت ريب[2] ، وجعله دار الامارة ، وحصنه وحصن سائر الجبل ودربه من كل ناحية ، وجعل له بابين ، ولم تزل عساكره تغير على القبائل التي حوله، حتى أبادهم، وأخذ أموالهم، وملك جميع تلك المخاليف، وسار الى بلد بني شاور، فافتتحها ثم خرج الى ناحية شبام[3] ، فحارب الحواليين ، فكسروه وقتلوا طائفة من عسكره، ثم عامل رجلا من مواليهم ، كان مستحفظا على حصن الضلع ، وسار نحو الحواليين فهزمهم ، وغنم جميع ما كان لهم بشبام ، فنقله الى مسور ثم خالف عليه ذلك المولى، الذي عامله على الحصن ، وندم على ما فعل واستدعى العساكر من صنعاء ، فكبسوه الى شبام ، فخرج منهزما الى مسور ، وترك كل ما كان له هنالك ، وكتب الى ميمون القداح ، وولده عبيد الله ، يخبرهما بالفتح الذي فتح الله عليه من البلاد ، وبعث هدايا من طرف اليمن ، وذلك في سنة تسعين ومائتين ، والله أعلم .

وأما علي بن الفضل ، فهو رجل من أهل اليمن ، خنفري النسب ، من ولد خنفر بن سبأ بن صيفي بن زرعة بن سبأ الاصغر ، وكان ساقطا في أول عمره ، مغمورا لا شهرة له[4] ، الا أنه كان أديباً ذكياً شجاعاً ، جريئا لسنا فصيحا ، ورحل من اليمن الى الكوفة كما ذكرنا ، وتعلم مذهب الاسماعيلية ، ورجع الى اليمن داعية ، هو ومنصور بن حسن ، فافترقا من غلافقة ، فطلع علي بن الفضل الى الجند[5]، ثم خرج

---

(١) اي آل يعفر انظر غاية الاماني ١/١٦٤ — ١٦٥ .

(٢) انظر وصفه في صفة الجزيرة ٣٢٥ ، معجم البلدان .

(٣) اي شبام حمير . انظر كشف أسرار الباطنية ٣٦٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٦٥ . حيث وصفه بقوله : منيع جدا وفيه قرى ومزارع وجامع كبير ، وهو عمل مستقل بنفسه . انظر أيضا تاريخ المستبصر لابن المجاور ١٨٤ .

(٤) وصفه القاضي النعمان — رسالة افتتاح الدعوة ٣٨ — ٣٩ : « شاب جميل من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار » . هذا وهناك خلاف حول أصله ونسبه ، انظر الحمادي ٣٥٩ ، مع رسالة افتتاح الدعوة، وتاريخ اليمن لعمارة بن علي ٥٨—٦٥.

(٥) كانت احدى مدن اليمن الكبرى ، وفيها اسس الصحابي معاذ بن جبل أول مسجد اسلامي في اليمن . انظر صفة الجزيرة ١٤٤ . تاريخ ابن المجاور ١٦١ . تاريخ اليمن لعمارة ٥٠ .

منها الى أبين ، ثم خرج الى يافع ، فوجدهم رعاعا ، فجعل يتعبد في بطون الاودية ، ويأتونه بالطعام ، فلا يأكل منه شيئا ، وان أكل منه أكل شيئا يسيرا ، وكان قد أقام في رأس جبل متخلياً بزعمه للعبادة ، وكان يريهم أنه يصوم النهار ، ويقوم الليل فأحبوه وافتتنوا به ، وجعلوا أمرهم بيده ، وسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن معهم ، فقال : لا أفعل ذلك ، الا أن تأتمروا بالمعروف ، وتنتهوا عن المنكر ، وتتوبوا الى الله من سائر المعاصي ، وتقبلوا على طاعة الله ، فأجابوه الى ذلك ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق ، بالسمع والطاعة له ثم أمرهم بعمارة حصن في ناحية الشرف ، ففعلوا فأنهبهم أطراف البلاد ، وأراهم أن ذلك جهاد في سبيل الله للعاصين ، حتى يدخلوا في دين الله طوعا وكرها،وكان يومئذ فيلحج وأبين رجل يعرف بابن أبيالعلاء، من الاصابح ، مالكا لهما ، فقصده ابن الفضل بمن سمعه من يافع وغيرهم ، فهزمه ابن أبي العلاء ، وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً ، وانهزم علي بن الفضل الى صهيب[1]، واجتمع أصحابه المنهزمون جميعا ، فقال لهم : انني أرى رأيا صائبا ، فقالوا : وماهو؟ قال : اعلموا أن القوم قد أمنوا منا ، وأرى أن نهجم عليهم • فانا نظفر بهم ، فوافقوه الى ما يريد ، فلم يشعر ابن أبي العلاء الا وهو معه يختفر على حين غفلة ، وافتراق من أصحابه ، فقتل ابن أبي العلاء ، وطائفة كثيرة من أصحابه واستباح ما كان لهم ، ووجد في الخزانة التي لابن أبي العلاء ، سبعين بدرة ، والبدرة عشرة آلاف درهم ، الجملة سبعمائة ألف درهم ، وعاد الى بلد يافع ، فعظم شأنه ، وشاع ذكره[2] .

ثم قصد المذيخرة[3] في سنة احدى وتسعين ومائتين ، وبها جعفر بن محمد المناخي ، وهو الذي ينسب اليه مخلاف جعفر ، وكان قد كتب اليه : بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموالهم ، وانما قمت لاقامة الحق ، واماتة الباطل ، فادفع لأهل دلال[4] دية ما قطعت من أموالهم ، وكان جعفر قد قطع منهم على حجر في المذيخرة ثلاثمائة يد ، ولم يزل أثر الدم على تلك الحجر زمانا طويلا .

---

(١) انظر صفة الجزيرة ٧٩ .

(٢) انظر الحمادي ٣٦٤ — ٣٦٥ .

(٣) انظر صفة الجزيرة ١٠٢ — ١٠٣ . الحمادي ٢٩ . تاريخ اليمن لعمارة ٦٤ . تاريخ المستبصر لابن المجاور ١٨٣ — ١٨٤ .

(٤) انظر صفة الجزيرة ١٣٣ . الحمادي ٣٦٥ .

ثم ان علي بن الفضل جمع جموعه ، وسار نحو المعافر[1] ، وهي ما بين ذبحان وجبأ[2] ، وجمع المناخي جموعه ، وسار نحوه ، فازم هو وأصحابه نقيل البودان[3]، وقاتلوه هنالك ، فانهزم علي بن الفضل وأصحابه : وعادوا الى بلد يافع ، وكانت الوقعة يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ثم قصدوا بجموعهم مرة أخرى المذيخرة يوم الاربعاء ، لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فأخذها وأخذ حصن التَعْكَر ، وانهزم جعفر بن ابراهيم المناخي الى تهامة ، فيقال انه بلغ لقريب من وادي زبيد ، فأمده صاحب زبيد بجيش كثيف .

فخرج جعفر بن ابراهيم يريد المذيخرة ، فلقيه علي بن الفضل في جموعه ، فكان بينهما وقعة مشهورة بوادي نخلة ، وفيها قتل جعفر بن إبراهيم بأكمة جوالة[4] ، هو وابن عمه أبو الفتوح ، وكانت الوقعة يوم الجمعة آخر جمعة من رجب من السنة المذكورة ، ودخلت رؤوسهم المذيخرة ، يوم السبت أول يوم من شعبان ، فقويت شوكة القرامطة ، واستولى علي بن الفضل على بلاد المناخي ، وجعلها مستقر ملكه ، وكانت دولة جعفر بن ابراهيم المناخي من سنة تسع وأربعين الى سنة اثنتين وتسعين ، ثلاث وأربعون سنة[5] .

ثم سار علي بن الفضل الى بلد يحصب[6] فدخل منكث[7] فأخربها فلما صار بذمار وجد جيشا عظيماً بهران[8] من أصحاب الحوالي ، فكتب الى والي هران يستميله ، فأجابه ، ودخل في ملته ، ثم قصد صنعاء ، فهرب منه أسعد بن أبي يعفر ، فلما صار علي بن الفضل في صنعاء ، أظهر مذهبه الخبيث ، ودينه المشؤوم، وارتكبت

---

(١) انظر صفة الجزيرة ٢٠٧ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٥٠ .
(٢) انظر صفة الجزيرة ٢٠٧ — ٢١٠ .
(٣) انظر صفة الجزيرة ١٠٢ — ١٠٤ ، ٤١٩ .
(٤) انظر صفة الجزيرة ١٣١ حيث أورد الهمداني ان جوالة من حصون المنطقة .
(٥) انظر الحمادي ٣٦٦ — ٣٦٧ .
(٦) انظر معجم البلدان — مادة يحصب .
(٧) انظر صفة الجزيرة ٧٩ . معجم البلدان .
(٨) من حصون ذمار : صفة الجزيرة ١٤٩ . معجم البلدان .

محظورات الشرع ، وادعى النبوة ، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه : أشهد أن علي بن الفضل رسول الله ، وأباح لأصحابه شرب الخمر ، ونكاح البنات والأخوات ، وسائر المحرمات ، وأنشد :

خــذي الــدف يا هذي والعبي وغنــي هزاريك ثــم اطربي
تولــى نبي بنــي هاشــم وهــذا نبي بنــي يعــرب
لكــل نبــي مضى شرعــه وهــاتا شريعــة هــذا النبي
فقــد حط عنــا فروض الصــلاة وحــط الصيام ولــم يتعب
اذا الناس صلوا فلا تنهضي وان صومــوا فكلي واشربــي[1]
ولا تمنعني نفسك المعرســين مــن الأقربــين أو الأجنبي
فلــم ذا حللت لهــذا الغريب وصــرت محرمــة للأب
أليس الغــراس لمــن ربــه وسقــاه في الزمن المجــدب
وما الخمــر الا كمــاء السما حــلال فقدست من مذهب[2]

★ ★ ★

وصلي الهي علــى أحمــد وأخزي الفويسق من يعرب
وحــرم عليــه جنان النعيم فقــد بــاح بالكفر لــم يرقب[3]

ولما علم المنصور بن الحسن ، بدخول علي بن الفضل صنعاء ، سره ذلــك ، وتجهز بالمسير اليه ، والتقيا ، أقاما أياما ، وابن الفضل يوجه منصورا ، ويقول : انما أنا سيف، من سيوفك ، وكان منصور بن حسن يهاب علي بن الفضل ، ويخافه لما يرى من شهامته وصرامته .

---

(۱) زاد الحمادي بعد هذا البيت ، البيت التالي :

ولا تطلبي السعي عنــد الصفا ولا زورة القبــر في يثــرب

(۲) انظر الحمادي ٣٦٩ . وما صنعه علي بن الفضل يمكن اعتباره اعــلان للقيامــة ، وهو أمر عرفنه العقيدة الاسماعيلية،انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة ٨٧ـ٨٨.

(۳) لا ندري ناظم هذين البيتين أهو الخزرجي أم أحد النساخ ؟

ثم عزم علي بن الفضل على نزول تهامة ، فنهاه صاحبه منصور ، وقال له : الصواب أن تتأنى وتقف بصنعاء ، وأنا بشبام سنة حتى نصلح جميع ما استفتحناه ، فلم يقبل منه ، فجمع ثلاثين ألفاً ما بين فارس وراجل ، وسار على الطريق اللجب[1]، فلما توسط مضائق البلاد ، ثاروا عليه ، ولزموا الطريق ، فلم يقدر على التخلص ، فلما علم منصور بن حسن ، جمع جموعه ، وسار نحوه ، فاستنفذه وعاد الى صنعاء ، ورتب بها ، وسار الي حراز[2] ، وملحان[3] ، ونزل المهجم[4]فقتل صاحبها ، ثم سار الى الكدراء ، فأخذها ، وسار الى زبيد ، فهرب صاحبها اسحق بن ابراهيم بن محمد ابن زياد ، فهجم على من فيها ، فقتلهم واستباحهم ، وسبى من زبيد أربعة آلاف عذراء ثم خرج منها ، فلما صار في موضع يسمى المشاحيط ، جمع جنده ، وقال : ان هؤلاء النسوان يشغلنكم عن الجهاد ، ونساء الحصيب فتنة، فاذبحوا مافي أيديكم منهن ، وتجردوا للجهاد ، فذبحوا أربعة آلاف عذراء في ساعة واحدة، فسمي الموضع المشاحيط[5] ، ثم رجع الى المذيخرة ، وقد جعلها دار مملكته ، وأمر بقطع الحج .

ثم ان أهل صنعاء استدعوا الامام الهادي[6] ، وكان مقيما بصعدة فسار اليهم ووجه ابنه أبا القاسم، المرتضى محمد بن الامام الهادي الى ذمار ومخاليفها ،فاستعمل العمال ، ثم تعاظم أمر القرامطة ، وقصدوا أبا القاسم المرتضى الى ذمار ، فخرج من ذمار الى أبيه ، وكان بصنعاء وذلك في سنة أربع وتسعين ومائتين .

ثم ان موالي بني يعفر : الحسن بن كيالة ، وابن جراح جمعوا جموعهم لحرب الامام الهادي ، فندب أهل صنعاء لحربهم ، فتخاذلوا عنه ، فخرج من صنعاء الى صعدة ، فدخل أسعد بن يعفر صنعاء ، فملكها[7] .

---

(١) اللحب الطريق الواضح ـ القاموس .
(٢) مخلاف قرب زبيد ـ معجم البلدان .
(٣) انظر صفة الجزيرة ١٤٤ ـ ١٤٥ ـ معجم البلدان .
(٤) انظر صفة الجزيرة ٢٥٨ ـ ٢٠٩ ـ معجم البلدان .
(٥) انظر الحمادي ٣٧٠ـ٣٧١ حيث ذكر بأن المكان كان اسمه قبل المذبحة : الملاحيط ثم تحول بعدها الى المشاحيط .
(٦) لقد سبق لي ان نشرت سيرة الهادي الى الحق ـ بيروت ١٩٧٢ : ٢٢٥ .
(٧) انظر سيرة الهادي ٢٩٠ . غاية الاماني ١٩٨/١ .

ثم ان ذا الطوق[1] اليافعي ، أحد قواد علي بن الفضل ، قصد ابن الروية المذحجي الى ذمار ، فهرب منه الى رداع[2] ، وجمع عشيرته فقصده ذو الطوق الى رداع ، فقتله ثم سار ذو الطوق نحو صنعاء ، فلقيه أسعد بن أبي يعفر في جمع من أصحابه وغيرهم فقاتله ذو الطوق فهزمه ، وقتل من أصحابه نحوا من ثلاثمائة رجل ، ومن سائر جمعه عدة ودخل ذو الطوق صنعاء فملكها .

واستدعى أهل صنعاء الامام الهادي أيضا ، فنهض نحوهم ، وبعث مقدمة من عسكره عليها علي بن أبي جعفر العلوي ، والدعام بن ابراهيم وسار بعدهم ولده المرتضى في جيش آخر ، فخرجت القرامطة من صنعاء ، ودخلها المرتضى محمد بن الامام الهادي ، فأقام فيها زمانا ، حتى جاءته القرامطة ، بما لا قبل له به ، فخرج من صنعاء ، وخرج معه جيش عظيم ، فلقيهم الهادي بورور[3] ، وقد انتشر ذكر القرامطة في البلاد ، فعادوا جميعا الى صعدة ، ولم يلبث الامام الهادي أن توفي ، وكانت وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين[4] .

ولما انتشرت القرامطة باليمن[5] ، وعظم أمرهم ، جمع آل يعفر مواليهم ، ومن قدروا عليه ، وقصدوا القرامطة الى صنعاء ، فقتلوا بعضهم وهرب الباقون ، ودخل أسعد بن أبي يعفر صنعاء ، وملكها .

ثم قصد علي بن الفضل صنعاء ، سنة تسع وتسعين ومائتين ، فدخلها يوم الخميس لثلاث مضين من رمضان المعظم ، من السنة المذكورة ، وخرج أسعد منها هاربا ، فرتب عليها ابن الفضل من يحفظها .

ولما رأى علي بن الفضل أنه قد استحكم له أمر اليمن ، خلع طاعة عبيد الله المهدي ، ثم كاتب صاحبه منصور بن حسن بذلك ، فعاد جوابه يعاتبه ، ويقول :

---

(١) مما يثير الانتباه أن أحد المقربين من صاحب الخال ، امام قرامطة الشام عرف باسم المطوق .
(٢) انظر صفة الجزيرة ٨٠ — ٨١ .
(٣) انظر صفة الجزيرة ٢٤١ .
(٤) انظر سيرة الهادي ٣٩٤ — ٣٩٧ .
(٥) في نسخة الحرم : البلاد .

كيف تخلع من لم تنل خيرا الا به ، وببركة الدعاء اليه ، أما تذكر ما بينك وبينه من العهود والمواثيق ، وما أخذ علينا جميعا من الوصية بالاتفاق ، وعدم الافتراق ، فلم يلتفت اليه فكتب اليه علي بن الفضل كتاباً ، يقول فيه : ان لي بأبي سعيد الجنابي[1] أسوة ، وقد دعا الي نفسه ، وأنت ان لم تدخل في طاعتي نابذتك بالحرب .

فلما ورد كتابه على منصور بذلك غلب على ظنه صحته ، فطلع جبل مسور ، وحصنه من كل ناحية ، وقال : انما أحصن هذا الجبل من أجل هذا الطاغية وأمثاله، ولقد عرفت الشر في وجهه يوم اجتمعنا بصنعاء ، ثم ان علي بن الفضل سار لحرب منصور بن حسن ، وانتدب لقتاله عشرة آلاف رجل من المعروفين بالشجاعة والاقدام في عسكره ، وحصره ثمانية أشهر ، فلم يظفر منه بطائل ، وشق به الوقوف ، فراسله منصور بالصلح ، فقال لا أفعل الا أن يرسل لي بعض ولده ، يقف مني على الطاعة ، ويشيع عند العالم أني إنما تركته تفضلاً لا عجزاً،فأرسل منصور بعض أولاده،فطوقه علي بن الفضل طوقا من ذهب ، وسار به معه الى صنعاء ، فأقام بها أياما .

وكان أسعد بن أبي يعفر ، ومولاهم الحسن بن كيالة بذمار ، فلما توجه علي ابن الفضل نحو المذيخرة ، وثب أسعد بن أبي يعفر على الحسن بن كيالة ، فقتله ، فاصطلح هو وعلي بن الفضل ، فولاه صنعاء ، وخطب له ، ولبس البياض[2] ، وقطع ذكر بني العباس ، وتراجع أهل صنعاء ، وأمن الناس .

وكان أسعد بن أبي يعفر حذرا من غدره ، ولا يكاد يستقر بصنعاء خوفا من غارة تهجم عليه ، وكان عنوان كتابه ، اذا كتب : من باسط الارض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل ، الى عبده فلان ـــ وكفى بهذا دليلا على كفره .

وفي مدة نيابة أسعد بن أبي يعفر ، لعلي بن الفضل ، قدم رجل غريب من أهل بغداد ، يذكر أنه شريف ، فصحبه أسعد بن أبي يعفر واختص عنده مدة ، وكان جرائحيا ماهرا في عمل الادوية ، بصيرا بفتح العروق ، ومداواة الجرحى ، فلما رأى شدة خوف أسعد من علي بن الفضل ، قال له : قد عزمت على أن أهب نفسي لله

---

(١) مؤسس دولة قرامطة البحرين تقدم ذكره. انظر تاريخ أخبار القرامطة ١٥ــ١٧ . كشف أسرار الباطنية ٣٥٩ . تاريخ العرب والاسلام ٣٠٦ .

(٢) شعار الشيعة من كل الطوائف والبياض ضد السواد شعار الدولة العباسية .

وللمسلمين ، وأربح الناس من هذا الرجل الطاغي ، فقال له أسعد : لئن فعلت ، ثم عدت الي لأقاسمنك فيما أنا فيه من الملك ، فأخذ عهدا وميثاقا ، وخرج من صنعاء يريد المذيخرة ، فلما قدمها خالط وجوه الدولة وكبراءها وسقاهم الادوية النافعة ، وفصد من احتاج الى الفصد ، وانتفع به أناس كثير ، فرقع ذكره الى علي بن الفضل ، وأثني عليه في حضرته ، وقيل له : انه لا يصلح الا لمثلك .

فلما كان ذات يوم أحب الفصاد ، فطلبه ، فلما حضر بين يديه ، جرده من ثيابه ، وغسل المبضع وهو ينظر ، وكان قد دهن أطراف شعر لحيته بسم قاتل ، فلما دنا منه ليفصده مص المبضع تنزيها لنفسه ، ثم مسحه بأطراف شعره ، كالمجفف له ، فعلق فيه ما علق من السم ، ثم فصد الاكحل وربطه ، وخرج من فوره هاربا من المذيخرة ، متوجها الى أسعد بن يعفر ، فلما كان بعد ساعة ، أحس علي بن الفضل بالموت ، فطلب الحكيم الغريب ، فلم يجد له خبرا ، فأيقن بالموت ، فأمر أن يلحق حيث كان ، فخرج العسكر في طلبه في كل وجه ، فأدركه بعضهم في وادي السحول عند المسجد المعروف بقينان[1] فأرادوا لزمه ، فامتنع وقاتل عن نفسه ، حتى قتل في ذلك الموضع ، وقبره في ذلك الموضع ، وتوفي علي بن الفضل عقيب ذلك ، وكانت وفاته ليلة الخميس النصف من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمائة ، وكانت مدة محنته ، وملكه سبع عشرة سنة[2] ــ فلا رحم الله مثواه ، ولا بل بشيء من الرحمة ثراه .

ولما علم أسعد بن يعفر بوفاته ، فرح فرحا شديدا ، وخرج يريد المذيخرة ، وكتب الى أهل الجند ، والمعافر ، فالتف العسكر اليه وكان لعلي بن الفضل ولد قد انضم اليه أهل مذهبه وتحصنوا بالمذيخرة فأحاطت بهم العساكر مع أسعد بن أبي يعفر ، فنصب لهم المنجنيقات ، ولم يزل مصابرا لهم مدة سنة كاملة ، حتى أخربها المنجنيق ، ودخلها قهرا بالسيف ، وقتل ولد علي بن الفضل ، وسبا بناته ، وكن ثلاثا ، فرقهن في رؤساء العرب ، ووهب واحدة منهن لابن أخيه ، قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان ، وكان اسمها معاذة ، وانقطعت دولة

(١) انظر صفة الجزيرة ١٠١ ــ ١٠٤ . الاكليل ٢/٢٣٤ ــ ٢٤٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٨٨ .

(٢) انظر الحمادي ٣٧٥ ــ ٣٧٧ .

القرامطة من مخلاف جعفر ، ولم تزل المذيخرة خرابا الى يومنا[1] هذا ، فهذه أخبار علي بن الفضل بأسرها .

واستولى الامير أسعد بن أبي يعفر على البلاد في رجب سنة أربع وثلاثمائة ، وفي أيام أسعد بن أبي يعفر المذكور ، قدم اليمن الوزير علي بن عيسى بن الجراح من العراق ، فأقام بصنعاء على أوفى كرامة ، وقدم له مالا كثيرا ، ورجع الوزير الى بغداد ، وهو من الشاكرين لأسعد بن أبي يعفر الحوالي المذكور ، فعمل في رفع الخراج عن اليمن فجزاه الله خيرا ، وكانت وفاته في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة[2] .

وولي البلاد بعده أبو يعفر سبعة أشهر ، ثم ولي البلاد عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، وهو الذي أمه معاذة بنت علي بن الفضل ، وكانت وفاته في الثامن عشر من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة[3] ، وكانت له وقعات مشهورة منها : أن أبا يعقوب المحابي،وازر الحسين بن سلامة على قتال بني الحوالي، فالتقوا للحرب في اليوم السادس عشر من شوال سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، نحوا من ألفي رجل ، وكانت الدائرة على أبي يعقوب المحابي ، وهو من جهة الحسين بن سلامة[4] ، والله أعلم .

وأما منصور بن حسن ، فكان رجلا عاقلا لبيبا كاملا ، وكان موادعا يحب المياقاة ، ولم يبرح في جهة لاعة الى أن توفي سنة اثنتين وثلاثمائة ولما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه الحسن بن منصور،والى رجل من أصحابه،يقال له عبد الله الشاوري، وكان خصيصاً به ، فأمرهما بالمحافظة على مذهبه ، وأن لا يقطعا أمراً دون عبيد الله المهدي ، وأمرهما بمكاتبة المهدي ، فاذا ورد أمره[5] بولاية أحدهما ، سمع الآخر

---

(١) في نسخة الجامع الكبير : عصرنا .
(٢) في غاية الاماني ٢١٩/١ ، كانت وفاته سنة ٣٣١ هـ .
(٣) في غاية الاماني ٢٢٧/١ ، كانت وفاته سنة ٣٨٧ هـ .
(٤) في هذا خلاف ، انظر تاريخ اليمن لعمارة ٦٨ ـ ٧٣ . تاريخ ثغر عدن ٥٩/٢ـ٦٣.
(٥) في نسخة الجامع الكبير : كتابه

وأطاع ، فكتب الشاوري الى المهدي برسالة وهدية ، وعرفه بموت منصور ، وكان منصور بن حسن : قد أرسل الشاوري الى المهدي ، وقدم عليه ، وهو في المهدية ، فدفع اليه الكتاب ، فلما قرأه ، أقر الشاوري بالاستقلال ، وبعث اليه تسع رايات ، وعاد الحسن بن منصور خائبا .

فلما وصلت كتب المهدي بولاية الشاوري ، وعزل أولاد المنصور ووصل الحسن بن منصور خائبا ، عمل على قتل الشاوري ، فنهاه أخوته فلم ينته ، فكان أولاد المنصور يواصلون الشاوري ، وهو يكرمهم ويبجلهم ولا يحجب منهم أحدا ، ثم ان الحسن بن منصور دخل يوما على الشاوري في بعض الغفلات ، فلم يجد عنده أحدا فقتله واستولى على البلاد ، فلما استوثق له الامر جمع الرعايا من أقاصي البلاد ودانيها ، وأشهدهم على نفسه ، أنه قد خرج من مذهب القرامطة ، الى مذهب أهل السنة ، فأحبه الناس ، ودانوا له ، فدخل عليه أخ له ، يسمى جعفر فنهاه عما فعل ، وقبحه عليه ، فلم يلتفت اليه ، وقتل القرامطة الذين حوله وشردهم في كل وجه .

ثم انه خرج يوما من مسور الى عثر محرم ، وفيها رجل من قبله يقال له ابن أبي العرجاء ، واستخلف على مسور ابراهيم بن عبد الحميد السباعي ، وهو جد بني المنتاب ، فلما دخل عليه حسن بن منصور عثر محرم ، وثب عليه نائبه ابن أبي العرجاء ، فقتله واستولى على ما تحت يده وبلغ الخبر الى ابراهيم بن عبد الحميد ، فلزم مسورا ، وادعى الامر لنفسه ، وخرج أولاد منصور بن حسن وحريمهم الى جبل ذي عسب فوثب عليهم المسلمون وقتلوهم ، ولم يبقوا منهم وسبوا حريمهم ، ثم اتفق ابن أبي العرجاء ، وابراهيم بن عبد الحميد ، فاقتسما البلاد نصفين ، ورجع ابراهيم الى مذهب أهل السنة[1] ، وخطب للخليفة العباسي ، وكاتب الامير ابراهيم ابن زياد صاحب زبيد ، ودخل في طاعته ، وسأله أن يرسل اليه رجلا[2] من قبله ، فبعث ابن زياد برجل يعرف بالسراج ، وقال له ابن زياد : اذا أمكنتك الفرصة من ابراهيم فثب عليه ، فتلقاه ابراهيم وأنصفه وأكرمه ، فعامل عليه السراج من يقتله ، فبلغ العلم الى ابراهيم بن عبد الحميد فقبض على السراج ، وحلق رأسه ولحيته ، ونفاه[3] .

(١) انظر الحمادي ٣٨١ .
(٢) في نسخة الجامع الكبير : برجل .
(٣) انظر الحمادي ٣٧٩ — ٣٨٢ .

وقطع مواصلة ابن زياد ، وتتبع القرامطة بالقتل والسبي حتى أفناهم ولم يبق منهم الا طائفة قليلة بناحية مسور صائنين[1] أمرهم مقيمين ناموسهم برجل يقال له ابن الطفيل ، فقتله ابراهيم بن عبد الحميد ، فانتقلت الدعوة الى رجل يعرف بابن قحيم[2] ، وذلك في أيام المنتاب بعد موت أبيه ابراهيم بن عبد الحميد ، فخاف ابن قحيم على نفسه ، فكان لا يستقر في موضع واحد خوفا من المنتاب ، وكان يكاتب المعز الى مصر بعد خروجه من القيروان ، فلما حضرته الوفاة ، استخلف رجلا من شبام ، يقال له الاسد ، فأقام دعوته حياته ، فلما حضرته الوفاة استخلف عند موته سليمان بن عبد الله الزواخي[3] ، وهو رجل من حمير — والزواخي قرية من أعمال حراز ، ينسب اليها المذكور ، والزواخي أيضا قرية من أعمال حدد ، والزواخي أيضا قرية من أعمال حيس بتهامة .

فكان سليمان داعيا في أيام الحاكم والظاهر ، وأول أيام المستنصر ، وكان كثير المال والجاه ، فاستمال الرعاع والطغام الى مذهبه ، وكلما هم به المسلمون دافعهم بالجميل ، ويقول أنا رجل مسلم ، أشهد أن لا إله إلا الله ، فيمسكون عنه ، وكان فيه كرم نفس ، وأفضال على الناس ، فلما حضرته الوفاة استخلف علي بن محمد الصليحي[4] ، الذي سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ...



(١) في نسخة الجامع الكبير : كاتمين .
(٢) عند الحمادي ٣٨٢ ابن رحيم .
(٣) ضبطها ياقوت في معجم البلدان بالخاء المعجمة وكذلك فعل البكري في معجم ما استعجم ، بينما ضبطها الاكوع في صفة الجزيرة ١٠٣ — ١٠٤ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٥ « بالحاء المهملة » .
(٤) انظر الحمادي ٣٨٢ — ٣٨٥ .

المصادر والمراجع

الاباضي (أبو عمار عبد الكافي)

الموجز . الجزائر ١٩٧٨

ابن الأثير (علي)

الكامل في التاريخ . القاهرة ١٣٤٨ هـ

الاربلي (عبد الرحمن بن سنبط)

خلاصة الذهب المسبوك . بغداد (مكتبة المثنى)

الاربلي (علي بن عيسى)

كشف الغمة في معرفة الأئمة . بيروت ١٩٨١

آرنولد (توماس)

الخلافة ــ دمشق (دار اليقظة)

الدعوة الى الاسلام . القاهرة ١٩٥٧

تراث الاسلام . بيروت (دار الطليعة)

الأزدي (أبو زكريا)

تاريخ الموصل . القاهرة ١٩٦٧

الأزرقي (أبو الوليد محمد)

أخبار مكة . بيروت (مكتبة خياط)

ابن اسحق (محمد)

السير والمغازي . بيروت ١٩٧٨

الأسدي (الكميت بن زيد)
شرح القصائد الهاشميات • بيروت ١٩٧٢

اسماعيـــل (محمود)
الحركات السرية في الاسلام • فاس ١٩٧٧

الأشعري (علـــي)
مقالات الاسلاميين • القاهرة ١٩٥٠

الاصطخري (أبو اسحق ابراهيم)
المسالك والممالك • ليدن ١٩٢٧

الأصفهاني (حمـــزة)
تاريخ سني ملوك الأرض • بيروت ١٩٦١

الأصفهاني (أبو الفرج)
الأغاني • القاهرة (دار الكتب)
مقاتل الطالبيين • القاهرة ١٩٤٩

الأصفهاني (محمد بن محمد ــ العماد الكاتب)
خريدة القصر وجريدة العصر • دمشق ١٩٥٥

الأصفهاني (أبو نعيم أحمـــد)
دلائل النبوة • حيدر أباد ١٩٥٠
حلية الأولياء • القاهرة ١٩٣٢ ــ ١٩٣٨

ابن الأعثم الكوفي (أحمد)
كتاب الفتوح • بيروت ١٩٨٨

الأفغاني (سعيد)
أسواق العرب • دمشق ١٩٣٧
عائشة والسياسة • بيروت ١٩٧١

اليـــاد (ميرسيا)
تاريخ المعتقدات والافكار الدينية • دمشق ١٩٨٧
رمزية الطقس والاسطورة • دمشق ١٩٨٧

أمـــير (علــي)
مختصر تاريخ العرب • القاهرة ١٩٣٨

الآملي (حيدر بن علي)
الكشكول فيما جري على آل الرسول • قم ـــ منشورات الرضي

أمـــين (أحمـــد)
ظهر الاسلام ـــ فجر الاسلام ـــ ضحى الاسلام • بيروت (بدون تاريخ)

أمـــين (أحمد وزكي نجيب محمود)
قصة الفلسفة اليونانية • القاهرة

أمـــين (حســـين)
تاريخ العراق في العصر السلجوقي • بغداد ١٩٦٥

الأمـــين (محسن)
أعيـــان الشيعـــة • بيروت ١٩٨٣

ابن أنس (الامام مالك)
الموطـــأ • بيروت ١٩٧١

الأنطاكـــي (يحيى بن سعيد)
تاريخ يحيى بن سعيد • بيروت ١٩٠٩

ابن أيبك الدواداري (عبد الله)
الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية • القاهرة ١٩٦١

ايماني (مهدي الفقيـــه)
الامام المهدي عند أهل السنة • أصبهان ١٤٠٢ هـ

الباروني (سليمان الطرابلسي)
مختصر تاريخ الاباضية • تونس ١٩٣٨

الباشا (حسن)
الألقاب الاسلامية • القاهرة ١٩٥٧

الباقلاني (أبو بكر بن الطيب)
الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به • بيروت ١٩٨٠

بحر العلوم (محمد المهدي)
رجال السيد بحر العلم • طهران ١٣٦٣ هـ

البحراني (هاشم)
المحجة فيما نزل في القائم الحجة • بيروت ١٩٨٣

البخاري (محمد بن اسماعيل)
صحيح البخاري • بيروت (دار الفكر)
التاريخ الكبير • حيدر أباد الدكن

بــدج (ولس)
الديانة الفرعونية • دمشق ١٩٨٧

بدوي (عبــد الرحمن)
مذاهب الاسلاميين • بيروت
خريف الفكر اليوناني • القاهرة
ربيع الفكر اليوناني • القاهرة
أفلوطين عنــد العرب • بيروت
دور العرب في تكوين الفكر الاوربي • الكويت
التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية • القاهرة ١٩٤٦

برستد (جيمس هنري)
انتصار الحضارة • القاهرة

بروكلمان (كارل)
تاريخ الادب العربي • القاهرة
تاريخ الشعوب الاسلامية • بيروت ١٩٤٨

بشور (وديــع)
الميثولوجيــا السورية • دمشق ١٩٨١

ابن بطوطة (محمد بن عبد الله)
الرحلة ــ تحفة الانظار في غرائب الاسفار • القاهرة ١٩٥٨

البغدادي (الخطيب ــ أحمد)
تاريخ بغداد • بيروت (دار الكتاب العربي)

البغدادي (اسماعيــل)
هديــة العارفين • بيروت (دار الفكر)

البغدادي (أبو منصور عبد القاهر)
الفرق بين الفرق • القاهرة ١٩٤٨

البلخي (أبو القاسم)
فضل الاعتزال • تونس ١٩٧٤

ابن بكار (الزبير)
جمهرة نسب قريش • القاهرة (دار العروبة)
الاخبار الموفقيات • بغداد ١٩٧٢

البكري (أبو عبيــد)
جغرافية الاندلس وأوربة • بيروت ١٩٦٨
كتاب المغرب • الجزائر ١٩١١
معجم ما استعجم • القاهرة ١٩٦٥

البلاذري (أحمـــد بن يحيى)
فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٣٢
أنساب الاشراف (نسختان خطيتان لدي)
القدس ١٩٣٨ ـ ١٩٧٠ ـ القاهرة ١٩٥٩ ـ بيروت ١٩٧٣

البلخي (أبو زيد أحمد)
البدء والتاريخ ، باريس ١٩١٦

البلوى (أبو محمد عبد الله)
سيرة أحمد بن طولون ، دمشق ١٣٥٨ هـ

بوكاي (موريس)
دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة ، القاهرة

البيذق (أبو بكر الصنهاجي)
أخبار المهدي بن تومرت وكتاب الانساب ، الرباط (المطبعة الملكية)

البيروني (أبو الريحان محمد)
الآثار الباقية من القرون الخالية ، لايبزغ ١٩٢٣
الجماهر في معرفة الجواهر ، دمشق عالم الكتب
تحقيق ما للهند من مقولة ، بغداد (مكتبة المثنى)

بيضون (ابراهيم)
سليمان بن صرد الخزاعي ، بيروت ١٩٧٤

البيهقي (ظهير الدين)
تاريخ الحكماء ، دمشق ـ مجمع اللغة العربية

تامر (عارف)
ثلاث رسائل اسماعيلية ، بيروت ١٩٨٣
أربع رسائل اسماعيلية ، بيروت ١٩٧٨

التجاني (عبد الله)
رحلة التجاني • تونس ١٩٥٨

ابن تغري بردي (أبو المحاسن)
النجوم الزاهرة • القاهرة ١٩٤٢

التوحيدي (أبو حيان)
رواية السقيفة في المقابسات • القاهرة ١٩٢٩

الثعالبي (عبد الملك)
لطائف المعارف • بيروت ١٩٨٠
كتاب الوزراء • بغداد ١٩٧٢
يتيمة الدهر • القاهرة ١٩٥٦

الجاحظ (أبو عثمان عمرو)
البيان والتبيين • القاهرة ١٣١١
التاج في أخلاق الملوك • القاهرة ١٣٥٧
الحيوان • القاهرة ١٣٥٧
العثمانية • القاهرة ١٩٥٥
مجموعة من رسائل الجاحظ • القاهرة ١٣٦٥
رسائل الجاحظ • القاهرة ١٩٧٩
الرد على النصارى • القاهرة ١٩٨٤

الجارم (محمد)
أديان العرب في الجاهلية • القاهرة ١٩٢٣

جب (هاملتون)
دراسات في حضارة الاسلام • بيروت ١٩٦٤

ابن جبير (محمد بن أحمد)
الرحلة • بيروت ١٩٥٩

الجرهمي (عبيد بن شريـــه)
أخبـــار عبيـــد ٠ حيدر أباد ١٣٤٧

الجعفي (المفضل بن عمر)
الهفت الشريف ٠ بيروت ١٩٦٤

الجندي (علي ورفاقـــه)
سجع الحمام في حكم الامام ٠ القاهرة ١٩٦٧

الجهشياري (ابن عبدوس)
الوزراء والكتاب ٠ القاهرة ١٩٣٨
نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ٠ بيروت

الجواليقي (أبو منصور موهوب)
المعرب ٠ القاهرة ١٣٦١

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن)
عمر بن الخطاب ٠ القاهرة
مناقب عمر بن عبد العزيز ٠ لايبزغ ١٨٨٩
المنتظم ٠ حيدر أباد ١٣٥٩

جوزي (بندلـــي)
من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ٠ بيروت (دار الروائع)

الجوزية (ابن القيم)
اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ٠ القاهرة مطبعة الامام

حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله)
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٠ بيروت (دار الفكر)

الحامدي (ابراهيم بن الحسين)
كنز الولـــد ٠ بيروت ١٩٧١

الحائري (علي اليزدي)
الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب • بيروت ١٩٧١

ابن حبيب (محمـــد)
كتاب المحبر • حيدر أباد ١٩٤٢
المنمق في أخبار قريش • بيروت ١٩٨٥
المؤتلف والمختلف • الرياض ١٩٨٠

حتى (فيليب)
تاريخ العرب • بيروت
تاريخ سورية ولبنان • بيروت

ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي)
الاصابة في تمييز الصحابـــة • القاهرة ١٩٣٩

ابن حجر الهيتمي (أحمـــد)
الصواعق المحرقة في الرد على أصل البدع والزندقة • القاهرة ١٩٦٥

ابن أبي الحديد
شرح نهج البلاغـــة • بيروت ١٩٦٧

الحراني (أبو محمد الحسن بن علي)
تحف العقول عن آل الرسول • بيروت ١٩٦٩

ابن حزم الاندلسي (محمد بن علي)
جمهرة أنساب العرب • القاهرة ١٩٦٢
المحلـــى • القاهرة
الفصل في الملل والنحل • القاهرة ١٣١٧
نقط العروس ــ مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الاول) ١٩٥١

حسن (ابراهيم حسن)
تاريخ الاسلام السياسي • القاهرة ١٩٥٩
النظم الاسلامية • القاهرة ١٩٦٢
المعز لدين الله • القاهرة ١٩٦٤

حسن (سعد محمد)
المهدية في الاسلام • القاهرة ١٩٥٣

حسن (علي ابراهيم)
تاريخ جوهر الصقلبي • القاهرة

الحسني (عبد الرزاق)
الصابئون • بغداد ١٩٨٣
اليزيديون • صيدا ١٩٦٨

حسين (طـه)باشرافـه
تعريف القدماء بأبي العلاء • القاهرة ١٩٦٥

الحسيني (أبو الحسن علي)
زبدة التواريخ • لاهور ١٩٣٣

الحسني (هاشم معروف)
سيرة الائمة الاثني عشر • بيروت ١٩٨١

الحلي (الحسن بن يوسف)
الالفين في امامة أمير المؤمنين • النجف ١٩٥٣

الحمادي (محمد بن مالك)
كشف أسرار الباطنية • القاهرة ١٩٣٩

الحميري (عبد المنعم السبتي)
الروض المعطار • بيروت ١٩٧٢

الحموي (محمد)
التاريخ المنصوري • موسكو ١٩٦٠

الحموي (ياقوت الرومي)
معجم البلدان • بيروت ١٩٦٨
معجم الأدباء • القاهرة ١٩٢٧

حميد الله (محمد)
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي • بيروت

ابن حنبل (الامام أحمد)
الرد على الزنادقة والجهمية • حماه ١٩٦٧

الحوت (محمد سليم)
الميثولوجيا عند العرب • بيروت ١٩٨٣

ابن حوقل (أبو القاسم محمد)
صورة الارض • بيروت (دار الحياة)

حيدر (أسعد)
الامام الصادق والمذاهب الاربعة • بيروت ١٩٨٣

خالد (غسان)
أفلوطين رائد الوحدانية • بيروت ١٩٨٣

خان (محمد عبد المعيد)
الاساطير والخرافات عند العرب • بيروت ١٩٨١

الخربوطلي (علي حسني)
المختار الثقفي • القاهرة ١٩٦٢

خرطبيل (سامي)
اسطورة الحلاج • بيروت ١٩٧٩

الخزرجي (علي بن الحسن)
العسجد المسبوك (مصورة عن مخطوطة الجامع الكبير في صنعاء مع قطعة من نسخة الحرم المكي) .

ابن خزيمة (محمد بن اسحق)
كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل . القاهرة ١٤٠٠

خسرو (ناصر)
سفر نامه . بيروت ١٩٧٢
جامع الحكمتين . القاهرة ١٩٧٧

الخشاب (يحيى)
كتاب تنسر . القاهرة ١٩٥٤

الخضري (محمد)
محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية . القاهرة ١٩٦٦

ابن خلدون (عبد الرحمن)
العبر وديوان المبتدأ والخبر . بيروت ١٩٥٨

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس)
وفيات الاعيان . القاهرة ١٩٥٠

الخليفة (عبد الله بن خالد)
البحرين عبر التاريخ . بيروت ١٩٦٩

خليل (خليل)
مضمون الاسطورة في الفكر العربي . بيروت ١٩٧٣

خليل (عماد الدين)
معالم الانقلاب الاسلامي في حياة عمر بن عبد العزيز . بيروت الدار العلمية

الخوارزمي (أبو عبد الله محمد)
مفاتيح العلوم • القاهرة

ابن خياط (خليفة)
تاريخ خليفة بن خياط • دمشق ١٩٦٨
طبقات خليفة بن خياط • دمشق ١٩٦٧

الدارمي (عثمان بن سعيد)
الرد على الجهمية • ليدن ١٩٦٠

داود (جرجس داود)
أديان العرب قبل الاسلام • بيروت ١٩٨١

أبو داود (سليمان)
السنن • بيروت (دار الفكر)

داود (عبد الأحد)
محمد في الكتاب المقدس • قطر ١٩٨٥

الدباغ (عبد الرحمن بن محمد وابن ناجي)
معالم الايمان في معرفة أهل القيروان • تونس ١٣٢٥

دراوور (الليدي)
الصابئة المندائيون • بغداد ١٩٦٩
أساطير وحكايات شعبية صابئية • بغداد

ابن أبي الدم (ابراهيم)
تاريخ ابن أبي الدم ـ نسخة مصورة عن مخطوطة البودليان

الدوري (عبد العزيز)
العصر العباسي الاول • بغداد
دراسات في العصور العباسية المتأخرة • بغداد
مقدمة في تاريخ صدر الاسلام • بيروت
الجذور التاريخية للشعوبية • بيروت ١٩٦٢
مقدمـــة في التاريخ الاقتصادي العربي • بيروت ١٩٦٨

دي غويـــه (مايكل)
القرامطـــة • بيروت ١٩٧٨

الديلمي (محمد بن الحسن)
بيان مذهب الباطنية وبطلانه • استانبول ١٩٣٨

ديليتس (فردريك)
بابل والكتاب المقدس • دمشق ١٩٨٧

الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود)
الأخبار الطوال • القاهرة ١٩٦٠

الرازي (أحمـــد)
تاريخ مدينة صنعاء • دمشق ١٩٧٤

الرازي (أحمد بن حمدان)
كتاب الزينة • القاهرة ١٩٥٧

الرازي (محمد بن أبي بكر)
الأمثال والحكم • دمشق ١٩٨٧

رايلي (كافـــين)
الغرب والعالم • الكويت سلسلة عالم المعرفة (٩٠ ، ٩٧) ١٩٨٤

ابن رسته (أحمد بن عمر)
الأعلاق النفيسة • ليدن ١٨٩١

رضا (محمد رشيد)
السنة والشيعة • القاهرة

الرضي (الشريف محمد بن الحسين)
المجازات النبويـــة • دمشق ١٩٨٧

الرقيق القيرواني (ابراهيم)
تاريخ افريقية والمغرب • تونس ١٩٦٨

درولف (فلهلم)
صلة القرآن باليهودية والمسيحية • بيروت ١٩٧٤

ابن الزبير (القاضي الرشيد)
الذخائر والتحف • الكويت ١٩٥٩

ابن أبي زرع (أو ابن عبد الحليم)
الأنيس المطرب بروض القرطاس • الرباط ـــ المطبعة الملكية

الزركلي (خير الدين)
الأعـــلام • بيروت ١٩٦٩

زكـــار (سهيـــل)
تاريخ العرب والاسلام • بيروت ١٩٧٤
مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية • دمشق ١٩٧٢
تاريخ أخبار القرامطة • بيروت ١٩٧١
التأريخ عند العرب • دمشق ١٩٧٤
ماني والمانويـــة • دمشق ١٩٨٥
يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للاسلام في العصور الوسطى •
بيروت ١٩٨٨
يهود الخزر • بيروت ١٩٨٧

الزهيري (عبد الفتاح)
تاريخ الصابئة المندائيين • بغداد ١٩٨٣

زيــد (علي محمــد)
معتزلة اليمن (دولة الهادي وفكره) • بيروت ١٩٨١

ابن أبي زينب (محمد بن ابراهيم)
كتاب الغيبة • بيروت ١٩٨٣

سارتون (جورج)
تاريــخ العلم • القاهرة

سبانو (أحمــد غسان)
هرمس الحكيم • دمشق ١٩٨٢

السبيتي (عبــد الله)
عمار بن ياسر • بيروت ١٩٨٤
سلمان الفارسي • بيروت ١٩٨٤

السجستاني (أبو يعقوب)
الافتخار • بيروت ١٩٨٠
كتاب اثبات النبوءات • بيروت ١٩٨٢

ابن سيرين (حامــد)
مصادر العقيدة الدرزية • لبنان ــ ديار عقل ١٩٨٥

السيوطي (جلال الدين)
تاريخ الخلفاء • القاهرة ١٩٦٤
حسن المحاضرة • القاهرة ١٨٨١

ابن شاذان (الفضل)
الايضاح • بيروت ١٩٨٢

ابن أبي شبة (عمر)
تاريخ المدبنة • المدينة ١٢٩٣ هـ

شلبي (أحمــد)
مقارنة الأديان • القاهرة ١٩٦٤

شرف (محمد جــلال)
نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام • بيروت ١٩٨٢

الشيبي (مصطفى)
الصلة بين التصوف والتشيع • القاهرة (دار المعارف)

شمس الدين (محمد مهدي)
أنصار الحسين • بيروت ١٩٧٥

الشهرستاني (محمــد)
الملل والنحل • القاهرة ١٩٤٨

الصابيء (هلال بن المحسن)
تحفة الأمراء • القاهرة ١٩٥٨

صالح (أحمد عباس)
اليمين واليسار في الاسلام • بيروت ١٩٧٠

صبحي (أحمــد محمود)
في علم الكلام (المعتزلة والاشاعرة) • الاسكندرية ١٩٨٢
نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية • القاهرة (دار المعارف)

الصولي (أبو بكر محمد)
الأوراق • القاهرة ١٩٣٥

الصيرفي (علي بن منجب)
الاشارة الى من نال الوزارة • القاهرة ١٩٢٣

ابن طاووس (أحمد بن موسى)
بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية • عمان ١٩٨٥

ابن طاووس (علي بن موسى)
الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر • بيروت ١٩٧٨

ابن طباطبا (ابن الطقطقي محمد بن علي)
الفخري في الآداب السلطانية • بيروت ١٩٦٦

الطباطبائي (محمد حسين)
الشيعة في الاسلام • بيروت (دار المعارف)

الطبرسي (أبو منصور أحمد بن علي)
الاحتجاج • بيروت ١٩٨٣

الطبري (محب الدين أحمد بن عبد الله)
ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى • بيروت ١٩٨١

الطبري (علي بن ربن)
الدين والدولـة • بيروت ١٩٧٩

الطبري (أبو الفضل علي)
مشكاة الأنوار في غرر الأخبار • النجف ١٩٦٥

الطبري (محمد بن جرير)
تاريخ الرسل والملوك • القاهرة (دار المعارف)
تفسير الطبري • بيروت (دار الفكر)

الطبري (محمد بن جرير بن رستم)
دلائل الامامـة • النجف ١٩٦٣

الطهراني (اغابزرك)
طبقات أعلام الشيعة • بيروت ١٩٧٥
الذريعة الى تصانيف الشيعة • بيروت ١٩٨٣

الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن)
الفهرست • بيروت ١٩٨٣
رجال الطوسي • النجف ١٩٦١
أمالي الطوسي • بيروت ١٩٨١

الطوفي (نجم الدين البغدادي)
الانتصارات الاسلامية • القاهرة ١٩٨٣

ابن طولون (محمـــد)
الأئمـــة الاثنى عشر • بيروت ١٩٥٨

ابن عباد (الصاحب اسماعيل)
نصرة مذاهب الزيدية • بغداد ١٩٧٧

عباس (احسان)
عهد أردشير • بيروت (دار صادر)

العباسي العلوي (علي بن محمد)
سيرة الهادي الى الحق • بيروت ١٩٧٢

ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن)
مراصد الاطلاع • القاهرة ١٩٥٥

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن)
فتوح مصر وأخبارها • ليدن ١٩٢٠

عبد الحميد (سعد زغلول)
تاريخ المغرب العربي • القاهرة ١٩٥٦

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد)
العقد الفريد • القاهرة ١٩٥٣

عبد الوهاب (حسن حسني)

خلاصة تاريخ تونس ١٣٧٣

ابن العبري (أبو الفرج غريغوريوس)

تاريخ مختصر الدول • بيروت ١٩٥٨

ابن العديم (كمال الدين عمر)

بغية الطلب في تاريخ حلب • دمشق قيد الطباعة محققا من قبلي

زبدة الحلب من تاريخ حلب • دمشق ١٩٥٨

ابن عذارى (أبو العباس أحمد)

البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب • بيروت ـ الرباط

ابن العربي (أبو بكر)

العواصم من القواصم • الجزائر ١٩٧٢

العروضي (النظامـي)

جهار مقاله • القاهرة ١٩٤٩

العزيز (حسين قاسم)

البابكية • بيروت ١٩٦٦

العزيزي (أبو علي منصور)

سيرة الاستاذ جؤذر • القاهرة ١٩٥٤

ابن عساكر (علي بن الحسن)

تاريخ دمشق (المجلدة الأولى) • دمشق ١٩٥١

تبيين كذب المفتري • دمشق ١٣٩٩

العسكري (جعفر بن محمد)

المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والامامية • بيروت ١٩٧٧

العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله)

الأوائـل • دمشق ١٩٧٥

عطوان (حسين)
الفرق الاسلامية في بلاد الشام في العصر الاموي • بيروت ١٩٨٦
الجغرافية التاريخية لبلاد الشام • بيروت ١٩٨٧

العظيمي (محمد بن علي)
تاريخ العظيمي (نشر بعنوان تاريخ حلب) • دمشق ١٩٨٥

العلوي (يحيى بن حمزة)
الافحام لأفئدة الباطنية الطغام • الاسكندرية (منشأة المعارف)

علي (جواد)
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام • بغداد ١٩٥٠

العلي (صالح)
التنظيمات الاجتماعية في البصرة • بيروت (دار الطليعة)
تنظيمات الرسول الادارية • بغداد ١٩٦٩

ابن علي (القاسم بن محمد)
كتاب الأساس لعقائد الأكياس • بيروت ١٩٨٠

عليان (محمد عبد الفتاح)
قرامطة العراق • القاهرة ١٩٧٠

ابن العماد (عبد الحي)
شذرات الذهب • القاهرة ١٩٣٢

عمر (فاروق)
طبيعة الدعوة العباسية • بيروت ١٩٧٠
العباسيون الاوائل • بيروت ـ دمشق

ابن العميد (جرجس)
تاريخ المسلمين • ليدن ١٦٢٥

عنان (عبـــد الله)

الحاكم بأمر الله • القاهرة ١٩٥٩

عياض (أبو الفضل بن موسى)

المدارك • بيروت ـــ الرباط

العيني (البدر محمـــد)

عقـــد الجمان ـــ مخطوطة بيازيد رقم ٢٣١٧

غالب (مصطفى)

تاريخ الدعوة الاسماعيلية • دمشق (دار اليقظة)

أربع كتب حقانية • بيروت ١٩٨٣

الامامة وقائم القيامـــة • بيروت ١٩٨١

سنان راشد الدين • بيروت ١٩٦٧

الغزالي (أبو حامـــد)

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة • القاهرة ١٩٦١

فضائح الباطنية • القاهرة ١٩٦٤

قواصم الباطنية • استانبول ١٩٥٤

التبر المسبوك • القاهرة ١٩٦٨

احياء علوم الدين • بيروت (دار الفكر)

مشكاة الأنـــوار • القاهرة

تهافت الفلاسفة • القاهرة

ابن فاتك (المبشر)

مختار الحكم ومحاسن الكلم • بيروت ١٩٨٠

الفارقي (ابن الأزرق)

تاريخ الفارقي • القاهرة ١٩٥٩

فازلييف
العرب والروم • القاهرة ـ الألف كتاب

أبو الفـداء (اسماعيل بن محمد)
تقويم البلدان • باريس ١٧٤٠
المختصر في أخبار البشر • استانبول ١٨٦٩

الفردوسي (أبو القاسم)
الشاهنامـه • القاهرة ١٩٣٢

فلهوزن (يوليوس)
الدولة العربية • القاهرة ١٩٥٨
الخوارج والشيعة • القاهرة ١٩٥٣

فلوتن (فـان)
السيادة العربية والشيعة • القاهرة ١٩٦٥ ـ بيروت ١٩٧٩

القاسمي (ظافر)
نظام الحكم في الشريعة والتاريخ • بيروت ١٩٧٤

القاضي (وداد)
الكيسانية في التاريخ والأدب • بيروت ١٩٧٤

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله)
المعارف • القاهرة ١٣٠٠
عيون الأخبار • القاهرة ١٩٦٣
الامامة والسياسة (ينسب له) • القاهرة ١٩٦٣

القرشي (الداعي ادريس)
عيون الأخبار وفنون الآثار • بيروت ١٩٧٣

القرشي (يحيى بن آدم)
كتاب الخراج • القاهرة ١٣٤٧ هـ

القرمطي (الداعي عبدان)
كتاب شجرة اليقين • بيروت ١٩٨٢
القزويني (زكريا بن محمد)
آثار البلاد وأخبار العباد • بيروت ١٩٦٠
القزويني (أبو جعفر عمر)
مختصر شعب الايمان • القاهرة ـ مطبعة الامام
ابن القلانسي (حمزة)
تاريخ دمشق • دمشق ١٩٨٥
القلقشندي (أحمد بن علي)
صبح الأعشى • القاهرة ١٣٣٨
مآثر الانافة • الكويت ١٩٦٤
القمي (سعد)
المقالات والفرق • طهران ١٩٦٣
القمي (محمد بن علي بن بابويه)
الخصال • قم ١٤٠٣
من لا يحضره الفقيه • قم ١٤٠٤ هـ
عيون أخبار الرضا • بيروت ١٩٨٤
كمال الدين وتمام النعمة • قم ١٤٠٥
معاني الاخبار • قم ١٣٤١
القيرواني (أبو العرب محمد)
طبقات علماء افريقية وتونس • تونس ١٩٦٨
المحن • بيروت (دار الغرب)
آل كاشف الغطاء (محمد الحسين)
أصل الشيعة وأصولها • بيروت

كاهن (كلود)

تاريخ العرب والشعوب الاسلامية • بيروت ١٩٧٢

ابن كثير (اسماعيل)

البداية والنهاية • القاهرة ١٩٣٢

الكرماني (أحمد حميد الدين)

راحة العقل • بيروت ١٩٦٧

مجموعة رسائل الكرماني • بيروت ١٩٨٣

الاقوال الذهبية • بيروت ١٩٧٧

المصابيح في اثبات الامامة • بيروت ١٩٦٩

الكشي (محمد بن عمرو)

رجال الكشي • كربلاء

الكليني (محمد بن يعقوب)

الأصول من الكافي • بيروت ١٤٠١ هـ

لويس (برنارد)

أصول الاسماعيلية • بغداد ١٩٤٧

الدعوة الاسماعيلية الجديدة • بيروت ١٩٧٢

ماجد (عبد المنعم)

الحاكم بأمر الله • القاهرة ١٩٥٩

السجلات المستنصرية • القاهرة ١٩٥٤

ابن ماكولا (أبو نصر علي)

الاكمال • حيدر أباد ١٩٦٢

المالكي (أبو بكر عبد الله)

رياض النفوس • القاهرة ١٩٥١

الماوردي (أبو الحسن علي)
الأحكام السلطانية • القاهرة ١٩٦٠

المبرد (أبو العباس)
الكامل في الأدب • القاهرة ١٩٢٧

المتنبي (أبو الطيب أحمد)
الديوان • القاهرة ١٩٤٤

المجلسي (محمد باقــر)
بحــار الأنوار • بيروت ١٩٨٣
مرآة العقول • طهران ١٤٠٢ هـ

مجهول (دي غويــه)
العيون والحدائق • ليدن ١٨٦٩ ــ دمشق ١٩٧٤

مجهول
أخبار الدولة العباسية • بيروت ١٩٧١

مجهول (من القرن الحادي عشر)
تاريخ الخلفاء • موسكو ١٩٦٦

ابن محمد (القاضي النعمان)
اختلاف أصول المذاهب • بيروت ١٩٧٣
الأرجوزة المختارة • مونتريال ١٩٧٠
دعائم الاسلام مع التأويل • القاهرة ــ دار المعارف
رسالة افتتاح الدعوة • بيروت ١٩٧٠
الرسالة المذهبة ــ نسخ خطية في مكتبتي
المجالس والمسايرات • تونس ١٩٧٨
الاقتصاد • دمشق ١٩٥٧

ابن محمد الوليد (علي)

تاج العقائد ومعدن الفوائد ، بيروت ١٩٦٧

الذخيرة في الحقيقة ، بيروت ١٩٧١

المراكشي (عبد الواحـــد)

المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، القاهرة ١٩٦١

ابن المرتضى (أحمد بن يحيى)

المنية والامل في شرح الملل والنحل ، بيروت ١٩٧٩

مرحبا (محمد عبد الرحمن)

من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة العربية ، بيروت

ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد)

مقدمـــة المسند الصحيح الحسن ، دمشق ١٩٨٠

ابن مسافر (عــــدي)

اعتقاد أهل السنة والجماعة ، بغداد ١٩٧٥

المسبحي (محمد بن عبيد الله)

أخبار مصر (قطعة منه) ، القاهرة ١٩٨٠

المسعودي (أبو الحسن علي)

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة

التنبيه والاشراف ، القاهرة ١٩٣٨

مسكويـــه (أحمد بن محمد)

تجارب الامم وذيلـــه ، القاهرة ١٩١٤

مصطفى (شاكر)

دولـــة بني العباس ، الكويت ١٩٧٤

مظهر (سليمان)
قصة الديانات ، بيروت ١٩٨٤
المعاضيدي (خاشع)
دولـة بني عقيل بالموصل ، بغداد ١٩٦٨
معروف (نايف)
الخوارج في العصر الاموي ، بيروت ١٩٧٧
المعري (أبو العلاء أحمد)
رسالـة الغفران ، بيروت (دار صادر)
ابن المعمار (أبو عبد الله محمد)
كتاب الفتوة ، بغداد ١٩٦٠
المقدسي (محمد بن أحمد)
أحسن التقاسيم ، ليدن ١٩٠٦
المقدسي (يوسف بن يحيى)
عقد الدرر في أخبار المنتظر ، القاهرة ١٩٧٩
المقريزي (أحمد بن علي)
اتعاظ الحنفا (نسخة مصورة لدي)
المقفى (نسخة مصورة لدي)
الخطط ، القاهرة ١٩٠٨
ابن المقفع (ساويرس)
تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية ، القاهرة ١٩٥٩
مكارم (سامي نسيب)
أضواء على مسلك التوحيد ، بيروت ١٩٦٦

الملطي (محمد بن أحمد)

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع • بغداد ١٩٦٨

ابن منبه (وهب)

التيجان في ملوك حمير • حيدر أباد ١٣٤٧ هـ

الميداني (أحمد بن محمد)

مجمع الأمثال • القاهرة ١٩٥٩

ابن منصور (جعفر)

الكشف • بيروت ١٩٨٤

سرائر وأسرار النطقاء • بيروت ١٩٨٤

المنقري (نصر بن مزاحم)

وقعة صفين • القاهرة ١٣٦٥

مورتكات (أنطون)

تموز عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم • بيروت ١٩٨٥

المؤيد في الدين (هبة الله بن موسى)

سيرة المؤيد في الدين • القاهرة ١٩٤٩

المجالس المؤيدية • القاهرة ١٩٧٦

ديوان المؤيد في الدين • القاهرة ١٩٤٩

ميديكو (هـ • ا • ديل)

التوراة الكنعانية • دمشق ١٩٨٨

ابن ميسر (محمد بن علي)

أخبار مصر • القاهرة ١٩١٩

ناجي (عبد الجبار)

الامارة المزيدية • البصرة ١٩٧٠

الناشىء الأكبــر

مسائل الامامــة • بيروت ١٩٧١

الناشى (غضبان رومي عكله)

الصابئــة • بغداد ١٩٨٣

النجفي (محمد حسن)

جواهر الكلام • بيروت ١٩٨١

النديم (أبو الفرج محمد)

الفهرس • طهران ١٩٧١

ابن النعمان (الشيخ المفيد محمد بن محمد)

أوائل المقالات في المذاهب والمختارات • بيروت ١٩٨٣

الارشاد • بيروت ١٩٧٩

نعناعــة (رمزي)

الاسرائيليات • بيروت ١٩٧٠

النوبختي (الحسن بن موسى)

كتاب فرق الشيعة • استانبول ١٩٣١

النويري (شهاب الدين أحمد)

نهاية الأرب في فنون الأدب • القاهرة ١٩٢٣ (مصورة مخطوطة لدي)

النيسابوري (أحمد بن ابراهيم)

كتاب اثبات الامامــة • بيروت ١٩٨٤

نيلسن (ديتلف ورفاقــه)

التاريخ العربي القديم • القاهرة ١٩٥٨

ابن هانيء الأندلسي (محمــد)

الديوان • بيروت ١٩٥٢

ابن هشام (عبد الملك)
السيرة النبوية • القاهرة ١٩٥٥
الهمداني (القاضي عبد الجبار بن أحمد)
تثبيت دلائل النبوة • بيروت ١٩٦٦ (نسخة مخطوطة لدي)
فرق وطبقات المعتزلة • الاسكندرية ١٩٧٢
المغني في أبواب التوحيد والعدل • القاهرة ـ
المؤسسة العامة للتأليف والنشر
هوك (س• هـ)
ديانة بابل وآشور • دمشق ١٩٨٧
ابن واصل الحموي (محمد بن سالم)
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب • القاهرة ١٩٥٣
الواقدي (محمد بن محمد)
كتاب المغازي • اكسفورد ١٩٦٧
ابن الوليـد (علي)
كتاب الذخيرة في الحقيقة • بيروت ١٩٧١
ياسين (أنور ورفاقـه)
بين العقل والنبي • باريس ١٩٨٤
ابن يحيى (أبو مخنف لوط)
مقتل الحسين • بيروت ١٩٨٣
اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)
تاريخ اليعقوبي • بيروت ١٩٦٠

أبو يوسف القاضي (يعقوب)

كتاب الخراج • القاهرة ١٣٨٢

اليوسي (أبو الحسن علي)

المحاضرات • الرباط ١٩٧٦

رسائل أبي علي اليوسي • الدار البيضاء ١٩٨١

بعض المصادر غير العربية

1 - Anonymous Geographer
Hudud Al-Alam, English Translation
London 1937

2 - Atiya (Aziz)
The crusade,Historiography and Bibliography
Oxford 1962

3 - Belyaev (E.A.)
Arabs, Islam and the Arab Caliphate
Jerusalem 1969

4 - Bar Hebreaue (Abu'l-Faraj son of Aron)
Hisory of the wold. English translation by Ernest A. wallis Budge
Oxford 1932

5 - Bosworth (clifford Edmend)
A — The Ghaznavid .
Edinburgh 1963
B — The Islamic Dynasties
Edinburgh 1967

6 - Cahen (Claude)
A - Mouvements populaise et Atuonomisme urbains dans L'Asie Muslmane du Moyen Age l,Arabica vol. v.
Paris 1958
B - pre Ottoman Turkey (Eng. trans.)
London 1969

7 - Cohn (Norman)
The pursuit of the Millenium
London 1970

8 - The cambridge History of Iran vol. v.
Cambridge 1968

9 - Cambridge History of Islam
Cambridge 1970

10- Cambridge Medieval History, vol. IV, Ed. Joan M. Hussey
Cambridge 1966 - 67

11- Dunlop (D.M.)
The History of the Jewish Khazars.
New York 1967

12- Elisseef (Nikitce) Nur-Ad-Din
Damas 1967

13- Encyclopedia of Islam, New Eden
London 1960

14- Gabrieli (Francesco)
A - Muhammad and the Conquests of Islam
London 1968
B - Ashort History of the Arab
London 1965

15- Gibb (H.A.R.)
Mohemmedanism.
Oxford 1969

16- El-Hajji (Abdul-Ralhman)
Andalusian Diplomatic Relations with western Europe, During the umayyad period
Beirut 1960

17- KABIR (Mafizullah)
The Buwayhid Dynasty of Baghdad
Calcuta 1964

18- Lambton (A.K.S.)
Land-lord and peasant in persia
Oxford 1969

19- Lewis (Bernard)
A - The Arab in History
London 1968
B - Race an color in Islam
London 1971

20- Mcweill (w) and scdlar (J)
The clas ical Medi-terranean world
London 1969

21- Nibam Al-Mulk
The Book of Government
English translation by
Herbert Drabe
London 1960

22- Omar (F.)
The Abbasid caliphate
Baghdad 1969

23- Ostrayosky (D.)
History of the Byzantine state, Engl. trans. J. Hussey
Oxford 1968

24- Partington (J.R)
A History of Greek Fire and Gunpouder
Cambridge, 1960

25- Pearson (J.D)
Index Islamicus
Cambridge 1961, 1962, 1967.

26- Psellus (Michael)
Fourteen Bybantine Rulers
(Eng. trans. Penguin Ed. London 1966)

27- Rice (Tamara Tabot)
The Saljuks
London 1968

28- Rosenthal (E.I.J.)
Political Thought in Medieval Islam
Cambridge 1962

29- Rosenthal (F.)
A History of the Muslim Histography
Leiden 1968

30- Segal (J.B.)
Edessa, the blessed city
Oxford 1970

31- Shaban (M.A.)
The Abbasid Revolution
Cambridge 1970

32- SEVIM (Ali)
Suriye selcuklulari
Ankara 1965

33- Le Strange (Guy)
1 - The Land af the Eastern Calipthae
London 1966
2 - Palestine Under the Muslim.
Beirut 1965

34- Vasiliev (A.)
History of the Byzantine Empire.
Wisconsin 1964

35- Watt (M.)
1 - Muhammad Prophet and Statesman
Oxford 1961

36- ZAKKAR (suhayl)
The Emirate of Aleppo, 1004 - 1094
Beirut 1971

37- Zaehneav (R.C.)
The Dawn and twilight of Zoroastrianism
London 1961

((الآيات القرآنية الكريمة))

« الشعـــر »

الفهرس العام

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

ــ خ ــ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

— ض —

— ط —

ــ ظ ــ

ــ ع ــ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

— ق —

ــ ك ــ

— و —

— ي —

★ ★ ★

المحتوى



((تطبيعات))

ص	الخطأ	الصواب	السطر
٢٢	لبستخلفهم	ليستخلفنهم	٤ ـ أسفل
٢٢	المؤمين	المؤمنين	٣ ـ أسفل
٢٩	صقر	سقر	٣ ـ أعلى
٤٨	أن الصباح	أن حسن الصباح	١٠ ـ أعلى
٥١	وترشح له من ليس	وترشح له من هو له أهل ومن ليس	١ ـ أعلى
٨٥	وحضاربه	وحضاريه	١٤ ـ أعلى
٩٣	للفاطمية	الفاطمية	١٥ ـ أعلى
١١٣	القبامه	القيامه	٩ ـ أعلى
١٣	محصور	محصول	١٠ ـ أعلى
١٣٧	حماروبه	خمارويه	٣ ـ أعلى
١٣٩	لعباسية	العباسية	٣ ـ أسفل
١٣٩	الرجبة	الرحبة	٢ ـ أسفل
١٤٢	ولايه	ولاية	٩ ـ أعلى
١٧٢	أبا	أبـا	٢ ـ الحاشية
٢١٢	مأوقع	فأوقع	١٤ ـ أعلى
٢٤٣	وقيل	وقبل	٦ ـ أعلى
٢٥٥	خوان	خولان	٢ ـ أعلى
٤٣٤	بجمع	تجمع	١٠ ـ أسفل
٤٤١	عل ؛ ـ ي	علي	١٢ ـ أعلى
٤٤٣	فرذوله	مرذوله	١ ـ أعلى
٤٥٢	الصائبين	الصابئين	٤ ـ أعلى
٤٧٣	الحادسم	الخادم	٦ ـ أسفل

هذا الكتاب

- يبحث في نشأة القرامطة ويقدم نظريات جديدة حول موطنهم الأول وأصل تسميتهم .
- هو أول كتاب يطرح قضية قرامطة اليمن ويوضح أثر حركاتهم على بقية جماعات القرامطة وبلدان وشعوب العالم الاسلامي .
- فيه يرى القارىء نتائج ثورات القرامطة بشكل جلي وأهداف حركاتهم الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .....
- لم يسبق أن حوى كتاب آخر ماحواه هذا الكتاب من مواد تاريخية تنشر للمرة الأولى بشكل علمي ويرقى بعضها إلى أيام القرامطة .